

This Book is Due

JUN 10 1977

IC 1148 93  
NY 156 93 - 185 93

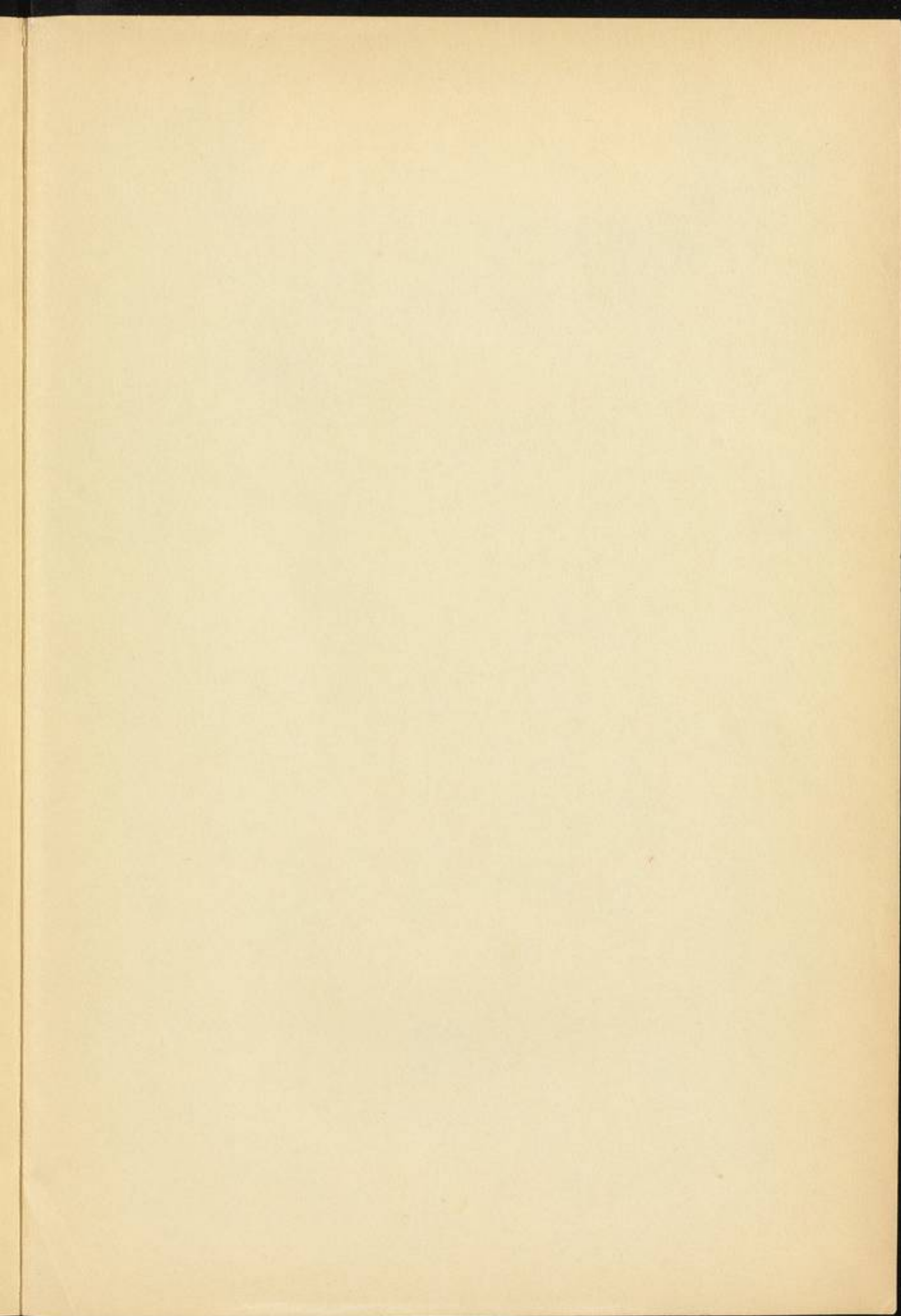
[Redacted]

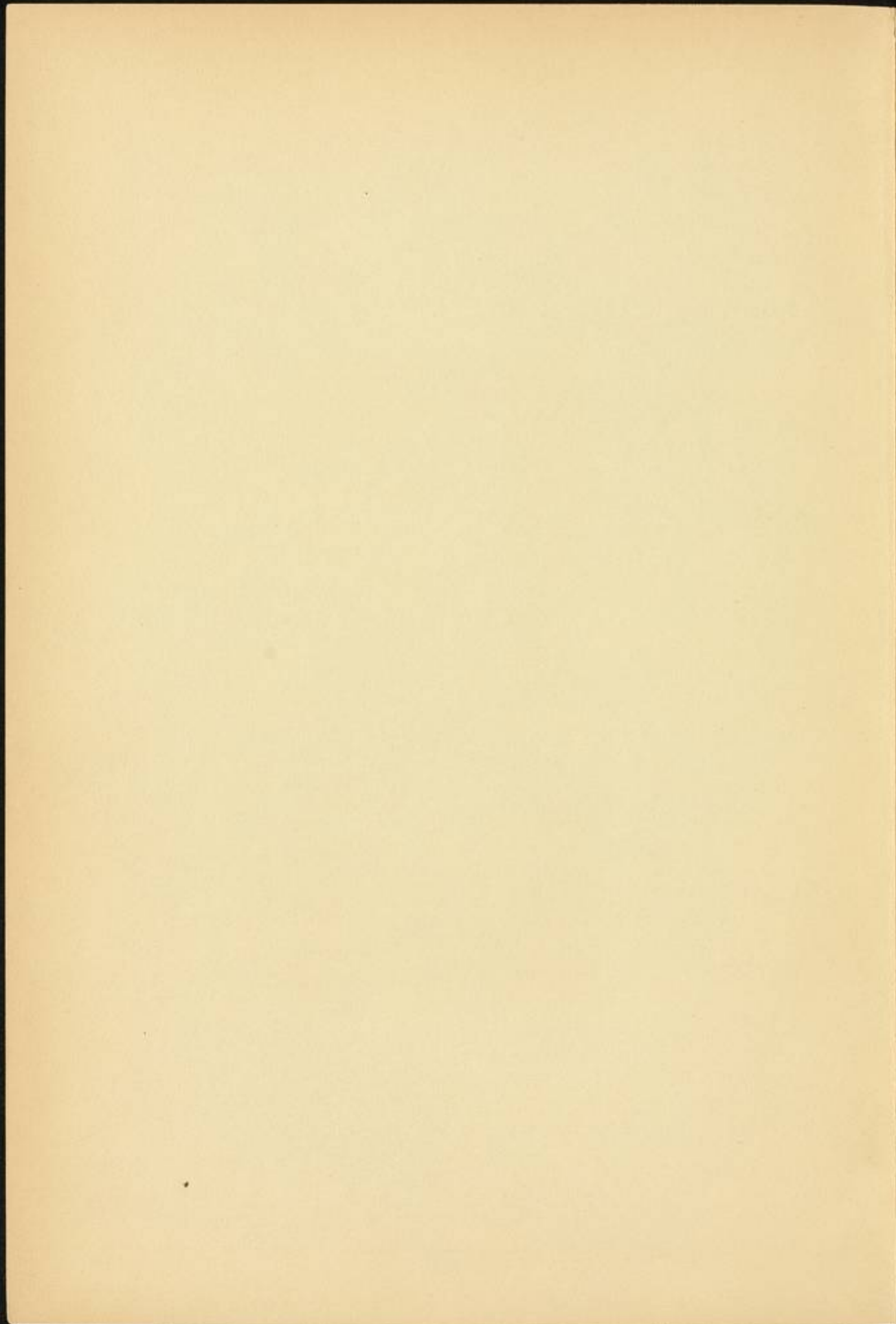
JUN 15 2001

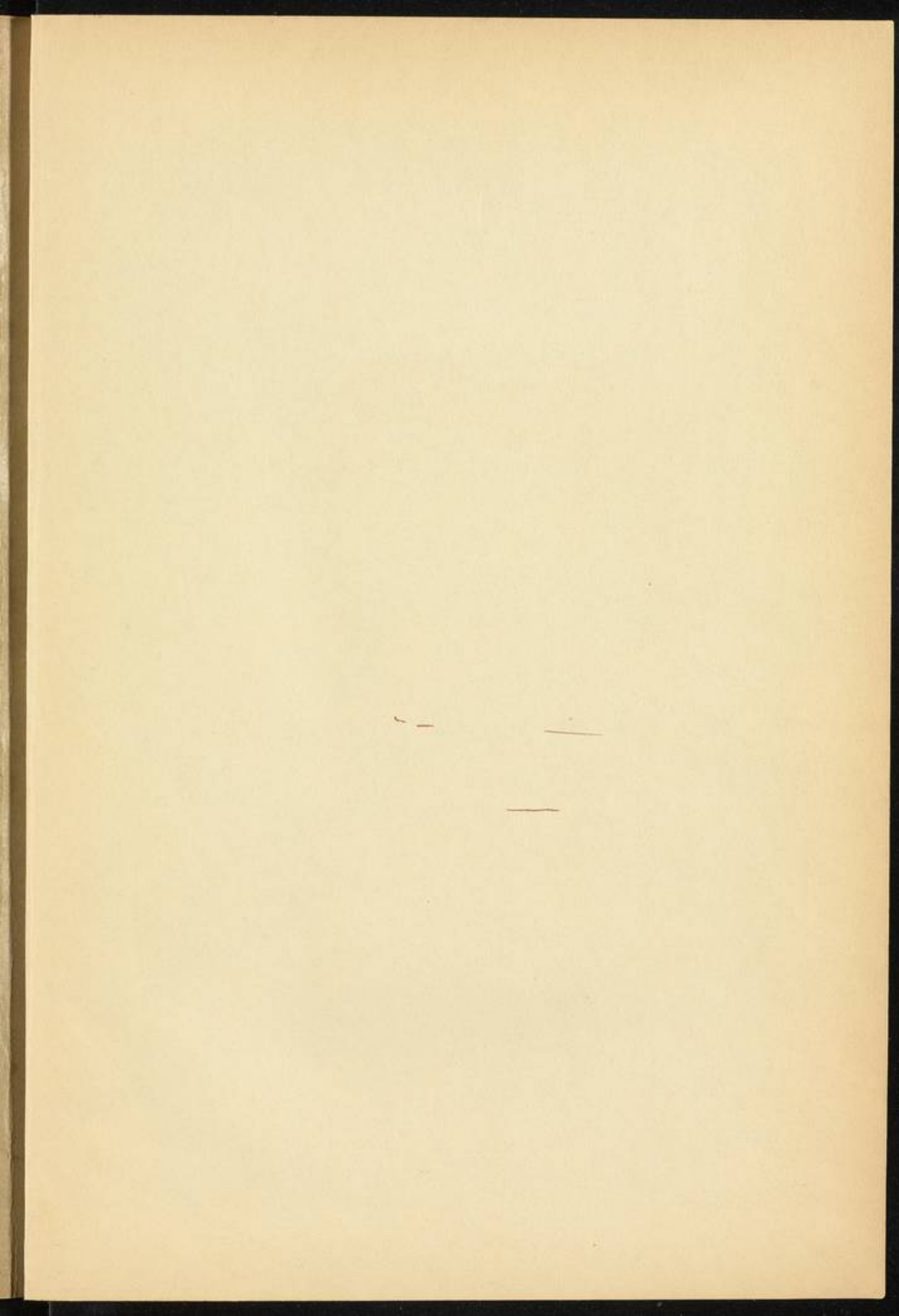
PRINCETON U.



a32101 006164444b







al-Bihar al-Jayrah fi Tawfiq al-Asma' al-Husna

keep with cover (series)

جامعة فؤاد الأول  
كلية الآداب  
مطبعة رقم ١٦ ٢٦

# الذخيرة في سائر الأسماء الحسنة

تأليف

أبي الحسن علي بن بركات الشاذلي

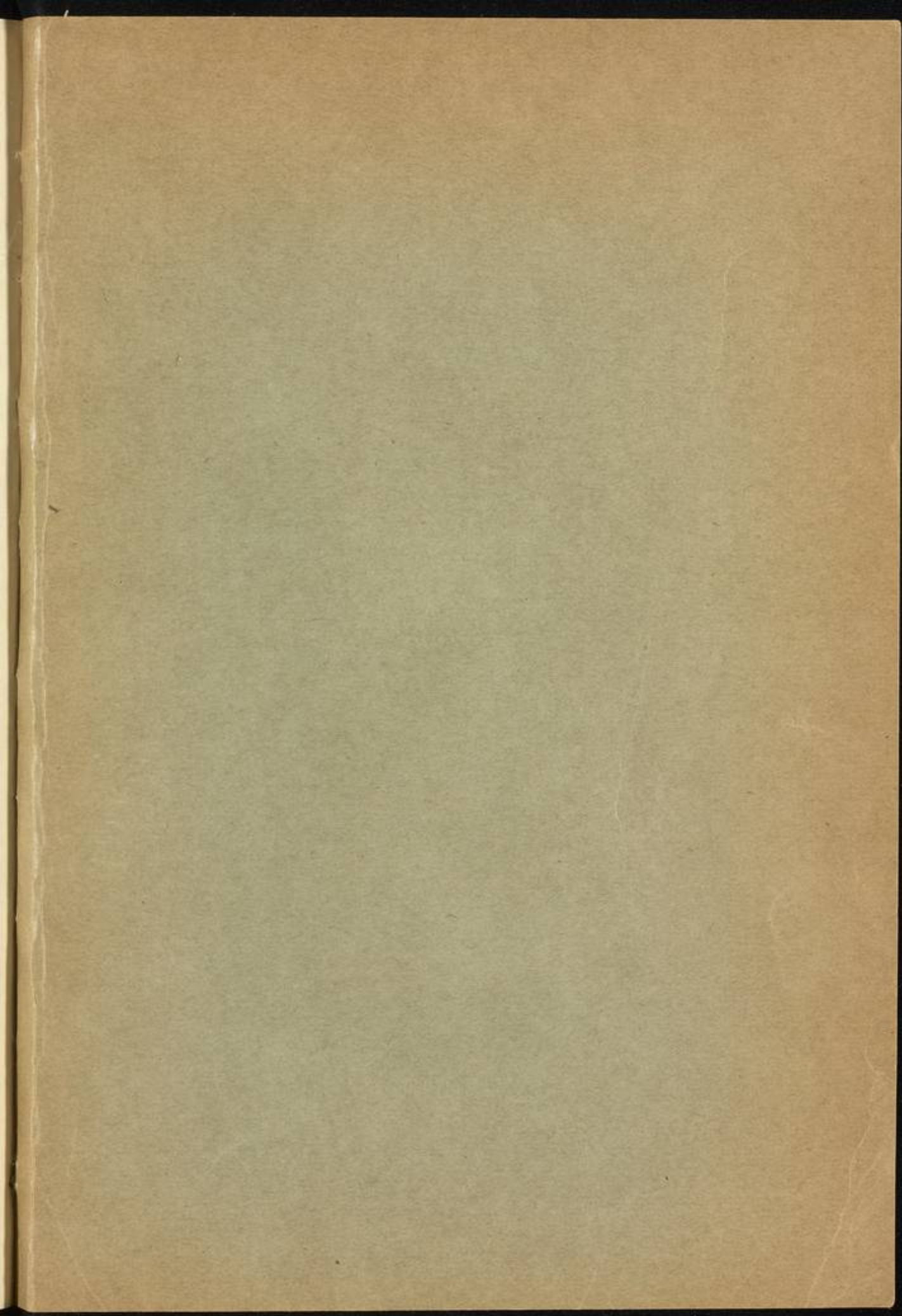
المتوفى سنة ٥٤٢ هـ

القسم الأول - المجلد الأول

القاهرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٣٥٨ - ١٩٣٩ م





Abu-al-Hasan 'Ali' ibn-Barsām al-Shantarīni

جامعة فؤاد الأول  
كلية الآداب  
مطبوع رقم ٢٦

# الذخيرة في سائر أخبار البرقي

تأليف

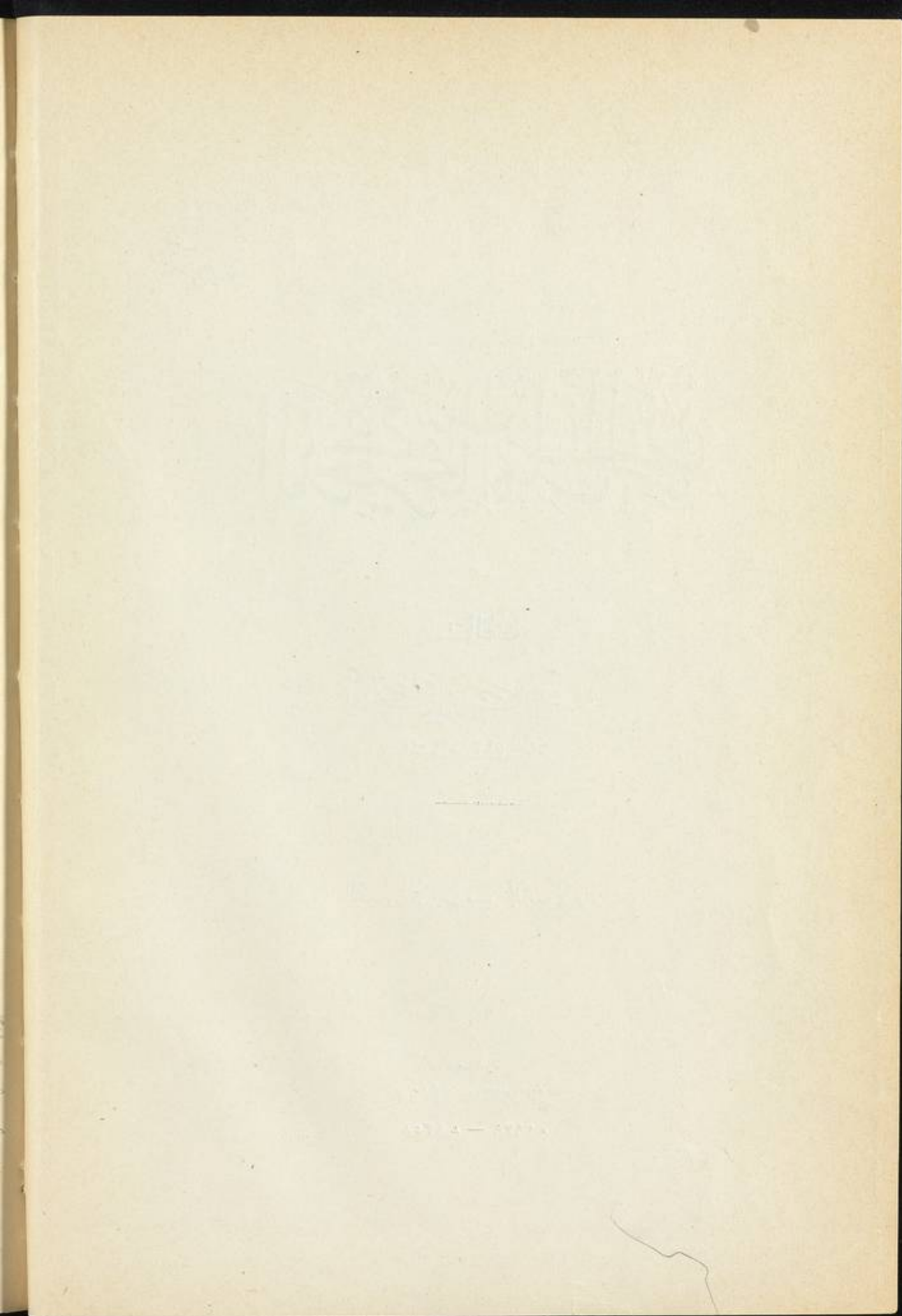
أبي الحسن علي بن بشار السنجي  
المتوفى سنة ٥٤٢ هـ

القسم الأول — المجلد الأول

القاهرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٣٥٨ هـ — ١٩٣٩ م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة الكتاب

لأستاذ الدكتور طه حسين بك

هذا أصل من أصول الأدب العربي الأندلسي ومرجع من أهم مراجعه، دفع صاحبه إلى تأليفه أمران: أحدهما حبه لوطنه الأندلس وحرصه على أن يثبت لها تفوقها في الأدب والعلم، وأن يثبت هذا التفوق لمعاصريه خاصة لكثرة ما رأى من افتتان الناس من أهل أفعه بالشرق وأدبائه وعلمائه وإعراضهم عن الأندلس وما أنتجت من أدب وعلم. والثاني حرصه على تقليد الثعالبي في كتاب اليتيمة الذي صور فيه أدب معاصريه من الشعراء والكتاب.

وقد أنبأنا المؤلف في مقدمته بهذين الأمرين في سداجة صريحة، وأنبأنا بهما في الكتاب كله، فهو شديد الحرص على أن يرفع من شأن وطنه، وينوه بأعلام الشعر والنثر فيه، وهو حريص كل الحرص على أن يسير سيرة الثعالبي في هذا كله، وعلى أن يصطنع المنهج الذي اصطنعه الثعالبي في تأليف كتابه. فهو يقسم كتابه أربعة أقسام كما قسم الثعالبي كتابه أربعة أقسام. وهو يقسمه باعتبار الأقاليم كما قسم

2274

8752

329

Shakhshari

pt. 1, v. 1

16000  
9-10-41 - M.H. Ghab - Kuvshinov - 3.50

الثعالبي كتابه باعتبار الأقاليم ؛ فقسم لقرطبة وما يصاحبها من وسط الأندلس ، وقسم لإشبيلية وما يصاحبها من غرب الأندلس ، وقسم لبلنسية وما يليها من شرق الأندلس ، وقسم أخير للملن بالأندلس والطارئين عليها من أهل الشرق عامةً ومن أهل أفريقيا بنوع خاص . وهو يصطنع ما اصطنعه الثعالبي من السجع والتأنق في تقديم الكتاب والشعراء والتعريف بهم والثناء عليهم والنقد لهم . ولكنه بعد هذا كله يخالف الثعالبي في أمر ذي خطر ؛ فهو أبعد منه نظراً وأنفذ منه بصيرة وأعمق منه تفكيراً . وهو على تكلفه في اللفظ لا يُجذع بالرواء الظاهر عمّا وراءه من جودة المعنى أو رداءته ، ومن صواب التفكير أو خطئه ، ولعله أن يكون أفقه من الثعالبي بالحياة الأدبية في إقليم من الأقاليم ، فهو أدقّ منه ملاحظة لما يكون من الصلة القوية بين طبيعة الإقليم وما يُنتج فيه من أدب ، بل بين طبيعة الأجناس البشرية وما تنتج من أدب ، بل بين ما يكون من مجاورة الأمم المختلفة وما ينتج من الأدب . فهو قد لاحظ مجاورة المسلمين في الأندلس لأعدائهم من الفرنجة وتأثير هذا الجوار فيما كان للمسلمين من شعر ونثر .

وهو قد سار سيرة الثعالبي في العناية بالملوك والأمراء والرؤساء وما يكون من تأثيرهم في الأدب ، وما يكون من إنتاجهم الأدبي الخاص . ولكن عنايته بهذه الناحية من الحياة الأدبية كانت أشدّ وأقوم

وأجدى من عناية الثعالبي . فهو لا يكتفى بهذا الإطراء الذي لا غناء فيه ، والذي تمتلئ به اليتيمة . وهو لا يكتفى برواية مقتطفات من الآثار الأدبية للملوك والوزراء والأمراء كما فعل الثعالبي ، ولكنه يعرض تاريخهم عرضاً دقيقاً مفصلاً ، يرد آثارهم الأدبية إلى مصادرها ، بل يرد الآثار الأدبية التي أنشئت في بيئتهم إلى مصادرها . وقد عمد في ذلك إلى مذهب مستقيم حقا ، ظاهره السهولة وإيثار العافية والاعتماد على غيره ، ولكنه في حقيقة الأمر خصب دقيق كل الدقة . رأى أنه ليس مؤرخاً ، وأنه لعله لا يحسن البحث التاريخي ، وأن كتابه محتاج إلى قسط عظيم من التاريخ ، فلم يتكلف ما لا يحسن ، ولم يحاول ما لا يجيد ، وإنما اعتمد على مؤرخ معروف بالصدق والدقة وحسن الاستقصاء ، وحسن العرض أيضاً وهو ابن حيان ، فأخذ من كتابه بالنص أو بالتلخيص ما احتاج إليه من التاريخ السياسي ، وأنبأنا بذلك في تواضع وصراحة خليقين بالإعجاب .

هذا ما دفع ابن بسام إلى تأليف كتاب « الذخيرة في محاسن أهل هذه الجزيرة » ، وهذا مذهبه في تأليف هذا الكتاب .

وأما الذي دفع قسم اللغة العربية في كلية الآداب إلى نشر هذا الكتاب ، فهو أيسر من ذلك وأقل تعقيداً . رأى قسم اللغة العربية أن النشاط الأدبي في مصر الحديثة لم يشمل الأدب العربي في الأندلس ولم يسع إليه إلا في تردد وعلى استحياء . فأراد أن يغير من هذه الحال ،

وأن يمد نشاط الحياة الأدبية إلى هذه الناحية التي لم يبلغها . ورأى أن هذا الكتاب قد جمع طائفة ضخمة من أدب الأندلس شعراً ونثراً وتاريخاً ، فرأى فيه مجموعة صالحة من النصوص الأدبية التي تصلح للدرس ، والتي لعلها ، إن درست ، أن تجلّى وجهاً أو وجوهاً من الأدب العربي في بعض بيئاته وفي بعض عصوره . فأقبل على نشره وإذاعته راجياً أن يكون ذلك سبيلاً إلى درسه وتعمقه واستخراج ما يُمكن من ثمرات العلم .

والفضل في تمكين القسم من نشر هذا الكتاب راجع إلى صديقنا المستشرق الفرنسي المعروف الأستاذ ليثي بروفنصال . فهو قد أنفق جهداً عظيماً في البحث عن هذا الكتاب وجمع أجزائه بعد أن كانت متفرقة ، وسعى في ذلك سعياً متصلاً محموداً حتى وفق إليه . ثم اتصل الحديث بينه وبينى ذات يوم عن هذا الكتاب وكان قد تمّ نشره في ليدن ، فما أسرع ما رضى أن يعدل عن مدينة ليدن إلى مدينة القاهرة وعن الانفراد بنشر الكتاب إلى المشاركة فيه . وقد دعت الجامعة إلى مصر فصلاً من فصول السنة الجامعية سنة ١٩٣٧ ، فأقبل ومعه ما اجتمع له من نسخ الكتاب . وجمعنا نحن من هذه النسخ ما أتيتح لنا جمعه ، ونُظّم العمل على هذا النحو .

كَلَّف الأستاذ ليثي بروفنصال مع طائفة من شباب قسم اللغة العربية في كلية الآداب هم : محمد عبده عزام افندى و خليل عساكر افندى

وبخاطره الشافعي افندى أن يهبتوا نص الكتاب للطبع ، معارضين ما اجتمع لهم من النسخ ، مقومين ما اعوجج على النساخ من اللفظ ، مصححين ما يكون من خطأ لا بد من تصحيحه . ثم ألفت لجنة من أساتذة الكلية قوامها الأساتذة : أحمد أمين ، مصطفى عبد الرازق ، عبد الحميد العبادي ، عبد الوهاب عزام ، ليثى بروقنصال ، طه حسين . وكلفت هذه اللجنة أن تقرأ ما هيأت اللجنة الأولى من النص ، يقرؤه كل واحد من أعضائها منفرداً ؛ ثم تجتمع فيقرأ عليها مجتمعة ويعرض كل واحد من أعضائها ملاحظاته ، حتى إذا أقرروا النص أذنوا بطبعه . وقد بدىء العمل على هذا النحو واتصل أشهراً ، ولكن الأستاذ ليثى بروقنصال اضطر إلى العودة إلى عمله في الجزائر وباريس ، ولم تتح الظروف له الرجوع في السنة الماضية . واضطر الأستاذ مصطفى عبد الرازق بك إلى ترك المشاركة في تصحيح الذخيرة إلى المشاركة في الوزارة . واضطر بخاطره افندى الشافعي إلى السفر في بعثة قصيرة . فأما لجنة المراجعة فلم تغير من أمرها شيئاً ، ولم نضف إليها أحداً . وأما لجنة التصحيح فقد أضفنا إليها شابين من شباب القسم المتخرجين فيه هما : عبد العزيز الأهواني افندى وعبد القادر القط افندى ؛ لأننا نرى عمل هذه اللجنة أشبه بأن يكون مدرسة يتخرج فيها شباب القسم الذين يريدون أن يعنوا بنشر الكتب ونقد النصوص . وكذلك أتممنا المجلد الأول الذي تقدمه إلى القراء ، والنية أن

يصدر الكتاب إن شاء الله في مجلدات ثمانية لكل قسم من أقسامه مجلدان ، ثم تصدر اللجنة بعد تمامه مجلدين : أحدهما يشتمل على فهرس دقيقة في موضوعات الكتاب وما فيه من الأعلام على اختلافها . والثاني يشتمل على ملاحظات مفصلة تمس النص وتتصل بالنسخ المختلفة والمراجع التي رجع المؤلف إليها في تأليفه ، والتي رجع المصححون إليها في تصحيحهم ، وعلى معجم في الألفاظ والاصطلاحات الأندلسية التي لا توجد أو لا توجد إلا قليلا في كتب الشرق .

ومن المحقق أننا بذلنا وسنبذل جهداً عنيفاً في تصحيح هذا الكتاب . ومن المحقق أيضاً أننا لم نبلغ بهذا الكتاب إلى ما أردنا إليه من ردّ الكتاب إلى الصواب الخالص . فهناك نصوص لم تستقم لنا ولم نوفق إلى إقامتها . ومن الجائز ، بل من الراجح ، أن تكون هناك أغلاط قد مررت بنا أو مررنا بها فلم ترد أن تكشف لنا عن نفسها ، ولم نستطع نحن أن نكشف لأنفسنا عنها . ولكن الإنتاج العلمي مشاركة كله ، بل أخص صفاته أنه تعاون بين المنتجين والمستهلكين كما يقول أصحاب الاقتصاد . فليصلح القراء ما فات الناشرين ، ومن يدري ؛ لعلهم أن يضطروا في كثير من الأحيان إلى أن يصلحوا ما فات المؤلف نفسه . والمهم أن نعمل وأن نسعى جهدنا إلى الخير ، وعلى الله قصد السبيل .



## أصول الكتاب

اعتمدنا في نشر هذا الكتاب على عدة نسخ مختلفة أهمها ما يأتي :

( ١ ) نسخة وجدت بمدينة الرباط بالمغرب ، وهي تشمل القسمين الأول والرابع من الكتاب في مجلدين ، وقد رمزنا إليها بالحرف ( ر )  
 ( ٢ ) ونسخة من دار الكتب الملكية بالقاهرة ، وهي تحتوى على القسمين الأول والثاني من الكتاب ، وقد رمزنا إليها بحرف ( و ) .

( ٣ ) ونسخة يملكها الأستاذ المستشرق ليثى بروفنصال فيها النصف الأول من القسم الأول وقد رمزنا إليها بالحرف ( ب ) .

( ٤ ) ونسخة موجودة بمكتبة أحمد تيمور باشا وتشمل القسم الأول ، وقد رمزنا إليها بالحرف ( ت ) .

( ٥ ) ونسخة أخذت بالتصوير عن الأصل المحفوظ في المكتبة الأهلية بباريس ، وتشتمل على النصف الأول من القسم الأول ، وقد رمزنا إليها بالحرف ( ب ) .

هذا عدا نسخة أخرى من دار الكتب الملكية في القاهرة تشتمل على القسم الثاني ، ونسخة مخطوطة استحضرت من بغداد تحتوى على القسمين الثاني والثالث .

والقسم الأول من نسخة ر مجلد عدد أوراقه ١٦٧ ورقة ،  
والصفحة فيه ١٩ سطراً طولها ٢٣ ½ سم وعرضها ١٦ سم . وهي  
مكتوبة بخط مغربي واضح يقرب من خط النسخ ، وليس بها تاريخ  
نسخه ولا اسم لناسخ ، ولكن على الصفحتين الأوليين منها تمليكات  
ثلاثة : أحدها في سنة ١٠١٩ هـ ، والثاني في سنة ١٠٢١ هـ ، والثالث  
في سنة ١٠٢٧ هـ . وقد جعلنا هذه النسخة أصلاً لسائر النسخ أقربها  
من الصحة ، ولم نجد عن نصها إلا حين يتبين بها غلط أو سقط ،  
أو كانت في النسخ الأخرى زيادات يحتملها النص .

وأما نسخة و فإن نصها يتفق مع نسخة ر اتفاقاً يحمل على  
الظن أنهما من أصل واحد . ويقع القسم الأول منها في ١٩٧ ورقة ،  
في كل صفحة ٢٥ سطراً طولها ٢٥ سم وعرضها ١٣ سم . وقد كتب  
الناسخ في آخر هذا القسم العبارة الآتية : ( انتهى القسم الأول من  
كتاب الذخيرة لابن بسام رحمه الله تعالى بحمد الله وحسن عونه  
وتوفيقه ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم  
تسليماً كثيراً إلى يوم الدين ، كتب من نسخة كثيرة التحريف ،  
رحم الله من رأى خلافاً صلحه ، ودعا لكاتبه بالمغفرة والرحمة ولن  
قال آمين . وكان الفراغ من نسخه في صفر الخير سنة ١٢٢٩ تسع  
وعشرين ومائتين وألف ) .

وأما نسخة ب فهي مكتوبة بخط مغربي ، بمض كلماتها

مشكولة ، وهي كثيرة السقط ، وبعض صفحاتها بالية ، وليس عليها تاريخ نسخها ، وقد سقط من أولها ومن آخرها صفحات قليلة ، وعلى حواشيتها بعض تعليقات وتصحيحات ، وهذه النسخة ونسخة ب ونسخة ت متقاربة في النص كما يلاحظ القارئ من مقارنات هذه النسخ في حواشي الكتاب . ويقع هذا الجزء في ١٠٤ ورقة مسطرتها ٣٣ سطرًا طولها ٢٤ سم وعرضها ١٧ سم .

وأما المجلد الأول من القسم الأول من نسخة ب فيقع في ١٢٥ ورقة سطورها ٢٣ سطرًا ، طولها ٢٢ سم وعرضها ١٣ سم ، وهي مكتوبة بخط مغربي وليس عليها تاريخ نسخها ولا اسم لناسخها ، والورقة الأولى منها ناقصة . وهذه النسخة كثيرة الخطأ والتصحيح .

وأما الجزء الأول من نسخة ت فيقع في ٢٢٥ ورقة ، وعدد سطور الصفحة فيه ٢٦ سطرًا ، طولها ٢٠ سم وعرضها ١٣ سم . وقد كتبت بخط مغربي وليس عليها تاريخ نسخها ولا اسم الناسخ .

ويلاحظ أننا عند مقارنة هذه النسخ جميعها أثبتنا روايات بها وجه ضعيف وربما كان خطأها ظاهراً ، وإنما فعلنا ذلك في بدء الكتاب لنقدم للقارئ مثلاً من اختلاف النسخ على علائقها ، حتى إذا قطعنا في الجزء الأول شوطاً ، حذفنا الروايات الظاهرة الغلط إلا لسبب خاص يقتضى إثباتها ، واقتصرنا على إثبات الروايات التي يحتملها النص .

كذلك يلاحظ أننا في ص ١٩٦ وضعنا صورة النص إذ لم تساعدنا  
النسخ على تقويمه آمليين أن تقومه في المستقبل إن شاء الله .

الرموز المثبتة في مواضع الكتاب

ب = نسخة باريس

ت = » تيمور

ر = » الرباط

و = » القاهرة

ب = » الأستاذ ليثى بروفنصال

م = » المقرئ (نسخ الطيب)

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال أبو الحسن علي بن بسّام الشنتريني الأندلسي رحمه الله (١) :

- أما بعد حمد الله وليّ الحمد وأهله ، والصلاة على سيّدنا محمد خاتم رُسله .  
 فإنّ ثمره هذا الأدب ، العالى الرُتب ، رسالة تُنشر وترسل ، وأبيات تُنظم  
 وتُفصل ؛ تنثال تلك (٢) انثيال القطار ، على صفحات الأزهار ، وتتصل هذه  
 اتصال القلائد ، على نحور (٣) الخرائد ؛ وما زال في أفقنا هذا الأندلسي القصي (٤)  
 إلى وقتنا هذا من فرسان الفنين (٥) ، وأئمة النوعين ، قوم هم ما هم طيب مكاسر ،  
 وصفاء جواهر ، وعدوبة موارد ومصادر ؛ لعبوا بأطراف الكلام المشقق ، لعب  
 الدجى (٦) بجفون المؤرق ؛ وحدوا (٧) بفنون السحر المنق ، حذاء (٨) الأعشى  
 ١٠ بينات الملق ؛ فصبوا على قوالب النجوم ، غرائب المنثور والمنظوم ؛ وباهوا  
 غرر الضحى والأصائل ، بعجائب (٩) الأشعار والرسائل ؛ نثر لو رآه البديع  
 لنسي اسمه ، أو اجتلاه (١٠) ابن هلال لولاهُ حكمته ؛ ونظم لو سمعه كثير ما نسب

(١) مقدمة الذخيرة قد نشرها دوزى عن مخطوطة به ضمن مجموعته في تاريخ بني عباد  
 (ج ٣ ص ٣٩ — ٥٦) ؛ وقد اقتبس المستشرق المذكور الصفحة الأولى الناقصة من مخطوطة  
 ب عن مور (ج ١ ص ٨٠٠ وما بعدها)

(٢) ر : « ينثال ذلك » (٣) ر : « نجوم »  
 (٤) ر : « القطر » (٥) ر : « الفنين »  
 (٦) مور : « الدجن » (٧) مور : « وجدوا »  
 (٨) مور : « جد » (٩) ر : « بغرائب »  
 (١٠) ر : « اختلاه »

ولا مدح، أو تتبَّعه جرَّولٌ ما عوى ولا نبيح؛ إلا أن أهل هذا الأفق، أبوا إلا متابعة أهل الشرق؛ يرجعون إلى أخبارهم المعتادة، رجوع الحديث إلى قتادة؛ حتى لو نَعَقَ بتلك الآفاق غُرَاب، أو طَنَّ بأقصى الشام والعراق ذُباب، لَجَنَوْا على هذا صنما، وتلوا ذلك كتاباً مُحْكَمًا؛ وأخبارهم الباهرة، وأشعارهم السائرة، مَرَمَى القَصِيَّة، ومُنَاخ الرِذِيَّة؛ لا يَعْمُرُ بها جَنَانٌ ولا خَلَدٌ، ولا يُصَرِّفُ فيها لِسَانٌ ولا يَد. فغَاظَنِي منهم ذلك، وَأَنْفَتُ مِمَّا هُنَالِكَ؛ وأخذتُ نفسي بجمع ما وجدتُ من حَسَنَاتِ دَهْرِي، وتَتَبَّعْتُ محاسن أهل بلدي وعَصْرِي؛ غَيْرَةَ لهذا الأفق الغريب أن تعود بُدُورُهُ أَهْلَةً، وتُصْبِحَ بِحَارُهُ نِمَادًا مُضْمَحَلَّةً؛ مع كثرة أدبائه، ووُفُورِ عُلَمَائِهِ؛ وقديمًا ضَيَّعُوا العِلْمَ وأهله، وياربُّ مُحْسِنِ مَاتِ إِحْسَانُهُ قَبْلَهُ! وَلَيْتَ شِعْرِي من قَصَرَ العِلْمَ على بعض الزمان، وَخَصَّ أَهْلَ

المشرق بالإحسان؟

وقد كَتَبْتُ لأرْيَابِ هذا الشان، من أهل الوقت والزمان؛ محاسن (١) تَبَهَّرَ (٢) الألباب، وتَسَحَّرَ الشعراء والكتَّاب. ولم أَعْرِضْ لشيء من أشعار الدولة المرَوَانِيَّة، ولا المدائِحِ العَامِرِيَّة؛ إذ كان ابن فَرَجِ الجَيَّانِيُّ قد رأى رأيي (٣) في النَّصَفَةِ، وذهب مذهبي من الأنفة؛ فأَمَلِي في محاسن أهل زمانه «كتابَ الحدائق» مُعَارِضًا لـ «كتابِ الزَّهْرَةِ» للإصْبَهَانِيِّ، فَأَضْرَبْتُ أنا عما أَلَّفَ، ولم أَعْرِضْ لشيء مما صَنَّفَ. ولا تَعَدَّيْتُ أهلَ عَصْرِي، مِمَّنْ شَاهَدْتُهُ بعُمْرِي، أو لَحِقْتُهُ ببعض أهل دَهْرِي؛ إذ كلُّ مُرَدِّدٍ ثَقِيلٍ، وكلُّ مُتَكَرِّرٍ مَمْلُوكٌ؛ وقد نَجَّتِ الأسماعُ: «يَا دَارَ مِيَّةَ بِالْعُلَيَّاءِ فَالْسَّنَدِ» (٤)، وَمَلَّتِ الطَّبَاعُ: «لِخَوْلَةِ أَطْلَالٍ بِرُقْفَةٍ»

(١) ر: «محاسنًا» (٢) هنا تبدأ مخطوطة ب

(٣) ر: «رأيا» (٤) هنا ينتهي ما نقله من هذه المقدمة.

شَهْمِدِ : وَحَتَّ (١) : « قَفَا نَبِكَ » في يد (٢) الْمُتَعَلِّين ، وَرَجَعَتْ عَلَى ابْنِ حُجْرٍ بِإِلَاقَةِ الْمُتَكَلِّفِينَ (٣) ؛ فَأَمَّا « أَمِنْ أُمَّ أَوْفَى » ، فَعَلَى آثَارِ مَنْ ذَهَبَ الْعَفَا . أَمَا أَنْ أَنْ يَصْمَّ صَدَاهَا ، وَيُسَامَ مَدَاهَا ؟ وَكَمْ مِنْ نُكْتَةٍ أَغْفَلَتْهَا الْخُطْبَاءُ ، وَرُبَّ مُتَرَدِّمٍ غَادَرَتْهُ الشُّعْرَاءُ ؛ وَالْإِحْسَانُ غَيْرُ مَحْصُورٍ ، وَلَيْسَ الْفَضْلُ عَلَى زَمَنِ بِمَقْصُورٍ (٤) ؛ وَعَزِيزٌ عَلَى الْفَضْلِ أَنْ يُنْكَرَ (٥) ، تَقَدَّمَ بِهِ الزَّمَانُ أَوْ تَأَخَّرَ . وَلَحَى اللَّهُ قَوْلَهُمْ : الْفَضْلُ لِمَتَّقَدَّمَ ! فَكَمْ دَفِنَ مِنْ إِحْسَانٍ ، وَأَخْمَلَ مِنْ فُلَانٍ ! وَلَوْ اقْتَصَرَ الْمُتَأَخَّرُونَ عَلَى كُتُبِ الْمُتَقَدِّمِينَ ، لَضَاعَ عِلْمٌ كَثِيرٌ ، وَذَهَبَ أَدَبٌ غَزِيرٌ .

وقد أودعت هذا الديوان الذي سمّيته بكتاب الذخيرة ، في محاسن أهل (٦)

هذه الجزيرة من عجائب علمهم ، وغرائب نثرهم ونظمهم . ما هو أحلى من مُنَاجَاةِ الأَحِبَّةِ ، بَيْنَ التَّمَنُّعِ وَالرَّقَبَةِ (٧) ؛ وَأَشْبَهَى مِنْ مُعَاطَاةِ الْعُتَارِ ، عَلَى نَعَمَاتِ الْمَثَالِثِ وَالْأَزْيَارِ ؛ لِأَنَّ أَهْلَ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ — مُذْ كَانُوا — رُؤْسَاءُ خُطَابَةِ ، وَرِءُوسُ شِعْرِ وَكُتَابَةِ ، تَدَفَّقُوا فَأَنْسَوْا الْبُحُورَ ، وَأَشْرَقُوا فَبَارَوْا الشَّمْسَ وَالْبُدُورَ ؛ وَذَهَبَ كَلَامُهُمْ بَيْنَ رِقَّةِ الْهَوَاءِ ، وَجِزَالَةِ الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ ، كَمَا قَالَ صَاحِبُهُمْ عَبْدِ الْجَلِيلِ ابْنُ وَهْبُونَ يَصِفُ شِعْرَهُ :

١٥

رَقِيقٌ كَمَا غَنَّتْ حَمَامَةٌ أَيْكَةً وَجَزَلٌ كَمَا شَقَّ الْهَوَاءُ عُقَابُ

عَلَى كَوْنِهِمْ بِهَذَا الْإِقْلِيمِ ، وَمُصَاقِبَتِهِمْ لَطَوَائِفِ الرُّومِ ؛ وَعَلَى أَنْ بِلَادَهُمْ آخِرُ

(١) ر : « وضجت » (٢) ر : « على بدء »

(٣) ر : « المتكلمين » وزاد ر : « لفروع »

(٤) ب : « على من بمقصور » (٥) ب : « ينقر »

(٦) ر في ب (٧) ب : « بين التمتع من الرقة »

الفتوح الإسلاميّة ، وأقصى خُطى<sup>(١)</sup> المآثر العربيّة ؛ ليس وراءهم وأمامهم  
إلاّ البحرُ المحيط ، والرومُ والقوط ؛ فخصّاهُ<sup>(٢)</sup> من هذه حاله تبيير ، وتمّدهُ بحرُ  
مسجور ؛ وقد حكى أبو عليّ البغداديّ<sup>(٣)</sup> الوافدُ على الأندلس في زمانِ بني  
مرّوان قال : لما وصلتُ القيروان وأنا أعتبر من أمرٍ به<sup>(٤)</sup> من أهل الأمصار ،  
فأجدُّهم درجاتٍ في العباوة<sup>(٥)</sup> وقلّة الفهم بحسب تفاؤوتهم في مواضعهم منها بالقرب  
والبعد ، حتّى كأنّ منازلهم من الطريق هي منازلهم من العلم مُحاصّة<sup>(٦)</sup> ومُقايسة .  
قال أبو عليّ : قلت : إنّ نقصَ أهل الأندلس عن مقادير من رأيتُ في أفهامهم ،  
بقدر نقصانِ هؤلاء عنّ قبلهم ، فساحتاجُ إلى ترُجمان ، بهذه الأوطان !

قال ابن بسّام : فبلّغني أنه كان يصل كلامه هذا بالتعجب من أهل هذا  
الأفق في ذكائهم وينغطى عنهم عند المباحثة والمفاشة ، ويقول لهم : إنّ علمي  
رواية ، وليس بعلمٍ دراية ؛ فخذوا عني ما نقلت ، فلم آلّ لكم أن صحّحت . هذا  
مع إقرار الجميع له يومئذ بسّعة العلم وكثرة الروايات ، والأخذ عن الثقات<sup>(٧)</sup> ؛  
ولولا أنّ كلّ معنى معترض ، يزيحُ سهمي عن ثغرة الغرض ، المتصوّد في هذا  
الكتاب ، لأوردتُ في هذا الباب<sup>(٨)</sup> ، بعض ما وقع لأهل الأندلس من عجب ،  
وسمّع لهم من نادر مستغرب . وسيمرُّ منه في تضاعيف هذا التصنيف ما فيه كفاية ،  
ويُرَبّي إن شاء الله على الغاية ؛ ولعلّ بعض من يتصفّحه سيقول : إنّي أغفلتُ  
كثيراً ، وذكرتُ خاملاً وتركتُ مشهوراً . وعلى رسّله ، فإنّما جمعتُهُ بين صعبٍ

(١) ر : « خطى »

(٢) ب : « محصاة »

(٣) راجع موه ( ج ٢ ص ١٠٧ )

(٤) ب ، ر : « يمر بي »

(٥) موه : « العبارات »

(٦) ب ، ر : « محاصاة »

(٧) انتهى ما اقتبسه موه

(٨) نه في ب



قد ذَلَّ ، وغَرِبَ قد فُلَّ ، ونَشَاطٍ قد قَلَّ ، وشبابٍ ودَّعَ فاستَقَلَّ ؛ من تغاريق كالقرون الخالية ، وتعاليق كالأطلال البالية ، يَحْطُّ جُهَالٌ كخُطُوطِ الرِّيحِ (١) ، أو مدارج النمل بين مهاب الرياح ؛ ضبَّطَهُم تصحيف ، ووَضَعَهُم (٢) تبديلٌ وتحريرٌ ؛ أَيَأْسُ النَّاسِ مِنْهَا طَالِبُهَا ، وأشدُّهم (٣) أَسْتَرَابَةٌ بِهَا كَاتِبُهَا ؛ فَفَتَحَتْ (٤) أَنَا أَقْفَالَهَا ، وَفَضَّضْتُ قِيُودَهَا وَأَغْلَا لَهَا ؛ فَأَضَحَّتْ غَايَاتِ تَبْيِينٍ وَبَيَانَ (٥) ، وَوَضَّحَتْ آيَاتِ حُسْنٍ وَإِحْسَانٍ .

على أن عامة من ذكرته في هذا الديوان ، لم أجده له أخباراً موضوعة ، ولا أشعاراً مجموعة ، تفسح لي في طريق الاختيار منها ، إنما انتقدت ما وجدت ؛ وخالست في ذلك الخمول ، ومارست هنالك البحث الطويل ، والزمان المستحيل ؛ حتى ضمنت كتابي هذا من أخبار أهل هذا الأفق ، ما لعلني سأرني به على أهل المشرق . وما قصدت به — عَلمِ اللهُ — الطعن على فاضل ، ولا التعصب لقائل على قائل ؛ لأن من طلب عيباً وجده ، وكل يعمل باقتداره ، وبجهد اختياره ؛ وما أغفل ، أكثر مما كتبت وحصل ؛ والأفكار مزن لا تنضب ، ونجوم لا تغرب ؛ ومن يحصل ما تثيره القرائح ، وتتقاذف به الجوانح (٦) ؟ وقد قال أبو تمام (٧) :

١٥

وَلَوْ كَانَ يَفْنَى الشَّعْرُ أَفْنَاهُ مَا قَرَّتْ حِيَاضُكَ مِنْهُ فِي العُصُورِ الذَّوَاهِبِ  
وَلَكِنَّهُ صَوَّبُ العُقُولِ إِذَا انْجَلَّتْ سَحَابٌ مِنْهُ أُعْقِبَتْ بِسَحَابِ

(٢) ب : « ووقفهم »

(١) ر : « الروح »

(٤) هـ في ر

(٣) ب : « وأسد »

(٦) اضطراب في هذه الجملة في ب

(٥) اضطراب في هذه الجملة في ب

(٧) راجع ديوانه (ص ٤٣)

وهذا الديوان إنما هو لسان<sup>(١)</sup> منظوم ومنثور، لا ميدان بيان وتفسير. أُوردُ  
الأخبارَ والأشعارَ لا أفكُ مَعَمَّاهَا ، في شيء من لفظها ولا معناها ؛ لكن رُبَّمَا  
أَلَمَّتْ ببعض القول ، بين ذِكْرِ أُجْرِيه ، وَوَجْهِ عَدْرَاءِ أُرِيه<sup>(٢)</sup> ؛ لاسِيَّما أنواع  
البديع ذى المَحَاسِن<sup>(٣)</sup> ، الذى هو قِيمُ الأشعار وقوامُها ، وبه يُعْرَفُ تَفَاضُلُها  
وتَبَايُنُها ؛ فلا بَدَأَ أن نُشِيرَ إليه ، ونُنَبِّهَ عليه ؛ ونَكِلُ الأَمْرَ في كلِّ ما نُشِبْتُهُ ،  
وزرَّدُ الحُكْمِ في كلِّ ما نُورِدُهُ ، إلى نَقْدِ التَّقْدَةِ المَهْرَةِ ، وتمييزِ الكَتَبَةِ الشَّعْرَةِ ،  
الذين هم رؤساء الكلام ، وصِيَارِفَةُ النِّثَارِ والنِّظَامِ ؛ فأَمَّا من رِينَ على قَلْبِهِ ،  
وطَبِعَ بالِجْهَلِ<sup>(٤)</sup> على لُبِّه ، فقد وُضِعَتْ عَنَّا وَعَنَهُ ، كَلْفَةُ الاعْتِذَارِ مِنْهُ . وقد  
كان في وَقْتِي من فُرْسَانِ هذا الشان ، مَنْ كان أَجْدَرَ أن يَجْرَى بهذا المَيْدَانِ ،  
ويُعْرَبَ عَمَّا أَعْرَبْتُ فيه عن القوم بأفصح لسان ، يُشِيرُ فيه المَعَانِي من مَرَايِبِها ،  
وأشدَّ عَارِضَةً يُظْهِرُ بِها الأَغْرَاضَ التَّمْصُودَةَ في أَجْمَلِ مَعَارِضِها ؛ لِكِنِّي بما  
أَقْدَمْتُ عليه ، وتصدَّيْتُ إليه ؛ كالنَّسِيمِ دَلَّ على الصُّبْحِ ، والسَّهْمِ نَابَ عن  
الرُّمْحِ<sup>(٥)</sup> ؛ ولا أقول إِنِّي أَعْرَبْتُ ، لكن رُبَّمَا بَيَّنْتُ وَأَعْرَبْتُ ؛ ولا أَدْعِي  
أَنِّي اخْتَرَعْتُ ، ولكنِّي لَعَلِّي قد أَحْسَنْتُ حَيْثُ اتَّبَعْتُ ، وَأَتَمَّنْتُ ما جَمَعْتُ ،  
وتَأَلَّفْتُ عَنِّي<sup>(٦)</sup> الشارد ، وَأَغْنَيْتُ عن الغائبِ بالشاهد ؛ وتَغَلَّغْتُ بِقَارِنِهِ<sup>(٧)</sup> بين  
النَّظْمِ والنَّثْرِ ، تَغَلَّغَلَ المَاءُ<sup>(٨)</sup> أثناء النُّورِ والزَّهْرِ ؛ وانتَقَلْتُ<sup>(٩)</sup> من الحَدِّ إلى  
الهزل ، انتَقَالَ الضَّحِيانُ<sup>(١٠)</sup> من الشمس إلى الظَّلِّ ، واستراحت البَهِيرُ<sup>(١١)</sup> من

(١) كذا في جميع النسخ . ولعله « بستان »

(٢) ب : « أوريه »

(٣) ر : « النحاسين »

(٤) هـ في ب ، ر : « بالجهل »

(٥) ب : « الريح » ، دوزى : « الريح »

(٦) ب ، ر : « عين »

(٧) هـ في ب (٨) ب : « الملد »

(٩) ب ، ر : « نقلته »

(١٠) ب : « الضحيان »

(١١) ر : « البهي »

الْحَزْنَ إِلَى السَّهْلِ؛ وَتَخَلَّتْ مَا صَمَّمَتْهُ<sup>(١)</sup> مِنَ الرِّسَائِلِ وَالْأَشْعَارِ، بِمَا انْصَلَتْ  
 بِهِ أَوْ قِيلَتْ<sup>(٢)</sup> فِيهِ مِنَ الْوَقَائِعِ وَالْأَخْبَارِ؛ وَاعْتَمَدَتْ الْمِائَةَ الْخَامِسَةَ مِنَ الْهَجْرَةِ  
 فَشَرَحَتْ بَعْضَ مَحْنِهَا<sup>(٣)</sup>، وَجَلَوَتْ وَجُوهَ فِتْنِهَا، وَلَخَّصَتْ الْقَوْلَ بَيْنَ قَبِيحِهَا  
 وَحَسَنِهَا؛ وَأَحْصَيْتْ عِلَلَّ اسْتِيْلَاءِ طَوَائِفِ الرُّومِ، عَلَى الْإِقْلِيمِ؛ وَأَلْمَعَتْ بِالْأَسْبَابِ  
 الَّتِي دَعَتْ مَلُوكَهَا إِلَى خَلْعِهِمْ، وَاجْتِثَاثِ<sup>(٤)</sup> أَصْلِهِمْ وَفِرْعِهِمْ؛ وَعَبَّرَتْ عَنْ  
 أَكْثَرِ ذَلِكَ، بِلُغْظٍ يَتَدَبَّعُ الْهَمَّ بَيْنَ الْجَوَانِحِ، وَيُجَلِّدُ الْعُضْمَ سَهْلَ الْأَبْطَاحِ؛  
 وَعَوَّلَتْ فِي ذَلِكَ عَلَى تَارِيخِ أَبِي مَرْوَانَ بْنِ حَيَّانَ، فَأَوْرَدَتْ فُصُولَهُ، وَنَقَلَتْ<sup>(٥)</sup>  
 جُمْلَهُ وَتَفَاصِيْلَهُ؛ فَإِذَا أَعُوَزْنِي كَلَامُهُ، وَعَزَّنِي<sup>(٦)</sup> سَرْدُهُ وَنِظَامُهُ، عَكَفْتُ عَلَى  
 طَلِّي الْبَائِدِ، وَضَرَبْتُ فِي حَدِيدِي الْبَارِدِ؛ عَلَى حِفْظِ قَدِ تَشَعَّبَ، وَحِظِّ مِنْ  
 الدُّنْيَا قَدْ ذَهَبَ.

١٠

وَمَعَ أَنَّ الشُّعْرَ لَمْ أَرْضَهُ مَرَّةً كَبَا، وَلَا اتَّخَذْتُهُ مَكْسَبًا، وَلَا أَلْفْتُهُ مَنُوسِي  
 وَلَا مُنْقَلَبًا؛ إِنَّمَا زُرْتُهُ لِمَا مَا، وَلَمَحْتُهُ تَهَمُّمَا لَا أَهْيَامًا؛ رَغْبَةً بَعْزٍ<sup>(٧)</sup>  
 نَفْسِي عَنْ ذُلِّهِ، وَتَرْفِيعًا لِمَوْطِيٍّ أَحْصَى عَنْ مَحَلِّهِ؛ فَإِذَا شَعَشَعْتَ رَاحَهُ<sup>(٨)</sup>  
 لَمْ أَذُقْهُ إِلَّا شَمِيمًا، وَلَا كُنْتُ إِلَّا عَلَى الْحَدِيثِ نَدِيمًا<sup>(٩)</sup>؛ وَمَا لِي وَلَهُ، وَإِنَّمَا  
 أَكْثَرُهُ خُدَعَةٌ مُحْتَالٌ، وَخِلْعَةٌ<sup>(١٠)</sup> مُحْتَالٌ؛ جِدُّهُ نَمُويَةٌ وَتَخْيِيلٌ، وَهَزْلُهُ تَدْلِيهِ<sup>(١١)</sup>  
 وَتَضْلِيلٌ؛ وَحَقَائِقُ الْعُلُومِ<sup>(١١)</sup>، أَوْلَى بِنَا مِنْ أَبْطَالِ الْمَثُورِ وَالْمَنْظُومِ؛ وَعَلَى ذَلِكَ  
 قَدْ وَعَدْتُ أَنْ أَلِمَّعَ فِي هَذَا الْمَجْمُوعِ، بَلِّغَ مِنْ ذِكْرِ الْبَدِيعِ؛ وَأَنْ أُمَهِّدَ

(١) ر: «ضمته»

(٢) ب: «قيلت»

(٣) ب: «منحها»

(٤) ب: «أوثقت»

(٥) ب: «تعري»

(٦) ب: «عزني»

(٧) ر: «تشعشت رايحته»

(٨) ب: «قديما»

(٩) ب: «المعلوم»

(١٠) ر: «قديما»

(١١) ب: «المعلوم»

جانبًا من أسبابه ، وأُشْرِحَ جَمَلًا من أسمائه<sup>(١)</sup> وألقابه ؛ وإذا ظفرتُ بمعنى  
حَسَن ، أو وَقَفْتُ على لفظٍ مُسْتَحْسَن ؛ ذَكَرْتُ مَنْ سَبَقَ إليه ، وأَشْرْتُ إلى مَنْ  
نَقَصَ عنه ، أو زاد عليه ؛ وَلَسْتُ أَقُولُ : أَخَذَ هذا من هذا قولًا مُطْلَقًا ، فقد  
تَتَوَارَدُ الخواطر ، وَيَقَعُ الحافِرُ حيثُ الحافِرُ ؛ إذِ الشَّعْرُ مَيْدَان ، والشعراءُ فُرْسَان .

وَعَلِمَ اللهُ تَعَالَى أَنَّ هذا الكتابَ لم يَصْدُرْ إِلَّا عن صَدْرِ مَكْلُومِ الأَحْنَاءِ ،  
وَفِكْرِ خَامِدِ الذِّكَاةِ ، بين دَهْرٍ مُتَلَوِّنٍ تَلَوَّنَ الحِرْبَاءُ ؛ لانتِباذِي<sup>(٢)</sup> كانَ مِنْ  
شَنْتَرِينَ قاصِصَةِ العَرَبِ ، مَقُولِ العَرَبِ ، مُرَوِّعِ السَّرْبِ ؛ بعد أن اسْتُنْفِدَ  
الطَرِيفُ والتَّلَادُ ، وأتى على الظاهرِ والباطنِ النَّفَادُ ، بِتَوَاتُرِ طَوَائِفِ الرُّومِ ،  
عَلَيْنَا في عُقْرِ<sup>(٣)</sup> ذلك الإقليمِ ؛ وقد كُنَّا غَنِينًا هُنَاكَ بِكِرَمِ الانْتِسابِ ، عن سُوءِ  
الاکْتِسَابِ ؛ واجْتَزَأْنَا بِمَذْخُورِ العِتَادِ ، عن التَّقَلُّبِ في البِلَادِ ؛ إلى أن تَثَرَّ  
عَلَيْنَا الرُّومُ ذلكَ النِّظامَ ، وَلَوْ تُرِكَ القَطَا لَيْلًا لَنَامَ ؛ وَحِينَ أُسْتَدَّ الهَوْلُ هُنَاكَ ،  
أَفْتَحْتُمُ بَيْنَ مَعَى المسالكِ ؛ على مَهَامِهِ تَكْذِبِ فِيهَا العَيْنِ الأُذُنِ<sup>(٤)</sup> ، وَتُسْتَشْعَرُ  
فِيهَا المِحَنَ :

مَهَامِهِ لَمْ تَصْحَبْ بِهَا الذُّبَّ نَفْسُهُ وَلَا حَمَلَتْ فِيهَا العُرَابَ قَوَادِمُهُ<sup>(٥)</sup>

حَتَّى خَلَصْتُ خُلُوصَ الزُّبْرِقَانِ مِنْ سِرَارِهِ ، وَفَزْتُ<sup>(٦)</sup> فَوْزَ القِدْحِ عِنْدَ  
مِقَارِهِ ؛ فَوَصَلْتُ حِمَصَ ، بِنَفْسٍ قَدْ تَقَطَّعَتْ شَعَاعًا ، وَذَهَبَ أَكْثَرُهَا التِّيَاعَا ؛  
وَلَيْتَنِي عَشْتُ مِنْهَا بِالذِّي فَضَلًا<sup>(٧)</sup> ! فَتَغَرَّبْتُ بِهَا سَنَوَاتٍ أَتَبَوُّوا مِنْهَا ظِلَّ العَامَةِ ،

(١) مر في ب (٢) ر : « لانتباذ » (٣) ب : « قعر » ، ر : « قعر »

(٤) لعلها « تكذب فيها العين والأذن » أخذنا من قول المتنبي (الديوان ج ٢ ص ٤٧٠)

(٥) ديوان المتنبي (ج ٢ ص ٢٤٢) والرواية في أول البيت : « مهالك »

(٦) ب : « وفوزت » (٧) عجز بيت المتنبي : راجع ديوانه (ج ٢ ص ١٢٦)

وأعيا بالتحوّل عنها عى الحامة<sup>(١)</sup> ؛ ولا أنس إلا الانفراد ، ولا تبلى إلا  
بفضلة الزاد ؛ والأدب بها أقل من الوفاء ، حامله أضيع من قمر الشتاء ؛ وقيمة  
كل أحد ماله ، وأسوة كل بلد جهاله ؛ حسب المرء أن يسلم وفره ، وإن نل  
قدره ؛ وأن تكثر فضته وذهبه ، وإن قل دينه وحسبه .

- وهذا الديوان نية لم يفصح عنها قول ولا عمل ، وأمنية لم يكن منها حول<sup>٥</sup> ولا حول<sup>(٢)</sup> ؛ كامن بين العيان والخبر ، كمن النار في الحجر ؛ وجار بين  
اللسان والقلب ، جرى الماء في الغصن الرطب ، إلى أن طلع على أرضها شهاب  
سعدتها وتمكينها ، وهبت لها ريح دنياها ودينها ، ونفخ فيها روح تأميلها  
وتأمينها ، ملك أملاكها ، وجديل<sup>(٣)</sup> حكاكها ، وأسعد نجوم أفلاكها ؛ « فلان »  
ثمال المظلوم ، ومال السائل والمحروم ؛ ونحى العلم ، ومرجع<sup>(٤)</sup> ذويه وحامله ،  
ومستدعي التاليفات الراتقة فيه ؛ جعل الله الدهر أقصى أيامه ، والنجوم مراكز  
أعلامه ، والأرض نهبة سيوفه وأقلامه ؛ فحامت عليه أطيأرها ، وأهل إليه  
حجاجها وزوارها ، وانتثرت في يديه شمسها وأقمارها ؛ من كل أشعث ذى طمرين ،  
ومشوء الأتر والعين ، محروم محسود ، محلاً عن طريق الماء مطرود ؛ قد جعلوا  
بيوتهم قبورا ، واتخذوا بنات أفكارهم ولدانا وحورا ، وركبوا الحدئان صعبا<sup>١٥</sup>  
وذولا ، وعاهدوا الحرمان لبيئته صبرا جميلا ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم  
من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا<sup>(٥)</sup> ، فما هو إلا أن سطع لهم هذا الشهاب ، وفتح  
بينهم وبين روح الله ذلك الباب ؛ حتى نفررو خفافا وثقالا ، وابتدروا بطاء وعجلا ؛

(١) اضطراب في ب (٢) ب : « قول ولا حول »

(٣) ب : « مدبل » ، ر : « جديد »

(٤) ر : « مرفع » (٥) سورة ٣٣ : ٢٣

ينظرون بعيون<sup>(١)</sup> لم ترّو من ماء وجه كريم ، ويضعون بأذان لم تأنس بنعمة  
 صديق حميم ؛ قد كانوا ينسوا من هذا النشور ، كما ينس الكفار من أصحاب  
 القبور<sup>(٢)</sup> ؛ فسألهم أيّ جانب يممّوا ، وبأيّ جناب حتموا ، وإلى أيّ ملك  
 لباب أنجدوا وأتمّهوا ؛ وبأرحمتنا لبخور أدب ، وصدور ربّ<sup>(٣)</sup> ؛ كان نظمتي  
 وإيتامهم وودّ قديم ، ولفّ هوأيّ بهواهم عهد كريم ، لا منسى ولا مذموم ؛ قد  
 طال ما عاطيتهم أكوس<sup>(٤)</sup> الخمول ، على البكاء والعويل ؛ في أيّام أوحش من  
 توديع الشباب ، وليال أنكد من مناقشة الحساب ؛ ألا يكونوا قد أخذوا على  
 القضاء عهداً مسئولاً ، ومتمعوا بالبقاء ولو قليلاً ؛ حتّى يروا حظّ الأدب كيف  
 نفق ، وعزّ الإسلام كيف اتفق ، وشمل الجور كيف تصدّع وتفرّق ؛ وباحسرتا  
 ألا ينشقّ عن حاتم ضريحه ، ويعاد<sup>(٥)</sup> في جسمه روحه ؛ فيرى أن الكرم بعده  
 ١٠ علم ، وأن علوّ الهمة بغيره بدى وختم .

ولما سمعت صوت المهيب ، وتسمت ريح الفرج القريب ؛ ووجدت لسبيل  
 التأميل مدرجا ، وجعل الله لي من ريق الخمول محرّجا ؛ طاعت حضرته المقدّسة  
 بهذا الكتاب على حكمه ، مطرّزا بسمّته واسمه ؛ مستدلاً عليه بمجده ، متوسلاً  
 إليه بكرم عهده ؛ ولعلمي أن الأدب ضالّة اهتباله ، ونتيجة خلاله ، وأن أهله  
 ١٥ على ذكر من إجماله ، وبمكان مكين من كماله<sup>(٦)</sup> ؛ ولما سُئلت أيضاً أنتساح  
 هذا الديوان ، ورأيت شره أهل الزمان ؛ إلى الأفتباس من نوره ، بما يلتقطونه  
 من شدوره ، أحببت أن يجوب الآفاق ، وتسير به الرّفاق ، وعليه من اسم من

(١) هـ في ب (٢) سورة ٦٠ : ١٣

(٣) ب : « ريب » (٤) ر : « أبوء من »

(٥) هنا ابتداء مخطوطة لب (٦) ب : « باله »

له جُمع ، وإلى جوانبه العليّة رُفِع ، طِرَازٌ به تَنَفَّقُ سُوْقُهُ ، ولا تَصِيغُ  
إِنْ شاءَ اللهُ حُقُوقَهُ .

وقَسَمْتُهُ أَرْبَعَةَ أَقْسامٍ :

الأوّلُ : لأهلِ حَضْرَةِ<sup>(١)</sup> قُرْطُبَةَ وما يُصَاقِبُها من بلادِ مُتَوَسِّطَةِ الأَنْدَلُسِ

ويشتمل من الأخبار وأسماء الرُؤساءِ وأعيانِ الكُتّابِ والشُعراءِ على جَماعَةٍ هُمْ :

[ ١ ] المُسْتَعِينُ باللهِ أبو أيُّوبَ سُلَيْمانُ بنُ الحَكَمِ ، وحرَّبَهُ مع المَهْدِيِّ ابنِ

عَمِّهِ ومَقْتَلَهُ .

[ ٢ ] والمُسْتَظْهَرُ باللهِ أبو المُطَرِّفِ عبدُ الرَحْمَنِ بنُ عبدِ الجَبَّارِ الناصِرِيُّ

ومَقْتَلَهُ .

[ ٣ ] والأديبُ أبو عَمْرٍو أَحْمَدُ بنُ دِرَاجِ القَسَطَلِيِّ ، وإمارةُ عَلِيِّ بنِ حَمُودٍ ومَقْتَلَهُ .

[ ٤ ] وأبو حَفْصِ بنِ بُرْدِ الأَكْبَرِ ، ومَقْتَلُ عَيْسَى بنِ سَعِيدِ القَطَّاعِ وَزَيْرِ

ابنِ أَبِي عامرٍ .

[ ٥ ] والكاتبُ أبو المُعِيرَةِ بنُ حَزْمٍ .

[ ٦ ] والفقِيهُ أبو مُحَمَّدِ ابنِ عَمِّهِ الشافِعِيِّ وخَبَرُ الأميرِ مُنذِرِ بنِ يَحْيَى التَّجِيبِيِّ .

[ ٧ ] والوزيرُ أبو عامرٍ أَحْمَدُ بنُ عبدِ المَلِكِ بنِ شُهَيْدٍ ، والوزيرُ أبو الوليدِ

ابنِ عَبْدِوسٍ ، والفقِيهُ أبو العَبَّاسِ بنُ أَبِي الرِّبِيعِ ، والأديبُ أبو عَلِيِّ بنِ عَوْضِ ،

والكاتبُ أبو بَكْرٍ بنُ زِيادٍ<sup>(٢)</sup> .

(١) ب ، لب : « لحضرة »

(٢) ز في ب ، لب : « وقع ذكر هؤلاء في المسوِّدة وسقط عند الانتقاء والنقل »

- [ ٨ ] والوزير أبو الوليد بن زيدون وإمارة المُستكفي وخبر ولادة .
- [ ٩ ] والأديب أبو عبد الله بن الحنّاط المكفوف ، ونصب المرتضى الناصري خليفة بشرق الأندلس ومقتله .
- [ ١٠ ] والأديب أبو بكر عبادة بن ماء السماء ، وإمارة القاسم بن حمود وتغلب القاضي ابن عبّاد عليه .
- [ ١١ ] والوزير أبو حفص بن برود الأصغر .
- [ ١٢ ] وأبو مروان الطُّبِّي ومقتله ، وأشعار الطُّبِّيَّة (١) حَفَدَتِهِ .
- [ ١٣ ] والأديب محمد بن مسعود الهدلي وابن مسعود البجاني .
- [ ١٤ ] والشيخ أبو مروان بن حيان ، وإمارة بني جهور وخلعهم .
- [ ١٥ ] [ والفقير القاضي أبو الوليد المعروف بابن الفرضي (٢) ] .
- [ ١٦ ] والكاظم أبو جعفر بن المأمي .
- [ ١٧ ] والكاظم أبو عبد الله بن البرلياني .
- [ ١٨ ] والكاظم أبو جعفر بن عباس .
- [ ١٩ ] والكاظم أبو حفص بن الشهيد .
- [ ٢٠ ] والأديب أبو عبد الله بن الحدّاد ، وإمارة بني صمادح وخلعهم .
- [ ٢١ ] والأديب ابن مالك القرطبي .
- [ ٢٢ ] والشاعر المنفيل ، ومقتل ابن نغريلة اليهودي .
- [ ٢٣ ] والأديب ابن فتوح الإسفيرياني .
- [ ٢٤ ] والأديب بكر بن ظهار .

(١) في جميع الأصول : « الطباينة »

(٢) نه في جميع الأصول ، ولكن هذه الترجمة موجودة في موضعها من الكتاب .



- [٢٥] والأسعدُ بنُ إبراهيمَ بنِ بليطةَ .
- [٢٦] والأديبُ أبو عبدِ اللهِ بنُ القَرَازِ .
- [٢٧] والأديبُ ابنُ مالِكِ الطَغَنَرِيِّ<sup>(١)</sup> من أهلِ غَرْناطَةَ ؛ وَجُمْلَةُ قَصَائِدَ لِغَيْرِ وَاحِدٍ فِي تَأْيِينِ ابْنِ سِرَاجٍ .
- ٥ [٢٨] والوزيرُ أبو مروانَ بنُ شَمَاحٍ .
- [٢٩] والفقِيهُ أبو عُمرَ بنُ عيسىَ الإلبيرِيُّ .
- [٣٠] والأديبُ العالمُ أبو محمدٍ غانِمٍ .
- [٣١] وأبو عبدِ اللهِ بنُ السَّرَاجِ المَالِقِيِّ .
- [٣٢] وأبو القاسِمِ المَعْرُوفُ بالسُّمَيْسِرِ .
- ١٠ [٣٣] وأبو العباسِ أحمدُ بنُ قاسِمِ المُحَدِّثِ .
- [٣٤] والأديبُ أبو طالبِ عبدُ الجَبَّارِ المَعْرُوفُ بالمُتَنَبِّيِّ من أهلِ جَزيرةِ شُقْرِيرِ .
- وَالْقِسْمُ الثَّانِي : لِأَهْلِ الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنَ الْأَنْدَلُسِ ، وَذِكْرُ أَهْلِ حَضْرَةِ إِسْبِيلِيَّةَ ، وَمَا اتَّصَلَ بِهَا مِنْ بِلَادِ سَاحِلِ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ الرُّومِيِّ ، وَفِيهِ مِنَ الْأَخْبَارِ وَأَسْمَاءِ الرُّؤَسَاءِ وَأَعْيَانِ الْكُتُبِ جُمْلَةٌ مَوْفُورَةٌ وَهِيَ :
- ١٥ [ ١ ] القاضِي أبو القاسِمِ بنُ عَبَّادٍ .
- [ ٢ ] والمُعْتَضِدُ بِاللَّهِ عَبَّادُ ابْنُهُ .
- [ ٣ ] والمُعْتَمِدُ عَلَى اللَّهِ وَكَيْفِيَّةُ خَلْعِهِ .
- [ ٤ ] والوزيرُ الفَقِيهُ أبو حَفْصِ الهَوْزَنِيِّ .
- [ ٥ ] والقاضِي أبو الوليدِ البَاجِيِّ<sup>(٢)</sup> .
- ٢٠ [ ٦ ] والوزيرُ أبو عامرِ بنُ مَسْلَمَةَ .

(٢) نه في ب ، لب .

(١) ب : الصغير «

- [٧] والوزير أبو الوليد بن المعلم .
- [٨] والأديب أبو الوليد الملقب بالحبيب<sup>(١)</sup> .
- [٩] والأديب أبو جعفر بن الأبار .
- [١٠] والأديب أبو الحسن علي بن حِضْن .
- [١١] والوزير الكاتب أبو عمرو الباجي .
- [١٢] والفقهاء الأديب أبو الحسن بن الإستنجي .
- [١٣] وفصل يشتمل على مقطوعات أبيات لجماعة أدباء بعصر المعتضد .
- [١٤] والوزير الفقيه أبو العلاء بن زهر .
- [١٥] والوزير أبو عبّيد البكري .
- [١٦] والوزير الخطيب الأديب أبو عمر بن حجاج .
- [١٧] وذو الوزارتين أبو بكر بن سليمان المعروف بابن القصيرة ، وذكره تغلب ابن ذي النون على قرطبة وعودتها إلى المعتد .
- [١٨] والوزير الفقيه الكاتب أبو القاسم بن الجدي .
- [١٩] والوزير الكاتب أبو محمد بن عبد الغفور وأبوه قبله .
- [٢٠] والوزير الفقيه أبو أيوب بن أبي أمية .
- [٢١] وذو الوزارتين أبو بكر بن عمّار ومقتله .
- [٢٢] والوزير الكاتب أبو الوليد حسان بن المصيصي .
- [٢٣] والوزير الفقيه أبو بكر بن الملح .
- [٢٤] والأديب أبو محمد عبد الجليل بن وهبون المرسي .

(١) ب ، لب : « إسماعيل بن حبيب . »

- [٢٥] [ والوزيرُ الأديبُ أبو القاسمِ بنُ مَرْزُبَانَ ]<sup>(١)</sup> .
- [٢٦] والوزيرُ الكاتبُ أبو بكرِ بنُ عَبْدِ العَزِيزِ .
- [٢٧] والوزيرُ الكاتبُ أبو الحُسَيْنِ بنُ الحِجْدِ .
- [٢٨] والأديبُ أبو الحُسَيْنِ غُلامُ البَكْرِيِّ .
- [٢٩] والكاتبُ أبو الحُسَيْنِ صَالِحُ الشَّنْتَمَرِيِّ .
- [٣٠] وأبو الحَكَمِ وأبو الوليدِ ابْنَا حَزْمِ .
- [٣١] والأديبُ أبو بكرِ بنُ بَقِيٍّ .
- [٣٢] والأديبُ أبو الحُسَيْنِ بنُ هَارُونَ الشَّنْتَمَرِيِّ ، وَكَيْفِيَّةُ إِمَارَةِ بَنِي الأَفْطَسِ وَالتَّوَكَّلِ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ .
- [٣٣] والوزيرُ الكاتبُ أبو عَبْدِ اللَّهِ بنُ أَيْمَنَ ، وَالخَبْرُ عَنْ فَتْحِ مَدِينَةِ ١٠ سَبْتَةَ وَالتَّعْرِيفُ بِأَوْلِيَّةِ أَمِيرِهَا سَقُوتِ .
- [٣٤] والوزيرُ الكاتبُ أبو مُحَمَّدِ بنُ عَبْدِ دُونَ .
- [٣٥] والأديبُ أبو جَعْفَرِ أَحْمَدُ بنُ هُرَيْرَةَ الأَعْمَى التَّطِيلِيُّ .
- [٣٦] والوزيرُ الكاتبُ أبو بَكْرٍ بنُ سَعِيدِ المَعْرُوفِ بَابِنِ القَبْطُورُنُهُ .
- [٣٧] والوزيرُ الكاتبُ أبو بَكْرٍ بنُ قُزْمَانَ .
- [٣٨] والوزيرُ أبو زَيْدِ بنُ مَقَانَا الأَشْبُونِيُّ .
- [٣٩] وَالشَّيْخُ أَبُو الحُسَيْنِ القُرَشِيُّ الأَشْبُونِيُّ .
- [٤٠] والأديبُ أبو عَبْدِ اللَّهِ بنُ البَيْنِ .
- [٤١] وَذُو الوِزَارَتَيْنِ أَبُو مُحَمَّدِ بنُ هُودِ .

(١) هو في جميع الأصول ولكن هذه الترجمة موجودة في موضعها من الكتاب .

وزاد هنا : « وأبو بكر الحولاني »

[٤٢] والشيخ الأديب أبو عمر بن فتح البطليوسي .

[٤٣] والأديب أبو عمر بن كوثر الشنتريني .

[٤٤] والأديب أبو الوليد النحلي .

[٤٥] والوزير الكاتب أبو بكر بن سوار الأشبوني .

[٤٦] والأديب أبو محمد بن سارة<sup>(١)</sup> الشنتريني .

وَالْقِسْمُ الثَّالِثُ : ذَكَرْتُ فِيهِ أَهْلَ الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنَ الْأَنْدَلُسِ ، وَمَنْ نَجَّمَ مِنْ كَوَاكِبِ الْعَصْرِ فِي أَفْقِ ذَلِكَ النَّعْرِ الْأَعْلَى ، إِلَى مُنْتَهَى كَلِمَةِ الْإِسْلَامِ هُنَالِكَ ، وَفِيهِ مِنَ الْقِصَصِ وَأَسْمَاءِ الرُّؤَسَاءِ وَأَعْيَانِ الْكُتَّابِ<sup>(٢)</sup> وَالشُّعْرَاءِ طَوَائِفٌ مِنْهُمْ :

[ ١ ] مُجَاهِدٌ وَمُبَارَكٌ وَمُظَفَّرٌ مِنْ فِتْيَانِ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ .

[ ٢ ] وَالْوَزِيرُ الْكَاتِبُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ طَاهِرٍ ، وَتَغَلَّبَ الْعَدُوُّ عَلَى

بِلَنْسِيَّةٍ وَعَوَّدَ الْمُسْلِمِينَ إِلَيْهَا .

[ ٣ ] وَذُو الْوِزَارَتَيْنِ أَبُو عَامِرٍ بْنُ الْفَرَجِ .

[ ٤ ] وَذُو الْوِزَارَتَيْنِ الْقَائِدُ أَبُو عَيْسَى بْنُ لُبُونٍ<sup>(٣)</sup> .

[ ٥ ] وَحُسَامُ الدَّوْلَةِ أَبُو مَرْوَانَ بْنِ رَزِينٍ .

[ ٦ ] وَالْوَزِيرُ الْكَاتِبُ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ ، وَمَقْتَلُ إِسْمَاعِيلِ بْنِ الْمُعْتَصِدِ

عَبَّادٍ ، وَتَغَلَّبَ الْعَدُوُّ عَلَى بَرَبَشْتَرٍ وَفَتَحَهَا بَعْدُ .

[ ٧ ] وَالْوَزِيرُ الْكَاتِبُ أَبُو عَامِرِ بْنِ التَّاكُرْمِيِّ ، وَإِمَارَةُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ

أَبِي عَامِرٍ وَأَبْنَاهُ بِلَنْسِيَّةٍ .

(١) ب ، لب « صارة » (٢) ر : « الثقات »

(٣) ره في جميع الأصول ولكن الترجمتين موجودتان في موضعهما من الكتاب .

- [ ٨ ] والوزيرُ الكاتبُ أبو المطرفُ بنُ الدَّبَّاحِ .
- [ ٩ ] والأديبُ أبو الربيعِ بنُ مَهْرانِ السَّرْقَسْطِيِّ ، وذِكْرُ ابنِ الكَتَّانِيِّ  
الْمُتَطَبِّبِ .
- [ ١٠ ] والأديبُ الأستاذُ ابنُ خَلَصَةَ الضَّرِيرِ .
- [ ١١ ] والأديبُ أبو مروانَ بنُ غُصْنِ الحِجَارِيِّ .
- [ ١٢ ] والأديبُ أبو عبدِ اللهِ إدريسُ بنُ اليَمَانِيِّ .
- [ ١٣ ] والوزيرُ الكاتبُ أبو الأصبغِ بنُ أرْقَمِ .
- [ ١٤ ] والوزيرُ الكاتبُ أبو المطرفِ بنُ مُثَنَّى .
- [ ١٥ ] والوزيرُ الكاتبُ أبو عمرِ بنِ القَلاَسِ .
- [ ١٦ ] والوزيرُ الكاتبُ أبو عبدِ اللهِ بنُ مُسْلِمِ .
- [ ١٧ ] والوزيرُ الكاتبُ أبو جَعْفَرِ بنِ جُرْجِ .
- [ ١٨ ] والوزيرُ الكاتبُ أبو الفضلِ بنُ حَسَدَائِي .
- [ ١٩ ] والأديبُ أبو الربيعِ القُضَاعِيُّ ، ومُجْمَلَةٌ من أخبارِ هِشَامِ المُعْتَدِّ أميرِ  
قُرْطُبَةَ يَوْمَئِذٍ ، ومَقْتَلُ وزيرِهِ الحائِكِ .
- [ ٢٠ ] والأديبُ أبو عامرِ البَهارِيِّ .
- [ ٢١ ] والأديبُ أبو إسحاقَ إبراهيمَ بنَ خَفَاجَةَ .
- [ ٢٢ ] والأديبُ أبو حاتمِ الحِجَارِيِّ .
- [ ٢٣ ] والأديبُ أبو بكرِ الدَّانِيُّ المَعْرُوفُ بابنِ اللَّبَّانَةِ .
- [ ٢٤ ] والأديبُ أبو جَعْفَرِ بنِ الدَّوْدِ بنِ البَلَنْسِيِّ ، ورسالةُ ابنِ عَرَسِيَةَ  
الشُّعُوبِيَّةُ والرَّدُّ عَلَيْهِ .
- [ ٢٥ ] والكاتبُ أبو جَعْفَرِ بنِ أحمدِ الدَّانِيُّ .

- [٢٦] والوزير الكاتب أبو الخطاب بن عطیون الطلیطلی .  
 [٢٧] والوزير الكاتب أبو عبد الله بن أبي الحِصَال .  
 [٢٨] والأديب أبو بحر بن عبد الصمد ، وذکرُ الشيخ الكاتب  
 عبد الصمد السرقسطی .

- ٥ [٢٩] والأديب أبو تمام الملقب بالحجّام .  
 [٣٠] والأديب أبو إسحاق بن معلی ، وخبرُ وقعة بطرنة .  
 [٣١] والأديب أبو عامر بن الأصیلی .  
 [٣٢] والأديب أبو الفضل جعفر بن محمد بن شرف .  
 [٣٣] وفضلُ یشتمل على طوائف مُقلین من سُكّان ذلك الجانب الشرقي .

- ١٠ والقسم الرابع : أفردته لمن طرأ على هذه الجزيرة في المدّة المورّخة من  
 أديبٍ شاعر ، وأوی<sup>(١)</sup> إلى ظلّها من كاتبٍ ماهر ؛ واتّسع فيها مجاله ، وحفظت  
 في ملوكها أقواله ؛ ووصلت بهم ذكر طائفة من مشهوری أهل تلك الآفاق ،  
 بمن نجم في عصرنا بإفريقية والشام والعراق ، فيشتمل منهم على جملة ، وهم :  
 [ ١ ] أبو العلاء صاعد اللغوی ، وتألّف التعلیف بدوّلة ابن أبي عامر ،  
 ١٥ من التبدأ إلى الآخر .

- [ ٢ ] وأبو الفضل البغدادي .  
 [ ٣ ] وسليمان بن محمد الصقلی .  
 [ ٤ ] وأبو الفتح الجرجاني .  
 [ ٥ ] والأديب عبد العزيز السوسی ، ولتبع من دوّلة ابن ذی النون ومال

(١) ب ، لب : « تولى »

حَفِيدِهِ ، وَأَخَذَ طُلَيْطَلَةَ مِنْ يَدَيْهِ ، وَدَوَّرَانَ الدَّائِرَةِ السُّوءِ بِهَا عَلَيْهِ ؛ مَعَ مَا أُنْدَرَجَ فِي ذَلِكَ مِنْ خَبَرٍ ، وَالتَّفَّ بِهِ مِنْ قَبِيحِ أَمْرِ .

[ ٦ ] وَأَخْبَارُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَرَفٍ ، وَغُرُرُ أَشْعَارِهِ ، وَذِكْرُ خَرَابِ بَلَدِهِ الْقَيْرَوَانِ .

٥ [ ٧ ] وَأَخْبَارُ ابْنِ السَّقَاءِ مُدَبِّرِ الْمَلِكِ الْجَهُورِيِّ بِقَرْطَبَةَ وَمَمْتَلَهُ .

[ ٨ ] وَأَبُو الْحَسَنِ الْمَكْفُوفُ الْحَضْرِيُّ ، وَذِكْرُ تَغَابِ ابْنِ هُوْدِ الْمُقْتَدِرِ عَلَى دَانِيَةَ .

[ ٩ ] وَأَخْبَارُ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ فَضَّالِ الْخُلَوَانِيِّ .

[ ١٠ ] وَأَبُو الْعَرَبِ الصَّقَلِيُّ .

١٠

[ ١١ ] وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّبَّاحِ الصَّقَلِيُّ .

[ ١٢ ] وَأَبُو مُحَمَّدِ بْنِ حَمْدِيسَ الصَّقَلِيِّ .

[ ١٣ ] وَالْحَكِيمُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْمَصْرِيُّ .

[ ١٤ ] وَأَبُو مُحَمَّدِ بْنِ الطَّلَاءِ الْمُهْدَوِيُّ .

[ ١٥ ] وَأَبُو بَكْرٍ بْنِ الْحَسَنِ الْمُرَادِيُّ .

١٥

[ ١٦ ] وَالْفُكَيْكِيُّ الْبَغْدَادِيُّ .

[ ١٧ ] وَأَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى الزَّيْتُونِيُّ .

[ ١٨ ] وَأَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَطَّارِ الْيَابِسِيُّ .

[ ١٩ ] وَابْنُ الْقَابِلَةِ السَّبْتِيُّ .

ذِكْرُ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ بِالْمَشْرِقِ :

٢٠

[ ٢٠ ] الرَّضِيُّ الشَّرِيفُ .

[ ٢١ ] أَبُو الْقَاسِمِ الْعَرَبِيُّ .

- [٢٢] عبد الوهاب المالكي .  
 [٢٣] أبو عبد الله<sup>(١)</sup> بن قاضي ميلة .  
 [٢٤] أبو الحسن التهامي .  
 [٢٥] مهباز الديلمي .  
 [٢٦] أبو منصور الثعالبي .  
 [٢٧] أبو إسحاق الحضرمي .  
 [٢٨] أبو علي بن رشيقي ، وذكره انحرافه عن التبروان .  
 [٢٩] أبو الفتيان العسقلاني .  
 [٣٠] القاضي أبو محمد بن نعمة .  
 [٣١] جلال الدولة ابن عمار .  
 [٣٢] المجدد بن الشخباء العسقلاني .
- وإنما ذكرت هؤلاء انثناءً بأبي منصور ، في تأليفه المشهور ، المترجم  
 بـ « بَيْتِيمة الدَّهْرِ ، في محاسن أهل العصر » .
- وتحرّيت في الجملة حرّ النظام ، وتخيّرت جيّد الكلام ، وجردت جملة  
 الفصول والأقسام ؛ وإذا مرّ معنى غريب وتعلّق به خبر مشهور ، وأمكنتني  
 فيه شعر كثير ، مددت أطنابه ، ووصلت أسبابه ؛ وقد أذكر الشاعر الخامل ،  
 وأنشد الشعر النازل<sup>(٢)</sup> ، لأرب<sup>(٣)</sup> يتعلّق به ، أو لخبر أذكره بسببه ؛ وقد  
 أذكر الرجل لنبأه ذكروه ، لالجودة شعره ؛ وأقدم الآخر لاشتهار إحسانه ،  
 مع تأخر زمانه .

(١) ب ، لب : « محمد »

(٢) ر : « لأدب »

(٣) دوزي : « المؤول »



وبدأتُ بِذِكْرِ الكُتَّابِ ، إِذْ هُمْ صُدُورٌ<sup>(١)</sup> فِي أَهْلِ الآدَابِ ، إِلَّا أَنْ  
يَكُونَ | مَنْ | لَهُ حِظٌّ مِنَ الرِّيَّاسَةِ ، أَوْ يَدْعُو إِلَى تَقْدِيمِهِ بَعْضُ السِّيَاسَةِ ؛  
فَأَوَّلُ مَنْ ذَكَرْتُ مِنْ أَهْلِ قُرْطُبَةَ مَنْ كَانَ بِهَا مِنْ مُلُوكِ قُرَيْشٍ فِي المُدَّةِ المَوْرُوحَةِ  
مِنْ أَهْلِ هَذَا الشَّانِ ثُمَّ مَنْ تَعَلَّقَ بِسُلْطَانِهِمْ ، أَوْ دَخَلَ فِي شَيْءٍ<sup>(٢)</sup> مِنْ شَأْنِهِمْ ؛  
وَتَلَوَّثُهُمْ بِالكُتَّابِ<sup>(٣)</sup> وَالوُزَرَاءِ ، ثُمَّ بِأَعْيَانِ الشُّعْرَاءِ ، ثُمَّ بِطَوَائِفِ مِنَ المَقْلَبِينَ  
مِنْهُمْ . وَكَذَلِكَ فَعَلْتُ فِي كُلِّ قِسْمٍ : بَدَأْتُ بِالمُلُوكِ ، ثُمَّ اسْتَمَرْتُ عَلَى مَا وَصَفْتُهُ  
مِنَ التَّرْتِيبِ ، وَأَنْتَظِمُ عَلَى مَا شَرَحْتُ مِنَ التَّبْوِيبِ ، وَعَلَى اللَّهِ اتَّوَكَّلْتُ ، وَهُوَ  
حَسْبِي فِيمَا أَقُولُ وَأَفْعَلُ ! لَا إِلَهَ سِوَاهُ<sup>(٤)</sup> !

(١) دوزى « صدر » (٢) نه في ب . (٣) نه في ب .  
(٤) هنا ينتهي ما اقتبسه دوزى من هذه المقدمة في مجموعته في تاريخ بني عباد .

ذِكْرُ الْكُتَّابِ وَالْوُزَرَاءِ ، وَأَعْيَانِ الْأَدْبَاءِ وَالشُّعْرَاءِ ، بِحَضْرَةِ قُرْطُبَةَ  
 وَمَا يُصَاقِبُهَا مِنْ بِلَادِ مُتَوَسِّطَةِ الْأَنْدَلُسِ ، وَتَسْمِيَةِ مَنْ نَشَأَ مِنْ  
 قُرْسَانَ هَذَا الشَّانِ ، مِنْ آخِرِ دَوْلَةِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى وَقْتِنَا ،  
 وَإِيرَادُ مَا اتَّخَذَتْهُ مِنْ نَظْمِهِمْ وَنَثَرِهِمْ ، مَعَ مَا يَتَعَلَّقُ  
 مِنْ فُنُونِ الْمَعَارِفِ الْمُفِيدَةِ بِذِكْرِهِمْ .

قال أبو الحسن بن بسام رحمه الله :

وَحَضْرَةُ قُرْطُبَةَ ، مُنْذُ اسْتُنْفِثَتْ الْجَزِيرَةَ ، هِيَ كَانَتْ مُنْتَهَى الْغَايَةِ ، وَمَرَكَزَ  
 الرِّايَةِ ، وَأُمَّ الْقُرَى ، وَقَرَارَةَ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْتَقَى ، وَوَطْنَ أَوْلِي الْعِلْمِ وَالنُّهَى ،  
 وَقَلْبَ الْإِقْلِيمِ ، وَيَنْبُوعَ مُتَفَجِّرِ الْعُلُومِ ، وَقُبَةَ الْإِسْلَامِ ، وَحَضْرَةَ الْإِمَامِ ، وَدَارَ  
 صَوْبِ الْعُقُولِ ، وَبُسْتَانَ ثَمَرَةِ الْخَوَاطِرِ ، وَبَحْرَ دُرَرِ الْقِرَائِحِ ؛ وَمَنْ أَقْتَمَهَا طَلَعَتْ  
 ١٠ نُجُومُ الْأَرْضِ وَأَعْلَامُ الْعَصْرِ ، وَفُرْسَانُ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ ؛ وَبِهَا انْتَشَتِ التَّأْلِيفَاتُ  
 الرَّاقِيَّةُ ، وَصُنِفَتِ التَّصْنِيفَاتُ الْفَائِقَةُ ؛ وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ ، وَتَبْرِيزُ (١) الْقَوْمِ  
 قَدِيمًا وَحَدِيثًا هُنَالِكَ ؛ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ ، أَنْ أَفْتَهُمُ الْقُرْطُوبِيُّ لَمْ يَشْتَمِلْ قَطُّ إِلَّا عَلَى  
 أَهْلِ الْبَحْثِ وَالطَّلَبِ ، لِأَنْوَاعِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ . وَبِالْجُمْلَةِ فَأَكْثَرُ أَهْلِ (٢)  
 ١٥ بِلَادِ هَذَا الْأَفْقِ أَشْرَافُ عَرَبِ الْمَشْرِقِ افْتَتَحُوهَا ، وَسَادَاتُ أَجْنَادِ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ  
 نَزَلُوهَا ؛ فَبَسَقِيَ النَّسْلُ فِيهَا بِكُلِّ إِقْلِيمٍ ، عَلَى عَرَقِ كَرِيمٍ ؛ فَلَا يَكَادُ بَلَدٌ مِنْهَا  
 يَخْلُو مِنْ كَاتِبٍ مَاهِرٍ ، وَشَاعِرٍ قَاهِرٍ ؛ إِنْ مَدَحَ مَا كَثِيرٌ عِنْدَهُ بِكَثِيرٍ ، وَإِنْ

(١) ب ، لب : « تبريز » (٢) مه في ب ، لب .

هَجَا أَرَسَ لِسَانَ جَرِيرٍ، وَعَدَا عَدِيًّا عَن مَدْحِ ذَوِيهِ، وَأَنَسَى<sup>(١)</sup> جَرُّوْلًا الْقَوَافِي  
 إِثْرَ قَوَافِيهِ ؛ وَإِن تَغَزَّلَ أَرْبَى عَلَى السَّاحِرَاتِ فُنُونًا، وَأَزْرَى بِالغَانِيَاتِ مُجُونًا .  
 وَقَدْ وَعَدْتُ فِي صَدْرِ هَذَا الْكِتَابِ بَأَن أُتَخَّلَّلَ أَشْعَارَ الشُّعْرَاءِ، وَرَسَائِلَ  
 الْكُتَّابِ وَالْوُزَرَاءِ، بِمَا عَسَى أَن يَتَعَلَّقَ بِأَذْيَالِهَا، وَيُسَايِرَ أَفْيَاءَ ظِلَالِهَا : مِنْ  
 ٥ أَنْبَاءِ فِتْنِ ذَلِكَ الزَّمَانِ الْبَعِيدِ — كَانَ — طَلَقَهَا، الْمَفْرَقِ لِشَمْلِ الْأَمْرِ فِي  
 هَذِهِ الْجَزِيرَةِ نَسَقَهَا . وَنُلِّعُ بِنَبْذِ مِنْ مَشْهُورٍ وَقَائِعِهَا، وَنُشِيرُ بِأَسْمَاءِ  
 طَوَائِفِ تَوَابِعِهَا وَزَوَابِعِهَا<sup>(٢)</sup> ؛ الَّذِينَ اسْتَظْهَرُوا عَلَى شَهَوَاتِهِمْ بِحُرِّ ذُيُولِهَا، وَأَمْتَرُوا  
 بِطَالَاتِهِمْ مِنْ أَخْلَافِ أَبَاطِيْلِهَا، حَتَّى شَقُّوا عَصَاهَا، وَأَدَارُوا بِدَائِرَةِ السَّوْءِ عَلَى  
 الْجَمَاعَةِ رَحَاها ؛ لِيَجْمَعَ هَذَا الْمَجْمُوعُ بَيْنَ الشَّعْرِ وَالخَبَرِ، جَمَعَ الرُّوْضَةَ بَيْنَ الْمَاءِ  
 وَالزَّهْرِ، وَالزَّمَانَ بَيْنَ الْأَصْنَافِ وَالْبُكْرِ ؛ فَإِنِّي رَأَيْتُ أَكْثَرَ مَا ذَكَرَ الثَّعَالِبِيُّ مِنْ  
 ١٠ ذَلِكَ فِي « يَتِيْمَتِهِ » مَحْذُوفًا مِنْ أَخْبَارِ قَائِلِيهِ، مَبْتُورًا مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي وَصَلَتْ  
 بِهِ وَقِيلَتْ فِيهِ ؛ فَأَمَلَّ قَارِئُ كِتَابِهِ مَنَحَاهُ، وَأَحْوَجَهُ إِلَى طَلَبِ مَا أَغْفَلَهُ مِنْ ذَلِكَ  
 فِي سِوَاهِ .

وَسَيَنْخَرِطُ فِي سِلَكِ مَا أُوشِحُ بِهِ هَذَا التَّصْنِيفِ، مِنْ تَلْخِيصِ  
 ١٥ التَّعْرِيفِ، بِأَخْبَارِ مُلُوكِ الْجَزِيرَةِ، وَسَرْدِ قِصَصِهِمُ الْمَأْثُورَةِ، وَوَقَائِعِهِمُ الْمُبِيرَةِ  
 الْمَشْهُورَةِ، لِأَبْنِ حَتِيَّانٍ، فَضُولٍ مِنْ غَرَائِبِهِ، وَجُمَلٍ وَتَفَاصِيلٍ مِنْ كِبَائِهِ ؛ لِأَنِّي  
 إِذَا وَجَدْتُ مِنْ كَلَامِهِ فَضْلًا قَدْ أَحْكَمَهُ، أَوْ خَبْرًا قَدْ سَرَدَهُ وَنَظَّمَهُ، عَوَّاتُ  
 عَلَى مَا وَصَفَ، وَوَلِيَّتُهُ خُطَّةً مَا سَطَرَ وَصَنَّفَ، إِقْرَارًا بِالْفَرْقِ، وَإِعْفَاءً لِنَفْسِي  
 مِنْ مُعَارَضَةٍ مَن أَحْرَزَ بِأَقْفَانِي فِي وَقْتِهِ قِصَبَاتِ السَّبْقِ<sup>(٣)</sup>، وَبَرَّرَ فِي زَمَانِهِ عَلَى  
 ٢٠ جَمِيعِ الْخَلْقِ<sup>(٣)</sup> . وَأَكْثَرُ مَا يَمُرُّ فِي هَذَا الْكِتَابِ، مِنْ هَذَا الْبَابِ، فَعَلَى

(١) لب : « وأنسر » (٢) ب ، لب : « رواعها » ، ر : « رواعها »

(٣-٣) لم تقع هذه الجملة إلا في ر .

تأريخه الكبير عوّلت ، ومن خطّ يده أكثر ما نقلت ؛ وتحرّيت جهدي  
أقتضاب ما طوّل ، وتخفيف ما ثقل ، وإجمال ما شرح وفصل ؛ على أنه لم  
يخلص إلى من غمامه إلا قطرة ، ولا حصلت في يدي من حسامه إلا إبرة ؛  
ولذلك ما ارتشفت ثمادي ، ونفخت فيما لم أجد من كلامه رمادي ، وأنفقت  
في ذلك من تافه زادي ؛ وابتدأت بمن كان في ذلك الأوان ، من ملوك بني  
مرّوان ، من أهل هذا الشأن ، وأرّسهم بهذا الفن الذي تصدّيت لإقامة أوده  
في هذا الديوان .

فصل في ذكر المستعين بالله أبي أيوب سليمان بن الحكم ، والأخذ  
بطرفٍ مُستطرفٍ من أخباره وأشعاره ، والسبب الموجب  
لقيامه ، وما حدث من نادرٍ مُستغربٍ في أيامه .

(١) ونقلت بعضه من لفظ الشيخ المذکور بنصّه ، وأثبت من الحديث  
بغصّه ، واعتمدت الإيجاز ، وأتقت الصدور والأعجاز (١) .

هو سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر لدين الله بن محمد  
ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية  
ابن هشام بن عبد الملك بن مرّوان بن الحكم القرشي . بويع بقرطبة منتصف  
ربيع الأول سنة أربع مائة بعد وقعة كانت له على أميرها قبله محمد [ بن هشام ] بن  
عبد الجبار الملقب بالههدي القائم على الدولة العامرية ؛ ثم خلع الهدي بوقعة  
كانت له عليه ، ثم عاد إليها سليمان ثانية في خبر طويل ، فملك سليمان قرطبة

(١ — ١) لا توجد هذه الجملة إلا في ر .

- فِي دَوْلَتِيهِ سِتِّ سِنِينَ وَعَشْرَةَ أَشْهُرًا ، وَكَانَتْ كُلُّهَا — كَمَا وَصَفَ ابْنُ حَيَّانٍ —  
 شِدَادًا نَكِدَاتٍ ، صِعَابًا مَشْثُومَاتٍ ، كَرِيهَاتٍ الْمُبْدَأُ وَالْفَائِحَةُ ، قَبِيحَةَ الْمُنْتَهَى  
 وَالخَاتِمَةَ ؛ لَمْ يُعَدِّمْ فِيهَا حَيْفًا ، وَلَا فُورِقَ فِيهَا خَوْفًا ؛ وَلَا تَمَّ سُورُورٌ ، وَلَا قُدَّ  
 مَحْذُورٌ ؛ مَعَ تَغْيِيرِ السَّيْرَةِ ، وَحَرْقِ الْهَيْبَةِ ، وَاشْتِعَالِ الْفِتْنَةِ ، وَاعْتِلَاءِ الْمَعْصِيَةِ ،  
 وَظَعْنِ الْأَمْنِ ، وَحُلُولِ الْخِيفَةِ : دَوْلَةٌ كَفَاهَا ذِمًّا أَنْ أُنشَأَهَا شَانِجَةً ، فَقَشَعَهَا ٥  
 أَرْمُقُنْدًا ، وَبَتَّتْهَا الْجَلَالِقَةَ ، وَمَزَقَّتْهَا الْإِفْرَنْجَةَ ؛ وَدَبَّرَهَا فَاجِرُ شَقِيٍّ ، وَوَزَّرَ  
 لَهَا حَبَّ دَنِيٍّ <sup>(١)</sup> ؛ فَتَمَخَّضَتْ عَنِ الْفَاقِرَةِ الْكُبْرَى ، وَآلَتْ بِنْتِ مَنْ آتَى بَعْدَهَا  
 إِلَى مَا كَانَ أَعْضَلَ وَأَذْنَى ، مِمَّا طَوَى بِسَاطِ الدُّنْيَا ، وَعَقَى رَسْمَهَا ، وَأَهْلَكَ أَهْلَهَا .  
 وَلَمَّا تَمَّتْ بَيْعَتُهُ نُفِذَتْ عَنْهُ كُتُبُ إِلَى نَوَاحِي الْجَزِيرَةِ بِخَيْرٍ فَتَنَحَّه قُرْطُبَةَ ،  
 وَكَانَتْ مُوشِحَةً بِمَا تَوْشَّحَ بِهِ كُتُبُ الْفَتْوحِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَلَى أَهْلِ دَارِ الْحَرْبِ ، ١٠  
 مِنْ وَصْفِ حَالِ الْقَهْرِ ، وَشِدَّةِ السَّطْوَةِ وَالْاِقْتِدَارِ عَلَى الْفَتَكِ وَالِاسْتِبَاحَةِ ؛  
 فَأَفْرَطَ فِي ذَلِكَ إِرْهَابًا لِلنَّاسِ بِذِكْرِهِ ، وَتَخَوُّيًّا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ ؛ فَكَانَ أَجَابَ  
 لِنِفَارِ الْقُلُوبِ ، وَقَرَفِ التُّدُوبِ ، وَبُعْدِ الشُّرُودِ ، وَنَبْشِ الْحُقُودِ ، لِمَا وَتَرَ جَمِيعَهُمْ  
 بِالْحَادِثَةِ فِي قُرْطُبَتِهِمْ ؛ فَاسْتَشْعَرُوا بَغْضَهُ ، وَانْقَادُوا لِكُلِّ مَنْ عَانَدَهُ وَرَدَّ أَمْرَهُ ،  
 مِنْ عَبِيدٍ أَوْ حُرٍّ ، فَزَعَمُوا إِلَيْهِمْ مِنْهُ ، وَيَأْسًا مِنْ خَيْرٍ يَجِيئُهُمْ مِنْ بَرَابِرَتِهِ ؛ فَكَانَ ١٥  
 ذَلِكَ سَبَبًا فِي تَفْرِيقِ الْبِلَادِ وَتَمَلُّكِ أَصْحَابِ الطَّوَائِفِ .

- قَالَ ابْنُ حَيَّانٍ : وَتَسَمَّى لَوْقَتِهِ مِنَ الْأَلْقَابِ السُّلْطَانِيَّةِ بِالْمُسْتَعِينِ بِاللَّهِ ،  
 وَأَنْتَقَلَ إِلَى مَدِينَةِ الزَّهْرَاءِ بِجُمْلَةِ جَيْشِهِ ، رَجَاءً أَنْ يَحْسِمَ عَنْ أَهْلِ قُرْطُبَةَ  
 مَعَرَّتَهُمْ ، فَضَاقَتِ الزَّهْرَاءُ عَنْهُمْ فَزَلُّوا بِمَا يَتَّصِلُ بِهَا مِنْ مَنَازِلِ النَّاسِ ، وَنَزَلَ ابْنُ  
 حَمُودٍ : عَلِيٌّ وَالْقَاسِمُ ، قَائِدًا فِرْقَةَ الْمَغَارِبَةِ ، بِشَقْمُنْدَةَ ؛ وَامْتَحَنَ هِشَامُ الْمُؤَيَّدُ ٢٠

(١) ب ، لب : « دب جرى »

بِاللَّهِ مَعَ سُلَيْمَانَ عِنْدَ دُخُولِهِ الْقَصْرَ ؛ فَقِيلَ إِنَّهُ قُضِيَ عَلَيْهِ ، وَقِيلَ إِنَّهُ فَرَّ مِنْ يَدَيْهِ . وَكَانَ هِشَامٌ — عِنْدَ مَا رَأَاهُ مِنْ أَضْطِرَابِ أَمْرِهِ ، وَتَيَقُّنِهِ مِنْ أَنْصِرَامِ دَوْلَتِهِ ، بِمَا مُنِيَ بِهِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا ، مِنْ تَمَالُؤِ بَنِي عَمِّهِ آلِ النَّاصِرِ عَلَيْهِ ، وَوَقِيَامِهِمْ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ فِي خَلْعِهِ — صَيَّرَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ حَمُودٍ وِلَايَةَ عَهْدِهِ ، وَأَوْصَى إِلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ مِنْ بَعْدِهِ ، وَرَاسَلَهُ بِذَلِكَ إِلَى سَبْتَةِ ، أَيَّامَ تَرُدُّدِهِ عَلَيْهَا ، بِمَعْنَى الِاسْتِمْدَادِ ، وَجَمْعِهِ طَوَائِفَ الْبَرَابِرَةِ لِلْجِهَادِ ؛ وَوَلَاةً طَلَبَ دَخْلَهُ <sup>(١)</sup> ، وَاسْتَكْنَتْهُ السَّرِّ فِيهِ إِلَى أَوَانِهِ ، وَبُلُوغِ زَمَانِهِ ؛ هَائِجًا لِلْحَفَائِظِ الْقُرَشِيَّةِ ، وَمُحَرِّكًا لِلطَّوَائِلِ الطَّالِبِيَّةِ ؛ فَرَمَاهُمْ يَوْمَئِذٍ مِنْ عَلِيٍّ هَذَا بِثَالِثَةِ الْأَنْفَى ، طَوَى كَشْحَهُ مِنْهَا عَلَى مُسْتَكْنَتِهِ أَرْجَاهَا لَوْقَتِهَا .

١٠ ومن الاتفاقِ الغريبِ عَلَى سُلَيْمَانَ أَنَّهُ لَمَّا اسْتَوْسَقَ لَهُ الْأَمْرُ بَعْدَ فِرَاقِهِ مِنْ خَبَرِ هِشَامِ الْمُوَيْدِ ، أَنْفَذَ عَزَمَهُ مِنْ بَيْنِ قَوَادِ جُبُوشِهِ فِي اخْتِيَارِ عَلِيِّ بْنِ حَمُودِ الْمَذْكَورِ ، فَقَدَّمَهُ عَلَى مَدِينَةِ سَبْتَةِ ، رَأْيًا ذَهَلَ عَنْهُ ، وَنَبَذَهَا إِلَى ضِدِّهِ لَهُ مُكَاشِحِ شَرِيكِ فِي الدَّعْوَى وَالْقِرَابَةِ ؛ فَتَلَقَّهَا عَلَى تَلَقُّفِ الْأَكْيَاسِ الْمُقْبِلِينَ ، وَدَبَّ لِمَغْبُوبِهِ سُلَيْمَانَ مِنْ قِبَلِهَا الضَّرَاهُ دَيْبِ الْأَخْنِقِ الْمَوْتُورِ ، حَتَّى هَجَمَ عَلَيْهِ وَسَلَبَهُ مُلْكَهُ ، وَحَوَّلَ دَوْلَتَهُ ، وَمَزَّقَ عَثْرَتَهُ ؛ وَكَانَتْ غَلْطَةُ سُلَيْمَانَ الَّتِي لَمْ يَسْتَقْبَلْهَا هُوَ وَلَا مَنْ بَعْدَهُ ؛ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ شَيْئًا أَمْضَاهُ !

٢٠ قَالَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ بَسَّامٍ : وَذَكَرْتُ بِمَا اتَّفَقَ فِي هَذَا الْخَبَرِ ، مَا حَكَاهُ الرُّوَاةُ فِي حُلُولِ الْفَاقِرَةِ أَيْضًا بِالْمَتَوَكَّلِ جَعْفَرٍ ؛ قَالُوا : لَمَّا عَزَمَ بُعَا الصَّغِيرُ عَلَى قَتْلِ الْمَتَوَكَّلِ جَعْفَرٍ بَتَدْبِيرِ ابْنِهِ الْمُنْتَصِرِ دَعَا بِبَاغِرٍ ، وَهُوَ غُلَامٌ تُرْكِيُّ ، بَعْدَ أَنْ اصْطَنَعَهُ بِالصَّلَاتِ ؛ وَكَانَ مِقْدَامًا أَهْوَجَ ، فَقَالَ لَهُ : يَا بَاغِرُ ، أَنْتَ تَعْلَمُ تَقْدِيمِي

- لَكَ ، وَأَنْتِ قَدْ صِرْتُ عِنْدَكَ فِي مَنْزِلَةٍ مَنْ لَا يُعْصِي لَهُ أَمْرٌ ؛ وَأُرِيدُ أَنْ أَمْرَكَ بِشَيْءٍ ، فَعَرَّفَنِي كَيْفَ إِقْدَامِكَ عَلَيْهِ ! قَالَ : قُلْ مَا شِئْتَ فَإِنِّي فَاعِلُهُ ! فَقَالَ :  
 إِنَّ ابْنِي قَدْ فَسَدَ عَلَيَّ وَصَحَّ عِنْدِي أَنَّهُ يُحَاوِلُ سَفْكَ دَمِي ، وَأُرِيدُ إِذَا دَخَلَ عَلَيَّ  
 غَدًا أَنْ أَصْعُقَ الْقَلَنْسُوتَةَ مِنْ رَأْسِي فِي الْأَرْضِ ، فَإِذَا أَنَا وَضَعْتُهَا فَاقْتُلْهُ ! قَالَ :  
 نَعَمْ ! فَلَمَّا دَخَلَ ابْنُهُ عَلَيْهِ لَمْ يَضَعْ الْقَلَنْسُوتَةَ مِنْ رَأْسِهِ ، وَظَنَّ أَنَّهُ نَسِيَ ، فَعَمَّرَهُ  
 بِحَاجِيهِ ، فَلَمْ يَرَ الْعَلَامَةَ ، وَانْصَرَفَ ابْنُهُ . فَقَالَ لَهُ : إِنِّي فَكَّرْتُ فِي أَنَّهُ وَلَدٌ  
 وَحَدَّثْتُ ، وَأُرِيدُ أَنْ أَسْتَصْلِحَهُ . فَقَالَ لَهُ بَاغِرٌ : فَإِنِّي قَدْ سَمِعْتُ وَأَطَعْتُ . ثُمَّ  
 أَمْسَكَ عَنْهُ مُدِيدَةً وَقَالَ لَهُ : إِنَّ أَخِي فَسَدَ عَلَيَّ ، وَهُوَ عَزَمَ عَلَيَّ أَنْ يَقْتُلَنِي وَيَنْفَرِدَ  
 مَكَانِي ، وَأَحِبُّ أَنْ تَبَادِرَ غَدًا إِذَا دَخَلَ عَلَيَّ وَتَقْتُلَهُ ! قَالَ : نَعَمْ ! وَجَعَلَ لَهُ  
 عِلَامَةً ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ لَمْ يَرَ الْعَلَامَةَ ، وَوَقَفَ حَتَّى خَرَجَ أَخُوهُ . فَقَالَ لَهُ يَا بَاغِرُ ،  
 هُوَ أَخِي وَعَسَى أَنْ أَسْتَصْلِحَهُ ؛ وَهَذَا أَمْرٌ هُوَ أَكْبَرُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ .  
 قَالَ لَهُ بَاغِرٌ : مَنْ هُوَ ؟ قَالَ : الْمُنتَصِرُ ، قَدْ صَحَّ عِنْدِي أَنَّهُ عَلَى الْإِقْبَاعِ بِي وَقَتْلِي ،  
 وَأُرِيدُ قَتْلَهُ ! فَكَيْفَ تَرَى نَفْسَكَ فِي ذَلِكَ ؟ فَفَكَّرَ بَاغِرٌ سَاعَةً وَنَكَسَ رَأْسَهُ  
 طَوِيلًا . ثُمَّ قَالَ : هَذَا أَمْرٌ لَا يَجِيءُ مِنْهُ شَيْءٌ . قَالَ : وَلِمَ ؟ قَالَ : لَا نَقْتُلُ  
 الْإِبْنَ وَالْأَبَ بَاقِي ، إِذْ لَا يَسْتَوِي لَكُمْ شَيْءٌ وَيَقْتُلُكُمْ أَبُوهُ كُلِّكُمْ . قَالَ :  
 فَمَا الرَّأْيُ ؟ قَالَ : نَبْدُ الْأَبِ وَيَكُونُ أَمْرُ الصَّبِيِّ أَيْسَرَ ! قَالَ : وَتَفْعَلُ هَذَا  
 وَيَحْكُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ! أَفْعَلُهُ وَأَدْخُلُ عَلَيْهِ إِلَى قَتْلِهِ ؛ وَأَدْخُلُ أَنْتَ فِي إِثْرِي ،  
 فَإِنْ قَتَلْتَهُ وَإِلَّا فَاقْتُلْنِي أَنْتَ ، وَضَعَّ سَيْفَكَ عَلَيَّ وَقُلْ : أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَ مَوْلَاهُ !  
 فَعَلِمَ بَعْضًا حِينَئِذٍ أَنَّهُ قَاتِلُهُ ، فَتَمَكَّنَ لَهُ التَّدْبِيرُ عَلَى الْمَتَوَكِّلِ .
- وَحَدَّثَ الْبَحْثِيُّ الشَّاعِرُ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ الْمُتَوَكِّلِ مَعَ الثَّدْمَاءِ ،  
 فَتَدَاكَرْنَا أَمْرَ السُّيُوفِ . فَقَالَ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَعَ عِنْدَ

رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ سَيْفٌ مِنَ الْهِنْدِ لَيْسَ لَهُ نَظِيرٌ . فَأَمَرَ الْمُتَوَكِّلُ بِالْكِتَابِ فِيهِ إِلَى عَامِلِ الْبَصْرَةِ ؛ فَاتَّفَقَ أَنْ اشْتَرِيَ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ ؛ فَسَرَّ الْمُتَوَكِّلُ بِجُودَتِهِ ، وَانْتَضَى <sup>(١)</sup> ؛ فَاسْتَحْسَنَهُ الْمُتَوَكِّلُ وَقَالَ لِلْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ : اطْلُبْ لِي غُلَامًا تَمَقُّ بِبَجْدَتِهِ وَشِجَاعَتِهِ ، أَدْفَعْ إِلَيْهِ هَذَا السَّيْفَ لِيَكُونَ وَاقِفًا بِهِ عَلَى رَأْسِي كُلِّ يَوْمٍ مَا دُمْتُ جَالِسًا ! قَالَ : فَلَمْ يَسْتَمِمْ الْمُتَوَكِّلُ الْكَلَامَ حَتَّى دَخَلَ بِأَغْرُ الثَّرِكِيِّ الْمَذْكَورِ ، فَدَعَا بِهِ الْمُتَوَكِّلُ ، وَدَفَعَ إِلَيْهِ ذَلِكَ السَّيْفَ ، وَأَمَرَهُ بِمَا أَرَادَ وَتَقَدَّمَ بِأَنْ يَزَادَ فِي مَرَّتَيْهِ . قَالَ الْبُحَيْرِيُّ : فَوَاللَّهِ مَا انْتَضَى ذَلِكَ السَّيْفُ وَلَا أُخْرِجَ مِنْ غَمْدِهِ مُنْذُ الْوَقْتِ الَّذِي دُفِعَ إِلَيْهِ إِلَّا فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي ضَرَبَهُ فِيهَا بِأَغْرُ ذَلِكَ السَّيْفِ <sup>(٢)</sup> !

رجع الحديث :

قال ابن حبان : فلما كانت سنة خمس وأربعمائة طلع النبا على سليمان أن مجاهدًا العامري أقام عليه خليفة رجلاً يعرف بالفتية المعيطي ، فاستعظم ذلك إلى أن بلغه نجوم علي بن حمود الفاطمي بسبته ، فسقط في يديه ، وتفرقت الطباء عليه ؛ وكان على أجل من الحرش . وأخذ في استدفاع ذلك جهده فلم يُغنيه شيئاً ؛ وجاءه علي في جموعه بعد أن اجتمع بالثرية مع خيران صاحب العربية وغيره من الفتيان ؛ فخرج إليهم سليمان واقتتلوا فانهزم سليمان وقبض عليه وعلى أخيه وأبيه وسيتقوا أسارى إلى علي بن حمود . ودخل القصر وخيران يطعم أن يجد هشامًا المؤيد حيًا ، فلم يوجد وذكر أنه قتل وعرض عليه قبره .

(١) ر : « وسبق وانتضى »

(٢) هذه الفصة المذكورة بنصها في « مروج الذهب » لسعودي (طبعة باريس : ج ٧



- فَأَمَرَ عَلِيٌّ بِنَبْشِهِ ، فَأَخْرَجَ الشَّخْصُ ، وَشُرِّدَ أَنَّهُ هِشَامٌ ، وَسُلَيْمَانُ يَتَبَرَّأُ مِنْ دَمِهِ ،  
وما كان في جسده شيء من أثر السلاح ، فتوهم فيه الخنق ، وأمر عليٌّ بتجهيزه  
إلى أهله ، وأُنذِرَ طبقاتُ الناس للصلاة عليه ؛ فدُفِنَ لزيق أبيه الحكم . ثم  
دعا عليٌّ بسليمان ودويه فصرَبَ عنقه بيده وظهر منه جَزَعٌ شديدٌ عند ملاحظته  
السيف ، خارت منه قواه ، فجثا على ركبتيه ، ثم ضربت عنق الشيخ أبيه ٥  
وعنق عبد الرحمن ابنه . وجعلت الرؤوس الثلاثة في طست ، وأخرجت من  
القصر إلى المحلة يُنادى عليها : هذا جزاء من قتل هشامًا المؤيد ! ثم ردت  
الرؤوس الثلاثة ونظمت وطُيِّبَت ؛ وقد كانت جمعت رؤوس رؤساء من البرابرة  
المقتولين في الوقعة في قفّة ، وجعل رأس أحمد بن الذبّ في أعلاها ، وعُلقت  
في آذانهم رِقاغٌ بأسمائهم . وكانت في المحلة تُحمل من مضرب قائد إلى  
مضرب سواه<sup>(١)</sup> . وعجب الناس من اجتماع رؤوس من ضاقت أرض  
الأندلس برحبها عنها ، وشملها شرها وأذاها طرأ في قفّة ضيقة والأمر لله !  
وحكى أن والد سليمان حين عاين قتل ابنه بين يديه قال له عليٌّ :  
أهكذا يا شيخ قتلتم هشامًا ؟ قال : لا والله ما قتلناه وإنه لحي يرزق ! فحينئذ  
عجل عليٌّ بقتل الشيخ ، وكان رحمه الله تقيًا صالحًا لم يتشبث بشيء من  
أمر ابنه .

- وكان هشامٌ يقول برُموز الملاحم وكُتِبَ الحدّان ، وخامر نفسه من  
ذكر قائمٍ بسبته أول اسمه عين ما لاشيء يزيله ، ولم يزل مُرتقبًا لظهوره ؛  
فلذلك ما كاتب عليٌّ بن حمّود لرفع بنته ، وبعد صيته ؛ فكان منه في أخذه  
بشاره بعد موته ما كان . فإن كان كذلك ، فهشامٌ عليٌّ مشهور عجزه أحد كاندى ٢٠

(١) ز بعد كلمة « سواه » في ب ، لب : « ومشورة »

الأعداء بغيره من منكوبي الملوكة بما لاشيء فوقه ، فما أدرك فيه بعد هلاكه  
بوتره واستقاد بدمه وسطا بعدوه ! انتهى ما لخصته من خبره مع ابن حمود .

فصل — قال ابن حيان : وأما حربُه مع المهديِّ ، فإنه لما استوسق  
الأمر لسليمان حسبا تقدم ، وتابعته البرابرة ، اجتمعوا لحرب قرطبة ، فزولوا  
في سَفْح الجبل بها وبشرقيها يوم الخميس الحادي عشر من ربيع الأول  
سنة أربع مائة . وقد كان واضح القتى وافاها قبلهم بيومين في أجناده من رجال  
النعر ؛ فقلده المهديُّ أمر الحرب ، واحتشد الناس من الكور والبادية ، فعسكروا  
في مجموع لم يخصها إلا خاليتهم . فتداني الزحفان يوم السبت الثالث عشر من  
ربيع المورخ ، فتسرع إليهم أهل قرطبة ، وخالفوا واضحا في تدبير حربهم ،  
فاستجرتهم البرابرة ، حتى إذا تمكنوا منهم عطفوا عليهم ، فانكشفت عنهم  
انكشافا ما سمع بمثله ، وأنهمزموا إلى منازلهم وتشعبت الطرق بهم . وعاد  
تضيُّق مسالك كانوا أعدوها لعدوهم سدادا دونهم ، فازدحموا وتناشبتوا وقتل  
بعضهم بعضا . ووضع البرابرة والنصارى السيوف عليهم ؛ فقتل في هذه الوقعة  
عالم ، وأبادوا أمة . وهي وقعة قنتيش المشهورة بالاندلس التي قطع المقال على  
أنه قتل فيها عشرة آلاف قتيل وأزيد . والله أعلم !

ومال<sup>(١)</sup> النصارى يومئذ على المنهزمين من المسلمين ، فقتلوا منهم في صعيد  
واحد نيفا على ثلاثة آلاف رجل . وخرج الأمر عن يد واضح فلم يثبت  
أحد ممن كان معه ، ولا كثر في تلك الوقعة عامي ولا خاصي . وكان أمره عجباً ،  
ونادى واضح بشعاره ، فاجتمع إليه رجاله وثبت إلى أن أجنه الليل ، واتخذة

(١) ب ، لب « وأمال »

جَمَلًا<sup>(١)</sup>، وَسَارَ عَنْ قُرْطُبَةَ هَارِبًا إِلَى الثَّغْرِ. وَانْبَسَطَ الْبَرْبَرُ يَوْمَئِذٍ فِي أَرْضِ قُرْطُبَةَ يَقْتُلُونَ وَيَأْسِرُونَ.

قال ابن حبان: وَأَصِيبَ فِي تِلْكَ الْوَقْعَةِ مِنَ الْمُؤَدِّينَ خَاصَّةً نَيْفٌ عَلَى سِتِّينَ، أُعْرِيَتْ سَقَائِفُهُمْ<sup>(٢)</sup> فِي غَدَاةٍ وَاحِدَةٍ مِنْهُمْ، وَنَعَطَلَّ صِبْيَانُهُمْ لَعْدَمِهِمْ. وَأَصِيبَ فِيهَا زَرْبُوطُ الطَّنْبُورِيِّ، وَأَقَامَ الطَّنْبُورِيُّونَ أَصْحَابُهُ عَلَيْهِ مَا تَمَّا مَشْهُورًا ٥ بعد الحادثة. وَهَلَكَ فِي تِلْكَ الْوَقْعَةِ أَخْلَاطٌ مِنَ النَّاسِ. وَكَانَ بَعْضُ الظَّرْفَاءِ يَقُولُ: مِنْ كُلِّ طَبَقَةٍ أَخَذْتُ وَقَعَةً فَتَنَيْشَ حَتَّى مِنْ أَهْلِ الْبَاطِلِ؛ فَإِنِهَا أَلْصَقَتْ بِالصِّمِّ فِي قَتْلِ قَنْبُوطِ الْمَلْهِيِّ، وَزَرْبُوطِ الْمَغْنِيِّ وَنَمَطِهَا، فَهَيْهَاتَ أَنْ يُخَافَ<sup>(٣)</sup> الدَّهْرُ مِثْلَهُمَا!

- وكان المهدي، إِذْ دَخَلَ قُرْطُبَةَ مُنْتَصَفَ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ ١٠  
وثلثمائة وَقَتَلَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي عَامِرٍ، أَظْهَرَ مَوْتَ هِشَامِ الْمُؤَيَّدِ فِي رَمَضَانَ  
مِنَ الْعَامِ، وَوَرَى الشَّخْصَ الَّذِي مَوَّهَ بِهِ وَقَسَمَ تَرَاثَهُ. فَلَمَّا كَانَ غَدَاةَ الْأَحَدِ  
ثَانِي وَوَقَعَةَ قَنْتَيْشَ، أَظْهَرَ الْمَهْدِيُّ هِشَامًا الْمُؤَيَّدَ رَجَاءً أَنْ يَسْتَمِيلَ الْبَرَابِرَةَ بِهِ،  
لَمَّا كَانُوا يُكْثِرُونَ مِنَ التَّرْحُمِ عَلَيْهِ وَالطَّلَبِ بِدَمِهِ؛ فَأَبْرَزَهُ<sup>(٤)</sup> لِلنَّاسِ وَعَجِبُوا  
مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ الْبَرْبَرُ: اللَّهُ مُحَمَّدٌ عَلَى سَلَامَتِهِ، وَنَحْنُ فَلَاحِجَةٌ لَنَا فِي إِمَامَتِهِ؛ ١٥  
وَلَا نَرْضَى بِغَيْرِ سُلَيْمَانَ! فَلَمَّا سَمِعَ الْمَهْدِيُّ ذَلِكَ، خَرَجَ فِي اللَّيْلِ عَنِ الْقَصْرِ،  
وَنَظَرَ بِقُرْطُبَةَ إِلَى أَنْ لَحِقَ بِطَلِيطَةَ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى الْقِيَامِ بِنُصْرَتِهِ؛ فَجَمَعَ لَهُ  
وَاضِحٌ عَسَاكِرَ الْإِفْرَنْجَةِ وَأَهْلَ الثُّغُورِ؛ وَجَاءَهُمْ مَعَ وَاضِحٍ إِلَى قُرْطُبَةَ؛ فَبَرَزَ إِلَيْهِ

(٢) ب، ر: «سلائفهم»

(٤) ر: «فأظهره»

(١) م في ب

(٣) م في ر

سُلَيْمَانُ، وَالْتَقَى الْجَمْعَانِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي شَوَّالٍ مِنَ الْعَامِ؛ فَانْهَزَمَ سُلَيْمَانُ؛ فَدَخَلَ  
 الْمَهْدِيُّ قَرْطُبَةَ وَبُوعَ لَهَا، وَتَرَدَّدَ عَلَيْهِ الْبَرُّ بِرُحَارِبُونَ، فَشَرَعَ فِي حَفْرِ  
 الْخَنْدَقِ حَوْلَ قَرْطُبَةَ، وَالزَّمَ أَهْلَهَا الْقِيَامَ بِأَمْرِهِ؛ فَاشْتَدَّتْ الْكُلْفَةُ عَلَيْهِمْ.  
 وَدَبَّرَ وَاضِحٌ مَعَ الْمَوَالِي الْعَامِرِيِّينَ الْغَدْرَ بِالْمَهْدِيِّ، وَشَغَبُوا عَلَيْهِ فِي ذِي الْحِجَّةِ  
 مِنَ الْعَامِ؛ وَأَخْرَجُوا هِشَامًا الْمُوَيْدَ مِنْ مَحْبِسِهِ بِالْقَصْرِ، وَأَجْلَسُوهُ لِلخِلَافَةِ بِالسَّطْحِ  
 وَنَادَوْا بِشِعَارِهِ، وَضَرَبُوا عُنُقَ الْمَهْدِيِّ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالْقَوَا جَسَدَهُ مِنْ أَعْلَى  
 السَّطْحِ، وَرَفَعُوا رَأْسَهُ عَلَى قَنَاةٍ طِيفَ بِهَا التَّلْدُ كُلُّهُ، وَقَطَعَتْ يَدَهُ وَرِجْلَهُ. وَعَادَ  
 هِشَامُ الْمُوَيْدَ إِلَى الْخِلَافَةِ، وَجُدِدَتْ لَهُ الْبَيْعَةُ، وَاسْتَحْجَبَ وَاضِحًا أُلْفَتِي،  
 وَاسْتَوْلَى عَلَى تَدْيِيرِ الْأُمُورِ، وَأَرْسَلَ بِرَأْسِ الْمَهْدِيِّ إِلَى عَسْكَرِ سُلَيْمَانَ عَلَى مُعَاوَدَةِ  
 طَاعَةِ هِشَامِ، وَقَدَرَجَا اسْتِمَالَتَهُمْ بِهِ فَأَبَوْا ذَلِكَ، وَأَغْلَظَ سُلَيْمَانُ عَلَى رُسُلِهِ، وَأَرَادَ  
 قَتْلَهُمْ، وَأَظْهَرَ الْجَزَعَ عَلَى ابْنِ عَمِّهِ الْمَهْدِيِّ، وَبَكَى عَلَيْهِ<sup>(١)</sup>، وَأَمَرَ بِتَنْظِيفِ  
 الرَّأْسِ، وَأَنْفَذَهُ إِلَى طَلِيظَةَ، إِلَى وَلَدِ الْمَهْدِيِّ عُبَيْدِ اللَّهِ؛ فَأَعْظَمَ قَتْلَ أَبِيهِ  
 وَدَفَعَ بَيْعَةَ هِشَامِ. وَكَانَ بِعَسْكَرِ سُلَيْمَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَتْيُوه<sup>(٢)</sup>، فَلَمَّا  
 بَلَغَهُ مَهْلِكُ الْمَهْدِيِّ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ عَدُوَّهُ، كَاتَبَ وَاضِحًا وَتَوَقَّقَ لَهُ، فَهَرَبَ  
 إِلَى قَرْطُبَةَ، فَدَبَّرَ أَمْرَ هِشَامِ مُدَّةً بَعْدَ قَتْلِ وَاضِحٍ وَعَلَى بْنِ وَدَاعَةَ فِي أَخْبَارِ  
 طَوِيلَةٍ، إِلَى أَنْ ضَعُفَ أَمْرُ هِشَامِ. وَدَخَلَ عَلَيْهِ سُلَيْمَانُ دَوْلَتَهُ الْأَخِيرَةَ، وَدَبَّرَ  
 قَرْطُبَةَ، إِلَى أَنْ وَقَعَ لَهُ مَعَ عَلِيِّ بْنِ حَمُودٍ مَا وَصَفْنَاهُ. انْتَهَى مَا لَخَّصْتُهُ مِنْ  
 كَلَامِ ابْنِ حَيَّانَ.

قال أبو الحسن بن بسام: وكان سليمان ممن مدت له في الأدب غاية،

(١) ره ر — ب: «مهوه» — لب: «منهوه» — ر: «منيرة»

والتصحيح عن ابن الخطيب: «أعمال الأعلام» (ص ٢٠٤)

كفى دُونَهَا أَهْلَ الآدَابِ ، وَرُفِعَتْ لَهُ فِي الشَّعْرِ رَايَةٌ ، مَشَى تَحْتَهَا كَثِيرٌ مِنْ  
الشَّعْرَاءِ وَالْكَتَّابِ ؛ غَيْرَ أَنَّ أَيَّامَ الْفُتُونِ أَلَوَتْ بِذِكْرِهِ ، وَأَيْدِي تِلْكَ الْحَرْبِ  
الزَّبُونِ طَوَتْ بِجُمْلَةِ شِعْرِهِ ! وَهُوَ أَحَدُ مَنْ شَرَفَ الشَّعْرُ بِاسْمِهِ ، وَتَصَرَّفَ  
عَلَى حُكْمِهِ ؛ مَعَ قُعُودِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ يَوْمَئِذٍ عَنِ الْبَحْثِ عَنِ مَنَاقِبِ عَظَمَائِهِمْ ،  
وَزَهْدِهِمْ فِي الْإِشَادَةِ بِمَرَاتِبِ زَعَمَائِهِمْ <sup>(١)</sup> . وَلَمْ أَظْفِرْ لَهُ <sup>(٢)</sup> إِلَّا بِقِطْعَةٍ عَارِضٍ بِهَا  
هَارُونَ الرَّشِيدُ فَتَشَعَّشَعَتْ بِهَا الْكُؤُوسُ ، وَتَهَادَّتْهَا الْأَنْفَاسُ وَالنُّفُوسُ . وَقَدْ  
أَثَبَتْ الْقِطْعَتَيْنِ مَعًا لِيُرَى الْفَرْقُ ، وَيُعْرَفَ الْحَقُّ . قَالَ هَارُونُ الرَّشِيدُ :

مَلَكَ الثَّلَاثُ الْآنِسَاتُ عِنْدَانِي      وَحَلَلَنَ مِنْ قَلْبِي بِكُلِّ مَكَانٍ  
مَالِي تُطَاوَعُنِي الْبَرِيَّةُ كَأَنَّهَا      وَأَطِيعُهُنَّ ، وَهُنَّ فِي عَضَائِي !  
مَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ سُلْطَانَ الْهَوَى      — وَبِهِ قَوَيْنَ — أَعَزُّ مِنْ سُلْطَانِي <sup>(٣)</sup>

فَقَالَ سُلَيْمَانُ الْمُسْتَعِينُ :

عَجَبًا ! يَهَابُ اللَّيْثُ حَدَّ سِنَانِي      وَأَهَابُ لَحْظَ فَوَاتِرِ الْأَجْفَانِ  
فَأَقَارِعُ الْأَهْوَالِ <sup>(٤)</sup> لَا مُتَهَيَّبًا      مِنْهَا سِوَى الْإِعْرَاضِ وَالْمَهْجَرَانِ  
وَتَمَلَّكَتْ نَفْسِي ثَلَاثُ كَالذَّمَى      زَهْرُ الْوُجُوهِ نَوَاعِمِ الْأَبْدَانِ  
كَكُؤَاكِبِ الظُّلَمَاءِ لِحْنِ لِنَاظِرِي <sup>(٥)</sup>      مِنْ فَوْقِ أَعْصَانِ عَلِيٍّ كُثْبَانِ  
هَذِي الْهَالِلُ ، وَتِلْكَ بِنْتُ الْمُشْتَرِي      حُسْنًا ، وَهَذِي أُخْتُ غُضْنِ الْبَانِ  
حَاكَمْتُ فِيهِنَّ الشُّلُوءَ إِلَى الصَّبَا      فَقَضَى بِسُلْطَانِي عَلَى سُلْطَانِي  
فَأَبْحَنَ مِنْ قَلْبِي الْحِمَى وَتَرَ كُنْفِي      فِي عِزِّ مُلْكِي كَالْأَسِيرِ الْعَانِي

(١) يوجد تقديم وتأخير في هذه الجملة في ب ، لب — ز في ب ، لب : « عني على

كثير من جلاله قدره » (٢) ز في ر : « حين نقل هذه النسخة المقررة من هذا

المجموع في وقتي المورخ » (٣) هذه الأبيات منسوبة أيضاً إلى العباس بن الأحنف ،

راجع ديوانه (ص ١٦٢) (٤) ر : « الأبطال » (٥) ب : « لناظري »

لا تَعْدِلُوا مَلِكًا تَدَلَّ لِلْهَوَىٰ ذُلُّ الْهَوَىٰ عِزُّ وَمُلْكُ ثَانِي  
 مَا ضَرَّ أُنَىٰ عَبْدُهُنَّ صَبَابَةٌ وَبَنُو الزَّمَانِ وَهَنٌ مِنْ عَبْدَانِي  
 إِنْ لَمْ أُطِيعْ فِيهِنَّ سُلْطَانَ الْهَوَىٰ كَلَفْنَا بِهِنَّ فَاسْتُ مِنْ مَرْوَانَ (١)

فَصَلِّ فِي ذِكْرِ الْمُسْتَظْهِرِ بِاللَّهِ أَبِي الْمَطْرَفِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ

ابن هشام بن عبد الجبار الناصري، وشرح مقتله،

وإيراد جملة من أشعاره، مع ما يتعلق بها

وينخرط في سلكها من مستظرف أخباره

قال أبو الحسن: نقلت من خط أبي مروان بن حيان قال: كان

عبد الرحمن هذا ليقاً ذكياً، وأديباً لودعياً؛ لم يكن في بيته يومئذ أبرع

منه منزلة، وكان قد نقلته المخاوف، وتقادت به الأسفار، فتحنك وتخرج

وتمرن فيها، وكاد يستولي على الأمر لو أن العناية (٢) أنساته. وكان عاد إلى

قرطبة بعد تجواله؛ فدخلها مستخفياً أيام القاسم بن حمود، وقد اضطرب

سلطانه بها؛ فشهد الفتنة الحادثة بين البرابرة وأهلها، وهم فيها بالوثوب،

وبت دعائه إلى أهلها. فلم يصح له شيء مما أراد، وأنكر الوزراء المدبرون

قرطبة أمره؛ فتجدوا (٣) لطلبه وطلبت دعائه، وسجنوا ولم يخرجوا من

(١) ترتيب البيت الأخيرين معكوس في ر

(٢) ب، لب « الليلي » (٣) ب: « فتجدوا »

الْحَبْسِ الْيَوْمَ جُلُوسِ صَاحِبِهِمْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ هَذَا لِلْإِمَارَةِ؛ فَبَقِيَ مُسْتَخْفِيًا، وَهُوَ  
يُدَبُّ الضَّرَاءَ فِي الدُّعَاءِ إِلَى نَفْسِهِ، إِلَى أَنْ أَعْلَقُوهُ بِالشُّورَى عِنْدَ إِيقَاعِهَا فِي ذَلِكَ  
الْوَقْتِ لظُهُورِ بَرَاعَتِهِ، وَأَجْمَعُوا عَلَيْهِ وَعَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ الْمُرْتَضَى، وَعَلَى مُحَمَّدِ  
ابْنِ الْعِرَاقِيِّ. فَتُقَدَّمُ فِي إِحْضَارِ الْخَاصَّةِ<sup>(١)</sup> وَالْجُنْدِ وَالْعَامَّةِ بِالْمَسْجِدِ الْجَامِعِ  
لِمُشَاهَدَةِ بَيْعَةِ مَنْ يُخْتَارُ مِنْ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ الْأُمَرَاءِ لِلْخِلَافَةِ، فَعَدَا النَّاسُ لَذَلِكَ  
عَلَى طَبَقَاتِهِمْ.

- قال ابن حبان: وكنتُ فيمن حَضَرَ المَقْصُورَةَ يَوْمَئِذٍ فكان أولُ من  
وَأَفَى مِنْهُمْ سُلَيْمَانَ بْنَ الْمُرْتَضَى، جَاءَ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْوَزِيرِ فِي أُبْهَةِ  
وَشَارَةَ دَلَّتْ عَلَى الْمُرَادِ فِيهِ؛ فَدَخَلَ مِنْ بَابِ الْوُزَرَاءِ الْعَرَبِيِّ وَالشُّرُورُ بِإِذْنِهِ،  
فَاسْتَقْبَلَهُ أَصْحَابُهُ وَقَدَّمُوهُ إِلَى بَيْتِ السَّابِاطِ؛ فَأَجْلَسَ هُنَاكَ عَلَى مَرْتَبَةٍ لَا تَصْلُحُ  
لِأَحَدٍ سِوَاهُ، وَهُوَ يَهْجُ جَذْلَانُ، لَا يَشْكُ فِي تَمَامِ الْأَمْرِ لَهُ، وَأَصْحَابُهُ يَرْتَقِبُونَ  
بِحُجَى أَبِي عَمِّهِ الْمَذْكَورِينَ — وَقَدْ أَبْطَأَ — كَيْفًا يُحْصَلُوهَا عِنْدَهُ. فَبَيْنَمَا نَحْنُ عَلَى  
ذَلِكَ، وَالْقَلْقُ عَلَى الْقَوْمِ بِإِذْنِهِ، إِذْ غَشِيَتْنَا ضَجَّةٌ وَزَعَقَةٌ هَائِلَةٌ أُرْتَجَّ لَهَا الْجَامِعُ  
وَاضْطَرَبَ لَهَا مَنْ بِالْمَقْصُورَةِ. فَإِذَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ هِشَامٍ قَدْ وَافَى شَرْقِيَّ  
الْجَامِعِ<sup>(٢)</sup>، فِي خَلْقٍ عَظِيمٍ مِنَ الْجُنْدِ وَالْعَامَّةِ، وَقَدْ تَكَنَّفَهُ أَمِيرُ الدَّائِرَةِ  
مُحَمَّدُ وَعُمَيْرٌ فِي رِجَالِهِمَا، شَاهِرِينَ سَيْفَيْهِمَا أَمَامَهُ، لَهَجِينَ<sup>(٣)</sup> بِاسْمِهِ؛ فَرَاعَ الْوُزَرَاءُ  
ذَلِكَ وَالْقَوْمَ الْوَقْتَ بِأَيْدِيهِمْ وَخَدَلْتَهُمْ حَيْلُهُمْ، وَدَخَلَ الْمَقْصُورَةَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ  
فَبَوَّيَعَ لَوْقَتِهِ. وَاسْتَدْعَى سُلَيْمَانَ بْنَ الْمُرْتَضَى وَجِيءَ بِهِ مَبْهُوتًا فَقَبَّلَ يَدَهُ،  
وَهَنَأَهُ فَأَجْلَسَهُ إِلَى جَنْبِهِ، ثُمَّ وَافَى مُحَمَّدُ بْنُ الْعِرَاقِيِّ أَيْضًا فَقَبَّلَ يَدَهُ وَبَايَعَهُ، ثُمَّ  
عُقِدَتْ لَهُ الْبَيْعَةُ، وَذَلِكَ الْيَوْمَ الرَّابِعَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ أَرْبَعِ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِينَ.

(١) ر: «الجماعة» (٢) به في ر (٣) ب، لب: «هاتين»

- وكان أحمد بن بُرْدٍ قد تقدّم في عقدها باسم سليمان بن المرتضى فبشره  
 وحكّ اسمه ، وكتب اسم عبد الرحمن مكانه ، فكان ذلك من عجائب الدنيا .  
 ثم ركب وحمل مع نفسه ابني عمه سليمان وابن العراق فاحتبسهما عنده  
 وأنسهما وظهرت من عبد الرحمن لوقته عرامة <sup>(١)</sup> . وكان فتى لو أخطأته  
 المتألف . وكان استقلّ بما طلبه من السلطان جزأة وصرامة ، وركب أعناق  
 الخطوب وقد اعتاصت فأزدته . وكان رفع مقادير مشيخة الوزراء من  
 بقايا مواليه بني مروان ، منهم أحمد بن بُرْدٍ وجماعة من الأعمار ، وكانوا عصاة  
 يحلّ بها الفناء ، ويذهب بها العجب : قدّمهم على سائر رجاله فأحقد بهم أهل  
 السياسة ، فانقضت دولته سريعا ؛ منهم أبو عامر بن شهيد فتى الطوائف ،  
 كان بقرطبة في رفته وبراعته وظرفه خليعها المنهك في بطالته ، وأعجب  
 الناس تفاوتاً ما بين قوله وفعله ، وأحطهم في هوى نفسه ، وأهتكمهم لعرضه ،  
 وأجرأهم على خالقه . ومنهم أبو محمد بن حزم ، وعبد الوهاب ابن عمه ، وكلاهما  
 من أكمل فتيان الزمان فهما ومعرفة ونفاذاً في العلوم الرفيعة .
- وأقرّ المستظهر يومئذ على مراتب الخدمة طوائف ؛ منهم خدمة المدينة  
 الزهراء والزاهرة ، وخدمة كتابة التعقب والمحاسبة ، وخدمة الحشم ، وخدمة  
 التقطع بالناض والطعام <sup>(٢)</sup> ، وخدمة مواريث <sup>(٣)</sup> الخاصة ، وخدمة الطراز ،  
 وخدمة المباني ، وخدمة الأسلحة وما يجرى مجراها ، وخدمة الخزانة  
 للقبض والتفقة ، وخدمة الهراية والقبض والدفع ، وخدمة الوثائق ورفع كتب  
 المظالم ، وخدمة خزانة الطب والحكمة ، وخدمة الأنزال والتزائل . وخدمة  
 أحكام السوق .

(١) ر : « صرامة » (٢) به في ر (٣) ر : « مراتب »



قال أبو الحسن : ولكل لقب من أصناف<sup>(١)</sup> هذه الخدمة جماعاتُ  
سمّاهم أبو مروان بن حيان في كتابه . ثم قال : وهذا زخرفٌ من التسطيرِ وُضع  
على غير حاصل ، ومراتبُ نُصبتْ لغير طائل ، تنافسها طالبوها يومئذ بالأمل  
فلم يخلوا<sup>(٢)</sup> منها بنائل ؛ ولا قبضوا منها مرتزقا ، ولا نالوا بها مرتقا ؛ وغرهم  
بارقُ الطمعِ وسطَ بلدٍ محصور ، وعملُ معصوب ، وخرابُ مُستول ، ومع سلطانٍ  
فقير ، لا يقعُ بيدهِ درهمٌ إلا من صبابةٍ مُستغللِ جوفِ المدينة ، أو نهبِ مغلولٍ  
ممن تقلقل عنها ؛ يُقيمُ منها رمتَه ، ويُفرقُ جملته على من تكفئه من جندهِ  
ودائريه ، ويتطرقُ إلى ما يقبضُ من ظلمِ رعيته ؛ فلم يلبث الأمرُ أن تفرّى به  
فسفك دمه ، وانحسم الأملُ من دولته . وكان قد بادر في الإرسالِ عن جماعةٍ  
من وزرائه ، فلما حصل جميعهم عنده قبض عليهم وصادرهم على أموالِ لضر وفهم  
عنه ، وطالبتهم نجاجُ الضاغطِ يومئذٍ عنها . وكان قد استرجحه خاصة الناسِ وذوؤ  
الحجبا منهم في القبضِ على هؤلاء الوزراء ، واستبطنوا إبادته لهم ورجوا أستظهاره  
على الأمرِ بإزالتهم ، وسلامة تدييره من اعتراضهم ، وكان قد أخرج رُسله إلى  
جماعة الرؤساء بالأندلسِ يلبسُ البيعة ، ويستنفِرُ الكافة ، ويدعو إلى كرامةِ  
الدولة ؛ فأخفق ما طلبه وعوجل ، ولما تقبض الأجابة رُسله ، واضمحَل أمره ،  
والبقاء لله وحده !

وكان أيضا مما حرك الناس عليه استهدافه إلى أهل بيته من ولد الناصر ،  
ومبادرتُه لجنسِ سليمان بن المرتضى وابن العراق اللذكوريين ، وتجاوزهما إلى  
نقر غيرهما اعتقل بعضا وطلب بعضا ، حتى شملهم الخوف ؛ فبعث الله عليه من  
جرأة صاحبه بكر بن محمد بن المشاط الرُعيني داهية أدنته من حمامه ، وسعى  
٢٠

(١) ر : « أنواع » (٢) ر : « يخلوا »

إلى أن وثب عليه محمد بن عبد الرحمن المستكفي، وأحس المستظهر بشيء من ذلك فطلبه، فأعجزه؛ ولم يزل السعي عليه حتى قتل.

### ذِكْرُ الْخَبَرِ عَنِ كَيْفِيَّةِ مَقْتَلِهِ

قال ابن حبان: وكان سبب ذلك أن حسن رأيه في ابن عمران — أحد الرهط الذين كان سجنهم — فأخرجته، فقال له بعض أصحابه: إن مشى ابن عمران في غير سجنك باعاً، بتر<sup>(١)</sup> من عمرِكَ عاماً! فعصاه المستظهر فيه لغالب هواه، فحاق به في الثالث رذاه؛ وكان ورد عليه قبل إطلاقه بيومين فوارس من البربر، فكرم مساوئهم وأنزلهم معه في دار الملك، فأحتاج لذلك الدائرة وقالوا للامة: نحن الذين قهرنا البرابرة وطردها عن قرطبة، وهذا الرجل يسعى في ردهم إلينا، وتمكينهم من نواصينا؛ فهاجوا الامة، فوثبوا عليه بالقصر، وقتل البرابرة حيث وجدوا. ولم يشعر عبد الرحمن إلا والرجالة قد انتشروا على سقف القصر، وسمع المسجونون عنده هتاف الناس فاستغاثوهم، فدقوا الأغلاق<sup>(٢)</sup> دونهم، واختلط بالحرم؛ فعلم عبد الرحمن أنه مقتول. وأحيط به من كل جهة؛ فاستغاث الوزراء: ابن جهور ولتمته، فلم يجدوا له مناصاً ولا خلاصاً، ولا يصدقون بنجاة أنفسهم وقد ذهلوا عنه بالحيلة في تخليصهم؛ فأشار عليهم الدائرة<sup>١٥</sup> الفسمة بتركه، والذهاب عنه؛ فجعل الوزراء يتسللون عنه واحداً بعد واحد إلى أن أفردوه. فنجاة الامة من تعجل الفرار من الوزراء وأهل الخدمة على باب الحمام من القصر فاهتدى إليه الدائرة، وأحلوا بمن خرج منه الفارقة؛ منهم أحمد بن بسيل متقلد المدينة، قتل يومئذ. وجاء عبد الرحمن إلى ذلك الباب

(١) ب: «تر» (٢) ر: «الأغلاق»

يَطْمَعُ فِي الْخُرُوجِ ؛ فَمَقَامُ الدَّائِرَةِ فِي وَجْهِهِ وَزَرْقُوهُ وَهُمْ يَسُبُّونَهُ ؛ فَارْتَدَّ عَلَى عَقْبِهِ ،  
وَتَرَجَّلَ عَنْ فَرَسِهِ ، وَتَجَرَّدَ مِنْ ثِيَابِهِ ، حَتَّى بَقِيَ فِي قَمِيصِهِ ؛ وَاسْتَخْفَى فِي أَبْرَنِ (١)  
الْحَمَامِ ، فَفَقِدَ شَخْصَهُ ؛ وَاسْتَخْفَى الْبَرَابِرَةَ فِي الْحَمَامِ وَفِي أَكْنَافِ الْقَصْرِ فَبُحِثَ  
عَنْهُمْ وَقُتِلُوا . وَوَلَدَ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ بِالْجَامِعِ فَقَتَلُوا فِيهِ ؛ وَفُضِحَ حَرِيمُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ  
وَسَبِيَ أَكْثَرُهُنَّ الدَّائِرَةُ وَحَمَلُوهُنَّ إِلَى مَنَازِلِهِمْ عَلَانِيَةً . وَجَرَى عَلَيْهِنَّ مَا لَمْ  
يَجْرَى عَلَى حُرَمِ سُلْطَانٍ فِي مُدَّةِ تِلْكَ الْفِتْنَةِ .

قال : ولما فُقدَ شَخْصُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ظَهَرَ ابْنُ عَمِّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ  
عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ النَّاصِرِ السَّامِيِّ عَلَيْهِ فِي الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ مُتَطَهِّرًا (٢) فِيهِ فَهَتَفَ  
الدَّائِرَةَ بِأَسْمِهِ ، وَأَتَهَوَّأَ بِهِ إِلَى دَارِ الْمَلِكِ ، فَإِذَا هِيَ بِبَلَاغِهَا ؛ فَأَجْلَسُوهُ فِي مَجْلِسِهَا  
الْقَبْلِيِّ مَبْهُوتًا (٣) . وَقَامَ الْفَاسِقَانِ (٤) مُحَمَّدٌ وَعُمَيْرٌ عَلَى رَأْسِهِ بِالشُّيُوفِ مَقَامَهُمَا  
بِالْأُمْسِ عَلَى رَأْسِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ عَمِّهِ وَتَكَاثَرَتِ الدَّائِرَةُ وَالْعَامَّةُ عَلَيْهِ . وَافْتَقَدَ  
عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْمُسْتَظْهِرُ فَوَجَدُوهُ فِي أَبْرَنِ (٥) الْحَمَامِ قَدْ أَنْطَوَى أَنْطَوَاءَ الْحَيَةِ فِي  
مَكَانٍ حَرَجٍ ، فَأَخْرَجَ فِي قَمِيصٍ مُسْوَدٍّ بِحَالٍ قَبِيحَةٍ ؛ وَجِئَ بِهِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ  
عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُسْتَظْهِرِ وَقَدْ بُويعَ يَوْمَ السَّبْتِ الثَّلَاثِ مِنْ ذِي قَعْدَةِ سَنَةِ أَرْبَعِ عَشْرَةَ  
وَأَرْبَعِينَ (٦) ؛ فَبَطَّشَ بِهِ بَعْضُ الرَّجَالَةِ الْقَائِمِينَ عَلَى رَأْسِهِ ، فَتَهَلَّلَ وَجْهُ ابْنِ عَمِّهِ ،  
وَأَخَذَ فِي تَدْيِيرِ سُلْطَانِهِ . فَكَانَتْ إِمَارَةُ الْمُسْتَظْهِرِ — إِلَى أَنْ قُتِلَ — سَبْعَةَ  
وَأَرْبَعِينَ يَوْمًا لَمْ تَنْتَشِرْ لَهُ فِيهَا طَاعَةٌ ، وَلَا أُلْتَأَمَتْ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ ؛ وَلَا تَجَاوَزَتْ  
دَعْوَتُهُ قَرْطَبَةَ . وَكَانَ سِنُّهُ يَوْمَ قُتِلَ ثَلَاثًا وَعِشْرِينَ سَنَةً .

(١) ب ، لب ، « أتون » (٢) ر : « مخفيا » (٣) ب : « مهبوبا »

(٤) ر : « الدائران » (٥) ب ، لب : « أتون »

(٦) لم تقع هذه الجملة إلا في ر

وكان على حدائثه سنه ذكياً يقظاً لبيباً أديباً حسن الكلام جيد القريحة  
مليح البلاغة يتصرف فيما شاءه من الخطابة بديهية وروية ، ويصوغ قطعاً من  
الشعر مستجادة . وقد اقتضب بحضرة الوزراء في أيامه عدة رسائل وتوقيعات  
لم يقصر فيها عن الغاية ، يزين ذلك بطهارة أثواب وغفة وبراة من شرب  
النبيذ سراً وعلانية . وكان في وقته نسيج وحده ، ختم به فضلاء أهل بيته  
الناصريين ، فلم يأت بعده مثله .

وهذه جملة ما وجد له من شعره : من ذلك قصيدة كتبت بها إلى مُشَنَّفِ  
زَوْجِ سُلَيْمَانَ بْنِ الْحَكَمِ ، أَيَّامَ خَطْبِ بِنْتِهَا مِنْ سُلَيْمَانَ الْمَسَامَةِ حَبِيبَةِ فُلُوتَهُ ؛  
وكان بقلبه من هذه الأبنية مكانُ لِنَشَأَتِهَا مَعَا فِي ذَلِكَ الْأَوَانِ ؛ يقول فيها :

|  |  |    |
|--|--|----|
| وَجَالِبَةٍ عُدْرًا لَتَصْرِفَ رَغْبَتِي           | وَتَأْتِي الْمَعَالِي أَنْ تُجَيِّزَ لَهَا عُدْرًا | ١٠ |
| يُكَلِّفُهَا الْأَهْلُونَ رَدَى جِهَالَةٍ          | وَهَلْ حَسَنٌ بِالشَّمْسِ أَنْ تَمْنَعَ الْبَدْرًا |    |
| وَمَاذَا عَلَى أُمِّ الْحَبِيبَةِ إِذْ رَأَتْ      | جَلَالَهَ قَدْرِي أَنْ أَكُونَ لَهَا صَهْرًا       |    |
| جَعَلَتْ لَهَا شَرْطًا عَلَى تَعْبُدِي             | وَسَقَتْ لِيهَا فِي الْهَوَى مُهَجَّتِي مَهْرًا    |    |
| تَعَلَّقْتُهَا مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ غَرِيرَةٍ (١)    | مُحَدَّرَةٍ مِنْ صَيْدٍ (٢) آبَاءُهَا غَرًّا       |    |
| حَمَامَةٌ عَشَّ (٣) الْعَبْشَمِيِّينَ رَفَرَفَتْ   | فَطَرْتُ لِيهَا مِنْ سِرَاتِهِمْ صَقْرًا           | ١٥ |
| لَقَدْ طَالَ صَوْمُ الْحُبِّ عَنكَ فَمَا الَّذِي   | يَضُرُّكَ مِنْهُ أَنْ تَكُونِي لَهُ فِطْرًا        |    |
| وَإِنِّي لِأَسْتَشْفِي بِمَرِّ بَدَارِكُمْ         | هُدُوءًا وَأَسْتَسْقِي لِسَا كِنِهَا الْقَطْرًا    |    |
| وَأَلِصُّ أَحْشَائِي بِبَرْدِ تَرَابِهَا           | لِأَطْفِي مِنْ نَارِ الْأَسَى بِكُمْ جَمْرًا       |    |
| فَإِنْ تَصْرِفِينِي يَا ابْنَةَ الْعَمِّ تَصْرِفِي | — وَعَيْشِكِ! — كَمَا مَدَّ رَغْبَتَهُ سِتْرًا     |    |
| وَإِنِّي لِأَرْجُو أَنْ أُطَوِّقَ مَفْخَرِي        | بِمِلْكِي لَهَا وَهِيَ الَّتِي عَظَّمْتَ فِخْرًا   | ٢٠ |

(١) ب ، لب : « غزيرة » (٢) ر : « صبر »

(٣) ر : « عيش » — ب ، لب : « بيت »

وَإِنِّي لَطَعَانُ إِذَا الْخَيْلُ أَقْبَلَتْ      جَرَانِدُهَا<sup>(١)</sup> حَتَّى تَرَى جُونَهَا شُقْرًا  
وَإِنِّي لِأَوْلَى النَّاسِ مِنْ قَوْمِهَا بِهَا      وَأَنْسِبُهُمْ ذِكْرًا وَأَرْفَعُهُمْ قَدْرًا  
وَعِنْدِي مَا يُضِيهِ الْحَلِيمَةَ ثَبِيًّا      وَيُنْسِي الْفَتَاةَ الْخَوْدَ عُدْرَتَهَا الْبِكْرًا  
جَمَالٌ وَآدَابٌ وَخُلُقٌ مُوَطَّأٌ      وَلَقَطُ إِذَا مَا شِئْتَ أَسْمَعُكَ السَّحْرَا

وإنه لمحبها يومًا وأومأ بالسلام ، فلم تردده عليه خجلًا ، فسكتب إليها :

سَلَامٌ عَلَى مَنْ لَمْ يَجِدْ بِكَلَامِهِ      وَلَمْ يَرِنِّي أَهْلًا لِرَدِّ سَلَامِهِ  
سَلَامٌ عَلَى الرَّامِي<sup>(٢)</sup> الَّذِي كَلَّمَ رَمِي      أَصَابَ فُوَادِي عَامِدًا بِسِهَامِهِ  
بِنَفْسِي حَبِيبٌ لَمْ يَجِدْ لِمُحِبِّهِ      بِطَيْفِ خَيْالِ زَائِرٍ فِي مَنَامِهِ  
أَلَمْ تَعْلَمِي يَا عَدْبَةَ الْأَسْمِ<sup>(٣)</sup> أَنَّنِي      فَتَى فِيكَ مَخْلُوعٌ عِدَارُ لِحَامِهِ  
وَأَنِّي وَفِي حَافِظٍ لِأَذِيَّتِي      إِذَا لَمْ يَقُلْ غَيْرِي بِحِفْظِ ذِمَامِهِ  
يُبَشِّرُ ذَلِكَ الشَّعْرُ شِعْرِي أَنَّهُ      سَيُوصَلُ حَبْلِي بَعْدَ طُولِ أَنْصَرَامِهِ  
وَمَا شَكَ طَرْفِي أَنْ طَرْفَكَ مُسْعِدِي      وَمَنْعَدُ<sup>(٤)</sup> قَلْبِي مِنْ حَبَالِ غَرَامِهِ  
عَلَيْكَ سَلَامٌ اللَّهُ مِنْ ذِي تَحِيَّةٍ      وَإِنْ كَانَ هَذَا زَائِدًا فِي أَجْتِرَامِهِ<sup>(٥)</sup>

وله فيها أيضًا :

تَبَسَّمَ عَن دُرٍّ تَنْصَدَ فِي الْوَرَسِ      وَأَسْفَرَ عَن وَجْهِ يَتِيَهُ عَلَى الشَّمْسِ<sup>(٦)</sup>  
غَزَالٌ بَرَاهُ اللَّهُ مِنْ نُورِ عَرْشِهِ      لِتَقْطِيعِ أَنْفَاسِي وَلَيْسَ مِنَ الْإِنْسِ  
وَهَبْتُ لَهُ مُلْكِي وَرُوحِي وَمُهْجَتِي      وَنَفْسِي وَلَا شَيْءَ أَعَزَّ مِنَ النَّفْسِ

(١) ر : « جوائدها » ؛ ب ، لب « جرايرها »

(٢) ر « الظبي » (٣) ب ، لب « الماء »

(٤) ب ، لب « منعقد » (٥) ر : « احترامه »

(٦) ب ، لب : « ينوب عن »

وهو القائل :

طَالَ عُمُرُ اللَّيْلِ عِنْدِي مُذْ تَوَاعَتِ بِصَدْيِ  
يَا غَزَا لَأَنْقَضَ الْوَدَّ مَ وَلَمْ يُوفِ بِعَهْدِي  
أَنْسَيْتِ الْعَهْدَ إِذْ بَشَّنَا عَلَى مِفْرَشِ<sup>(١)</sup> وَرَدِ  
وَأَجْتَمَعْنَا فِي وَشَاحٍ وَأَنْتَظَمْنَا نَظْمَ عَقْدِ  
وَتَعَانَقْنَا كَغُضْنَيْنِ وَقَدَّانَا كَقَدِّ  
وَنُجُومِ اللَّيْلِ تَحْكِي ذَهَبًا فِي لَأَزُورِدِ!

وَرَفَعَ إِلَيْهِ شَاعِرٌ مِمَّنْ هُنَا بِالْخِلَافَةِ يَوْمَ بَيْعَتِهِ<sup>(٢)</sup> شِعْرًا لَهُ كَتَبَهُ فِي رَقٍّ  
مَبْشُورٍ ، وَاعْتَدَرَ مِنْ ذَلِكَ بِهَيْدِنِ الْبَيْتَيْنِ :

الرَّقِّ<sup>(٣)</sup> مَبْشُورٌ وَفِيهِ بَشَارَةٌ بَيَقَا الْإِمَامِ الْفَاضِلِ الْمُسْتَظْهِرِ ١٠  
مَلِكٌ أَعَادَ الْعَيْشَ غَضًّا شَخْصُهُ<sup>(٤)</sup> وَكَذَا يَكُونُ بِهِ طَوَالَ الْأَذْهِرِ<sup>(٥)</sup>

فَأَجْزَلَ الْمُسْتَظْهِرِ بِاللَّهِ صَلَاتُهُ ، وَوَقَعَ لَهُ عَلَى ظَهْرِ رُقْعَتِهِ بِهَذِهِ الْأَيَاتِ :

قَبَلْنَا الْمُذْرَ فِي بَشْرِ الْكِتَابِ لِمَا أَحْكَمْتَ مِنْ قَضَلِ<sup>(٦)</sup> الْخِطَابِ ١٥  
وَجَدْنَا بِالْجِزَاءِ بِمَا لَدَيْنَا عَلَى قَدْرِ الْوُجُودِ بِلَا حِسَابِ  
فَنَحْنُ الْمُنْعَمُونَ إِذَا قَدَرْنَا وَنَحْنُ الْغَافِرُونَ<sup>(٧)</sup> أَدَى<sup>(٨)</sup> الذَّنَابِ  
وَنَحْنُ الْمُطَاعُونَ بِلَا أَمْتِرَاءِ شُمُوسِ الْمَجْدِ مِنْ فَالِكِ الثَّوَابِ

(١) ب : « معرش » (٢) ب : « بئنه »

(٣) موه (ج ١ ص ٣٢٠) : « الطرس » (٤) موه : « ملكه »

(٥) موه : « الأعصر » (٦) ب : « فضل » (٧) ب : « المغفرون »

(٨) ر : « أزر » ؛ وفي « البيان المغرب » (ج ٣ ص ١٤٠) : « لدى الرئاب »

وهو القائل أيضاً — زَعَمُوا — يَوْمَ الوُثُوبِ عَلَيْهِ (١) :

يَا أَيُّهَا القَمَرُ المُمَيِّزُ      كُنْ نَحْوَ شِبْهِكَ لِي سَفِيرُ  
بِتَحِيَّةٍ      أودعها شوقاً بُنَيَاتِ الصُّدُورِ

\*\*\*

- ٥ انتهت ما وجدناه من أشعار بني أمية القاطنين من أول المائة الخامسة من الهجرة ابتداء من تاريخ هذا الديوان . وشرحنا بعض ما تعلق بذلك من خطب ، وأندرج أثناءه من ذكر حرب .

ونتلوه بذكر من تقدم زمانه ، واشتهر إحسانه ، وملاً السامع والمجامع بياناً ؛ وسار في المغارب والمشارق ذكره وشأنه ، وملاً ظهور السباسب وبطون التهارق سماعه وعيانه .

١٠

فصل في ذكر الأديب أبي عمر (٢) أحمد بن دراج القسطلي وإثبات جملة من نظم الفائق الدرر ، ونثره المعجز الورد والصدر ، واجتلاب ما يتعلق به ويتصل بسببه من خبر .

- قال ابن بسام : كان أبو عمر القسطلي وقتة لسان الجزيرة شاعراً وأولاً حين عدّ معاصريه من شعرائها المشهورة ؛ وآخر حاملي لوائها ، وبهجة أرضها وسماها ، وأسوة كتابها وشعرائها ؛ له عقد نغرها المحمول وسهم ، وبه بديء ذكرها الجميل وختم ؛ حل اسمها من الأمانى محل الأنس ، وسار نظمه

(١) ب ، لب : « وله مما قاله زعموا يوم وثوب البرابرة عليه بالناثرة التي أمرت إلى قتله »

(٢) ر : « عمرو »

ونثره في الأفاصي والأداني مسير الشمس؛ وأحد من تضاءلت الآفاق عن  
جلالة قدره، وكانت الشام والعراق أدنى خطي ذكره.

وقد أجرى الشعالي طرفاً من أمره، وأغرب بلع من شعره؛ فقال في  
كتابه المترجم بـ «اليتيمة»: «بلغني أن أبا عمر القسطلي كان عندهم بضعة  
الأندلس كالمتمني بضعة الشام؛ وهو أحد شعرائهم الفحول هنالك. وكان  
يُحيد ما ينظم<sup>(١)</sup>. انتهى كلام الشعالي.

وإنما ذكرته أنا — وكان من شعراء ابن أبي عامر — لأنه تراخت أيامه،  
وأغضى عنه حمائه، حتى أخرجته المحن، وسالت به تلك الفتن، الكائنة صدر  
المائة الخامسة من الهجرة.

وذكره ابن حبان مُعجِباً من أخباره، مُعرباً عن جلالته مقداره؛ فقال:  
وأبو عمر القسطلي سباق حلبة الشعراء العامريين، وخاتمة مُحسني أهل الأندلس  
أجمعين. وكان ممن طرحت به تلك الفتنة الشنعاء، واضطرتُّه إلى النجعة،  
فاستقرى ملوكها أجمعين، ما بين الجزيرة الخضراء، فسرقسطة من الثغر الأعلى؛  
يهزُّ كلاً بمدحيه، ويستعينهم<sup>(٢)</sup> على نكبتهم، وليس منهم من يُضغى له، ولا  
يُحفظ ما أُضيع من حقه، وأرخص من علقه<sup>(٣)</sup>؛ وهو يُخبطهم خبط العَصاة  
بمقوله، فيصمّون عنه، إلى أن مرَّ بعقوة مُنذر بن يحيى أمير سرقسطة، فألقى  
عصاه سيره عند من بواه، ورحب به وأوسع قراه؛ فلم يزل عنده، وعند ابنته  
بعده، مادحاً لهما، مُثنيّاً عليهما، رافعاً من ذكرهما، غير باغٍ بدلاً بجوارهما،  
إلى أن مضى بسبيله، بعد أن جرت له رحمة الله، على إحسانه الباهر، في فتنة

(١) راجع «اليتيمة» (ج ٢ ص ٩٠) (٢) ب، لب: «يستعينهم»

(٣) ر: «عقله»



البرابر مع أملاك الجزيرة ، في طول الأعتراب والتنجعة ، أخبار شاقة ، فيها  
لدى اللب موعظة بالغة<sup>(١)</sup> .

وذكره أيضاً أبو عامر بن شهيد فقال : والفرق بين أبي عمر وغيره أن  
أبا عمر مطبوع النظم ، شديد أسر<sup>(٢)</sup> الكلام ؛ ثم زاد بما في أشعاره من الدليل  
على العلم بالخبر واللغة والنسب ، وما تراه من حوكة الكلام ، ومليكه لأحرار  
الألفاظ ، وسعة صدره ، وجيشة<sup>(٣)</sup> بحره ، ووجه قدرته على البديع ، وطول  
طلقه في الوصف ، وبعيته<sup>(٤)</sup> للمعنى وترديده ، وتلاعبه به وتكريره ، ورأيته  
بما يتعب الناس ، وسعة نفسه فيما يضيق الأنفاس . انتهى كلام ابن شهيد .

قال ابن بسام : وأنا أقول : إن من ذكره لم يوفه حقه ، ولا أعطاه  
وقفه ، ولا استوفى تقدمه وسبقه ؛ ولو أوفى الأيام ، واستنفذ القراطيس  
والأقلام .<sup>(٥)</sup> وقد أثبت أنا من شعره بما يهزئ نيرات الألباب ، ويظهر خفيات  
الأسباب ، ومن نثره ما يهزئ<sup>(٥)</sup> العقول ، ويباهي الغرر والحجول ؛ ويسامى  
التيجان والأكاليل ، ويمهل<sup>(٦)</sup> التقليد والتأويل .

جملة من فصول اقتضبتها من كلامه الطويل ،

١٥ فراراً من التطويل . فصل له من رقعة<sup>(٧)</sup> :

يا سيدي ، ومن أبقاه الله كوكب سعد ، في سماء مجد ، وطائر يمن ، في

(١) مه في ر (٢) ب : « أسرار »

(٣) ب : « وحشة » — لب : « وحشة »

(٤) ب ، لب ، ر : « وبعيته »

(٥) — ب ، لب : « وقد أثبت من نظمه ونثره ما يهزئ الخ »

(٦) ب ، لب « يشعل » (٧) هذا الفصل ناقص في ر

أفناء آمن ، مَرَجُوا لِدَفْعِ الْأَسْوَءِ ، مُؤَمَّلًا فِي الْأَوْءِ ، وَكُنْتُ قَدْ نَشَأْتُ  
 فِي مَعْقِلِ مِنَ الْعَفَا وَالْوَفْرِ ، مُحَدَقًا بِسُورِ مِنَ الْأَمْنِ وَالسُّتْرِ ، حَتَّى أُرْسَلَ إِلَى  
 سُلْطَانِ الْفَقْرِ ، رَسُولًا مِنْ نُوبِ الدَّهْرِ ، يُرِيدُ اسْتِنزَالَ إِلَيْهِ ، وَخُضُوعِي بَيْنَ  
 يَدَيْهِ ، فَأَبَيْتُ مِنْ ذَلِكَ عَلَيْهِ ؛ فَغَزَانِي بِكُتَابِ مِنَ النَّوَابِ ، تَسِيرُ تَحْتَ أَلْوِيَةِ  
 الْمَصَابِ ؛ تُبْرِقُ بِسُيُوفِ الرَّزَايَا ، وَتُشْهِرُ أَسِنَّةَ الْعَنَايَا ، يَرْمُونَ عَنْ قَسِيٍّ  
 الْأَوْجَالَ ، وَيَضْرِبُونَ طُبُولَ الدُّعْرِ وَسُوءِ الْحَالِ ، بِأَيْدٍ بَاطِشَةٍ لَا تَسْكِلُ ،  
 وَبَصَائِرَ ثَابِتَةٍ لَا تَمَلُ ، فَلَمْ يَرُعْنِي ذَلِكَ مِنْهُمْ أَنْ تَلَقَّيْتُهُمْ بِمَنْ مَعِيَ مِنْ جُنُودِ  
 الصَّبْرِ ، فَافْتَتَحَ مَعْقِلِي سُلْطَانُ الْفَقْرِ <sup>(١)</sup> ، وَأَخَذَنِي أَسْرًا ، وَطَلَبَ مِنِّي فِدَاءً  
 لَا أَقُومُ بِهِ قَسْرًا ، فَأَوْتَقَنِي فِي قِيُودِ الْإِنْقِيَادِ ، وَشَدَّنِي فِي أَغْلَالِ الْإِصْفَادِ ،  
 وَوَكَّلَ بِي الْحَيْرَةَ وَالتَّبَلُّدَ ، وَأَمْرَهُمَا أَلَّا يُطْلَقَا سَبِيلِي إِلَّا بِالْفِدَاءِ ، فَضَاقَتْ بِذَلِكَ  
 مَذَاهِبِي حَتَّى آتَى مِنْكَ رَسُولٌ يُسَمِّي حُسْنَ الشَّنَاءِ ؛ فَضَمَّنَ لِي عَنكَ فِدْيَتِي ، مِنْ  
 يَدِي أَسْرَتِي <sup>(٢)</sup> ؛ وَسَيِّدِي أَوْلَى مِنْ وَفَى بَضْمَانِهِ ، وَصَدَّقَ قَوْلَ رَسُولِهِ عَلَى لِسَانِهِ .  
 وَهُوَ مِنْ أُخْرَى إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ الْحَكَمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ : حَاشَا لِلَّهِ أَنْ أَسْتَشْفَّ  
 الْحَسَنِيَّ قَبْلَ جُمُوعِهِ <sup>(٣)</sup> ، وَأَسْتَكْرِهَ الدَّرَّ قَبْلَ حُفُولِهِ ، أَوْ أُنْعَمَ عَنِّي عَنْ سِرَاجِ  
 الْمَعْدِرَةِ ، وَأَرْغَبَ عَنِ أَدَبِ اللَّهِ فِي نَظَرَةٍ إِلَى مَيْسِرَةِ <sup>(٤)</sup> . وَلَكِنْ :

مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاحِ بِيذِي مَرِخٍ      حُمِرِ الْحَوَاصِلِ لَا مَاءَ وَلَا شَجَرَ <sup>(٥)</sup>  
 مَا أَوْصَحَ الْعُذْرَةَ لِي لَوْ أَنَّهُمْ عَدَرُوا      وَأَجْمَلَ الصَّبْرَ بِي لَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا !  
 لَكِنَّهُمْ صَفَرُوا عَنِّي أَرْزَمَةً كَبُرَتْ      فَمَا اعْتَذَارِي عَمَّنْ عُدْرَةُ الصَّغْرِ !

(١) هـ في ب      (٢) ب « أسيرى »

(٣) ب : « استشفني الحسي قبل جموحه » (٤) سورة ٢ : ٢٧٩

(٥) هذا البيت للحطيفة (راجع ديوانه من ٨٠) ويروى : « زغب الحواصل » —  
 راجع ياقوت مثلاً في « معجم البلدان » في مادة « مرخ »

وقد قلبت<sup>(١)</sup> لهم ظهر الأمور ، وميزت بين المعسور والميسور ، فما وجدت أحسن بدءاً<sup>(٢)</sup> ، ولا أهدى عوداً ، مما<sup>(٣)</sup> أذن الله فيه لعباده الذين أعمرهم أرضه ، وسخر لهم بره وبخره ، أن يمشوا في مناكبها ويأكلوا من رزقه<sup>(٤)</sup> ؛ وحيث نتقلب<sup>(٥)</sup> في كرمك ، وأين نأمن في حرملك<sup>(٦)</sup> ، وحيث لا توحشنا دعوتك ، ولا تفوتنا نعمتك ، من ملكك إلى ملكك<sup>(٧)</sup> ، ومن يمينك إلى شمالك .

### وفي فصل من أخرى<sup>(٧)</sup> :

ولعل مقرب القلوب قد قلب قلبك الكريم للأطفال المشردين ، الذين دعواك مضطرين ، أن تحل عنهم عقل النوى ، وتكاهم إلى جبار السما ، الذي أمر عباده أن ينتشروا في أرضه ، ويبتغوا من فضله<sup>(٨)</sup> .

وله من أخرى إلى علي بن حمود : حسبك الله يا ابن رسول الله ، وعلى هدى من الله<sup>(٩)</sup> ، فيما خفقت إليه راياتك ،<sup>(١٠)</sup> وصدقت به آياتك<sup>(١٠)</sup> ، جدير أن يعز بطاعته نصرك ، كما شرح بتوفيقه صدرك ، ويتمم بتأييده أمرك ، بما أوليت أولياءه المؤمنين ، وأبليت في<sup>(١١)</sup> عباده الصالحين ، المصابين في الأموال والأهلين ، أيام تراحمت إليهم أسباب القضاء بالبأساء والضرراء . وأبرقت عليهم

(١) ب ، لب « قلبت » (٢) ب : « بدأ » (٣) ب ، لب « من »

(٤) سورة ٦٢ : ١٠ (٥) ب : « تنقلب » (٦-٦) هـ في ب ، لب

(٧) هذا الفصل ناقص في ر (٨) راجع سورة ٦٢ : ١٠

(٩-٩) هـ في ب ، لب (١٠-١٠) هـ في ب

(١١) هـ في ر

آفاقُ السماءِ بسُيوفِ الأعداءِ ، تَسِخُ بِوَابِلِ الدِّمَاءِ ، <sup>(١)</sup> وتموجُ بأسرابِ  
السَّيِّءِ <sup>(٢)</sup> ، فَسُرَّعَانَ مَا هَامُوا فَلَازَرِ ، وَرَبَعُوا فَلَاسْتَقَرَّ ، وَنَادَوْا <sup>(٣)</sup> وَوَلَاتَ  
حِينَ مَنَاصٍ وَلَا فَوْتَ ، إِلَّا مَنْ أَعْفَاهُ الْمَوْتُ ؛ فَأَصْبَحُوا أَنْفَاصَ <sup>(٤)</sup> الْجَلَاءِ ،  
وَأَغْرَاضَ الْفَنَاءِ ، قَدْ جَاهَدُوا بِالْبَلَاءِ ، وَعَيَّوْا بِالذَّاءِ الْعِيَاءِ ، فَلَنَنْ <sup>(٥)</sup> زُلْزَلَتْ بِهِمْ  
الأَرْضُ ، لَقَدْ سَكَنَ بِهِمْ عِزُّ سُلْطَانِكَ ، وَلَنَنْ تَهَافَتَ بِهِمُ الذُّعْرُ ، لَقَدْ أَطْمَأَنَّنُوا  
فِي مِهَادِ أَمَانِكَ .

وَلَهُ مِنْ أُخْرَى <sup>(٥)</sup> إِلَى مُنْذِرِ بْنِ يَحْيَى : حَيَّاكَ بِتَحِيَّةِ الْمَلِكِ ، مَنْ أَحْيَا  
بِكَ دَعْوَةَ الْحَقِّ ، وَرَدَّكَ رِدَاءَ الْإِعْظَامِ ، مَنْ أَعْلَى بِكَ لُؤَاءَ الْإِسْلَامِ ، مُجْرِي  
الْأَقْدَارِ بِإِعْلَاءِ قَدْرِكَ ، وَمَصْرَفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِإِعْزَازِ نَصْرِكَ ، وَمُظْهِرُ مَنْ  
أَطَاعَكَ عَلَى مَنْ عَصَاكَ ، وَمُدْمِرُ مَنْ عَادَاكَ ، بِسُيُوفِ مَنْ وَالَاكَ . قَدْ جَعَلَ اللَّهُ  
أَوَّلَ أَسْمَائِكَ ، أَوْلَى بِأَعْدَائِكَ ، وَأَقْرَبَ اعْتِرَائِكَ ، صَفْوًا لِأَوْلِيَانِكَ ؛ ثُمَّ سَمَا بِكَ  
حَاجِبُ الشَّمْسِ ، نَوْرًا وَأَنْسًا لِهَذَا الْإِنْسِ ، وَنَفْسَ حَيَاةٍ لِكُلِّ نَفْسٍ .

ثُمَّ أَحْيَيْتَ فَجَرَّهُمْ يَا ابْنَ يَحْيَى      بِسِرَاجِينَ : نُورِ دِينِ وَدُنْيَا  
وَخَلَقْتَ السَّحَابَ ظِلًّا وَجُودًا      فَوَسَّعْتَ الْإِسْلَامَ سَقِيًّا وَرَعِيًّا  
وَتَحَلَّيْتِ مِنْ تَجِيبِ سَنَاءِ      كُنْتَ فِيهِ لِلدِّينِ وَالْمَلِكِ مَحِيًّا

وَمِنْ كِتَابِ لَهُ <sup>(٦)</sup> :

وَأَكْرَمَ بِهَا أَعْرَاقًا سَرَّتْ إِلَيْكَ ، وَأَخْلَاقًا نَظَّمَتْ عَلَيْكَ ، وَأَعْبَاءَ مُلْكِكَ

(١-١) مه في ب ، لب (٢) لب : « وبادوا »

(٣) ر : « أفاض » (٤) ب ، لب : « الغافلين »

(٥) في هذا الفصل اضطراب وأخطاء كثيرة في ب ، لب وإنما اعتمدنا على ر

(٦-٦) مه في ر

حَمَلَتْ عَاتِقَيْكَ ، وَأَعِنَّةَ خَيْلِ أُسْلِمَتْ فِي يَدَيْكَ ، (١) فإِليكَ أَهْلَ الدَّلِيلِ ،  
 وَأَرْزَمَتِ الْجُمُولِ (١) ، وَمِنْ نَدَاكَ سُمِّيَ الْغَلِيلِ ، وَشُنِيَ الْعَلِيلِ ، وَفِي ذَرَاكَ بَرْدَ  
 الْمَقِيلِ ، وَقَصَرَ اللَّيْلُ الطَّوِيلِ ، وَبِعْلَاكَ أَمِنَ الْخَائِفُ وَعَزَّ الدَّلِيلُ ، وَبِسْنَاكَ  
 هُدَى ابْنِ (٢) السَّبِيلِ (٣) سَوَاءَ السَّبِيلِ (٣) ، إِلَى الظِّلِّ الظَّلِيلِ ، وَالْأَمَلِ الْمَأْمُولِ ،  
 فَبَلِّغِ الْغَرِيبَ مَوْصُولِ . وَعُدُّ الْمُسِيءَ مَقْبُولِ ، وَجَفَاءَ الضَّيْفِ مَحْمُولِ ، فَكَيْفَ  
 بِضَيْفِكَ الْمُجْتَابِ ، إِلَيْكَ غَوْلَ الْفَقْرِ الْيَبَابِ ، وَهَوَلَ الْبَحْرِ ذِي الْعُبَابِ ، يُهْدِي  
 إِلَيْكَ لَبَابَ الْأَلْبَابِ ، وَيُتَحَفُّكَ بِجَوَاهِرِ الْأَدَابِ ، مُتَضَانًا فِي أَسْمَالِ الْإِعْتَابِ ،  
 مُكْفَكْفًا (٤) مِنْ عِبْرَاتِ الْأَكْتَابِ ، يَنْسَلِي بِسَلَامِ الْحُجَابِ ، وَاسْتِلَامِ  
 الْأَبْوَابِ ، إِلَى أَنْ أَكْرَمْتَهُ بَرَفِ الْحِجَابِ (٥) . فَيَارُوحَ ثَنَانَهُ بِكُمْ الْأَحْسَابِ (٥) !  
 وَيَا فَوْحَ (٦) رِيَاضِهِ بِدِيمِ السَّحَابِ ! وَيَا طَيْبَ طُوبَى وَحُسْنِ مَأْبِ (٧) ! لَعِنَ  
 نَصْرَتَ وَأَوْيَتَ ، وَوَصَلَتَ وَأَذْنِيَتَ ؛ مَا دَعَاكَ حَتَّى لَبَيْتَ ، وَلَا اسْتَسْقَاكَ حَتَّى  
 سَمَّيْتَ ، ثَانِي عَطْفِهِ عَنِ الشَّكْوَى إِلَيْكَ ، نَاكِصَ طَرْفِهِ عَنِ الْإِدْلَالِ عَلَيْكَ ،  
 عَلِمًا أَنَّ الْهَلَالَ سَاعَ إِلَى الْكَمَالِ ، وَأَنَّ الْبَدْرَ مُؤَدِّيَ إِلَى الْفَجْرِ ، وَأَنَّ انْسِجَامَ  
 الْقَطْرِ زَعِيمٌ بِابْتِسَامِ الزَّهْرِ (٧) !

١٥ إلى شَجَا لَاعِجٍ فِي الْقَلْبِ مُضْطَرِمٍ      جَاشَ إِلَيْكَ بِهِ مَجْرُومٍ مِنَ الْكَلِمِ  
 وَدَمَعِ أَجْفَانِ عَيْنٍ قَدْ شَرِقْنَ بِهِ      حَتَّى تَرَقَّرَقَ بَيْنَ الرَّقِّ وَالْقَلَمِ  
 دِينًا لَدَى أُسْرَةٍ (٨) دُنِيًا وَفِيَتْ بِهِ      وَرَحْمَةٍ (٩) وَصَلَتْ مِنِّي بِذِي رَحِمِ

(٢) نه في لب

(٤) ب ، لب : « متكفكفا »

(٦) ب ، لب : « فيافرح »

(٨) ر : « أسوة »

(١-١) نه في ب ، لب

(٣-٣) نه في ب ، لب

(٥-٥) نه في ب ، لب

(٧-٧) نه في ب ، لب

(٩) ب ، لب : « حرمة »

إِذَا رَدَدْتُ سُيُوفَ الْهِنْدِ عَنْ دَمِهِ      فَإِنَّمَا رُفِعَتْ<sup>(١)</sup> عَنْ مُهَجَّتِي وَدَيْمِي  
 وَإِنْ ضَرَبْتُ رِوَاقًا دُونَ حُرْمَتِهِ      فَإِنَّهَا سُرِّي مُدَّتْ عَلَى حُرْمِي  
 لَهَيْفِي عَلَيْهِ ، وَقَدْ أَهْوَتْ لَهُ نُكْبٌ      لَا تَسْتَقِلُّ لَهَا سَاقٌ عَلَى قَدَمِ  
 فَبَاتَ يَسْعَرُ بَرْدَ اللَّيْلِ مِنْ حُرْقٍ      وَيَسْتَثِيرُ<sup>(٢)</sup> دُمُوعَ الصَّخْرِ مِنْ أَلَمِ  
 وَمَا بَعَيْتَنِي عَنْ مَثْوَاهُ مِنْ وَسَنِ      وَمَا بَأَذْنِي عَنْ شَكْوَاهُ مِنْ صَمَمِ

قال ابن بسام : وثر أبو عمر رحمه الله دون نظمه الرائق بكثير ، فذلك ما ألمعت منه بالشيء اليسير ، وعولت على عارض شعره المتين العزيز .

ما أخرجته من قصائده السلطانيات :

حكى أبو مروان بن حيان قال : لما استوسق الأمر بقرطبة لسليمان  
 ١٠ حَسْبًا وَصَفْنَاهُ ، تَعَرَّضَ لَمَدِيحِهِ مَنْ كَانَ تَوَى بِقُرْطُبَةَ يَوْمَئِذٍ مِنْ بَقِيَّةِ الشُّعْرَاءِ  
 الْعَامِرِينَ رَجَاءً فِي ثَمَدِ نَوَالِهِ ، فَصَاغُوا فِي مَدِيحِهِ أَشْعَارًا حَسَنَةً اسْتَدْمُوا فِيهَا إِلَى  
 الدِّينِ وَالْمُرُوءَةِ ، وَأَنْشَدَهَا أَكْثَرُهُمْ فِي مَجْلِسِ حَفْلِهِ عِلَانِيَةً فَأُصْغِيَ وَهَشَّ ،  
 ثُمَّ غَلَّ<sup>(٣)</sup> الْمَدِيحَ فَمَا بَلَّ وَلَا رَشَّ ؛ وَتَمَّ لَذَلِكَ تَقْوِيضُ<sup>(٤)</sup> الْجَمَاعَةِ عَنْ حَضْرَةِ  
 قُرْطُبَةَ ، وَتَخَلَّى الْكَثِيرُ مِنْهُمْ عَنْ وِلَايَتِهِ ، فَأَمَحَى<sup>(٥)</sup> لَذَلِكَ رَسْمُ الْأَدَبِ بِهَا ،  
 ١٥ وَغَلَبَ عَلَيْهَا الْمُعْجِمَةُ ، وَاتَّقَلَبَ أَهْلُهَا مِنَ الْإِنْسَانِيَّةِ الْمُتَعَارَفَةِ إِلَى الْعَامِيَّةِ الصَّرِيحَةِ ،  
 وَفَارَقُوا الْحُرِّيَّةَ<sup>(٦)</sup> .

وكان ممن شهر امتداحه للخليفة سليمان يومئذ ، وحفظ كلامه من تلك

(١) ب ، لب : « رجعت » (٢) ر : « ينثر » — ب ، لب : « يستعر »

(٣) ب ، لب : « على » (٤) ب ، لب : « تعوض »

(٥) ب : « فاستجيا » (٦) ب ، لب : « الحرفة »

الطَّبَقَةُ الْعَلِيَّةُ كَبِيرُهَا أَبُو عُمَرَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ دَرَّاجِ الْقَسْطَلِيِّ وَقَدْ كَانَ إِلَى  
وَقْتِهِ ذَلِكَ ثَاوِيًّا بِقَرْطَبَةَ ، يَحْسَبُ أَنَّ سُلَيْمَانَ سَيُجِيرُهُ مِنَ الزَّمَانِ ؛ وَكَانَ النَّجْمُ  
أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ إِلَيْهِ . دَخَلَ عَلَيْهِ أَوَّلَ مَجْلِسٍ كَانَ لَهُ بِالْقَصْرِ فَأَنْشَدَهُ قَصِيدَتَهُ  
الَّتِي أَوَّلُهَا :

- |    |   |  |
|----|---|--|
| ٥  | لَكَ حَنٌّ مَوْحِشُهَا <sup>(٢)</sup> وَأَبٌ بَعِيدُهَا | شَهَدْتَ لَكَ الْآيَامُ <sup>(١)</sup> أَنْكَ عَيْدُهَا      |
|    | وَأَطَاعَ عَاصِيهَا ، وَلَانَ شَدِيدُهَا <sup>(٣)</sup> | وَأَضَاءَ مُظْلِمُهَا ، وَأَفْرَخَ رَوْعُهَا ،               |
|    | فِي إِثْرِ مَا قَدْ كَانَ شَابَ وَلِيدُهَا              | وَصَفَّتُ بِكَ <sup>(٤)</sup> الدُّنْيَا فَنَشَبَ كَبِيرُهَا |
|    | فَالآنَ فُجِّرَ <sup>(٦)</sup> بِالنَّدَى جُمُودُهَا    | مَا كَانَ أَجْدَقَ قَبْلَ نَوْنِكَ <sup>(٥)</sup> بَحْرُهَا  |
|    | لِمَعَادِ آيَامِ دَنَا مَوْعُودُهَا                     | فَارْتَاخَ بَيْنَتِكَ فِي أَبَاطِحِ مَكَّةِ                  |
| ١٠ | وَكَتَائِبِ خَفَقَتْ عَلَيْكَ بُنُودُهَا                | لِمَوَاكِبِ صَهَلَتْ إِلَيْكَ خِيُولُهَا                     |
|    | عَمَرَتْ تَهَائِمُهَا بِهَا وَنَجُودُهَا                | شَغَفًا بَدَعُوتِكَ الَّتِي قَدْ طَالَمَا                    |
|    | عَزَّتْ بِهَا غُرُّ الرِّجَالِ وَصِيدُهَا               | <sup>(٧)</sup> حَتَّى ارْتَقَيْتَ مِنَ الْمَنَازِلِ رُبْعَهُ |
|    | وَزَنَانَهُ أَطْنَابُهَا وَعَمُودُهَا                   | فِي قُبَّةِ الْمَلِكِ الَّتِي صِنْهَاجَةٌ                    |
|    | ضَرْبًا وَفِي يَوْمِ النَّفَارِ عُهُودُهَا              | صَدَقْتِكَ آيَامَ النَّوَالِ سُيُوفُهَا                      |
| ١٥ | لَا السِّتْرُ شَاهِدُهَا وَلَا مَشْهُودُهَا             | يَا سَاعَةً مَقْطُوعَةً أَرْحَامُهَا                         |
|    | وَسَطَّتْ بِأَحْرَارِ الْمُلُوكِ عَيْدُهَا              | يَوْمًا أَذَلَّ كِرَامُهُ لِلثَّامِ                          |
|    | عَيَّتْ بِهَا سَادَاتُهَا وَمَسُودُهَا                  | وَتَوَاكَلَتْ أَبْطَالُهَا فِي كُرْبَةٍ                      |

(١) ب ، لب : « الأعياد »

(٢) لب : « عز موشحها »

(٣) لم يقع هذا البيت إلا في ر

(٤) ب ، لب : « لنا »

(٥) ر : « يومك »

(٦) ب ، لب : « يجرى »

(٧) الآيات الآتية إلى آخر القصيدة لم تقع إلا في ر

|  |   |    |
|--|---|----|
| دَهَشًا وَلَا وَجَهَ السَّادِ سَدِيدُهَا                 | لَا يَهْتَدِي سَمَتَ النَّجَاةِ دَلِيلُهَا                |    |
| طَلَعَتْ عَلَيْهِمْ فِي السَّمَاءِ سَعُودُهَا            | حَتَّى طَلَعَتْ لَهُمْ بِأَسْعَدِ غُرَّةِ                 |    |
|  | ومنها :   |    |
| هَزَّ الْجِبَالَ الرَّاسِيَاتِ رُعُودُهَا <sup>(١)</sup> | وَاسْتَوَدَعُوا جَبِيَّ شُرُنْبَةَ وَقَعَةَ               | ٥  |
| وَطَلَى رُءُوسَ النَّارِعِينَ حَصِيدُهَا                 | دَلَفُوا إِلَى شَهْبَاءِ حَانَ حَصَادُهَا                 |    |
| أُمٌّ بَغَاةٌ لَا يَكْفُ عَدِيدُهَا                      | وَشِعَابٌ قَنْتَبِشٍ وَقَدْ حُشِرَتْ لَهُمْ               |    |
| بَطْنًا ، وَأَجْسَادُ الْعِدَاةِ صَعِيدُهَا              | تَرَكَوْا بِهَا ظَهَرَ الصَّعِيدِ وَقَدْ غَدَا            |    |
| أَشْيَاعِهَا وَاللَّهُ عَنكَ يُعِيدُهَا                  | وَكِتَابُ الْإِفْرَنْجِ إِذْ كَادَتْكَ فِي <sup>(٢)</sup> |    |
| فَاضَتْ عَلَى الْأَرْضِ الْفَضَاءُ مُدُودُهَا            | بِسَوَابِحٍ فِي لُجِّ بَحْرِ سَوَابِغِ                    |    |
| وَقَوْمِهَا طَاغُوتُهَا وَعَمِيدُهَا                     | وَلَقَدْ أَضَافُوا نَسْرَهَا وَغُرَابَهَا                 | ١٠ |
| لِلزَّحْفِ ثُمَّ إِلَى الْجَجِيمِ حُشُودُهَا             | شَلَوْا لِأَرْمَنَقُودِهَا <sup>(٣)</sup> حَشَدَتْ بِهِ   |    |
| وَرَيْتُ بَعِزَّ الْمُسْلِمِينَ زُودُهَا                 | وَدَنُوا لَهَا فِي آرٍ <sup>(٤)</sup> تَحْتَ صَوَارِمِ    |    |
| بِيضًا يُشَايِعُ حَدَّهَا تَوْحِيدُهَا                   | مِنْ بَعْدِ مَا قَصَفُوا الرِّمَاحَ وَأَصْلَتُوا          |    |
| فِي ظِلِّ هَدَوَاتِهَا فَحَانَ سُجُودُهَا                | فَكَانَمَا رُقِعَتْ لَهَا صُلْبَانُهَا <sup>(٥)</sup>     |    |
| شُعْنًا يُبَشِّرُ بِالْفَتْوحِ شَهِيدُهَا                | وَبِجَانِبِ إِذْ قَدَّمَتْهَا . . . <sup>(٦)</sup>        | ١٥ |
| حَتَّى عَبْرَنَ وَجِسْرُهُنَّ خُدُودُهَا                 | ضَرَبُوا عَلَى الْأَخْدُودِ هَامَ حُمَاتِهِ               |    |
| لَوْ ذَابَ مِنْ حَرِّ الْجِلَادِ حَدِيدُهَا              | فِي وَقَعَةٍ قَامَتْ بِعُدْرِ سُيُوفِهِمْ                 |    |
| سَمْرَاءَ لَمْ يُورِقْ بِكَفِّكَ عُودُهَا                | وَيَضِيقُ فِيهَا الْعُدْرُ عَنْ خَطِيئَةٍ                 |    |

(١) ر : وهودها (٢) ر : « كادت في »

(٣) ر : « شلولان منقودها » ، وفيه تصحيف وقع في اسم القومس الافرنجي المعروف

Ermengaud (٤) آر : اسم واد في جنوب الأندلس يسمى الآن Guadiaro

(٥) ر : « طلبانها » (٦) يابض في ر



فِيهَا رَأَيْتَ الْعِزَّ حَيْثُ تَرِيدُهُ      وَسَوَابِغَ النَّعْمَاءِ حَيْثُ تُرِيدُهَا  
فَأَقْبَلْ فَقَدْ سَاقَتْ إِلَيْكَ مُهَوَّرَهَا      أَكْفَاءَ حَمْدٍ لَا يُدْمُ حَمِيدُهَا  
بِدَعَا مِنْ النَّظْمِ النَّفِيسِ تَشَابَهَتْ      فِيهَا الْجَوَاهِرُ دُرُّهَا وَفَرِيدُهَا  
وَلَيْسَ بِهَا أَيَّامٌ عِزٍّ كُلُّهَا      عِيدٌ وَأَنْتَ لِمَنْ أَطَاعَكَ عِيدُهَا

وَمَدَحُهُ أَيْضًا بِقَصِيدَةٍ أُخْرَى أَوْلَاهَا :

هَنِيئًا لِهَذَا الْمَلِكِ رَوْحٌ وَرِيحَانُ      وَاللِّدِينِ وَالدُّنْيَا أَمَانُ وَإِيمَانُ  
فَإِنَّ قَعِيدَ الْخِزْيِ قَدْ نَلَّ عَرْشَهُ      وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ سَلِيمَانُ  
سَمِيٌّ الَّذِي أَنْقَادَ الْأَنَامُ لِأَمْرِهِ      فَلَمْ يَعْصِهِ فِي الْأَرْضِ إِنْسٌ وَلَا جَانُ  
وَقَامَ فَتَمَّتْ لِلْمَعَالِي مَعَالِمُهُ      وَلِلْخَيْرِ أَسْوَاقُ وَاللِّعْدَلِ مِيزَانُ<sup>(١)</sup>  
وَجَدَّدَ لِلْإِسْلَامِ سُورَ خِلَافَةٍ      عَلَيْهَا مِنَ الرَّحْمَنِ نُورٌ وَبُرْهَانُ  
وَأَكَّدَهَا عَهْدٌ لِأَكْرَمِ مَنْ وَفَى      بَعْدَهُ ، زَكَتَ مِنْهُ عُهُودٌ وَأَيْمَانُ  
قَرِيبُ<sup>(٢)</sup> النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى وَأَبْنُ عَمِّهِ ،      وَوَارِثُ<sup>(٣)</sup> مَا شَادَتْ قُرَيْشٌ وَعَدْنَانُ  
وَمَا سَاقَتْ الشُّورَى وَأَوْجَبَهُ الثَّقَى      وَأَوْرَثَتْ ذُو الثُّورَيْنِ عَمَّكَ عِمَّانُ  
وَمَا حَكَمَتْ فِيهِ السُّيُوفُ وَحَارَزَهُ      إِلَيْكَ أَبُو الْأَمْلَاقِ جَدُّكَ مَرَّوَانُ

وَمِنْهَا فِي صِفَةِ رِجَالٍ<sup>(٤)</sup> حَرْبُهُ ، وَهُوَ مِنْ جَيْدِ الْكَلَامِ<sup>(٥)</sup> وَحُرِّ النَّظْمِ<sup>(٦)</sup> :

وَقَدْ لَمَعَتْ حَوْلَيْكَ مِنْهُمْ أَسِنَّةٌ      تُخَيِّلُ أَنْ الْحَزْنَ وَالسَّهْلَ زِينَانُ  
أُسُودٌ هَيَّاجٌ مَا تَزَالُ تَرَاهُمْ      تَطِيرُ بِهِمْ نَحْوَ الْكَرِيمَةِ عِمْبَانُ

(١) ر : « ميدان »      (٢) ب ، ب : « سمي »

(٣) بياض في ب ، ب      (٤) ب ، ب : « رجل »

(٥) ب ، ب : « كلامه »      (٦) ب ، ب : « نظمه »

وأَقْمَارُ حَرْبٍ طَالَعَاتُ كَأَنَّهَا عَمَائِهِمْ فِي مَوْفِقِ الرَّوْعِ (١) تَيْجَانُ (٢)  
 وَكُلُّ زَنَاقِيٍّ كَانَ حُسَامَهُ وَهَامَةً مَنْ لَاقَاهُ نَارٌ وَقُرْبَانُ  
 وَأَبْيَضُ صِنْهَاجٍ كَانَ سِنَانَهُ شِهَابٌ إِذَا أَهْوَى لِقَرْنٍ وَشَيْطَانُ (٣)

وَمِنْهَا فِي وَصْفِ صَلْحٍ وَالتَّدْبِ إِلَيْهِ :

وَقُلْتُ (٤) لَمَّا لِلْعَاثِرِينَ كَأَنَّهُ نُشُورٌ لِقَوْمٍ حَانَ مِنْهُمْ وَقَدْ حَانُوا  
 وَقَدْ أَمِنَ التَّثْرِبَ إِخْوَةَ يَوْسُفٍ وَأَذَرَ كَهَمَ اللَّهِ عَفْوٌ وَغُفْرَانُ  
 وَحَنَّتْ لِدَاعِي الصَّلْحِ بَكَرٌ وَتَغْلَبُ وَشَمَعَتِ الْأَرْحَامَ عَبْسٌ وَذُبْيَانُ  
 وَفَازَتْ قِدَاحُ الْمُشْتَرَى بِسَعُودِهَا وَسَالَمَ (٥) بَهْرَامٌ وَأَعْتَبَ كَيَّوَانُ

وَلَهُ مِنْ أُخْرَى فِي مُنْذِرِ بْنِ يَحْيَى ، حِينَ قَدِمَ عَلَيْهِ صَاعِدُ اللُّغْوِيِّ (٦) :

عَلَا فَحَوَى مِيرَاثَ عَادٍ وَتَبِعَ بِهَيْمَتِهِ الْعُلْيَا وَنَسَبَتِهِ الدُّنْيَا  
 فَأَعْرَبَ عَنْ أَقْوَامٍ يَعْرُبُ وَأَحْتَبِي (٧) فَلَمْ يَنْسَ مِنْ هُودٍ سَنَاءً (٨) وَلَا هَدْيَا  
 وَمِنْ حَمِيرٍ رَدَّ الْقَنَا أَمْحَرَ الدُّرَى وَمِنْ سَبَأٍ قَادَتْ كِتَابُهُ السَّبْيَا  
 وَمَا نَامَ عَنْهُ عِرْقٌ فَحَطَّانَ إِذْ فَدَى عُرُوقَ الثَّرَى مِنْ غُلَّةِ التَّحْطِ بِالسَّقْمِيَا  
 وَمَا اسْكَنْتَ (٩) عَنْهُ السَّكُونُ زِيَادَةً (١٠) وَلَا رَضِيَتْ طَى لِرَاحَتِهِ طَيَا  
 وَلَا كَفَدَتْ أَسْيَافُهُ مُلْكَ كِنْدَةَ فَتَتَرَكُ فِي أَرْكَانِ عِزَّتِهِ وَهَيَا

(١) ر : « الحرب » (٢) ترتيب هذا البيت والذي قبله معكوس في ر

(٣) ر : « من القرن شيطان » (٤) ر : « وقالت »

(٥) ب ، لب : « وساعد » (٦) في القطعة التالية اضطراب في ب

(٧) ر : « واحتوى » (٨) ب ، لب : « هناء »

(٩) ر : « وما استكنت » (١٠) كذا في الأصل

ولا أقدته عن إجابة صارخ  
 وكان له في الأوس من حق أسوة<sup>(١)</sup>  
 هم أوزووه نصر دين محمد  
 مناقب أدوها إليه وراثه  
 وصوت ثناء أسمع الله ذكره  
 ومنها في ورود صاعد اللغوي<sup>(٢)</sup> :

وأهدت له بغداد ديوان علمها  
 فكانت كمن حيا الرياض بزهرها  
 وحسب روية العلم أن يتدارسوا  
 ومنها<sup>(٤)</sup> :

١٠

ويكفي ملوك الأرض من كل مفخر  
 إذا لعت زرق الأسننة حوله  
 وقد لاذ أبطال الجلال بعطفه  
 وقد قصرت عنه رماح عدائه  
 إذا أمثلوا من بعض أفعاله شيئا  
 كاضرام نيران الهوم حواليا  
 كما لاذ أطفال الجلاء بعطفيا  
 كما قصرت عنهم رياش جناحيا  
 ومنها :

١٥

فيالك من ذكري سناء ورفعة  
 وفاحت ليالي الدهر مني ميتا  
 إذا وضعوا في التراب أيمن مسقيا<sup>(٥)</sup>  
 فأخزين أياما دفنت بها حيا

(١) ب : « الأفق » (٢) ر : « وبدل العدا »

(٣-٢) ر في ب ، لب (٤) مكتوبة بعد هذا البيت في ب ، لب

(٥) ر ، لب : « سقيا » - ب : « سقيا »

وكان ضياعي حسرةً وتندماً  
وأصبحتُ في دارِ الغنى عن ذوى الغنى  
سوى حمرتي عرضٍ ووجهٍ تضعضعا  
فيا عبرتي سُحى لعلّ مبللٌ  
ويا زفرتي هل في وقودك جدوةٌ  
ويا خلتي إن سوف الغوث بالمنى  
فتوما إلى ربّ السماء فأسعدا  
عسى ميث الأظاء في روضة الندى<sup>(١)</sup>  
ويا أوجه الأحرار لا تتبدلي  
إذا لم يُفد شيئاً ولم يُغنى شيئاً  
وعوّضتُ فاستقبلتُ أسعد يومياً  
لقارعة البلوى وكاناً<sup>(٢)</sup> عتادياً  
بجربك ما أنزفتُ من ماء خدياً  
تغير لنا صباحاً نساء<sup>(٣)</sup> الأسي نسيأ<sup>(٤)</sup>  
ويا غلتي إن أبطأ الغيث بالشعياً  
تقلب وجهي في السماء وكفياً<sup>(٥)</sup>  
سيرجع عن ربّ السماء وقد حياً<sup>(٦)</sup>  
بظلّ ابن يحيى بعد ظلاً ولا فياً

وله فيه من أخرى :

لبيك ! أسمعنا نداءك ودوننا  
فسريت في حرم الأهله مظلماً  
ظعن ألقن القفر في غول الدجى  
يطلبن لبح<sup>(٧)</sup> البحر حيث تقاذفت  
هيم وما يبنين دونك مؤرداً  
من كلّ نضو الآل محبوبك المنى  
نوه الكواكب نحوياً أو ممطراً  
ورفأت في خلع السموم مهجراً  
وتركن ما لوف المعاهد مقفراً  
أمواجه ، والبر حيث تنكراً  
أبدأ ولا عن بحر جودك مصدراً  
يزجيه نحوك كلّ محبوبك القراً

(٢) ر : « ثاه »

(٤) ب : « الأظاع »

(٦) ب ، لب : « أحيا »

(١) في جميع النسخ : « وكان »

(٣) ر ، لب : « مسيا »

(٥) ر : « الترى »

(٧) ر . « موج »

بُدْنٌ فَدَتْ مِثًّا دِمَاءَ نُحُورِهَا  
 نَحَرَتْ بِنَا صَدْرَ الدَّبُورِ فَأَنْبَطَتْ  
 خُوصٌ نَفَعْنَ بِنَا الْبَرَى حَتَّى انْتَدَتْ  
 وَصَبَتْ إِلَى نَحْرِ<sup>(٢)</sup> الصَّبَافِاسْتِخَلَصَتْ  
 نَذَرَتْ لَنَا<sup>(٣)</sup> أَلَّا تُلَاقِي رَاحَةَ  
 لَهِ أَى أَهْلًا بَلَغَتْ بِنَا  
 فَأَيْنَ صَفَا مَاةَ الْحَيَاةِ لَدَيْكَ لِي  
 وَتَيْنِ خَلَعْتَ عَلَيَّ بَرْدًا أَخْضَرًا

ومنها:

أَبْنَى لَا تَذْهَبُ بِنَفْسِكَ حَسْرَةٌ  
 فَلَيْتَ تَرَكْتَ اللَّيْلَ فَوْقِي دَاجِيًا  
 وَحَلَلْتَ أَرْضًا بَدَأَتْ حَصْبًا وَأَوْهَا  
 وَتَلَعَلِمَ الْأَمْلاكَ أَنِّي بَعْدَهَا  
 وَرَمَى عَلَيَّ زِدَاءَهُ مِنْ دُونِهِمْ  
 صَرَبُوا قَدَاحَهُمْ عَلَيَّ فَكَأَزَى بِي

١٠ عَنْ غَوْلِ رَحْلِي مُنْجِدًا أَوْ مُغَوِّرًا  
 فَلَقَدْ أَمَيْتُ الصُّبْحَ بَعْدَكَ أَزْهَرًا  
 ذَهَبًا يَرِفُ لِنَاطِرِي وَجَوْهَرًا  
 أَلْفَيْتُ كُلَّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا  
 مَلِكٌ تُخَيِّرُ لِلْعُلَا فَتَخَيِّرَا  
 ١٥ مَنْ كَانَ بِالْقِدْحِ الْعَلَى أَجْدَرًا

ومنها:

كَلَّا وَقَدْ آنَسْتُ مِنْ هُودٍ هُدًى  
 وَأَصَبْتُ فِي سَبَأٍ مُورَثَ مُلْكِهَا  
 وَتَقَيْتُ يَعْرُبَ فِي الْقَيْوَلِ وَحَمِيرَا  
 يَسْبِي الْمُلُوكَ وَلَا يُدِبُ لَهَا الضَّرَا

(١) هذا البيت ناقص في ب

(٢) ر: «بحر»

(٣) ب، لب: «بنا»

فكأنما تابعتُ نُبَّعَ رَافِعًا      أعلامه مَلِكًا يَدِينُ لَهُ الْوَرَى  
والحارثَ الجُفَيَّ مَمْنوعَ الجَمَى      بالخَيْلِ والآسَادِ مَبْدُولَ القَرَى  
وحطَّطتُ رَحْلِي بَيْنَ نَارِي حَاتِمٍ      أَيَّامَ يَقْرِي ، مُوسِرًا أَوْ مُعْسِرًا  
وَأَقَيْتُ زَيْدَ الخَيْلِ تَحْتَ عَجَاجَةٍ      تَكْسُو غَلَاظِلُهَا <sup>(١)</sup> الجِيَادَ الضُّمَرَا <sup>(٢)</sup>  
وعَقَدتُ فِي يَمَنِ مَوَاتِقَ ذِمَّةٍ      مَسْدُودَةَ الأَسْبَابِ مُوثِقَةَ العُرَى  
وَأَتَيْتُ بِجَدِّكَ <sup>(٣)</sup> وَهُوَ يَرْفَعُ مَنبَرًا      لِلدَّيْنِ وَالدُّنْيَا وَيَخْفِضُ مَنبَرًا  
وَخَطَّطتُ بَيْنَ جِفَانِهَا وَجُفُونِهَا      حَرَمًا أَبَتْ حُرْمَاتُهُ أَنْ تُخْفَرَا  
تلكَ البُدُورُ تَتَابَعَتْ وَخَلَفَتْهَا      سَعِيًّا فَكُنْتَ الجَوْهَرَ المُتَخَيَّرَا

قال أبو الحسن : أراه احتذى في هذه الأبيات الأخيرة حدو أبي

١٠ الطَّيِّبِ <sup>(٤)</sup> فِي ابْنِ العَمِيدِ <sup>(٥)</sup> حَيْثُ يَقُولُ :

مَنْ مُبْلِغُ الأَعْرَابِ أُنِّي بَعْدَهَا      جَالَسْتُ رَسْطَالِيسَ والإِسْكَندَرَا  
وَلَقَيْتُ بِطَلِيمُوسَ دَارِسَ كُتْبِهِ      مُتَبَدِّيًا فِي مُلْكِهِ مُتَحَضِّرَا  
وَأَقَيْتُ كُلَّ الفَاضِلِينَ كَأَنَّمَا      رَدَّ الإِلَهِ نُفُوسَهُمْ والأَعْصَرَا  
نُسِقُوا لَنَا نَسَقَ الحِسَابِ مُقَدَّمَا      وَأَتَى « فَذَلِكَ » إِذْ أَتَيْتُ مُؤَخَّرَا

١٥ وقوله « خُوصٌ نَفَحْنَ بِنَا البُرَى » البيت <sup>(٦)</sup> ، مَعْنَى مَشْهُورٌ وَهُوَ فِي الشَّعْرِ كَثِيرٌ ، وَمِنْهُ قَوْلُ بَعْضِ أَهْلِ العَصْرِ وَهُوَ أَبُو جَعْفَرِ بْنِ هُرَيْرَةَ التُّطَيْلِيُّ يَصِفُ إِبِلًا :

(١) ر : « عليها » (٢) ر : « الصخرا »

(٣) ر : « مجدك » (٤) راجع ديوانه (ج ١ ص ٣٦٩)

(٥) ر : « أرى الفسطلي ذهب مذهب أبي الطيب حيث يقول في قصيدة يمدح بها

ابن العميد » (٦) راجع ص ٥٧ س ٣

كَأَنصَافِ الْبُرَى وَتَدِقُ<sup>(١)</sup> عَنْهَا شَوَاهَا دِقَّةً تَسَعُ الْجَلَالَ<sup>(٢)</sup>  
 وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : « لَيْلَةُ أَيُّ أَهْلَةٍ<sup>(٣)</sup> » الْبَيْتِ ، كَقَوْلِ أَبِي جَعْفَرِ الْمَذْكُورِ :  
 كُلُّ عَوْجَاءَ<sup>(٤)</sup> كَالْهَلَالِ عَلَيْهَا كُلُّ ذِي تُدْرَا<sup>(٥)</sup> كَبَدْرِ الْكَمَالِ  
 وَأُنشِدْتُ لِابْنِ بَيْعِ السَّبْتِيِّ :

وَرَدَّتْ بِهَا التَّنُوفَةُ وَهِيَ بَدْرٌ فَلَمْ أَصْدُرْ بِهَا إِلَّا هَلَالًا  
 وَقَوْلُهُ : « وَرَمَى عَلَيَّ رِدَاءَهُ مِنْ دُونِهِمْ » أَشَارَ إِلَى لَفْظِ الْهُدَلِيِّ دُونَ مَعْنَاهُ  
 وَهُوَ :

وَلَمْ أَذِرْ مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِدَاءَهُ سِوَى أَنَّهُ قَدْ سُلَّ عَنْ مَاجِدٍ مَحْضٍ

وَذَكَرَ الرَّوَاةُ أَنَّهُ لَا تَعْرِفُ الْعَرَبُ رَجُلًا مَدَحَ مِنْ لَا يَعْرِفُهُ غَيْرَ أَبِي خِرَاشٍ  
 الْهُدَلِيِّ هَذَا ، وَكَانَ خِرَاشٌ وَعَمَّهُ عُرْوَةُ عَزَوْا فَأَخَذَا ، وَهَمَّوَا بِقَتْلِهِمَا ، فَهَاهُمُ  
 ١٠ بَنُو دَارِمٍ وَأَبَى بَنُو هَلَالٍ إِلَّا قَتَلَهُمَا ، فَأَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي دَارِمٍ فَأَلْقَى عَلَى خِرَاشٍ  
 رِدَاءَهُ ، وَشَغِلَ الْقَوْمُ بِقَتْلِ عُرْوَةَ ، وَقَالَ الرَّجُلُ لَخِرَاشٍ : أَنْجِ ، فَانْجَا إِلَى أَبِيهِ  
 وَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ فَقَالَ الْآيَاتُ الَّتِي أَوْلَاهَا :

حَمِدْتُ إِلَهِي بَعْدَ عُرْوَةَ إِذْ نَجَا خِرَاشٌ وَبَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

وَحَكَى عَلِيُّ بْنُ الْعَبَّاسِ النَّوْبَخْتِيُّ قَالَ : قَالَ لِي الْبُحْتَرِيُّ : أَتَدْرِي مِنْ أَيْنَ  
 ١٥ أَخَذَ أَبُو نُوَّاسٍ قَوْلَهُ :

وَلَمْ أَذِرْ مَنْ هُمْ غَيْرَ مَا شَهَدَتْ بِهِ بِشَرِّ سَابِطِ الدِّيَارِ الْبَسَّاسِ<sup>(٦)</sup>

(١) ب : « ويرى » (٢) و : « وتدق عما سواها دقة تسع الخلا »

(٣) راجع ص ٥٧ س ٦ (٤) ر : « هوجاء »

(٥) ر : « تدرك » (٦) راجع ديوان أبي نواس (ص ٢٩٥)

فَقُلْتُ : لا ، قال : مِنْ قَوْلِ أَبِي خِرَاشٍ : « وَلَمْ أُدْرِ مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِداَهُ »  
الْبَيْتُ ، قُلْتُ لَهُ : وَالْمَعْنَى مُخْتَلِفٌ ، قال : أَمَا تَرَى حَدْوَ الْكَلَامِ وَاحِدًا ؟

وَقَالَ الْقَسْطَلِيُّ يَمْدَحُ الْوَزِيرَ أَبَا الْأَصْبَغِ عَيْسَى بْنَ سَعِيدِ الْقَطَّاعِ :

أَفِي مِثْلِهَا تَنْبُو أَيَادِيكَ عَنْ مِثْلِي      وَهَدَى الْأَمَانِي فِيكَ جَامِعَةَ السَّمَلِ  
وَقَدْ أَمِنَ الْمِقْدَارُ مَا كُنْتُ أَتَّقِي      وَأَرْحَصْتَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتُ أُسْتَعْلِي

وَأَذَعَنَ صَرْفُ الدَّهْرِ سَمْعًا وَطَاعَةً      لِمَا فَهَيْتَ مِنْ قَوْلٍ وَأَمْضَيْتَ مِنْ فَعْلٍ  
وَنَادَيْتَ بِالْإِنْعَامِ فِي الْأَرْضِ وَالتَّمَتُّ      بِيَمِينِكَ أَشْتَاتُ الطَّرَائِقِ وَالسَّبَلِ

وَهَذَا مُقَامِي مُنْذُ تَسْعٍ وَأَرْبَعِ      رَجَائِي فِي قَيْدٍ وَحِطِّي فِي غُلِّ  
كَأَنِّي لَمْ أَخْلُلْ ذَرَاكَ وَلَمْ أُقِمِّ      مُنَاخَ الْعَطَايَا فِيهِ مُرْتَمِنَ الرَّحْلِ

وَأَغْضَيْتَ عَنِ الْبَرْقِ الَّذِي شِمِّ <sup>(١)</sup> لِلْحَيَا      وَأَعْقَدْتُ بِحَبْلِ مِنْكَ بَيْنَ الْوَرَى حَبْلِي  
وَلَمْ تُصْفِنِي خُلُقًا أَرْقَ مِنَ الْهَوَى      وَلَمْ تُؤَانِي نَعْمَى أَلَدَّ مِنَ الْوَصْلِ

وَلَمْ تَتَّنِ عَنِّي فِي مَوَاطِنِ <sup>(٢)</sup> حَمَّةِ      سُبُوفًا حِدَادًا قَدْ سُلِّنَ عَلَيَّ قَتْلِي  
وَلَمْ أَطْوِسِ الْإِكْتِهَالِ مُحَاكِمًا      إِلَيْكَ خُطُوبًا شَيْبَتَ مَفْرَقَ الطُّفْلِ

وَكَنْتُ وَمِفْتَاحِ الرَّغَائِبِ ضَائِعُ      مَلَاذِي فَهَذَا بَابُهَا ضَائِعُ الْقُفْلِ  
وَإِنِّي فِي أَفْيَاءِ ظِلِّكَ أَشْتَكِي      شَكِيَّةَ مُوسَى إِذْ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ <sup>(٣)</sup>

<sup>(٤)</sup> وَهَذَا الْبَيْتُ مِنْ لَفْظِ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ <sup>(٥)</sup> ، وَقَدْ أَقْدَمْتُ عَلَى مِثْلِ هَذَا جَمَاعَةٌ  
مِنَ الشُّعْرَاءِ مِنْ مُحَدِّثِينَ وَقَدَمَاءَ ؛ فَمِنْ غَالٍ مُتَسَوِّرٍ وَمِنْ آخِذٍ مُعْتَدِرٍ <sup>(٦)</sup> ، قَالَ

أَبُو الْعَلَاءِ الْمَعْرِيُّ <sup>(٧)</sup> :

(١) نه في ب (٢) ر : « مواصل » (٣) هذان البيتان ناقصان في ب

(٤) يبدأ من هنا خرم قدر ملزمة في مخطوطة لب وسينه على رجوع الكلام فيها بعد

(٥) راجع سورة ٢٨ : ٢٤ (٦) لب : « مقتدر »

(٧) راجع « سقط الزند » ( ج ١ ص ٥٣ )



كُنْتُ مُوسَى وَافْتُهُ بِنْتُ شُعَيْبٍ      غَيْرَ أَنْ لَيْسَ فِيكُمَا مِنْ قَعِيرٍ  
 وَأَخَذَهُ بَعْضُ أَهْلِ عَصْرِنَا وَهُوَ حَسَّانُ بْنُ الْمُصَيَّبِيِّ فَقَالَ لِلْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ :  
 كَبِنْتُ شُعَيْبٍ إِذْ رُفِّتْ لِمُوسَى      وَلَكِنْ لِلثَّرَاءِ هُنَا مَزِيدُ  
 وَمِنْ آخِرِ مَنْ رَكِبَ هَذَا الْأُسْلُوبَ فِي مُكَابَرَةِ الْحَقَائِقِ ، وَأَضَلَّ مَنْ ذَهَبَ  
 هَذَا الْمَذْهَبَ الْغَرِيبَ ، مِنْ الْأَجْتِرَاءِ عَلَى الْخَلْقِ وَالْخَالِقِ ، الْمُنْفَتِلُ بِقَوْلِهِ :  
 وَقَدْ كَانَ مُوسَى حَائِقًا مُتَرَقِّبًا      فَتَقِيرًا وَأَمَنْتَ الْمَخَافَةَ وَالْفَقْرًا  
 وَسَتَانِي قَصِيدَتُهُ هَذِهِ فِي مَوْضِعِهَا ، وَتَنْتَظِمُ الْقِصَّةَ عَنْهُ بِأَجْمَعِهَا ، وَفِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ  
 يَقُولُ الْقَسْطَلِيُّ :

وَلِيَ النَّدَى أَصْبَحْتُ فِي دَوْلَةِ النَّدَى      كَأَنِّي عَدُوُّ الْبُخْلِ فِي دَوْلَةِ الْبُخْلِ  
 يُقْتَلُ أَحَقُّ النَّاسِ أَحْيَا مَطَالِي      لِيَالِي جَلَّ الْوَعْدُ عَنْ رُتْبَةٍ <sup>(١)</sup> الْمَطْلِ  
 وَأُبْدَى لِلسَّعْرِ الدَّبْرَ وَجْهِي مُنَازَعًا      وَقَدْ فَازَ غَيْرِي سَالِمًا بِجَنَى النَّحْلِ  
 وَقَالَ ابْنُ سَارَةَ الشَّنْتَرِيُّ :

لَهَا قِسْمَةٌ بَيْنَ الرُّوَاةِ وَبَيْنَكُمْ      فَمِنْ قِسْمَةٍ ضَيْرِي وَمِنْ قِسْمَةٍ عَدَلِ  
 بِأَفْوَاهِكُمْ مِنْهَا جَنَى النَّحْلِ كَلَمًا      رَوَوْهَا وَفِي أَسْتَاهِكُمْ إِبْرُ النَّحْلِ <sup>(٢)</sup>  
 وَمِنْهَا :

أَوْاصِلُ آنَاءِ الْأَصَائِلِ بِالضُّحَى      وَزَادِي مِنْ جَهْدِي ، وَرَاحَتِي رِجْلِي  
 وَهَذَا مِمَّا شَرَحَهُ وَأَوْضَحَهُ أَبُو الطَّيِّبِ بِقَوْلِهِ مِنَ الْمُنْسَرِحِ <sup>(٣)</sup> :

(٢) هذان البيتان ناقصان في ر

(١) ب : « ريبة »

(٣) هـ في ر

لَا نَأَقِي تَقَبَلُ الرَّدِيفَ ، وَلَا  
شِرَاكُهَا كُورُهَا ، وَمِشْفَرُهَا  
بِالسَّوْطِ يَوْمَ الرَّهَانِ أَجْهَدُهَا  
زِمَامُهَا ، وَالشُّسُوعُ مَقُودُهَا<sup>(١)</sup>  
وَمِنْهَا :

إِذَا أَحَفَتِ الْفُرْسَانُ غُرَّ جِيَادِهِمْ  
وَإِنْ أَقْبَلُوا وَالْمِسْكُ يَنْدَى عَلَيْهِمْ  
وَإِنْ شَغَلُوا لَهْوًا بِأَنْعَمِ كَفِّهِ  
أَقْرَبُ عَيْوَنَ الشَّامِتِينَ وَلَيْتَنِي  
أَمْرٌ بِهِمْ أَلْقَى الثَّرَى وَكَأَنَّمَا  
إِذَا الْأَسَدُ الضَّرْعَاغُمُ أَنْفَدَ مَقْتَلِي  
وَإِنْ ذَابَ خُرُّ الْوَجْهِ مِنْ حَرِّ نَارِهِمْ  
وَمِنْ شَيْمَةِ الْمَاءِ الْقَرَّاحِ - وَإِنْ صَفَا -  
وَلَا وَرَزُّ إِلَّا وَزِيرٌ لَهُ يَدُ  
أَبَا الْأَصْبَعِ الْمَغْنِيِّ هَلْ أَنْتَ مُصْرَخِي  
فَأَ كَسُوْلِكَ الْأَيَّامِ مِنْ حُرِّ مَا أَتْنِي  
وَحَتَّى مَتَى أُعْطِي الزَّمَانَ مَقَادَتِي  
أَيَحْتَقِبُ<sup>(٢)</sup> الرُّكْبَانُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا  
وَيَنْتَقِلُ الشَّرْبُ النَّدَامَى بَدَائِعِي  
وَضَيْفٌ بِحَيْثُ الطَّيْرُ تَدْعَى إِلَى الْقَرَى  
خَصَفْتُ بِرَجْلِي<sup>(٣)</sup> مَا تَمَزَّقَ مِنْ نَعْلِي  
أَتَيْتُ وَقَدْ ضُمَّخْتُ مِسْكَانَ الْوَحْلِ<sup>(٤)</sup>  
فِي خِدْمَتِهِ لَهْوِي وَطَاعَتِهِ شَغْلِي  
أَبْرَدُ مَا تَطْوِي الصُّدُورُ مِنَ الْغِلِّ  
فَوَادِي مِنْ أَخْدَاقِهِمْ غَرَضُ النَّبْلِ  
فَمَا فَرَعِي إِلَّا إِلَى الْأَرْقَمِ الصَّلِّ  
فَمَا مُسْتَعَاثِي مِنْهُ إِلَّا إِلَى الْمُهْلِ  
إِذَا اضْطَرَّ مَتَّ مِنْ نَحْتِهِ النَّارُ أَنْ يَغْلِي  
تُمَلُّ عَلَى أَيْدِي الرَّبِيعِ فَتَسْتَمَلِي  
وَهَلْ أَنْتَ لِي مُغْنٍ وَهَلْ أَنْتَ لِي مُعْلِي؟  
وَأَمَّا سَمْعُ الدَّهْرِ مِنْ سِحْرِ مَا أَمَلِي  
وَقَدْ قَبِضَتْ كَفِّي عَلَى قَائِمِ النَّصْلِ؟  
عَرَائِبُ أَنْفَاسِي وَالْفَاكُ فِي الرَّجْلِ؟<sup>(٥)</sup>  
وَهَيْهَاتَ لِي مِنْ لَذَّةِ الشَّرْبِ وَالنَّقْلِ  
بِضَيْقٍ بِهِ رَحْبُ الْعِبَاءَةِ وَالنُّزْلِ

(١) راجع ديوان المتنبي (ج ١ ص ١٩٨) (٢) ب : « بوجهي »

(٣) ر : « أيجنب »

(٤) ر : « الرجل »

(٥) ب : « الرجل »

وسَيْفٌ يُعْقِدُ البَيْضَ وَالزَّغْفَ مُتَدِمًا      يَرُوحُ بِلا غَمْدٍ وَيَغْدُو بِلا صَقْلِ  
وَذُو غُرَّةٍ مَعْرُوفَةٌ السَّبْقِ فِي المَدَى      وَقَدْ قَرِحَ التَّحْجِيلُ مِنْ حَلْقِ الشُّكْلِ

قوله : « ومن شيمة الماء القراح » البيت ، هو قول ابن أبي عمينة الهامبي :

وَلَا بَدَّ لِلْمَاءِ فِي مِرْجَـلٍ      عَلَى النَّارِ مَوْقُودَةٌ أَنْ يَفُورًا

وَيَنْظُرُ أَيضًا مَعْنَاهُ — من طرف عليل — إلى بيت عمارة بن عقيل<sup>(١)</sup> :

وما النَّفْسُ إِلَّا نُطْفَةٌ بِقَرَارَةٍ      إِذَا لَمْ تُكَدَّرْ كَانَ صَفْوًا غَدِيرُهَا

وَأَخَذَهُ المَعْرِيُّ<sup>(٢)</sup> وَزَادَ فِيهِ حَتَّى كَادَ يُخْفِيهِ فَقَالَ :

وَالْحِلُّ كَالْمَاءِ تَبْدُو لِي ضَامِرُهُ      مَعَ الصَّفَاءِ وَيُخْفِيهَا مَعَ الكَدَرِ

وقوله : « وَذُو غُرَّةٍ » البيت ، من قول أبي الطيب<sup>(٣)</sup> :

وإن تَكُنْ مُحْكَمَاتُ الشُّكْلِ تَمْنَعُنِي      ظُهُورَ جَرِي فَلِي فِيهِنَّ تَصْهَالُ<sup>(٤)</sup>

وقال أبو العلاء المعري<sup>(٥)</sup> يصف قصيدته من جملة أبيات فقال :

حُجِلَتْ فَلَمْ يَرَهَا الَّذِي قِيدَتْ لَهُ      وَعَدَّتْ بِأَفَاقِ البِلَادِ تَجُولُ

كَالطَّرْفِ يُقْلِقُهُ المَرَاحُ صَبَابَةً      بِالجَرِيِّ وَهُوَ مَقِيدٌ مَشْكُولُ

وقال أبو الوليد بن زيدون<sup>(٦)</sup> :

تَوَى صَا فَنَّا فِي مَرَبِطِ الهُونِ بِشْتَكِي      بِتَصْهَالِهِ مَا نَالَهُ مِنْ أذى الشُّكْلِ

(١) راجع « الكامل » للعبد ( ص ١٩ )

(٢) راجع « سقط الزند » ( ج ١ ص ٣٣ ) (٣) راجع ديوانه ( ج ٢ ص ١٦٩ )

(٤) من قوله : « قوله ومن شيمة الماء » إلى هنا لم يبق كفه في ب وإنما هو مذكور

في ب بعد البيت : « ومن شيمة الماء القراح »

(٥) راجع « سقط الزند » ( ج ١ ص ١٨٦ ) (٦) راجع ديوانه ص ١١٤

وكرّره ابن زيدون في موضع آخر<sup>(١)</sup> ، فقال :  
 وَأَنَّ الْجَوَادَ الْفَائِتَ الشَّؤِ صَافِنُ تَخَوَّنَهُ شَكْلُ وَأَزْرَى بِهِ رَبْطُ  
 وقال عبد الجليل<sup>(٢)</sup> للمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ<sup>(٣)</sup> من حُجْمَةِ آيَاتٍ هِيَ ثَابِتَةٌ فِي مَوْضِعِهَا  
 من هذا المجموع<sup>(٤)</sup> :

• أَنْتَ عَلَى حَلَاثَتِهَا حِيَاصُ وَإِنْ كَانَ الضَّمِياعُ لَهَا شِكَايَا

وقال القسطلي يمدح المرتضى ، آخر ملوك بني مروان ، من قصيدة أولها :

جِهَادُكَ حُكْمُ اللَّهِ ، مَنْ ذَا يَرُدُّهُ ؟ وَعَزْمُكَ أَمْرُ اللَّهِ ، مَنْ ذَا يَصُدُّهُ ؟

وَطَائِرُكَ الْيَمِينُ الَّذِي أَنْتَ يَمُنُّهُ وَطَائِعُكَ السَّعْدُ الَّذِي أَنْتَ سَعْدُهُ

يقول فيها :

١٠ وَبَيْعَةُ رِضْوَانِ رَعَى اللَّهُ حَتَمَهَا لِمَنْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ إِذْ غَابَ جَدُّهُ

فَأَصْبَحَ فِي رَأْسِ الرِّيَاسَةِ تَاجُهُ وَنَظْمٌ فِي جِيدِ الخِلَافَةِ عَقْدُهُ

مَسْرَتُهُ مَا أَوْى الْغَرِيبَ وَسِترُهُ ، وَلَدَّتْهُ خَيْرُ المِقْلِ وَرَفْدُهُ

وَأَجْنَادُهُ<sup>(٥)</sup> فِي مَوْقِفِ الرُّوعِ رَوْضُهُ وَأَعْلَامُهُ فِي مَوْرِدِ المَوْتِ<sup>(٥)</sup> وَرَدُّهُ

نَلَاعِبُ آرَامِ الفِلا مِنْ هِبَاتِهِ ، وَآرَامُهُ غُرُّ الطَّرَادِ وَجُرْدُهُ

١٥ وَنَفْتَرَشُ<sup>(٦)</sup> الدِّيَبَاجِ مِنْ جُودِ كَفِّهِ وَمَا فَرَشَهُ إِلَّا الْجَوَادُ وَلِبْدُهُ

وَمَنْ بَرَّحَ البَيْضِ الحِسانِ بوجدهِ وَقَبَالِيبِضٍ فِي الهَيْجَاءِ بَرَّحَ وَجْدُهُ

وَكُلُّ إِمَامٍ نَاصِرٍ أَنْتَ صِنْوُهُ وَكُلُّ إِمَامٍ قَاهِرٍ أَنْتَ نِدُّهُ

(١) راجع ديوانه ص ١٥ (٢) يعنى عبد الجليل بن وهبون

(٣-٤) رة فى ر (٤) ب : « وأجنده »

(٥) ر : « المزن » (٦) ب : « ويفترس »

نَمَّوكَ إِلَى بَيْتِ النُّبُوَّةِ وَابْتَنَوْا لَكَ الشَّرَفَ الْفَرْدَ الَّذِي أَنْتَ فَرَدُّهُ  
فَأَفْخِرْ بِمَنْ قُرْبُ النَّبِيِّينَ فَخْرُهُ وَأَعْجِدْ بِمَنْ مَجْدُ الْخَلَائِفِ مَجْدُهُ<sup>(١)</sup>

وَلَهُ مِنْ أُخْرَى فِي الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ :

أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّ الثَّوَاءَ هُوَ التَّوَى وَأَنَّ بِيُوتَ الْعَاجِزِينَ<sup>(٢)</sup> قُبُورُ  
تُخَوِّفُنِي طُولَ السَّفَارِ وَأَنَّهُ لِيَتَقَبَّلَ كَفَّ الْعَامِرِيِّ سَفِيرُ  
ذَرِينِي أَرِدُ مَاءَ الْمَعَاوِزِ آجِنًا إِلَى حَيْثُ مَاءَ الْمَكْرُمَاتِ نَمِيرُ  
فَإِنِ خَطِيرَاتِ الْمَهَالِكِ ضَمَّنُ لِرَا كِبَهَا أَنَّ الْجَزَاءَ خَطِيرُ  
وَمِنْهَا فِي وَصْفِ وَدَاعِهِ لَمَنْ تَخَلَّفَهُ ، وَذَكَرَ ابْنَهُ الصَّغِيرِ ، بِمَا لَا شَبِيهَ لَهُ  
وَلَا نَظِيرَ<sup>(٣)</sup> ، وَلَا مَثِيلَ وَلَا عَدِيلَ :

وَلَمَّا تَدَانَتْ لِلْوَدَاعِ وَقَدْ هَمَّا بِصَبْرِي مِنْهَا أَنَّهُ وَزَفِيرُ  
تُنَاشِدُنِي عَهْدَ الْمُدَّةِ وَالْهَوَى وَفِي الْمَهْدِ مَبْعُومُ النَّدَاءِ صَغِيرُ<sup>(٤)</sup>  
عَيْيُ بِمَرْجُوعِ الْخِطَابِ ، وَالْفِظَةُ بِمَوْقِعِ أَهْوَاءِ النَّفُوسِ خَبِيرُ  
تَبَوُّأُ مَمْنُوعِ الْقُلُوبِ وَمُهْدَتُ لَهُ أَذْرُعُ مَحْفُوفَةِ وَنُحُورُ  
فَكُلُّ مُفْدَاةِ التَّرَائِبِ مُرْضِعُ وَكُلُّ مُحْيَاةِ الْمَحَاسِنِ ظِيرُ  
عَصَيْتُ شَفِيعَ النَّفْسِ فِيهِ<sup>(٥)</sup> وَقَادِنِي رَوَاحُ بِنْدَابِ<sup>(٦)</sup> السَّرَى وَبُكُورُ  
وَطَارَ جَنَاحُ الْبَيْنِ بِي وَهَمَّتْ بِهَا جَوَانِحُ مِنْ دُغْرِ الْفِرَاقِ تَطِيرُ  
لَيْنٌ وَدَعَتْ مِنِّي غَيْرًا فَإِنِّي عَلَى عَزْمِي مِنْ شَجْوِهَا لَعِيرُ

(١) لم تقع هذه الأبيات الثلاثة الأخيرة إلا في ر (٢) ب : « الفاجرين »

(٣) ر : « بما ليس له من شبهه ولا نظير » (٤) لم يقع هذا البيت إلا في ر

(٦) ر : « إثماده »

(٥) ره في ب

وَلَوْ شَهِدْتَنِي وَالْهَوَاجِرُ تَلْتَطِي  
 عَلَى رَقْرَاقِ السَّرَابِ يَمُورُ  
 أُسَلِّطُ حَرَ الْهَاجِرَاتِ (١) إِذَا سَطَا (١)  
 عَلَى حُرٍّ وَجَبِي وَالْأَصِيلُ هَجِيرُ  
 وَأَسْتَنْشِقُ النَّكْبَاءَ وَهِيَ بَوَارِحُ  
 وَأَسْتَوْطِي الرَّمْضَاءَ وَهِيَ تَفُورُ  
 وَالْمَوْتِ فِي عَيْنِ الْجَبَانِ تَلَوْنُ  
 وَلِلدُّعْرِ فِي سَمْعِ الْجَرِيءِ صَفِيرُ

• وَمِنْهَا (٢) :

وَقَدْ حَيَّلَتْ طُرُقَ الْمَجْرَةِ أَنَّهَا  
 عَلَى مَفْرَقِ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ قَتِيرُ  
 وَدَارَتْ نَجُومُ التُّطْبِ حَتَّى كَانَهَا  
 كُوُوسٌ مَهَا وَالِي بِيَهِنٍ مُدِيرُ  
 لَقَدْ أَيَقَنْتُ أَنَّ الْمَنَى طَوْعُ هَمَّتِي  
 وَأَيَّ بَعْظِ الْعَامِرِيِّ جَدِيرُ

• وَمِنْهَا :

١٠ وَلَمَّا تَوَافَوْا لِلسَّلَامِ وَرُفِعَتْ  
 عَنِ الشَّمْسِ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ سُبُورُ  
 وَقَدْ قَامَ مِنْ زُرْقِ الْأَسِنَّةِ دُونَهَا  
 صُفُوفٌ وَمِنْ بِيضِ السُّيُوفِ سَطُورُ  
 رَأَوْا طَاعَةَ الرَّحْمَنِ كَيْفَ أَعْبَزَازُهَا  
 وَآيَاتِ صُنْعِ اللَّهِ كَيْفَ تُنِيرُ  
 وَكَيْفَ أَسْتَوَى بِالْبَرِّ وَالْبَحْرِ مَجْلِسُ  
 وَقَامَ بَعْبُ الرِّاسِيَّاتِ سَرِيرُ  
 فَجَاءُوا عَجَالًا وَالْقُلُوبُ خَوَافِقُ  
 وَوَلَّوْا بَطَاءً وَالنَّوَاطِرُ صُورُ

١٥ وَمِنْهَا :

وَصَاءَلْ قَدْرِي فِي ذَرَاكَ عَوَاقِقُ  
 جَرَتْ لِي بَرْمَا وَالْقَضَاءُ عَسِيرُ  
 وَمَا شَكَرَ النَّخَعِي (٣) شُكْرِي، وَلَا وَفَى  
 وَفَائِي — إِذْ عَزَّ الْوَفَاءُ — قَصِيرُ  
 أَثْرِي لِيخْطُبِ الدَّهْرَ وَالِدَّهْرُ مُعْضِلُ  
 وَكَلَّنِي لِلْيَثِ الْغَابِ وَهُوَ هَصُورُ

(١-١) نه في ب (٢) نه في ر (٣) ر : « النحنى »

وَقَدْ تُخَفِّضُ الْأَسْمَاءَ وَهِيَ سَوَاءٌ كُنْ وَيَعْمَلُ فِي الْفِعْلِ الصَّحِيحِ ضَمِيرُ  
وَتَدْبُو الرُّذَيْنِيَّاتُ وَالطُّولُ وَافِرٌ وَيَبْعُدُ وَقَعُ السَّهْمِ وَهُوَ قَصِيرٌ  
وله من أُخْرَى <sup>(١)</sup> في ابن أَرْزَقٍ <sup>(٢)</sup> ، وهي <sup>(٣)</sup> أَيضًا من حُرِّ كَلَامِهِ ،  
وَسِحْرِ نِظَامِهِ <sup>(٤)</sup> :

- أَخُو ظَمَأٍ يَمْصُ <sup>(٥)</sup> حَسَاهُ سَبْعٌ وَأَرْبَعَةٌ وَكُلُّهُمْ ظَمَاءٌ  
كَأَنْجُمٍ يُوسُفِ عَدَدًا وَلَكِنْ بِرُؤْيَا <sup>(٦)</sup> هَذِهِ بَرِحَ الْخَفَاءُ  
خُطُوبٌ حَاطَبَتَهُمْ مِنْ دَوَاهِ يَمُوتُ الْحَزْمُ فِيهَا وَالذَّهَاهُ <sup>(٧)</sup>  
تَرَاءَتْ بِالْكَوَاكِبِ وَهِيَ ظُهُرٌ وَأَذَنَ فِيهِ بِالشَّمْسِ الْعِشَاءُ  
فَهَلْ نَظَرِي تَخَقَّى <sup>(٨)</sup> أَوْ بَصْدَرِي وَضَاقَ الْبَحْرُ عَنْهَا وَالْقَضَاءُ  
وَكُلُّهُمْ كَيْسُفٌ إِذْ فَدَاهُ مِنْ الْقَتْلِ التَّغْرُبُ وَالْجَلَاءُ  
وَإِنْ سَجَنُ حَوَاهُ فَكَمْ حَوَاهُمُ سُجُونُ الْفُلْكِ وَالْقَفْرُ الْقَوَاهُ  
نَقَائِدُ فِتْنَةٍ <sup>(٩)</sup> وَخُلُوفٌ ذُلٌّ أَلَدٌ مِنَ الْبَقَاءِ بِهِ <sup>(١٠)</sup> الْفَنَاءُ <sup>(١١)</sup>  
وَإِنْ أَقْوَتْ مَعَانِي الْعِزِّ مِنْهُمْ فَكَمْ عَمِرَتْ بِهِمْ بَيْتٌ <sup>(١٢)</sup> خَلَاءُ  
وَإِنْ ضَاقَتْ بِهِمْ أَرْضٌ فَأَرْضٌ وَمَا بَكَتْ لِمِثْلِهِمُ السَّمَاءُ  
شُمُوسٌ غَالَهَا ذُعْرٌ وَبَيْنَ فَهِنَّ لِكَلِّ صَاحِيَةٍ هَبَاءُ <sup>(١٣)</sup>  
فَكَمْ لَبِسُوا مِنَ النُّعْمَى بَرُودًا جَلَاهَا عَنْ جُسُومِهِمُ الْجَلَاءُ

(١-١) نه في ر (٢-٢) نه في ب (٣) ب : « ممس »

(٤) ر : « يروي » (٥) في ب تداخل هذا البيت في الذي قبله

(٦) كذا في الأصل — لم يقع هذا البيت إلا في ر

(٧) ب : « فقايدة له » (٨) ر : « لها » (٩) ب : « العناء »

(١٠) ر : « نفر » (١١) لم يقع هذا البيت إلا في ر

رَمَتْ بِهِمُ الْحَوَادِثُ نَحْوَ مَوْلَى  
وَكَمْ عَسَسُوا إِلَيْهِ لِحَجِّ بَحْرِ  
فَمَا ظَفِرُوا بِمِثْلِكَ نَجْمٍ سَعْدٍ  
وَلَكِنْ عَدَلُوا مِنْهُ حَسَابًا  
كَمَا زَجَرُوا مِنْ اسْمِ أَبِيكَ فَأَلَّا  
وله من أخرى (٢) :

فَمَا تَجَاوَزَتْ قَرْنَ الْمَوْتِ مُعْتَسِفًا  
تَحَيَّتِي مِنْهُ تَقْبِيلٌ وَمُعْتَنَقٌ  
لَمْ أَخْلَعْ الدَّرْعَ إِلَّا حِينَ شَقَّقَهُ (٣)  
وَلَا تَوَقَّيْتُ سَهْمًا مِنْ لَوْاحِظِهِ  
غَضَنْتُ تَجَرَّعَ أَنْدَاءِ الْغَمَامِ (٥) فَمَا  
يَعِيسُ طَوْرًا وَسُكْرُ الدَّلِّ عَاطِفُهُ  
فَاسْتَفْرَعُ الْخَضِرُ كُثْبَانًا (٧) تُبَاعِدُهُ  
فَبِتُّ تَحْتَ رُواقِ اللَّيْلِ ثَانِيَهُ  
وَالسَّحْرُ يُسْحَرُ مِنْ لَفْظِ يَنْزَعُنِي  
رَاحًا يَمُدُّ سَنَاها نُورُ رَاحَتِهِ  
كَأَنَّمَا ذَابَ (٨) فِيهَا وَرَدُ وَجَنَّتِهِ

(٢) اضطراب كثير في هذه القصيدة في ب

(٤) ر : « وما تحوى »

(٦) ب : « يطوق المدر »

(٨) ر : « ذيب »

(١) لم يقع هذا البيت إلا في ر

(٣) ب : « خفقه »

(٥) ب : « التعميم »

(٧) ب : « كثبان »

١٠  
١٥



فَيَا ظَلَامَ نُجُومِ اللَّيْلِ إِذْ عَدِمْتُ      بَدَرَ السَّمَاءِ وَفِي حَجْرِي مَضَاجِعُهُ  
وَيَا حَنِينَ ظَبَاءِ الْقَمَرِ إِذْ فَقَدْتُ      غَزَالَهِنَّ وَفِي رَوْضِي مَرَاتِعُهُ  
فَجَالَ طَرْفِي وَمَا حَازَتْ لَوَاحِظُهُ      وَحَنَّ صَدْرِي وَمَا ضَمَّتْ أَضَالِعُهُ<sup>(١)</sup>  
وَالطَّرْفُ مِرْآةٌ عَيْنِي أُسْتَدِلُّ بِهَا      عَلَى الصَّبَاحِ إِذَا مَا خِيفَ سَاطِعُهُ  
جَوْنًا أَزِيدُ بِهِ لَيْلَ الرَّقِيبِ دُجِي      وَيَسْتَنْيرُ<sup>(٢)</sup> لِي الْإِصْبَاحَ لَامِعُهُ  
فَبَاتَ يَعْجَبُ مِنْ ظَنِّي يُصَارِعُنِي      وَقَدْ يَرِقُّ عَلَى لَيْثٍ أُصَارِعُهُ  
وَمَا رَأَى قَبْلَهَا قِرْنًا أُعَانِقُهُ      إِلَّا وَوَدَّعَ نَفْسًا لَا تُرَاجِعُهُ  
حَتَّى بَدَا الصُّبْحُ مُشْمَطًا ذَوَائِبُهُ      يُطَارِدُ اللَّيْلَ مَوْشِيًّا أ كَارِعُهُ  
كَأَنَّ جَمْعَ ضَلَالِ حَانَ<sup>(٣)</sup> مَصْرَعُهُ      وَأَنْتَ بِالسَّيْفِ يَا مَنْصُورُ صَارِعُهُ

- قال أبو الحسن: قوله « مَوْشِيًّا أ كَارِعُهُ »: جَعَلَ ذَوَائِبَ الصُّبْحِ  
مُشْمَطَةً مِنْ مُمَازَجَةِ اللَّيْلِ لَهُ، وَجَعَلَ أ كَارِعَ اللَّيْلِ مَوْشِيَّةً مِنْ مُمَازَجَةِ الصُّبْحِ  
لَهَا، وَجَعَلَ آخِرَ اللَّيْلِ مِنْ مَوَآخِرِهِ وَهِيَ الْمُتَّصِلَةُ بِأَوَّلِ الصُّبْحِ، وَآخِرَ الصُّبْحِ مِنْ  
مَقَادِمِهِ وَهِيَ الْمُتَّصِلَةُ بِآخِرِ اللَّيْلِ؛ وَأَصَابَ فِي الْإِشَارَةِ إِلَى التَّشْبِيهِ لِأَنَّهُ أَوْمَأَ  
إِلَى أَنَّ الصُّبْحَ كَالْمَوْرِ الْوَحْشِيِّ وَهُوَ أْبْيَضُ، وَالتَّيْرَانُ الْوَحْشِيَّةُ كَالهَا بِيضُ،  
وَأ كَارِعُهَا مَوْشِيَّةٌ خَاصَّةٌ. وَإِنَّمَا أَلَمَّ الْقَسْطَلِيُّ فِي هَذَا بِقَوْلِ أَعْرَابِيٍّ يَصِفُ  
لَيْلَةً: خَرَجْنَا فِي لَيْلَةٍ حِنْدِسٍ قَدْ أَلَّتْ عَلَى الْأَرْضِ أ كَارِعَهَا فَمَحَتْ صُورَ  
الْأَبْدَانِ، فَمَا كِدْنَا نَتَعَارَفُ إِلَّا بِالْأَذَانِ. وَقَوْلُهُ: « فَيَا ظَلَامَ نُجُومِ اللَّيْلِ »  
الْبَيْتِ، مِنْ مَلِيحِ الْعَعَانِي، وَقَدْ أَخَذَهُ إِدْرِيسُ بْنُ الْيَمَانِيِّ، فَقَالَ مِنْ مُجْمَلَةِ أُبَيَاتِ  
هِيَ ثَابِتَةٌ فِي مَوْضِعِهَا مِنْ هَذَا الْمَجْمُوعِ:

(١) لم يقع هذا البيت والذي قبله إلا في ر

(٢) ب: « ويسترد »

(٣) ب: « جار » — ر: « حاز »

بَدْرُ الْمَ وَبَدْرُ اللَّيْلِ مُمَحَّقٌ وَالْأَفْقُ مُحْلَوْلُكَ الْأَرْجَاءُ مِنْ حَسَدِ  
تَحْيِرِ اللَّيْلِ فِيهِ أَيْنَ مَطْلَعُهُ أَمَادَرَى اللَّيْلِ أَنَّ الْبَدْرَ فِي عَضْدِي؟

وله من أُخْرَى فِي عَلِيٍّ بْنِ حَمُودٍ: قَالَ ابْنُ بَسَّامٍ: وَهَذِهِ الْقَصِيدَةُ لَهُ  
طَوِيلَةٌ<sup>(١)</sup>، وَهِيَ مِنَ الْهَاشِمِيَّاتِ الْغُرِّ، بَنَاهَا مِنَ الْمِسْكِ وَالذَّرِّ، لَا مِنْ الْحِصِّ  
وَالْأَجْرِّ، لَا بَلْ خَلَدَهَا حَدِيثًا عَلَى الدَّهْرِ، وَسَرَّ بِهَا مَطَالِعَ النُّجُومِ الرَّهْرِ<sup>(٢)</sup>؛  
لَوْ قَرَعْتَ سَمْعَ دِعْبِلِ بْنِ عَلِيٍّ الْخُرَاعِيِّ، وَالْكُمَيْتِ بْنِ زَيْدِ الْأَسَدِيِّ، لَأَمْسَكَ  
عَنِ الْقَوْلِ، وَبَرَّأْنَا إِلَيْهَا مِنَ الْقُوَّةِ وَالْحَوْلِ؛ بَلْ لَوْ رَأَاهَا السَّيِّدُ الْحَمَيْرِيُّ، وَكُنِيَ  
الْخُرَاعِيُّ؛ لِأَقَامَاهَا بَيْنَهُ عَلَى الدَّعْوَى، وَلَتَلَقَّيَاهَا بِشَارَةَ عَلَى زَعَمِهِمَا بِخُرُوجِ  
الْحَيْلِ مِنْ رَضْوَى؛ وَقَدْ أَثْبَتَتْ أَكْثَرَهَا إِعْلَانًا بِجَلَالَةِ قَدْرِهَا، وَاسْتِحْسَانًا  
لِعَجْزِهَا وَصَدْرِهَا، وَأَوَّلَهَا: ١٠

لَعَلَّكَ يَا شَمْسُ عِنْدَ الْأَصِيلِ شَجِيَّتِ لِشَجْوِ الْغَرِيبِ الدَّلِيلِ<sup>(٣)</sup>  
فَكُونِي شَفِيعِي إِلَى ابْنِ الشَّفِيعِ وَكُونِي رَسُولِي إِلَى ابْنِ الرَّسُولِ  
فَإِنَّمَا شَهَدْتِ فَأَزَكِي شَهِيدِ وَإِنَّمَا دَلَلْتِ فَأَهْدِي دَلِيلِ  
عَلَى سَابِقِ<sup>(٤)</sup> فِي قُبُودِ الْخُطُوبِ<sup>(٥)</sup> وَنَجْمِ سَنَّا فِي غُثَاءِ الشُّيُولِ  
يُنَادِي التَّرَى لِسَقَامِ الضَّيَاعِ وَيَشْكُو إِلَى الْمَلِكِ دَاءَ الْخُمُولِ  
وَعَزَّ عَلَى الْعِلْمِ مَثْوَاهُ أَرْضًا عَلَى حُكْمِ دَهْرِ ظُلُومِ جَهُولِ<sup>(٥)</sup>  
وَيَعْجَبُ<sup>(٦)</sup> كَيْفَ دَنَا مِنْ عَلِيٍّ وَلَمْ تَنْفَصِمِ حَلَقَاتُ الْكُبُولِ

(١-١) مه في ر وإنما وقعت فيها بعض الألفاظ

(٢) يصح أن تقرأ هذه القصيدة بسكون اللام

(٣) ب: «سابل» (٤) ب: «الحيول»

(٥) لم يقع هذا البيت والذي قبله إلا في ر (٦) مه في ب

وَأَبْطَأَ عَنْهُ شِفَاهُ الْعَلِيلِ      وَكَيْفَ تَنَسَّمَ (١) آلَ النَّبِيِّ  
لَهُ وَهُوَ يَرْنُو (٢) بِطَرْفِ كَلِيلِ (٣)      وَأَطْلُوَادُ عِزِّهِمْ مَائِلَاتُ  
وَيَرَشُفُ (٤) فِي التَّمَدِّ الْمُسْتَحِيلِ      وَأَبْحَرُهُمْ زَاخِرَاتُ إِلْيِهِ  
بِحَمْطِ وَأَثَلِ وَسِدْرٍ قَلِيلِ (٥)

ومنها :

شَرِيدُ السُّيُوفِ وَقَلُّ الْحُتُوفِ      يَكِيدُ بِأَفْلَازِ قَلْبِ مَهُولِ  
تَهَاوَتْ بِهِمْ مُضْعِقَاتُ الرُّعُوفِ      دِ فِي مُدْجِنَاتِ الضَّحَى وَالْأَصِيلِ  
بَوَارِقُ ظَلَمَآ تَسِيحُ دَمًا      مِنْ حَمًا أَوْ دَمًا مِنْ قَتِيلِ (٦)  
فَأَذْهَلَ مَرَضِعَةً عَنْ رَضِيعِ      وَأَنْسَى الْحَمَائِمَ ذِكْرَ الْهَدِيلِ  
فَمَا تَهْتَدِي الْعَيْنُ فِيهَا سَبِيلًا      سِوَى سُبُلِ الْعَبْرَاتِ الْهُمُولِ  
وَلَا يَعْرِفُ الْمَوْتُ فِيهَا طَرِيقًا      إِلَى النَّفْسِ إِلَّا بِعَضْبِ صَقِيلِ (٧)

ومنها :

رَكَبْتُ (٨) لَهَا مَحْمَلًا لِلنَّجَاةِ      وَصَيَّرْتُ قَصْدَكَ فِيهِ عَدِيلِي  
فَرَأَدْتُ عَلَى عَقْبَيْهَا الْمُنُونَ      بَوَارِقِ مُجِيرِ وَرَأْيِ أَصِيلِ

(١) ر : « تبسم »

(٢) ب : « كحيل »

(٣) ر : « يرجف »

(٤) لم يقع هذا البيت إلا في ر (٦) لم يقع هذا البيت والذي قبله إلا في ب ،

ولعله :

بوارق ظلماتها تستبيح ذمام حمى أو دما من قتيل

(٧) لم يقع هذا البيت والذي قبله إلا في ر (٨) ر : « وكنت »

وَقَدْ سُمِّيَتْهَا بِنَفِيسِ التَّلَادِ عَلَى أَنْفُسِ ضَائِعَاتِ الذُّحُولِ  
نُفُوسٌ حَنَّتْ قَوْسَ عَطْفِي عَلَيْهَا فَكُنَّ سِهَامَ قَيْسِي الخُمُولِ<sup>(١)</sup>

وَمَعْنَى هَذَا الْبَيْتِ كَقَوْلِ الرَّضِيِّ مِمَّا أَنْشَدَهُ التَّعَالِيُّ :

هُنَّ الْقَيْسِيُّ مِنَ الذُّحُولِ فَإِنْ سَمَا طَلَبُ فِهِنَّ مِنَ النَّجَاءِ الْأَسْهَمِ<sup>(٢)</sup>

قال التَّعَالِيُّ : وما أَحْسَنَ ما جَمَعَ بَيْنَ الْقَيْسِيِّ وَالْأَسْهَمِ ، وما أَرَاهُ سُبِقَ إِلَيْهِ  
عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ . وقال بَعْضُ أَهْلِ عَصْرِنَا وَهُوَ عَبْدُ الْمَجِيدِ بْنُ عَبْدِوَنٍ مِنْ  
جُمْلَةِ أَبْيَاتِ هِيَ ثَابِتَةٌ بِمَوْضِعِهَا مِنْ هَذَا الْجُمُوعِ :

جَوَانِحُ كَالْقَيْسِيِّ رَمَتْ ثَبِيرًا بِفَتِيانٍ — أَقِيلَى — بَلْ نَبَالِ

وقال أَبُو الْعَرَبِ الصَّمِيئِيُّ :

١٠ وَحَطَّ بِنَا عَنْ نَاجِيَاتِ كَأَنَّهَا قَيْسِيُّ رَمَتْ مِنَّا الْبِلَادَ بِأَسْهَمِ

وفي هذه الْقَصِيدَةِ يَقُولُ الْقَسْطَلِيُّ :

وَمِنْ دُونِنَا آنَسَاتُ الدِّيَارِ نِهَابَ الْحَمَى مُوحِشَاتِ الطُّلُوقِ

مَعَانِي الشَّرُورِ لِبِسْنَ الْحِدَادَ عَلَى لَابِسَاتِ ثِيَابِ الذُّهُولِ

خَطِيبَاتِ خَطْبِ النَّوَى وَالْمُهُورِ مِهَارَى عَلَيْهَا رِحَالُ الرَّحِيلِ

فَمِنْ حُرَّةٍ جُلَيْتٍ بِالْجَلَاءِ وَعَدْرَاءُ نَصَّتْ بِنَصِّ الزَّمِيلِ

وَلَا حَلَى إِلَّا جَمَانُ الدُّمُوعِ تَسِيلُ عَلَى كُلِّ خَدٍّ أَسِيلِ

قَبْدَلُنْ مِنْ طُولِ خَفْضِ النِّعَمِ بِشَقِّ<sup>(٣)</sup> الْحَزُونِ وَوَعَثِ الشُّهُولِ

(١) ر : « الخيول » (٢) راجع « ينيمة الدهر » للتعالي (ج ٣ ص ١١٨ — ١١٩)

(٣) ب : « بسوء »

- وَمِنْ قِصْرِ اللَّيْلِ تَحْتَ الْحِجَالِ      بِهِوْلِ السَّرَى تَحْتَ لَيْلٍ طَوِيلِ  
 وَمِنْ عَلَلِ الْمَاءِ تَحْتَ الظَّلَالِ      صِلَاءِ الْقُلُوبِ بِحَرِّ الْغَلِيلِ  
 وَمِنْ طَيْبِ نَفْحِ بَنُورِ الرِّيَاضِ      تَلَطَّى لَفْحِ بِنَارِ الْعَقِيلِ  
 وَمِنْ أُنْسِهَا بَيْنَ ظَنَرٍ وَتَرْبٍ      سَرَى لَيْلَهَا بَيْنَ ذَنْبٍ وَغُولِ  
 وَمِنْ كُلِّ مَرَأَى مُحَيِّمًا جَمِيلِ      تَلَقَّى الْخُطُوبِ بِصَبْرِ جَمِيلِ  
 لَعَلَّ عَوَاقِبَهُ أَنْ تَتِمَّ      فَيُهْدَى الْغَرِيبُ سَوَاءَ السَّبِيلِ  
 إِلَى الْمَاشِيِّ ، إِلَى الطَّالِبِ ،      إِلَى الْفَاطِمِيِّ الْعُطُوفِ الْوَصُولِ  
 فَسَمَى جَدُّكَ عَمْرُو الْكِرَامِ      بِهَشْمِ الثَّرِيدِ زَمَانَ الْمُحُولِ <sup>(١)</sup>  
 وَضَيْفَ حَتَّى وَخُوشَ الْفَلَاةِ      وَأَهْدَى الْقَرَى لِهَضَابِ الْوُعُولِ  
 وَإِنَّ أَبَا طَالِبٍ لِلضُّيُوفِ      لِأَطْلَبُ مِنْ ضَمِيهِهِ لِلنُّزُولِ  
 يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بَغِضَ الْجِفَانِ      وَيَغْدُو لَهُمْ بِالْغَرِيضِ النَّشِيلِ  
 فَأَنْتُمْ هُدَاةَ حَيَاةٍ وَمَوْتِ      وَأَنْتُمْ أُمَّتُهُ فِعْلٍ وَقِيلِ  
 وَسَادَاتُ مَنْ حَلَّ جَنَّاتِ عَدْنِ      جَمِيعِ شَبَابِهِمْ وَالْكُهُولِ  
 وَأَنْتُمْ خَلَائِفُ دُنْيَا وَدِينِ      يُحْكَمُ الْكِتَابِ وَحُكْمِ الْعُقُولِ  
 وَوَالِدُكُمْ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ      لَكُمْ مِنْهُ مَجْدٌ حَقِيٌّ كَفِيلِ  
 تَلَدُّ بِحَمَلِكُمْ عَاتِقَاهُ      عَلَى حَمَلِهِ كُلِّ عِبءٍ ثَقِيلِ  
 وَرَحْبُ عَلَى صَمِّكُمْ صَدْرُهُ      إِذَا ضَاقَ صَدْرُ أَبِي عَنْ سَلِيلِ  
 وَيَطْرُقُهُ الْوَحْيُ وَهَنًا وَأَنْتُمْ      ضَجِيعَاهُ بَيْنَ يَدَيِ جَبْرَيْلِ  
 وَزُودَ كُمْ كُلَّ هَدْيٍ زَكِيِّ      وَأُودِعَكُمْ كُلَّ رَأْيٍ أَصِيلِ

(١) هذا البيت والأبيات التي تليه إلى آخر القصيدة لم تقع إلا في ب

قوله : « من حُرِّةٌ جُلِّيتْ بِالْجَلَاءِ » البيت <sup>(١)</sup> ، كقول أبي عبد الله بن شَرَفَ الْفَيْرَوَانِيَّ مِنْ جَمَلَةِ أَيْبَاتِ :

بَاتَ كَرْسِيَهَا الْجِلَاءُ فَأَضْحَتْ فِي ثِيَابِ الْجَلَاءِ لِلنَّاسِ تُجَلَّى

قال ابن بسَّام : وانتحى ابن شَرَفٍ ، فيما وصفَ من فِتْنَةِ فَيْرَوَانِهِ ، مَنْحَى الْقَسْطَلِيِّ فِي شَكْوَى زَمَانِهِ ، والحديثِ عن الفِتنِ ، فكأثرِ الْبَحْرِ بَوْشَلِي مَشْفُوهٍ ، وجارى الرِّيحِ بِكُودِنٍ لافضَلٍ فِيهِ . وفي القسمِ الرَّابِعِ مِنْ هَذَا الْديوانِ <sup>(٢)</sup> جَمَلَةٌ مِنْ شِعْرِهِ ، شاهِدَةٌ عَلَى مَا أُجْرِيَتْ مِنْ ذِكْرِهِ .

وقال أبو عُمر <sup>(٣)</sup> فِي الْخَلِيفَةِ خَيْرَانَ الْعَامِرِيِّ صَاحِبِ الْمِرْيَةِ ، وَهُوَ مَتَوَجِّهٌُ إِلَى سَرَ قَسْطَةَ سَنَةِ سَبْعٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَرَأَيْتُ إِثْبَاتَ بَعْضِهَا لِحُسْنِهَا <sup>(٤)</sup> :

|   |   |    |
|---|---|----|
| لَكَ الْخَيْرُ قَدْ أَوْفَى <sup>(٥)</sup> بَعْدَكَ خَيْرَانُ | وَبُشْرَاكَ قَدْ وَافَاكَ عَزٌّ وَسُلْطَانُ         | ١٠ |
| هُوَ النَّجْمُ لَا يُدْعَى إِلَى الصُّبْحِ شَاهِدُ            | هُوَ النُّورُ لَا يُبْغَى عَلَى الشَّمْسِ بُرْهَانُ |    |
| إِلَيْكَ شَحَنَّا الْفُلْكَ تَهْوِي كَأَنَّهَا                | وَقَدْ ذُعِرَتْ مِنْ مَغْرِبِ الشَّمْسِ غَرْبَانُ   |    |
| عَلَى لُجَجٍ خُضِرٍ إِذَا هَبَّتِ الصَّبَا                    | تَرَامِي بِنَا فِيهَا ثَبِيرٌ وَمَهْلَانُ           |    |
| مَوَائِلٍ <sup>(٦)</sup> تَرَعَى فِي ذَرَاهَا مَوَائِلًا      | كَمَا عُيِدَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَوْثَانُ        |    |
| وَفِي طَيِّ أَسْمَالِ الْغَرِيبِ عَرَائِبُ                    | سَكَنَ شِعَافَ الْقَلْبِ شَيْبٌ وَوِلْدَانُ         | ١٥ |
| يُرَدِّدَنَّ فِي الْأَحْشَاءِ حَرًّا مَصَائِبُ                | تَزِيدُ ظَلَامًا لَيْلَهَا وَهِيَ نَيْرَانُ         |    |

(١) راجع من ٧٢ س ١٥ (٢) ب : « الكتاب »

(٣) لم يقع ما يلي إلى آخر الأبيات الآتية إلا في ب

(٤) صححنا بعض روايات هذه القصيدة من كتاب « اليتيمة » للثعالبي (ج ٢ ص ٩٢ —

٩٤) ومن كتاب « أعمال الأعلام » لابن الخطيب (س ٢٤٥ — ٢٤٧)

(٦) ب : « قوائل »

(٥) ب : « وافي »

إِذَا غِيضَ مَاءَ الْبَحْرِ مِنْهَا مَدَدْنَهُ  
 وَإِنْ سَكَتَتْ عَنْهَا الرِّيحُ جَرَى بِهَا  
 يَقْلَنَ وَمَوْجُ الْبَحْرِ وَالْهَمُّ وَالذَّجَى  
 أَلَا هَلْ إِلَى الدُّنْيَا مَعَادٌ وَهَلْ لَنَا  
 وَهَبْنَا رَأَيْنَا مَعَلَمَ الْأَرْضِ هَلْ لَنَا  
 وَصَرَفُ الرَّدَى مِنْ دُونَِ أَدْنَى مَنَازِلِ  
 تَقَسَّمُنَ السَّيْفُ وَالْحَيْفُ وَالْبَيْلَى  
 كَمَا اقْتَسَمَتْ أَخْدَانَهُنَّ يَدُ التَّوَى  
 طَعَانُ، مُمْرَانُ الْعَاهِدِ مُقْفِرُ  
 هَوَتْ أَثْمَهُمْ مَاذَا هَوَتْ بِرِحَالِهِمْ  
 كَوَاكِبُ إِلَّا أَنْ أَفْلَاكَ سِيرَهَا  
 فَإِنْ غَرَبَتْ أَرْضُ الْمَغَارِبِ مَوْتِي  
 فَكَمْ رَحِبَتْ أَرْضُ الْعِرَاقِ بِمَقْدَمِي  
 وَإِنَّ بِلَادًا أَخْرَجْتَنِي لِعَطْلُ  
 سَلَامٌ عَلَى الْإِخْوَانِ تَسْلِيمَ يَأْسِي  
 نُودُّهُمْ شَوْقًا<sup>(٥)</sup> بِشَجْوٍ كَمِثْلِ مَا  
 وَيَعْدُدُّ مَا ضَمَّ الْوَدَاعُ تَفَرَّقُ  
 إِذَا شَرَّقَ الْحَادِي بِهِمْ غَرَبَتْ بِنَا

بِدَمْعِ عَيْونِ تَمْتَرِيهِنَّ أَشْجَانُ  
 زَفِيرُ إِلَى ذِكْرِ الْأَحْبَةِ حَنَّانُ  
 تَمُوجُ بِنَا فِيهَا عَيْونُ وَأَذَانُ  
 سَوَى الْبَحْرِ قَبْرُ أَوْ سَوَى الْمَاءِ أَكْفَانُ  
 ٥ مِنْ الْأَرْضِ مَا أَوْى أَوْ مِنْ الْإِنْسِ عِرْفَانُ  
 تَبَاهَى إِلَيْنَا بِالسَّرُورِ<sup>(١)</sup> وَتَرَدَّانُ  
 وَشَطَّتْ بِنَا عَنْهَا<sup>(٢)</sup> عَصُورُ وَأَزْمَانُ  
 فَهَمُّ لِلرَّدَى<sup>(٣)</sup> وَالْبَرِّ وَالْبَحْرِ<sup>(٤)</sup> إِخْوَانُ  
 لَهُنَّ وَقَعَرُ الْأَرْضِ مِنْهُنَّ عُمرَانُ  
 ١٠ إِلَى نَازِحِ الْآفَاقِ سُنْفُنُ وَأَطْعَانُ<sup>(٤)</sup>  
 زَمَامٌ وَرَحْلُ أَوْ شِرَاعٌ وَسُكَّانُ  
 وَأَنْكَرَنِي فِيهَا خَلِيطُ وَخِلَانُ  
 وَأَجْرَلَتْ الْبُشْرَى عَلَى خُرَاسَانَ  
 وَإِنَّ زَمَانًا خَانَ عَهْدِي لِخَوَّانُ  
 ١٥ وَسَقِيًّا لِدَهْرِ كَانِ لِي فِيهِ إِخْوَانُ  
 أَجَابَتْ خَفِيفَ السَّهْمِ عَوْجَاهُ مِرْنَانُ  
 كَمَا انْشَعَبَتْ تَحْتَ الْعَوَاصِفِ أَعْصَانُ  
 نَوَى يَوْمَهَا يَوْمَانِ وَالْحَيْنُ أَحْيَانُ

(١) ب : « بالسرى » (٢) ب : « عنهم » (٣-٣) بياض في ب

(٤) كذا في ب ، وهذا البيت والذي بعده لم يوجد في « أعمال الأعلام »

(٥) ب : « شجوا »

فَلَا مُؤْنِسُ إِلَّا شَهِيْقُ وَزَفْرَةٌ  
وَمَا كَانَ ذَاكَ التَّيْنُ بَيْنَ أَحْيَةٍ  
فِيَا عَجَبًا لِلصَّبْرِ مِنَّا كَأَنَّنَا  
قَضَىٰ عَيْنُهُمْ بَعْدِي وَعَيْشِي بَعْدَهُمْ  
وَأَفْجَعُ مِنْ آوَى صَفِيحٍ وَجَلْمَدُ ٥  
وَجُوهُ تَنَاءَتْ فِي الْمِيْلَادِ قُبُورُهَا  
وَمَا بَلَيْتُ فِي التُّرْبِ إِلَّا تَجَدَّدْتُ

ومنها :

هُمُ اسْتَخْلَفُوا الْأَخْبَابَ أَمْوَاجَ لِحْجَةٍ  
وَلَا يَأْسَ مِنْ رَوْحٍ وَفِي اللَّهِ مَطْمَعٌ ١٠  
مَتَى تَلَحَّظُوا قَصْرَ الْمَرِيَّةِ نَزَلُوا  
وَسَتَّبِدُوا مِنْ مَوْجٍ بَحْرٍ شَجَاكُمْ  
فَتَى سَيْفُهُ لِلدِّينِ أَمْنٌ وَإِيمَانُ  
فَقَضَتْ سَيْوْفُ حَارِبَتُهُ وَأَيْمُنُ  
وَبِالْخَيْرِ فَتَّاحٌ <sup>(٦)</sup> وَبِالْخَيْرِ عَائِدُ ١٥  
لَهَا الْكِرَّةُ الْغَرَاءُ عَنْ كُلِّ شَارِدٍ  
وَرَدَّ بِهَا يَوْمَ اللَّقَاءِ زَنَاتَهُ

- (١) ب : « الأبواب »  
(٢) ب : « ولا بد »  
(٣) ب : « تلحفوا »  
(٤) ب : « نظفروا »  
(٥) ب : « يبحر »  
(٦) ب : « فاتح »



- بِكَلِّ كَيْمِي عَامِرِي يَسُوقُهُ  
 حُلِيِّهِمْ بِيضُ الصَّوَارِمِ وَالْقَنَا  
 فَأَيُّ صُقُورٍ قَلَبَتْ أَيَّ أَعْيُنٍ  
 عُيُونُ بِهَا كَادُوا الْعَلَاءَ بِعَمَائِهَا  
 وَمَا لَهُمْ فِي ظُلْمَةٍ بَعْدَ كَوْنِ كَوْنِ  
 تَضْيِيقُ بِهِمْ رُحْبُ الْقُصُورِ وَوُدُّهُمْ  
 وَأَنْسَيْتَهُمْ حَمَلُ الْقَنَا ، بِسِلَاحِهِمْ  
 وَأَنَّى لِعِلِّ الْقَبْطِ فِي مِصْرَ مَوْتِلِ  
 حَمَرَتْ لَهُمْ فِي يَوْمِ قَبْرَةِ بِالْقَنَا  
 يَعْطِرُ بِهَا هَامٌ وَنَسْرٌ وَنَاعِبُ  
 قَلَوْ نَشَرَ الْأَمْلاكَ يَوْمَكَ فِيهِمْ  
 وَلَوْ رُدَّ فِي الْمَنْصُورِ رُوحُ حَيَاتِهِ  
 وَنَادَيْتَ لِلْهِيَجَاءِ أَبْنَاءَ مُلْكِهِ  
 جِبَالٌ إِذَا أُرْسِيَتْهَا حَوْمَةُ الْوَعْيِ  
 كِتَابٌ بَلْ كُتِبَ بِنَصْرِكَ سَطَّرَتْ  
 هُوَ السِّيفُ لَا يَرْتَابُ أَنَّكَ سَيْفُهُ  
 وَأَسْمَرَ يَسْرِي فِي بَحَارٍ مِنَ الرَّدَى  
 تَلَالُأُ نُورًا مِنْ سَنَّاكَ سِنَانُهُ  
 فَلِلَّهِ مَاذَا أَنْجَبَتْ مِنْكَ عَامِرُ  
 وَاللَّهِ مِنْهَا أَهْلُ بَيْتِ رَمْسِهِمْ
- ٥ لِحَرِّ الْوَعْيِ قَلْبُ عَلَى الدِّينِ حَرَّانُ  
 لَهَا وَحَلَاهُمْ سَابِغَاتُ وَأَبْدَانُ  
 إِلَى أَيِّ لَيْثٍ رَدَّهَا وَهِيَ خِلْدَانُ  
 فَهُمْ فِي سَبِيلِ<sup>(١)</sup> الرُّشْدِ وَالْعَيْ مَعْيَانُ  
 وَمَا لَهُمْ فِي مُقَلَّةٍ بَعْدَ إِنْسَانُ  
 لَوْ اخْتَارَهُمْ عَنْهَا كُهُوفٌ وَغَيْرَانُ  
 عَلَيْكَ - إِذَا الْأَقْوَاكُ - ذُلٌّ وَإِذَاعَانُ  
 وَقَدْ غِيلَ فِرْعَوْنُ وَأَهْلِكَ هَامَانُ  
 قُبُورًا هَوَاءَ الْجَوِّ مِنْهُنَّ مَلَانُ  
 ١٠ وَيَعْدُو بِهَا ذَنْبٌ وَذِيخٌ وَسِرْحَانُ  
 لَأَلْقَى إِلَيْكَ التَّاجَ كِسْرَى وَخَافَانُ  
 غَدَاةَ لَقَيْتَ الْعَوْتَ وَالْمَوْتَ عَرَّثَانُ  
 فَلَبَّكَ آسَادُ عَيْبِيدُ وَفَتَيَانُ  
 وَإِنْ تَدْعُهُمْ يَوْمًا إِلَيْهَا فَعَقْبَانُ  
 ١٥ وَوَجْهَكَ «بِسْمِ اللَّهِ» وَالسِّيفُ عُنْوَانُ  
 إِذَا نَازَلَ الْأَقْرَانَ فِي الْحَرْبِ أَقْرَانُ  
 يُيْمِنُكَ لَكِنْ تَفْتَدِي وَهُوَ ظَمَّانُ  
 وَقَدْ دَعَتِ الْفُرْسَانَ لِلْحَرْبِ فُرْسَانُ  
 وَاللَّهِ مَاذَا نَاسَبَتْ مِنْكَ قَحْطَانُ  
 ٢٠ إِلَى يَدِكَ الْعُلْيَا بُحُورٌ وَبُلْدَانُ

(١) ب : « شعاب »

وَكَلَّمَهُمْ يُرْهِمِي عَلَى الشَّمْسِ بِالضُّحَى  
وَبَدْرِ الدِّيَاجِي ، إِنَّهُمْ لَكَ جِيرَانُ  
وَقَدْ زَادَ أَبْنَاهُ السَّبِيلَ وَسَيْلَهُ  
وَحَلُّوا فَرَادُوا أَنَّهُمْ لَكَ ضَيْفَانُ  
فَمَا قَصَّرَتْ بِي عَنْ غَلَاكَ شَفَاعَةٌ  
وَلَا بَلَكَ عَنْ مِثْلِي جَزَاءٌ وَإِحْسَانُ

إيجاز الخبر عن إمارة علي بن حمود<sup>(١)</sup>

٥ قَالَ أَبُو مَرْوَانَ : هُوَ عَلِيُّ بْنُ حَمُودِ بْنِ مَيْمُونِ بْنِ حَمُودِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ  
عُمَرَ بْنِ إِدْرِيسَ بْنِ إِدْرِيسَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .  
وَذَكَرَ ابْنُ قَتَيْبَةَ<sup>(٢)</sup> أَنَّ نَفَرًا مِنْ وَلَدِ إِدْرِيسَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ  
أَيَّامَ طَلْبَةِ الرَّشِيدِ فَجَبَسَهُ عِنْدَ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى فَرَوَّأُوا إِلَى الْمَغْرِبِ فَوَقَعُوا بِبِلَادِ  
إِفْرِيْقِيَّةَ ، ثُمَّ رَفَضَتْهُمْ<sup>(٣)</sup> آفَاقُهَا إِلَى طَرْفِ بِلَادِ الْبَرْبَرِ<sup>(٤)</sup> فَسَكَّحُوا إِلَيْهِمْ  
١٠ وَتَبَرَّبَرُوا مَعَهُمْ<sup>(٥)</sup> .

قال أبو الحسن : وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ عَفَبَهُمْ إِلَى الْيَوْمِ هُنَالِكَ وَقَدْ قَدِمْتُ فِيهَا  
نَقَلْتُهُ مِنْ كِتَابِ ابْنِ حَيَّانٍ فِي أَخْبَارِ الْخَلِيفَةِ<sup>(٦)</sup> سُلَيْمَانَ السَّبَبِ الَّذِي أَوْطَأَ لِعَلِيِّ  
ابْنِ حَمُودِ ثَبَجَهَا ، وَأَوْضَحَ لَهُ مَنَهَجَهَا ، حَتَّى خَرَجَ مِنْ عَمَائِهَا<sup>(٧)</sup> ، وَعَرَجَ إِلَى  
سَمَائِهَا . وَنَسَكْتُبُ هَاهُنَا مَا نَصَّهُ أَيْضًا أَبُو مَرْوَانَ مِنْ كَيْفِيَّةِ<sup>(٨)</sup> مَقْتَلِهِ وَخَبْرِهِ ،  
١٥ بِقُرْطُبَةَ أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ ، بَعْدَ أَنْ نَبَرَّأَ مِنَ التَّطْوِيلِ ، وَنَحَذِفُ إِنْ احْتَجَجْنَا  
إِلَى ذَلِكَ بَعْضَ الْفُصُولِ .

(١) ز في ر : « الذي ذكره » (٢) ب : « العتي »

(٣) ب : « لفظهم » (٤) ب : « طرف من بلاد المغرب »

(٥-٥) ه في ر (٦) ه في ب

(٧) ر : « عمائها » (٨) ب : « شرح »

قال ابن حيان : بُويعَ عَلِيُّ بْنُ سَمُودٍ فِي بَابِ السُّدَّةِ مِنْ قَصْرِ قُرْطَبَةَ  
يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لِسَبْعِ بَقِينٍ <sup>(١)</sup> لَمْ حَرَّمْ سَنَةَ سَبْعٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، ثَانِي الْيَوْمِ الَّذِي أُذْرِكُ  
فِيهِ بَثَارَ هِشَامِ الْمُؤَيَّدِ ؛ وَلَمْ يَتَخَلَّفْ أَحَدٌ عَنْ بَيْعَتِهِ ، وَوَصَلُوا إِلَيْهِ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ ،  
فَكَرَّمْ مَنَازِلَهُمْ ، وَأَجْمَلَ خِطَابَهُمْ ، وَتَسَمَّى لِيَوْمِهِ مِنَ الْأَلْقَابِ الشُّطْرَانِيَّةَ <sup>(٢)</sup>  
بِالنَّاصِرِ لِدِينِ اللَّهِ : لَقَبٌ <sup>(٣)</sup> قَدْ سَبَقَهُ إِلَيْهِ بِالْمَشْرِيقِ أَبُو أَحْمَدَ بْنُ الْمُتَوَكَّلِ  
الْعَبَّاسِيُّ ، وَتَبِعَهُ فِيهِ أَيْضًا <sup>(٤)</sup> عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ هَذَا الْأَفْقِيُّ <sup>(٥)</sup>

وَلَمَّا صَارَتْ لِعَلِيِّ بْنِ سَمُودٍ الْخِلَافَةُ تَقَدَّمَ مِنَ الْقَهْرِ لِلنَّاسِ بِالغَلْبَةِ وَالْإِرْهَابِ  
لَهُمْ بِمَا خَامَرَ الْقُلُوبَ مِنْ هَوْلِ سَطْوَتِهِ ، وَلَا سِيَّامَا بَرَابَرَةَ الْعَسْكَرِ لَمَّا أَحَلَّ بِهِمْ  
مِنَ الذُّلِّ وَالْقَتْلِ فَدَهَشُوا مِنْهُ . وَقَادَهُمْ مُدَيْدَةٌ قَوْدَ الْإِبِلِ الْمَخْطُومَةِ ، وَأَعْدَى  
عَلَيْهِمُ الْخُصُومَ ، حَتَّى صَارَ أَقْلُ الرَّعِيَّةِ يَرْفَعُ أَعْتَاهُمْ إِلَى الْحُكَّامِ بِمَا شَاءَ مِنْ وَجْهِ  
الدَّعَاوَى فَتَجَرَّى عَلَيْهِمُ الْأَحْكَامُ ؛ فَبَرَقَتْ لِلْعَدْلِ يَوْمَئِذٍ بَارِقَةٌ خُتِبُ لَمْ تَكْذُ  
تَقْدُ حَتَّى خَبَتْ ، وَتَبَيَّنَ أَنَّ الْبَرَابَرَ أَطْوَعُ خَلَقَ اللَّهُ <sup>(٦)</sup> لِمَنْ أَحَاقَهُمْ . وَجَلَسَ عَلِيُّ  
بِنَفْسِهِ لِمَطَالِمِ النَّاسِ <sup>(٧)</sup> ، وَهُوَ مَفْتُوحٌ <sup>(٨)</sup> الْبَابِ <sup>(٧)</sup> ، مَرَّةً فَوَعُ الْحِجَابِ <sup>(٩)</sup> ، لِلْوَارِدِ  
وَالصَّادِرِ <sup>(٩)</sup> ، يُقِيمُ الْحُدُودَ مُبَاشِرًا بِنَفْسِهِ ، لَا يُحَاشِي أَحَدًا مِنْ أَكْبَرِ قَوْمِهِ .  
فَانْتَشَرَ أَهْلُ قُرْطَبَةَ <sup>(١٠)</sup> فِي الْأَرْضِ ، ذَاتِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ <sup>(١٠)</sup> ، وَسَلِكَتْ  
السُّبُلَ ، وَرَخَا السَّعْرُ ، وَأَرْقُوا الْأَغْذِيَةَ ، وَشَامُوا النِّسَاءَ ، وَطَلَبُوا النَّسْلَ ، وَكَانَ

(٢) ب : « الأسماء الخلافية »

(١) يابن في ب

(٤) ر : « قبله »

(٣) ب : « وهو اسم »

(٦) ب : « أطوع البشر »

(٥) ب : « صاحب الأندلس »

(٨) ب : « مفتوح »

(٧-٧) نه في ر

(١٠-١٠) نه في ر

(٩-٩) نه في ر

أكثرهم يقول بالعزلة ، واتخذوا الحلواء على طول عهدِ بهتا ، ورجوا الإقالة  
فخائنهم الأملُ عما قليل ، وارتكسوا في المحنة .

ومن بعض ما جرى في مجلس له من مباشرته إقامة الحدود بنفسه ،  
وجلوسه حيث لم يجلس قط خليفة أنه قدّم إليه عصاة من البرابر الأكبر ، في  
جرائم تجاوزت حدّ النكال ، فأمر بضرب أعناقهم <sup>(١)</sup> وعشائرهم ينظرون  
خيفة لا ينبسون ، ولا يجسرون عليه <sup>(٢)</sup> في شفاعته . وبهذا المجلس وشبهه  
ما فتى أهل قرطبة ببن حمود أشد فتنة . وخرج يوماً على باب عامر فالتقى  
بفارس من البرابر قدّامه حمل عنب <sup>(٣)</sup> ، فاستوقفه وقال له : من أين لك هذا  
العنب ؟ قال : أخذته كما يأخذ الناس ! فأمر بضرب عنقه ، ووضع رأسه وسط  
الحميل ، وطيف به البلد كله . وكل أفعاله كانت حسنة عند الرعية إلى أن  
أوقعهم في أعظم بليّة .

وكان على بن حمود تلقاة ، شديد الإصابة بعينه ، لا يكاد يفتح عينيه  
على شيء يستحسنه إلا أسرع الآفة إليه ؛ وله في ذلك نوادر عجيبة ،  
ولربما قال للنفيسة من نساها : وارى محاسنك عن عيني ما استطعت ! فإني  
شاح عليك من عيني وأنا أحب الاستمتاع بك ، أو كلاماً هذا معناه ، أخذته  
عن حظية له زادتني من عجائبه .

واستمر مع أهل قرطبة نحواً من ثمانية أشهر في أحسن عشرة ، ثم  
آنس منهم الكراهية لدولته . وبلغه أيضاً قيام المرتضى بشرقي الأندلس ،  
فعمز على إبادة أهل قرطبة وإخلائها ، فلا يعود لأئمتهم المروانية سلطان  
آخر الدهر ، ثم يعود إلى ساحله ، ويجمع شمل برابرتيه ، فيضرب بهم جميع

(١) ب : « رقايم » (٢) مد في ر (٣) بيان في ب

- الأندلس ، فانقلبَ سريعًا عن التَّجَمُّلِ الذي كانَ يُظهِرُهُ لهم<sup>(١)</sup> وانصَرَفَ إلى حِزْبِهِ البَرْبَرِيِّ ، فَأَثَرَهُ ، وَأَغْضَى عَلَى سُوءِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الظُّلْمِ والحَيْفِ ، فَوَقَعَ أَهْلُ قُرْطُبَةَ وَغَيْرُهُمْ فِي حَالَتِهِمْ مُدَّةَ سُلَيْمَانَ ، مِنْ اسْتِطَالَتِهِمْ عَلَيْهِمْ . وَصَبَّ عَلَى أَهْلِ قُرْطُبَةَ ضُرُوبًا<sup>(٢)</sup> مِنَ التَّنْكِيلِ<sup>(٣)</sup> وَالْمَغَارِمِ ، وَانْتَزَعَ السِّلَاحَ مِنْهُمْ ، وَهَدَمَ دُورَهُمْ ، وَقَبَضَ أَيْدِيَ الحُكَّامِ عَنْ إِنْصَافِهِمْ ، وَأَغْرَمَ عَامَّتَهُمْ ، وَتَوَصَّلَ إِلَى أَعْيَانِهِمْ بِأَقْوَامٍ مِنْ شِرَارِهِمْ ، فَفَتَحُوا لَهُ أَبْوَابًا مِنَ البَلَايَا أَهْلَكُوا بِهَا الأُمَّةَ ، وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِالسَّعْيَةِ ، وَقَرَنَ بِجَمِيعِ النَّاسِ الأَشْرَاطَ ، وَوَكَّلَ بِهِمُ الضُّغَاطَ ، وَمَا شِئْتَ مِنْ مُكْشَفٍ عَنِ اليمِينِ وَالشِّمَالِ ، مَتَلُولِ الجَبِينِ مُذَالِ القَدَالِ<sup>(٤)</sup> ، قَدْ صَارَ شَطْرُ النَّاسِ أَشْرَاطًا عَلَى سَائِرِهِمْ ، قَلَمَّا تَلَقَى أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا بِمُؤْكَلٍ عَلَيْهِ ، حَتَّى كَانَ الكِرَامَ الكَاتِبِينَ بَدَوْا لِلأَبْصَارِ ، فَأَخَذَتْ عَلَى النَّاسِ الأَقْطَارَ ؛ فَأَظْلَمَتِ الدُّنْيَا ، وَأُبْلِسَ أَهْلُهَا ، وَغَشِيَهُمْ<sup>(٥)</sup> مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَهُمْ<sup>(٥)</sup> ؛ فَلَزِمُوا البُيُوتَ ، وَتَطَمَّرُوا فِي بُطُونِ الأَرْضِ ، حَتَّى قَلَّ بِالنَّهَارِ ظُهُورُهُمْ ؛ وَخَلَّتْ أَسْوَاقُهُمْ<sup>(٦)</sup> ، فَإِذَا دَنَا المَسَاءَ وَكَفَّ الطَّلَبُ عَنْهُمْ ، انْتَشَرُوا تَحْتَ الظَّلَامِ لِبَعْضِ حَاجَتِهِمْ<sup>(٦)</sup> .
- ١٥ وَامْتَحِنَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الأَعْيَانِ ، مِمَّنْ خَدَمَ فِي مُدَّةِ سُلَيْمَانَ ، فَاعْتَقِلُوا وَصُودِرُوا بِأَمْوَالٍ ، وَامْتَهِنَ بَعْضُهُم بِالضَّرْبِ<sup>(٧)</sup> فَفَسَدُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَمْرَ بِإِطْلَاقِهِمْ<sup>(٧)</sup> ؛ فَلَمَّا أُحْضِرَتْ دَوَابُّهُمْ لِلرَّكُوبِ ، قُبِضَتْ جَمِيعُهَا ، وَانْطَلَقَ القَوْمُ رَجُلًا إِلَى بُيُوتِهِمْ ، فَكَانَتْ عِنْدَهُمْ أَعْظَمُ آفَةٍ جَرَتْ عَلَيْهِمْ ؛ وَكَانَ مِنْهُمْ أَبُو الحَزْمِ

(١) ب : « لأهل الأندلس » (٢) هـ في ب

(٣) هـ في ر (٤) ر : « مزال العدال »

(٥-٥) هـ في ر (٦-٦) هـ في ر

(٧-٧) ب : « حتى صانعوها على أنفسهم بجملة من المال »

ابن جهور، وأحمد بن برزئ الأَكْبَر<sup>(١)</sup>، وغيرهما. فهذه جملة من أخباره، في حاله صلاحه وفساده، ووقتي رضاه وسخطه.

كَيْفِيَّةُ مَقْتَلِهِ<sup>(١)</sup>:

فَلَمَّا سَنَّاتُهُ<sup>(٢)</sup> الْقُلُوبَ، وَأَثْقَلَتْهُ الْأَوْزَارُ، وَالتَّقَتْ عَلَيْهِ الْأَكْفَ،  
 ٥ وَخَلَصَتْ فِيهِ النَّجْوَى، وَتَوَالَى عَلَيْهِ الدُّعَاءُ<sup>(٣)</sup>، نَظَرَ اللَّهُ إِلَى عِبَادِهِ<sup>(٤)</sup>، وَسَلَّطَ  
 عَلَيْهِ أَوْعَفَ الْخَلِيقَةِ صَبِيئَانًا أَعْمَارًا مِنْ صَقَالِبَةٍ<sup>(٥)</sup> بَنَى مَرَّوَانَ كَانُوا أَقْرَبَ  
 النَّاسِ إِلَيْهِ، وَأَذْنَاهُمْ مِنْ حُرْمَتِهِ، وَأَحْقَرَهُمْ فِي عَيْنِهِ<sup>(٦)</sup>، جَسَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى<sup>(٧)</sup>  
 عَلَى الْوُثُوبِ عَلَيْهِ بِمَوْضِعِ أَمْنِهِ فِي حَمَامٍ قَصْرِهِ<sup>(٨)</sup>؛ لِأَعْنِ مُوَاطَاةٍ مِنْ أَحَدٍ  
 إِلَّا مَا أَلْقَاهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي نَفْسِهِمْ لَهُ؛ وَكَانُوا ثَلَاثَةً مِنَ الصَّقَلِبِ رُفَقَاءَ، فِيهِمْ  
 ١٠ وَصِيفٌ حَسَنُ الْوَجْهِ جَدًّا كَانَ يَخْفُ عَلَيْهِ اسْمُهُ: مُنَجِّجٌ، وَلَيْبِبٌ، وَعَجِيبٌ؛  
 دَبَّرُوا<sup>(٩)</sup> جَمِيعًا عَلَيْهِ فَمَقَتَلُوهُ لَيْلًا غُرَّةَ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ،  
 وَقَدْ دَخَلَ الْحَمَامَ سَحْرًا فَاِبْتَدَرَهُ مُنَجِّجٌ بِكُوبٍ نُحَاسٍ ثَقِيلٍ صَبَّهُ عَلَى رَأْسِهِ<sup>(١٠)</sup>،  
 فَشَجَّهُ فَغَشِيَ عَلَيْهِ، وَنَادَى صَاحِبِيهِ فَوَدَّجُوهُ<sup>(١١)</sup> بِالْخَنَاجِرِ<sup>(١٢)</sup> حَتَّى بَرَدَ<sup>(١٣)</sup>،  
 وَسَدُّوا عَلَيْهِ بَابَ الْحَمَامِ، وَتَسَلَّلُوا وَصَعِدُوا إِلَى سَقْفِ بَعْضِ الْقُصُورِ<sup>(١٤)</sup>،  
 ١٥ وَكَمَنُوا فِي مَخَابِ هُنَالِكَ كَانُوا يَعْرِفُونَهَا فَلَمْ يُحَسَّ بِهِمْ<sup>(١٥)</sup>. وَلَمَّا اسْتَطَالَ نِسَاؤُهُ  
 بَقَاءَهُ بِالْحَمَامِ دَخَلْنَ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَرَعْنَهُنَّ إِلَّا مَسِيلُ دَمِهِ، وَهُوَ قَتِيلٌ مُمَرَّقٌ

(١-١) ر في ر (٢) ر : « سنته » (٣-٣) ر في ر

(٤-٤) ر في ر (٥-٥) ب : « على مواثبه في قصره، وموضع محله وأمنه »

(٦) ب : « بدروا » (٧) ب : « هامته » (٨) ب : « قصر يوه »

(٩-٩) ر في ر (١٠-١٠) ر في ر

الإهاب . ولم يستمّ النهار حتى صحَّ عند النَّاسِ مَقْتَلُهُ <sup>(١)</sup> وخبرُ الفَتَكِ به <sup>(٢)</sup> ؛  
ففرَّجَ عنهم <sup>(٣)</sup> غمٌّ عَظِيمٌ ، وابتهلوا بِشُكْرِ خَالِقِهِمْ .

واجتمعت زَنَاتُهُ ووجَّهوا من حينهم إلى أخيه القاسمِ صاحبِ إشبيلية  
يَوْمَئِذٍ ، فَوَافَى قُرْطُبَةَ رَسُولُهُ لِيَقِفَ عَلَى صِحَّةِ وَفَاةِ أَخِيهِ بِالْمَعَايِنَةِ ، وخاف أن  
تكون حيلةً منه عليه هُنَالِكَ <sup>(٤)</sup> ، فكشِفَ له عنه وتَحَقَّقَهُ ، فانكفأ <sup>(٥)</sup> إلى  
صاحبه ، ولحقَّ القاسمُ فأخرجَ إليه جَسَدَ أَخِيهِ ، فصلى عليه وأمرَ بِإِنْفَاذِهِ  
إلى مَدِينَةِ سَبْتَةَ فُدْفِنَ بِهَا .

وكانت مُدَّةُ عَلِيِّ بْنِ حَمُودٍ — من يومِ قَتْلِ سُلَيْمَانَ إِلَى يَوْمِ قَتْلِهِ — واحداً <sup>(٦)</sup>  
وعشرينَ شهراً وسبعةَ أَيَّامٍ ؛ فانقضى أمرُ عَلِيٍّ عَلَى هَذِهِ السَّبِيلِ ، وصارَ خامساً  
لِمُغْتَالِي جَبَابِرَةِ الْمُؤَلَّوكِ فِي الْإِسْلَامِ بِأَيْدِي عِبِيدِهِمْ وَأَتْبَاعِهِمْ فِي الْحَمَامِ خَاصَّةً :  
أحدهمُ الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ ذُو الرِّيَاسَتَيْنِ وَرَازِئُ الْمَأْمُونِ ، ثُمَّ أَبُو سَعِيدِ الْجَنَابِيِّ <sup>(٧)</sup>  
صاحبُ القرامطةِ ، ثُمَّ الدَّيْلَمِيُّ الْمُنتَزِي بِإِصْبَهَانَ بَعْدَ الثَّلَاثَةِ ، ثُمَّ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ  
الْحَسَنُ بْنُ حَمْدَانَ الْمُنتَزِي بِالْمَوْصِلِ وَأَعْمَالِهَا فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ ؛ وَآخِرُهُمْ عَلِيُّ بْنُ  
حَمُودِ هَذَا الْمُنتَزِي بِالْأَنْدَلُسِ بَعْدَ الْأَرْبَعِمِائَةِ ، مَعَ مَزِيَّتِهِ عَلَيْهِمْ بِرَاعَةِ الشَّرَفِ  
وَحُرْمَةِ الْقَرَابَةِ ، فَاغْتَدَى <sup>(٨)</sup> عَلَى تِلْكَ الْقِرَانِ بِسُوءِ مَصَارِعِ هَوْلَاءِ الْمَبْعُوثِينَ  
آيَةً وَمَوْعِظَةً . عَلَى أَنْ قَتَلَ الْمُؤَلَّوكِ وَالْأُئِمَّةَ بِأَيْدِي الْفُجُولِ مِنْ عِبِيدِهِمْ وَأَصْحَابِهِمْ —  
من غيرِ هَذَا التَّمَطِّ وَعَلَى خِلَافِ هَذَا — كَثِيرٌ يُسْقَى إِحْصَاؤُهُمْ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ  
بَأَنْبَاءِهِمُ الْبَالِي سَرَائِرَهُمْ . وَكَانَ الْأَغْلَبُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ حَمُودِ السَّخَاةِ وَالشَّجَاعَةِ  
عَلَى عَطُولِهِ مِنَ الْفَهْمِ وَالْمَعْرِفَةِ ، وَبِرَأْيِهِ <sup>(٩)</sup> مِنَ الْخَيْرِ جُمْلَةً .

(١-١) نه في ر (٢) نه في ب (٣) نه في ب

(٤) ر : « فانكف » (٥) ب ، ر : « لاحدى » (٦) ب ، ر : « الجيانى »

(٧) ب : ر : « فاعتوى » (٨) ر : « برازته »

فَصَلِّ فِي ذِكْرِ الْوَزِيرِ الْكَاتِبِ أَبِي حَفْصِ بْنِ بُرْدِ الْأَكْبَرِ  
وإثباتِ مُجْمَلَةٍ مَا انتَخَبْتُهُ مِنْ نَظْمِهِ وَنَثَرِهِ  
مَعَ مَا يَتَعَلَّقُ بِذِكْرِهِ

قال أبو الحسن : كان أبو حفص في ذلك الأوانِ واسِطةَ السِّلَكِ ،  
وَقُطِبَ رَحَى الْمَلِكِ ؛ اسْتَقَلَّ بِبَهَائِهِ وَجَلَالِهِ ، وَرَفَلَ فِي بُكْرِهِ (١) وَأَصَالِهِ ،  
وَبَرَزَ عَلَى نَظْرَانِهِ (٢) وَأَشْكَالِهِ . وَبَنُو بُرْدٍ يَنْتَمُونَ لِبَنِي شُهَيْدٍ بِالْوِلَاءِ .  
وَقَدْ أَبُو حَفْصٍ هَذَا دِيْوَانَ الْإِنْشَاءِ بَعْدَ ابْنِ الْجَزِيِّ ، ثُمَّ كَتَبَ عَنْ سُلَيْمَانَ  
الْمُسْتَعِينِ وَغَيْرِهِ مِنْ أُمَّرَاءِ الْفِتْنَةِ فَأَسْمَعَ الصَّمَّ بَيَانًا ، وَاسْتَنْزَلَ الْعَصْمَ إِبْدَاعًا  
وَإِحْسَانًا ؛ (٣) وَقَدْ أَخْرَجْتُ مِنْ رَسَائِلِهِ ، مَا يُعْرَبُ عَنْ فَضَائِلِهِ ، وَيُوضَّحُ  
مَشْهُورَ دَلَائِلِهِ (٤) ؛ وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِسَرَقُسْطَةَ سَنَةَ ثَمَانِي عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةَ ، وَقَدْ  
نَيَّفَ عَلَى الثَّانِيَيْنِ .

مَا أَخْرَجْتُهُ مِنْ دِيْوَانِ رَسَائِلِهِ فِي أَوْصَافٍ مُخْتَلِفَةٍ

(٤) فُصُولُهُ لِمَنْ الْعَهْدِ الْمَعْقُودِ لِلنَّاصِرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ :  
هَذَا مَا عَهِدَ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (٤) هِشَامُ الْمُؤَيَّدُ بِاللَّهِ — أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ ! —  
إِلَى النَّاسِ عَامَّةً ، وَعَاهَدَ اللَّهَ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ خَاصَّةً ، وَأَعْطَى بِهِ صَفْقَةً يَمِينِهِ ،  
بَيْعَةً تَامَةً ، بَعْدَ أَنْ أَمَعَنَ النَّظَرَ ، وَأَطَالَ الْاسْتِخَارَةَ ؛ وَأَهَمَّهُ مَا جَعَلَ اللَّهُ لَهُ  
مِنْ إِمَامَةِ (٥) الْمُسْلِمِينَ ، وَعَصَبَ بِهِ مِنْ إِمْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَاتَّقَى حُلُولَ الْقَدَرِ

(٢) ب : « نظائره »

(١) ب : « ذكره »

(٣—٢) تروى في ر : « ولم أجد حين إخراج هذه النسخة من رسائله إلا ما لا يكاد

يعرب ولا يوضح مشهود دلائله ، وقد أثبت منها على ذلك بعض ما ألفتيه هنالك »

(٥) ر : « إمارة »

(٤—٤) ب : « فصل : عهد عقد هشام الخ »



بما لا يؤمن ، وخاف نزول القضاء<sup>(١)</sup> بما لا يُصرف ، وخشى — إن هجم محتوم ذلك عليه ، ونزل مقدوره به ، ولم يرفع لهذه الأمة علماً تأوى إليه ، ولم يوجرها ملجأً تنعطف عليه — أن يكون بقاء الله تعالى مفترطاً فيها ، ساهياً عن أداء الحق إليها . ونظر عند<sup>(٢)</sup> ذلك طبقات الرجال من أحياء قریش وغيرها ، ممن يستحق<sup>(٣)</sup> أن يُسند الأمر إليه ، ويُعوّل في القيام به عليه ، ممن يستوجبه بدينه وأمانته وهدية ورعيه ، بعد اطراح الهوادة ، والتبرؤ من الهوى ، والتحرى للحق<sup>(٤)</sup> ، والتزلف إلى الله تعالى بما يرضيه ، وإن قطع الأواصر وأسخط الأقارب ، عالمًا أن لا شفاعه عنده أعلى من العمل الصالح ،<sup>(٥)</sup> وموقناً أن لا وسيلة إليه أزكى من الدين الخالص<sup>(٥)</sup> ؛ فلم يجد أحداً هو أجدر أن يُقلده عهدَه ، ويُفوض أمر الخِلافة إليه بعده ، في فضل نفسه ،<sup>١٠</sup> وكرم خيمه<sup>(٦)</sup> ، وشرف مركبه ، وعلو منصبه ، مع تقواه وعفافه ، ومعرفته وإشرافه ، وحزمه وثقافته ، من المأمون الغيب ، الناصح الجيب ، النازح على كل عيب ، ناصر الدولة أبي المطرف عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر وفقه الله .

## وفي فصلٍ منه :

١٥

مع أن أمير المؤمنين — أيده الله ! — بما طالعه من مكنون العلم ، ووعاه من مخزون الأثر ، أمل أن يكون ولي عهد القحطاني الذي حدث عنه عبد الله بن

(١) ر : « القدر » (٢) ر : « نفض عن » — يابض في ب ، والتصحيح

عن ابن عذارى « البيان المغرب » (ج ٣ ص ٤٤) (٣) ب : « عما يستحسن »

(٤) هـ في ب — ر : « التحرى للخلق » (٥-٥) هـ في ب

(٦-٦) هـ في ب

عمر بن العاص بتحقيق ما أسنده أبو هريرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم :  
 « لا تقوم الساعة حتى يخرج رجلٌ من قحطان يسوق الناس بعصاه » . فلما  
 استوت له به الأخبار ، وتقابلت عنده فيه الآثار ، ولم يجد عنه مذهباً ،  
 ولا إلى غيره معدلاً ، خرج إليه عن تذيير الأمور في حياته ، وفوض إليه  
 النظر في أمر الخلافة بعد وفاته (١) .

وله فصلٌ من رُقعة كتبها عن الظفر بن أبي عامر ، يقول فيها :

وإن من أعجب العجائب ما يجترئ عليه بعض أهل خدمتنا من نبذ عهدنا  
 إليهم بعد توكيدها ، وحل عقودنا عليهم بعد تشديدها ، ساهين عمّا يتعرّضون  
 له من النّمة لا يحذرون وقوع المحذور ، ولا يتوقّعون حلول التغيير ؛ قد ولّه  
 أفندتهم جهل الواجب ، وران على قلوبهم ما أضعوه (٢) من الحقّ ، فلم يرّجوا  
 الله وقارا (٣) ، ولا وفوا سلطانَه إجلالاً وإكباراً . وقد قال بعض السلف  
 الصّالح : إن من إجلال الله إجلال السلطان عادلاً كان أو جائراً . ولا أحسب  
 الذي غرهم بنا ، وجرّأهم علينا ، إلا ما وهب الله تعالى لنا من الحلم مع المقدرة (٤) ،  
 والكظم (٥) عند الحفيظة . وذلك وإن كان سجيةً غالبة ، وخليقةً لازمة ،  
 فربّ شنع (٦) تحت محيل النّعماء ، وغصص في شهىّ الغذاء ، وشرّق في نيمر الماء !  
 وبين أيديكم — معشر الخدمة ! — ولا أخصّ بندائى صغيراً ولا كبيراً ، ولا أغني

(١) هذا العهد بتمامه في « البيان المغرب » لابن عذارى ( ج ٣ ص ٤٤ — ٤٦ )

وقله ابن الخطيب وابن خلدون والنويرى والمقرئ عن ابن عذارى . (٢) ب : « ما ادعوه »

(٤) ب : « القدرة »

(٣) سورة ٧١ : ١٣

(٥) ب : « والظلم »

(٦) ر : « سبع » — وفي ب اضطراب كثير في هذه القطعة

بَعِيداً دُونَ قَرِيبٍ ، وَلَا أُنْبَهُ غَائِباً دُونَ شَاهِدٍ — وَنُضِبَ أَعْيُنِكُمْ ، وَحَسُوْ  
 أَسْمَاعِكُمْ عَهْدُ الْمَنْصُورِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، لَمْ يَقْدُمْ زَمَانُهُ فَيُنْسَى ، وَلَا أَتَتْ دُونَهُ  
 الدُّهُورُ قَيْبَلِي ، نَابَتْ عَلَى جَمَاعَتِكُمْ ، وَلَا زِمَ لِكَافَّتِكُمْ ، مِنْ خَاصِّ وَعَامٍ ،  
 وَدَانَ وَشَاحِطٍ ؛ صَدْرُهُ التَّوْبِيخُ بِاسْتِكْتَابِ الْجَهْلَةِ ، وَاسْتِعَانَةِ الضَّعْفَةِ ، وَاسْتِكْفَاءِ  
 العَجْزَةِ ، مَن قَلَّتْ مَعْرِفَتُهُ ، وَاتَّضَعَتْ هِمَّتُهُ ، فَلَمْ يَبْلُغْ أَنْ يُحْكِمَ الخَطَّ فَيُقِيمَ  
 حُرُوفَهُ ، وَيُرَاعِيَ المَدَادَ فَيَجِيْدَ صَنَعَتَهُ ، وَيُمَيِّزَ الرِّقَّ فَيُحَسِّنَ اخْتِيَارَهُ ، وَعَجْزُهُ  
 الحِزْمُ <sup>(١)</sup> النَّافِذُ وَالحُكْمُ الصَّادِعُ ، بَأَن يَكُونُ صُدُورُ كُتُبِ الاعْتِرَاضَاتِ  
 وَعُنْوَانَاتِهَا وَتَوَارِيخُهَا وَالأَعْدَادُ فِي رُءُوسِ رُسُومِهَا ، بِمُخْطُوطِ أَيْدِي القُوَّادِ وَالعُمَّالِ ،  
 مَن كَانَ مِنْهُمْ كَاتِباً فَبَيْدِهِ ، وَمَنْ لَمْ يَكْتُبْ فَبِخَطِّ كَاتِبٍ لَهُ مَعْرُوفٍ ، وَأَنْ  
 تَكُونَ تَسْمِيَةُ طَبَقَاتِ الأَجْنَادِ فِيهَا بَيْنَةَ الحُرُوفِ ، قَائِمَةً الخُطُوطِ . وَفِي تَضَاعِيْفِهِ  
 أَلِيَّةٌ نَحْنُ أَوْلَى مِنْ أَبْرَها ، وَوَفَى بِهَا ؛ عَلَى أَنَّهُ إِنْ وَرَدَ لِأَحَدٍ مِنَ الخَدَمَةِ بَعْدَ  
 وَصُولِ ذَلِكَ العَهْدِ إِلَيْهِ كِتَابٌ اعْتِرَاضٍ أَوْ عَمَلٍ فِي رَقٍّ رَدِيٍّ ، أَوْ بِمِدَادٍ دَنِيٍّ ،  
 أَوْ خَطِّ خَفِيِّ ، فِيهِ لَحْنٌ ، أَوْ كِتَابٌ عَلَى بَشَرٍ فِي عَدَدٍ <sup>(٢)</sup> أَوْ رَأْسٍ رَسَمٍ مَا لَمْ  
 يَخْفَ أَوْ يَقَعُ فِي حَسْوِ الكِتَابِ وَيَعْتَدِرُ مِنْهُ ، لِيَبْطُلَنَّ سَعْيُ كَاتِبِهِ فِيمَا كَتَبَ ،  
 وَلِيَعَاجِلَنَّ بَعْقَابَةُ العَزْلِ وَإِغْرَامِ المَالِ الثَّابِتِ عَدَدُهُ فِي ذَلِكَ القُنْدَاقِ <sup>(٣)</sup> !

وَفِي فَصْلِ مِنْهَا :

وَإِنَّ قَوْمًا مِنْ خَدَمَةِ الحَضْرَةِ قَد عَادُوا لِإِمَانِهِوَا عَنْهُ ، فَكَتَبُوا الخَطَّ الدَّقِيقَ  
 فِي دَنِيِّ الرُّقُقِ دِقَّةً مِنْ هِمَمِهِمْ ، وَدَنَاءَةً فِي اخْتِيَارِهِمْ ، وَجَهْلًا بَأَنَّ الخَطَّ جَاءَ

(١) ب : « العزم » (٢) ر : « في عدة »

(٣) ب : « الكتاب »

الكتاب ، وسلك الكلام ، به يُنظَّمُ مَنْشُورُهُ ، وَتُفَصَّلُ شذُورُهُ ، وَتُبْلَغُ مِنْ نُبْلِ  
صَاحِبِهِ ، وَهَجَّتُهُ لَاحِقَةٌ بِكَاتِبِهِ ؛ إِلَى مَا اقْتَرَفُوهُ مِنَ الْعِصْيَانِ ، وَأَقْدَمُوا عَلَيْهِ  
مِنْ خَلْفِ السُّلْطَانِ ؛ وَأَنَا أُعْطِيَ اللَّهُ عَهْدًا لَنْ اِرْتَفَعَ إِلَيَّ — بَعْدَ بُلُوغِ عَهْدِي  
هَذَا أَقْصَى حُدُودِ الْمَلِكَةِ وَاتِّهَانِهِ أَبْعَدَ أَقْطَارِ الطَّاعَةِ — كِتَابٌ عَلَى الصِّفَاتِ  
الْمَذْمُومَةِ ، وَالْأَحْوَالِ الْمَسْخُوطَةِ ، مِنْ رَقٍّ أَوْ مِدَادٍ أَوْ خَطٍّ ، لَا وَفَّيْنِ (١) لِصَاحِبِهِ  
بِمَا قُدِّمَ إِلَيْهِ مِنَ الْوَعِيدِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ؛ فَلْيَحْذَرْ مَنْ حَضَرَ مِنْهُمْ أَوْ غَابَ أَنْ يُخَالَفَ  
مَا حَدَّثَنَا ، أَوْ يَجَاوِزَ مَا شَرَعْنَاهُ .

وله عنه إلى هذيل بن رزين (٢) :

أَمَّا بَعْدُ — آتَاكَ اللَّهُ رُشْدَكَ ، وَأَجْرَلَ مِنْ تَوْفِيقِهِ قِسْطَكَ ! — فَإِنَّ اللَّهَ  
تَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ غَنِيًّا عَنْهُمْ ، وَأَنْسَأَهُمْ بِمَهْلٍ غَيْرِ مُهْمَلٍ ، بَلْ لِيُحْصِيَ آثَارَهُمْ ؛  
وَلِيَبْلُوَ أَخْبَارَهُمْ ؛ وَجَعَلَهُمْ أَحْيَافًا (٣) مُتَبَايِنِينَ ، وَأَطْوَارًا مُخْتَلِفِينَ ؛ فَهُمْ الْمُخْتَصُّ  
بِالطَّاعَةِ ، وَمِنْهُمْ الْمُبْتَلَى بِالْمَعْصِيَةِ ، وَبَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ أَقْوَامٌ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا  
وَأَخْرَسَيْنَا عَمَى اللَّهِ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ (٤) ؛ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَكَانَ النَّاسُ أُمَّةً  
وَاحِدَةً وَلَا يَرَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ، وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ (٥) . وَالسَّعِيدُ مَنْ خَافَ رَبَّهُ ،  
وَعَرَفَ ذَنْبَهُ ، وَبَادَرَ بِالتَّوْبَةِ قَبْلَ فَوْقِهَا ، وَاسْتَعَطَى الرَّحْمَةَ قَبْلَ مَنَعِهَا . وَإِنْ  
كُنْتَ تَرَكْتَ قَصْدَكَ ، وَخَالَفْتَ رُشْدَكَ ، وَنَكَبْتَ (٦) عَنْ سَبِيلِ سَلَفِكَ ،  
فَلَمْ يُوحِشْكَ مِنْ شَرِّدَتِ (٧) عَلَيْهِ مَكْرُوهٌ نَالَكَ بِهِ ، وَلَمْ يُوْنِسْكَ مِنْ جَنَحَتِ

(١) ب : « لأفين » (٢) ب : « وله من أخرى عن سليمان بن هذيل بن رزين »

(٤) سورة ٩ : ١٠٢

(٣) ب : « أجناساً »

(٦) ر : « بكبت »

(٥) سورة ١١ : ١١٩

(٧) ر : « شررت »

- إليه<sup>(١)</sup> ، أملٌ لم تطمَع فيه إلا لَدَيْهِ ؛ بل كنتَ آمِنًا من المَخَوفِ ، بَعِيدًا من المَكَارِهِ ، قَرِيبًا مِنَ المَكَائِبِ ، رَفِيعَ الدَّرَجَةِ ، مُصَدِّرًا فِي أَهْلِ النُّصِيحَةِ وَالثَّقَةِ ، خَلَا أَنَّهُ حَدَّثَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الحَاجِبِ مَا لَمْ يَزَلْ يَحْدُثُ بَيْنَ القَوَادِ وَالعَمَالِ عَلَى قَدِيمِ الزَّمَانِ مِمَّا لَمْ يَبْلُغْ أَنْ يُخْرِجَ ذَا الرَأْيِ الأَصِيلِ عَن طَبَقَتِهِ ، وَلَا يُجَاوِزُ أَنْ يَزِيدَ المُحَنِّقَ عَلَى المَحَلِّ فِي خُصُومَتِهِ ، وَاللهُ عَلِيمٌ أَنَّ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ لَمْ يَبْخَسْكَ فِي تِلْكَ الهَبَاتِ حَظًّا ، وَلَا أَوْلَاكَ إِعْرَاضًا ، وَلَقَدْ اعْتَنَى بِمَصْلَحَتِكَ ، وَعَزَمَ عَلَى إِزَاحَةِ عِلَّتِكَ ، حَتَّى يَتَهَيَّأَ مِنْ ذَلِكَ مَا يَنبَغِي بِأَمْلِكَ لَوْ انْتَهَرْتَهُ وَاسْتَقَامَ فِيهِ مَا يَزِيدُ عَلَى طَلِبَتِكَ ، لَوْ صَبَرْتَ عَلَيْهِ ، وَلَكِ فِي القَدَرِ المَقْدُورِ فَسْحَةٌ ، وَفِي القَضَاءِ المَحْتَمِ مَنَدُوحَةٌ<sup>(٢)</sup> ؛ وَلَنْ تَضِيقَ بِكَ السَّبِيلُ عِنْدَ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ ، وَأَنْتَ بَيْنَ طَاعَةٍ سَالِفَةٍ ، وَاسْتِقَامَةٍ مَوْرُوثَةٍ ، وَبَيْنَ إِنْابَةٍ مُنْتَظَرَةٍ ، وَتَوْبَةٍ مُسْتَقْبَلَةٍ ، فَيَا حُدَى الحَالَتَيْنِ تُحِطُّ الذُّنُوبُ الكَبِيرَةُ ، وَيُغَطِّي عَلَى العُيُوبِ الكَثِيرَةِ ؛ فَالآنَ — عَصَمَكَ اللهُ ! — وَاللَّبَبُ رَجِيٌّ ، وَالمرُّ كَبٌّ وَطِيٌّ ، وَبَابُكَ إِلَى رِضَا أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ مَفْتُوحٌ ، وَسَبِيلُكَ إِلَى حُسْنِ رَأْيِهِ سَهْلٌ ، وَلَا يَذْهَبُ بِكَ اللِّجَاجُ إِلَى عَارِ الدُّنْيَا وَنَارِ الآخِرَةِ — إِيَّاكَ وَمَصَارِعِ النَّاكِثِينَ ، وَحَدَارِ مَوَارِطِ الغَادِرِينَ !

١٥

وله من أخرى عن سليمان إلى جماعة العبيد :

- إِنَّ اللهُ تَعَالَى قَسَمَ لِأَهْلِ بَيْتِنَا بَنِي أُمَيَّةَ مِنَ السُّلْطَانِ المَوْصُولِ لَهُمْ بِخِلَافَةِ التُّبُوعَةِ مَا حَازَهُ لَهُمْ دُونَ سَائِرِ قُرَيْشٍ ، وَسِرَاةَ رِجَالِهَا وَافِرَةَ ، وَبُيُوتَ شَرَفِهَا عَامِرَةَ ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَجْمَعَ عَلَيْهِ خِيَارُ الصَّحَابَةِ بِالشُّورَى وَالاخْتِيَارِ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ ذُو الثُّورَيْنِ ، وَصِهْرُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَرَّتَيْنِ ، فَلَمْ

٢٠

(٢) ر : « مندرجة »

(١) ب : « صلحت إليه »

يُنْكِرُ فَضْلَهُ هَاشِمِيٌّ ، وَلَا دَافِعَ إِمَامَتَهُ قُرَشِيٌّ ، وَلَا نَازِعَهُ خِلَافَةَ عَرَبِيٌّ  
 وَلَا عَجَمِيٌّ ؛ ثُمَّ غَلَبَ الشَّقَاءُ عَلَى أَقْوَامٍ فَنَالُوا مِنْهُ مَا انْفَتَحَ عَلَيْهِ بَابُ الْفِتْنَةِ  
 إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَيَا لَهَا <sup>(١)</sup> مَصِيبَةٌ صَدَعَتْ شَمْلَ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَوْهَنْتْ أَرْكَانَ  
 الدِّينِ ! وَافْتَرَقَ أَهْلُ الْإِسْلَامِ بَعْدَهُ فِرْقَتَيْنِ ، ثُمَّ لَمْ تَجْتَمِعَا إِلَّا عَلَى رَجُلٍ مِنَّا ،  
 لِرِضَا اللَّهِ عَنْ سِيرَتِنَا وَأَمْنِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى حُسْنِ مَأْخِذِنَا ، <sup>(٢)</sup> وَفَضْلِ سِيَاسَتِنَا <sup>(٣)</sup> ؛  
 فَكَانَتْ الْجِعَاعَةُ عَلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ كَاتِبِ الْوَحْيِ وَصِهْرِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ  
 وَرَدِيغِهِ ؛ فَبَلَغَ مِنْ ضَبْطِ الْأَمْرِ ، وَرَيْنِ الْوِلَايَةِ ، وَجِهَادِ الْعَدُوِّ ، وَجَبَايَةِ النَّفْسِ ،  
 وَبَثِّ الْعَدْلِ ، <sup>(٤)</sup> وَإِذْرَارِ الْعَطَايَا <sup>(٥)</sup> ، مَا لَا يَجْهَلُهُ مَلِيٌّ <sup>(٦)</sup> وَلَا ذَمِّيٌّ . وَوَرِثَهُ  
 ابْنُهُ وَابْنُ ابْنِهِ ؛ ثُمَّ صَيَّرَ اللَّهُ تَعَالَى خِلَافَتَهُ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ جَدَّنَا الْأَعْلَى  
<sup>(٧)</sup> أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ دَوْسَرَ <sup>(٨)</sup> قُرَيْشِ الْمُفْتِيِّ بِنَوْفِيْقِهِ ، وَالْحَاكِمِ فِي الْأُمَّةِ بِتَسْئِيدِهِ <sup>(٩)</sup> ؛  
 فَأَلْقَتْ إِلَيْهِ بِالْمَقَالِيدِ الْكَافَّةُ ، وَتَدَاوَلَهَا بَنُوهُ <sup>(١٠)</sup> آبَاؤُنَا الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ <sup>(١١)</sup>  
 بِالْمَشْرِقِ وَالْأَنْدَلُسِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا ، <sup>(١٢)</sup> وَاللَّهُ مَعَهُ نِعْمَتُهُ عَلَيْنَا كَمَا أْتَمَّهَا عَلَى  
 آبَائِنَا مِنْ قَبْلُ ، إِنَّ رَبَّنَا حَكِيمٌ عَلِيمٌ <sup>(١٣)</sup> !

وَفِي فَصْلِ مِنْهَا :

وَلَمْ تَزَلْ الْأُئِمَّةُ مِنَّا مُقْبِلَةً عَلَى مَوَالِيهَا ، مُخْتَصَّةً لِعَبِيدِهَا ، تُقَدِّمُهُمْ فِي الثَّقَةِ ،  
 وَتُقَرِّبُهُمْ بِالْمَوَدَّةِ ، وَتُعَدُّهُمْ لِحَوَادِثِ الْأُمُورِ ، وَتَقْدِفُ بِهِمْ فِي مَعْضَلَاتِ الْخَطُوبِ ،  
 فَيَتَوَلَّوْنَ مِنْ اجْتِهَادِهِمْ لَهُمْ مَا أَوْجَبَتْ لَهُمْ مِنْهُمْ الْمَحَبَّةُ الْخَالِصَةُ ، حَتَّى شَرُفَ الْقَوْمُ

(١) نه في ر (٢-٢) نه في ر (٣-٣) نه في ر

(٤) ب : « مسلم » (٥-٥) نه في ر (٦) ب : « ذوسن »

(٧-٧) نه في ر (٨-٨) نه في ر (٩) ب : « متمم »

وَنَبُلُوا، وَسَمَّا ذِكْرُهُمْ وَنُسِبُوا إِلَى مَشْهُورِ أُنْسَابِهِمْ، <sup>(١)</sup> وَمَذْكَورِ بُيُوتَاتِهِمْ <sup>(٢)</sup>؛ فَهَمُّ الَّذِينَ تَسْمَعُونَ عَنْهُمْ وَتَعْرِفُونَ رِيَاسَتَهُمْ كَالِ خَالِدِ، وَبَنِي أَبِي عَبْدِةَ، وَبَنِي شُهَيْدِ، وَبَنِي بَسِيلِ، وَبَنِي حُدَيْرِ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَشْرَافِ مَوَالِينَا. وَقَدْ أَفْضَى الْأَمْرُ إِلَيْكُمْ، مَعْشَرَ الْمَوَالِي! فَهَذَا اسْمُكُمْ إِذْ قَدْ رَفَعَ اللَّهُ عَنْكُمْ الْعُبُودِيَّةَ بِهِ، وَأَخْرَجَكُمْ مِنْ رِقِّ الْمَلَكَةِ، وَصَيَّرَكُمْ مِنَّا وَخَلَطَكُمْ بِنَا، وَأَفْضَى بِأُنْسَابِكُمْ إِلَيْنَا، وَالْوَلَاءَ لِحِمَّةٍ، فَمَوْلَى الْقَوْمِ مِنْهُمْ، وَمَلْعُونٌ مَنْ انْتَمَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، وَادَّعَى إِلَى <sup>(٣)</sup> غَيْرِ مَوَالِيهِ. هَذَا حُكْمُ الدِّيَانَةِ عَلَى لِسَانِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَمَّا حُكْمُ الدُّنْيَا وَسَيَرُ أَهْلِ السَّدَادِ وَالصَّلَاحِ فِيهَا، فَلَا يَخْرُجُ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ ضَلْعُكُمْ مَعَنَا، وَمِثْلُكُمْ إِلَيْنَا، وَتَعْصُبُكُمْ لَنَا، فَتَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ بِكُمْ، وَأَجْدَرُ أَنْ تَعْمَلَ عَمَلَ آبَائِنَا فِي أَمْثَالِكُمْ، مِنْ مَوَالِيهِمُ الَّذِينَ أَجْرَيْنَا ذِكْرَهُمْ، فَإِنْ تَقَمَّمْتُمْ حَالًا مَزَقَّتْ <sup>(٤)</sup> الشَّمْلَ، وَتَعَيَّمْتُمْ أَمْرًا صَدَعَ الْجَمْعَ، فَتَلِكِ الْفِتْنَةُ الَّتِي يَعْقُ فِيهَا الْأَبْنُ أَبَاهُ، وَيَقْتُلُ لَهَا الْمُسْلِمُ أَخَاهُ! <sup>(٥)</sup> أَجَارَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْهَا، وَكَشَفَ لَنَا ظُلْمَتَهَا! <sup>(٦)</sup>

وَفِي فَصْلِ مِنْهَا:

وَلَعَلَّنَا فِيمَا سَاءَكُمْ مِنْ تَلِكِ الْهِنَاتِ، وَنَالَكُمْ مِنَ الْفَجَعَاتِ، أَوْجَعُ قُلُوبًا، وَأَشَدُّ غُومًا. فَسُبْحَانَ مَنْ لَوْ شَاءَ لَأَطَّلَعَكُمْ عَلَى غَيْبِنَا فِيكُمْ، وَعَرَّفَكُمْ إِشْفَاقَنَا عَلَيْكُمْ؛ وَكَيْفَ لَا يَكُونُ ذَلِكَ كَذَلِكَ وَمَا زَلِمْتُمُ الشُّعَارَ وَالذُّنَّارَ، لَا تُؤْتِرُّ عَلَيْكُمْ، وَلَا تَنْتَقُ <sup>(٧)</sup> إِلَّا بِكُمْ؛ فَإِنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ قَدْ نَزَعَ بِمَا نَزَعَ بِهِ بَيْنَ ابْنِي آدَمَ، فَمَنْ بَعْدَهُمَا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ، فَقَدْ آتَى أَنْ تَثُوبَ الْحُلُومُ فَتَعُودَ السُّيُوفُ فِي أَعْمَادِهَا،

(١-١) نه في ر (٢) نه في ب (٣) ب: « فرقت »

(٤-٤) نه في ر (٥) ب: « نوثق »

والتبَّالُ في كُنَّائِهَا ، <sup>(١)</sup> وَنَحْنُ نُعَاهِدُ اللَّهَ أَلَّا نُوَاخِذَ أَحَدًا بِذَنْبٍ ، وَلَا نَنَالَهُ بِعُقُوقٍ  
لَهُ وَلَا بِأَذَى ، وَلَا نَنْطَوِي لَهُ عَلَى إِحْنَةٍ ، بَلْ نَغْفِرُ وَنَصْفَحُ وَنَزِيدُ فِي الْعَطَاءِ ،  
وَنَتَرَكُكُمْ بِمَوَاضِعِكُمْ الَّتِي ارْتَضَيْتُمُوهَا ، نَدِرُّ عَلَيْكُمْ جَبَايَاتِنَا ، وَنَخْضِكُمْ مَنَافِعَهَا ،  
وَلَا نُنْسِي فِي أُمُورِكُمْ إِذَا سَمِعْتُمْ وَأَطَقْتُمْ <sup>(١)</sup> .

وله عنه إليهم في مثل ذلك من رُقعة ، يقولُ في فَضْلِ مِنْهَا :

زَعَمَ كَاتِبُ صَحِيفَتِكُمْ أَنَّهُ مَا دَامَتْ خِلَافَةُ سَلْفِنَا إِلَّا بَطَبَقْتِكُمْ ، وَلَا عَزَّتْ إِلَّا  
بِدَعْوَتِكُمْ ، وَهَذَا قَوْلٌ مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ ، فَلَمْ تَقْفَرُ طَبَقَتِكُمْ إِلَّا حَدِيثًا ، وَلَا كَثُرَ  
عَدْدُكُمْ إِلَّا قَرِيبًا ، وَلَمْ تَزَلِ الْخِلَافَةُ عَزِيزَةً ، وَالسُّلْطَانُ قَائِمًا بِأَوْلِيَاءِ الْحَقِّ وَأَنْصَارِ  
الدِّينِ ، هُمُ الْعَارِفُونَ بِفَضْلِ الطَّاعَةِ وَمَوْقِعِهَا مِنْ رِضَاهُ تَعَالَى ، وَبِنَقْصِ الْمَعْصِيَةِ  
وَمَوْقِعِهَا مِنْ سُخْطِهِ . وَالْمِنَّةُ عَلَيْكُمْ لِمَنْ عَرَفَكُمْ — مَعَشَرَ الْعِبْدِيِّ ! — بِاللَّهِ ،  
وَأَدْخَلَكُمْ فِي دِينِهِ ، وَاسْتَنْقَذَكُمْ مِنَ الضَّلَالَةِ ، وَأَخْرَجَكُمْ مِنَ الْكُفْرِ ، ثُمَّ  
اصْطَنَعَكُمْ وَنَوَّهَ بِكُمْ بِالتَّصَرُّفِ فِي الْخِدْمَةِ ، فَنِلْتُمْ بِذَلِكَ النِّعْمَةَ ، وَهَيَّأَتْ أَنْ تَقْضُوا  
الْحَقَّ كُلَّهُ ، فَأَقْصِرُوا عَنْ شَأْوِكُمْ ، فَذَلِكَ أَوْلَى بِكُمْ !

وفي فَضْلِ مِنْهَا :

وَأَقْسَمْتُ عَلَى أَنْ مَنْ حَسَبَنَاهُ مِنْ رُؤَسَائِكُمْ كَانَ أَوْلَى بِالسِّيَاسَةِ ، فَأَنَّى لَكُمْ  
ذَلِكَ وَمَا أَتَمُّ مِنْهُ ؟ وَإِنَّمَا أَنْتُمْ مُدَبَّرُونَ مَسْؤُونَ ، أَتَبَاعُ مَرْبُوبُونَ ؛ وَسِرُّ  
التَّدْبِيرِ نَازِحٌ عَنْكُمْ ، وَالسِّيَاسَةُ الْقَوِيمَةُ مَحْجُوبَةٌ دُونَكُمْ ؛ وَمَتَى بَلَغَكُمْ قَطُّ عَنْ  
عَبْدِ رَبِّ عَلَى مَوْلَاهُ فَأَفْلَحَ ، أَوْ سَمِعْتُمْ بِجُنْدٍ شَعَبَ عَلَى مُدَبِّرِهِ فَأَمْجَحَ ؟ وَالْحَقُّ  
لَا يَصْرُهُ قِلَّةُ أَهْلِهِ ، وَالْبَاطِلُ لَا يَنْفَعُهُ كَثْرَةُ جَمْعِهِ ، فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمَتِّينِ ، وَحِزْبَ



- الله هم الغالبون ؛ مع أن سفهاء كل طبقة أكثر من حلمائها ، وقد رأيتم قديماً نتيجة آراء السفهاء ، وكيف أخنى على أهله بموت ذلك التسدير ، وطالماً جهدنا في الصلاح ، وحاولنا قطع الشغب ، ودفع الفتنة ، فأبى الله إلا ما أراد على أيدي رؤسائكم ، الذين أتيتم على عهدهم <sup>(١)</sup> . وأما من طلبنا من أصحابكم فإنهم قوم خدموا العائلات ، وتصرفوا في الولايات ، وعابوا على الجبابة ، وخلدت عليهم في الديوان الحسابات ؛ فهم الذين طولبوا في سبيل الحق ، ورُمي منهم دون الكل بالبعض ، وأخذ فيهم وفي أسبابهم بالرفق دون العنف فاعتدوه ظلماً ، وإلى صلاح مآل أمرهم إذ قوربوا . والجميع على ذلك في خير من العافية ، ويحظى من الكافية ، وأمد من النظرة ، إلى أن يأذن الله ببلوغ ما يشاء من المدى . وليس كل ما يبلغكم من التشنيع ويتصل بكم من الإرجاف يلتفت إليه ١٠ ذؤو العقول ، ولا يضغى إليه أهل التحصيل .

### وفي فصلٍ منها :

- وأما ما ألصق بكم كاتب صحيفتكم إذ قال : إن لم يعمل بما أردتم أجبت دعوة من يناديكم ؛ فليت شعري من ذا المنادي الذي إليه تلوى الأعناق عناً ، أم إلى [ من ] تفرعون إن فارقتم عصمتنا ؟ أما إن غرركم الشيطان ، وأسلمكم الخذلان ، ١٥ لتقرعن من الندم الأسنان ، بحيث لا ينفعم أسف ، ولا يطوى عليكم لهف ؛ والله تعالى ودينه وخلافته في غنى عن عند عليه وحاده <sup>(٢)</sup> ، وألحد في الإسلام عنه وشاقه ، وخرج عن الجماعة ، وشق عصا الأمة ، واستخف بحقوقي الأمة ، ونازع الأمر أهله ، واعترض من الرأي فيما ليس من شأنه على من صيره الله

(٢) ب : « وحده »

(١) ب : « عهدكم »

إليه ، وأسلمه في يديه ، واجتباها واصطفاه على علم به . ولو لا أن أمير المؤمنين  
 عَرَفَ (١) أن ملاًكم لم يجتمع على هذا الكتاب ، وتيقن أن أهل السداد منكم  
 لم يرضوا هذا الخطاب ، لكان في ذلك نظرٌ يُقيم الأود ، ويعدل الميل ، مع أن  
 الحلم والكظم من أخلاقه ، والرفق والأناة من شيمه ؛ فاقبلوا أذبه ، وانتفعوا  
 بموعظته ، فلو كشف لكم الغطاء ، واجتلي عليكم الغيب ، لعلمتم أن أمير المؤمنين  
 لا يتأمن عن مصالِحكم ، ولا يني في منافعكم ، ولا يسعى إلا فيما يرُدُّ ألفتكم ،  
 ويجمع كلمتكم .

وله عنه من أخرى (٢) إلى ابن ... (٢)

إن العاقبة للتقوى ، وإن كلمة الله هي العليا ، ولا تبئس فإن الحق  
 دافع الباطل وإن لاحت للكذب بارقة ، وهبت له نائحة ، فإنما ذلك استدراج  
 لأهله ، وإملاء لحزبه ؛ ثم يأخذهم بما اجترحوا ، ويوبقهم بما اكتسبوا ؛ وقد  
 علم الناس أن هذين الخارجين علينا ، الناكثين بيعتنا ، مؤسومان بإحساننا .  
 أمّا الطالبي فرقعناه من أوضع ملاحق الجند إلى أعلى مراتب أهل الخطط ، ونوهنا  
 بذكره ، وأشدنا باسمه ، وأشر كناه في سلطاننا ، وصرفنا إليه طائفة من جندنا ،  
 ووثقناه [ فيما ] هم من أعمالنا . وأمّا المعيطي فإن البلاد نبت بجده ، فلفظته  
 إلى جدنا رضي الله عنه ، فأواه وواساه ؛ (٣) وامتثلنا مثل ذلك في هذا الضعيف  
 المتعير ، فوهبنا له خطير ما استوهب ، ويسرنا عليه عسير ما طلب ، وألحقناه  
 بثقاتنا (٣) . فاستبقا في ميدان الغدر ، وجمعا إلى مدى الغمط والكبر ، جاحدين

(٢-٢) نه في ر والاسم غير واضح في ب

(١) ب : « يعلم »

(٣-٣) نه في ر

بِحَقِّنَا ، مُنْتَحِلَيْنِ لِمَا لَمْ يَجْعَلُهُمَا اللَّهُ لَهُ أَهْلًا . وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ دَافِعٌ لَهَا بِحَقِّهِ  
عَلَيْهِمَا ، وَمُسْتَعِينٌ بِاللَّهِ ثُمَّ بِإِحْسَانِهِ إِلَيْهِمَا .

وفي فصلٍ منها <sup>(١)</sup> :

وَأَمَّا مَا وَصَفْتَ بِهِ نَفْسَكَ ، وَعَرَضْتَهُ عَلَيْنَا مِنْ مُجَاهَدَةِ الْمَارِقِينَ ، وَمُنَاضَلَةِ  
النَّاكِثِينَ ، وَضَمِنْتَهُ مِنْ حَشْدِ الْأَجْنَادِ قِبَالِكَ ، وَاسْتِنْفَارِ أَهْلِ عَمَلِكَ ،  
وَمَا سَمَحْتَ بِهِ مِنَ الْإِنْفَاقِ عَلَى جَمِيعِهِمْ مِنْ مَالِكَ ، فَأَنْتَ أَهْلٌ لِكُلِّ ذَلِكَ ،  
وَخَلِيقٌ بِالْوَفَاءِ بِهِ ، وَقَدْ بَدَلْتَ جَهْدَكَ وَقَضَيْتَ حَقَّ إِمَامِكَ ، فَأَرْضَيْتَ رَبَّكَ ،  
وَزَكَّيْتَ نَفْسَكَ ؛ وَرَفَعْتَ فِي الْغَابِرِينَ ذِكْرَكَ ؛ وَصَدَّقْتَ ظَنَّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ،  
وَحَقَّقْتَ تَقَرُّسَهُ فِيكَ ، وَهُوَ يَرْجُو أَنْ يَجْتَزِيَ بِمَنْ حَوَّلَهُ مِنْ أَنْصَارِهِ ، وَيَكْتَفِي  
بِمَنْ فِي حَضْرَتِهِ مِنَ الْأَجْنَادِ ؛ فَهُمْ عَلَى أَجْمَلِ بَصِيرَةٍ فِي نَصْرِهِ ، وَعَلَى أَثْبَتِ  
نَيْتَةٍ فِي الدَّبِّ عَنْ سُلْطَانِهِ ، وَاللَّهُ يُعِينُهُ وَإِيَّاهُمْ وَيُؤَيِّدُهُ مَعَهُمْ ، وَإِنْ احتَاجَ  
إِلَيْكَ فَمَا أَطْيَبَ نَفْسَهُ عَلَيْكَ ، وَأَوْثَقَهُ بِاجَابَتِكَ أَوْ دُعَاؤِكَ ، بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ ،  
وَمَتَّعَهُ بِكَ ، فَأَنْتَ سَيِّفُهُ الْفَاصِلِ <sup>(٢)</sup> ، وَسَهْمُهُ النَّافِذِ .

وله عنه إليه أيضاً :

وَيَجِبُ أَنْ تَزِيدَ فِي رُبُوبَتِكَ ، وَتَهْدِبَ جَمَالَ جِهَتِكَ ، وَتَسْعَى فِي تَوْفِيرِ  
مَحَاسِنِكَ ، وَتَكْتَبِرَ مَنَاقِبِكَ ؛ وَإِنْ كُنْتَ بِحَمْدِ اللَّهِ وَمَنِّهِ كَامِلَ الْأَدْوَاتِ ،  
كَثِيرَ الْحَسَنَاتِ ؛ وَلَكِنَّ الزِّيَادَةَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ مَحْبُوبَةٌ مِنَ النُّجَبَاءِ ، مَطْلُوبَةٌ  
مِنَ الثُّبَلَاءِ ؛ وَأَنْتَ صَدْرُهُمُ السَّابِقُ وَهَادِيَهُمُ الْمُبَرِّزُ ؛ وَقَدْ نَبَذْنَا إِلَيْكَ فِي كِتَابِنَا

(١) هذا الفصل وما يليه ناقص في ر (٢) ب : « الناضل »

مع فلان نُبذة لم نضعها دون غايه البيان ، ولم يسعنا إلا إيضاح الدليل وإقامة البرهان .

وله عنه إلى مُنذِر بن يحيى :

وَأَمَّا أَمْرُ عَلِيِّ بْنِ حَمُودٍ فَعَلَى مَا أَعْلَمْنَاكَ بِهِ مِنَ الضَّعْفِ وَالْوَهْنِ ، وَإِنَّمَا يَطْمَعُ فِيمَنْ عِنْدَنَا وَاللَّهُ يُبْطِلُ طَمَعَهُ . وَقَدْ أَوْحَشْنَا بَطْءَ أَخْبَارِكَ عَنَّا ، وَإِنْ كُنَّا لَا نَشْكُ فِي أَنَّكَ عَلَى جَمِيعِ مَا تَصَرَّفْتَ بِهِ ، وَفِي كُلِّ مَا تَقَلَّبْتَ فِيهِ كَمَا نُحِبُّهُ وَنَهْوَاهُ ، فَذَلِكَ حَظُّكَ مِنَّا ، وَمَوْعِدُكَ مِنْ ثِقَتِنَا ، وَعَلَى ذَلِكَ فَإِنَّ بَوَاعِثَ الْإِشْفَاقِ حَمَّةٌ ، وَعَوَارِضُ التَّوَقُّي كَثِيرَةٌ ، وَقَدْ تَوَالَتْ الْمِحْنُ ، وَطَالَتِ الْفِتْنُ ، وَنَجِمَ التَّفَاقُ ، وَشَاعَ الْخِلَافُ [ بَيْنَ ] أَهْوَاءِ أَوْلِيَائِنَا .

وله من أخرى إلى ابن صمادح :

وَإِنَّ لِلْبَغِيِّ مَصَارِعَ لَا تَعْدُو أَهْلَهُ ، وَلِلنَّكَثِ عَوَاقِبَ لَا تُحْطَى مُعْتَقَدَهُ ، وَقَدْ عَلِمْتَ الْكَافَّةُ مَا أَوْلَاهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَلَانًا مِنْ إِحْسَانِهِ ، وَأَفَاضَهُ عَلَيْهِ مِنْ مَعْرُوفِهِ ، فَرَفَعَهُ مِنَ الْحَضِيضِ ، وَانْتَعَشَهُ عِنْدَ الْجَرِيضِ <sup>(١)</sup> ، وَنَوَّهَ بِهِ بَعْدَ الْخُمُولِ ، وَكَثَّرَهُ وَهُوَ قَلِيلٌ ، فَلَمْ يَشْكُرْ لِلَّهِ نِعْمَةً ، وَلَا وَفَى لَهُ بِذِمَّةٍ ، وَظَلَّ يَبْنِي الْغَدْرَةَ عَلَى غَيْرِ أَسَسٍ فَخَرَّ بِنَاؤُهُ ، وَانْتَضَلَ فِي الرَّمِيَّاتِ فِي غَيْرِ هَدَفٍ فَضَافَتْ سِهَامُهُ ، وَأَصْحَابُهُ يَتَسَاقَطُونَ عَلَيْنَا فِي كُلِّ حِينٍ أَفْوَاجًا ، وَيَتَتَابِعُونَ إِلَيْنَا نَزْأَةً أَرْسَالًا ، لِمَا يَبْدُو مِنْ ضَعْفِ آرَائِهِ ، وَخُبْثِ مَذَاهِبِهِ ، وَقُبْحِ غَدْرِهِ ، وَتَنَاقُصِ أَمْرِهِ ، حَتَّى اتَّسَعَ عَلَيْهِ الْخَرَقُ ، وَأَعْضَلَهُ الْفَتَقُ ، وَاسْتَنْقَمَ لَهُ وَجْهُ الْخِلَافِ ، وَأَسْلَمَهُ غُرُورُ الشَّيْطَانِ ، فَأَصْبَحَ نَادِمًا سَادِمًا ، وَأَمْسَى حَائِرًا بَائِرًا ، وَنَكَالُ اللَّهِ تَعَالَى نَازِلًا بِهِ ، وَسُخْطُهُ مُنْزَلًا عَلَيْهِ ، وَبَأْسُهُ مُنْصَرَفًا إِلَيْهِ .

(١) ب : « المريض »

## وفي فصلٍ من أخرى :

- أنا لك في فلتاتٍ تحجبُ حُسنَ الظنِّ بمن أُسبغتُ عليه النعمة ، ووجبتُ  
 لربِّه الحُجَّةُ في أداءِ النصيحة . وقد اندرجتُ في أُنسَاءِ هذه الفتنَةِ خُطوبُ  
 استعملَ فيها أميرُ المؤمنين الثقةَ بمن لم يتقِ الله في النصيحة له ولرسوله عليه  
 السلامُ وخاليفته وجماعةَ المسلمين ، ولم تصدق نيتَهُ ولم يصحَّ خبرُهُ ولا رأى له  
 لمكروبٍ فأوطأه عشوةً ، وزخرفَ له كذبةً على إثرِ كذبةٍ ، ومَنَّى الأمانى ،  
 وقربَ المواعيد ، وتمقَّ الزور ، ولبسَ الأمور ، وأميرُ المسلمين يُوجسُ الخيفةً ،  
 ويخشى الخديعة ، ويرى أعلامَ الريبة ، حتى وضحَ الفجرُ ، وصرَّحَ عن  
 زُبْدته المخض ، وليس هو بأولٍ من أحسنَ فضاع إحسانه ، واصطنع فسقطتُ  
 صنائعه . وفي فضلِ الله عوضٌ من كلِّ فائت ، وفي جزائه خلفٌ من كلِّ  
 ضائع . وفي إقبالِ رحمته غنى عن كلِّ مُدبر ، وللأيامِ عقبٌ تدبيل الكره<sup>(١)</sup>  
 بالرضى ، وتنسخُ الشدةَ بالرِّخا<sup>(٢)</sup> .

## وله من أخرى عن علي بن حمود إلى مُنذر بن يحيى :

- وما أنكرنا شيئاً مما ذهبَ إليه من التأتى والتثبث ، ولا اعتقدنا إلا رأيك  
 في نظرِ الاجتماع ، وترقبِ الألتئام ، لترتفعَ الشبهةُ وينجلي الشكُّ ، وإن كان  
 مذهبنا في هذه الأمة مشهوراً ، واحتسابنا الأجرَ في صلاحها معروفاً ، وقيامنا  
 لنصرها وسخاؤنا بأنفسنا وأموالنا لاستنقاذها ، لا ننوي إلا وجهه تعالى ، وإلا  
 فقد علم من عرفنا ، وأيقن من أنصفنا ، أننا كنا [ في ] عيش هنيءٍ ، ولبسٍ رخيٍّ ،  
 وعملٍ واسعٍ ، ومالٍ وافرٍ ، وجنودٍ مطيعٍ ، وحصنٍ منيعٍ ؛ وفي دون ذلك ما أقنع  
 من عرف الدنيا بحقيقتها ، وأجزأ من أنزلها منزلتها ؛ وما كفى من لا يعدلُ بالسلامة<sup>٢٠</sup>

(١) ب : « الكره » (٢) ب : « بالرضى »

ولا يبيع بالعَيْن ، ولا يركبُ الأهوال ، ولا يفتحمُ للمهالك ، مُغرراً بدمِهِ ، مُحاطِراً  
بنفسِهِ لحطامِ تافِهِ ، وظلِّ زائلٍ ، ومتاعٍ قليلٍ ، وإنَّا لنرجو منه تعالى أَنَّهُ  
لم يُيسِّرْ لنا ما يسَّرَ من آمالنا إلا عند إطلاعه على نيتنا فيها ، فنحنُ بعينِ الله ،  
وتواصينا بيده ، والملِكُ والأمرُ له !

وفي فصلٍ :

والشروطُ التي خطَطتها بيدك ، وأردتَ معرفةَ رأينا في إضاهاها ، فإنها  
لعمُرُ الله قليلةٌ في استحقاقِك ، ولو اتَّسعتِ البلادُ لأضعافِ ما تليهِ ، لكنتَ لذلك  
عندنا أهلاً في كفايتك وضلاعتك وضبطك وحزمك . فأما الاعتمادُ عليك في  
الرأى ، والقصدُ إليك بالمشورةِ فهو الذي لا نعدوه بك ولا نُجاوزُهُ فيك ،  
ونحنُ بذلك أخطى ، والفائدةُ لنا فيه أعلى .

وقد أنفدنا كلَّ ما دعوتَ إليه من تنفيذِ سِجالاتك على ما في يدك من  
الأعمال ، واعتقدنا لك وإجماعِ أهلِ الشغور — حرسهمُ الله ! — الأيمانَ المنعقدةَ  
والأقسامَ الغالطةَ لا تدخلُ عليهم داخلةٌ يكرهونها ، ولا يُكلفون كلفةً  
يستتقلونها ؛ ولا يخالفُ بهم طريقةَ يرضونها ، ما سمعوا وأطاعوا .

وفي فصلٍ :

ووصيتك بأهلِ قرطبةَ وغيرهم مقبولةً ، ونصيحتك فيهم متبوعةً ، ولن  
يروا منا ، ولن تسمعَ فيهم عنّا ، إلا كما يُعجبك ويسرك ، ويُجذلك  
ويبهجك ؛ وإنما هدى اللهُ أولهم بأولنا ، وأسبغَ النعمَ على سلفهم بسلفنا ؛  
وهل يؤمنون أحنى عليهم وأزأفَ بهم منا ؟ أم هل لمن آتاه اللهُ رُشدَه ، وشرَحَ  
بالإيمان صدْرَه ، رغبةً عنّا ؟ وهل يُنكرُ فضلنا إلا جاهلٌ مكابرٌ ، أو يُدافعُ  
حقنا إلا معاندٌ خاسرٌ ؟

وله من أخرى :

بلغنا جواؤك ناكبا عن الحق ، بعيدا من الإنصاف ، خلوا من حسن  
 المعاملة ، بداية بالامتنان بما كان منك ، بما لو اقتنعت فيه بما بذلناه من  
 الشكر لركبت سنن المنصفين ، وسلكت سبيل المحسنين ؛ فقد قيل : إن  
 الشكر وإن قل ، ثم لكل نوال وإن جل<sup>(١)</sup> ؛ كما قيل : إن المنية<sup>(٢)</sup> تُفسد  
 الصنعة<sup>(٣)</sup> . ولو نظرت في أخبار الماضين ، وكشفت عن سير الأولين ؛ لوجدت  
 ملوك الأمم على قديم الزمان قد تعاملت بالتعاون ، وتواصت بالترافد ، وإن  
 شحطت ديارها ، واختلفت أديانها ؛ وجعلت ذلك بينها حقوقا تُقضى ، وفروضا  
 تُؤدى ، فالدهر أطوار ، والأيام دُول . وقد علمت أن الذي ساحتنا فيه لم تُقدم  
 إليه إلا على شروط اشترطتها ، وأطاع استدعيتها ، فقضيناك كل ما ملكناه ،  
 ولم نمطلك بشيء أدركناه . وذكرت أنك فعلت بنا ما فعلت دون معرفت  
 تقدمت ، ولا محبة سلفت . ولو هربت عن الجفاء دهرك ، وأنفقت في السلامة  
 من هذا الخطل عمرك ؛ لكنت لنفسك ناصرا ، وفي صفقتك تاجرا ؛ فإن  
 كنت أردت معرفة العي ، كفى بذلك عيا من القول ، وزلا من الرأي .  
 وإن قلت إنك لم تعرف مكاننا من الخلافة ، وورائتنا الإمامة ، عن أسلافنا  
 الماضين ، وأجدادنا الأقربين ؛ وجهلت أننا في نصالها وذروتها ، وأقعدت الناس بها  
 وأقواهم عليها ، فقد كابرت العيان ، ودافعت البرهان .  
 وله عنه في معنى الرعية<sup>(٤)</sup> :

إن الله تعالى قلدي من رعاية عباده ، وحملني من سياسة خلقه ، وعصب

(٢) ب : « المنية »

(١) ب : « وأرجل »

(٣) من اجدها هذا الفصل إلى هنا في ر (٤) لم يقع هذا الفصل إلا في ر

بِي مِنْ تَدْيِيرِ أُمُورِهِمْ وَإِصْلَاحِ شُؤْنِهِمْ ، وَأَلْزَمَنِي مِنَ النَّظَرِ لَهُمْ ، وَالْعَمَلِ بِمَا  
يُضْلِحُهُمْ مَا لَا حَوْلَ لِي فِيهِ وَلَا قُوَّةَ عَلَيْهِ إِلَّا بَعُونَهُ وَتَأْيِيدِهِ ، وَلَا هِدَايَةَ  
إِلَّا بَتُونِ فِيقِهِ وَتَسْدِيدِهِ ، وَإِنَّ الرَّعِيَّةَ مِنَ السُّلْطَانِ ، بِمَكَانِ الْأَشْبَاحِ مِنَ الْأَرْوَاحِ ،  
صَلَاحُهُمَا وَفَسَادُهُمَا مُتَّصِلَانِ ، وَنَمَاؤُهُمَا وَتَقْصُؤُهُمَا مُنْتَظِمَانِ ، إِذْ كَانَتِ الرَّعِيَّةُ  
عُنْصُرَ الْعَالِ ، وَمَادَّةَ الْجَبَايَةِ ، بِهَا قِيَامُ الْمَلِكِ ، وَعِزُّ السُّلْطَانِ ، وَرِزْقُ الْأَجْنَادِ ،  
الَّتِي بِهَا يُقَاتَلُ الْعَدُوُّ ، وَيُنْصَرُ الدِّينُ ، وَتُحْمَى الْحُرْمُ . وَلَمَّا تَأَمَّلْتُ أَحْوَالَ  
أَهْلِ عَمَلِكِ مِنْ كُورَةِ جَبَّانَ وَذَوَاتِهَا ، وَحَصَلْتُ مَا يَلِزَمُهُمْ أَذَاؤُهُ هَذَا الْعَامَ مِنَ  
الطَّعَامِ فِي الْعُسُورِ الْوَاجِبَاتِ ، تَكَنَّفَهُمْ مِنْ شَفَقَتِي ، وَأَحَاطَ بِهِمْ مِنْ عَوَاطِفِي ،  
مَا أَدَّى إِلَى رَفْعِ مَوْوَنَةِ طَعَامِهِمْ ، وَإِعْفَائِهِمْ مِمَّا يَلْحَقُهُمْ فِيهِ مِنَ الْعَنْتِ ، وَيَرْجِعُ  
عَلَيْهِمْ مِنَ الدَّرَكِ ، وَكُلْفِ الْحُمُولَةِ إِلَى الْأَهْرَاءِ ، وَمَا يَتَّبِعُ ذَلِكَ مِنَ الْإِنْتِقَاصِ ،  
وَيَتَّصِلُ بِالْكَيْلِ مِنَ التَّطْفِيفِ ، وَتَسْقُطُ التَّبِعَاتُ ، وَيَخْفُ الثَّقَلُ . فَانظُرْ  
عِنْدَمَا يَرِدُ كِتَابِي فِي تَوْزِيْعِ مَا يَجِبُ عَلَى أَهْلِ عَمَلِكِ مِنَ النَّاضِ عَنْ كَذَا  
وَكَذَا مِنَ الْقَمْحِ وَالشَّعِيرِ ، حِسَابُ كُلِّ مُدِّي مِنَ الْقَمْحِ سِتَّةُ دَنَانِيرٍ ، وَمِنْ  
الشَّعِيرِ ثَلَاثَةٌ ؛ وَاشْمَلْ بِتَوْزِيْعِهَا النَّاسَ كَافَّةً غَيْرَ مُحَاشٍ مِنْهُمْ أَحَدًا . وَلِيَكُنْ  
ذَلِكَ عَلَى الْعَدْلِ ، وَتَحَرِّيِ الْحَقِّ ، وَاعْتِمَادِ الصَّدَقِ ، بِمَشَاهِدَةِ قَاضِي الْجِهَةِ ،  
وَمُوَافَقَةِ شُيُوخِ الرَّعِيَّةِ وَوُجُوهِهَا ، وَأَهْلِ الْمَعْرِفَةِ بِمَوَاقِعِ وَظَائِفِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ .  
وَلَهُ مِنْ أُخْرَى ، عَنِ الْمُظَفَّرِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ ، حِينَ قَتَلَ عَيْسَى بْنَ سَعِيدٍ  
الْقَطَّاعَ وَزَيْرَةَ :

أَيُّهَا النَّاسُ - وَقَفَّكُمْ اللَّهُ لِعِصْمَتِهِ ، وَاسْتَنْقَذَكُمْ بِرَحْمَتِهِ ! - إِنْ مِنْ عَلِمَ مِنْكُمْ  
حَالَ الْخَائِنِ عَيْسَى بْنِ سَعِيدٍ بِالشَّاهِدَةِ ، وَرَأَى مَبْلَغَ النِّعْمَةِ عَلَيْهِ بِالْمُحَاضِرَةِ ،  
فَقَدْ اكْتَفَى بِمَا شَهِدَ ، وَاجْتَزَأَ بِمَا عَايَنَ وَحَصَرَ ؛ وَمَنْ غَابَ عَنْهُ كُنْهُ ذَلِكَ مِنْ



عَوَامِّكُمْ بِاتِّزَاحِ مَنْزِلٍ أَوْ لَا تَتَّصِلُ شُغْلٌ ، فَلْيَعْلَمَ أَنَا أَخَذْنَاهُ مِنَ الْخَضِيضِ الْأَوْهَدِ ،  
 وَاتَّشَلَّنَاهُ مِنْ شَطْفِ الْعَيْشِ الْأَنْكَدِ ، فَرَفَعْنَا خَسِيْسَتَهُ ، وَأَتَمَمْنَا تَقِيصَتَهُ ، وَخَوَّلْنَاهُ  
 صُنُوفَ الْأَمْوَالِ ، وَصَيَّرْنَا حَالَهُ فَوْقَ الْأَحْوَالِ ؛ فَذَلَّلَهُ بِذَلِكَ الْمَنْصُورُ مَوْلَايَ رَضِيَ  
 اللَّهُ عَنْهُ ، فَاعْتَمَدْتُهُ وَمَهَّدْتُ لَهُ فَرَشَ الْكِرَامَةِ ، وَبَوَّأْتُهُ دَارَ الْفَخَامَةِ ، وَأَسْبَغْتُ  
 مِنْ نِعْمِي عَلَيْهِ ، مَا أَحْوَجَ الْخَاصَّةَ وَالْعَامَّةَ إِلَيْهِ ؛ فَلَمْ يَقُمْ لَلَّهِ تَعَالَى بِحَقِّ ، وَلَا  
 قَابِلَ إِحْسَانِهِ بِصِدْقٍ ، وَلَا عَامِلَ رِعْيَتِنَا بِرِفْقٍ ، وَلَا تَسَاوَلَ خِدْمَتِنَا بِحِذْقٍ ؛  
 بَلْ أَعْلَنَ بِالْمُعَاصِي ، وَاسْتَدَلَّ الْأَعِزَّةَ وَذَوِي الْهَيْبَاتِ وَالْمَرْوَةَ ، وَنَافَرَهُمْ وَأَنْسَ  
 بِأَضْدَادِهِمْ ، وَنَبَذَ عُهْدَنَا ، وَخَالَفَ سُبُلَنَا ، وَكَدَّرَ عَلَى النَّاسِ صَفْوَنَا ؛ حَتَّى إِذَا  
 مَلَكَه الْأَشْرُ ، وَتَنَاهَى بِهِ الْبَطْرُ ، وَغَلَّتْ<sup>(١)</sup> بِهِ الْأُمُورُ ، وَغَرَّهَ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ، حَاوَلَ  
 شِقَّ عَصَا الْأُمَّةِ ، وَهَدَّرَ رُكْنَ الْخِلَافَةِ وَالْأَمَانَةَ ، بِمَا احْتَجَنَ مِنْ حَرَامِ الْمَالِ ، وَاسْتَمَالَ  
 مِنْ طَعَامِ الرِّجَالِ ؛ فَحَجَّجْتُهُ نِعْمًا عِنْدَهُ ، وَخَصَّمْتُهُ عَوَارِفُنَا لَدَيْهِ ، وَكَشَفْنَا لَنَا سِرَّهُ  
 نَيْتَهُ حَتَّى صَرَاعَهُ بَغْيِهِ ، وَأَسْلَمَهُ عَدْرُهُ<sup>(٢)</sup> ، وَأَخَذَهُ اللَّهُ بِمَا اجْتَرَمَ<sup>(٣)</sup> ، وَأَوْبَقَهُ بِمَا  
 اكْتَسَبَ ، فَأَعْجَلْنَاهُ عَنْ تَدْبِيرِهِ ، وَصَارَ إِلَى نَارِ اللَّهِ وَسَعِيرِهِ .

قَوْلُهُ : « فَحَجَّجْتُهُ نِعْمًا عِنْدَهُ ، وَخَصَّمْتُهُ عَوَارِفُنَا لَدَيْهِ » مَحْلُولٌ مِنْ قَوْلِ  
 أَبِي تَمَّامٍ حَيْثُ يَقُولُ :

١٥

أَلَيْسَ هُجْرَ الْقَوْلِ مَنْ لَوْ هَجَّوْتُهُ إِذْنُ لَهَجَانِي عَنْهُ مَعْرُوفُهُ عِنْدِي؟<sup>(٤)</sup>  
 وَأَخَذَهُ أَبُو تَمَّامٍ مِنْ قَوْلِ عِمْرَانَ بْنِ حِطَّانٍ إِذْ ظَفِرَ بِهِ الْحَجَّاجُ فَقَالَ :  
 اضْرِبُوا عُنُقَ ابْنِ الْفَاجِرَةِ ، فَقَالَ لَهُ عِمْرَانُ : بَسْمَا أَدَبَكَ أَهْلُكَ يَا حَجَّاجُ ! كَيْفَ

(١) ر : « وعت »

(٢) ر : « حذره »

(٣) ب : « اجترح »

(٤) راجع ديوانه ص ١١٥

أَمِنْتَ أَنْ أُجِيبَكَ بِمِثْلِ مَا لَقَيْتَنِي بِهِ؟ أُبْعِدُ الْمَوْتَ مَنَزِلَةً أُصَانِعُكَ عَلَيْهَا؟ فَأَطْرَقَ  
الْحَبَّاجُ اسْتِحْيَاءً وَقَالَ: خَلُّوا عَنْهُ. فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ قَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَطْلَقْتَ  
إِلَّا اللَّهَ فَارْجِعْ إِلَى حَرْبِهِ مَعَنَا، قَالَ: هِيَاتَ! غَلَّ يَدَا مُطْلِقَهَا، وَاسْتَرْقَى رَقَبَةً  
مُعْتَمِتًا؛ ثُمَّ قَالَ الْآيَاتِ الَّتِي أَوْهَلَا:

تَاللَّهِ لَا كِدْتُ الْأَمِيرَ بَالَهُ وَجَوَارِحِي وَسِلَاحُهَا آلَاتُهُ.

وفي فصلٍ منها:

وقد زالت التَّقِيَّةُ وَوَجِبَ الصِّدْقُ. أَلَا مَنْ سَمِعَ هَذَا الْكِتَابَ وَأُخْبِرَ  
عَنْهُ مِنْ تِلْكَ الطَّبَقَةِ فَلْيُرِدْ إِلَيْنَا مَالَنَا، وَلِيَخْرُجْ لَنَا عَنْ حَقِّنَا؛ وَلِيَحْذَرُ  
أَنْ يَجْعَلَ لَنَا عَلَيْهِ سَبِيلًا. فَإِنَّمَا هِيَ أَشْيَاءُ غَلَبَ عَلَيْهَا إِمَامًا مِنْ صَمِيمٍ مَالِنَا فَلَمْ  
يَتَوَرَّعْ<sup>(١)</sup> فِيهِ عَنِ الْخِيَانَةِ، وَإِمَامًا مِنْ أَمْوَالِ اللَّهِ بِأَيْدِينَا فَلَمْ يُوَدِّ فِيهَا الْأَمَانَةَ،  
وَمَا ظَهَرَ نَأْيًا عَلَيْهِ مِنْهَا فَصُرِفَتْ إِلَى سَبِيلِهِ مِنْ مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ فِي أَرْزَاقِ أَجْنَادِهِمْ،  
وَنَفَقَاتِ ثُعُورِهِمْ. وَأَنَا زَعِيمٌ لِمَنْ سَارَعَ بِمَا فِي يَدَيْهِ، وَبَادَرَ بِمَا عِنْدَهُ، أَنْ نَعْرِفَ لَهُ  
طَاعَتَهُ، وَشُكْرَ مُبَادَرَتِهِ؛ وَمَنْ تَوَانَى وَتَرَبَّصَ، وَقَعَدَ وَنَكَّصَ، أَنْ نَضَعَهُ  
بِحَيْثُ وَضَعَ نَفْسَهُ مِنَ الظَّنَّةِ، وَأَثَبَتْ عَلَيْهَا مِنَ التُّهْمَةِ، وَتَنْتَهَى بِهِ نِهَابَهُ  
النِّكَالِ الْبَالِغِ؛ فَلَا يَنْظُرَنَّ حَازِمٌ لِرَبِّنَا<sup>(٢)</sup> إِلَّا فِي ذِمَّةٍ.

تلخيصُ التَّعْرِيفِ بِخَبْرِ الْوَزِيرِ عَيْسَى بْنِ سَعِيدِ

الْمَذْكَورِ، مِنْ الْأَوَّلِ إِلَى الْآخِرِ، وَمَقْتَلِهِ عَلَى

يَدَيْ الْمَظْفَرِ عَبْدِ الْمَلِكِ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ.

قال ابنُ بَسَّامٍ: وكان عَيْسَى بْنُ سَعِيدٍ المعروفُ بِابْنِ الْقَطَاعِ قِيمَ دَوْلَةِ ابْنِ

(١) ب: « يتورع » (٢) كذا في ب ولعلها: « لدينا إلا في ذمته »

أبي عامر وحاميل لوانها، والمستقل بأعبائها، ومالك زمام إعادتها وإبدائها. طلع في فلکها قبل دورانه، ودل على ما أخفاه طي كتابها دون عنوانه؛ وأنا أشرح، حين أفضى بي القول إلى ذكره، كيف كان غروبها وطلوعه، ومن أين اتفق طيرانه ووقوعه؛ على ما قدمت والتزمت،<sup>(١)</sup> وحسبنا ضمنت ونظمت<sup>(١)</sup>.

- قال ابن حيان: لم يكن لعيسى بن سعيد مائة سلف، ولا بنت تقدم،  
 خلا أنه عربي النجار، من قوم يعرفون ببني الجزيرة من كورة باغه<sup>(٢)</sup>. وكان  
 أبوه معلماً فاختلف عيسى إلى الديوان، وصحب محمد بن أبي عامر وقت حرركته  
 في دولة الحكم؛ فبلغ به المنازل الجليلة، وكان عنده مشهوراً بيمن النقية.  
 وأخباره معه كثيرة. وتبجح عيسى بعد مهلك المنصور بن أبي عامر في دولة  
 ابنه عبد الملك،<sup>(٣)</sup> فتناهى في الاكتساب بالحضرة وجميع أقطار الأندلس  
 ضياعاً ودوراً، فات الناس إحصاؤها. واشتمل على الملك<sup>(٣)</sup> هو وولده وصناعه.  
 وكان لهم مع ذلك في سائر أعمال السلطان نصيب، وعلى كل عامل وظيف، ولم  
 ينفذ توقيع إلا بأمره، ولا تم أمر إلا بمشورته. وكثر أعداء عيسى لوقته؛  
 فاحترس منهم جهده،<sup>(٤)</sup> وتيقظ في حراسة نفسه، ووالى كثيراً من وجوه أهل  
 الدولة، تصاهر لهم<sup>(٥)</sup> ببنيه وبناته؛ فسمنت جماعته، ثم<sup>(٤)</sup> تصاهر أخيراً إلى ابن  
 أبي عامر والذكر من عنده، زوج ابنه المسكني أبا عامر أخت عبد الملك الصغرى  
 من بنات المنصور، فتمت تلك المصاهرة في سنة ست وتسعين وثلثمائة،  
 وكانت وليمة عظيمة. وتناهت بعد أمور عيسى في الجلالة، وأخذته الأسنه.

(٢) ب: « بيغه »

(١-١) هـ في ر

(٤-٤) هـ في ر

(٣-٣) هـ في ر

(٥) ب: « تظاهر »

وَاتَّفَقَ أَيْضًا عَلَيْهِ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْمَنْصُورِ انْبَسَطَ عَلَى أَخِيهِ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي أَوَّلِ دَوْلَتِهِ بِصُحْبَةِ طَائِفَةٍ تُخَلُّ بِهِ ، فَعَرَفَ عَيْسَى أَخَاهُ عَبْدَ الْمَلِكِ بِذَلِكَ ؛ فَحَمَلَهُ عَلَى كَفِّ<sup>(١)</sup> عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْهُ ، فَحَقَّقَ عَلَى عَيْسَى وَرَصَدَ السَّعْيَ عَلَيْهِ ، وَاسْتَفْسَدَ أَيْضًا السَّيِّدَةَ الذَّلْفَاءَ أُمَّ عَبْدِ الْمَلِكِ<sup>(٢)</sup> وَأَسَاءَ إِلَى صَنِيعَتَيْهَا خِيَالَ أُمِّ وَلَدِهِ ، وَالغَالِبَةَ كَانَتْ عَلَيْهِ ، وَمَنْ يَتَّصِلُ بِهِمَا بِسَبَبِ نِكَاحِ عَبْدِ الْمَلِكِ<sup>(٣)</sup> بِنْتِ الْجِنَانِ مَوْلَاتِهِ ، كَانَتْ قَدْ تَأَدَّبَتْ بِأَدَبِ أَهْلِهَا وَأَخَذَتْ الْغِنَاءَ مِنْ مُحْسِنَاتِ قِيَانِهِ ، فَظَرَّهَا عَبْدُ الْمَلِكِ يَوْمًا ، فَرَاعَتْهُ ، وَهَانَ عَلَيْهِ لِفَرَطِ عَفْتِهِ زَوَاجُهَا ؛ فَأَنْكَرَتْ عَلَيْهِ ذَلِكَ وَالدُّنَى ، فَاسْتَرَاحَ فِي الْأَمْرِ مَعَ عَيْسَى فَضَوَّبَهُ لَهُ وَأَمْضَاهُ . وَبَنَى عَبْدُ الْمَلِكِ بِهَا ، فَحَقَّقَتْ<sup>(٤)</sup> أُمَّهُ عَلَى عَيْسَى . ثُمَّ اتَّهَمَ آخِرًا بِالْعُظْمَى مِنْ مُدَاخَلَتِهِ لِلْوَلَدِ أَبِي بَكْرٍ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ بْنِ النَّاصِرِ لِلْقِيَامِ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ وَأَخَذِ الْمَلِكِ عَنْهُ . وَكَانَ عَيْسَى لَا يَحْضُرُ مَجْلِسَ شَرَابِ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَّا فِي النَّذْرَةِ أَوْ الدَّعْوَةِ تَقَعُ ؛ اسْتَعْفَاهُ مِنْ ذَلِكَ لضعف شره به فأمكن أعداءه القول فيه لغييبته بما شاهدوا ، وزاد الأمر حتى تنكر له عبد الملك ، ففهم عيسى بعض ذلك لقوة حسبه<sup>(٥)</sup> ، وهمة<sup>(٥)</sup> نفسه ، وأعمل الحيلة في خلاصها ؛ فسمما عند ذلك إلى الغدر بالعامرية أولياء نعمته ، والانتقال مع الروائية المذكورة بدولته ، وإقامة الولد أبي بكر هشام المذكور على الخليفة هشام المؤيد<sup>(٦)</sup> ابن الحكم ، وأخذ الخلاف عنه لضعف استقلاله والقطع لدولة ابن أبي عامر قطعاً لا ببقية معه . وكان عيسى خليطاً لهشام بعد المنصور صاحبه ، محمولاً ما بينهما على السلامة ، فدعا هشاماً إلى

(١) ب : « كف يد » (٢-٢) نه في ر

(٣) ب : « خفت » (٤) ب : « حسبه » ، نه في ب

(٥) ب : « وأهمته » (٦-٦) نه في ر ، واضطراب كثير في ب ، وإنما

صحناه عن « البيان المغرب » لابن عذارى ( ج ٣ ص ٣٠ )

ذلك ورأسه سراً ولقيه خفية ، وقرب له مأخذه على يده لئلا ينزلته من آل  
العامة ، وأن جندها لا تخالفه بحيلة . فاستجاب له هشام فيما ذكرُوا ، وأخذ  
بيعتة عليه وساعده جماعة ، وكاد يتم الأمر ، وأعد رجالاً للفتك بعبد الملك ،  
فسار أحدهم إلى نظيف الفتي الكبير مولى ابن أبي عامر ، فتنصحه له بالقضية (١)  
فأعلم عبد الملك بها لوقتته ، فاشتغل بالله ، وترجع في أمر عيسى وخاف أن  
السعاية من كياد عدوه إلى أن أنهى إليه صاحب المظالم أبو حاتم بن ذكوان  
ما أقلقته . ولم يرتب به لثقتته . وحده أن رجلاً يعرف بابن القارح الوزان  
كان متخصصاً من العامة ، وله بالولد أبي بكر هشام المذكور اتصال ؛ فحكى عن  
نفسه أنه رأى زول عيسى عليه ببعض بساتينه ، وأنه سمع ابن عبد الجبار  
يقول له : يا أبا الأصبح ، والله إني لخائف والخطر عظيم ! فقال له عيسى : ومن  
تخاف ؟ أو ليس الملك بيدي ، والجند طوعى ، والناس راضون بفعلى ؟  
(٢) ثم افترقا ، فجاء ابن القارح ، فأعلم ابن ذكوان ، فظار إلى عبد الملك بالخبر  
فبطش عبد الملك بعيسى . وكانت صورة قتله [ أن ] واطأ عليه آخاه عبد الرحمن  
ومن يليه من أصحابه ، فشدوا عزيمته ، وعقد معهم مجلساً للشرب ، وبعث  
عن أكثر أصحاب عيسى فجلس للشرب بالمجلس الكبير المشرف على النهج  
لشرب خلت من ربيع الأول سنة سبع وتسعين (٢) . ثم أرسل عن عيسى وقد  
مضى من الشرب وقت ، فجاءه رسوله وهو قد بدأ يشرب أيضاً مع نفر من  
أصحابه فيهم أبو حفص بن برود وغيره .

قال أبو حفص : فلم ترتب بدعائه ، وبأدر بالركوب نحو عبد الملك ،

(١) ب : « بالقصة » (٢-٢) في هذه الجملة تقديم وتأخير وتلخيص في ر

والقضاء قد جدّ به <sup>(١)</sup>، فلما وصل إليه أظهر الاستبشار به وأقبل عبد الملك عليه  
 بوجهه وأعلى مجلسه وأخذوا في شأنهم . فلما دارت الكؤوس أخذ عبد الملك  
 في معابته ، والتعريض لما قُرف به عنده ؛ وعيسى ينزع عجب من ذلك ، ويُقلد  
 الكأس ملامته هنالك ، إلى أن صرّح عبد الملك بما في نفسه ، وألقى القدح ،  
 وأقبل يسبه ويُغلظ له ؛ فأحسّ عيسى بالشرّ ، ورأبه نظرُ القوم إلى العيون ،  
 وطفق يعتذر ويحتجّ في إبطال ما قُرف به ويشدّد القسم على فسادِه ، ويناشده  
 في إراقة الدّم وعبد الملك لا يلتفتُ إليه ، إلى أن اعتلى الكلام وكثر اللّجبُ ،  
 فقبض عبد الملك على سيفه من جانب الفراش فصبّه على عيسى ، وقد قام  
 فزاعاً ؛ فاستقبل وجهه بضربة ، فسقط عيسى ثم أعاد عليه وشاركه أصحابه  
 بسُيوفهم حتى هبّروه <sup>(٢)</sup> ، وحزّ رأسه ووضع جانباً ؛ وأمر عبد الملك أيضاً بقتل  
 صاحبيّه ابن خليفة وابن فتح فهبّرا <sup>(٣)</sup> بالسيوف ، واختلط المجلس ، ولحق  
 كثيراً من أهله دهشةً حملت بعض من كان بقربه من الأعاجم إلى أن رمى  
 نفسه في النهر هرباً من القتل فطاح في اللّجة . وأمر برفع رأس عيسى بباب  
 الزاهرة ، وما زال هنالك إلى أن فُتحت الزاهرة على يد ابن عبد الجبار  
 المهديّ ، وذَهبت الدّولة العامريّة .

وقام عبد الملك من ذلك المجلس ، وأمر بتغيير ما وقع ثمّ لم يعد إلى  
 الشرب فيه — زعموا — حياته . وأنفذ في الوقت ثقات خدّمه إلى منازل عيسى

(١) ر : « جذبه »

(٢) ب : « برد »

(٣) ر : « خبرا » — ب : « قهرا »

وأصحابه وكتابه<sup>(١)</sup> ، فاستصفي<sup>(٢)</sup> ما فيها وسجن أولاد عيسى الأكبر بمطبق الزاهرة ، وأمر ابنه بطلاق أخت عبد الملك فطلتها ولم تزل خلية إلى أن ذهبت دولة قومها فراجعها . وكان الناس يحسبون مال عيسى كالثراب كثرة ؛ فما وجد له منه شيء ؛ وتعجب الناس من ذلك ، حتى إن أولاده إلى آخر أمرهم ما فازقهم الإقلال والمسغبة . وأعظم الناس قتل عيسى لجلالة قدره ؛ وسار<sup>(٣)</sup> منهم إلى الزاهرة خلق عظيم ينظرون إلى رأسه .

قال ابن حيان : وكنت في جملة من نظر إليه واستبنت الضربة بخده الأيمن . وكان أبو العلاء صاعد بن الحسن<sup>(٤)</sup> اللغوي<sup>(٥)</sup> منقطعاً إلى عيسى فكان أولاً من أنشد عبد الملك ، على سبيله من سرعة الانقلاب ، شعراً يقول فيه :

فَتَلَكْ هَامَتُهُ فِي الْجَوِّ نَاطِقَةً      تُحَدِّثُ النَّاسَ مِنْ آيَاتِهَا<sup>(٦)</sup> عِبْرًا  
مَكْتُوبَةٌ الْوَجْهِ بِالْهِنْدِيِّ يَقْرُوهُ      مَنْ لَيْسَ يَقْرَأُ مَكْتُوبًا وَلَا سَطْرًا  
وَمَنْ أَغْرَبَ مَا وَرَدَتْ بِهِ الرُّؤْيَا بَعْدَ قَتْلِهِ أَنْ رَجُلًا مِنَ الصُّلَحَاءِ<sup>(٧)</sup> رَأَى  
فِي النَّوْمِ كَأَنَّ رَأْسَهُ يُنْشَدُ عَلَى الْخَشَبَةِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا :

بَانَ الْخَلِيطُ وَشَفَنِي وَجَدِي      وَبَقِيَتْ أُنْدُبُ رَبْعَهُمْ وَجَدِي  
فَأَوَّلَتْ<sup>(٨)</sup> الرُّؤْيَا بَيْتِينَ آلِ أَبِي عَامِرٍ وَصَدَقَتْ إِلَى مُدِيدَةٍ . انتهى ما اخصت من كلام ابن حيان في خبره .

(١) ر : « أسبابه »

(٢) ب : « وفض جميع »

(٣) ب : « وصار »

(٤) هـ في ب

(٥) هـ في ر

(٦) ب : « آياتها »

(٧) ب ، ر : « فأذنت » ، والتصحيح عن « البيان المغرب » ( ج ٣ ص ٣٥ )

ومن شعر أبي حفص بن بُردٍ، ممَّا خاطبَ به أبا العلاء صاعداً اللُّغويَّ  
من أبياتٍ يقولُ فيها :

|   |  |
|---|--|
| <p>أهدى لك الودَّ محضاً غيرَ مقطوبٍ<br/>وكم دني قصي في التناسيب<br/>أما كفى الدهرَ عَضُّ دُونَ<sup>(١)</sup> تغريب<br/>لا يصلحُ الحمدُ إلا بعدَ تجريب<br/>في العلمِ والظرفِ والآدابِ والطيب<br/>وكنهه علمك شيءٌ غيرُ محسوبٍ<br/>وعيت منها ولا أشياخُ يعقوب<br/>تحدى وسيقتها في كلِّ أسلوبٍ<br/>طبُّ تعاليجُ فيها كلُّ مطلوبٍ<sup>(٢)</sup><br/>رخص البنانِ كحيل العينِ محضوبٍ؟<br/>لم تعدُّ في مزجِ تصديقٍ بتكذيبٍ<br/>قناع وجهٍ طويل الصونِ<sup>(٣)</sup> محجوبٍ<br/>ليلاً؟ فردَّ بتأهيلٍ وترحيبٍ<br/>توبِ أحرارٍ من الظلماءِ غريبٍ<sup>(٤)</sup><br/>فقال: حلاً. فقلت: الحلُّ مطلوبٌ!</p> | <p>أبا العلاء استمعَ تعريضَ ذي مقبة<br/>ناهٍ بغربته والفهمُ نسبته<br/>وصارَ في غربةِ الآدابِ مُعترِباً<br/>أولاًك<sup>(٥)</sup> محمداً من بعدِ تجريبه<br/>أنتَ الذي لمَ يعاشرُ مثله رجلاً<br/>تحصيلُ فضلكَ للحسادِ مُعجزةٌ<br/>أما اللغاتُ فلا يعقوبُ يبلغُ ما<br/>وأنتَ ربُّ القوافي السارداتِ به<br/>إنَّا نناديكَ للجلِّي وأنتَ لها<br/>فهل شعرتَ بيدٍ طافَ بي غلساً<br/>أهدى إلى أرقٍ<sup>(٦)</sup> لو حازها سنة<br/>حياً تحيةَ ذي أنسٍ بناً وجلاً<br/>فقلت: أهلاً ورحباً! من هداك لنا<br/>وقال: ماذا ترى؟ قلت: الغزاة في<br/>قال: اتبداً قلت: قد أبصرتها قبلاً!</p> |
|---|--|

(١) ب : « عيش غير » (٢) ب : « أولاه »

(٣) هذا البيت والذي قبله ناقصان في ب (٤) ر : « أرقا »

(٥) ر « الصور » (٦) لم يقع هذا البيت في ر



قال: تحرّ فلا تشطط بنا سرفاً  
 ثم اعلمى أنني من حُبِّكم دنف  
 قلت: الوصال، فقالت: منه! بلى وعسى  
 ثمّت ولت فأبقت في الحشا ضرمًا  
 فالآن فازجر أو اسجع إن هممت به  
 هذي عبارتها فالأمر<sup>(٢)</sup> مشترك  
 فقأجابه أبو العلاء صاعدًا بآيات يقول فيها:

لبيك ألقا، أباحفص، إجابة من  
 أبعده خمس وسبعين التحفت بها  
 رمينني بسهام غير طائشة  
 يا من يرقع بالآمال ماخرقت  
 ناديتني لخيال عز طائفه  
 حتى أقيك شدا الأيام عن عضد  
 إياك والموعده الخوان تقبله  
 فاكتب على حمد ما قد وأتك به  
 ولا تكونن قرحانا نصن له  
 الله في قلبك المزجور عن دده  
 فقد نجوت وما صدقت فورته  
 شيخ الوزارة جني الكتابة إن  
 يدلي إليك بود<sup>(٣)</sup> غير مأشوب  
 حتى قرعت لهذا الدهر ظنوب  
 حور زرين على صم الأنابيب  
 يدا الليالي، قبيح صبو الشيب  
 ألا ليوم عصب إذ تنادي بي!  
 ملدد وحسام غير مخشوب  
 فلا أمانة للعس المحاضيب  
 وضعه في الشمس يذهب غير مخشوب  
 حتى عدون عليه عدوة الذيب  
 لا تسلمنه لتسفيد وتعذيب<sup>(٤)</sup>  
 مهشم القدح مهضوم الأنابيب  
 ركبت منها طريقا غير مر كوب

(١) لم يقع هذا البيت في ب — ر : « موحوب » (٢) ب : « فالعلم »

(٣) ب : « برد » (٤) لم يقع هذا البيت في ب

فَلَا تَسُومَنَّ شَيْخًا طَارَ طَائِرُهُ سَوْمَ الشَّبِيبَةِ فِي لَهْوِ الْخِرَاعِيْبِ  
وَأَنْتَ مُنْفَرِدُ الْمِضْمَارِ مُنْصِلُهُ عَمْرُ الْبَدِيهَةِ رَوَاضُ الْمَصَاعِيْبِ  
قَوْلُهُ: « وَلَا أَمَانَةَ لِلْعَسِ الْمَخَاضِيْبِ » من قول كثير<sup>(١)</sup> :

وَأِنْ حَلَفْتَ لَا يَنْقُضُ النَّأْيُ عَهْدَهَا فَلَيْسَ لِمَخْضُوبِ الْبَنَانِ يَمِينُ  
وقوله: « فَاكْتُبْ عَلَى حَمْدِ » البيت ، كقول ابن العميد :

مُتَقَلَّبُ يَأْتِيكَ أَثْبَتُ عَهْدِهِ كَالْخَطِّ يُرْسَمُ فِي بَسِيْطِ الْمَاءِ

فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي المغيرة عبد الوهاب بن حزم ،  
وإثبات ما تخيرت له من النثر والنظم ، مع  
ما يتعلق به ، ويذكر بسببه .

قال ابن بسام : كان أبو المغيرة هذا طيبة الحسام ، وواسطة النظام ،  
وفارس ميدان البيان ، وذات<sup>(٢)</sup> صدر الزمان ، حل من زهر الفضائل ، محل  
السنان من العايل ، والزبرقان<sup>(٣)</sup> من المنازل ، وتمت به غرر المحامد ، تمام  
الصلوات بالعوائد<sup>(٤)</sup> ، ومجهول اللغة بمعلوم الشواهد . ودولة عبد الرحمن بن  
هشام المستظهر المتقدمة المذكور كانت مهبة الذي منه عصف ، ومجاله الأول الذي  
فيه تصرف ، ألقى إليه زمامه ، وأخدمه أيامه ؛ ثم عتب عليه في بعض الأمور ،  
فلحق ببلاد الثغر ، فهناك تسحب على الدول ، تسحب الهوى على العدل ؛ وامتزج

(١) راجع ديوانه ( ج ١ ص ٢٦٥ ) (٢) ر : « وأذات »

(٣) ب : « والقمر »

(٤) ب : « الصلة بالعائد »

بمُلوكِ العَصْرِ ، امْتِزَاجِ المَاءِ بِالخَمْرِ ، ولو طَالَ مَدَاهُ لم يُذَكِّرْ مَعَهُ سِوَاهُ (١) ،  
وَلَا عَرَفَ بِتَفْضِيلِهِ أَحَبَّتَهُ وَعِدَاهُ .

نَقَلْتُ مِنْ خَطِّ أَبِي مَرْوَانَ بْنِ حَيَّانَ قَالَ :

وَلِحِقِّ أَبُو المَغِيرَةِ بِلَادِ الثَّغْرِ وقد اعْتَلَّتْ طَبَقَتُهُ فِي النِّظْمِ وَالتَّنْثِيرِ ، وَكُتِبَ  
عَنْ عِدَّةٍ مِنَ الأَمْرَاءِ ، وَنَالَ حِظًّا عَرِيضًا مِنْ دُنْيَاهُمْ ، إِلَّا أَنَّهُ اعْتَبِطَ شَابًّا بَعْدَ  
أَنْ أَلْفَ عِدَّةَ نَوَالِيهِ ، وَشَجَرَ الأَمْرُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الفَقِيهِ أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ حَزْمِ بْنِ  
عَمَّةٍ ، وَحَدَّثَ (٢) بَيْنَهُمَا هَنَاتٌ ظَهَرَ عَلَيْهِ فِيهَا أَبُو المَغِيرَةِ وَبَكَتُهُ حَتَّى أَسْكَنَتْهُ ،  
لأنَّهُ كَانَ أُنْبَهَ مِنْ أَبِي مُحَمَّدٍ فِي حُضُورِ شَاهِدِهِ ، وَذَكَاءِ خَاطِرِهِ ، وَحُسْنِ هَيْئَتِهِ ،  
وَبِرَاعَةِ ظَرْفِهِ ، وَجُودَةِ أَدَبِهِ ، وَهُوَ كَانَ فِي زَمَانِهِ فِي الجِدِّ وَالهَزْلِ صَاحِبَ اللُّوَاءِ  
فِي مَجَالِسِ الأَمْرَاءِ مُسْتَنْجِزًا لِلبَيْضَاءِ ، مَمْتَطِيًّا (٣) لِلشَّقْرَاءِ ، وَتَصَوَّرَ فِي قُلُوبِ  
الرُّؤَسَاءِ ؛ فَأَجْرَلُوا أَرْزَاقَهُ فَعَظُمَتْ صِلَاتُهُ وَهَيْبَتُهُ (٤) . ائْتَهَى كَلَامُ ابْنِ حَيَّانَ .  
قُلْتُ أَنَا : وقد أَخْرَجْتُ مِنْ رَسَائِلِهِ العَمِيدِيَّةِ ، وَقَصَائِدِهِ اللَّيْثِيَّةِ ،  
وَمِمَّا جَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ عَمَّةٍ مَا يَسْجَرُ الأَلْبَابَ ، وَيَهْبِرُ الشُّعْرَاءَ وَالكُتَّابَ .

جُمْلَةٌ مِنْ رَسَائِلِهِ فِي أوصَافِ شَيْءٍ :

١٥ كَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو عَلِيٍّ بْنُ الرَّبِيبِ القَرَوِيُّ رُفْعَةً يَقُولُ فِيهَا :  
إِنِّي فَكَّرْتُ فِي بَلَدِ كُمْ أَهْلَ الأَنْدَلُسِ إِذْ كَانَ قَرَارَةٌ كُلِّ فَضْلٍ ، وَمَقْصِدِ  
كُلِّ طُرْفَةٍ ، وَمُورِدِ كُلِّ نُحْفَةٍ ، إِنْ بَارَتْ تِجَارَةٌ أَوْ صِنَاعَةٌ فَإِلَيْكُمْ تُجَلِّبُ ،  
وَإِنْ كَسَدَتْ بِضَاعَةٌ فَعِنْدَكُمْ تَنْفَقُ ، مَعَ كَثْرَةِ عُلَمَائِهِ ، وَوُفُورِ أَدْبَائِهِ ، وَجَلَالَةِ

(١) نه في ر

(٢) ب : « وجرت »

(٣) ر : « مقتصاً »

(٤) ب : « واهبته »

مُلُوكِهِ وَمَحَبَّتِهِمْ لِلْعِلْمِ وَأَهْلِهِ ، وَرَفَعِهِمْ مَنْ رَفَعَهُ أَدَبُهُ ، وَكَذَلِكَ سِيرَتُهُمْ فِي رِجَالِ  
 الْحَرْبِ يُقَدِّمُونَ مِنْ قَدَمَتِهِ شَجَاعَتُهُ ، وَعَظُمَتْ فِي الْحُرُوبِ نِكَايَتُهُ ؛ فَشَجَّعَ  
 عِنْدَكُمْ بِذَلِكَ الْجَبَانَ ، وَأَقْدَمَ الْهَيْبَانَ ، وَنَبَهَ الْخَامِلَ ، وَعَلَّمَ الْجَاهِلَ ، وَنَطَقَ الْعَيْيَ <sup>(١)</sup>  
 وَشَعَرَ الْبِكِيَّ ، وَاسْتَنْسَرَ الْبُغَاثَ ، وَتَمَعَّنَ الْحَبَاثَ <sup>(٢)</sup> ، وَتَنَافَسَ النَّاسُ فِي الْعُلُومِ .  
 ثُمَّ هُمْ مَعَ ذَلِكَ فِي غَايَةِ التَّقْصِيرِ وَنِهَايَةِ التَّفْرِيطِ ، مِنْ أَجْلِ أَنْ عُلَمَاءَ الْأَمْصَارِ  
 دَوَّنُوا فِضَائِلَ أَعْيَانِهِمْ وَقَلَّدُوا <sup>(٣)</sup> الْكُتُبَ مَا تَمَرَّ أَقْطَارِهِمْ ، <sup>(٤)</sup> وَأَخْبَارَ الْمُلُوكِ  
 وَالْأَمْرَاءِ ، وَالْكِتَابِ وَالْوُزَرَاءِ ، وَالْقُضَاةِ وَالْعُلَمَاءِ <sup>(٥)</sup> ، فَأَبْقَوْا لَهُمْ ذِكْرًا فِي الْغَابِرِينَ ،  
 وَلِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ؛ وَعُلَمَاؤُكُمْ مَعَ اسْتَظْهَارِهِمْ عَلَى الْعُلُومِ ، كُلُّ امْرِئٍ  
 مِنْهُمْ قَانَمٌ فِي ظِلِّهِ لَا يَبْرَحُ ، وَثَابِتٌ عَلَى كَعْبِهِ لَا يَتْرُكُ حَرْحَ ؛ يَخَافُ أَنْ صَنَّفَ  
 أَنْ يُعْتَفَ ، أَوْ تَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ <sup>(٥)</sup> ، لَمْ يُتَعَبْ  
 نَفْسًا أَحَدٌ مِنْهُمْ فِي مَفَاخِرِ بَلَدِهِ ، وَلَمْ يَسْتَعْمِلْ نَفْسًا فِي فِضَائِلِ مُلُوكِهِ ، وَلَا بَلَّ  
 قَلَمًا بِمَنَاقِبِ كُتَّابِهِ وَوُزَرَائِهِ ، وَلَا سَوَّدَ قِرْطَاسًا بِمَحَاسِنِ قُضَاتِهِ وَعُلَمَائِهِ ؛ عَلَى  
 أَنَّهُ لَوْ أَطْلَقَ مَا عَقَلَ الْإِغْفَالُ مِنْ لِسَانِهِ ، وَبَسَطَ مَا قَبَضَ الْإِهْمَالُ مِنْ بَيَّانِهِ ،  
 لَوَجَدَ لِلْقَوْلِ <sup>(٦)</sup> مَسَاغًا ، وَلَمْ تَضِقْ عَلَيْهِ الْمَسَالِكُ هُنَاكَ ، وَلَكِنْ هُمْ كُلُّ أَحَدٍ  
 مِنْهُمْ أَنْ يَطْلُبَ شَأوً مِّنْ تَقَدُّمِهِ مِنْ رُؤَسَاءِ الْعُلَمَاءِ ، لِيَحْوِزَ <sup>(٧)</sup> قَصَبَ السَّبْقِ <sup>(٧)</sup>  
 وَيَفُوزَ بِقَدْحِ ابْنِ مُقْبِلِ ، وَيَأْخُذَ بِكَعْظِمِ دِعْبِلِ ، وَيَصِيرَ شَجِيئًا فِي حَلْقِ  
 أَبِي الْعَمَيْثِلِ ؛ فَإِذَا أَدْرَكَ تِلْكَ الْبُغْيَةَ ، وَجَاءَتْهُ بَعْدُ الْمَنِيَّةُ ، دُرْفَنَ عِلْمُهُ مَعَهُ ،  
 وَمَاتَ ذِكْرُهُ ، وَانْقَطَعَ خَبْرُهُ .

(١) ب : « الحارس »

(٢) ب : « غلغلا »

(٣) ب : « غلغلا »

(٤) ب : « لقيت »

(٥) سورة ٢٢ : ٣١ ب : « للقبول » (٦-٧) ب : « في »

وَمَنْ قَدَّمْنَا ذِكْرَهُ مِنْ عُلَمَاءِ الْأُمُصَارِ احْتَالُوا لِبَقَاءِ ذِكْرِهِمْ ، فَالْفَوْا دَوَاوِينَ  
يَبْقَى لَمْ بِهَا ذِكْرٌ يَتَجَدَّدُ طَوْلَ الْأَبَدِ .

فَإِنْ قُلْتَ : إِنَّهُ كَانَ ذَلِكَ مِنْ عُلَمَائِكُمْ ، وَالْفَوْا كُتِبَا لَكُنَّهَا لَمْ تَصِلْ إِلَيْنَا ،  
فَهَذِهِ دَعْوَى لَمْ يَصْحَبَهَا تَحْقِيقٌ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِلَّا رَوْحَةُ رَاكِبٍ ،  
أَوْ دَلْجَةُ قَارِبٍ ، لَوْ نَفَثَ بِيَلْدِكُمْ مَصْدُورٌ ، لِأَسْمَعِ بِيَلْدِنَا مَنْ فِي الْقُبُورِ ، فَضَلَّاعَمَنَّ  
فِي الدُّورِ وَالْقُصُورِ ، وَتَلَقَّوْا قَوْلَهُ بِالْقَبُولِ ، كَمَا تَلَقَّوْا دِيوانَ ابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ مِنْكُمْ  
الَّذِي سَمَّاهُ بـ « الْعِقْدِ » . عَلَى أَنَّهُ يَلْحَقُهُ فَيَدِرُ بَعْضُ اللُّوْمِ ، إِذْ لَمْ يَجْعَلْ فَضَائِلَ بِلَدِهِ ،  
وَاسْطَةَ عِقْدِهِ ، وَمَنَاقِبَ مَلُوكِهِ يَتِيمَةَ سِلْكِهِ ، لَكِنَّهُ أَكْثَرَ وَطَوَّلَ ، وَأَخْطَأَ  
الْمِفْصَلَ ، وَأَطَالَ الهَزَّ بِسَيْفٍ غَيْرِ مَقْصَلٍ ، وَقَعَدَ بِهِ مَا قَعَدَ بِأَصْحَابِهِ مِنْ تَرْكِ  
مَا يَعْنِيهِمْ ، وَإِغْفَالِ مَا يَهْمُهُمْ ؛ فَأَرْشِدُ أَخَاكَ — أَرْشِدَكَ اللَّهُ — إِنْ كَانَ عِنْدَكَ (١)

فِي ذَلِكَ الْجَلِيَّةِ ، وَبِيَدِكَ فَضْلُ الْقَضِيَّةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

فَرَاغَهُ أَبُو الْمُغِيرَةِ بَرْقِعَةً حَذَفَتْ أَكْثَرَ فُصُولِهَا لِطَوْلِهَا ، مِنْهَا :

أَبَقَاكَ اللَّهُ مِنْ حَجْمِ صَرِيحِ الْوُدِّ ، أَهْدَى تَحِيَّتِهِ عَلَى الْبُعْدِ ؛ فَإِنَّ الْفَهْمَ  
رَحِمَ ، وَالْأَدَبَ مَا بَيْنَ أَهْلِهِ وَسَائِلِ وَذِمِّمْ ؛ وَلَيْسَ عَدَمُ التَّرَائِي وَالْعِيَانِ ، بِقَاطِعٍ  
لِلْأَسْبَابِ وَالْأَقْرَانِ ، وَلَا تَنَائِي الدِّيَارِ وَالتَّنَازِلِ ، بِقَادِحٍ فِي الْأَذِمَّةِ وَالْوَسَائِلِ ؛  
فَالْكِتَابُ عَوْضٌ عَنِ الْكَلَامِ ، وَالتَّوَاصُلُ بِالنُّفُوسِ لَا بِالْأَجْسَامِ ، وَمَا زَلْتُ  
أَتَنَسَّمُ ذِكْرَكَ ، فَأَتَرَسَّمُ قُدْرَكَ ، وَأَسْمَعُ خَبْرَكَ فَأَرَى خُبْرَكَ ، حَتَّى أَرَادَتِ الْأَيَّامُ  
كَشْفَ السَّرِّ ، وَرَفَعَ السِّتْرَ ؛ فَوَقَفْتُ عَلَى الصَّحِيفَةِ الَّتِي ظَاهِرُهَا دِيْبَاجٌ  
مَرَكُومٌ ، وَبَاطِنُهَا لَوْلُؤٌ مَنْظُومٌ ، وَوَشْيٌ مُحْكَمٌ ، وَذَهَبٌ مَسْبُوكٌ ؛ فَرَأَيْتُ صُورَ (٢)

الْأَدَبِ بَاهِرَةَ الْمُرَآئِي وَالْعِيَانِ ، زَاكِيَةَ الْمَخْبِرِ وَالْامْتِحَانِ ، شَاهِدَةً لَكَ بِأَذَلِّقِ

(١) ب : « بانت » (٢) ب : « عمروة »

لسان ، وأصدق بيان ، أنك أبو عذرتيها ، ومالكُ جملتها ، وواحدُ فنونها ، وواردُ  
معيها ، وقادمةُ جناحها ، وصبا رباحها ؛ فسألت سؤال العالم ، وبحث بحث  
اليفظان المتغافل ، وادعيت الحيرة وأنت أهدى في تلك الفلا ، من فارط  
القطا ، لتعلم أين المخطئ والمصيب ، وكيف الجواب والمجيب ؛ والله يوفق  
من المراجعة لما يرضيك ، ويكون وفق أمانيك ؛ وما أجهل أنى على نفسى  
أبتهل بهذا الدعاء ، لمن أسر حسوا في ارتغاء .

فأول ما قدمت في كتابك ما يقدمه ذو الفضل والتبيل من الشناء على بلدنا  
وأهله ؛ ووصفت الجميع على اختلاف طبقاتهم ، وتباين درجاتهم ، من آرائهم  
التي نحوها ، وعلومهم التي وعوها ، بأوفر الأقسام ، واحتلالهم من ذلك  
بالمغرب والسنام ؛ حتى عارض الجبان الأسد ، وناطح الجوزاء الجلمد ، وناطق  
الأعجم الفصيح ، وبارى<sup>(١)</sup> الجاهل العالم ، وجارى القاعد القائم ، تحاسدا على  
الفضائل . هذا معنى كلامك لم أورد ألفاظه ، وإن أصميت أعضاضه ، إشفافا  
من أن أفصح كلامي به ، وأدل على قصور آلتى بمجتمعه ، فأكون ممن جمع  
بين الشبه والذهب ، وقرن الدر إلى المخشلب ؛ ثم قلت : إن ذكر الفتى عمره  
الثانى ، والصيت مجهول لا أمانى ؛ فكلم من هالك آثاره كاشفة عيانه ، وواصفة  
قدره وشانه ، وحي أثوابه كفته ، وجهله جننه . وهؤلاء الذين أنصت في  
وصفهم جباد مدحك ، وهتكت ظلامهم بغرة<sup>(٢)</sup> صبحك ، على غير هذا  
الرأى مقيمون ، وبخلاف هذا المذهب قائلون . فوليت في حيز وعزلت ،  
وارتفعت في حال ونزلت ، وأتيت بغايق المحال ، وهو إثبات الصدين في حال ؛

(١) ب : « ماري » (٢) ب : « بعزة » — ر : « بقوة »

ثم زدت في التعليل ، وبالغت في الاجتماع على التمثيل ، باعتمادك تكذيب من قال : إن الذي قاله غيرك لو وقع لكان قُرب المسافة التي هي شوط جار ، بل تمغضه سار ، تُوجب حلّ الشك ، وانجلاء الإفك ؛ فمَجِبْتُ من أَمْنِكَ مُراجِعاً لا يَقْصِدُ في أدبِ المُقابِلةِ قَصْدِي ، ولا يَعْقِدُ على سائِحِ أُخُوْتِكَ عَقْدِي ؛  
يَجْعَلُ جَوَابَكَ قَوْلَ القائل :

لَقَدْ أَسْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ<sup>(١)</sup> حَيًّا وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ تَنَادِي  
وَعَفْرًا عَفْرًا لِهَذَا الْعُتُوقِ ! وَخُذْهُ بِإِزَاءِ<sup>(٢)</sup> قَوْلِكَ : « تَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهَوَّى  
بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ<sup>(٣)</sup> » . وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَقَدْ نَادَيْتَنَا لَوْ سَمِعْنَا ، وَطَرْنَا لَوْ  
وَقَعْنَا ؛ وَمَا أَشْبَهْنَا بِالغَرِيبَةِ الَّتِي خَيْرُهَا يُدْفَنُ ، وَشَرُّهَا يُعْلَنُ ، يُتَعَبُّ أَحَدُنَا  
نَفْسَهُ ، وَيُرْهَفُ حَسَّهُ ، وَيُعَارِضُ السَّيْفَ بِفَهْمِهِ ، وَالْبَحْرَ بِعِلْمِهِ ، وَالنَّارَ بِدَكَاةِ ،  
وَالزَّمَانَ بِمَضَانِهِ ، وَنَتَأَلَّجُ فِكْرَهُ بِمَحْجُوبَةٍ ، وَبِنَاتِ صَدْرِهِ غَيْرُ مَخْطُوبَةٍ .  
إِنْ يَسْمَعُوا رِيبَةً طَارُوا لَهَا فَرَحًا عَنَّهُ ، وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا<sup>(٤)</sup>

وَفِي فَصْلِ مِنْهَا :

وَلَوْ لَمْ يُعْلَمْ لَنَا خَبْرٌ ، وَلَا ظَهَرَ مِنَّا أَمْرٌ ؛ وَبَقِينَا لَا يُعْرَفُ مَكَانُنَا ، إِلَّا بِإِخْرَاجِ  
قِدْمَةِ الْأَقَالِمِ لَنَا ؛ وَالْحَاجَةُ مِنَ الْجُغْرَافِيَّاءِ إِلَى ذِكْرِ صُغْرِنَا<sup>(٥)</sup> ، لَكَانَ عُدْرُنَا<sup>(٦)</sup>  
فِي التَّقْصِيرِ عَنِ اشْتِهَارِ الْفَضْلِ لِأَمْحَا ، وَإِنْ كَانَ نَهَجُنَا إِلَى أَخْذِهِ وَالْعِلْمِ بِهِ وَاضِحًا ؛  
وَإِنْ كُنْتَ بِإِطْلَاقِ قَوْلِكَ قَدْ جَاهَرْتَنَا — وَحَقَّقْتَ — بِالظُّلْمِ مُجَاهِرَةً أَنَا

(١) ب : « لقد ناديت لو اسمعت » (٢) ر : « بآداب »

(٣) سورة ٢٢ : ٣١ (٤) لم يقع هذا البيت إلا في ر

(٥) ر : « ضغفنا » (٦) ر : « عدنا »

أعجبُ كيفَ انتقادَ كريمٍ طَبَعَكَ لها ، وأعجبُ أيضاً من نُجُوعِي لك ، وَوُقُوفِي  
عن الانتصافِ منك ، وأنا أعلمُ أنَّ عندكم لنا توأليفَ تَطِيرُون بها ، وأشهدُ  
بتَقْصِيرِ أربابها فيها ؛ وإنَّ وُدًّا عَقَلَ لك لِسَانِي ، ولم يُجْرِ إِلَّا بما تَوَثَّرَه وتَخْتارُه  
بَنَانِي ، لَوُدِّ يَفْضَحُ الرِّوْضَ في حَزَنِهِ ، برائِقِ حُسْنِهِ ؛ وَرَضُوِي في هَضْبِهِ ، بِثِقَلِ  
وَزْنِهِ ، ونوَاءِ السَّمَاكِ فِي هَتْنِهِ ، بوابلِ مَزْنِهِ ؛ وما هي إِلَّا شَيْمَةٌ قَدِيمَةٌ فيكم أَهْلَ  
الْجِهَةِ الظَّاهِرَةِ أَعْلَامُهَا ، البَاهِرَةِ عُلُومُهَا وَأَفْهَامُهَا .

قال ابن بسّام : وخرَجَ أبو المُغيرة في رسالته هذه إلى التَّطويل ، وبالغ  
في الاحتجاجِ بفصول ، هي عادلةٌ عن هذه السَّبيل ؛ وَخَتَمَها بِذِكْرِ جُمْلَةٍ من  
توَأليفِ أَهْلِ الأَنْدَلُسِ ، أَضْرَبْتُ عن تَسْمِيَتِها لِمُشَهْرَتِها .

وله فَصْلٌ من رقعة :

وَعَسَى أن يكونَ شِراءُ ذلكَ الدِّيوانِ شِراءَ<sup>(١)</sup> التَّجَّارِ الأَكياسِ<sup>(٢)</sup> ، من  
المُدْبِرِينَ القائِلِينَ بِارتِضاعِ الكاسِ ؛ وَهَمْكُ<sup>(٣)</sup> أن يكونَ أبو الحُسَيْنِ<sup>(٤)</sup> وَسَيْطَكُ ،  
وَجَمالُهُ شَفِيعَكُ ، فهو مِمَّنْ كانَ له في الحُسْنِ لَوَاءٌ مَرْفُوعٌ ، وَحُلَّةٌ تَزْرِي بِالوَشِيِّ  
الصَّنِيعِ ، فَعَفَى تلكَ الأَنارَ ما سألَ من عِذارِهِ ، وَطَمَسَ ليلُ اللُّحْيَةِ ما كانَ أَشْرَقَ  
من نهارِهِ ؛ لا جَرَمَ لَقَدْ بَقِيَتْ خَيْلانُ كالأَنارِ الدَّالَّةِ على الدِّيَارِ ، وَالْحُلِيِّ  
السَّقِيطِ ، المُخْبِرِ عن بَيْنِ الخَلِيطِ ؛ وَإِذا تَأَمَّلْتُمُها قد اشْتَمَلَ الشَّعْرُ عَلَيْها ،  
وَرَحَفَ من كلِّ جانبٍ إليها ، ذَكَرْتُ قَوْلَ أَبِي الطَّيِّبِ<sup>(٥)</sup> :

بِرُسُومِ كَأَنَّهِنَّ نُجُومٌ فِي عِرَاصِ كَأَنَّهِنَّ لَيْالٍ

(١) نه في ب : (٢) ر : « والأكياس » (٣) ر : « وتعمد »

(٤) ب : « أبو الحسن » (٥) راجع ديوانه (ج ٢ ص ١٣٨)



وله حديثٌ سَتَسْتَظَرُّهُ إِذَا سَهَلْتَ لَهُ إِذْنَكَ ، وَأَعْرَتَ لَهُ أُذُنَكَ .

وأبو المغيرة في دعابته هذه كما قرأته في فضل كتبه أبو عبد الرحمن بن طاهر إلى الوزير ابن عبد العزيز مع غلامٍ وسيم ، قال فيه : هذا الفتى كما تراه يُطْلَبُ خِدْمَةً ، وَبِهِ حِشْمَةٌ ؛ وَيَزْعُمُ أَنَّهُ يَحْمِلُ حِمْلَهُ ، وَيُؤْتِي كُلَّ حِينٍ أَكْلَهُ ؛ وَقَدِّمًا عَهْدَتِكَ تَحِنُّ إِلَى هَذِهِ الْعَصَافِيرِ ، فَإِنَّهَا مُخْمَرُ الْحَوَاصِلِ صُغُرُ الْمَنَاقِيرِ .

وَعُرِضَتْ عَلَى أَبِي الْمَغِيرَةِ رِسَالَةٌ بَدِيعِ الزَّمَانِ فِي الْغَلَامِ الَّذِي خَطَبَ إِلَيْهِ وَدَّهَ بَعْدَ أَنْ عَدَّرَ ، وَبَقَلَ وَجْهَهُ وَأَزْهَرَ ، فَعَارَضَهَا بِرُقْعَةٍ يَقُولُ فِيهَا :

وَرَدَّ كِتَابُكَ تَشْدُ ضَالَّةً وَدَنَا ، وَتَرَقَّعَ خَلَقَ عَهْدِنَا ، وَتَطَلَّبُ مَا أَفَاتَتْهُ  
جَرِيرَتُكَ إِلَيْنَا ، وَذَهَبَتْ بِهِ جِنَايَتُكَ عَلَيْنَا ، أَيَّامَ غُصْنِكَ نَاضِرٍ ، وَبَدْرِكَ زَاهِرٍ ؛  
لَا نَجِدُ رَسُولًا إِلَيْكَ غَيْرَ لِحْظَةٍ تَخْرُقُ حِجَابَ الدُّمُوعِ ، أَوْ زَفْرَةٍ تُقِيمُ مُنَادَ  
الضَّلُوعِ ؛ فَإِنْ رُمْنَا شَكْوَى يَنْفُثُ بِهَا مَصْدُورُنَا ، أَوْ يَسْتَرِيحُ إِلَيْهَا مَهْجُورُنَا ، لَقِينَا  
دُونَهَا أَمْنَعَ سَدًّا ، وَأَفْدَحَ رَدًّا<sup>(١)</sup> . وَقَلْتُ<sup>(٢)</sup> : أَهَذَا الطَّامِعُ ، فِي أَنْ يُطَالِعَ الْقَمَرَ  
الطَّالِعَ ، وَالرَّاعِبُ ، فِي أَنْ يُصَاحِبَ النَّجْمَ الثَّاقِبَ ؟ لَشَدَّ مَا زَادَ ، وَأَبْعَدَ مَا أَرَادَ !  
حَاوَلَتْ تَأَلَّفَ الظُّبِّيِّ الشَّارِدِ ، وَهَضَمَتْ الْفُضْنَ الْمَائِدِ ، بِدَمْعَةٍ صَبَّهَا ، وَزَفْرَةٍ شَبَّهَا !  
أَمَّا عِلْمٌ أَنْ لِحْظِي سَهْمٌ الْقُلُوبِ أَعْرَاضُهُ ، وَأَنِّي ظِيٌّ النَّفُوسِ رِيَاضُهُ ؟  
فَنَنْصَرِفُ عَنْكَ كَمَا أَتَيْنَا ، وَنَقِفُ كَمَا جَرَيْنَا ، وَنَعُودُ إِلَى نَارِ الْوَجْدِ بِكَ نَصْلَاهَا ،  
وَنَارِ الْبُعْدِ عَنْكَ لَا نَبْرَحُ مَعْنَاهَا<sup>(٣)</sup> ؛ حَتَّى<sup>(٤)</sup> إِذَا طَفِئَتْ تِلْكَ النَّيْرَانِ ، وَانْتَصَفَ  
لَنَا مِنْكَ الزَّمَانُ ، بِشَعْرَاتٍ أَغْشَتْ هِلَالَكَ كُسُوفًا ، وَقَلَبَتْ دِيبَاجَكَ صُوفًا ،

(١) ب : أشنع سد ، وأقبح ... وصد ، وأفدح رد

(٢) ما على ناقص في ر (٣) في الأصل : « معناه »

(٤) رجع الكلام في ر بعنوان « وفي فصل منها »

وأعادت نهارك ليلا ، وناحت عليك تلهفاً وويلًا ، وأطار حمامك غرابها ، وحجب  
ضياءك ضبابها ؛ فصار غرسك مائما ، وعاد وصلك محرما :

وَبِتَّ مُدَامًا تَسْرُ النَّزِيْفَا فَأَصْبَحَتْ تُجْرَعُ خَلًّا تَقِيْفَا

وَصِرَتْ حِجَارًا جَدِيْبَ المَحَلِّ م وَقَدْ كُنْتَ لِلطَّالِبِ الحِصْبِ رِيْفَا

٥ أقبلت تنسل إينا لوإذا ، وتطلب منا عيادا ؛ قد أنسك ذل العزل عز

الولاية ، وأولك طمعا نسيانك تلك الحناية ، أيام ترشقنا سهام الحاطك رشقا ،

وتقتلنا سيوف الفاظك عشقا ؛ وتميس غصنا ، فثبير حزننا ، وتطلع شمسنا ،

فتغيب <sup>(١)</sup> نفسا ، خدودنا <sup>(٢)</sup> أرض نعالك ، وصدورنا حد مجالك ، ونفوسنا مهاد

[ جنبك ] <sup>(٣)</sup> ، وقلوبنا ميدان حربك <sup>(٤)</sup> ؛ فالآن نلتاقك بدمع قد جف ،

١٠ ووجد قد كف ؛ وعزاء قد أبد ، وصبر قد غار وأنجد ، وهوى <sup>(٥)</sup> قد أراح

رواحله ، وأطاع عاذله ، وسألو قد قرب ركائبه ، وأسعد طالبه <sup>(٦)</sup> ؛ وننظر

منك إلى روض قد صوح ، وسار قد أصبح ، وأعجم قد أفصح ، ومبهم قد

صرح ؛ فلا شك وقد رفع الغطاء ، ولا إفاك وقد برح الخفاء ، ولا لوم وقد

وقع الجزاء ؛ فهلاذ كرت المثل المتهن : « الصيف ضيغت اللبن ! » ، ونسيت

١٥ من أحرقت قلبه صدا ، وأقلقت جنبه <sup>(٧)</sup> ردا ؛ وملاّت جوارحه <sup>(٨)</sup> نارا ،

وتركت نومه غرارا ؛ أن يوقيك قرضا ، ويجازيك <sup>(٩)</sup> حتى ترضى ، حين

نكس علمك ، وعثرت قدمك ، وضاعت طرقتك <sup>(١٠)</sup> ، وأظلم أفقك ،

وخوى <sup>(١١)</sup> نجمك ، وخاب قدحك ، وفل سيفك ، وحط رحك ؛ فاطو ثوب

(١) ر : « فتغيت » (٢-٢) نه في ر (٣) ؟ — ب : « بنك »

(٤-٤) نه في ر (٥) لب : « أقلت جنبه » — ر : « وأقلعت خلبه »

(٦) ر : « جوارحه » (٧) ب : « يجازيك » (٨) نه في ب

(٩) ب : « هوى »

وَصَلِّكَ ، فَلَاحِجَةٌ لَنَا إِلَى لِبَاسِهِ ، وَازْوِ طَارِقِ شَخْصِكَ ، فَلَا رَغْبَةَ لَنَا فِي  
إِينَاسِهِ ؛ فَمَا نَشْتَهِي الْيَوْمَ زِيَارَةَ رَمْسٍ مِنْ زَهْدٍ فِينَا أَمْسٍ .

حَانَتْ مَنِيَّتُهُ فَاسْوَدَّ عَارِضُهُ كَمَا تُسْوَدُّ بَعْدَ الْمَيْتِ الدَّارُ  
قَوْلُهُ : « وَبِتَّ مُدَامًا تَسْرُ النَّزِيْفَا » ، الْبَيْتُ : أَخَذَهُ ابْنُ عَبَادَةَ الْمَعْرُوفُ  
بِابْنِ الْقَرَازِ ، وَأَوْجَزَهُ غَايَةَ الْإِيجَازِ ، فَقَالَ :

يَا عَقَارًا صَارَ خَلًّا وَمَلَاذًا لِلْبَعُوضِ  
سِرٌّ فَمَا لِي فِيكَ حَظٌّ كَانَ ذَا قَبْلِ الْحُمُوضِ  
مَا أَبَالِي بَعْدَ أَكْلِ السَّرْبِدِ مِنْ طَرَحِ الْمَخِيضِ

وَالْمَيْتُ الَّذِي تَمَثَّلَ بِهِ أَحْيَرًا لَعَلِّي بْنِ بَسَّامِ الْبَغْدَادِيِّ ، مِنْ جَمَلَةِ آيَاتِ قَالَهَا فِي  
أَخِيهِ جَعْفَرٍ ، مِنْهَا :

يَا مَنْ نَعْتُهُ إِلَى الْإِخْوَانِ لِحَيْتِهِ  
قَدْ كُنْتَ مِمَّنْ يَهْشُ النَّاطِرُونَ لَهُ  
لِلَّهِ دَرٌّ فَتَى وَلَتْ شَيْبَتُهُ  
فِيَا لِدَهْرٍ مَضَى مَا كَانَ أَحْسَنَهُ  
أَذْبَرْتَ وَالنَّاسُ إِقْبَالَ وَإِذْبَارُ  
تُعْضُ دُونَكَ أَسْمَاعٌ وَأَبْصَارُ  
وَكَلُّ شَيْءٍ لَهُ حَدٌّ وَمِقْدَارُ<sup>(١)</sup>  
إِذْ أَنْتَ مُمْتَنِعٌ وَالشَّرْطُ دِينَارُ  
أَيَّامَ وَجْهِكَ مَصْفُولٌ عَوَارِضُهُ  
حَانَتْ مَنِيَّتُهُ فَاسْوَدَّ عَارِضُهُ  
وَالرِّيَاضُ عَلَى حَدِّكَ أَنْوَارُ<sup>١٥</sup>  
كَمَا تُسْوَدُّ بَعْدَ الْمَيْتِ الدَّارُ<sup>(٢)</sup>

<sup>(٣)</sup> وَكَانَ ابْنُ بَسَّامٍ هَذَا فِي أَوَانِهِ ، بَاقِعَةً زَمَانِهِ ، لَمْ يَسْلَمْ مِنْهُ عَصْرُهُ أَمِيرٌ  
وَلَا وَزِيرٌ ، وَلَا مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ صَغِيرٌ وَلَا كَبِيرٌ ؛ وَكَانَ أَخُوهُ جَعْفَرُ الَّذِي ذُكِرَ  
مِنْ أَهْلِ الْجَمَالِ الْفَائِقِ ، وَفِيهِ يَقُولُ :

(١) هذا البيت والذي قبله ناقصان في ر

(٢) هذا البيت ناقص في ر (٣) هذه الفقرة إلى آخر الأبيات ناقصة في ر

حَانَ الْمَنِيَّةُ يَا أَبَا الْعَبَّاسِ      فَدَعَ الْمِكَّاسَ فَلَاتَ حِينَ مِكَّاسِ  
مَا بَالُ وَجْهِكَ بَعْدَ كَثْرَةِ نُورِهِ      قَدْ سَوَّدُوهُ بِمِجَالِكَ الْأَنْقَاسِ  
أَيْنَ الدَّنَائِيرُ الَّتِي عُوذْتَهَا      هَيْهَاتَ جَاءَ الشَّعْرُ بِالْإِفْلَاسِ !  
كَانَتْ تُجَدُّ ثِيَابَهُ دِيبَاجَهُ      فَاسْتَبَدَّتْ حِلْسًا مِنَ الْأَخْلَاسِ  
وَكَذَا الْبَقَاءُ بَغِيرِ مُرْتَفَعٍ إِذَا      كَانَتْ بَلِيَّةً مِنْ الْأَسَاسِ

وهو القائلُ في ابنه وقد بنى دارًا :

شِدَّتْ دَارًا خِلْتَهَا مُكْرَمَةً      سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهَا الْفِرْقَا  
وَرَأَيْتُكَ صَرِيحًا وَسَطَهَا      وَرَأَيْتُنَاهَا صَاعِدًا زَلَقَا

واشتهر شعره في ابنه وأخيه وأهل عصره ، يَمْنَعُنِي عَنْ ذِكْرِهِ (١) ؛  
وَيُذَكِّرُ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ إِذَا كَانَ مِنْ وادِيهِ ، أَوْ نَظَرَ إِلَى الْفَاطِمَةِ أَوْ مَعَانِيهِ (١) .  
ولمَّا اتَّفَقَ أَنْ يَكُونَ عَلِيُّ بْنُ بَسَّامٍ هَذَا سَمِيًّا ، وَاجْتَمَعَتْ بِالْوَزِيرِ أَبِي مُحَمَّدٍ  
عَبْدِ الْمَجِيدِ بْنِ عَبْدِوَنٍ أَوَّلَ لِقَائِي لَهُ بِشَنْتَرِينَ فِي جُمْلَةِ أَصْحَابِ الْمُتَوَكَّلِ ،  
فَأَوَّلُ مَجْلِسٍ اجْتَمَعَتْ مَعَهُ فِيهِ ، وَسَمِعَ بَعْضَ (٢) الْإِخْوَانِ يَدْعُونَ نَبِيَّ بِاسْمِي ، فَقَالَ  
لِي : أَنْتَ عَلِيُّ بْنُ بَسَّامٍ حَقًّا ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : أَوْ تَهْجُو حَتَّى الْآنَ أَبَاكَ  
أَبَا جَعْفَرَ وَأَخَاكَ جَعْفَرًا ؟ قُلْتُ لَهُ : وَأَنْتَ أَيْضًا عَبْدُ الْمَجِيدِ ؟ قَالَ : أَجَلٌ ، قُلْتُ :  
وَحَتَّى الْآنَ فِيكَ ابْنُ مُنَازِرٍ يَتَغَزَّلُ ؟ فَضَحِكَ مَنْ حَضَرَ لِهَذَا الْجَوَابِ الْحَاضِرِ .  
وَخَبِرْتُ ابْنَ مُنَازِرٍ مَعَ عَبْدِ الْمَجِيدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الثَّقَفِيِّ أَوْضَحُ مِنْ أَنْ يُشْرَحَ .  
وَكَانَ مِنْ أَجْمَلِ فِتْيَانِ ذَلِكَ الْأَوَّانِ ، وَأَدَبِهِمْ وَأَطْرَفِهِمْ ، فَكَلِّفَ بِهِ ابْنَ مُنَازِرٍ  
وَتَعَشَّقَهُ فَاعْتَبَطَ لِعِشْرِينَ سَنَةً فَرَثَاهُ بِذَلِكَ الْقَصِيدِ الْفَرِيدِ ، الَّذِي يَقُولُ فِيهِ :

فَلَوْ أَنَّ الْأَيَّامَ أَخْلَدْنَ حَيًّا لَعَلَّاهُ أَخْلَدْنَ عَبْدَ الْمَجِيدِ  
وَأَمَّا صِفَاتُ الْمُعَذَّرِينَ مِنَ الْعُلَمَاءِ ، قَدْ جَرَتْ خِيُولُ فُرْسَانِ هَذَا الشَّانِ ،  
بِهَذَا الْمَيْدَانِ ، وَتَفَنَّنُوا فِي ذَلِكَ نَظْمًا وَنَثْرًا ، وَمَدْحًا وَذَمًّا . وَبِمَنْ ذَمَّهُمْ مِنْ أَهْلِ  
عَصْرِ نَاعِبِدُ الْجَلِيلِ <sup>(١)</sup> ، حَيْثُ يَقُولُ :

وَأَمْرَدَ يَسْتَهِيمُ بِكُلِّ وَادٍ وَيَنْصِبُ لِلشَّجَا خَدًّا صَلِيبًا  
دَعَوْتُ دُعَاءَ مَظْلُومٍ عَلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ مُسْتَمِعًا مُجِيبًا  
فَطَوَّقَهُ الزَّمَانُ بِمَا جَنَاهُ وَعَلَّقَ مِنْ عِدَارِيهِ الذُّنُوبَا  
وَأَخَذَهُ أَبُو بَكْرٍ الدَّانِيُ فَقَالَ :

بَدَا عَلَى خَدِّهِ عِدَارٌ فِي مِثْلِهِ يُعَذَّرُ الْكَيْبُ  
وَلَيْسَ ذَلِكَ الْعِدَارُ شَعْرًا لَكِنَّمَا سِرُّهُ عَجِيبٌ <sup>(٢)</sup>  
لَمَّا أَرَأَى الدَّمَاءَ ظَلَمًا بَدَتْ عَلَى خَدِّهِ الذُّنُوبُ

ولعبد الجليل في هذه الصفاتِ عِدَّةُ مَقْطُوعَاتٍ فَتَحَ بِهَا جِرَابَ الشُّخْفِ ،  
وَلَمْ يَسْتَتِرْ فِيهَا مِنَ الْعَقْلِ بِسَجْفٍ ؛ وَقَدْ كَتَبْتُ مِنْ شِعْرِهِ فِي هَذَا الْبَابِ وَسِوَاهُ ،  
فِي الْقِسْمِ الثَّانِي مِنْ هَذَا الْكِتَابِ بَعْضَ مَا اخْتَرَنَاهُ . وَلَمْ أَسْمَعْ فِي ذَمٍّ مِنْ عَزَلٍ  
عَنْ وِلَايَةِ حُسْنِهِ ، أَحْسَنَ مِنْ قَوْلِ بَعْضِ أَهْلِ عَصْرِنَا وَهُوَ أَبُو الْحَسَنِ الْبَرْقِيُّ <sup>١٠</sup>  
فِي أَيْبَاتٍ تُسْتَنْدَرُ بِجُمْلَتِهَا وَهِيَ :

الآنَ لَمَّا رَوَّضْتُ وَجَنَاتَهُ شَوْكَاً وَأَضَحَّتْ سَلْوَةَ الْمُشَاقِ  
وَاسْتَوْحَشَتْ مِنْكَ الْحَاسِنُ وَاكْتَسَتْ أَنْوَارُ وَجْهِكَ وَاهِيَ الْأَخْلَاقِ  
أَنْشَأَتْ تَبْدُلُ لِي الْوِصَالَ تَصْنَعًا خُلِقَ اللَّئِيمُ وَشَيْمَةَ الْمَذَاقِ  
هَلَا وَصَلَتْ إِذِ الشَّمَائِلُ قَهْوَةً وَإِذِ الْمُحَيَّا رَوْضَةَ الْأَحْدَاقِ ! <sup>٢٠</sup>

(١) ر : « عبد المجيد » (٢) ب : « غريب »

فَلَكُمْ أَطَلَّتْ عَرَامَ قَلْبٍ مُوجِعٍ كَمْ قَدْ أَلَبَّ إِلَيْكَ بِالْأَشْوَاقِ  
 مَا كُنْتَ إِلَّا الْبَدْرَ لَيْلَةَ تَمِّهِ حَتَّى قَضَتْ لَكَ لَيْلَةَ بِمِحَاقِ  
 لَاحِ الْعِدَارِ قُلْتُ: وَجْهٌ<sup>(١)</sup> نَازِحٌ إِنَّ ابْنَ دَأْبَةَ مُؤَذِّنُ بِنِزَاقِ  
 ولأبي الحسن في هذه أيضاً عدة محاسن ، إذ كان قد خلَعَ عِدَارَهُ فِي صِفَاتِ  
 المَعْدِّرِينَ كَقَوْلِهِ :

وَأَزْهَرَ حَيًّا بِرِيحَانَةٍ تَضَوُّعَ مِنْ عَرَفَهَا الْمَنْدَلُ  
 وَزَادَ بِنَفْسِحِ أَصْدَاغِهِ فَقُلْتُ الزِّيَادَةَ قَدْ تُقْبَلُ

وقال أيضاً :

بَأَبِي<sup>(٢)</sup> الَّذِي نَخَطَّ الْجَا لُ بِوَجْهِهِ لَأَمَّا وَنُونُ  
 وَأَطْنُفُهُ جَعَلَ الْمَدَا دَ سَوَادَ أَحْدَاقِ الْجُهُونُ  
 خَافُوا عَلَيْهِ مِنَ الْعُيُونِ نِ فَعَوَّذُوهُ بِالْعُيُونِ

وهذا كقول عبد الجليل :

وَمَعْدِّرِينَ كَأَنَّهَا بِحُدُودِهِمْ طُرُقُ الْعُيُونِ وَمَنْهَجُ الْأَرْوَاحِ  
 وَكَأَنَّهَا صَقَلُوا الْجَمَالَ وَأَظْهَرُوا مَشَى النَّهْلِ عَلَى مُتُونِ صِفَاحِ

١٥ وَمَنْ عُنِيَ بِهَذَا الْوَصْفِ الْمَعْرِيِّ ، حَيْثُ يَقُولُ فِي ذِكْرِ السَّيْفِ :

وَدَبَّتْ فَوْقَهُ مُهْرُ الْمَنَابِيَا وَلَكِنْ بَعْدَمَا مُسِخَتْ نِمَالًا<sup>(٣)</sup>

وقال في موضع آخر :

وَلَا حَسِبْتُ صِفَارَ النَّوْلِ يُسَكِّنُهَا سَعَى عَلَى اللَّحْجِ أَوْ مَشَى عَلَى السُّعْرِ<sup>(٤)</sup>

(١) لب : « وجد » — ب : « نجبه » (٢) ر : « باذا »

(٣) راجع « سقط الزند » (ج ١ ص ٢٨)

(٤) راجع « سقط الزند » (ج ١ ص ٣٨)

وقال بعض أهل عصرى وهو الوزير أبو محمد ابن عبد الغفور :

تُريه المنايا الحمر فيه وجوهها<sup>(١)</sup>      مُحَاتِلَةَ الأَزْوَاحِ فِي صُورِ الذَّرِّ

وقال أيضاً بعض أهل أقمنا<sup>(٢)</sup> :

جَدَاوِلُ مَاءِ مَا تَسُوغُ<sup>(٣)</sup> لِوَارِدِ      تَرَى النَّمْلَ غَزْفِي فِيهِ غَيْرَ الأَكْرَاعِ

وقد كرر عبد الجليل معنى بيته المتقدم فقال :

وَمَشَتْ لِحَاطِي فِي جَوَانِبِ خَدِّهِ      حَتَّى أُرْنَنَ بِصَفْحَتَيْهِ طَرِيقًا

وقال أبو محمد بن سارة<sup>(٤)</sup> الشنترينى :

وَمُعَدَّرَ رَقَّتْ حَوَائِثِي حُسْنِهِ      فَقَلُّوْنَا وَجُدًا عَلَيْهِ رَفَاقُ

لَمْ يَكُنْ عَارِضُهُ السَّوَادُ وَإِنَّمَا      نَثَرْتُ عَلَيْهِ سَوَادَهَا<sup>(٦)</sup> الأَحْدَاقُ

وقال أيضاً بعض أهل عصرى وهو ابن رباح أبو تمام الملقب بالحجّام :

يَا لَعْبَةَ بَدْوِي الأَلْبَابِ لَاعِبَةٍ      فِي أَصْلِ حُسْنِكَ مَعْنَى غَيْرِ مُتَّفِقِ

خُلِقْتَ بِيضَاءَ كَالْكَافُورِ نَاصِعَةٍ      فَصِرْتَ سَوْدَاءَ<sup>(٧)</sup> مِنْ مَثْوَالِكِ فِي الحَدَقِ

وهو أيضاً القائل في هذا المعنى :

وَسَوْدَاءَ الأَدِيمِ إِذَا تَبَدَّتْ      تَرَى مَاءَ النِّعَمِ جَرَى عَلَيْهِ

رَأَاهَا<sup>(٨)</sup> نَاطِرِي فَصَبَا إِلَيْهَا      وَشَبَّهَ الشَّيْءَ مُنْجَذِبٌ إِلَيْهِ

(١) ب ، لب : « وجوهنا » (٢) نه في ب ، لب ، والبيت الآتى منسوب

في هاتين النسختين إلى الوزير أبي محمد بن عبد الغفور المذكور

(٣) ب ، لب « تصوح » (٤) لب : « صارة »

(٥) ب ، لب : « لم يكن » (٦) ب ، لب : « نفضت عليه صباغها »

(٧) ب ، لب ، وه : « سمراء » (٨) ر : « رماها »

وسَمِعَ الْوَزِيرُ أَبُو جَعْفَرٍ بْنُ جُرْجٍ مِنْ أَهْلِ أَفْقِنَا قَوْلَ ابْنِ الْجَهْمِ :

وَعَائِبَ لِلشُّمْرِ مِنْ جَهْلِهِ      مُفَضِّلَ لِلْبَيْضِ ذِي مَحْكٍ  
قُولُوا لَهُ عَنِّي : أَمَا تَسْتَحْيِي (١) ؟      مَنْ جَعَلَ الْكَافُورَ كَالْمِسْكِ ؟

فَعَارَضَهُ بِقَوْلِهِ :

وَعَائِبَ لِلْبَيْضِ ذِي إِفْكَ      مَعَارِضِ الْكَافُورِ بِالْمِسْكِ  
دَعُ عَنكَ هَذَا وَانْقَلِبْ خَاسِئًا      مَا التُّورُ مِثْلُ الطُّلْمِ الْخُلْكَ

ثُمَّ سَاعَدَ ابْنَ الْجَهْمِ فَقَالَ :

غُضِنُ مِنَ الْآبَنُوسِ أَبْدَى      مِنْ مِسْكِ دَارِينَ لِي ثِمَارًا  
لَيْلُ نَعِيمٍ أَظْلُ فِيهِ      لِلطَّيِّبِ لَا أَشْتَهِي نَهَارًا

١٠      وَابْنِ جُرْجٍ أَيْضًا فِي مِثْلِهِ :

وَسَمْرَاءُ بَاهَى كَلْفَةَ الْبَدْرِ وَجْهَهَا      إِذَا لَاحَ فِي لَيْلٍ مِنَ الشَّعْرِ الْجَعْدِ  
مُحِبَّةٌ مِنْ حَبَّةِ الْقَلْبِ لَوْنُهَا      وَطَيِّبَتُهَا لِلْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ الْوَرْدِ

وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ ابْنُ رَشِيْقٍ :

دَعَا بِكَ الْحُسْنُ فَاسْتَجِيبِي      يَا مِسْكَ فِي صِبْغَةٍ وَطِيبِ  
تَيْبِي عَلَى الْبَيْضِ وَاسْتَطِيبِي      تَيْبَهُ شَبَابٍ عَلَى مَشِيبِ  
وَلَا يَرُوعُكَ اسْوَدَادُ لَوْنِ      بِمَقْلَةٍ الشَّادِنِ الرَّيِّبِ  
فَإِنَّمَا التُّورُ عَنْ سَوَادِ      فِي أَعْيُنِ النَّاسِ وَالْقُلُوبِ

١٥

قال ابن بسام : هذا من الكلام الرائق ، المتأخر الصادق ، في تفضيل

(١) ب : « يستحي »



السَّوَادِ عَلَى الْبَيَاضِ ، مَعَ أَنَّ ابْنَ الرُّومِيِّ لَمْ يَدْعُ فِيهِ لِأَحَدٍ مِنْ اعْتِرَاضِ ،  
وَقَدْ كَانَ قَبْلَهُ أَبُو حَفْصِ الشُّطْرَنْجِيُّ قَالَ :

أَشْبَهَكَ الْمِسْكُ وَأَشْبَهْتَهُ قَائِمَةً فِي لَوْنِهِ قَاعِدَةً  
لَا شَكَّ إِذْ لَوْنُكُمَا وَاحِدٌ أَنْكُمَا مِنْ طِينَةٍ وَاحِدَةٍ

وَلَمَّا كَانَتْ شِدَّةُ الْبَيَاضِ مِمَّا يُعَابُ ، وَأَنَّ أَكْفَ بَعْضِ السُّودَانِ مُشَقَّقَةٌ ،  
وَأَطْرَافُهُمْ لَيْسَتْ بِنَاعِمَةٍ لَيِّنَةٍ ، وَأَنَّ عَرَقَهُمْ خَبِيثٌ مَعَ الْفَلْحِ الْمَلْازِمِ لِأَوْسَاطِ  
الشِّفَاهِ ، وَسَائِرِ مَا فِيهِمْ مِنْ هَذِهِ الْأَشْبَاهِ ، نَفَى ابْنُ الرُّومِيِّ ذَلِكَ كُلَّهُ فَقَالَ  
يَصِفُ جَارِيَةَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ صَالِحِ السُّودَاءِ :

سَوْدَاءٌ لَمْ تَنْتَسِبْ إِلَى بَرَصِ الشُّقْرِ وَلَا كُفَّةٍ وَلَا بَهَقٍ<sup>(١)</sup>

لَيْسَتْ مِنَ الْعَبْسِ<sup>(٢)</sup> الْأَكْفُ وَلَا الْفُلْحِ الشِّفَاهِ الْخَبَائِثِ الْعَرَقِ ١٠

وَبَعْضُ مَا فَضَّلَ السَّوَادُ بِهِ وَالْحَقُّ ذُو سُلْمٍ وَذُو نَفَقِ

أَلَّا تَعِيبَ السَّوَادَ خُلُكْتُهُ وَقَدْ يُعَابُ الْبَيَاضُ بِالْبَهَقِ

أَكْسَبَهَا الْحُبَّ أَنَّهَا صُبِغَتْ صِبْغَةَ حَبِّ الْقُلُوبِ وَالْحَدَقِ

فَانْصَرَفَتْ نَحْوَهَا الضَّمَاثُ وَالْأَبْصَارُ يُعْنَقْنَ أَيَّمَا عُنُقِ

وَلَمَّا سَمِعَ ابْنُ الرُّومِيِّ قَوْلَ أَبِي نُوَّاسٍ وَقَدْ نَبَّهَ نَدِيمًا لِلصَّبُوحِ فَأَخْبَرَ عَنْ ١٥

حَالِهِ وَهُوَ مِنْ جَيْدِ تَشْبِيهَاتِهِ :

فَقَامَ وَاللَّيْلُ يَجْلُوهُ الصَّبَاحُ كَمَا جَلَا التَّبَسُّمُ عَنْ غُرِّ الثَّنِيَّاتِ<sup>(٣)</sup>

قَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ :

يَفْتَرُّ ذَاكَ السَّوَادُ عَنْ يَقَقِ مِنْ تَغْرِهَا كَالْإِلِيِّ النَّسَقِ

(١) رُوِجَتْ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ عَلَى النُّسخَةِ الْمَخْطُوطَةِ لِديوانِهِ ، الْمَحْفُوظَةِ بِدَارِ الْكُتُبِ الْمِصْرِيَّةِ

(تَحْتَ رَقْمِ ١٣٩ أَدَبِ)

(٢) ر : « الْعَمْسُ » — وَه : « الشَّنْ » (٣) رَاجِعِ دِيوانِ أَبِي نُوَّاسٍ (ص ٢٥٠)

كَأَنَّهَا وَالْمِرْأَجُ يُضْحِكُهَا لَيْلٌ تَفَرَّى<sup>(١)</sup> دُجَاهُ عَنْ فَلَقِ  
 وَفَضْلُ كَلَامِ ابْنِ الرُّومِيِّ عَلَى سِوَاهُ ، أَنَّهُ قَدَّمَ فِي التَّشْبِيهِ لِمَعْنَاهُ مُتَقَدِّمَةً  
 أَيْدِيَهُ وَوَطَّأَتْ لَهُ الْآذَانَ ، وَأَصَفَتْ الْأَفْهَامَ إِلَى الْإِسْتِحْسَانِ ، وَهِيَ قَوْلُهُ : « يَفْتَرُّ  
 ذَلِكَ السَّوَادُ عَنْ يَقْيِي » وَكَانَ سُئِلَ أَنْ يَسْتَعْرِقَ فِي صِفَاتِ مَحَاسِنِهَا الظَّاهِرَةِ  
 وَالباطنة فقال :

لَهَا حِرٌّ يَسْتَعِيرُ<sup>(٢)</sup> وَقَدَّتَهُ مِنْ قَلْبِ صَبِّ وَصَدْرِ ذِي حَنْقِ  
 كَأَنَّهَا حَرُّهُ لِدَائِقِهِ مَا أَلْهَبَتْ فِي حَسَاهُ مِنْ حُرْقِ  
 يَزْدَادُ ضَيْقًا عَلَى<sup>(٣)</sup> الْمِرَاسِ كَمَا تَزْدَادُ ضَيْقًا أَنْشُوطُهُ الْوَهَقِ  
 وَفَكَرَّ ابْنُ الرُّومِيِّ فِيمَا فَكَّرَ فِيهِ النَّابِغَةُ إِذْ أَمَرَهُ التَّعْنَانُ بِوصفِ الْمُتَجَرِّدَةِ  
 فَوَصَفَ مَا يَجُوزُ ذِكْرُهُ مِنْ ظَاهِرِ مَحَاسِنِهَا ثُمَّ كَرِهَ<sup>(٤)</sup> أَنْ يَذْكَرُ مِنْ بَاطِنِهَا<sup>(٥)</sup>  
 مَا لَا يَسُوعُغُ لِمِثْلِهِ أَنْ يَذْكَرَهُ مِنْهَا ، فَرَدَّ الْإِخْبَارَ عَنْ تِلْكَ الصِّفَاتِ إِلَى صَاحِبِهَا  
 وَهُوَ الْمَلِكُ فَقَالَ :

زَعَمَ الْهَامُ بِأَنْ فَاهَا بَارِدٌ عَذْبٌ مُقَبَّلُهُ شَهِيءُ الْمَوْرِدِ  
 الْأَبْيَاتِ ، فَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ :

وَصَفْتُ فِيهَا الَّذِي هَوَيْتَ عَلَى الْوَهْمِ وَلَمْ أَنْتَبِذْ وَلَمْ أُذِقِ  
 إِلَّا بِأَخْبَارِكَ الَّتِي وَقَعَتْ مِنْكَ إِلَيْنَا عَنْ ظَنِّيَةِ الْبُرْقِ

(١) لب : « تفرى » — ب : « تفرى » (٢) ر : « تستعير »

(٣) ر : « عنده » (٤) ر : « كر »

(٥) ب ، لب : « فضائلها »

حَاشَا لِسَوْدَاءَ مَنْظَرٍ سَكَنْتُ دَارَكَ إِلَّا مِنْ مَخْبَرٍ (١) يَقْقِ  
وَلَمَّا سَمِعَ الْفَرَزْدَقُ يَرِي امْرَأَةً تُوْفِيَتْ حَامِلًا ، حَيْثُ يَقُولُ (٢) :

وَجَفَنَ سِلَاحٌ قَدْ رُزِنْتُ فَلَمْ أَنْحِ عَلَيْهِ وَلَمْ أَبْعَثْ عَلَيْهِ الْبَوَاكِيَا  
وَفِي بَطْنِهِ مِنْ دَارِمٍ ذُو حَفِيظَةٍ لَوَانَ الْمَنَايَا أَنْسَأْتُهُ لِيَالِيَا

قال ابن الرومي :

أَخْلَقَ بِهَا أَنْ تَقُومَ عَنْ ذَكَرٍ كَالسَّيْفِ يَفْرِي مُضَاعَفَ الْحَلْقِ  
إِنْ جُفُونَ السُّيُوفِ أَكْثَرُهَا أَسْوَدُ ، وَالْحَقُّ (٣) غَيْرُ مُخْتَلَقِ

فَزَادَ زِيَادَةً بَيِّنَةً ، وَعِبَارَةً وَاضِحَةً ، لَمْ تَفْتَقِرْ إِلَى تَفْسِيرِ أَصْحَابِ الْمَعَانِي ،  
وَبَلَغَ مِنَ الْإِجَادَةِ ، فَوْقَ الْإِرَادَةِ ؛ وَمُنَاسِبَةُ الشَّعْرِ فِي الْمَعْنَى وَاللَّفْظِ كَثِيرَةٌ .

وترجع إلى رسائل أبي المغيرة :

فَصَلُّ مِنْ رُقْعَةٍ لَهُ (٤) : مُؤَدَّى كِتَابِي هَذَا قَصَدَ حَضْرَةَ الْحَاجِبِ الْفَاضِلِ ،  
وَلَمْ يَجِدْ بُدْأً مِنْ سَبَبٍ وَاصِلٍ ، إِلَى رَجَاءٍ حَاصِلٍ ؛ وَأَنْتَ هُنَاكَ فِي كُلِّ مَطْلَبٍ  
صَالِحٍ ، وَمَذْهَبٍ رَاجِحٍ ، الدَّلْوُ والرِّشَاءُ ، وَالنَّهْيَةُ وَالْإِبْتِدَاءُ ؛ وَلِلْقُرَشِيِّينَ (٥)  
السِّنَةُ بِالثَّنَاءِ فَصَاحَ ، وَمَنْ أَوْلَاهُمْ يَدًا فَقَدْ حَمَلَ مَحَاسِنَهُ أَجْنَحَةَ الرِّيَاحِ ، وَكَبَّهَا  
فِي عُرَّةِ الصَّبَاحِ .

فَصَلُّ مِنْ رُقْعَةٍ شَفَاعَةٍ أَيْضًا :

إِذَا شَرِبَ رَوْضُ الشُّكْرِ ، مِنْ حَوْضِ الْبِرِّ ، أَطْلَعَ مِنَ الزَّهْرِ ، مَا يُخْجَلُ مِسْكَ

(١) ر : « مجر » (٢) ديوان الفرزدق ( ج ١ ص ٢٢٩ )

(٣) ر : « والخلق » (٤) هذا الفصل ناقص في ر

(٥) ب ، لب : « وللعربيين »

الطَّرَرُ ؛ وَتَنَفَّسَ عَنِ نَسِيمٍ ، يَشْفِي حَرَارَةَ الْقُلُوبِ الْهِيمِ ، وَبِحَسَبِ الْقَائِلِ يَكُونُ  
 الْمَقَالُ ، وَعَلَى قَدْرِ الْجَائِلِ يَتَّسِعُ الْمَجَالُ ، وَأَبُو الرَّبِيعِ مَنِ عُلِمَ لِسَانُهُ إِنْ قَالَ ،  
 وَبَيَانُهُ قَصْرًا أَوْ طَالُ ؛ وَأَنَّهُ أَشَدُّ بُنَاةَ الْكَلَامِ حِرْصًا<sup>(١)</sup> ، إِذَا وَجَدَ أَجْرًا وَجِصًا ؛  
 وَأَعْظَمُ جِيَادِهِ تَهَافُتًا ، إِذَا وَجَدَ مَيْدَانًا مُتَفَاوِتًا ، فَمَنْ أَوْثَقَهُ بِرًا ، طَوَّقَهُ شُكْرًا ،  
 وَمَنْ خَلَعَ عَلَيْهِ ثِيَابَ الْفَضْلِ مِنْ طِرَازِ الْإِكْرَامِ ، نَزَعَ إِلَيْهِ بِجِيَادِ الْحَمْدِ مِنْ  
 مَرَبِطِ الْكَلَامِ ؛ وَلَمْ يَزَلْ يَمْرِي خَلْفَ الطَّلَبِ ، بِيَدِ الْأَدَبِ ، وَيَسْرِي فِي  
 ظِلَامِ<sup>(٢)</sup> الْأُمُورِ ، بِسِرَاجِ الْمَنْظُومِ وَالْمَنْشُورِ ، حَتَّى إِذَا رَأَى تِلْكَ الْأَسْبَابَ  
 رِثَانًا ، وَعَايِنَ مُبْرَمَ وَسَائِلِهَا أَنْكَانًا ، طَلَّقَ عُرْسَ الشَّعْرِ ثَلَاثًا ، وَصَارَ لَا يَرَى نُجْعَةً  
 لِأَدَبٍ ، وَلَوْ أَوْطَأْتَهُ عَلَى أَرْضِ الذَّهَبِ ؛ فَمَنْ سَمَّاهُ بِأَدِيبٍ فَقَدْ عَقَّه ، أَوْ وَسَمَّه  
 بِشَاعِرٍ فَقَدْ أَبْطَلَ حَقَّه ؛ حَتَّى إِذَا لَقِيَ مِنْ كَرِيمٍ صَوْنًا ، وَعَلَى مَا يُجَاوِلُهُ عَوْنًا ، ذَكَرَ  
 فَشَكَرَ ، بِنَاءَ كَالزَّهَرِ ، تَحْتَ أَنْدَاءِ السَّحَرِ ، وَأَمْسَكَ مِنَ الْأَدَابِ ، عَلَى هَذَا  
 الذَّنَابِ ، وَلَوْ لَا أَنْ يَسْرَ بِهَذَا الْقَدْرِ ذَا قَدْرٍ ، لَصَدَقَ الْحَمَلَةُ ، وَحَاهَا مِنْ صَدْرِهِ  
 جُمْلَةٌ ، وَنَزَعَ إِلَى تَصَوُّفٍ يُحْمَدُ فِيهِ رَأْيُهُ ، وَيُجْنِبُهُ ثَمَرَ الْعَيْشِ مِنْهُ سَعْيُهُ ؛ فَقَدْ  
 سَمِيَ تَشْبَهُهُ بِالْعِيَالِ ، وَدُخُولَهُ تَحْتَ الْمِنَنِ السَّابِقَةِ الْأَذْيَالِ<sup>(٣)</sup> . وَغَرَضُهُ مِنْكَ  
 — أَعَزَّكَ اللَّهُ — رَأَى أَصِيلَ ، وَإِزْشَادُ جَمِيلٍ ، وَتَأْنِيسُ يَسْهَلٍ بِهِ وَغَرُ  
 الزَّمَانِ ، وَيُثْنِي إِلَيْهِ — إِنْ شَاءَ اللَّهُ — شَارِدُ الْأَمَانِ .

وله من أخرى : أَعَزَّكَ اللَّهُ ! فِي الْأَحْيَاءِ حَسْمُ الدَّاءِ ، وَلَا عَدُوٌّ لِلْإِنْسَانِ  
 إِلَّا نَفْسُهُ ، وَلَا حَيَّةٌ وَلَا عَقْرَبٌ إِلَّا جِنْسُهُ ؛ وَلَيْسَ فِي الْحَيَوَانَ ، أَحْبَبُ فِي ذَاتِهِ  
 مِنَ الْإِنْسَانِ ؛ فَالاحْتِرَاسَ كُلَّ الاحْتِرَاسِ ، وَالْمَعَاشِرَةَ الْجَمِيلَةَ لِلنَّاسِ ؛ فَأَبْصِرْ  
 بَصِيرَتَكَ ، وَأَحْسِنِ سِرِّيْرَتَكَ ، وَلَا تُلْدَغَنَّ مِنْ جُحْرِ مَرَّتَيْنِ ، وَادْكُرِ الْمَثَلَ

(١) كذا بالأصل (٢) لب : « ظلم » (٣) ب ، لب : « الأندال »

السَّائِرِ فِي اللَّاعِبِ بَيْنَ وَتَدِينِ ؛ وَالعَاقِلُ مِنْ حَمَلِهِ كُلُّ بَلَدٍ ، وَنَفَقَ عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ ؛ وَأَعْقَلُ مِنْهُ مَنْ عَرَفَ النَّاسَ وَلَمْ يَعْرِفُوهُ ، فَاسْتَرَّاحَ مِنْ أَجْنَبِيٍّ مُتَكَلِّفٍ ، أَوْ قَرِيبٍ <sup>(١)</sup> غَيْرِ مُنْصِفٍ ، وَلَمْ يَفْتَقِرْ إِلَّا إِلَى رَبِّهِ ، وَلَمْ يَأْنَسْ إِلَّا بِنُورِ لَبِّهِ .

وله من أخرى :

- فَالأَرْضُ قَدْ نَشَرَتْ مَلَاءَهَا ، وَسَحَبَتْ رِداءَهَا ، وَلَبَسَتْ جِلْبَابَهَا ، وَتَقَلَّدَتْ سِخَابَهَا <sup>(٢)</sup> ، وَبَرَزَ الوَرْدُ مِنْ كِأَمِهِ ، وَاهْتَزَّ الرَّوْضُ لِتَغْرِيدِ حَمَامِهِ ؛ وَالأشْجَارُ قَدْ نَشَرَتْ شُعُورَهَا ، وَهَزَّتْ رُؤُوسَهَا ، وَالذَّنْبِياءُ قَدْ أَبَدَتْ بَشْرَهَا ، وَأَمَاطَتْ عُيُوبَهَا ؛ وَكَأَنَّ بِهَا قَدْ أُطْلِعَتْ مِنْ كُلِّ نَمْرٍ ضُرُوبًا ، وَأَبَدَتْ مِنْ جَنَاهَا مَنْظَرًا عَجِيبًا ؛ وَإِنْ كُنَّا لَا نُشَارِكُ فِي تِلْكَ إِلَّا بِالْعِيَانِ لَا بِاللِّسَانِ ، وَبِالطَّرْفِ لَا بِالْكَفِّ ، <sup>(٣)</sup> وَنَنَالُهَا بِالِاخْتِلاسِ لَا بِالْأَضْرَاسِ <sup>(٤)</sup> ؛ وَلِلدَّهْرِ قِسْمٌ مِنْ أَقْسامِ اللَّذَّةِ ، وَصِنْفٌ مِنْ أَصْنَافِ الشَّهْوَةِ :

شَهْدَنَا إِذْ رَأَيْنَاهُمْ [بِأَنَا] <sup>(٥)</sup> عَلَى اللِّذَاتِ فِي الدُّنْيَا شُهُودٌ

- <sup>(٥)</sup> وَحَالِي حَالٍ لِلسَّقَامِ بِهَا اتِّصَالٌ ، وَلِلصَّحَّةِ عَنْهَا انفِصالٌ ؛ يُعِينُ عَلَى ذَلِكَ ضَعْفُ البِنْيَةِ ، وَفَسَادُ الأَهْوِيَةِ ، وَالتَّخْلِيطُ فِي الأَغْذِيَةِ ؛ وَبَعْضُ صَلاَحِهَا بِلِ كَلِّهِ تَعَجُّيلُكَ مُطالَعَتِي بِحَالِكَ ، لِأَسْكُنَ إِلَى مَا أُوتِرُهُ مِنْ ذَلِكَ <sup>(٦)</sup> ، وَشَفَعُ لِي بِخَبَرِ فُلانٍ <sup>(٧)</sup> ، وَأَشْرَحُ لِي مِنْ خَبَرِ فُلانٍ ، وَأَيْنَ بَلَغَ مِنْ تَكْسِيبِهِ <sup>(٧)</sup> ، وَحَيْثُ أَنْتَهَى

(١) ر : « غريب » (٢) ب ، لب : « سحاب » — ر : « شغاب »

(٣-٣) نه في ر (٤) ر : « فارا » — نه في ب ، لب

(٥-٥) نه في ر ، ورجع الكلام بعنوان : وفي فصل منها

(٦) ر : « لاسكن إليها أوتره من تلك » ، وفي هذه الجملة اضطراب في ب ، لب

(٧) ر : « تلبسه »

من تطأ به ، وكيف ظرُوفه وخزائنه ، ولعوقاته ومعاينه ، وهل ينفذ طيبه ،  
وينفق بختجه وحببه ؛ وصف لي ما يقوله على الماء ، ويبيديه من الأذواء ،  
وأهد إلى ما ينمقه من المقال ، على الكبد والطحال ، ويرقشه من الكلام ،  
في الفالاج والزكام ؛ فالحمد لمن قرن له ذلك إلى القيام بشريعة الإسلام ،  
والتفهم في الأحكام ، ومعرفة الحلال والحرام ، والفالج عند الجدال والخصام .

وله من أخرى <sup>(١)</sup> :

فكم ليث كامن في غايه ، سمعت صريف أنيابه ، وقفر أنست في يبابه ،  
إلى عواء ذنابه ؛ لا أمر إلا باللص المستلب ، ولا ألقى غير الحارب المنتهب ؛  
وشعاري عند النائية ألقاها فأتخطأها ، والتازلة أراها فأتعدأها ، قول  
أبي الطيب :

فإن أسلم فما أبقى ولكن سلمت من الحمام إلى الحمام <sup>(٢)</sup>  
وأنا أرقب من الزمان صنيعه ، وأنتظر الحمام وأتخيل وقوعه ؛ وهو يذهب بي  
إلى قبلة الآمال وأنا لا أصدق ، ويسوقني إلى محط الرجال وأنا لا أحقق ،  
ويؤم بي البحر الذي لا تحصى فوائده ، والغيث الذي لا يخيب رائده ؛ وهلت  
إحماداً لما سقطت عليه ، وعلمت أني في الحرم الذي لا يوطأ رحابه ، ولا يطار  
غرابه ، ولا يخضد شجره ، ولا يمنع ثمره ، ولم ألبث أن نزلت باليقاع  
الخصيب ، وتمكنت من الرشاء والقليب .

وفي فصل :

وما أعلم نائبة كفراقك أهدد لمتن ، ولا نازلة كنايةك أجلب لحزن ،

(١) لم يقع هذا الفصل والذي يليه إلا في ر (٢) ديوانه (ج ٢ ص ٤٠٣)

وما كنتُ أريمُ ربَّكَ لو كانَ لي الخيارُ ، ولا أبرحُ منزلِك لو ساعدتني الأقدار .  
 فقد كنتُ أدركتُ المنى غيرَ أنني يعيِّرني قومي بإذرا كها وحدي  
 وله فصلٌ من أخرى :

لم أزلُ أزجرُ للقاءِ سيدي<sup>(١)</sup> السَّاحِج ، وأستمطرُ الغادي والرائح ، وأزومُ  
 اقتناصه ولو بشرِك المَنَام ، وأحاولُ اختلاسه ولو بأيدي الأوهام ، وأعاتبُ  
 الأيام فلا تُعتب ، وأقودها إليه فلا تُصحب . حتى إذا غاب الياس ، وشمت  
 النَّاس ، وضربت في الأمثال ، ففيل أكثرُ الآمالِ ضلال ؛ تنبَّه الدهرُ من  
 رقدته ، وحلَّ من عُقدته ، وقيلَ مني ، وأظهرَ الرضا عني ؛ وقال دُونك ما جمح<sup>(٢)</sup> ،  
 فقد سمح ؛ وإليك فقد دنا ، ما كان في المنى ؛ فطرتُ بجناحِ الارتفاع ،  
 ورَكبتُ إلى الغمامِ كواهلِ الرياح ؛ وقلتُ فُرصةً تُغنم ، ورُكنُ يُستلم ، وطرقتُ  
 روضةَ العلمِ عميمةَ الأزاهر ، فصيحةَ الطائر ، ريبًا الجداول ، باردة الضحى  
 والأصائل ، وطفتُ بكعبةِ الفضلِ مصونةَ الحبر ، ملثومةَ الحجر ، عزيزةَ المقام ،  
 معمورةَ المشعرِ الحرام ، فما شئت من محاضرة تجمعُ بين الدنيا والآخرة ، بين يدي  
 نثرِ يري<sup>(٣)</sup> الإعجاز ، ونظمٍ ما أشبه الصدور بالأعجاز ، وحديثٍ تنفُّ العُقولُ  
 بإزائه ، وترَوَى بصافي مائه . فحين شَمخَ بالظفرِ أنفي ، وأهتزَّ لنيلِ الأملِ  
 عطني ؛ والدهرُ يضحكُ سرًّا ، ويتأبطُ سرًّا ؛ وقد أذهاني الجدَلُ عن سوءِ ظني  
 به ، وأوهمني<sup>(٤)</sup> تزوعه عن ذمِّ مذهبِهِ ، آلتُ ألوانه ، وفسا ظرُّ بانه ، ونادى  
 ليقيمُ من قعد ، وينتبه من رقد . إنما فترتُ تلكَ الفترة ، ليكونَ ما رأيتَ

(١) ر : « سبى »

(٢) لب : « طمح »

(٣) ب ، اب : « يولى »

(٤) ر : « أو سمعني »

عليك حسرة؛ وسمحت لك مرّة، لتذوق من الأسفِ عليها كأساً مرّة. فرأيتُ،  
وقد كان عطى على بصري، وعقلتُ، وكنتُ في غمياء من خبري؛  
وقلتُ، هذا الذي أعهدُه من لؤمِه، وأعرفُه من شوُمِه، ما وهب إلا ما سلب،  
ولا أعطى إلا ساعاتٍ كابهم القَطَا؛ فيأله من قادرٍ ما الأَم قُدْرته، وذابحٍ  
ما أحدٌ شَفْرته! ولو تسلط علينا من يظهرُ إلينا شخصه، لأذركته رماحنا،  
وعصفت به رياحنا؛ وطاح بين مؤتورين منا: قاصدٍ أبوه قحطان، ومقصودٍ  
أبوه كسرى أنوشروان. وما ظنك بصريحٍ يثوبُ إليه من يعربُ ثابها،  
ومن بنى ساسان كسرى حفت به مرآزبها! لكنه أميرٌ من وراء سنجف،  
يسعى بلا رجلٍ ويصولُ بلا كف.

وهذا محلولٌ من قول أبي الطيب حيث يقول (١):

وما الموتُ إلا سارقٌ دقَّ شخصه يَصُولُ بلا كفٍ ويسعى بلا رجلٍ

وأخذه المَعتمدُ بنُ عبَّادٍ فقال:

ولكنها الأيامُ تُردي بلا ظبي وتضمي بلا نبلٍ وترمي بلا يدٍ

وهو معنى مُتداولٌ مشهور، وهو في نثرهم ونظمهم كثير. وفي هذه الرسالة

ألفاظٌ كثيرةٌ حلَّها من مَعمودِ الشعراءِ أبو المغيرَةِ، منها قولُ محمد بنِ هانئِ  
الأندلسي:

وركبتُ شأوَ مآربٍ ومطالبٍ حتى امتطيتُ إلى الغمامِ الرِّيحاً (٢)

وله (٣): قد أغنى الله ما يشاء بتمكُنِ بُنيانه، وثباتِ أركانِه، عن تعاطي

(١) راجع ديوانه (ج ٢ ص ٤٦)

(٢) راجع ديوانه ص ١٤٧

(٣) لم يقم هذا الفصل في ر



القول في تقرّظه ووصفه ، ورأيت ما هزرت مني في خدّمة إزادتك ماضي  
 الحرّ ، لئن المهزّ ، لو صادف مضرّبا ووقع على محرّ ! وإذا احتجبت إلى دليل  
 على معتقدي في تآني أو طارك وماريك ، وحظّي في شعّب أنحائك ومذاهيبك ،  
 « فالجزء أصغر من الكلّ » مفتقر إلى البرهان ، وكلّ مُتَمَدِّمة موجودة بالعقل  
 محتاجة إلى الشرح والبيان . وإذا كانت حالنا مَبِيدَةً عَلَى هَذَا الأَبْس ،  
 وثبتت صورته هذه في النفس ، فقد عيّت (١) إذ قصرت بي الاقدار ، عن  
 مَوْقِفِ الاَعْتِذَارِ .

وله من أخرى :

وأما فلان فالكلام وإن طال فيه قصير ، والواصف دون بلوغ مداه حسير .  
 ١٠ لله أبوه ، صحّة إخاء ، ومحض وفاء ! وحسبك أنه في الرّغِيلِ الأوّلِ مِنْ  
 إخواني ، وفي الصّدْرِ المُقَدَّمِ مَن أثقُ به مِنْ أهلِ زَمَانِي ، وإن كان فيهم  
 ذو السّروِ والفضلِ ، والنّباهةِ والتُّبُلِ

وكلُّ له فضله ، والحجّو لِيَوْمِ التّفاضُلِ دُونَ العُرُو  
 وليالي الخريفِ خُضْرٌ وَلَكِنْ زَهَدْتَنَا فِيهَا لِيَالِي الرِّبِيعِ

وله من أخرى :

١٥ وإن رأيت تأنيسي بكتاب اجتلي منه وجوه البُدُورِ ، وجواهر النُّحُورِ ،  
 ودرر الثُّغُورِ ، وأجتني به ثمر السُّرُورِ ، وأرتع منه في رياضِ العُلُومِ ، ما بين  
 منشورٍ ومنظومٍ ، نفست من خناقِ مُشْتاقٍ كَثِيبٍ ، وأنست من وَخْشَةٍ مُنْفَرِدٍ

(١) لب : « عيّت »

غريب، بحيث لأخ كريم، ولا ولي حميم، فقد صرت، ولا أحيل على الأثر  
بعد العين، كما قال أحمد بن الحسين<sup>(١)</sup> :

ما مُعَامِي بِأَرْضٍ نَخْلَةً إِلَّا كَمُقَامِ الْمَسِيحِ بَيْنَ الْيَهُودِ

وَعَرَفْنِي بَعْلُو مَكَارِمِكَ، وَوَضُوحِ مَعَالِمِكَ، فِي دَرَجِ كِتَابِكَ، وَطَى  
خِطَابِكَ، بِحَالِي شَقِيقِي فِي النَّسَبِ، وَشَفِيعِي فِي الْأَدَبِ<sup>(٢)</sup> أَبِي فَلَانٍ وَفَلَانِ<sup>(٣)</sup> :

هُمُ الَّذِينَ أَذَاقُونِي مَوَدَّتَهُمْ حَتَّى إِذَا أَيَّتُظَوْنِي فِي الْهَوَى رَقَدُوا

وَلِلَّهِ أَيَّامٌ جَلَالِي الدَّهْرِ شَخْصِيهِمَا شَجَنِي نَوْرًا، بِقُلُوبِ أَسَدٍ وَالْحَاظِ صُفُورًا،  
إِذْ كُنْتُ كَالْعُرُوسِ وَهِيَ قَرَطَايُ، أَوْ كَالْفَلَكَ الدَّوَارِ وَهِيَ قَمَرَايُ، وَأُنْسَنَا  
كَلْمَشْتَرِي نَازِلًا بِبُرْجِ الْقَوْسِ، وَسَعَدْنَا كَسَعَدِ مُحْتَبِيَا بَيْنَ الْخَزْرَجِ وَالْأَوْسِ.

وَلَهُ مِنْ أُخْرَى<sup>(٤)</sup> يُخَاطَبُ بِهَا عَنْ نَفْسِهِ الْفَقِيهَ أَبَا عُمَرَ ابْنَ عَبْدِ الْبَرِّ :

وَلَقَدْ بَتَيْتُ حَالِي بَعْدَكَ مَرِيضَةً، وَعَيْنُ أَمَالِي مَفْضُوضَةٌ، وَأَيْدِي أُنْسِي<sup>(٥)</sup>  
مَقْبُوضَةٌ، وَجِيُوشُ صَبْرِي عَنْكَ مَفْضُوضَةٌ؛ فَقَدْ كَانَ ذَلِكَ الْبُعْدُ الطَّوِيلُ أَحْدَثَ  
بَعْضَ السُّلُوفِ، وَأَتَى بِمَا فِي طَبِيعَةِ الْإِنْسَانِ مِنَ النَّسِيَانِ؛ وَإِنْ كَانَ هَذَا الْقَوْلُ

لَا يُقَالُ عَلَى الْإِمْلَاقِ، بَلْ عَلَى الْإِضَافَةِ لَمَّا فِي الْحَالِ بِحَدِيثِ الْإِفْتِرَاقِ؛ حَتَّى  
إِذَا وَقَعَ الْقَاءُ تَأَجَّجَ مِنْ ذَلِكَ الْإِلْتِيَاعِ خَامِدُهُ، وَثَارَ<sup>(٦)</sup> رَاكِدُهُ، وَسَالَ جَامِدُهُ،  
وَكَانَتْ حَالُنَا مَا قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ :

افْتَرَقْنَا حَوْلًا فَلَمَّا التَّقِينَا كَانَ تَسْلِيمُهُ عَلَيَّ وَدَاعًا<sup>(٦)</sup>

(١) راجع ديوان المتنبي (ج ١ ص ٢٠٦) (٢-٢) مه في ر

(٣) لم يقع هذا الفصل في ر (٤) في الأصل: «القي»

(٥) في الأصل: «وناب» (٦) راجع ديوانه (ج ١ ص ٤٣٧)

وله من أُخْرَى :

بانعكاسِ الزَّمان ، انعكست أمثال<sup>(١)</sup> البَيان ، كما يروى في خَبَرِ الفَتَى  
 المُدْعَى لِلكِتَابَةِ عندَ عَمْرٍو بنِ مَسْعَدَةَ ، أَنَّهُ عَايَاهُ بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ صَاحِبِ  
 الْبَرِيدِ بِخَبَرِ بَقْرَةَ وَوَلَدَتْ غَلَامًا ، فَأَنشَأَ خُطْبَةً مُفْتَتِحُهَا : الْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِقِ الْأَنْعَامِ  
 فِي بَطُونِ الْأَنْعَامِ . فَجَذَبَ الرُّقْعَةَ مِنْ يَدِهِ ، وَبَالَغَ فِي إِجْزَالِ صَفْدِهِ . وَإِذَا تَأَمَّلْتَ ٥  
 انْقِلَابَ الزَّمان ، وَمَا وَقَعَ لِي مَعَ فُلَانٍ ، انْقَلَبَتِ الْخُطْبَةُ فِصَارَتَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِقِ  
 الْأَنْعَامِ فِي بَطُونِ الْأَنْعَامِ .<sup>(٢)</sup> وَأَبْدَأُ بِحَدِيثِ الْيَهُودِيِّ مُوَصَّلِ كِتَابِكَ : دَخَلَ  
 الْحَضْرَةَ عَقِبَ جَوْلَةٍ كَانَتْ لِي مَعَ ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَمَاسٍ — حَشَرَ اللَّهُ كِلَيْهِمَا مَعَ صَاحِبِهِ —  
 فَوَاللَّهِ لَا أَعْلَمُ حَالُ مَنْ مِنْهُمَا أضعفُ وَأظلمُ ، أَحَالُ الْيَهُودِيِّ بِمُضَادَّةِ الدِّينِ أَمْ حَالُ  
 هَذَا الْمُسْلِمِ ؟ فَوَافَى<sup>(٢)</sup> وَقَدْ كَشَفْتَ عَوْرَاتِهِ ، وَمَا زَالَتْ مَكشُوفَةً ، وَعَرَفْتَ ١٠  
 سَوَاتِرَهُ ، وَمَا زَالَتْ مَعْرُوفَةً ، إِخْبَارًا عَنْهُ ، وَتَحْذِيرًا مِنْهُ ، وَإِعْلَامًا بِمَا يَسْتُرُهُ ذَنْبُهُ ،  
 وَيَسْتَمِلُ عَلَيْهِ لَيْلُهُ ، مِنْ قَبَائِحَ يُمْلِيهَا الْعَارُ ، وَيَكْتُبُهَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ<sup>(٣)</sup> .

وفي فِصْلِ مِنْهَا :

وَجَاءَ فِي مُقَدِّمَةِ صِهْرٍ يَصْهَرُ بِهِ جَنْبُهُ ، وَفِي نِكَاحٍ يَنْكَحُ الرَّدَى مِنْهُ  
 قَلْبَهُ ، يَمْشِي مَشَى مَنْ جَمَعَ بَيْنَ الْمُشْتَرَى وَالزُّهْرَةِ ، لَا مَشَى مَنْ سَعَى ١٥  
 لِتَرْكِيبِ حَرٍّ عَلَى كَمْرَةٍ ، وَأَيُّ دُرَّةٍ حَاوَلَ إِخْرَاجَهَا مِنْ صَدْفَةٍ ، مَا أَشْبَهَهُ  
 النَّكْرَةَ هَاهُنَا بِالْمَعْرِفَةِ ، قَبَّحَ اللَّهُ زَمَانًا يُقَرِّبُ إِلَى اللَّئِيمِ حِصَانًا ، وَإِلَى  
 الْكَرِيمِ أَتَانَا !

(١) ب ، لب : « أعلام » (٢-٢) نه في ر ، و

(٢-٣) ر : « مقايح يجلها العار ، ويكشفها الليل والنهار »

وله من أخرى ، خاطب بها الفقيه أبا محمد ابن حزم أثبت منها بعض  
الفصول فإزاً من التطويل ، <sup>(١)</sup> وافتتحها ببنتي أبي نواس <sup>(٢)</sup> :

ألا لا أرى مثل أميرائي في رسم  
توهمه عيني ويرفضه وهي <sup>(١)</sup>  
أنت صورة الأشياء بيني وبينه  
فظني كلاً ظنٍ وعلمي كلاً علم

٥  
وقفت — كلاك الله — وأنت عين التمام ، وعلم الأعلام ، على كتاب  
عنوانه باسمك أسمال ، كأنه طلل بال ؛ فكلماً هز زته هوم ، أو سألته استعجم ؛  
معنى كصدي الإنسان ، ولفظ كمنهجات الأكفان ؛ وأغراض لا يدب فيها  
سهم مقرطس ، وإظلام لا وضح فيه لصبح متنفس ، ورطانة تمجها الأسماع ،  
وتجتوبها الطباع ، فأقمت متبدا ، وعدت على نفسي وقرحتي مترددا ،  
١٠  
فقلنا : أفق <sup>(٣)</sup> أيها الإنسان ، لست بالنبى سليمان ، متى وعدناك أن نفهمك  
كلام الحكمل ، وسرار النمل <sup>(٤)</sup> ؟ ألم نسالك بك في شعاب الكلام فتغلغلت ؟  
ألم تسير في صحرائه بنا فأوغلت ؟ ألم تجر في ميدانه فسبقت ؟ ألم تيز في ظلماته  
فأشرقت ؟ هل أحسست بنكول جنان ، أو قصور لسان ، فيما نظمت  
كالعقود ، على ترائب الفتاة <sup>(٥)</sup> الرثود ، ونثرت كالتجوم ، في صفحة الليل  
١٥  
البيهم ؟ قلت : بلى ! قلنا : فأعرض عن رطانة الزط ، وصغير البط <sup>(٦)</sup> ،  
ولا تعج على طلل باند ، ودار قد أتى الله ببيانها من القواعد <sup>(٧)</sup> ، فقلت :  
أشرقما طاغيتين ، إن كاتب الصحيفة لندرة الزمان ، ولعلم نوع الإنسان ،

(١-١) به في ر (٢) راجع ديوانه ص ٣٢٥

(٣) ر : « ارفق » (٤) ر : « النحل »

(٥) ب : « الغادة » (٦) ب ، لب : « القط »

(٧) اقتباس من القرآن سورة ١٦ : ٢٦

إلا أنه رُبَّمَا كَذَّبَ الْعُنْوَانَ ، وَنُحِلَّ ذَلِكَ الْهَدْيَانَ ؛ فَأَعَدْتُ النَّظَرَ ، فَإِذَا بِكَ  
أَبَا مُحَمَّدٍ صَاحِبِهِ ، كِتَابٌ مُبْنِيٌّ عَلَى الظُّلْمِ الْعَبْقَرِيِّ ، وَالْبُهْتَانِ الْجَلِيِّ ، وَمُكَابَرَةِ  
الْعِيَانِ ، وَمُدَافَعَةِ الْبُرْهَانِ ، قَدْ طَمَسَ اللَّهُ أَنْوَارَهُ ، وَأَظْهَرَ عَوَارِئَهُ ، فِجَاءَ كَالْفَلَاةِ  
الْعَوْرَاءِ ، لَا مَاءَ وَلَا شَجَرَ ، وَاللَّيْلَةَ الظَّلْمَاءِ ، لَا نَجْمٌ وَلَا قَمَرَ .

وفي فصل منها :

فَاسْتَقْفَرْتُ مَنْ دَفَعَ إِلَيَّ كِتَابَكَ فَقُلْتَ : مَنْ لِي بِمَثَلِ غَاشِيَتِكَ مِنْ  
هَذِهِ الْعِصَابَةِ ، وَبِأَشْبَاهِ الْمَلَمِينَ بِكَ مِنْ تِلْكَ الْبَابَةِ ، وَنَسِيتَ أَبَا مُحَمَّدٍ حَاشِيَتِكَ  
وَشَيْعَتَكَ ، الَّتِي صِرْتَ رَئِيسَ مِدْرَاسِهِمْ <sup>(١)</sup> ، وَكَبِيرَ أَحْرَاسِهِمْ ، تُحَدِّثُهُمْ عَمَّا كَانَ  
فِيهِمْ مِنَ الْعِبَرِ ، وَتُخْبِرُهُمْ بِمَا تَعَاقَبَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعَفَا وَالْكَدَرِ ؛ فَتَارَةً عَنِ السَّامِرِيِّ  
وَالْعَجَلِ ، وَتَارَةً عَنِ الْقَمَلِ وَالتَّمَلِ ، وَطَوْرًا تُبَكِّمُهُمْ بِحَدِيثِ النَّبِيِّ ، وَطَوْرًا  
تُضْحِكُهُمْ بِقَوْمِ جَالُوتَ وَذَوِيهِ ؛ حَتَّى كَأَنَّ التَّوْرَةَ مُصْحَفُكَ ، وَبَيْتَ الْحِزَّانِ  
مُعْتَكِفُكَ ؛ <sup>(٢)</sup> وَأَنَا بِمَعْرِزِ ، وَأَنْتَ تُحَدِّثُ وَتَعْرِزُ ؛ وَتَعْجَبْتَ مِنْ حِرْصِي ،  
وَنَسِيتَ نَفْسَكَ أَبَا مُحَمَّدٍ حِينَ قَطَعْتَ الْبَيْدَاءَ تَبَلُّكَ السَّمَاءَ ، وَرُعِدُكَ الْجَرِيْبِيَاءَ ،  
فِي وَقْتِ تَكْمُنٍ فِيهِ أَنْوَاعُ الْحَيَوَانَ ، وَأَحْقُهَا بِالْكُمُونِ نَوْعُ الْإِنْسَانِ ، لَتَرِثَ  
حَيًّا قَائِمًا عَلَى حَالِهِ ، مَالِكًا لِمَالِهِ ، يَدْعُو اللَّهَ عَلَيْكَ ، أَنْ اسْتَطَلَّتْ عُمرَهُ ،  
وَنَعَيْتَ إِلَيْهِ نَفْسَهُ <sup>(٣)</sup> .

وفي فصل منها :

وَمِنْ ظَرِيفِ مَا فِي كِتَابِكَ قَوْلُكَ : أَقْصَرُهَا وَأَتَأَخَّهَا . وَمِنْ أَيْنَ نَفَذَ  
بَصْرُكَ ، حَتَّى هَمَزَتْهَا هَمَزَ عَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ ، قَرْنَهُ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ ، وَمَا أَظُنُّكَ  
جَعَلْتَهَا إِلَّا تَمِيمَةً ، لِتِلْكَ الْقِطْعَةِ الْكَرِيمَةِ ، امْتِثَالًا لِقَوْلِ الْقَائِلِ :

(١) ر : « مدارسهم » (٢-٢) مه في ر

مَا كَانَ أَحْوَجَ ذَا الْكَمَالِ إِلَى عَيْبٍ يُوقِيهِ مِنْ الْعَيْنِ  
وَمَنْ لَكَ بَأْسٌ نَصِيرَ عَلَيْكَ ، وَتَنَأَى بِكَ ، وَهَذَا الْجَوَابُ كَمَا تَرَاهُ ابْنَ  
الْوَقْتِ وَتَبِيحَةُ السَّاعَةِ ، وَنَفْثَةُ مَنْ لَا يَخْرُجُ لَهُ الْكَلَامُ عَنْ طَاعَةٍ ، وَمَنْ تَشْغَلُهُ  
عَنِ التَّفْسِيرِ كَلَّفُ السُّلْطَانَ ، وَتَثْقَلُهُ أَعْيَابُ الزَّمَانِ ؛ كَادَ يَنْتَقِشُ فِي ظَهْرِ  
كِتَابِكَ قَبْلَ حُصُولِهِ بِيَدِي :

فَقُلْ فِيهَا يَجْنُ عَلَيْهِ لَيْلٌ وَيَمْضِي فِي صَيَاغَتِهِ نَهَارٌ  
هُنَالِكَ تَظْهَرُ الْآيَاتُ حَتَّى يُقَالَ تَنَاءَرَ الْفَلَكَ الْمُدَارُ

فَرَأَجَعَهُ الْفَقِيهَ أَبُو مُحَمَّدٍ بِرُقْعَةٍ قَالَ فِيهَا :

سَمِعْتُ وَأَطَعْتُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : « وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ » ، وَسَلَّمْتُ وَأَنْقَدْتُ  
لِحَدِيثِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : صِلْ مَنْ قَطَعَكَ ، وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ ؛ وَرَضِيتُ بِقَوْلِ  
الْحُكَمَاءِ : كَمَاكَ انْتَصَارًا مِمَّنْ تَعَرَّضَ لِأَذَاكَ إِعْرَاضًا عَنْهُ ، وَأَقُولُ :

تَبِعَ سِوَايَ امْرَأً يَبْتَغِي سِبَابَكَ ، إِنَّ هَوَاكَ السَّبَابُ  
فَأَيُّ أَبَيْتُ طِلَابَ السَّمَا هِ وَصُنْتُ مُحَلِّيَ عَمَّا يُعَابُ  
وَقُلْ مَا بَدَا لَكَ مِنْ بَعْدِ ذَا وَأَكْثَرُ فَإِنَّ سُكُوتِي جَوَابٌ (١)

١٥ وأقول :

كَفَانِي ذِكْرُ النَّاسِ لِي وَمَا تَرَى كَمَالِكَ فِيهِمْ يَا ابْنَ عَمِّي ذَا كَرُ  
عَدُوِّي وَأَشْيَاعِي كَثِيرٌ كَذَلِكَ مَنْ غَدَا وَهُوَ نَفَاعُ الْمَسَاعِي وَضَائِرُ  
وَمَالِكَ فِيهِمْ مِنْ عَدُوِّ فَيَتَّقِي وَمَالِكَ فِيهِمْ مِنْ صَدِيقٍ يُكَارِهُ  
وَقَوْلِي مَسْمُوعٌ لَهُ وَمُصَدَّقٌ وَقَوْلِكَ مُنْبَتٌ مِنَ الرِّيحِ طَائِرُ  
وَإِنِّي وَإِنْ أَدَيْتَنِي وَعَقَّقْتَنِي لَمُحْتَمِلٌ مَا جَاءَنِي مِنْكَ صَابِرُ

٢٠

(١) ب ، لب : « خطاب »

فَوَقَعَ لَهُ أَبُو الْمُغِيرَةِ عَلَى ظَهْرِ رُفْعَتِهِ : قَرَأْتُ هَذِهِ الرُّقْعَةَ الْعَاقَةَ فَمِنْ اسْتَوْعَبْتَهَا  
أَشَدَّتْنِي :

نَحْنَحَ زَيْدٌ وَسَعَلَ لَمَّا رَأَى وَقَعَ الْأَسَلُ

فَارْدَتْ قَطْعَهَا ، وَرَكَ الْمُرَاجِعَةَ عَنْهَا ، فَقَالَتْ لِي نَفْسٌ قَدْ عَرَفْتَ ذَكَاءَهَا : تَاللَّهِ  
لَا قَطْعَتَهَا إِلَّا يَدُهُ ! فَأَثَبْتُ عَلَى ظَهْرِهَا ، مَا يَكُونُ سَبَبًا لَصَوْنِهَا ، وَقُلْتُ :

نَعَمْتَ وَلَمْ تَدْرِ كَيْفَ الْجَوَابُ وَأَخْطَأْتَ حَتَّى أَتَاكَ الصَّوَابُ  
وَأَجْرَيْتَ وَحَدَكَ فِي حَلْبَةِ نَأْتِ عَنْكَ فِيهَا الْجِيَادُ الْعِرَابُ  
وَبِتَّ مِنَ الْجَهْلِ مُسْتَنْبِحًا لَغَيْرِ قَرْمِي فَأَتَتْكَ الذَّنَابُ  
فَكَيْفَ تَبَيَّنْتَ عُنْبِي الظُّلْمُ إِذَا انْتَفَضَتْ فِي الْخَمِيسِ الْعُقَابُ  
لِعَمْرِكَ مَالِي طَبَّاعٌ تَذُمُ وَلَا شِيْمَةٌ يَوْمَ مَجْدِ تَعَابُ  
أَنِيلُ الْمَنَى وَالظُّبَى سَخَطُ وَأُعْطِيَ الرِّضَا وَالْعَوَالِي غِضَابُ  
وَأَقُولُ :

وِغَاصِبِ حَقِّ أَوْبَقْتَهُ الْمَقَادِرُ « يُذَكِّرُنِي حَامِيمِ وَالرُّمْحُ شَاجِرُ »  
عَدَا يَسْتَعِيرُ الْفَخْرَ مِنْ خِيَمِ خَصْمِهِ وَيَجْهَلُ أَنَّ الْحَقَّ أَبْلَجُ ظَاهِرُ  
أَلَمْ تَتَعَلَّمْ يَا أَخَا الظُّلْمِ أَنِّي بِرَغْمِكَ نَاهٍ مِنْذُ عَشْرِ وَأَمْرُ  
تُدَلُّ لِي الْأَمْلاكَ حُرَّ نَفُوسِهَا وَأَرْكَبُ ظَهَرَ النَّسْرِ وَالنَّسْرُ طَائِرُ  
وَأَبْعَثُ فِي أَهْلِ الزَّمَانِ شَوَارِدًا تَأَلَّفَهُمْ وَهِيَ الصَّعَابُ النَّوَافِرُ  
فَإِنْ أُوِيَ فِي أَرْضٍ فَإِنِّي سَائِرُ وَإِنْ أَنَا عَنْ قَوْمٍ فَإِنِّي حَاضِرُ  
وَحَسْبُكَ أَنَّ الْأَرْضَ عِنْدَكَ حَاتِمُ وَأَنَّكَ فِي سَطْحِ السَّلَامَةِ عَائِرُ  
إِذَا كُنْتُ فِي ظَهْرِ مِنَ الْعَدْلِ مُنْجِدًا فَإِنَّكَ فِي بَطْنٍ مِنَ الْجَوْرِ غَائِرُ

ولا تؤم عندي في استراحتك التي تنفس عنها والخطوب فوافر  
فإني للحلف الذي مرّ حافظ<sup>(١)</sup> وللزعة<sup>(١)</sup> الأولى لحاميم ذاكر  
هنيئاً لكل ما لديه فإنها عطية من تبلى لديه السرائر

<sup>(٢)</sup> قول أبي المغيرة: « فإن أئو في أرض »، البيت، أخذه من قول البحترى:

وشهرت في شرق البلاد وغربها فكانني في وسط ناد جالس<sup>(٣)</sup>

قال ابن بسّام: وكان نقش خاتم أبي محمد:

يا علي بن أحمد اتق الله ترشد

فقال له أبو المغيرة: « عليك بفحص التيه »، البيت<sup>(٢)</sup>.

وإذ قد انتهى بنا القول إلى ذكر أبي محمد ابن حزم، فإنا ألمع في هذا  
الموضع بلغة من خبره، حتى أدل على عينه بأثره؛ فإنه كان كالبجر لا تكف  
غواربه، ولا يروى شارب به. وقد وجدت للشيخ أبي مروان بن حيّان فصلاً  
أورد فيه ذكره، وجرده — زعم — لشرح أمره، وأنا أثبتته بأثره.

قال ابن حيّان: كان أبو محمد حاملاً<sup>(٤)</sup> فنون من حديث وفقه وجدل  
ونسب، وما يتعلّق بأذيال الأدب، مع المشاركة في كثير من أنواع التعاليم  
القديمة من المنطق والفلسفة. وله في بعض تلك الفنون كتب كثيرة، غير أنه  
لم يخل فيها من الغلط والسقط، لجبرأته في التسوّر على الفنون لا سيما المنطق؛  
فإنهم زعموا أنه زلّ هنالك، وضلّ في سلوك تلك المسالك، وخالف أرسطاطاليس  
واضعة مخالفة من لم يفهم غرضه، ولا ارتاض في كتبه، ومال به أولاً النظر

(١) ب، لب: « وللزعة » (٢-٢) لم تقع هذه الفقرة إلا في ر

(٣) راجع ديوان البحترى (ج ١ ص ٢٤٥) (٤) ب، لب: « حافظ »



فِي الْفِقْهِ إِلَى رَأْيِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيِّ وَنَاضَلَ عَنْ مَذْهَبِهِ ،  
 وَانْحَرَفَ عَنْ مَذْهَبِ غَيْرِهِ ، حَتَّى وَوَسِمَ بِهِ ، وَنُسِبَ إِلَيْهِ ، فَاسْتَهْدَفَ بِذَلِكَ لِكَثِيرٍ  
 مِنَ الْفُقَهَاءِ وَعَيْبَ بِالشُّذُودِ ، ثُمَّ عَدَلَ فِي الْآخِرِ إِلَى قَوْلِ أَصْحَابِ الظَّاهِرِ ، مَذْهَبِ  
 دَاوُدَ بْنِ عَلِيٍّ وَمَنِ اتَّبَعَهُ مِنْ فُقَهَاءِ الْأَمْصَارِ ، فَتَفَقَّحَهُ وَنَهَجَهُ وَجَادَلَ عَنْهُ ، وَوَضَعَ  
 الْكُتُبَ فِي بَسْطِهِ ، وَثَبَتَ عَلَيْهِ إِلَى أَنْ مَضَى لِسَبِيلِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ . وَكَانَ يَحْمِلُ ٥  
 عِلْمَهُ هَذَا وَيُجَادِلُ مَنْ خَالَفَهُ فِيهِ ، عَلَى اسْتِرْسَالٍ فِي طِبَاعِهِ ، وَمَذَلِّ بِأَسْرَارِهِ ،  
 وَاسْتِنَادٍ <sup>(١)</sup> إِلَى الْعَهْدِ الَّذِي أَخَذَهُ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ مِنْ عِبَادِهِ ، لِيُبَيِّنَنَّهُ لِلنَّاسِ  
 وَلَا يَكْتُمُونَهُ <sup>(٢)</sup> ؛ فَلَمْ يَكْ يُلَطِّفْ صَدْعَهُ بِمَا عِنْدَهُ بِتَعْرِيفِ ، وَلَا يَرْفُقَهُ بِتَدْرِيجِ ،  
 بَلْ يَصُكُّ بِهِ مُعَارِضَهُ صَكَّ الْجَنْدَلِ ، وَيُنَشِّقُهُ مُتَلَقِّمِهِ <sup>(٣)</sup> إِنْشَاقَ الْخَرْذَلِ ،  
 فَيَنْفَرُّ عَنْهُ الْقُلُوبُ ، وَيُوقِعُ بِهَا التُّدُوبَ ، حَتَّى اسْتَهْدَفَ إِلَى فُقَهَاءِ وَقْتِهِ ، قَتَمًا لِأَوَّ ١٠  
 عَلَى بَغْضِهِ ، وَرَدُّوا قَوْلَهُ ، وَأَجْمَعُوا عَلَى تَضْلِيلِهِ ، وَشَنَعُوا <sup>(٤)</sup> عَلَيْهِ ، وَحَدَّرُوا سَلَاطِينَهُمْ  
 مِنْ فِتْنَتِهِ ، وَنَهَوْا عَوَامَهُمْ عَنِ الدُّنُوِّ إِلَيْهِ وَالْأَخْذِ عَنْهُ ، فَطَفِقَ الْمُلُوكُ يُقْصُونَهِ  
 عَنْ قُرْبِهِمْ ، وَيُسَيِّرُونَهُ عَنْ بِلَادِهِمْ ، إِلَى أَنْ اتَّهَمُوا بِهِ إِلَى مُنْقَطَعِ أَمْرِهِ بِتُرْبَةٍ  
 بَلَدِهِ مِنْ بَادِيَةِ لَبْلَةَ ، وَبِهَا تُوُفِّيَ رَحِمَهُ اللَّهُ سَنَةَ سِتِّ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَهُوَ  
 فِي ذَلِكَ غَيْرُ مَرْتَدٍ وَلَا رَاجِعٍ إِلَى مَا أَرَادُوا بِهِ ، يَبُثُّ عِلْمَهُ فِيمَنْ يَنْتَابُهُ ١٥  
 بِبَادِيَتِهِ تِلْكَ ، مِنْ عَامَّةِ الْمُقْتَبِسِينَ مِنْهُ ، مِنْ أَصَاغِرِ الطَّلَبَةِ الَّذِينَ لَا يَخْشَوْنَ فِيهِ <sup>(٥)</sup>  
 الْمَلَامَةَ ، يُحَدِّثُهُمْ وَيُعَقِّمُهُمْ وَيُدَارِسُهُمْ وَلَا يَدْعُ الْمَثَابَةَ <sup>(٦)</sup> عَلَى الْعِلْمِ ، وَالْمَوَاطَبَةَ عَلَى  
 التَّأْلِيفِ ، وَالْإِكْتَارَ مِنَ التَّصْنِيفِ ، حَتَّى كَمُلَ مِنْ مُصَنَّفَاتِهِ فِي فُنُونِ الْعِلْمِ

(٢) راجع سورة ٣ : ١٨٧

(١) ر : « واستناد »

(٤) ر : « وشغبوا »

(٣) لب ، ر : « متلقفه »

(٦) ر : « المناظرة »

(٥) ر : « فيهم »

وَقَرُّ بَعِيرٍ ، لَمْ يَعُدُّ أَكْثَرُهَا عَتَبَةً بِأَبِهِ لِنَزْهِيدِ الْفُقَهَاءِ طُلَّابِ الْعِلْمِ فِيهَا حَتَّى أُحْرِقَ بَعْضُهَا بِأَشْبِيلِيَّةٍ <sup>(١)</sup> وَمَزَّقَتْ عَلَانِيَةً ، لَا يَزِيدُ مَوْلَفَهَا ذَلِكَ إِلَّا بَصِيرَةً فِي نَشْرِهَا ، وَجِدَالًا لِلْمَعَانِدِ فِيهَا <sup>(٢)</sup> ، إِلَى أَنْ مَضَى لِسُلَيْمِهِ .

وَأَكْثَرُ مَعَايِبِهِ — زَعَمُوا — عِنْدَ الْمُنْصِفِ لَهُ جَهْلُهُ بِسِيَاسَةِ الْعِلْمِ الَّتِي هِيَ أَعْرَضُ مِنْ إِيْعَابِهِ ، وَتَخَلَّفَهُ عَنِ ذَلِكَ عَلَى قُوَّةِ سَبْحِهِ فِي غِمَارِهِ ؛ وَعَلَى ذَلِكَ كَلَّمَهُ فَلَمْ يَكُنْ بِالسَّلِيمِ مِنْ اضْطِرَابِ رَأْيِهِ ، وَمَغِيبِ شَاهِدِ عَلَيْهِ عَنْهُ عِنْدَ لِقَائِهِ ، إِلَى أَنْ يُحْرَكَ بِالسُّؤَالِ فَيُنَجَّرُ مِنْهُ بِحَرَمِ عِلْمٍ لَا تُكَدِّرُهُ الدَّلَاءُ ، وَلَا يَقْضُرُ عَنْهُ الرِّشَاءُ ، <sup>(٣)</sup> وَعَلَى كُلِّ مَا ذَكَرْنَاهُ دَلَالٌ مَائِلَةٌ ، وَأَخْبَارٌ مَأْثُورَةٌ <sup>(٤)</sup> .

وَكَانَ مِمَّا يَزِيدُ فِي شَنَائِهِ تَشْيِيعُهُ لِأَمْرَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ ، مَا ضَمِيهِمْ وَبَاقِيَهُمْ بِالْمَشْرِقِ وَالْأَنْدَلُسِ ، وَاعْتِقَادُهُ لَصِحَّةِ إِمَامَتِهِمْ ، وَانْحِرَافُهُ عَمَّنْ سِوَاهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ ، حَتَّى نُسِبَ إِلَى النَّصَبِ لِعَيْرِهِمْ . وَقَدْ كَانَ مِنْ غَرَائِبِهِ اتِّبَاؤُهُ فِي فَارِسٍ ، وَاتِّبَاعُ أَهْلِ بَيْتِهِ لَهُ فِي ذَلِكَ بَعْدَ حِقْبَةِ مِنَ الدَّهْرِ تَوَلَّى <sup>(٥)</sup> فِيهَا أَبُوهُ الْوَزِيرُ الْمُعَقَّلُ فِي زَمَانِهِ ، الرَّاجِحُ فِي مِيزَانِهِ ، أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ حَزْمِ بْنِ أُمَيَّةَ أَوْلِيَاءِ نِعْمَتِهِ ، لَا عَنْ صِحَّةِ وِلَايَةٍ لَهُمْ عَلَيْهِ ، فَقَدْ عَهَدَهُ النَّاسُ خَامِلَ الْأُبُوَّةِ ، مُوَلِّدَ الْأَرْوَمَةِ مِنْ عَجَمٍ لِنَسَلِهِ ، جَدُّهُ الْأَذَنِيُّ حَدِيثُ عَهْدٍ بِالْإِسْلَامِ ، لَمْ يَتَقَدَّمْ لِسَلْفِهِ نَبَاهَةٌ ، فَأَبُوهُ أَحْمَدُ عَلَى الْحَقِيقَةِ هُوَ الَّذِي بَنَى بَيْتَ نَفْسِهِ فِي آخِرِ الدَّهْرِ بِرَأْسِ رَابِعَةٍ ، وَعَمَدَهُ بِالْخِلَالِ الْفَاضِلَةِ مِنَ الرَّجَاحَةِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالذَّهَاءِ وَالرُّجُولَةِ وَالرَّأْيِ . فَاعْتَدَى جُرْثُومَةَ شَرَفٍ لِمَنْ نَمَاهُمْ ، أَعْنَتَهُمْ عَنِ الرُّسُوحِ فِي أَوْلَى السَّابِقَةِ ، فَمَا مِنْ شَرَفٍ إِلَّا مَسْبُوقٌ عَنْ خَارِجِيَّةٍ ، وَلَمْ يَكُنْ إِلَّا كَلًّا وَلَا ، حَتَّى تَخْطَى عَلَيْهِ

(١-١) نه في ر ، ه

(٢-٢) نه في ر ، ه

(٣) ب ، لب : « تحول »

هذا رَأْيَ لَبَّالَةٍ ، فارتقى قَلْعَةً إِصْطَخَرَ مِنْ أَرْضِ فَارِسَ ، فَاللهُ أَعْلَمُ كَيْفَ تَرَقَّأَهَا ، إِذْ لَمْ يَكُنْ يُؤْتَى مِنْ خَطَلٍ وَلَا جِهَالَةٍ ، بَلْ وَصَلَهَا بِهَا وَسُعُ عِلْمٍ وَوَشِيحَةٌ رَحِمٍ مَعْقُومَةٍ بَلَّهَا بِمَسْتَأْخِرِ الصَّلَةِ رَحِمَهُ اللهُ . فَتَنَاهَتْ حَالَهُ مَعَ فُقُهَاءِ عَصْرِهِ إِلَى مَا وَصَفْتُهُ ، وَحِسَابِهِ وَحِسَابِهِمْ عَلَى اللهِ الَّذِي لَا يَظْلِمُ النَّاسَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ عَزَّتْ قُدْرَتُهُ !

٥

- (١) ولهذا الشَّيْخِ أَبِي مُحَمَّدٍ مَعَ يَهُودٍ لَعَنَهُمُ اللهُ وَمَعَ غَيْرِهِمْ مِنْ أَوْلِي الْمَذَاهِبِ الْمَرْفُوضَةِ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ مَجَالِسُ مَحْفُوظَةٌ ، وَأَخْبَارُهُ مَكْتُوبَةٌ (١) ؛ وَهُوَ مَصْنَعَاتٌ فِي ذَلِكَ مَعْرُوفَةٌ ، مِنْ أَشْهَرِهَا فِي عِلَلِ الْجَدَلِ كِتَابُهُ الْمَسْمِيُّ : « الْفِصَلُ ، بَيْنَ أَهْلِ الْآرَاءِ وَالنَّحْلِ » . وَمِنْ تَوَالِيْفِهِ « كِتَابُ الصَّادِعِ وَالرَّادِعِ » [ فِي الرَّدِّ ] عَلَى مَنْ كَفَرَ أَهْلَ التَّأْوِيلِ مِنْ فِرْقِ الْمُسْلِمِينَ وَالرَّدِّ عَلَى مَنْ قَالَ بِالتَّقْلِيدِ . وَهُوَ كِتَابٌ فِي شَرْحِ حَدِيثِ الْمُوطَأِ ، وَالْكَلَامِ عَلَى مَسَائِلِهِ ؛ وَهُوَ « كِتَابُ الْجَامِعِ » فِي صَحِيحِ الْحَدِيثِ بِإِخْتِصَارِ الْأَسَانِيدِ ، وَالِاقْتِصَارِ عَلَى أَصْحَابِهَا وَاجْتِلَابِ أَكْمَلِ أَلْفَاظِهَا وَأَصَحِّ مَعَانِيهَا ؛ وَ« كِتَابُ التَّلْخِيصِ وَالتَّخْلِيصِ » فِي الْمَسَائِلِ النَّظَرِيَّةِ وَفُرُوعِهَا الَّتِي لَا نَصَّ عَلَيْهَا فِي الْكِتَابِ وَلَا فِي الْحَدِيثِ ، وَ« كِتَابُ مَنْتَقَى الْإِجْمَاعِ وَبَيَانِهِ مِنْ جُمْلَةٍ مَا لَا يَعْرِفُ فِيهِ اخْتِلَافٌ » ، وَكِتَابُ « الْإِمَامَةِ وَالسِّيَاسَةِ » فِي قَسَمِ سِيَرِ الْخُلَفَاءِ وَمَرَاتِبِهَا وَالتَّنَدُّبِ إِلَى الْوَاجِبِ مِنْهَا ، وَ« كِتَابُ أَخْلَاقِ النَّفْسِ » ، وَكِتَابُهُ الْكَبِيرُ الْمَعْرُوفُ بِ« الْإِيصَالِ » ، إِلَى فَهْمِ كِتَابِ الْخِصَالِ ، وَكِتَابُ « كَشْفِ الْإِتْبَاسِ » ، مَا بَيْنَ أَصْحَابِ الظَّاهِرِ وَأَصْحَابِ الْقِيَاسِ ؛ إِلَى تَوَالِيْفٍ غَيْرِهَا . وَرِسَائِلَ فِي مَعَانٍ شَتَّى كَثِيرٍ عَدَدُهَا . وَمِنْ شِعْرِهِ يَصِفُ مَا أَحْرَقَ لَهُ مِنْ كُتُبِهِ ابْنُ عَبَّادٍ قَوْلَهُ :

٢٠

فَإِنْ تُحْرِقُوا الْقِرْطَاسَ لَا تَحْرِقُوا الَّذِي  
يَسِيرُ مَعِيَ حَيْثُ اسْتَقَلَّتْ رِكَائِي  
(١) دَعُونِي مِنْ إِحْرَاقِ رَقِيٍّ وَكَأَعْدِي  
وَإِلَّا فَمُودُوا فِي الْمَكَاتِبِ بَدَاةً  
تَضَمَّنَهُ الْقِرْطَاسُ بَلْ هُوَ فِي صَدْرِي  
وَيَنْزِلُ إِنْ أَنْزَلَ وَيُذْفَنُ فِي قَبْرِي  
وَقُولُوا بَعْلِمَ كِي يَرَى النَّاسُ مَنْ يَدْرِي  
فَكَمْ دُونَ مَا تَبْعُونَ لِلَّهِ مِنْ سِتْرٍ!

وله :

مَنْ ظَلَّ يَبْنِي فُرُوعَ عِلْمٍ  
فَكُلَّمَا زَادَ فِيهِ سَبْعِيًّا  
بَدَاةً وَلَمْ يَدْرِ مِنْهُ أَصْلًا  
زَادَ لَعَمْرِي بِذَلِكَ جَهْلًا

وقال :

كَأَنَّكَ بِالزُّوَارِ لِي قَدْ تَنَادَرُوا  
فِيَارُبَّ مَحْزُونٍ هُنَاكَ وَضَاحِكٍ  
عَفَا اللَّهُ عَنِّي يَوْمَ أَرَحَلُ ظَاعِنًا  
وَأَتْرُكُ مَا قَدْ كُنْتُ مُغْتَبِطًا بِهِ  
فَوَارَاحَتِي إِنْ كَانَ زَادِي مُقَدَّمًا  
وَقِيلَ لَهُمْ أَوْدَى عَلِيٌّ بِنُ أَحْمَدٍ  
وَكَمْ أَدْمَعُ تَذْرَى وَخَدَّيْ مُحَمَّدٍ  
عَنِ الْأَهْلِ مَحْمُولًا إِلَى بَطْنِ مَلْحَدٍ  
وَأَلْقَى الَّذِي أَنْسَتْ دَهْرًا بَمَرْصَدٍ  
وَيَا نَصِيَّ إِنْ كُنْتُ لَمْ أَنْزُودِ!

(٢) وَيَا لِبَدَائِعِ هَذَا الْحَبْرِ عَلِيٌّ بِنُ حَزْمٍ وَغَرَّرَهُ ! مَا أَوْضَحَهَا عَلَى كَثْرَةِ

الدَّافِنِينَ (٣) لَهَا ، وَالطَّامِسِينَ لِحَاسِنِهَا ! وَعَلَى ذَلِكَ فَلَيْسَ يَبْدَعُ فِيهَا أُضْيَعَ مِنْهُ ،  
فَأَزْهَدُ النَّاسِ فِي عَالِمِ أَهْلِهِ ، وَقَبْلَهُ أُرْدَى الْعُلَمَاءِ تَبْرِيزُهُمْ عَلَى مَنْ يَقْضُرُ عَنْهُمْ .  
وَالْحَسَدُ دَائِمٌ لَا دَوَاءَ لَهُ . انْتَهَى مَا لَخَّصْتُهُ مِنْ كَلَامِ ابْنِ حَيَّانَ فِي خَبْرِهِ .

قُلْتُ أَنَا : وَلَعَمْرِي مَا عَقَمَهُ ، وَلَا بَخَسَهُ حَقَّهُ . وَأَخْبَرَنِي الْفَقِيهُ الْحَافِظُ

(١) لم تقع الآيات الآتية في ر ، هـ (٢) رجع الكلام في ر ، هـ

(٣) ر ، هـ : « الراقين »

أبو بكر ابن الفقيه أبي محمد ابن العربي عن الفقيه أبي عبد الله الحميدي قال :  
كان لشيخنا الفقيه أبي محمد ابن حزم في الشعر والأدب نفس واسعة ، وباع  
طويل . وما رأيت أسرع بديهته منه ؛ وشعره كثير ، وقد جمعته على حروف  
المعجم ، ومنه ما كتب عنه :

|    |   |  |
|----|---|--|
| ٥  | فَجَانِعُهُ تَبَقَى وَلَدَاتُهُ تَفَنَى                   | هَلِ الدَّهْرُ إِلَّا مَا رَأَيْنَا وَأَدْرَكْنَا؟ |
|    | تَوَلَّتْ كَمَرُ الطَّرْفِ وَاسْتَخَلَفَتْ حُزُنَا        | إِذَا أَمَكَنْتَ فِيهِ مَسْرَّةُ سَاعَةٍ           |
|    | نَوَدُّ لَدَيْهِ أَنْ نَلْمَ نَنْكُنْ كُنَّا              | إِلَى تَبِعَاتٍ فِي الْمَعَادِ وَمَوْقِفٍ          |
|    | وَفَاتَ الَّذِي كُنَّا نَلْدُّ بِهِ عَنَّا <sup>(١)</sup> | حَصَلْنَا عَلَى هَمٍّ وَإِنَّمِ وَحَسْرَةٍ         |
|    | وَعَمَّ لِمَا يُرْجَى ، فَعَيْشُكَ لَا يَهِنَا            | حَتَّى لِمَا وَوَلَى ، وَشَغْلٌ بِمَا آتَى         |
| ١٠ | إِذَا حَقَّقْتَهُ النَّفْسُ لَفْظٌ بِلَا مَعْنَى          | كَأَنَّ الَّذِي كُنَّا نُسَرُّ بِكُونِهِ           |

قال : وله أيضاً من قصيدة خاطب بها قاضي الجماعة بقرطبة عبد الرحمن  
ابن بشير يفخر فيها بالعلم ، ويذكر أوصاف ما علم ، يقول فيها :

|    |   |   |
|----|---|---|
| ١٥ | وَلَكِنْ عَيْبِي أَنْ مَطْلَعِي الْغَرْبُ         | أَنَا الشَّمْسُ فِي جَوْ الْعُلُومِ مُنِيرَةٌ               |
|    | لَجَدَّ عَلَى مَا ضَاعَ مِنْ ذِكْرِي التَّهْبُ    | وَلَوْ أَنَّ نِيَّ مِنْ جَانِبِ الشَّرْقِ طَالِعُ           |
|    | وَلَا غُرُ وَأَنْ يَسْتَوْحِشَ الْكَلْفُ الصَّبُّ | وَلِي نَحْوُ أَكْنَفِ الْعِرَاقِ صَبَابَةٌ                  |
|    | فَحَيْثُ يَبْدُو التَّأْسُفُ وَالْكَرْبُ          | فَإِنَّ يُنْزِلُ الرَّحْمَنُ رَحْلِي بَيْنَهُمْ             |
|    | وَأَطْلُبُ مَا عَنَّهُ تَجِيءُ بِهِ الْكُتُبُ     | فَكَمْ قَائِلٌ ، أَغْفَلْتَهُ وَهُوَ حَاضِرُ                |
|    | وَأَنَّ كَسَادَ الْعِلْمِ آفَتُهُ الْغَرْبُ       | هُنَالِكَ يَدْرِي أَنَّ لِلْبُعْدِ غَصَّةً <sup>(٢)</sup>   |
|    | لَهُ ، وَدُنُو الْمَرْءِ مِنْ دَارِهِمْ ذَنْبُ    | <sup>(٣)</sup> فَوَاعْجِبَا مَنْ غَابَ عَنْهُمْ تَشَوَّقُوا |

(١) في « كتاب المعجب » لعبد الواحد المراكشي (ص ٣٣) : « وفات الذي كنا نمر به عينا »

(٢) في الأصل : « قصة »

(٣) ما يلي ناقص في ر ، و ، و ، وسينه على رجح الحديث بعد

وَإِنَّ مَكَانًا ضَاقَ عَنِّي لَضَيِّقٌ  
وَأَنَّ رِجَالًا ضَيَّعُونِي لَضِيْعٌ  
وَمِنْهَا فِي الْاِعْتِذَارِ مِنْ مَدْحِ نَفْسِهِ :

وَلَكِنِّي لِي فِي يُوسُفٍ خَيْرَ اُسْوَةٍ  
يَقُولُ - وَقَالَ الْحَقُّ وَالصَّادِقُ - اِنَّنِّي  
٥

وَأَنشَدَنِي لِنَفْسِهِ :

لَا اِسْمَتَنِ حَاسِدِي اِنْ نَسَكَبَةٌ عَرَّضَتْ  
ذُو الْفَضْلِ كَالْتَّبْرِ طَوْرًا تَحْتَ مِيقَعَةٍ  
وَأَنشَدَنِي اَيْضًا لَهُ :

وَأَنشَدَنِي اَيْضًا لَهُ :

لَئِنْ اَصْبَحْتُ مُرْتَجِلًا بِشَخْصِي  
وَلَكِنِ لِلْعِيَانِ لَطِيفٌ مَعْنَى  
١٠

وَقَدْ كَرَّرَ هَذَا الْمَعْنَى اَيْضًا فَقَالَ :

يَقُولُ اُخِي : شَجَاكَ رَحِيلُ جِسْمٍ  
فَقُلْتُ لَهُ : الْمَعَانِ مُطْمَئِنٌّ  
وَرُوحَكَ مَا لَهُ عَنْهَا رَحِيلُ  
لِذَا طَلَبَ الْمَعَانِيَةَ الْخَائِلُ

١٥ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَمِيدِيُّ : وَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا : قَالَ أَبُو نَوَاسٍ (٢) :

عَرَّضَنِي لِلَّذِي تُحِبُّ بِحُبِّ  
فَقُلْتُ اَنْتَ فِي طَرِيقِ التَّحْقِيقِ ، فَقَالَ :

أَبْنِ قَوْلَ وَجْهِ الْحَقِّ فِي نَفْسِ سَامِعٍ  
وَدَعَاهُ فَنَوْرُ الْحَقِّ يَسْرِي وَيُشْرِقُ

(١) سورة ١٢ : ٥٥ (٢) راجع « الأغاني » ( ج ١٩ ص ٧٠ )

سَيُونِسُهُ رِفْقًا فَيَنْسَى نِفَارَهُ      كَمَا نَسِيَ الْقَيْدَ الْمُوثِقَ مُطْلَقُ  
اتَّهَى كَلَامُ الْحُمَيْدِي .

(١) وَأَنْشِدْتُ لَهُ أَيْضًا فِيمَا كَانَ يَعْتَمِدُهُ مِنَ الْمَذْهَبِ الظَّاهِرِيِّ مِنْ جُمْلَةِ  
أَيَّاتٍ يَقُولُ فِيهَا :

وَذِي عَدَلٍ فِيمَنْ سَبَّانِي حُسْنُهُ      يُطِيلُ مَلَامِي فِي الْهَوَى وَيَقُولُ :  
أَفِي حُسْنٍ وَجْهٍ لَاحٍ ، لَمْ تَرَ غَيْبَهُ (٢)  
فَقُلْتُ لَهُ : أَسْرَفْتَ فِي الْيَوْمِ ظَالِمًا      وَعِنْدِي رَدٌّ — لَوْ أَرَدْتَ — طَوِيلُ  
أَلَمْ تَرَ أَنِّي ظَاهِرِيٌّ ، وَأَنْبِيٌّ      عَلَى مَا بَدَأَ حَتَّى يَقُومَ دَلِيلُ !

مَا أَخْرَجْتُهُ مِنْ شِعْرِ أَبِي الْمَغِيرَةِ فِي أَوْصَافِ شَتَّى

لَهُ مِنْ قَصِيدَةِ أَوْلَهَا :

أَحَاجِيكُمْ : مَنْ قَلَدَ الْقَمَرَ الْقُرْطَا ؟      وَأَسْأَلُكُمْ : مَنْ أَلْحَفَ الْفُصْنَ الْمِرْطَا ؟  
فَمَا جَزَعِي إِنْ جَاوَزُوا الْجِرْعَ ظَاعِنًا      وَلَا سَاقِطُ حُرْنِي إِذَا جَاوَزُوا السَّقَطَا  
وَمِنْهَا :

وَلَيْدَةُ سِرِّ الْمَجْدِ تَبْدُخُ نَخْوَةً      وَقَدْ عَظَمْتَ مَجْدًا وَقَدْ كَرَّمْتَ رَهْطَا  
وَلَمْ تَرْضَ بِالْجَوَازِءِ عَقْدًا وَدُمْلَجًا      وَلَا قَنِعْتَ بِالنَّجْمِ شَنْفًا وَلَا قُرْطَا  
تَقَنَّنَتْهَا وَالْعُمُرُ فِي عُنْفُوَانِهِ      فَلَا غُضْبِي أَحْنَى وَلَا لِمَتِّي شَمَطَا  
وَلَيْلٍ غَطَى وَالنَّجْمُ فِي الْأَفْقِ حَايِرٌ      فَغَطَّى عَلَى الْأَعْلَامِ مِنْهُ الَّذِي غَطَى  
وَلَيْسَ وَشَاحِي غَيْرَ عَضْبٍ مُهَنْدٍ      أَبِي حَدُّهُ أَنْ يَسَامَ الْقَدَّ وَالْقَطَا

(١) رَجِعَ الْكَلَامُ فِي ر ، ه      (٢) لَب : « غَيْبِهِ »

تَشَابَهَ عَزْمِي وَالْحُسَامُ وَهَمَّتِي      ثَلَاثَةٌ أَسْيَافٍ بَأْمَثَالِهَا يُسْطَى  
وهذا كقول أبي تمام (١) :

العِيسُ وَالْبَيْدُ وَاللَّيْلُ التَّمَامُ مَعًا      ثَلَاثَةٌ أَبَدًا يُقَرَّنَ فِي قَرْنٍ  
وَأَخَذَهُ الْبُحْتَرِيُّ (٢) فَقَالَ :

أَطْلُبَا ثَالِثًا سِوَايَ فَإِنِّي      رَابِعُ الْعِيسِ وَالذَّجَى وَالْبَيْدِ  
وقال الصنوبري أيضًا :

حَتَّى تَكُونَ لِي الطَّمِرَةُ خِلَّةً      وَالْبَيْدُ دَارًا وَالْحُسَامُ رَفِيقًا  
وقال أبو الحسن السلامي :

فَكُنْتُ وَعَزْمِي فِي الظَّلَامِ وَصَارِمِي      ثَلَاثَةٌ أَشْبَاهِ (٣) كَمَا اجْتَمَعَ النَّسْرُ (٤)  
وقال بعض أهل عصرنا :

وإِلَّا الثَّلَاثُ الشُّفْعُ لَمْ يَزَلِ الْهَوَى      لَهَا رَابِعًا فِي أَعْيُنِ وَقُلُوبِ (٥)  
وله من أخرى أولها :

سَرَّتْ مِنْ لَوَى خَبْتِ الْبَيْنَا تَعَسَّفُ      مَهَامِهِ ذَاتِ الْجَهْلِ (٦) وَالْجَوْأُ كَلْفُ  
يقول فيها :

تَبَيْتُ بَدِي الْأَرْضَى وَقَدْ بَاتَ طَيْفُهَا      لَنَا صَنًا نَحْنُو عَلَيْهِ وَنَعْكُفُ  
هَبِيكَ سَرَيْتِ اللَّيْلَ، فَرَعُكَ أَسْحَمُ      وَتَعْرُكَ بَسَامُ ، وَلَحْظُكَ أَوْطَفُ

(١) راجع ديوانه ص ٢٩٧ (٢) راجع ديوانه (ج ٢ ص ١٩٤)

(٣) ب : « أشباح » — لب : « أشياخ »

(٤) لب : « الشر » (٥) هذا البيت ناقص في ر ، و

(٦) كذا بالأصـول ، ولعلها « ذات الحجل »



فَأَنَّى أَطَقْتِ الْمَشَى ، قَدْ كُفِّتِ مَانِدُ  
سَقَى رَبْعَكَ الْمَأْلُوفَ ، حَيْثُ تُصَدِّعْتِ  
فَكَمْ لِي فِيهِ مِنْ جَنَابٍ وَطِئْتَهُ  
وَقَدْ شَقَقْتِ فِيهِ الْبُرُوقُ جُيُوبَهَا  
لِيَالِي بَاتَ الْبَنَانُ فَوْقَ كَثِيبِهِ  
إِذَا زَبَجَ مِنْ رَدْفِ كَثِيبٍ مُرْجَرَجُ  
يَمُدُّ عَلَيْنَا لِلْسَحَابِ (٢) سُرَادِقُ  
وَلِلَّهِ دَرَى مَا أَدْرَى مَدَامِعِي  
بَدَا الْعَلَمُ الْفَرْدُ الَّذِي كُنْتُ عَالِمًا  
يُدْ كَرْنِي سُعْدَايَ بِالْعَوْرِ مَا تَنِي  
وَلِلَّهِ سَلْمَى يَوْمَ أَهْدَى سَلَامَهَا  
وَمِنْهَا :

وَمَا ظَنَيْتُ أَدْمَاءَ تَعْرُو أَرَاكَهَا  
بِأَحْسَنَ مِنْهَا يَوْمَ رِيَعَتْ لِي زُورَتِي  
وَقَالَتْ : أَمَا تَتَذَكَّرُ رِقْبَةَ حَارِسِ  
وَدُونَ الَّذِي أَمَلْتَ أَجْرَدُ سَابِحِ  
فَقُلْتُ لَهَا : بَعْضَ الَّذِي بَلَكَ إِفَانْتَنَتْ  
وَنِلْتُ سِقَاطًا مِنْ حَدِيثِ وَعَاقِنِي  
وَتَعَطُّوْ وَقَدْ وَافَى بَرِيرُ وَعُفُفُ  
فَرَاغَتْ إِلَى أْتْرَاهِبَا تَتَشَوَّفُ  
وَأَنْيَابُ لَيْثٍ فِي الْعَرِينَةِ تَصْرِفُ ؟  
وَأَسْمَرُ عَرَّاصُ وَأَبْيَضُ مُرْهَفُ  
وَأَنْجَزَ مِيعَادًا بِخَيْلٍ مُسَوِّفُ (٤)  
تَتَرُّهُ حُرٌّ عَنِ حَنَى وَتَعَفُّفُ

(١) ب : « العين » — ر : « الليل »

(٢) ر ، ه : « للسحاب »

(٣) ر : « وأنجز ميعاد الخليل مسوف »

(٤)

يُسَاعِدُنِي تَحْتَ النَّقَابَيْنِ مَنْظَرُهُ وَيُسْعِدُنِي تَحْتَ اللَّشَامَيْنِ مَرْشَفُهُ

ومنها:

وَرَكِبَ سَرَّوًا وَاللَّيْلُ مَرْخٌ عَلَيْهِمْ  
خَبَطْتُ بِهِمْ أَكْنَافَهُ، وَنُجُومُهُ  
عَلَى كُلِّ قِنَعَسٍ كَأَنَّ لِفَامَهُ  
هَدَايَا خُطُوبٍ بَاتَ يَنْحَرُهَا الشَّرِيُّ  
إِلَى أَنْ أَنَا فَ الصُّبْحُ يَنْفُضُ عَرْفَهُ  
(١) فَمَا انْشَقَّ إِلَّا عَن مُنَادِي ابْنِ مُنْذِرٍ

سُتُورًا مِنَ الظُّلَمَاءِ لَا تَتَكَشَّفُ  
رَوَائِمُ أَظَارٍ عَلَى الْبَدْرِ عُكْفُ  
- وَقَدَسِمَ الْإِرْقَالَ - قُطْنٌ مُنْدَفُ  
وَلَكِنهَا مِنْ بَاطِنِ الْخَفِّ تَرَعْفُ  
وَطَائِرُهُ فِي غُرَّةِ الْفَجْرِ يَهْتَفُ  
نَذِيرًا بِصَرْفٍ عَاقَهُمْ عَنْهُ يُصْرِفُ

ومنها:

وَيَارُبَّ مَيْدَانٍ أَتَى فِيهِ سَابِقًا  
وَمَا نَامَ حَتَّى لَمْ يُفْتَرَقِ الْعَلَا  
إِيَّاسٌ وَبِسْطَامُ بْنُ قَيْسٍ وَحَاتِمٌ  
وَمَا هَذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا مَقَالٌ  
إِذَا مَضَى الْحَمْرَاهُ أَذَلَّتْ بِمَجْدِهَا  
سَمَا لَكَ قَحْطَانُ بِنَيْنَانِ سُوْدِدِ

وَعُودِرَ مَنْكُوتًا هَجِينٌ وَمُتْرَفُ  
فَهَا هِيَ عِقْدٌ فِي يَدَيْهِ مُؤَلَّفُ  
وَقَسٌ وَلَقَمَانُ بْنُ عَادٍ وَأَحْنَفُ  
تَلَّتْ سُورًا مِنْ مَجْدِهِ وَهُوَ مُصْحَفُ  
وَجَرَّتْ ذُبُولُ الْفَخْرِ قَيْسٌ وَخِنْدِفُ  
يُنَيْفُ عَلَى تِلْكَ الْمَبَانِي وَيُشْرِفُ

وله من أخرى:

أَمِنَ الْبُرَاقِ التَّاحَ بَرَقَ مَا سَرَى  
أَتْبَعْتُهُ نَظَرَ الْمَشُوقِ بِمُقَلَّةِ  
عَايَنْتُهُ كَالصَّقْرِ صَفَقَ طَائِرًا  
إِلَّا وَرَدَّ الْأَفْقَ مَرِطًا أَحْمَرًا؟  
لَمْ تَدْرِ، مُذْ عَهْدُ الْأُتَيْلَةِ، مَا الْكَرَى؟  
فَعَدَّتْ غَرَايِبُ الدِّيَابِجِي نَفْرًا

(١) الأبيات الآتية إلى آخر القصيدة لم تقع في ر، وه

ومنها:

وَسَلَّتْ مِنْ نَارِ الصَّبَابَةِ صَارِمًا  
وَمَشَيْتُ مُنْسَابًا قَعْلُ فِي أَرْقَمِ  
بِتْنَا، وَبَاتَ الْمِسْكُ فِينَا وَاشِيَا  
وَرَنْتُ بِالْحَاظِ تَدِيرُ كُؤُوسَهَا  
وَاللَّيْلُ يُلْحِفُنِي سَرَائِيلَ الدُّجَى  
لَوْ جِئْتَنَا لَرَأَيْتَ أَعْجَبَ مَنْظَرِ  
وَلَقَدْ رَقِيتُ مِنَ الْحِمَى أَعْلَامَهُ  
لَمْ أَلْقَ إِلَّا مَشْرِفِيًّا أَيْضًا

وَجَرَزْتُ مِنْ وَفْدِ التَّصَابِي عَسْكَرًا<sup>(١)</sup>  
وَضَحَّ النَّهَارُ لَهُ فَعَادَ غَضَنْفَرًا  
بِمَكَانِنَا، وَالْحَلِيُّ عَنَّا مُخْبِرًا  
فِينَا فَنَشْرِبُهَا حَلَالًا مُسْكَرًا  
جَهْلًا وَقَدْ عَانَقْتُ صُبْحًا مُسْفِرًا  
أَسَدُ تَوْسَدَ كَفَّ ظَهِي أَعْفَرًا  
وَشَكَّكَتُ لَمَّا شِمْتُهُ مُتَغَيِّرًا  
مِنْ دُونِنَا أَوْ زَاعِبِيًّا أَسْمَرًا

ومنها:

إِلَّا تَرَى الْمَنْصُورَ تَحْتَ لَوَائِهِ  
أَوْ لَا تَجِدُ فِي الْحَقْلِ عَاقِدَ حُبُوبِهِ  
أَوْ تَفْتَقِدُ صَمَّامَ عَمْرٍو فِي الْوَعَى  
لَا غَرَوْ جِئْتُ الْبَحْرَ إِذْ أَجَلَى الْحَيَا  
فَإِذَا دَعَوْنَا مَنْ يُجِيبُ لِنَسْكَبِهِ  
شِيمٌ غَدَّتْ<sup>(٢)</sup> قُرُطَ الزَّمَانِ فَلَمْ أَنْمِ  
لِلَّهِ دَرْكُ وَالرَّمَاخُ شَوَارِعُ  
وَمَقَامَةٌ لَكَ فِي الْأَعَادِي قَدْ حَمَتْ  
كَانَ اللِّسَانُ لَهَا الْحُسَامُ الْمُنتَضَى

تَلَقَّ ابْنَهُ طَلَقَ الْجَبِينِ مُظْفَرًا  
هُودًا فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا حَمِيرًا  
فَلَقَدْ سَأَلْنَا ذَا الْفَقَارِ مُذْ كَرًّا  
وَرَأَيْتُ يَحْيَى حِينَ لَمْ أَرْ مُنْذِرًا  
لَبَّتْ تُجِيبُ فَخَلَّتْهَا سَيْلًا جَرَى  
حَتَّى نَظَمْتُ عَلَيْهِ شِعْرِي جَوْهَرًا<sup>(٣)</sup>  
وَالْبَيْضُ تَقَطُّعُ لَأَمَةٍ وَسَنَوْرًا  
أَيَّامَ قَوْمٍ قَبْلَهَا أَنْ تُذْكَرًا  
وَالْمَنْبَرُ الْعَالِي الْأَعْرَى الْأَشْقَرَا

(١) ر: « وجاوزت من وفد النصارى عسكرا » (٢) لب: « عدت »

(٣) هذا البيت والذي قبله ناقصان في ر، و

غَادَرَتْ أَحْشَاءَ الْبُنُودِ خَوَافِقًا      فِيهَا وَمُرَّانَ الْوَشِيحِ مُكْسَرًا  
 أَنْسَيْتَنَا جَذَلَ الطَّعَانِ وَعَامِرًا      وَعُتَيْبَةَ بْنَ الْحَارِثِيِّ<sup>(١)</sup> وَمُسْهَرًا  
 فَإِذَا أَتَيْتُكَ مَادِحًا لَكَ لَمْ يَجِيءْ      شِعْرِي لِسْأَلٍ ، بَلْ أَتَاكَ لِيْفُخْرًا  
 غَيْرِي الَّذِي اتَّخَذَ الْمَدَائِحَ مَكْسَبًا      وَسِوَايَ مَنْ جَعَلَ الْقَوَافِي مَتَجَرًا  
 أَنَا مَا شَعَرْتُ لِأَنَّ أُنْبَهَ حَامِلًا      لَكِنْ لِأَمْنَعُ شَاعِرًا أَنْ يَشْعُرَا

قوله: «أَوْ نَفْتَقِدُ صَمَّصَامَ عَمْرٍو»، البيت، لفظ حبيب ومعناه، نقله أبو المغيرة:

أَوْ نَفْتَقِدُ ذَا التُّونِ فِي الْهَيْجَا فَقَدْ      جَلَّى الْإِلَهِ لَنَا عَنِ الصَّمَّصَامِ<sup>(٢)</sup>

### لَمَعَ مِنْ أَخْبَارِ مُنْذِرِ الَّذِي ذُكِرَ

قال: وَنَقَلْتُ مِنْ حَطِّ أَبِي مَرْوَانَ بْنِ حَيَّانٍ ، قَالَ : كَانَ مُنْذِرُ بْنُ يُحْيَى

صَاحِبُ سَرَقِسطَةَ رَجُلًا مِنْ عُرُضِ الْجُنْدِ ، وَتَرَفَّى إِلَى الْقِيَادَةِ آخِرَ دَوْلَةِ ابْنِ

أَبِي عَامِرٍ ، وَتَنَاهَى أَمْرَهُ فِي الْفِتْنَةِ إِلَى نَيْلِ الْإِمَارَةِ ، وَالانْتِبَازِ مِنَ الْعَسْكَرِ

إِلَى الشَّغْرِ الْأَعْلَى بَلَدِهِ ، وَاقْتِطَاعِهِ لِمَا صَيَّرَ فِي يَدِهِ ، وَكَانَ أَبُوهُ يُحْيَى مِنَ الْفُرْسَانِ

غَيْرِ النَّبَهَاءِ ؛ فَأَمَّا ابْنُهُ مُنْذِرٌ فَكَانَ فَارِسًا لَبِقَ الْفُرُوسِيَّةِ ، بِهِيَ الشَّارَةِ ، مَلِيحَ

التَّقَلُّبِ عَلَى الدَّابَّةِ ، سَخِيًّا كَرِيمًا خَارِجًا عَنْ حَدِّ الْجَهْلِ ، يَتَمَسَّكُ بِطَرْفٍ مِنْ

السِّكِّتَابَةِ السَّادِجَةِ ، وَأَمَّا غَدْرُهُ فَالنَّارُ بِرَأْسِ الْيَفَاعِ ، مِنْ أَفْحَشِهِ صُنْعُهُ بِهَيْشَامِ

الْمَخْلُوعِ مَوْلَى نِعْمَتِهِ ، وَمُعَلِّي رُبَّتَيْهِ ، وَبَاعِثِهِ إِلَى الشَّغْرِ لِنُصْرَتِهِ ؛ فَانْقَلَبَ

نَاصِرًا لِعَدُوِّهِ ، وَغَزَاهُ فِي عَقْرِ دَارِهِ ، وَأَنْزَلَهُ عَنْ سَرِيرِهِ ، وَأَسْلَمَهُ لِحَتْفِهِ ، وَبَاعَ

دِمَاءَ عَشِيرَتِهِ أَهْلَ قَرْطُبَةَ مَجَانًا بَاطِلًا بِلَا تَمَنٍّ مِنَ الْبَرَابِرَةِ عَلَى غَيْرِ عُدْرٍ وَلَا ضَرُورَةٍ .

(١) ب ، لب ، ر : « عتبية بن أبي الحباب »

(٢) راجع ديوان أبي تمام (ص ٢٤٦) وفي رواية البيت اختلاف

وعادَ بِمِثْلِهَا لِحَمْدِ بْنِ سُلَيْمَانَ أَثِيرِهِ عِنْدَمَا اسْتَجَارَ بِهِ فِي نَكْبَتِهِ ، فَقَتَلَهُ وَهُوَ ضَيْفُهُ ، فِجَاءَ بِهَا صَلَءَاءَ مَشْهُورَةٍ لَمْ تَغْسِلْهَا مَعْدِرَةٌ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ كَرِيمًا ، وَهَبَ لِقُصَادِهِ مَالًا عَظِيمًا ، فَوَفِدُوا عَلَيْهِ ، وَتَطَارَحَتِ الْأَمَالُ إِلَيْهِ ، وَاتَّقَى عَلَى تَفَضُّلِهِ ، وَعَمَرَتْ لِنَدِكَ حَضْرَتِهِ سَرَقُسْطَةَ ، حَتَّى أَشْبَهَتِ الْحَضْرَةَ الْكُبْرَى فُرُطْبَةَ أَيَّامِ الْجَمَاعَةِ ، فَحَسُنَتْ أَيَّامُهُ ، وَهَتَفَ الْمُدَّاحُ بِذِكْرِهِ .

وكان مع شموه المعالي من الإيثار لشهواته ، والمسارعة لتقضاء لذاته ، والامتهان في طلب راحته ، والشغف بزي دنياه ، والكلف بزخرفها ، والتهالك في حبها ، على أضلع ما كان عليه من تفرّد بشأنها ، فاتخذ الجوارى الحسان ، وملاح الغلمان ، فجلب إليه كل علقٍ خطير ، وحصل عنده من كل ما وصفناه كثير .

١٠

وكان لأول ولايته قد ساس عظماء الإفرنج وهداهم حوطًا للشعر وأهله ، وتأنبا للجماعة<sup>(١)</sup> حتى ثوب لأهل الإسلام ، يناهضون بها عدوهم . وكان رؤساء الجلائقة يومئذ ريمند الجليقي وشانجه القشتلي ، فسلك معهما سبيل الاسترضاء ، والمواقفة والاستخذاء ، فحفظت أطرافه وكفت المعرة عن عمله . وربما أوقع ببعض أصاغر القوامس في أطرافهم وسبى منهم ، وريمند وشانجه باقيان على معاقدته إلى أن مضى بسبيله ، والشغر مسدود لا ثغرة فيه ولا وهى في حاله<sup>(٢)</sup> . وبلغ من استمالة الحاجب منذر لهدين الطاعيتين أن أجرىا تصاهرهما على يديه ، وكتب عقد النكاح بينهما بحضرة سرقسطة في حفل من أهل اللتين ، فقرقت الألسنة منذرًا لسعيه في نظم سلك الطاعيتين لما فيه من سوء العاقبة .

(١) ب : « وتأسى لجماعة » — لب : « وتأنبا للجماعة »

(٢) لب : « برجاله »

وقد قيل إن رأى مُنذرٍ كان في ذلك أحصف، من رأى من قدح فيه وقرَف،  
 لنظره في شأن وقته، وعلمه بانصداع عصا أهل كلمته؛ فآثر من المودعة  
 ما ستر به العورة، وشرّاه بغليظ الكلفة، واختدع به عظيمي الجلالة ريمند  
 وشانجه المحدثين أنفسهم يومئذ بمناهضة أهل الأندلس، فألهاهما عن الحرب  
 وحبب إليهما الدعة. وأعقب الحاجب مُنذرُ أهل الثغر في مغبة ذلك  
 عاجل السلامة، واستظفروا به على العمارة، فحسبوا وعاشوا في نعمة ضافية،  
 وعيشة راضية، لم يتغير به عنهما حال؛ إلى أن ألوت بمنذر المنية، وقد اعترف  
 الناس لرأيه، وأقرّوا بسياسته، ولم يأت بعده من يسد مسده، ولم ينفع الله  
 الطاغيتين بصهرهما الذي كانا عقداه للتآلف على المسلمين، إذ أُعجل عنه شانجه  
 ابن غرسية شيطانهم الرجيم، وهوى أميرهم ريمندُ ظهير المذكور، وابنه بعده؛  
 فشتت الله شمل تلك الطواغيت يومئذ وكفى المسلمين شرهم برحمته. واشتمل  
 مُنذرُ على قواد تلك الثغور، واستوسقت له هنالك الأمور، واستكتب عدة  
 كتاب كأي العباس ابن مروس<sup>(١)</sup> من تدمير، وكأبي عامر ابن أزرَق، وابن  
 واجب وغيرهم.

قال ابن حيان: وأخبرني الكاتب أبو أمية ابن هاشم<sup>(٢)</sup> القُرظي — وكان  
 من وجوه من خرج عنا أيام الفتنه واستوطن نجرَ نطيلة، ومارأيت مثله في  
 أولى البتوتات فضلا — قال: اجتاز القومسُ شانجه بن غرسية صاحب  
 قشيلة بباب نطيلة صدر أيام الحاجب مُنذر، وعلينا يومئذ من قبله سليمان  
 ابن هود صاحبه، فسلك مجتازا يريد طرف الثغر الأعلى للاجتماع هنالك بالقومس  
 ريمند صاحب برشلونة، لعقد المصاهرة بينهما، والأنثى من عند شانجه، واطنا

(١) ر: «مدوش» (٢) ب، لب، وه: «هشام»

لأرضنا عن علمٍ من مُنذِرٍ والينا ، وَضَمَّانٍ مِنْهُ لِكَفِّ عَادِيَةِ جَيْشِهِ عَنَّا ؛ فَأَنْكَرَهُ  
أَهْلُ تَطِيلَةَ وَهُمْ يَوْمئِذٍ بِحَالِ عِزَّةٍ وَقُوَّةٍ ، وَذَهَبُوا إِلَى عَصِيَّانِ أَمِيرِهِمْ مَنْذِرٍ فِيهِ  
تَفَادِيًا مِنْ وَصْمَتِهِ ؛ فَنَمِيَ ذَلِكَ إِلَى الطَّاعِيَةِ شَانِجُهُ ، فَلَمَّا شَارَفَ الْبَلَدَ أَرْسَلَ  
يَسْتَدْعِي قَوْمًا مِنْ أَعْيَانِهِمْ ، يُكَلِّمُهُمْ فِي سَبِيلِهِ .

- قال أبو أمية : فَكُنْتُ فِي عَدَدٍ مِنْ مَضَى ، فَدَخَلْنَا مَحَلَّتَهُ يَوْمئِذٍ فَخَرَّصْتُهَا (١)
- خيلاً وَرَجَالًا زَهَاءَ سِتَّةِ آلَافٍ ، وَلَمْ يَكُنْ احْتِفَالٌ فِي حَسَدِهِ ، وَوَصَلْنَا إِلَى مَضْرِبِهِ  
فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى مَرْتَبَتِهِ عَلَيْهِ ثِيَابٌ مِنْ ثِيَابِ الْمُسْلِمِينَ ، وَرَأْسُهُ مَكشُوفٌ  
أَصْلَعٌ كَهْلٌ ، لَمْ يَغْلِبْ عَلَيْهِ الشَّيْبُ بَعْدُ ، أَسْمَرُ اللَّوْنِ جَمِيلُ الصُّورَةِ ؛ فَكَلَّمْنَا  
بِكَلَامٍ لَطِيفٍ حَسَنٍ بَيْنَ فِيهِ وَجْهَ سَيْرِهِ ، وَذَكَرَ مَا فَارَقَ وَالْيَنَاءَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَحَالِفَةِ  
مَعَهُ ، فَعَرَّفْنَاهُ بِكُرِّهِ مِنْ وِرَاءِنَا لِاجْتِيَازِهِ ، وَذَهَابِهِمْ إِلَى التَّمَرُّسِ بِهِ . فَهَانَا عَنْ  
ذَلِكَ وَذَكَرَ الْحَرْبَ وَعُدُوءَهَا ؛ فَانصَرَفْنَا عَنْهُ وَأَدِينَا قَوْلَهُ إِلَى مَنْ خَلَفْنَا فَلَمْ  
يَتَقَبَّلْهُ عَوَائِمُ النَّاسِ ، وَحَمَلَهُمُ الْأَنْفُ عَلَى أَنْ خَرَجُوا إِلَى عَجَلٍ أَبْطَأَتْ فِي سَاقَتِهِ  
تَحْمِلُ أَرْوَادَ عَسْكَرِهِ يَرِيدُونَ نَهْبَهَا عَاصِمِينَ لِلْمَشَيْخَةِ ؛ فَأَنْهَى إِلَيْهِ ذَلِكَ ، فَصَرَفَ  
مِنْ أَصْحَابِهِ مِقْدَارَ خَمْسِمِائَةِ فَارِسٍ نَارُوا فِي وَجْهِ النَّاسِ ، فَخَرَجَ الْبَلَدُ بِأَسْرِهِ لِدِفَاعِهِمْ ،  
فَحَمَلَ مِنَ الْخَمْسِمِائَةِ قِطْعَةً ، فَوَلَّى النَّاسُ الْأَدْبَارَ حَتَّى اقْتَحَمُوا بَابَ الْمَدِينَةِ . ١٥
- فَمَا رَأَيْتُ فِي النَّصْرَانِيَّةِ يَوْمئِذٍ رَجَالًا مِثْلَ رِجَالِهِ ، وَلَا فِي مُلُوكِ الطَّوَاغِيَةِ مَنْ  
أَعْدَلَهُ بِهِ فِي رَكَانَةِ مَجْلِسِهِ وَرُجُولِيَّتِهِ وَدَهْبِهِ وَكَمَالِ أَدْوَانِهِ ، وَصُدْرِعِ كَلِمَاتِهِ ،  
إِلَّا مَا كَانَ مِنْ صَهْرِهِ وَسَمِيِّهِ شَانِجُهُ بْنُ غَرْسِيَّةَ صَاحِبِ الْبَشْكَنِشِ الَّذِي تَفَرَّدَ  
بِالرِّئَاسَةِ بَعْدَهُ فَكَانَ مِثْلَهُ ، بَدَّدَ اللَّهُ شِعْتَهُمْ .
- ٢٠ وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ مَا حَبَا اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ يَوْمئِذٍ عِنْدَ مُنْبَعَثِ فِتْنَتِهِمْ ، وَتُحَدِّثُ

(١) ر : « غرستها » — ب : « محاسننها » ولعلها « غسبتها »

فُرِقَتْهُمْ ، وَتَشْتَبِهَتْ كَلِمَتُهُمْ ، بَعْدَ الدَّوْلَةِ العَامِرِيَّةِ بِأَقْفِنَا ، تَعَجِيلُهُ حَتْفَ أَمْلَاكِ  
النَّصْرَانِيَّةِ المْتَرَسِينَ بِهِمْ ، وَتَلَاخُطُهُمْ فِي المَدَّةِ القَرِيبَةِ ، وَإِلْقَاؤُهُ بَيْنَ مَنْ أَنْظَرَ  
مِنْهُمُ الشَّتَاتِ وَالعَدَاوَةِ ، حَتَّى صَارُوا أَسْوَةَ المَسْلَمِينَ حَذْوِ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ ، فِي افْتِرَاقِ  
الكَلِمَةِ وَزَوَالِ أَمْرِ المَمْلَكَةِ ؛ فَإِنَّ الفِتْنَةَ بِأَقْفِنَا جَاءَتْ يَوْمئِذٍ بَيْنَ المَسْلَمِينَ ،  
وَزُعْمَاءِ الطَّاعِيَةِ حُضُورًا ، وَفِيهِمْ عَدُوُّ اللَّهِ شَانِجُهُ بْنُ فَرْدِزَنْدَ الَّذِي تَعَرَّضَ بِالنَّصُورِ  
ابْنِ أَبِي عَامِرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ ذُو العِزَّةِ وَالسَّطُوعِ ، فَأَعْيَا عَلَيْهِ حَتَّى قَمَعَهُ ، وَضَرَبَ بَعْدَهُ  
فَرَيْقَ الفِتْنَةِ ، وَمَالَ الخَوَارِجِ عَلَى الجَمَاعَةِ ، حَتَّى تَمَكَّنَ مِنْ هَشْمِ البَيْضَةِ ؛  
وَطَمَحَ أَمَلُهُ إِلَى الكَرَّةِ ، فَطَمَعَ اللَّهُ بِهِمْ ، وَأَهْلَكَهُمْ فِي مَدَّةٍ قَرِيبَةٍ .

### ذِكْرُ الخَبَرِ عَنِ مَقْتَلِ مُنْذِرٍ

قال ابن حَيَّانَ : وَكانَ ذلكَ على يَدَيِ رَجُلٍ مارِدٍ مِنْ بَنِي عَمَّةٍ ، يُقالُ لَهُ  
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَكَمٍ ، وَكانَ مُقَدِّمًا فِي قَوادِ مُنْذِرٍ ، أَضَمَّ الفَتْكَ بِهِ دَهْرًا ، فَدَخَلَ  
عَلَيْهِ يَوْمًا فِي مَجْلِسِهِ غُرَّةَ ذِي الحِجَّةِ سَنَةِ ثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَهُوَ غَافِلٌ فِي  
غِلَالَةٍ ، لَيْسَ عِنْدَهُ إِلَّا نَفَرٌ مِنْ خِوَصِّ خَدَمِهِ الصَّقَلَبِ ، قَدْ أَكَبَّ عَلَى كِتَابٍ  
يَقْرُؤُهُ ، فَعَلَاهُ بِسَكِينٍ قَدْ أَعَدَّهُ ، فَفَرَى بِهِ أَوْدَاجَهُ وَلَا مَانِعَ مِنْهُ . وَهَرَبَ  
خُدَّامُ السَّرِّ<sup>(١)</sup> العِلْمَانُ الحِصْيَانُ ، الَّذِينَ كانُوا عَلَى رَأْسِهِ ، وَخَلَّوْهُ فِي يَدَيْهِ ، إِلَّا  
خَادِمًا شَهْمًا مِنْهُمُ مَشَى إِلَيْهِ وَهُوَ حاسِرٌ ، فَضَرَبَهُ عَبْدُ اللَّهِ بِخِنْجَرِهِ فَقَضَى عَلَيْهِ  
مَعَ مِوَلَاهُ . وَأَخْرَجَ رَأْسَ المُنْذِرِ لِلوَقْتِ مِنْ قَصْرِهِ فَوْقَ قَنَازِ ينادِي عَلَيْهِ :  
هَذَا جِزَاءُ مَنْ عَصَى أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ هَشامًا وَدَفَعَ حَقَّهُ ، يَريدُ بِذَلِكَ الرَجُلَ الَّذِي  
كانَ يُدْعَى لَهُ يَوْمئِذٍ بِإِشْبِيلِيَّةِ ، تَعاقَمًا مِنْ هَذَا المارِدِ لَوْلَايَتِهِ ، وَتَوَطُّبَةً<sup>(٢)</sup> لِقِيامِهِ ،

(١) ب ، لب ، وه : « السوء » (٢) ب ، لب ، وه : « وتوطيدا »



إذ كان هذا القتيل ممن رَدَّ طاعة هشام تأسياً بوالده يحيى وبخاله إسماعيل ابن ذى النون ؛ فزلت بسر قسطة يومئذ حادثة عظيمة ، وأشرف أهلها على فتنه شديدة ، واضطربت لها حالهم ، وطبع فيهم أكثر من كان يجاوزهم ، وأذعنوا لهذا القوي<sup>(١)</sup> المتوثب عليهم آنفاً ، وزهبوه لاستجاشته الغوغاء والسفلة ؛ فمَلَكَ البلد لنفسه .

٥

وكان سليمان بن هود الجذامي صاحب لاردة وقته مقيماً بتطيلة بجمعه ، فسارع إلى سر قسطة ساعة سمع بخبر مُنذِرٍ رجاء في دخولها ، فنعاه هذا القوي القاتل ، ثم جاءه إسماعيل بن ذى النون خال مُنذِرٍ مُمتعضاً لما جرى على ابن أخته ، فامتنع ابن حَكَمٍ بالقصبة ، واتصلت الفتنه ، ونال أهل سر قسطة يومئذ جهداً شديداً وخربت أحوالهم .

١٠

قال ابن حَيَّان : وكان ركب ابن حَكَمٍ القاتل من خطة التقدير مركباً لم يجسر عليه فاتك قبله لتفرده ووثوبه على الأمير مُنذِرٍ جوف قصره في قرارة مجلسه بين غلمانته وأهله وتحت أغلاقه ، وبينه وبين الباب الأقصى من قصره مالا يُحصى من حجابيه وقهارمته ؛ فلم يفكر في شيء من ذلك ، وحمل نفسه على التّصميم فيه ، وهون عليها الموت دونه ؛ فلما تم له ذلك لم يكن في الخِصيان العبدى الذين حضروا مجلس مُنذِرٍ ساعتئذٍ فضل للدفاع عنه والوثوب بابن حَكَمٍ ، على كثرتهم وتفرده وسطهم ، وأنهم لم يزيدوا على الهرب قدامه ، فجاء بفتكته أسقطت كل من فتك في الإسلام قبله ؛ ثم لحق طمعه برياسة الملك فملكه ، ولم يفكر في ابن ذى النون خال مُنذِرٍ لما دنا إليه . وفعل ذلك بسليمان بن هود ، وقد جاء ناشرأ أذنيه ، فخاربه ودافعه . وكان في قصر مُنذِرٍ

٢٠

(١) ب ، لب ، م : « العربي »

وَقَتَ فَتِكَ بِهِ مِنْ حَاشِدَيْتِهِ وَعِلمَانِهِ أَزِيدُ مِنْ مَائَةِ رَجُلٍ سِوَى نِسَائِهِ ؛ فَطَارَ  
الرَّجَالُ عَلَى وُجُوهِهِمْ فَرَعًا ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ مَنْ يَأْخُذُ عَلَى يَدِهِ ، وَقَامَ بَيْنَهُمْ كَالْأَسَدِ  
الْوَرْدِ ، فَحَزَّ رَأْسَ الْفَتَى مُنْذِرًا لِلْوَقْتِ ، وَأَخْرَجَهُ إِلَى النَّاسِ ، فَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ  
وَأُبْلِسُوا ، وَلَمْ يَنْطِقْ مِنْهُمْ أَحَدٌ بِكَلِمَةٍ .

وَأَرْسَلَ مِنْ حِينِهِ ، يَسْتَدْعِي قَاضِيَ الْبَلَدِ وَالْمَشِيخَةَ ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ وَهُوَ  
قَاعِدٌ عَلَى فِرَاشٍ مُنْذِرٍ قَتِيلِهِ ، وَمُنْذِرٌ إِلَى جَانِبِ الْفِرَاشِ مُزْمَلٌ (١) فِي دِمَائِهِ ،  
مُعْطَى بِثِيَابِهِ ؛ وَوَصَفَ أَنَّهُ جَرَى فِي سَبِيلِ الْإِصْلَاحِ عَلَيْهِمْ ، وَالشَّدِّ لِسُلْطَانِهِمْ ،  
وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ بِتَسْكِينٍ مَنْ خَلَفَهُمْ مِنَ الْعَامَّةِ ؛ وَأَظْهَرَ الدَّعَاءَ أَوْلَى لِسُلَيْمَانَ بْنِ  
هُودٍ ، فَأَرَوْهُ قَبُولَ مَا وَصَفَهُ ، وَتَفَرَّقُوا عَنْهُ ، وَكَلِمَتُهُمْ مُخْتَلِفَةٌ عَلَيْهِ ، إِلَى أَنْ  
ثَارُوا بِهِ وَقَاتَلُوهُ ؛ فَخَرَجَ مِنْ بَابِ بَطْهَرِ الْقَصْرِ ، وَنَجَا مِنْهُ بِفَاحِرٍ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ  
مِنْ ذَخَائِرِ آلِ مُنْذِرٍ ، وَلِحِقِ بِحِصْنِ رُوطَةَ الْيَهُودِ ، أَحَدِ مَعَاقِلِ سَرَقُسْطَةَ الْمُنْبَعِثَةِ ،  
وَقَدْ كَانَ أَعَدَّهُ لِنَفْسِهِ ، فَأَقَامَ بِهِ يَرْصُدُ الْفِتْنَةَ جَهْدَهُ . وَكَانَ قَدْ حَمَلَ مَعَ نَفْسِهِ  
الْعُلَامِينَ أَخْوَى مُنْذِرٍ قَتِيلِهِ ، وَحَمَلَ أَبُو الْمُغِيرَةِ بْنِ حَزْمٍ وَزَيْرَهُ وَغَيْرَهُمْ مِنْ  
وَجُوهِ رِجَالِ مُنْذِرٍ الَّذِينَ نَكَبَهُمْ عِنْدَ قَتْلِهِ مَقْتِدِينَ ، فَخَبَسَهُمْ عِنْدَهُ ،  
يُطَالِبُهُمْ بِالْأَمْوَالِ .

وَنَهَبَ الْعَوَائِمُ قَصْرَ سَرَقُسْطَةَ إِثْرَ خُرُوجِهِ نَهَبًا مَا سَمِعَ أَعْظَمُ مِنْهُ ، حَتَّى  
قَلَعُوا مَرْمَرَهُ ، وَطَمَسُوا أَثْرَهُ ، لَوْلَا تَعَجُّيلُ ابْنِ هُودٍ مَلِكَ الْبِلَدِ إِثْرَ ذَلِكَ فِي  
الْحَرَمِ سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةَ . انْتَهَى كَلَامُ ابْنِ حَيَّانِ .

قَالَ ابْنُ بَسَّامٍ : وَأَذْكَرُ بِهَذِهِ الْغَدْرَةِ الصَّلْءَاءِ ، وَالْفِتْكَةِ الشَّهِيرَةِ الشَّوْهَاءِ  
٢٠ — إِذِ الشَّيْءُ يُذْكَرُ مَعَ مَا جَانَسَهُ ، وَيُضْمُّ إِلَى مَا التَّفَّ بِهِ وَلَا بَسَّهُ — مَا اتَّفَقَ

(١) ر : « مرسل »

من مثلها في مُلْكِ المَنَادِيِّينَ<sup>(١)</sup> الغالبيين إلى وقتنا هذا على طَرَفِ إفريقية الأذني إلى الأندلس ، المستقرّة رياستهم بقلعهم المنسوبة إلى جدّهم حمّاد ؛ وذلك أنه لما أفضى ملككم إلى بلقين بن محمّد منهم ، أحد جبابرة الإسلام ، المفتاتين على الأنام ، من رجلٍ كان لا يملأ يده إلا من لبدة أسد ، ولا يسرح لحظته إلا في نهبِ بليدٍ مضطهد ، ولا يراح إلا وبحر الموت يلتطم ، ولا يكلم إلا حين يتسم ، قد تجاوز في شدوذ<sup>(٢)</sup> أمنيته ، وقهره لرعيته ، والإخافة لأقرانه ، والاستبداد على زمانه ، غاية من سلف من جبابرة الأرض ، وسمع به من فراعنة الإبرام والنقض ، إلى شهرة آثاره ، وتطوُّح<sup>(٣)</sup> أسفاره ، وما لا يحصى من عجائب أخباره .

- ١٠ حدثت أنه أب مرة من بعض غزواته الأفراد ، المقلقة<sup>(٤)</sup> لأحشاء الأنام والبلاد ؛ فكانه ارتاح إلى ما يرتاح إليه الناس من إراحة نفسه ، والخلوّة ولو ساعة بوجه أنسه ؛ فجلس لذلك مجلساً حشد له شهوراته ، وتقدّم في إحضار ما يصلح له من آلاته وأدواته ؛ وأمر قيّمة جواريه باستحضار عقيلة أترابها يومئذ جلاله سلطان ، وحسن سماع وعيان ، إحدى بنات عمه دنياً ، لم ير بعدها — زعموا — ولا قبلها أبرغ ظرفاً ، ولا أقتل طرفاً منها ؛ فجاءت تودّ الثرياً لو تكون نعلها ، والشمس لو تصوّر مثلها ، وقد خطرت بنفسه إحدى هناته ، وتمثلت له بعض غزواته ؛ فأخذ يدير ويدبر ، وطفق يورد ويصدر . قالت قيّمتها : وكأنّي أنظر إلى الكاس في يده ، وإلى ابنة عمه قائمة على رأسه ، من لدن صليت العصر حتى طلعت الفجر ، وحانت منه بعد طول ليلته نظرة فرآها ،

(١) يعني بني زيري بن مناد ملوك إفريقية والمغرب

(٢) ب ، لب : « شرود » (٣) ب ، لب ، هـ : « وتطرح »

(٤) ب ، لب : « المقلقة »

فاعتذَرَ إليها واستدّناها ، ووعدّها ومَنّاها ، وقام من حينه فوضع الكأس مَلَايَ في طاقٍ وطبعَ عليها ، وأمر بالركوب من حينه ، فغزا غزواته المشهورة إلى الغرب من العُدوة ، بلغ فيها مدينةَ فاس ، فوطئ الدَّوْل ، ودَوَّخ السهلَ والجبل ؛ ثم رجع فجلسَ ذلك المجلسَ بعينه ، واستدعى كأسه تلك وابنةَ عمّه ، فغلا بأنسه ، وقضى وطْرَهُ مِنْ لَدَةِ نَفْسِهِ ، بعد أَيّامٍ كثيرة ، وحروبٍ مُبيرة .

وَلَمَّا تَنَاهَى أَمْرُهُ ، وَتَجَاوَزَ الشَّهْرَ ذِكْرُهُ ، وَظَنَّ أَنَّ الْبِلَادَ تَحْتَ خَتْمِهِ ، وَأَنَّ النَّاسَ عَلَى حُكْمِهِ ، سَمَّا إِلَيْهِ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ ابْنَ عَمِّهِ النَّاصِرَ ، أَصْغَرَ خَلْقِ اللَّهِ عِنْدَهُ شَانًا ، وَأَهْوَمُهُمْ عَلَيْهِ سِرًّا وَإِعْلَانًا ، مِنْ فَتَى عِلْمِهِ الْخَوْفُ كَيْفَ يَجْسُرُ ، وَهَجَمَ بِهِ ضَيْقُ التَّمَلُّكِ عَلَى الْمَوْتِ وَهُوَ يَنْظُرُ ، لَمْ يَشَاوِرْ إِلَّا الْحُسَامَ ، وَلَا اسْتَصْحَبَ إِلَّا الْإِقْدَامَ ؛ وَقَدْ كَانَ بَعْضُ نُصَحَاءِ بُلْقَيْنَ خَوْفَهُ مِنْهُ ، لِكَلِمَةٍ أَخَذَتْ يَوْمَئِذٍ عَنْهُ ، فَجَعَلَهَا بُلْقَيْنُ نَقْلَةً <sup>(١)</sup> رِكَابَهُ ، وَسَمَرَ أَحْبَابَهُ . وَكَانَ قَلَمًا يَرُكِبُ إِلَّا دَارِعًا ، أَخَذًا بِمَا يَأْخُذُ بِهِ مِنْ دُعْرِ الْقُلُوبِ ، وَوَتْرِ الْبَعِيدِ وَالْقَرِيبِ ؛ وَكَانَ مُوَلَعًا بِالْإِدْلَاجِ إِذَا ارْتَحَلَ ، مُؤَثِّرًا لِلانْفِرَادِ كَمَا رَكِبَ وَنَزَلَ ؛ فَأَقْسَمَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ أَلَّا يُدْلِجَ إِلَّا حَاسِرًا ، وَلِيَقْتُلَنَّ النَّاصِرَ إِذَا نَزَلَ وَلَوْ كَانَ أَسَدًا خَادِرًا ؛ فَأَعْجَلَهُ عَنِ الْأَمْرِ ، وَلَمَّا يَبْدُ وَضَحُ الْفَجْرِ ؛ لَقِيَهُ كَأَنَّهُ يُسَلِّمُ عَلَيْهِ ، أَوْ يَسِيرُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَمَا رَاجَعَهُ الْكَلَامَ ، إِلَّا وَقَدْ جَلَّهَ الْحُسَامَ ، وَأَرَاخَ مِنْهُ الْبِلَادَ وَالْأَنَامَ ؛ ثُمَّ قَامَ مَقَامَهُ ، وَاسْتَظَلَ أَعْلَامَهُ ، وَأَمَرَ بِرَأْسِهِ فَرُفِعَ عَلَى بَعْضِهَا وَسِيرَ بِهِ أَمَامَهُ ، وَالنَّاسُ يَظُنُّونَ أَنَّ بُلْقَيْنَ ، قَدْ قَتَلَ بَعْضَ أَتْبَاعِهِ الْمَمْتَحِنِينَ ، فَهُمْ يَتَسَاءَلُونَ عَمَّنْ قَتَلَ ، وَيَرْتَجِمُونَ الظَّنَّ فِيمَا فَعَلَ ، حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ ، وَارْتَفَعَ اللَّبْسُ ؛ فَأَمَرَ بِرَفْعِ مَضَارِبِهِ ، وَحَشْرِ زُعْمَاءِ ذَوِيهِ وَأَقَارِبِهِ ، فَقَالَ : أُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ بُلْقَيْنَ

(١) لب : « تعله »

قتل أختي، وفجعني بأكرم حرمتي؛ وإنما شفقتُ صدرِي، وأخذتُ بوثرِي،  
 لا أتي حدثتُ نفسي بسطانِكُم، ولا رأيتُني أهلاً للدخولِ في شيء من شأنِكُم.  
 فردوا عليه جميلاً، ورأوا إمهاله قليلاً، وظنوا أنه لم يجسرُ على ما فعل إلا وله  
 أشياع، وحواله أعوانُ على ذلك وأتباع؛ فكلُّ واحدٍ منهم قد ارتابَ بمن يَلِيه،  
 وأهمه ما هو فيه؛ وأمرَ لحينه بخزائنِ بلقين فأنهَبها ذوئبانَ العربِ وصُفورةَ  
 زناتةَ، فاستخلصَ بذلك عُيوبهم، وأمالَ إليه قلوبهم، ورحلَ تحتَ ليلته  
 يطوي العراجلِ، ويعتسفُ المجاهلِ، فسبقَ الأخبارَ إلى القلعة فوطئَ الحرِيمَ،  
 وتملكَ الظاعنَ والمقيمَ.

### فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي عامر أحمد بن عبد الملك

ابن شهيد، وسياسة جملة وافرة من نظمه ونثره.

١٠

قال ابن بسام: وكان أبو عامر شيخ الحضرة العظمى وفتاها، ومبدأ  
 الغاية القصوى ومُنْتهاها، وينبوع آياتها، ومادة حياتها، وحقيقة ذاتها، وابن  
 ساستها وأساتها، ومعنى أئمتها ومُسَمياتها، نادرة الفلك الدوار، وأعجوبة  
 الليل والنهار؛ إن هزل فسجعُ الحمام، أو جدَّ فزئيرُ الأسدِ الضرغام؛ نظمُ  
 كما اتسقَ الدرُّ على النُحور، ونثرُ كما خلطَ المسكُ بالكافور؛ <sup>(١)</sup> إلى نوادرِ  
 كأطرافِ القنا الأملود، تشقُّ القلوبَ قبلَ الجلود، وجوابِ يجرى بجرى النَّفسِ،  
 ويسبقُ رجعَ الطرفِ المختلسِ <sup>(٢)</sup>.

١٥

وقد ذكره أبو مروان ابن حيان في غير ما موضع من كتابه فقال: كان  
 أبو عامرٍ يبلُغُ المعنى ولا يطيلُ سفرَ الكلام، وإذا تأملته ولسنته، وكيف يجرُّ

في البلاغة رَسَنَه ، قلتَ عبدُ الحميدِ في أوامِهِ ، والجاحظُ في زمانِهِ . والعَجَبُ منه أنه كانَ يدعُو قريحته إلى ماشاء من نثره ونظمه في بديهته ورويته ، فيقودُ الكلامَ كما يُريدُ من غيرِ اقتناءٍ للكتُب ، ولا اعتناءٍ بالطلب ، ولا رُسوخٍ في الأدب ، فإنه لم يوجدْ له — رحمه اللهُ — فيما بلغني بعدَ موته كتابٌ يستعينُ به على صناعته ، ويشحذُ من طبعه إلا ما لا قدرَ له ؛ فزادَ ذلكَ في عجائبه ، وإعجازِ بدائعه . وكانَ في تنميقِ الهزلِ والنادرةِ الحارّةِ <sup>(١)</sup> أقدرَ منه على سائرِ ذلك . وشعرُهُ حَسَنٌ عندَ أهلِ النقدِ ، تصرّفَ فيه تصرّفَ المطبوعين ، فلم يُقصرْ عن غايتهم .

وله رسائلٌ كثيرةٌ في فنونِ الفكاهةِ وأنواعِ التعريضِ والأهزالِ ، قصارٌ وطوال ، برّزَ فيها شأوه ، وبَقاها في الناسِ خالدةً بعده . وكانَ في سرعةِ البديهةِ وحضورِ الجوابِ وحِدتهِ ، مع رِقّةِ حواشِي كلامِهِ ، وسُهولةِ ألفاظِهِ ، وبراعةِ أوصافِهِ ، ونزاهةِ شمائلِهِ وخلاتِقِهِ ، آيةً من آياتِ اللهِ خالِقِهِ ؛ <sup>(٢)</sup> من رَجُلٍ غلبتْ عليه البطالةُ فلم يَجفُلْ في آثارها بضياحِ دينٍ ولا مُروءةِ ، فحطَّ في هواهُ شديداً حتى أسقطَ شرفَهُ ، ووهمَ نفسَهُ راضياً في ذلكَ بما يَلذُّهُ ، فلم يُقصرْ عن مُصيبةٍ ، ولا ارتكابِ قبيحةٍ <sup>(٣)</sup> .

وكانَ مع ذلكَ منَ أصحِّ الناسِ رأياً لمن استشاره ، وأضلّهم عنهُ في ذاته ، وأشدّهم جنائياً على حالِهِ <sup>(٣)</sup> ونِصابِهِ . وكانَ له في الكرمِ والجودِ انهماكٌ ، مع شرفٍ وبطالةٍ ، حتّى شارفَ الإملاقَ ، فمضى على هذه السبيلِ رحمه اللهُ . انتهى كلامُ ابنِ حَيّان .

(١) ب ، لب ، وه : « الحادة » (٢-٢) هـ في ر ، وه

(٣) ب ، لب : « ماله »

قال ابن بسّام : وقد أخرجت من أشعاره الشاردة ، ورسائله الباقية الخالدة ، ونوادره القصار والطوال ، وتعريضاته السائرة سير الأمثال ، ما يحل له الوقور حباه ، ويحسب معه الكبير إلى صباه .

### مُجَلَّةٌ مِنْ كَلَامِهِ فِي أَوْصَافِ شَتَّى

- ٥ فصولٌ من رُفْعَةٍ خَاطَبَ بِهَا الْمُؤَمَّنَ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنَ أَبِي عَامِرٍ :
- لَوْلَا أَنَّ مِنَ الْعَادَةِ بَيْنَ السَّادَةِ وَالْمَسُودِينَ ، وَالْمَالِكَةِ وَالْمُتَمَلِّكِينَ ، تَطَارُحَ الْأُدْمَةِ ، وَتَدَارُسَ لَطَائِفِ الْحُرْمَةِ ، لِأَكْبَرْتُهُ — أَيَّدَهُ اللَّهُ — عَمَّا أُرْغَبُ ذِكْرَهُ ، وَأَكْرَمْتُهُ عَمَّا أُطْلَبُ نَشْرَهُ ؛ وَلَوْلَا أَنَّ مِنَ السِّيَاسَةِ وَعَقْدِ الْحِزَامَةِ تَذَكِيرَ أَهْلِ الْعُلْيَاءِ ، بِسَوَافِ النَّعْمَاءِ ، لَرَبَّاتُ بِمَا بَنَتْهُ الْآبَاءُ وَالْأَجْدَادُ ، وَضَرَبَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْآفَاتِ بِالْأَسْدَادِ ، عَنْ أَنْ أُحْرِزَ مِنْهُ بِنْدُ كَبِيرٍ ، أَوْ أُدْفَعَ عَنْهُ بِتَقْدِيرِ .
- ١٠ وَلَوْلَا أَنَّ التَّطْوِيلَ فِيمَا أَقْصِدُ قَصْدَهُ وَأَنْحُو نَحْوَهُ عَلَى زَمَانِنَا وَشَاغِلِهِ ، وَوَجِدُّ خَطْبِنَا وَهَازِلِهِ ، مُوجِبٌ لِلْقَوْلِ وَمُوجِدٌ لِلسَّبِيلِ إِلَى الطَّعْنِ مِمَّنْ ضَعْفَ حِجَابِهِ ، وَقَصَّرَ بِهِ مَرَمَاهُ ، لَرَسَمْتُ إِلَيْهِ مِنَ الْوَرَقِ ، أَعْدَادَ الْوَرِقِ ، وَلَرَقَمْتُ إِلَيْهِ مِنَ الْمَهَارِقِ ، أَشْبَاهَ النَّارِقِ .

وَفِي فَصْلِ أَيْضًا :

١٥

وَأَقْلُ مَا أُمْتُ بِهِ ، وَأَنْطِقُ عَنْهُ ، مُتَمَدِّدًا عِنَانِ الْأَمَلِ ، كَارِعًا فِي بَحْرِ الرَّجَاءِ لَا الْوَشَلِ ، مِنْ مَوَاتِيٍّ بِالْمَنْصُورِ جَدِّهِ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا — أُنِّي نَشَأْتُ فِي حِجْرِهِ ، وَرَبَّيْتُ فِي قَصْرِهِ ، وَارْتَضَعْتُ ثَدْيِي كَرَائِمِهِ ، وَاعْتَجَرْتُ رِدَاءَهُ (١) مَكَارِمِهِ ؛ وَاعْتَدَيْتُ مِنْ فِيهِ ، أَكْلًا زَقْنِيهِ ، وَمَاءَ عَلْنِيهِ ، فَصُرْتُ مِنْ أَفْرَاحِ نَعْمَائِهِ الْحُمْرِ الْحَوَاصِلِ ، وَلَحِقْتُ بِأُخُوَّةِ أَبْنَائِهِ الْغُرِّ الْعَبَاهِلِ .

٢٠

(١) ب ، لب ، م ، « برد »

وَمِنْ مَوَاتِي بِالْمُظَفَّرِ عَمَّهُ — عَمَّتَهُ رَحْمَةُ اللَّهِ — أَنْ أَبِي عَبْدَ مَنِكُمْ لَمَّا بَعْدَ  
 أَمَلُهُ ، وَبَانَ خُشُوعُهُ ، وَسَأَلَتْ دُمُوعُهُ ، نَكَبَ عَنْ طَرِيقِ أَهْلِ الدُّنْيَا ، وَرَمَى  
 مَرْمِيَّ مِنْ مَرَامِي أَهْلِ الْأُخْرَى ، فَكَسَرَ هَيْتِي ، وَحَلَقَ لِمَتِي ، وَسَلَبَتِي بَرِّي ،  
 وَعَرَّأَنِي مِنْ حَزْرِي ، فَكَانَتْ أَفْدَحَ نَازِلَةٍ نَزَلَتْ بِصَبُوتِي ، وَأَقْلَقَ حَادِثَةٍ سَلَبَتْ  
 رَوْنَقَ بَهْجَتِي ؛ وَأَنَا إِذْ ذَاكَ ابْنُ ثَمَانَ ، قَدْ هَجَنْتُ فِي مَدَارِعِ الْكُتَّانِ ؛  
 وَلَقَيْتِي الْوَزِيرُ ابْنَ مَسْلَمَةَ وَقَدْ عَادَ أَبِي إِثْرَ إِبْلَالَ ، وَعِنْدَ نُقُودِهِ مِنْ اعْتِلَالِ ،  
 فَسَأَلَنِي عَنِ الْحَالِ ، وَعَمَّا شَغَلَ الْبَالِ ، فَلَمْ يَكُنْ جَوَابِي غَيْرَ النَّشِيجِ وَالْعَجِيجِ ،  
 وَسَوَى الْعَوِيلِ وَالضَّجِيجِ ؛ وَلَقِيَ الْمُظَفَّرَ عَلَى حِينِهِ ، وَأَدَّى إِلَيْهِ مَا شَاهَدَ مِنِّي ،  
 فَوَجَّهَ عَنِّي ، فَلَمَّا صِرْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، أَمَرَ بِي فَأَلْبَسْتُ ثِيَابَ الْحَرِيرِ ، وَضَمَخْتُ  
 بِنَفَّاحِ الْعَبِيرِ ، وَحَمَلْتُ عَلَى فَرَسٍ بَسْرَجِهِ وَإِجَامِهِ ، يَنْهَلُ مِنْ أَعْطَافِهِ مَاءَ جَمَامِهِ ،  
 وَأَتَّبَعْتُ ذَلِكَ أَلْفَ دِينَارٍ فِي طَبَقٍ ، كَأَنَّهَا عَيُونَ التَّرْجِسِ الصُّفْرِ الْحَدَقِ ، وَعَقَّدْتُ  
 لِي عَلَى الشُّرْطَةِ ، وَكَانَتْ لِسِنِّي أَرْفَعُ خُطَّةً ، فَانصَرَفْتُ وَأَنَا أَنْظَرُ عِطْفِي عَنْ  
 شَوْسٍ ، وَقَدْ ضَاقَ صَدْرِي عَلَى أَبِي عَنْ سَعَةِ نَفْسٍ .

وَمِنْ مَوَاتِي بِالنَّاصِرِ أَبِيهِ — بَرَدَ اللَّهُ مُضَجَّعَهُ ، وَبَعَمَ مَهْجَعَهُ — أَتَى صِرْتُ  
 بَيْنَ يَدَيِ الْمَنْصُورِ ، فِي يَوْمِ مَطِيرٍ ، وَأَنَا ابْنُ حَمْسٍ ، أَذْكَرُ ذَلِكَ ذِكْرِي لِمَا  
 كَانَتْ بِالْأَمْسِ ، وَكَانَ مِنْ إِكْرَامِهِ لِي ، وَلَطِيفِ اهْتِمَامِهِ بِي ، مَا يَطُولُ بِهِ  
 الْكِتَابَ ، وَلَا يَحْتَمِلُهُ الْخِطَابَ . وَعَيْنُهُ وَمَحْضُهُ ، وَصَرِيحُهُ وَزُبْدُهُ : أَنَّهُ وَهَبَنِي  
 يَوْمًا تَفَاحَةً كَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ كَبِيرَةً ، وَرَأَى أَنْظَرُ إِلَيْهَا نَظَرَ الْكَلِيفِ ، وَأَتَأَمَّلُهَا  
 تَأَمَّلَ الشَّرِّهِ ، فَأَمَرَنِي بِالْقَبْضِ عَلَيْهَا ، وَالْعَضِّ فِيهَا ، فَضَاقَ فَمِي عَنْ أَنْ أُحِيطَ  
 بِجُزْءٍ مِنْ أَجْزَاءِ كُرْبَتِهَا ، وَصَغُرَتْ كَفِّي عَنْ أَنْ تَقْبِضَ إِلَّا بِمُخْتَقٍ مِنْ مَخَانِقِ  
 أَنْحَاطِهَا ، فَجَعَلَ يَقَطَعُ لِي بَقْمَهُ ، وَيَطْعُمُنِي عَلَى حُكْمِهِ ؛ وَدَعَا النَّاصِرَ ، وَمَعَهُ



- فَتَى سَمِعْتُهُمْ يَكُونُوهَ أَبَاشَاكَرٌ<sup>(١)</sup> ، فَقَالَ لَهُ : أَحْمِلْهُ إِلَى أُمَّكَ ، وَارْفُقْ بِهِ فِي أُمَّكَ ؛ فَأَخَذَا بِيَدَيَّ أَمَامَهُ ، وَابْتَدَرَا يَسِيرَانِ بِي قَدَّامَهُ ، وَأَنَا لَا أُسْمِحُ فِي الْقِيَادِ لِشِدَّةِ ذَلِكَ الْوَابِلِ ، وَتَتَابَعُ قَطْرَ ذَلِكَ الْهَاطِلِ ، فَصَاحَ بِهِمَا : أَقْلَاهُ فَأَحْمِلَاهُ عَلَى أَعْنَاقِكُمَا ، وَسُوقَا بِهِ سَوْقًا رَفِيقًا أَحْسَنَ مَسَاقِكُمَا . فَلَفَّا أَعْضَادَهُمَا لَفًّا ، وَوَصَلَا أَدْرُعُهُمَا بِأَعْنَاقِهِمَا وَصَلَا ، وَامْتَطَيْتُ الْعَاتِقَ الْكَرِيمِ ، عَلَى عَيْنِ الْمَلِكِ الرَّعِيمِ ، ٥
- امْتِطَاءَ امْتِنَانٍ ، لَا امْتِطَاءَ امْتِهَانٍ ، وَمَرَّابِي حَتَّى أَنْزَلَانِي بَيْنَ يَدَيِ السَّيِّدَةِ ، وَإِلَيْهَا أَمْرٌ كُلُّ قِيَمَةٍ ؛ فَاسْتَوَتْ بِي عَلَى سَرِيرِهَا ، وَعَلَى مَقَرِّهَا إِكْلِيلٌ مِنْ مَهَابَةِ أَمِيرِهَا ؛ فَلَا أَنْسَى ذَلِكَ الْبَهَاءَ فِي ذَلِكَ الْبَهْوِ ، وَذَلِكَ الْحُسُورَ إِلَى مَنْ قِنَاعَ الزَّهْوِ ؛ وَطَارَ الْخَبْرُ بِقُدُومِي فِي مَقَاصِيرِ الْعَمَائِلِ ، وَحُجْرَاتِ الْكِرَائِمِ .
- فَأَرْقَلَنْ مِنْ تِلْكَ الْمَصَانِعِ ، تَطِيرُ بِهِنَّ أَجْنِحَةُ الصَّنَائِعِ ، فَيَا لَهَا مِنْ كُسْمَى وَخَلَعٍ ، ١٥
- وَعِمَائِبَ وَبِدَعٍ ! وَأَمَرَتِ السَّيِّدَةُ بِالْفِ تَحْمَلُ مَعِيَ عَنْ نَفْسِهَا ، وَثَلَاثَةَ آلَافٍ عَنْ سَيِّدِهَا ؛ فَانصرفتُ بِالغِنَى ، مِنْ ذَلِكَ الْجَنَى ، وَلَمْ أُضْرَفْ إِلَى الْمَنْصُورِ حَتَّى صِرْتُ عِنْدَ أَبِي ، وَقَدْ ظَنَنْتُ أَنَّهُ مُتَجَافٍ عَنْهُ لِي ، أَوْ تَارِكٌ مِنْهُ مَعِيَ ؛ وَكَانَتْ لِي فِيهِ آمَالٌ مِنَ التَّوْزِيعِ عَلَى الْخِدْمَةِ وَالْعُمَالِ مِنَ الصَّبِيَّانِ وَصَبَايَا الْجَيْرَانِ . أَمَرَ فَفَرَّقَ مِنْهُ عَلَى بَطَانَتِهِ ، وَأَشَارَ بِحَمَلِ بَاقِيهِ إِلَى خِزَانَتِهِ ، فَظَلَلْتُ وَاجِمًا ، وَطَفِئْتُ رَاغِمًا ، أَطْفَى مِنْ جَمْرَتِي فَتَذَكُو ، وَأُخْفِي مِنْ لَوْعَتِي فَتَبْدُو . وَبَلَغَ ذَلِكَ الْمَنْصُورَ ، فَوَجَّهَ نَحْوِي بِخَمْسِمِائَةِ دِينَارٍ ، وَأَقْسَمَ عَلَيَّ أَبِي بِحَيَاتِهِ أَلَّا يَمْنَعَنِي مِنْهَا ، وَأَنْ يَدْعَنِي بِحُكْمِي فِيهَا ؛ فَبَادَرْتُ بِالرَّكْبِ وَالرَّجْلِ ، وَأَخَذْتُ فِي الْبَدَلِ وَالْعَطَاءِ ، وَحَبْوَتُ بِأَجْزَلِ الْحَبَاءِ ، وَالخَيْلُ إِذْ ذَاكَ نَخَبٌ مِنْ قَصَبٍ ، وَالذَّرَقُ قُشُورٌ مِنْ خَسْبٍ ، فَيَوْمِي مَذْكَورٌ فِي مُنِيَّةِ الْمُغِيرَةِ إِلَى الْآنِ ، إِذْ كَانَ مَسْكُنُنَا بَدَارِ ابْنِ الثُّعْمَانِ . ٢٥

(١) ب ، لب : « يدعونه بشاكر »

وأغربها مائة ، وأطفها وصاله ، أن أخى موسى انزع المنصور من أبيه ،  
وأحل محلّ بنيه ، فاجتمعت الأفواه على الثدى ، والتقت الشفاه على الدرّ المرى ؛  
وقبضه الله إليه وقد رتع في مراتبكم وجتم في مضاجعكم ، فنحن عمار مقاصركم  
أحياء ، وقطان مقابركم أمواتا ، جمعنا بذلك عشرة العاجلة والآجلة ، وحصلنا  
على صُحبة الدنيا والآخرة .

هذه — أيده الله — لئمة أبديتها له من وصائلي ، وغرة أطلعتها إليه من وصائلي .

وفي فصل :

وملوكك عاكف على الوطن ، عكوف الراهب على الوثن ، ولم يبق من  
النعمة غير مُصاصة بلة<sup>(١)</sup> قد آن لها أن تُرشف ، وتفاهة ثمرة قد حان لها أن  
تُخترَف ؛ وعراج لِمآله ، والنظر لعاقبة حاله ، على استخراج ما يمكن من أصول  
نعمتكم ، ليصون بها حجة<sup>(٢)</sup> وجنته ، ويفرّ عليها نطفة صفحته ، إذ لا سبيل إلى  
التعريج على غير ذلك قطعا ، ولا إلى الالتباس بسواه حتما ، ولو لحس التراب ،  
وذاب في الثياب ، فإنه يئنفس عن نفس همتها الكوكب ، وهمها العنكب ؛  
فلولا همتها لأظلم الدهر ، ولولا همها لأسفر الأمر ؛ وهذا موضع الحدس لا امتراء ،  
وخليقة النفس لا ادعاء ! ووعد الوزير عباس بصرف ضيعة لي بحجة تدمير ،  
حالت الفتن دونها ، واضطراب الأحوال عن مطالعتها . وأنا أسأل فضلك سؤال  
المذلّ في استنجاز ما وعد ، فإنه يعتاض من شكرى له ، وثناى عليه ،  
وصدعى في الحافل بفضله ، أجل فائدة يصطفها ، وأكرم نفيسة يقتنيها !

وأصل اصطفاؤنا لتلك الضيعة وسائر أخواتها أن المنصور — رضى الله  
عنه — استعمل أبي عبده على تلك الجهة الشرقية تسعة أعوام توالّت بتدمير  
وبلنسية ، فلما سمّ العمل خاطبه برُفعة يقول فيها :

(١) م : « ملة » (٢) م : « ماء »

- إِنَّ كَبِيرَ حَقِّ الْمَوْلَى لَا يَذْهَبُ بِصَغِيرِ حَقِّ الْعَبْدِ ، وَلِي حُرْمَةٌ أُدِلَّ بِهَا ،  
 وَذِمَّةٌ أَنْبَسَتْ لَهَا ، وَقَدْ طَالَتْ عَلَى الْعَرَبِ ، وَسَمَّتُ الْحِدْمَةَ ، وَمَلَّتْ مِنَ النَّعْمَةِ ،  
 فَالِإِدَالَةَ الْإِدَالَةَ ، فَأَدَالَهُ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — عَلَى رِضَاهِ ، وَأَشْخَصَهُ إِلَيْهِ عَلَى  
 هَوَاهُ ؛ فَوَرَدَ قَرْطُبَةَ بَارَبَعِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ نَاضَةً ، وَمِائَةِ أَلْفٍ مِنْ ذَهَبٍ آتِيَةً ،  
 وَوَنَائِقِ خَمْسِمِائَةِ زَوْجِ مُكْتَسَبَةٍ ، وَمَائَتِي نَسَمَةٍ مِنْ رَقِيقِ الصَّقَابِ مُنْتَقَاةً ،  
 وَالسَّعْرَ إِذْ ذَاكَ بِهَا سَامٍ جِدًّا ، وَنَفَقَةَ أَبِي رَأْسٍ كُلِّ شَهْرٍ سَبْعُونَ مُدِّيًّا مِنْ  
 قَمْحٍ ، وَعَلْفُ ثَمَانِينَ دَابَّةً مِنْ شَعِيرٍ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ يَعْزِضُ عَلَيْهِ مَا جَاءَهُ بِهِ ،  
 وَيُحْكِمُهُ فِيهِ ، وَيَسْأَلُهُ أَخْذَهُ ، أَوْ الْأَخْذَ مِنْهُ ، فِجَاوَبِهِ يَقُولُ : لَوْ أَرَدْنَا أَخْذَ  
 مَا أَعْطَيْنَاكَ ، مَا قَدَّمْنَاكَ ، وَنَحْنُ نَخَافُ أَنْ تَسْتَصْفِيَنَا نَفَقَتُكَ مَا اسْتَقْتَهُ ، وَتَأْتِيَنَا  
 عَلَى مَا اجْتَلَبْتَهُ ، بَارْتِفَاعِ ثَمَنِ الطَّعَامِ ، وَأَنْتَ لَمْ تَرُدِّ مِنْهُ عَلَى ذَخِيرَةٍ ، وَقَدْ  
 صَكَّكُنَا لَكَ بِالْفَيْ مُدْيٍ بِشَطْرَيْنِ مِنْ قَمْحٍ وَشَعِيرٍ تَسْتَظْهَرُ بِهِمَا عَلَى زَمَانِكَ ،  
 فَاقْبِضْهُمَا مِنْ أَهْرَاءِ فَلَانَةٍ لَقُرْبِهِمَا مِنْ مَكَانِكَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

- مَكْرُمَةٌ — أَعَزَّ اللَّهُ الْمُؤْتَمِنَ — لَمْ تُعْهَدْ لِعَيْرِ عَامِرِيٍّ ، وَلَا سَمِعَ بِمِثْلِهَا  
 لِعَيْرِ مَعَاوِرِيٍّ ، وَلَمَّا عَزَّ الْخَطَّابُ ، وَوَقَعَ الْكِتَابُ ، وَكَانَ عَبْدُكَ مَنْسُوبًا إِلَى  
 شَيْءٍ مِنْ نَظْمِ الْكَلَامِ ، قَالَ عَلَى كَلَّةِ الذَّهْنِ وَفَلَّةِ الْعَرَبِ بِالْحَالِ ، وَشَغْلِ الْبَالِ ،  
 مَا عَلِمَ وَفَهُم :

أَمَّا الرِّيحُ بِجَوِّ عَاصِمٍ فَحَابَيْنِ أَخْلَافَ الْعَامِمِ

يقول فيها :

- سَهَرَ الْحَيَا بِرِيَاضِهَا فَأَسَالَهَا وَالنَّوْزُ نَائِمٌ  
 حَتَّى اغْتَدَّتْ زَهْرَاتُهَا كَالغَيْدِ بِاللُّجِّ الْعَوَائِمِ  
 مِنْ ثِيْبَاتٍ لَمْ تُبَلِّ كَشَفَ الْخُدُودِ وَلَا الْمَعَاصِمِ

وَصِفَارِ أُنْكَارِ شَكْتِ      خَجَلًا فَعَادَتْ بِالْكَأَمِ  
 وَرُذِّ كَمَا خَجَلَتْ خُدُو      دُ الْعَيْنِ مِنْ لَحَظَاتِ هَائِمِ  
 وَشَقِيقُ نِعَانٍ شَكْتِ      صَفْحَانَهُ مِنْ لَطْمٍ لِاطْمِ  
 وَغُصُونُ أَشْجَارِ حَكْتِ      رَقْصِ الْمَائِمِ لِلْمَائِمِ  
 بَكَرَ الْحِسَانُ يَرِذْنَهَا      مِنْ كُلِّ وَاضِحَةِ الْمَلَاعِمِ  
 وَضَحِكُنْ عُجْبًا فَالْتَقَتْ      فِيهَا الْمَبَاسِمُ بِالْمَبَاسِمِ  
 ضَحِكْتِ وَأَوْمَضَ (١) بَارِقُ      فَظَلَلْتُ لِلْبَرِّقَيْنِ شَائِمِ  
 وَتَشَوَّفْتُ فَتَطَامَنْتُ (٢)      أَجِيَادُ أَظْمِيهَا الْحَوَائِمِ  
 وَرَنْتُ فَبَادَرَ نَرْجِسُ      يَشْكُو عَمَاهُ إِلَى حَمَائِمِ  
 طَارَدْتُهُنَّ بِفِتْيَةٍ      خُرِدٍ عَلَى حَرْبِ الْمَسَالِمِ  
 وَكَأَنِّي فِيهِمْ لَقِي      طُ قَادٍ مِنْ أَحْيَاءِ دَارِمِ  
 وَتَكَوَّسَتْ فِيهَا الْأَبَا      رِقُ وَهِيَ فَاهِقَةُ الْحَلَاقِمِ  
 وَكَأَنَّهَا أَظْبِ رَعْفُ      نَ قُرْنٍ دَامِيَةِ الْخِيَاشِمِ  
 وَجَرَى بِهَا فَلَكَ الصَّابَا      بِاللَّهْوِ ، وَالتُّصْبُ اللِّوَائِمِ  
 وَكَأَنَّهَا فِيهَا الْعَفَا      رِتُ وَالْكُؤُوسُ مِنَ الرَّوَائِمِ  
 وَعَلَا بِنَا سُكْرُ أَبِي      إِلَّا الْإِنَابَةَ لِلْمَحَارِمِ  
 نَرْمِي قَلَانِسَنَا لَهُ      وَنَجْرُ مِنْ عَذَبِ الْعَمَائِمِ  
 وَتَرَنْمَتْ فِيهَا الْقِيَا      نُنَا وَرَجَعَتْ الْبِوَائِمِ  
 قُمْنَا نَصْفَقُ بِالْأَكُفِّ      لَهَا وَرَقْصُ بِالْجَمَائِمِ  
 وَأَعَنَّ مِنْ سَدَنِ الْمُلُو      لِكِ سَلِيلِ أَيْقَالِ حَضَارِمِ

(٢) ر : « فضامنت »

(١) ب ، لب ، ه ، و : « وأزعج »

- يَشْكُو الرَّعَاثَ تَنَعُمًا      وَيَصِيحُ مِنْ حَمَلِ التَّمَائِمِ  
 لَا تَسْتَحِيهِ الرَّاشِفَا      تُ وَلَا تُبَالِيهِ اللَّوَائِمِ  
 يُجْنِدِنَهُ ثَمَرَ النُّحُو      رِ وَيَعْتَلِينَ بِهِ الْمَخَازِمِ  
 مُتَجَاهِلَاتٍ أَنَّهُ      يَهْوَى وَهَنَّ بِهِ عَوَالِمِ  
 لَأَزَمْتُ بَابَ مَحَلِّهِ      وَالتُّجُحُ مِنْ قَنَصِ الْمَلَازِمِ  
 حَتَّى إِذَا وَثِقَتْ بِنَا      عُجْزُ الْحَوَاضِنِ وَالخَوَادِمِ  
 أَيْقَنْتُ مِنْ أَخْذِي لَهُ      وَتَلَوْتُ مِنْ سُورِ الْعَزَائِمِ  
 وَاقْتَدْتُهُ بِشَكَائِي      فَانْقَادَ فِي تِلْكَ الشَّكَايِمِ  
 فَوَرَدْتُ جَمَّاتِ الْمَنَى      وَكَرُمْتُ عَنْ لُؤْمِ الْمَائِمِ  
 وَأَغْرَّ قَدْ لَيْسَ الدُّجَى      بُرْدًا فَرَاقَكَ وَهُوَ فَاحِمِ  
 يَحْكِي بِغُرَّتِهِ هِلا      لَ الْفِطْرِ لَاحَ لِعَيْنِ صَائِمِ  
 فَكَانَمَا خَاضَ الصَّبَا      حَ جَاءَ مُبْيَضَّ الْقَوَائِمِ  
 وَيَسِيرُ فِي يَبَسِ الثَّرَى <sup>(١)</sup>      وَكَأَنَّهُ فِي الْبَحْرِ عَائِمِ  
 حَتَّى إِذَا عَلِمَ الصَّبَا      حَ أَشَارَ مِنْ تِلْكَ الْمَعَالِمِ  
 وَتَمَايَلَتْ أَيْدِي الثُّرَيَّا      وَهِيَ مُذْهَبَةُ الْخَوَائِمِ  
 وَرَنْتَ ذُكَاةَ بِنَاطِرِ      رَمِدٍ مِنَ الْأَقْدَاءِ سَالِمِ  
 طَلَعَ الصَّبَا وَارُ لِحَيْنِهِ      وَكَأَنَّهُ الْمَوْجُ الْمُرَاكِمِ  
 أَوْ عَسْكَرُ رَكِبُوا الْخِيُو      لَ الشُّهْبَ وَاحْتَمَرُوا الْأَدَاهِمِ  
 فَاشْتَدَّ سَبْقُنَا لَهُ      يَكْشِرْنَ عَنْ مِثْلِ اللَّهَازِمِ  
 وَكَأَنَّهَا فِي رَمِيهَا      نَسْتَلُّ مِنْ بِيضِ الصَّوَارِمِ

(١) هـ : « الكرى »

فَحَمَى أَوَاخِرَهُ أَعْرُ م مَعَاوِدُ تِلْكَ الْمَلَاخِمِ  
 يَهْوَى بِرَوْقِي مَحْرَبٍ طَبِينٍ بِحَرْبِ الْغُضْفِ حَازِمِ  
 وَكَأَنَّمَا أَرْوَاهَا مُسْوَدَّةٌ أَقْلَامُ عَالِمِ  
 فَتَبَادَرَ الْفِتْيَانُ مِنْ جَنَابَتِهِ أَشْهَى الْمَطَاعِمِ  
 شَيْئًا وَمُطَبَّخًا عَلَى حَجْرِ زَهَّتْهُ الرِّيحُ جَاحِمِ  
 وَبَعِيدَةَ الْأَرْجَاءِ نَا زِحَّةٍ عَلَى أَيْدِي الرِّوَاثِمِ  
 لَا تَدْعِي جُوبًا لَهَا ذَاتُ الْخَوَافِي وَالْقَوَادِمِ  
 مِنْ فِتْنَةٍ قَدْ أُسْبِلَتْ ظُلُمَاتُهَا بِيَدِ الْمَظَالِمِ  
 عَمَّهَتْ لَهَا (١) أَحْلَامُنَا وَكَأَنَّمَا (٢) أَضْغَاثُ حَالِمِ  
 وَتَضَاءَلَتْ أَجْرَامُنَا فِيهَا بِمُؤَبَقَةِ الْجَرَائِمِ  
 وَتَحَوَّلَتْ قِينَا الذَّنَا بِي الرُّأْسِ، وَابْنُ الْمَجْدِ رَاغِمِ  
 وَأَدَارَ كُلِّ صَغِيرٍ قَدْ رِ الْمُنتَهَى أَرْحَى الْعِظَائِمِ  
 فَكَأَنَّمَا عُمَى نُسَا قُ عَلَى الْعَمَى فِي ظِلِّ عَاتِمِ  
 حَتَّى انْتَضَى عَبْدُ الْعَزِيزِ زِ عَزِيمَةٍ مِنْ صَدْرِ عَازِمِ  
 فَبَدَتْ لَنَا سُبُلُ الْهُدَى بِنَوَاجِمِ غَيْرِ الْهَوَاجِمِ (٣)  
 ضَرَبَ الْأَعَاجِمَ سُودَهَا بِالسِّدِّ مِنْ بَيْضِ الْأَعَاجِمِ (٤)  
 فَاسْتَجْفَلُوا فَكَأَنَّمَا ضَرَبَ الثَّعَالِبُ بِالضَّرَاغِمِ  
 أَبْنَاءَ مَلِكِ حَمِيرِي م قَامَ بِالْفَرِّ الْقَائِمِ

(٢) ب، لب: «فكأنا»

(١) ب، لب: «له»

(٤) كذا بالأصول

(٣) كذا بالأصول — و: «التراجم»

- مِنْ عَامِرٍ أَهْلِ الْمَصَا نِعِ وَالصَّنَائِعِ وَالكَرَائِمِ  
 الْكُفْرُ عَنْهُمْ قَاعِدٌ قَدِمًا وَدِينُ اللَّهِ قَائِمٌ  
 حَكَمَ الزَّمَانُ بِظُلْمِهِمْ دَهْرًا وَصَرَفُ الدَّهْرِ ظَالِمٌ  
 فَارْتَدَّ بِهِجْرَةَ مُلْكِهِمْ كَرُّ الخُبَيْثَةِ الضُّبَارِمِ  
 وَاشْتَدَّ يَنْظُمُ حَزْمِهِمْ شَيْحَانُ طَلَاغُ المَخَارِمِ  
 ذَكَرَهُ عَلَى ذَكَرٍ يَصُو لُ وَصَارِمٌ يَسْطُو بِصَارِمِ  
 إِلَيْهِ هَيَا عَبْدَ القَزِيزِ وَأَنْتَ رَجَامُ المَرَاحِمِ (١)  
 قَمَرٌ تَضِيءُ لَهُ الخَطْوُ بُ عَلَى دَادِيهَا الفَوَاحِمِ  
 تَسْرِي الرِّيَاحُ بِمَجْدِهِ فَتَسِيْمُهَا بِالْعَوْرِ فَاغِمِ  
 لَمْ يَرَوْ مِنْ مَاءِ الشَّابَا بِ وَكُلُّ أَشْيَبَ عَنْهُ خَائِمِ  
 رَعِيًّا لِوَأْتَمَنَ رَعِيًّا فِينَا الحَدَايِثَ وَالقَدَائِمِ  
 بَدَأَتْ أَوَائِلُهُ وَعَا دَ لِكَشْفِ عَاشِيَةِ الغِيَاهِمِ  
 لَا تَتْرُكُنْ صَرَمَ الزَّمَا نِ عَلَى ظُلْمِي تِلْكَ الصَّوَارِمِ  
 وَارْمِ الخُطُوبَ بِمِثْلِهَا عَزَمًا فَأَنْتَ لَهَا مُسَاهِمِ  
 وَإِلَيْكُمَا مِنْ نَاطِقٍ يَدْعُوكَ إِذْ صَمَتَ البِهَائِمِ

وله مِنْ جَوَابِ عَلَى خِطَابٍ :

وَرَدَ كِتَابُكَ الكَرِيمِ ، بِفَضْلِهِ العَمِيمِ ، يَتَبَلَّجُ تَبَلُّجَ البَرْقِ ، وَيَتَحَلَّبُ  
 تَحَلُّبَ الوَدْقِ ، مُتَكَسِّرًا فِي المِشْيَةِ ، جَالِيًا لِلَّيْلِ الشَّكِّ وَالْمِرْيَةِ ، قَائِدًا بِأَزْمَةِ  
 المُنَى وَالبُغْيَةِ ، كَلِمًا اشْتَقَّ مَوْجًا (٢) غَمْرَهُ ، أَوْ لَاعَبَ مَرَّجًا بِهِرَهُ (٣) ،

(١) ب ، لب ، وه : « زحام المزاحم » (٢) ب ، وه : « صرحا »

(٣) لب : « فهره »

أَوْ جَزَعَ وَاذِيًّا<sup>(١)</sup> أَمَدَهُ مِنْ أَتِيَّةٍ ، وَنِعْمَ مِنْ أَنْبُوبِ بَرْدِيَّةٍ ، أَوْ مَرَّ بَرَوْضٍ  
 شَقَّ عَلَيْهِ رِداءٌ وَزُدَ ، وَأَثَارُهُ عَجَّاجٌ نَدَّ<sup>(١)</sup> ، أَوْ عَارِضٌ حَامَةٌ حَيْثُ بَغْنَاهَا ،  
 أَوْ سَامَتْ لِقَوَّةً نَزَلَتْ إِلَيْهِ مِنْ هَوَائِهَا ، أَوْ مَسَّحَ بَعْضُ حَنْتٍ إِلَيْهِ ، أَوْ خَطَرَ  
 بِأَسْدٍ تَهَالَكَتْ عَلَيْهِ ؛ كِتَابٌ مُنْعَ جَالِبُهُ ، وَحَمَى حَامِلُهُ ، كَلَّمَا خَبَطَ بَطْحَاءَ  
 كُتِبَتْ بِالْكَتَائِبِ ، أَوْ رَكِبَ جَرَعَاءَ رُقِمَتْ بِالْأَرَاقِمِ ، كَانَتْ لِهَذِهِ مُدْيَةٌ ،  
 وَلَتَلِكِ رُقِيَّةٌ ؛ وَكَلَّمَا كَحَلَّ مُثَلَّةً شَوْسَاءَ<sup>(٢)</sup> خَشَعَتْ ، أَوْ لَمَسَ كَفًّا خَشْنَاءَ  
 نَخَعَتْ ؛ أَوْ وَقَعَ إِلَى رَيْسٍ وَضَعَهُ عَلَى رَأْسِهِ ، أَوْ دَفَعَ إِلَى ذِي بَأْسٍ أَخْدَمَهُ  
 مِنْ بَأْسِهِ ، أَوْ لَمَحَتْهُ شَقْرَاهُ حَمَحَمَتْ ، أَوْ بَصُرَتْ بِهِ بِيضًا تَرْتَمَتْ ، هُوَ  
 الْحَدِيقَةُ ، تُسَاقُ سَوَاقُ الْوَسِيْقَةِ ، أَوْ اللَّطِيْمَةِ فِي ثِنْيِهَا الْغَنِيْمَةِ ؛ فَتُرْتُّ إِلَيْهِ قَائِمًا ،  
 وَرَفَلَتْ نَحْوَهُ سَاعِيًا ، وَكَانَ أَوَّلَ تَحِيَّتِي لَهُ أَنْ قَبَّلْتُهُ وَوَضَعْتُهُ عَلَى رَأْسِي ، وَحَبَسْتُ<sup>(٣)</sup>  
 عَلَيْهِ أَنْفَاسِي ، ثُمَّ فَضَضْتُ حَنْتَهُ ، وَاسْتَرَقْتُ شَمَّهُ ، فَفَتَقْتُ عَلَى نَسِيمِ الْعَبِيرِ لُخْلُخَ  
 بِهِ صُدُورُ الْحُورِ ، وَأَهْدَى إِلَى عَبَقِ الْيَاسَمِينِ ، ذَرَّ عَلَيْهِ مِسْكَ دَارِينِ ، فَأَنْعَمْتُ  
 فِي نَشْرِ طَيْهِ ، وَضَرَبْتُ فِي مَدْرَجِ لَيْئِهِ ، فَإِذَا بِنَنَاتٍ<sup>(٤)</sup> مِنَ الْبَرِّ مَسْلَمَةٌ عَلَيَّ ، وَتَعَوَّرِ  
 مِنَ الْإِكْرَامِ ضَاحِكَةً إِلَيَّ ، وَفَاضَ الْأَلَاءُ ، وَكَثُرَ الْهَتَافُ وَالْإِيْمَاءُ ، فَكَلَّمْتُ عَيْنِي  
 عَنْ ذَلِكَ الرَّوْتَقِ ، وَحُبِسْتُ أذُنِي عَنْ ذَلِكَ الْمَنْطِقِ ، فَلَمْ أَتَمَّاكُ أَنْ غَطَيْتُ  
 وَجْهِي حَيَاءً ، وَقَدْ تَصَبَّبْتُ مَاءً ، وَتَقَبَّضْتُ فِي رَدْنِي ، وَقَدْ ضَاقَ بِهِ<sup>(٥)</sup> عَطْفِي .

وفي فصل :

فَتَنَفَّضْتُ تَنَفُّضَ الْعُقَابِ ، وَهَزَّتْنِي أَرْيَحِيَّاتُ الشَّبَابِ<sup>(٦)</sup> ، وَقَامَ يَوْهَمِي

(١-١) نه في ر (٢) ب ، لب : « شوهاء »

(٢) ب ، ر ، لب : « وحسبت » (٤) ب ، لب : « بنباب »

(٥) نه : « بن » (٦) ب ، لب : « أريحية كأريحية الشباب »



أَنِّي مَلَأْتُ الْأَرْضَ بِجِسْمِي ، فَأَوْمَأْتُ إِلَى الْجَوَازِ بِكَفِّي أَنْ تَأْمَلِي ، وَإِلَى  
 الْعَوَاءِ أَنْ أَقْبَلِي ، وَقَلَّتِ الْمَجْرَةُ فِي عَيْنِي أَنْ تَكُونَ لِي مِنْدِيلًا ، وَصَغُرَ  
 الزَّبْرَقَانُ عِنْدِي أَنْ أَتَّخِذَهُ إِكْلِيلًا ، فَقُلْتُ : هَكَذَا يَكُونُ الْأُلُوكُ ، وَبِمِثْلِ هَذَا  
 تَنْفَعُ (١) الْمُلُوكُ (٢) .

وفي فصلٍ منها :

وَلَمَّا طَالَ الْكَلَامُ — أَيَّدَ اللَّهُ الْمُؤْتَمِنَ — وَلَمْ يَبْلُغْ مَمْلُوكَهُ الْغَايَةَ الَّتِي إِلَيْهَا  
 قَصَدَ ، وَلَا اسْتَوْفَى مِنَ الْإِيرَادِ مَا إِيَّاهُ اعْتَمَدَ ، خَشِيَ أَنْ يُصِيبَهُ مَا يُصِيبُ التَّطَوُّيلَ  
 مِنَ السَّامَةِ الْخُصُوصَةِ بِهِ ، وَالْمَلَالِ الْمَوْقُوفِ عَلَيْهِ ، فَفَصَّلَهُ بِنَظْمٍ فِيهِ عَوْنٌ عَلَى  
 الدَّرْسِ ، وَتَنْبِيهُ لَشَهْوَةِ النَّفْسِ ، وَهُوَ :

|    |   |  |
|----|---|--|
| ١٠ | تَجِدِ الذُّمُوعَ تَجِدُ فِي هَمَلَانِهَا           | هَاتِيكَ دَارُهُمْ قَفِيفٌ بِمَعَانِهَا        |
|    | دِمْنٌ ذَعْرُنُ (٣) السَّرْبِ مِنْ إِدْمَانِهَا (٤) | عُجْنَا الرَّكَّابَ بِهَا فَهَيَّجَ وَجَدْنَا  |
|    | أَتَقِيًّا الْفَرَحَاتِ مِنْ أَفْسَانِهَا           | دَارٌ عَهْدَتْ بِهَا الصَّبَا لِي دَوْحَةً     |
|    | وَأَحْكَمُ الصَّبَوَاتِ فِي غِزْلَانِهَا            | أُرْعَى عَلَى بَقَرِ الْأَيْسِ بِجَوَّهَا      |
|    | فِيهَا الْغُصُونُ جَنَيْتُ مِنْ رُمَانِهَا          | وَإِذَا تَهَادَتِ بِالشُّمُوسِ نَوَاعِمًا      |
| ١٥ | ظُلْمًا (٥) وَكَانَ الدَّهْرُ مِنْ أَعْوَانِهَا     | قَضَتِ النَّوَى بِذِيَادِ رُجْحِ عَيْنِهِمْ    |
|    | وَقَضُوا بَيْنَ مِنْ مُغَرِّدِ بَأْنِهَا            | زَجَرُوا اغْتِرَابًا مِنْ نَعِيبِ غُرَابِهِمْ  |
|    | آتِ عَلَى خَبَرِ النَّوَى بَعِيَانِهَا              | فَبَدَا لَهُمْ وَجْهُ الْفِرَاقِ مُوقِحًا      |
|    | عَنْ جُمَّةٍ لَعِبَ الْأَسَى بِجَمَّانِهَا          | يَقْدِفْنَ دُرَّ الدَّمْعِ فِي يَوْمِ النَّوَى |

(١) هـ : « تفخر » (٢) ز في ب ، لب ، هـ : « فوادها أنك من نيله ،

والحفتي أنك من نسله » (٣) ر : « دعون »

(٤) لم يقع هذا البيت في ب ، لب (٥) ب ، لب ، هـ : « صلفا »

وَدَعَّتْهُمْ وَبَنَاتُ قَرَحٍ فِي الْحَشَا  
 وَأَسْلَمَهَا ذُوبٌ (١) الْجُفُونِ كَأَنَّهَا  
 يَا صَاحِبِي إِذَا وَنَى حَادِيكُمَا (٢)  
 وَخُذَا لِمُرْتَبِعِ الْحِسَانِ فَرُبَّمَا  
 عَاوَدْتُ ذِكْرَ الْعَيْشِ فِيهِ وَمَا انْقَضَى  
 فَبَكَيتُ مِنْ زَمَنِ قَطَعْتَ مَرَّاحِلًا  
 وَرَعَيْتُ مِنْ وَجْهِ السَّمَاءِ خَمِيلَةً  
 وَكَأَنَّ نَثْرَ النَّجْمِ ضَانٌّ وَسَطَهَا  
 وَكَأَنَّ فِيهِ الثَّرِيَّا جَوْهَرٌ

٥

١٠ ومنها يفخر :

أَنَا طَوْدُهَا الرَّاسِي إِذَا مَا زَلَزَلَتْ  
 وَعَلَى اللَّصْبِ الْجَمِيلِ مُفَاضَةٌ  
 وَالنَّفْسُ نَفْسٌ مِنْ شَهِيدٍ سَنَخُمَا  
 مَا أَحْوَلَّ نَحْوِي لِحْظٍ مُقَلَّةٍ سَاخِطٍ  
 وَلَوْ أَنَّهُ نَطَحَ النَّجُومَ بِقَرْنِهِ  
 وَقَضَتْ بَعِزُّ النَّفْسِ مِنِّي دَوْحَةً  
 يَا ابْنَ الْأَبَالِجِ مِنْ مَعَاوِرِ وَالَّذِي  
 أَعْلَى كِتَابِكَ فِي مُهْمِي (٥) حُرْمَتِي

١٥

(١) وه : « صوب » (٢) هذا البيت والذي قبله لم يقع إلا في ر ، وه

(٣) ب ، لب : « هاديكما » (٤) وه : « فكن »

(٥) ب ، وه : « في مهانة » (٦) لم يقع هذا البيت في ب

فَلْيُطْلِعَنَّ إِلَيْكَ مِنْ زَهْرِ الْحِجَا      أَبْكَارَ شُكْرِ لُحْنٍ فِي إِبَانِهَا  
حُرُّ الْقَوَائِي مَا جِدُّ فِي أَهْلِهَا      وَالشَّعْرُ عَبْدٌ فِي بَنِي <sup>(١)</sup> عِبْدَانِهَا  
مَدَحَ الْمُلُوكِ وَكَانَ أَيْضًا مِنْهُمْ      وَقَدْ يُرَى وَالشَّعْرُ مِنْ ذُوبَانِهَا <sup>(٢)</sup>  
أَمْسَى الْفَرَزْدَقُ كُفُوَهَا فِي حَوْكِهِ      وَجَرَى الْقَضَاءُ لَهَا عَلَى صَلَاتِنِهَا

- هذا — أيد الله المؤمن — جَوْهَرٌ رَطْبٌ ، نُظِمَ بِلا ثَقْبٍ ، غَايَةُ حُسْنِهِ ٥  
لَوْ لَفَظَهُ بِحَرْفِهِ عَلَى قُرْبٍ ، وَقَدْ كَانَ أَقْلَ حُقُوقِ مَوْلَايَ أَنْ أَقِفَ بِيَابِهِ ، وَأُخِيمَ  
بِفَنَائِهِ ، وَأَهْدَى إِلَيْهِ الشُّكْرَ غَضًا ، وَأَنْشُرَ عَلَيْهِ الْمَدْحَ نَضًا ، وَلَكِنِّي مَمْنُوعٌ ،  
وَعَنْ إِرَادَتِي مَمْنُوعٌ <sup>(٣)</sup> ، يَمْلِكُنِي سُلْطَانٌ قَدِيرٌ ، وَأَمِيرٌ لَيْسَ كَمِثْلِهِ أَمِيرٌ ، شَيْءٌ <sup>(٤)</sup>  
غَلَبَ صَبْرَ الْأَتْقِيَاءِ ، وَاسْتَوَلَى عَلَى عِزْمِ الْأَنْبِيَاءِ ؛ وَهُوَ الْعِشْقُ ، بَاطِلٌ يَلْعَبُ  
بِالْحَقِّ ، لِيَبِينَ ضَعْفُ الْبَشَرِ ، وَتَلُوحُ قُدْرَةُ مُصْرَفِ الْقَدَرِ ؛ وَالَّذِي أَشْكُو مِنْهُ ١٠  
أَغْرَبُ الْغَرَائِبِ ، وَأَعْجَبُ الْعَجَائِبِ ، بَثٌّ شَاغِلٌ ، وَبَرَحٌ <sup>(٥)</sup> قَاتِلٌ ، وَصَبْرٌ يَفِيضُ  
وَدَمْعٌ يَفِيضُ ، لِعَجُوزٍ بَخْرَاءَ ، سَهِيكَةٍ دَرْدَاءَ ، تُدْعَى قُرْطَبَةَ :

عَجُوزٌ لَعَمْرُ الصَّابَا فَانِيَةٌ      لَهَا فِي الْحَشَا صُورَةُ الْغَانِيَةِ  
زَنْتَ بِالرِّجَالِ عَلَى سِنِّهَا      فَيَا حَبَّ ذَاهِيَةً مِنْ زَانِيَةٍ  
تُرِيكَ الْعُقُولَ عَلَى ضَعْفِهَا      تُدَارُ كَمَا دَارَتِ السَّانِيَةِ ١٥  
فَقَدْ عَنَيْتَ <sup>(٦)</sup> بَهْوَاهَا الْحُلُوهُ      مُ فُهَيَ بِرَاحَتِهَا عَانِيَةَ  
تَقَاصِرُ عَنْ طُولِهَا قُونَكَةَ      وَتَبْعُدُ عَنْ غَنْجِهَا دَانِيَةَ  
تَرَدَّيْتُ مِنْ حُزْنِ عَيْشِي بِهَا      غَرَامًا فَيَا طُولَ أَحْ—زَانِيَةِ!

(١) ب ، لب ، وه : « يدي » (٢) كذا — ر : « ديوانها » — لب : « دونانها »

(٣) ب ، لب : « مخلوع » (٤) ر : « شهم »

(٥) ب ، وه : « فرح » (٦) ب ، لب ، وه : « عبث »

طَابَ لِي الْمَوْتُ عَلَى هَوَاها ، وَلَدَّ عِنْدِي سَقَى دَمِي لِثَرَاها ،

وَحَبَّبَ أَوْطَانَ الرَّجَالِ إِلَيْهِمْ مَارَبُ قَضَاها الشَّبَابُ هُنَالِكَ<sup>(١)</sup>  
إِذَا ذَكَرُوا أَوْطَانَهُمْ ذَكَرْتَهُمْ عُهُودَ الصَّبَا فِيها فَحَنُّوا لِذَلِكَ

وَلَمَّا اسْتَطَرَدَ طَيْبُ هَذَا الْمَسَاقِ ، وَارْفَضَ كَلِمَهُ كَلِمَاءُ الْمُهْرَاقِ ، وَخَفَقَ  
جَنَاحُ الْعِشْقِ الْمَذْكَورِ ، وَتَدَخَّرَجَ وَصْفُهُ كَاللُّوْلُوِّ الْمُنْشُورِ ، تَحَرَّكَتْ لِي أَطْرَابُ ،  
وَاهْتَرَّتْ لِرِداءِ شَوْقِي أَهْدَابُ ، وَتَمَحَّضَتْ نَفْسِي فَصَارَتْ نَفْسًا ، وَتَرَكَتْ ذَاكَ  
النَّفْسُ فِصَارُ كَلَامًا ، وَانْتَضَمَ ذَلِكَ الْكَلَامُ فِصَارَ عِقْدًا ، قَلَّتْ مُتَغَزِّلاً ، وَبِمَا  
صَدَرَ فِي أَيَّامِ السَّرُورِ<sup>(٢)</sup> مَتَمَثَّلًا :

سَقِيًا لَطِيبِ زَمَانِنَا وَسُرُورِهِ وَعَزِيزِ عَيْشِ مُسَعِفِ بَغْزِيرِهِ  
وَتَكْفَرِي بَرْدَاءِ وَصَلِ مَقْرَطِقِي كَتَبُوا بِنَفْسِ<sup>(٣)</sup> الْمِسْكِ فِي كَأْفُورِهِ  
مُتَلَفِّعُ بَحْرِيرِهِ ، مُتَضَمِّخُ بَعْبِيرِهِ ، مُتَرَنَّحُ بَغْتِ—وَرِهِ  
وَسَنَانُ نَاوَلِنِي مُدَامَةَ طَرْفِهِ فَشَرِبْتُهَا وَسَمِعْتُ مِنْ طُنْبُورِهِ  
يَدْعُو بِلُكْنَةِ بَرَبْرِي لَمْ يَزَلْ يَسْتَفُّ بِالصَّخْرَاءِ حَبَّ بَرِيرِهِ  
مُتَقَدِّمٌ بِمَضَاهِيهِ ، مُتَلَفِّعُ بَرْدَانِهِ ، مُتَكَلِّمٌ فِي عِيرِهِ  
مُسْتَفْتَحُ لَبْيَانِهِ بِنَبَاهِهِ يُهْدِي السَّلَامَ إِلَى رِجَالِ عَشِيرِهِ  
مُتَنَصِّبُ كَالْعُضْنِ إِلَّا أَنَّهُ يَهْتَرُّ مِنْ أَعْجَازِهِ وَصُدُورِهِ  
طَارِحَتُهُ كَلِمًا وَكُنْتُ زَعِيمُهُ غَرْدًا أَحْرَكُ مَنْكِي لَزِيمِهِ  
فَمَسَى إِلَيَّ قُتْرَتُ غَيْرِ مُعْفَرٍ كَاللَّيْثِ مُطَرِّدًا<sup>(٤)</sup> إِلَى يَغْفُورِهِ  
وَمَلَكْتُهُ بِالْكَفِّ مِلْكَةً قَادِرٍ فَاَنْصَاعَ مُؤْتَمِرًا لِحُكْمِ أَمِيرِهِ

(١) راجع ديوان ابن الرومي (ص ١٣) (٢) ب ، لب : « الشباب »

(٣) ب ، لب : « كالميت مطروحا »

(٤) ب ، لب : « بحسن »

فَقَضَيْتُ مَا لَمْ أَقْضِ فِيهِ بِرِيْبَةٍ      يَا بَنِي الْعَفَافِ وَعِصْمَتِي بِمُحْضُورِهِ (١)  
زَمَنُ قَضَى ثُمَّ انْقَضَى فَكَأَنَّهُ      حُلْمٌ قَرَأْتُ الْمَوْتَ فِي تَفْسِيرِهِ

ومنها:

وَبِرَاحَتِي مِنْ فِكْرَتِي ذُو ذُكْرَةٍ      عَهَدْتُ تَذَاكُرُنِي بِطَبْعِ ذِكْرِهِ  
فَرَدُّ إِذَا بَعَثْتُ دِيَابِجِي صَرَفِهِ      هَوَّلاً عَلَى ، خَبَطْتُ فِي دِيْبُجُورِهِ ٥  
حَتَّى بَدَأَ عَبْدُ الْعَزِيزِ لِنَاطِرِي      أَمَلِي ، فَمَزَّقَتِ الدُّجَى عَنْ نُورِهِ  
مَلِكٌ تَبَقَّى الْمَجْدَ نَاصِرُهُ لَهُ ،      وَتَقِيلَ الْعَلِيَاءَ عَنْ مَنْصُورِهِ  
طَلَبَ الْحَوَادِثَ مُعْرَبًا عَنْ نَارِهِ      فَجَرَّتْ دِمَاهُ الْخَطْبُ فِي مَأْثُورِهِ  
وَرَأَى الزَّمَانَ يَحْمِيدُ عَنْ تَأْمِيرِهِ (٢)      فَسَقَى سِهَامَ الْمَجْدِ مِنْ تَأْمُورِهِ

١٠ فإن طعن طاعن على نسيب هذا الشعر، وقال: إن الملوك لا تقابل بمثله،  
والعظماء لا تتلقى بشبهه، قلنا: ذلك لجهله بأخبارهم، وقلة روايته لآثارهم؛  
ولو شئت أن أملاً الصحف وأرقم القراطيس بما جرى عند الملوك ومعهم،  
وما استعمل لهم، وتوصل به إليهم، لفعلت، ولكنتي اقتصرت من ذلك على  
قريب مُعْجَب، واكتفيت منه بحديث مُطْرَب.

١٥ قال ابن بسام: وأُشْدَّ أبو عامرٍ إثر هذا قِطْعَةً شِعْرٍ لِأَبِيهِ، هِيَ ثَابِتَةٌ  
فِي الْقِسْمِ الرَّابِعِ مِنْ هَذَا التَّصْنِيفِ، قَالَ فِيهَا:

قَهْمَةُ الْإِبْرِيْقِ مِنِّي ضَحِكًا      وَرَأَى رِغْشَةَ رِجْلِي فَبَكَى  
ثُمَّ قَالَ: فَإِنْ اسْتَهَلَّ الطَّاعِنُ صَارِحًا، وَقَالَ: هَكَذَا الشُّعْرُ، وَهَكَذَا الطَّبَعُ،

(١) و: «ومحنتي بمجديره» - لب: «بمجدوره» - ب: «بمجدوره»

(٢) ر، و: «تأثير»

وهذا الماء رقةً وعذوبةً ، والهواء لطافةً وسهولةً ، لا ما كنا فيه من الشنائع والقعاقع ، قلنا له :

أَذَنَ الدَّيْكَ فُتْبُ أَوْ ثَوْبٍ      وانْضَحَ القَلْبَ بِمَاءِ العِنَبِ  
وَتَأَمَّلْ آيَةَ مُعْجِزَةَ      مَا قَرَأْنَا مِثْلَهَا فِي الكُتُبِ  
رَكْعِ الإِبْرِيْقِ مِنْ طَاعَتِهِ      وَبَكَى فَابْتَلَّ ثَوْبُ الأَكُوْبِ  
وَلَوْلَ المِزْهَرُ يُنْفِي كُرْبِي      وَتَطَرَّبْتُ فَاعْيَا طَرَبِي  
وَرَبِيبِ قَامَ فِينَا سَاقِيَا      كَالرَّشَا أُرْضِعَ بَيْنَ الرَّبْرِ  
ظَلِيْبَةُ دُونَ الصَّبَايَا قُصِّتْ      فَآتَتْ غِيْدَاءَ فِي شَكْلِ الصَّبِي  
فُتِّحِ الوَرْدُ عَلَى صَفْحِهَا      وَحَمَاهُ صُدْغُهَا بِالعُقْرِ  
فَمَشَتْ نَحْوِي وَقَدْ مُلِكْتُهَا      بِشِيَةِ العُصْفُورِ نَحْوِ الثَّغْلَبِ

ومنها :

وغمَامٍ بَاكَرْتَنَا عَيْنُهُ      تُتْرَعُ الأفقُ بِدَمْعِ صَيْبِ  
مِثْلَ بَحْرِ جَاءَنَا مِنْ فَوْقِنَا ،      جِرْمُهُ مِنْ لَوْلُوٍ لَمْ يُثْقَبِ  
فَدَنَا حَتَّى حَسِبْنَا أَنَّهُ      يَمْسُحُ الأَرْضَ بِفَضْلِ الهَيْدَبِ  
فَسَأَلْنَاهُ ، وَقَدْ أُعْجَبْنَا      حَسُوهُ العَيْنِ بِمَرَأَى مُعْجِبِ :  
أَنْتَ مَاذَا ؟ قَالَ : مُزْنٌ عَلِمْتُ      كَفَّهُ النُّجْعَةَ كَفًّا دَرَبِ  
سَامِنِي بِالشَّرْقِ أَنْ أُسْقِيَكُمْ      رَحْمَةً مِنْهُ بِأَقْصَى المَغْرِبِ  
فَسَأَلْنَاهُ : أَيْنَ ذَاكَ لَنَا ،      قَالَ : هَلْ يُخْفَى ضِيَاءُ الكَوْكَبِ ؟  
مَلِكٌ نَاصِبٌ مَنْ خَالَفَكُمْ      عَامِرِي المُنْتَمَى وَالمَنْصِبِ <sup>(١)</sup>  
فَعَلِمْنَا أَنَّهَا نَفَحَتْهُ مَنْ      وَرَثَ الجُودَ أَبَا بَعْدَ أَبِ

(١) لم يقع هذا البيت في ب ، لب

- لَكَ كَفٌّ بِالْثَرِيَّا فَيَضُهَا      وَلَهَا بَسْطُ النَّدَى مِنْ كَشَبِ  
 كَقَلِيْبٍ دَلُوْهَا مُتْرَعَةٌ      أَشْرَقَتْ بِالْمَاءِ عَقْمَدَ الْكَرْبِ  
 تُبْصِرُ الْعَيْنَانِ مِنْهُ إِنْ بَدَا      قَمَرَ السَّرْجِ وَشَمْسَ الْمَوْكِبِ  
 أَنْجَبْتَهُ لِمَعَالِي أُسْرَةٍ (١)      نَزَلُوا لِلْمَجْدِ أَعْلَى الرُّتَبِ  
 ٥      بِنُفُوسٍ مِنْ سَنَاةِ غَضَّةٍ      فِي جُسُومٍ بَضَّةٍ مِنْ حَسَبِ  
 وَوُجُوْهِ مُشْرِقَاتٍ أَوْمَضَتْ      ضَاْحِكَاتٍ فِي وَجُوْهِ الْكَرْبِ  
 لَهُمْ أَيَّامُ حَرْبٍ كَثُرَتْ      فِي عِدَاهُمْ دَاعِيَاتِ الْحَرْبِ  
 لَمْ يُطِيقْ عَامِرٌ قَدَمًا مِثْلَهَا      لَا وَلَا عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكِرِبِ  
 سَحَبُوا مِنْ ذَيْلِ مَجْدٍ إِذْ هُمْ      لِلْوَعَى فِي ظِلِّ نَقْعِ أَشْهَبِ  
 ١٠      يَا ابْنَ أُمِّ الْمَجْدِ خُذْهَا عِبْرَةً      جِدَّ قَوْلٍ يُشْتَهَى كَاللَّعِبِ  
 مِنْ بَنَاتِ اللَّبِّ زَانَتُكَ كَمَا      زَانَ صَدْرَ الْمُهْرِ حَلَى اللَّبِّ  
 خَمْرَةٌ مِنْ طِيْبِهَا قَدْ سَبِيَتْ      قَطَعَتْ نَحْوَكَ عَرْضَ السَّبَبِ

- فَإِنْ يُرَاجِعْ — أَعَزَّكَ اللهُ — الْمُؤْتَمَنَ مَنْصِفًا فَهُوَ أَوْلَى بِهِ وَأَسِيرٌ لَهُ ،  
 لَا كَقَوْمٍ عِنْدَنَا ، حَظُّهُمْ مِنَ الْفَهْمِ الْحِفْظُ ، وَمِنَ الْعِلْمِ الذِّكْرُ ، وَهَذَا حَظُّ  
 ١٥      الْقِصَاصِ ، وَأَعْلَى مَنَازِلِ النُّوَّاحِ ، فَتَرَى الْمَمْخَرِقَ مِنْهُمْ إِذَا قُرِيَ عَلَيْهِ الشَّعْرُ  
 يَزْوِي أَنْفَهُ ، وَيَكْسِرُ طَرْفَهُ ؛ وَإِذَا عُرِضَتْ عَلَيْهِ الْخُطْبَةُ يُمِيلُ شِقَّهُ ، وَيَلْوِي  
 شِدْقَهُ ، فَإِنْ تَنَاوَلَهُمَا لَمْ يُبْقِ مِلْحَةً إِلَّا حَشَدَهَا ، وَلَا أَبْقَى عَفْصَةً فَجَّةً إِلَّا جَلَبَهَا .  
 وَأَصْلُ قِلَّةِ هَذَا الشَّانِ ، وَعَدَمِ الْبَيَانِ ، فَسَادُ الْأَزْمِنَةِ ، وَنُبُوُّ الْأَمَكِنَةِ ؛ وَإِنَّ  
 الْفِتْنَةَ نَسَخَ لِلْأَشْيَاءِ ، مِنَ الْعُلُومِ وَالْأَهْوَاءِ ، تَرَى الْفَهْمَ فِيهَا بَائِرَ السَّلْعَةِ ، خَاسِرَ  
 ٢٠      الصَّفْقَةِ ، يُلْحَقُ بِأَعْيُنِ الشَّنَّانِ ، وَيُسْتَثْقَلُ بِكُلِّ مَكَانٍ . هَذَا دَأْبُنَا (٢) وَحَرْبُنَا .

(١) ر : « أسوة » (٢) ر ، و ، ه ، لب : « رأينا »

إِنَّا طَلَبْنَا الْبَيَانَ ، فَأَدْرَكْنَاهُ بِكُلِّ لِسَانٍ ، وَالتَّمَسْنَا الْإِبْدَاعَ فَأَثْبَتْنَا كُلَّ مُعْجِبٍ ،  
وَأَتَيْنَا عَلَى كُلِّ مُطْرَبٍ ، فَمَا سَقَطْنَا عَلَى سُوقَةٍ يَهْشُ إِلَيْنَا ، وَلَا دَفَعْنَا إِلَى مَلِكٍ  
يَضْبُو بِنَا ؛ وَلَيْتَ إِذْ لَمْ يَكُنْ غُفْمٌ ، أَلَّا يَكُونَ غُرْمٌ ! وَوَدِدْنَا أَنَّا بَرَاذِخُ لَا حَرْبُ  
وَلَا سَلْمٌ ، وَلَا يَقْطَعُ وَلَا حُلْمٌ ؛ كَفَىٰ بِذَلِكَ إِحْهَاءَ عَلَى الزَّمَنِ . وَلَوْلَا أَنَّ الْمُؤْمِنَ نَجْمٌ  
مِنَ تِلْكَ الْأَنْجُمِ الْكَرِيمَةِ ، وَفَرَعٌ مِّنَ تِلْكَ الدَّوْحَةِ الْقَدِيمَةِ ، أَمْسَكَ عَلَى الدُّنْيَا  
عَيْنَهَا ، وَحَفِظَ عَلَيْهَا زِينَهَا ، لَقُلَّتْ : إِنَّهَا نَسْخٌ ، وَإِنَّ أَصْلَهَا مَسْخٌ ، سَنَاوْهَا لِلثِّمِ  
أَوْ وَغْدٌ ، وَزِمَامُهَا بَيْدٌ بَوْمٌ أَوْ قِرْدٌ .

وله من أخرى ، إلى الوزير ابن عباس :

وَلَمَّا أَسْنَدْتُ مِنْكَ إِلَى هَضْبَةٍ لَا انْحِرَامَ مَعَهَا ، وَاسْتَمْسَكْتُ بِعُرْوَةٍ  
لَا انْفِصَامَ لَهَا ، إِذْ وَرَدَ عَلَيَّ كِتَابُ رَسُولِي إِلَيْكَ ، يَذْكُرُ تَغْيِيرَكَ لَهُ ، وَأَنْكَرْتُ  
ذَلِكَ عَلَيْكَ ، ثُمَّ تَذَكَّرْتُ قَوْلَهُمْ : مَا نَزَلَ حَتَّى رَجَلَ ، وَقَوْلَ الْآخِرِ :  
كِرِيشَةٍ بِهَبِّ الرِّيحِ سَاقِطَةٍ لَا تَسْتَقِرُّ عَلَى حَالٍ مِنَ الْقَلْقِ (١)

وفي فصل :

وَقُلْتُ : أَيَسْتَنَوِقُ الْجَمَلُ ، وَيَتَضَعُ الْكُوكَبُ ، وَتَخْفُ حَصَاةُ الْحِلْمِ ،  
وَيَتَضَعُ جَبَلُ الْعَمَلِ وَالْعِلْمُ ، وَيَكْبُو جَوَادُ الْهَمِّ ، وَتَزِلُّ نَعْلُ الْكَرَمِ ، وَتَغْلِبُ  
الدُّنْيَا الدِّينَ ، وَيَسْطُو الشُّكُّ بِالْيَقِينِ ؟ ثُمَّ تَذَكَّرْتُ عَلَمِي بِكَ ، وَقَوْلِي فَيْكَ :  
غَيْرَ أَنِّي مَعَ الْوَزِيرِ أَبِي الْقَا سِمَ حِزْبٍ مَّحْضٍ مِنَ الْأَحْزَابِ  
التَّقِيُّ النَّقِيُّ كَهْلًا وَطِفْلًا فَارِسُ الْجَيْشِ رَاهِبُ الْمِحْرَابِ  
فَعَلِمْتُ أَنَّكَ صَاحِبُ مِحْرَابٍ ، وَمُؤْمِنٌ بِآيَةِ الْكِتَابِ ؛ فَتَلَّتْ الْأَوْهَامَ



للجباه<sup>(١)</sup> ، وكَبِحَتْ الظُّنُونُ كَبْحَةً أَقْعَدَتْهَا عَنِ الْأَشْبَاهِ<sup>(٢)</sup> ، ولم تَبِيقَ إِلَّا بِمِيَّةٍ  
من قولِ القائل :

ولو تَرَكَ النَّاسُ الْمُلُوكَ لِأَحْسَنُوا وَلَكِنَّ أَوْلَادَ الزَّيْنَاءِ كَثِيرٌ  
فَبِحِشْتُ عَمَّنْ طَرَأَ عَلَيْكَ مِنَ الْأَنْدَالِ ، وَحَلَّ بِسَاحَتِكَ مِنَ الْأَعْلَاجِ ،  
فقيل لي : ابنُ فَتْحٍ . فَأَنْعَمْتُ الْبَحْثَ ، وَأَعْمَلْتُ لَطَائِفَ الْكَشْفِ ، حَتَّى صَحَّ ٥  
عِنْدِي أَنَّهُ كَدَّرَ صَفْوَكَ عَلَيَّ ، وَغَيَّرَ شَرِبَكَ لَدَيَّ ، فَقُلْتُ : مِنْ هَاهُنَا أُتِينَا ،  
وَمِنْ هَذِهِ الْقَوْمِ اللَّثِيمَةِ رُمِينَا ؛ وَقَصَصِي مَعَ هَذَا الْعِلْجِ طَوِيلٌ .

وفي فصلٍ منها :

ولم يَرَاكَ يَسْعَى لِإِفْسَادِ تِلْكَ النَّيِّاتِ حَتَّى فَسَدَتْ وَانْتَقَضَتْ ، وَزَادَ فِي  
إِفْسَادِ الضَّمَائِرِ ، وَرَامَ التَّدْيِيرَ مِنْ غَيْرِ طُرُقِ الْأَكْبَارِ ، حَتَّى تَلَفَ وَأَتَلَفَ ، ١٠  
وَكَانَتْ الْعَاقِبَةُ مَا عَايَنْتَ ، وَالْمَعْبُتَةُ مَا شَاهَدْتَ ؛ وَلَقَدْ سَأَلَنِي أَبُو جَعْفَرٍ أَنْ يَنْفَرِدَ  
ذَاتَ يَوْمٍ بِأَكْبَرِ وَزِيرَيْنِ عِنْدَنَا ، وَوَجَّهَنِي فِيهِمَا ، وَحَضَرَ ، فَفَنَفَثَ هَذَا السَّاحِرُ  
فَانصَرَفاً ، فَاخْطَبْتُهُ بِأَيِّاتٍ أَقُولُ فِيهَا :

هَلَّا سَتَرْتَ الشَّيْنَ بِالزَّيْنِ مِنْ قَبْلِ إِحْضَارِ الْوَزِيرَيْنِ ؟  
قَدْ عَلِمَا أَنَّهُمَا أُحْضِرَا لِخَلْوَةٍ أَثْقَلَ مِنْ دِينِ ١٥  
لَمَّا تَدَانَتْ قَابَ قَوْسَيْنِ أَصَابَهَا الْحَاسِدُ بِالْعَيْنِ  
فَانصَرَفاً مِثْلَ انصِرَافِ الْفَتَى أَسْلَمَ الْفَأْ لِيَدِ الْبَيْنِ  
صَدَّهُمَا<sup>(٣)</sup> مِنْ قِرْدِكَ الْمُصْطَفَى نَطَحَهُ نَطَاحَ بَرِّوَقَيْنِ  
وَمَا رَأَى النَّاسُ عَلَى مَا مَضَى مِنْ قَبْلِهِ قِرْدًا بَقْرَيْنِ

(١) ب ، لب : « للحياة »

(٢) ب ، لب ، وه : « على الأستاه »

(٣) ر : « حدهما »

أَرْبَعَةٌ فِي مَجْلِسٍ جُمِعُوا      فَطَارَ هَـذَانِ بِهِدَيْنِ  
 قَدْ لَزِمَا جَنْبَيْكَ لَمْ يَبْرَحَا      لَهْنِي عَلَى ضَمِيعةٍ جَنْبَيْنِ  
 فَأَنْتَ مَا بَيْنَهُمَا جَالِسٌ      جُلُوسَ أَيْرٍ بَيْنَ خُصَيْنِ  
 وَمَا كَانَ هَذَا الْقِرْدُ أَهْلًا لِأَنْ يُحْمَلَ عَلَيْهِ حُرٌّ كَلَامٍ ، وَلَا يُرْمَى بِفَضْلِ  
 بَيَانٍ . وَبِالْحَرِّ أَنْ يُرْقَمَ عَلَى عَتَبَةِ دُكَّانٍ ، <sup>(١)</sup> أَوْ يُصَوَّرَ عَلَى بَابِ حَمَامٍ <sup>(٢)</sup> ،  
 وَقَدْ غُرِسَ فِي وَجْعَائِهِ رَأْسُ نَخْلَةٍ ، وَحَيَّ فِي سَعَفِهَا عُشُّ نَحْلَةٍ ؛ أَوْ يُنْقَشَ فِي  
 خَاتَمِ <sup>(٣)</sup> ، وَقَدْ عَلَاهُ خَنْزِيرٌ ، وَعَطِسَ مُسْتَنْجَاهٌ بِإِبْرَةِ زُنْبُورٍ ، فَإِنَّهُ بَقِيَّةٌ مِنْ  
 بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ اسْتَحَلُّوا الْحَرَامَ ، وَاجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ وَالْآثَامَ ؛ فَلَمَّا عَتَوْا  
 عَمَّا نَهَوْا عَنْهُ ، قِيلَ لَهُمْ كُونُوا قِرْدَةً خَاسِثِينَ ، فَجُعِلَتْ نِكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا  
 وَمَا خَلَفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ <sup>(٤)</sup> .

١٠  
 وَلَوْلَا أَنَّهُ مُنْتَسِبٌ إِلَى آلِ هَاشِمٍ ، إِلَى عِصَابَةِ أَقْلَنِي كَرْمِهِمْ ، وَأُظْلَمَتِنِي  
 نِعْمُهُمْ ، وَمُسْتَنْدٌ عَلَى الْعَلَاتِ <sup>(٥)</sup> مِنْ أَبِي جَعْفَرٍ ، إِلَى وَزِيرٍ كَانَ لِي وَزَرًا ، رَقَرِقَ  
 شَرَابِي ، وَأَخْصَبَ بِهِ جَنَابِي ؛ لِأَدْرَتْ بِدَارِهِ دَائِرَةَ السَّوِّءِ ، وَسَرَيْتُ إِلَيْهَا فِي لُتْمَةٍ  
 مِنْ صَعَالِيكَ الْأَحْرَارِ ، وَصَمِيمِ الرِّجَالِ ، فَأَحْرَقْتُهَا عَلَى نَازِلِهَا ، وَجَعَلْتُ عَلَيْهَا  
 سَافِلَهَا ، امْتِثَالًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي دِيَارِ قَوْمِ لُوطٍ <sup>(٦)</sup> ؛ فَالسَّائِعُ لَدَيْنَا أَنَّهَا قَرَارٌ لِبَنَاتِ  
 السَّحْقِ ، وَبِرِكَهٍ لِسَمَكَاتِ الْعَشْقِ ، يَتَنَا كَحُّ بِهَا النَّسْوَانِ بَعْضُهُنَّ إِلَى بَعْضٍ  
 بِالصَّدَقَاتِ ، وَيَسْتَعْمِلْنَ حَرَزَ جُلُودِ الْبَقْرِ فِي الْكَبِيرِ نَجَاتٍ <sup>(٧)</sup> . فَاللَّهُ اللَّهُ فِي  
 قَبُولِ هَذَا الْقِرْدِ وَالْإِلْتِبَاسِ بِهِ ، فَإِنَّهُ قُدَارٌ مَنْ لَزِمَهُ ، وَهُوَ وَالْفَرَضِيُّ رَضِيعًا لِبَنَانٍ ،  
 وَفَرَسًا رِهَانًا ، وَلِذَا لَمْ يُؤَثَّرْ فِيهِ إِذْ نَفَرَهُ عَلَى الرَّأْسِ ، لِأَنَّ الْأَفْعَى لَا تَقْتُلُهَا نَهَشُهُ

(١-١) ر ه في ب ، لب (٢) ر : « خاتم قيار » — ب ، لب « خاتم قيار »

(٣) راجع سورة ٢ : ٦٥ ، ٦٦ (٤) ر ، لب : « الفلات »

(٥) راجع سورة ١١ : ٨٢ (٦) في جيم الأصول : « الكرنجات »

الأفعى . وأخافُ عَلَيْكَ عَادِيَتَهُ ، وَأَتَّقِي عَلَى أَيَّامِكَ بَادِرَتَهُ ؛ كَانَ اللهُ خَلِيفَتِي عَلَيْكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ ! وَاللهُ اللهُ فِي إِعَادَةِ نَفْحَتِهِ مِنْ كِرَامٍ نَفْحَاتِكَ عَلَى قَرْيَةِ أَبِي الْجُودِيِّ ، فَلَوْ أَنَّهَا الْجُودِيُّ كِرَامَةٌ ، وَقَرْيَةُ النَّمْلِ عِمَارَةٌ ، لَقَلَّتْ فِي جَنْبِ مَا أَتَفَقَى بِهِ مِنْ شُكْرِكَ ، وَأَتَرْتَمُ بِهِ مِنْ تَقَرُّبِكَ وَمَدْحِكَ . وَالَّذِي أَسْتَقْبَلُهُ مِنْ ذَلِكَ أَكْثَرُ . عَلَى<sup>(١)</sup> أَنْ أُهْدِيَ مِنْ ذَلِكَ لَطِيمَةً إِلَى جَارَتِكَ الْقَيْرَوَانِ ، وَأُخْرَى ٥ إِلَى حَبِيبَتِكَ مَكَّةَ بَيْتِ الرَّحْمَنِ ، بِكَلَامِ عَذْبٍ ، وَمَسَاقِ رَطْبٍ ، يُسْكِي الْحَجِيجَ ، وَيَقْدَحُ نَارَ الْعَجِيجِ ، تَحْنُ لَهُ الرَّبَابُ ، وَتَرَقُّ لَهُ الْأَعْرَابُ . وَاعْلَمْ أَنَّ نِعْمَتَكَ فِيهَا ، لَشَهْرَتَهَا بِكَ ، وَارْتِفَاعُهَا بِارْتِفَاعِكَ ، مَكْتُوبَةٌ بِكَفِّ الثَّرِيَاءِ فِي مَفْرِقِ السَّمَاءِ ، نُورُهَا الْهِنَعَةُ ، وَعَيْنُهَا الشُّوْلَةُ ، وَمِيمُهَا النَّثْرَةُ ، فَإِنْ أَعْقَبْتَهَا « لَا » ، كَانَ الدَّبْرَانُ كَاتِبَهَا عَلَيْكَ ، تَرْمُقُهَا الْأَبْصَارُ ، عَلَى انْتِزَاحِ الْأَقْطَارِ . ١٠

## وفي فصل :

وَبَحَثْتُ عَلَى مَنْ تَجَرَّدَ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ وَتَفَرَّغَ لِلِاسْتِغْفَالِ بِهِ ، فَوَقَعْتُ عَلَى الْكَاتِبِ الْوَزِيرِ ، الْيَقِظِ النَّحْرِيِّ ، خَالِدِ بْنِ يَزِيدِ الْكَيْمِيَّائِيِّ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْفَرَضِيِّ ، فَقُلْتُ : سِنَشِنَةُ أَعْرِفُهَا مِنْ أَحْزَمٍ ، لَا يَصْلُحُ لِلْأَفْعَى مَرَادُ الرَّوْضِ ، وَلَا زُرُودِ الْحَوْضِ ، وَلَا يَدْفَعُ لَوْمَ الْكَلْبِ ، كَرَمُ الصَّخْبِ ، وَإِنَّمَا ١٥ الْأَخْلَاقُ ، جَارِيَةٌ عَلَى الْأَعْرَاقِ وَالْأَفْعَالِ ، مَأْخُودَةٌ عَنِ الْأَعْمَامِ وَالْأَخْوَالِ ؛ وَهَذَا الْمَذْكَورُ مَشْتُومٌ ، أَدْوَى مِنْ مُومٍ ، وَأَشَامُ مِنْ بُومٍ ، يُسْبِي لِعَيْنِ أَحْسَنَ إِلَيْهِ ، وَمِنْ أَجَارِهِ تَجَنَّى عَلَيْهِ ؛ مَنَّتَهُ نَفْسُهُ عَلَى ضَيْقِ نَفْسِهَا مُلْكَ الْمُلُوكِ ، وَإِحْيَاءَ وَقَائِعِ الْيَرْمُوكِ ، فَارْتَبَكَ فِيمَا ارْتَبَكَ ، وَلَوْلَا الْقَدَرُ لَطَحْنَتَهُ الرَّهْكَ ، لَقَدْ أَخْطَأَتْ ٢٠ اسْتُهُ الْحَفْرَةَ ، وَمَا ثَبَّتَ عِنْدَ الثُّغْرَةِ ! أَوْلَى لَهُ ! لَقَدْ خَبْتُ مَغْرِسُهُ عَمَّا حَاوَلَ ،

(١) في الأصول : « منى »

وَلَوْ لَمْ مَعْطُسُهُ عَمَا تَنَاوَلْ ؛ وَهِيَهَاتَ لَا تُبْصِرُ الشَّمْسَ الْعُمْسَ ، وَلَا تَهْتَدِي السُّبُلَ  
 الْخُفْسَ . وَإِنِّي لِأَخَافُ عَلَى سَعْدِكَ نَحْسَهُ ، وَأَحْذَرُ عَلَى يَوْمِكَ أَمْسَهُ ، أَفْقَدَهُ  
 اللَّهُ حِسَّهُ ، وَأُورِدُهُ الْكَنْيْفَ رَمْسَهُ ، فَإِنَّهُ لَوْ جَاوَزَ الْبَحْرَ لَسَدَّهُ ، وَلَوْ جَاسَ  
 أَبَا قُبَيْسٍ لَهَدَّهُ . وَمَا أَبِيدُ أَنْ تُمْنِيَهُ نَفْسُهُ الْخَبِيثَةُ الْفَتَكُ بِكَ ، وَالْوُثُوبَ عَلَيْكَ ،  
 فَإِنَّ أَمْرَهُ <sup>(١)</sup> أَسْخَفَ ، وَصَفَاقَةَ مُحَّهْ أَشْفَ ، مِنْ الْأَيَّجِرِيِّ هَذَا التَّجْرِيِّ ، وَلَا يَرِمِي  
 هَذَا الْعَرْمَى ؛ وَرَبَّمَا سَاعَدَهُ الْقَدَرُ : هَذَا حَمْرَةٌ قَعَصَهُ وَحَشِيَّتِي ، وَبِسْطَامَ صَرَعه  
 عَاصِمِ ، وَكِسْرَى فَتَكَ بِهِ مَرَازِبَةً لَهُ .

وَكَتَبَ الْوَزِيرُ أَبُو مَرْوَانَ ابْنَ الْجَزِيرِيِّ ، إِلَى الْوَزِيرِ أَبِي عَامِرِ

ابن شهيد <sup>(٢)</sup> :

١٠ قُلْ لِلْوَزِيرِ الَّذِي بَأَنْتَ فَضَائِلُهُ وَقَامَ فِينَا مَقَامَ الْغَيْثِ نَائِلُهُ  
 إِذْ بَانَ فَضْلُهُ مَسَاعِيهِ وَهَمَّتِهِ بَيْنَ لَنَا شَرَحَ مَعْنَى سَأَلَ سَائِلُهُ :  
 أَوَاخِرُ الْوَرْدِ إِذْ تَجَنَّبَهُ مُلْتَقِطًا أَزْكَى وَأَعْطَرَ نَشْرًا أَمْ أَوَائِلُهُ ؟  
 وَأَيُّ حَالِيهِ مَوْجُودًا وَمُفْتَقِدًا أَوْلَى وَأَجْدَرُ أَنْ تُرْعَى وَسَائِلُهُ ؟  
 وَقَدْ أَتَاكَ لِتَوَدِّعِ عَلَى عَجَلٍ خُضْرًا مَقَانِعَهُ ، حُمْرًا غَلَابِلُهُ  
 فَا مَنَحَهُ مِنْكَ قَبُولًا وَأَقْضِ نَهْمَتَهُ مِنْ الْوَدَاعِ فَقَدْ زَمَّتْ رَوَاجِلُهُ  
 ١٥ فَأَجَابَهُ :

يَا سَيِّدًا أَرْجَتْ طَيْبًا شَمَائِلُهُ وَشَاكَهَتْ شَعْرَهُ حُسْنًا رَسَائِلُهُ  
 وَسَائِلًا لِي عَمَّا لَيْسَ يَجْهَلُهُ وَلَا الَّذِي كُفِّفَ التَّنْفِصِيلَ جَاهِلُهُ  
 الْوَرْدُ دَعْدًا وَنَشْرًا صِنُوعُ عَهْدِكَ ، لَا تُنْسِي أَوَاخِرَهُ طَيْبًا أَوَائِلُهُ  
 وَوَصَلُهُ فِي كِلَا الْحَالَيْنِ مُفْتَرَضٌ سَيَّانٍ قَاطِعُهُ جَهْلًا وَوَاصِلُهُ  
 ٢٠

(١) ب ، لب ، و ، ه : « سره » (٢) لم يقع هذا الفصل إلا في ب ، لب

فَالْعُودُ يَخْفُقُ ، وَالزَّمَارُ يَتَّبَعُهُ ، وَهَاجِرُ الرِّاحِ قَدْ هَاجَتْ بِلَابِلُهُ  
تُخْبِرُ بِمِثْلِ الَّذِي أَنْتَ الْعَلِيمُ بِهِ أَيَّامُنَا وَالصَّبَا تُعْصَى عَوَاذِلُهُ

قال أبو الحسن : وقد ضارَعَ أبو عامر هذا محاسن الطبقة العالية  
البغدادية المضارعة التي بانَتْ فيها قُوَّتُهُ ، وَلَدَنْتَ اختراعاته ومقدِّرته (١) ،  
فصار يتناول المعنى الحسن فيصيرُه محسًا بحسن مساقه ، فمنها وصفه للنحل  
والعسل : واسعة الأكَفَالِ والصُّدُورُ مرهفة . ووَصَفَ البُرْعُوثَ فقال : أَسْوَدُ  
زَنْجِي . ووَصَفَ البُعُوضَةَ فقال : مَلِيكَةٌ لَا جِيْشَ لَهَا سِوَاهَا . ووَصَفَ التَّغْلَبَ  
فقال : أَدْهَى مِنْ عَمْرُو . فهذه أوصاف لو رامها غيره لكبا جواد بنانه ، وتبا  
حسام لسانه . وقد عارضه فقال في صفة النحلة :

١٠      وَطَائِرَةٌ تَهْوِي كَأَنَّ جَنَاحَهَا      صَمِيرٌ خَنِيٌّ لَا يُحَدِّدُهُ وَهْمٌ  
مُلازِمَةٌ لِلرَّوْضِ حَتَّى كَانَمَا      لَهَا كُلُّ مَا تَقْتَرُّ عَنْهُ الرَّبِّي طُعْمٌ  
تَمُجُّ بِفِيهَا الشَّهْدَ صِرْفًا وَيَخْتَنِي      لِمَشْتَارِهِ مَا بَيْنَ أَحْشَائِهَا سَهْمٌ  
مُنَافِرَةٌ لِلْإِنْسِ ، تَأْنَسُ بِالْفَلَا      مُفَرِّقَةٌ لِلشَّهْدِ ، مِنْ بَعْضِهَا الشَّمُّ  
فَإِذَا نَآوَاهَا رُشِدٌ ، وَهَتَكَ حِجَابَهَا      إِذَا احْتَجَبَتْ فِي غَيْرِ أَيَّامِهَا ظُلْمٌ

وقال في صفة البرغوث :

١٥      وَمَنْفَرٌ لِلنَّوْمِ مَسْكَنُهُ ، إِذَا      نَامَ الْمَلَكُ ، بَيْنَ أَشْنَاءِ الثِّيَابِ  
يَسْرِي إِلَى الْأَجْسَامِ يَهْتِكُ عَدْوُهُ      عَنْ كُلِّ جِسْمٍ صَيْغَ التَّعْمَى حِجَابِ  
وَيَعْصُ أُرْدَافَ الْحِسَانِ وَمَالَهُ      كَفٌّ وَلَكِنْ قُوَّةٌ مِنْ أَعْدَى الْحِرَابِ  
مُتَحَكِّمٌ فِي كُلِّ جِسْمٍ نَاعِمٍ      مُتَدَلِّلٌ مَا بَيْنَ أَلْحَاطِ الْكِعَابِ  
فَإِذَا هَمَّتْ بَرْجَرِهِ وَلى وَلَا      يَثْنِيهِ (٣) عَمَّا قَدْ تَعَوَّدَهُ طَلَابِ

(١) ب ، لب : « معذرتة » (٢) كذا بالأصل (٣) في الأصل : « لم يثنه »

وَتَرَى مَوَاضِعَ عَضِّه مَخْضُوبَةً      بَدَمِ الْقُلُوبِ وَمَا تَعَاوَرَهُ خِضَابُ  
قَرْمٌ مِنَ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ مُكَوَّرٌ      يَمْشِي الْبَرَّازَ وَمَا تُوَارِيهِ ثِيَابُ  
عَظُمَتْ رَزِيَّتُهُ وَلَكِنْ قَدْرُهُ      أَخْزَى وَأَهْوَنُ مِنْ ذُبَابٍ فِي تَرَابِ

رَجْعٌ . وَلَهُ (١) :

تَخَلَّصَكَ اللَّهُ مِنْهُ ! ثَلَاثَةٌ مُشْمُومٌ : سُمٌّ أَفْعَى وَعَقْرَبٌ وَيَعْسُوبٌ نَحْلٌ . شَرِبَ  
الماءَ وَاوَدَّ وَعِنْدَهُ حَشَائِشٌ اسْتَفَادَهَا مِنْ كِيمِيَّاتِهِ ، تَكْفِيهِ (٢) وَعِثَاءٌ عَنَانِهِ ، إِذَا رَامَ  
فَتَكًّا أَوْ حَاوَلَ وَثَبًا . وَإِذَا قَدِ اطَّرَدَ هَذَا الْقَوْلُ ، وَانْتَالَتْ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ ،  
فَلَا بُدَّ مِنْ تَعْرِيفِ الْمُوَفَّقِ — وَقَفَّهَ اللَّهُ — أَصَلَ هَذَا الْفَاسِقِ وَقَفَّرَعَهُ ، وَإِنْ  
كَلَّفْتُهُ تَطْوِيلَهُ وَسَجَّعَهُ : صَحِبْتُهُ مِنْذُ أَعْوَامِ ، أَيَّامَ اخْتِلَافِنَا إِلَى الزَّاهِرَةِ ، وَإِذْ تَلَكَّ  
المواطنُ قَائِمَةٌ غَيْرُ دَائِرَةٍ ، وَبِالْعُرْرِ مِنْ آلِ عَامِرٍ عَامِرَةٍ ، وَكُنَّا كَثِيرًا مَا تَنَدَّازَسُ  
ضُرُوبَ الْعِلْمِ : مِنْ أَدَبٍ وَخَبَرٍ وَقِفِّهِ وَطِبِّ وَصَنْعَةٍ وَحِكْمَةٍ ؛ عَلَى أَنَّهُ فِي أَهْلِ  
الْفَهْمِ (٣) «أَوْ عَمَرُو ، أَوْ لِسَانُ بَطْرٍ . وَكَانَ — وَلَا أَشْعُرُ — يُدَالِسُ وَيُوَالِسُ ،  
قَدْ اسْتَهْتَرَ عَلَى الْفُلُوسِ ، وَاسْتَهْتَلَكَ عَلَى التَّدْلِيسِ ، وَصَارَ فِي ذَلِكَ وَضَحَ النَّهَارِ ،  
وَنَفْخَةَ الْمِزْمَارِ ؛ لَوْ لَمَسَ الْبُدُورَ لَعَادَتْ زِيُوفًا ، أَوْ تَنَاوَلَ الشُّمُوسَ لَغَشَّاهَا كُسُوفًا ،  
وَقَصَدْتُهُ يَوْمًا ، عَلَى جَهْلٍ بِتِلْكَ الْخَلِيقَةِ مِنْهُ ، لِأَسْتَرِيحَ إِلَيْهِ ، وَأُلْقِيَ مِنْ شَيْئِي  
عَلَيْهِ . فَالْفَيْتُهُ قَدْ خَلَا بَابُهُ ، وَغَابَ بَوَابُهُ ، فَوَلَجَتْ فَنَارٌ إِلَى صَبِيٍّ غَرِيْرٍ أَصَبْتُهُ  
هِنَالِكَ قَائِلًا لِي : طَالَ انْتِظَارُنَا لَكَ ! وَتَقَدَّمَنِي وَسِرْتُ حَتَّى اتَّهَيْتُ إِلَى دَارِ  
ذَاتِ أَجْوَانِ ، قَدْ غَشِيَهَا دُخَانٌ ، كَقَطْعِ الْعِنَانِ ، تَعَبَقُ مِنْهَا صُنَانٌ ، مِنْ  
زَرْنِيخٍ وَكِبْرِيتِ ، وَزَنْجَفُورٍ وَأَنْزُرُوتِ ؛ فَتَدَاكَرْتُ «يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ

(١) رجع الكلام في ر ، و ه (٢) ب ، لب : « بكفيه »

(٣) ب ، لب : « العلم »

- مُبِينٌ يَغْشَى النَّاسَ ، هَذَا عَذَابُ أَلِيمٍ<sup>(١)</sup> ، فَاسْتَشَعَرْتُ الشَّرَّ ، وَأَرَدْتُ الْفَرَ ،  
 ثُمَّ التَّفْتُ فَإِذَا أَنَا بِأَكْدَاسِ جَبْر ، وَأَلَاتِ تَبْر ، وَأَشْخَاصِ سُودٍ وَصُفْرٍ ؛ ثُمَّ  
 أَفْضَيْتُ إِلَى بَيْتٍ فِيهِ عِدَّةُ أَشْبَاحٍ ، كَأَنَّهَا قُبَاضُ الْأَرْوَاحِ ، غَرَابِيبُ ، بِأَيْدِيهِمْ  
 كَلَالِيبُ ؛ رَزَادِقُ ، قَدْ تَقَلَّدَتْ مَطَارِقُ ؛ فَلَمَّا رَأَوْنِي صَاحُوا : فَضَحَّكُمُ الْوَاغِلُ ،  
 فَامْحَقُوهُ<sup>(٢)</sup> مِنْ عَاجِلٍ ؛ فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَى الْمَنِيَّةِ ، وَخَشِيتُ فَضْلَ الْقَضِيَّةِ ، صَحَّحْتُ  
 إِلَيْهِمْ وَقُلْتُ : تَخَطَّتْكُمْ النِّعْمَةُ ، وَلَا هُدَيْتُمْ سَبِيلَ الْحِكْمَةِ ، أَهْكَذَا تَعَجَّلُونَ ،  
 وَلَا تَدْرُونَ مَنْ تُرِيدُونَ ؟ قَالُوا : وَمَنْ أَنْتِ ؟ قُلْتُ : مَنْ أَخَذَ الطَّلُقَ ، فَسَحَّحَهُ  
 بِالْمَدَّقِ<sup>(٣)</sup> ، وَشَقَّ بِيَدِ الدِّكَاةِ ، عَنْ زَهْرَةِ الْأَشْيَاءِ ، فَبَشَّرَ الْآبَاءَ بِالْأَبْنَاءِ . فَقَالُوا :  
 بِنَارٍ أَمْ بِمَاءٍ ؟ قُلْتُ : بِهِمَا جَمِيعًا وَبِهَوَاءٍ . فَأَوَّضُوا إِلَيَّ ضَاحِكِينَ ، وَاسْتَقْبَلُونِي  
 مُعْتَدِرِينَ ، وَقَالُوا : كِدْتَ وَاللَّهِ أَنْ تُلْتَمِهِمْ ، وَتَكُونِ السَّوَادَ الْمَخْتَرَمَ ! قُلْتُ : وَأَيْنَ  
 أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ؟ قَالُوا : انْفِرْ دَيْرُ قَيْ مَاءٍ بَيْضٍ ، وَيُصَفِّقُ دَمَ حَيْضٍ ، وَغَرَضُهُ اسْتِخْرَاجُ  
 دُهْنِ الْحَجَرِ الْكَرِيمِ ! قُلْتُ : حَبْسٌ<sup>(٤)</sup> حَدِيثٌ أَوْ قَدِيمٌ ؟ فَنَادُوا : أَوَاهُ ، أَوَاهُ !  
 عَلَى الْخَبِيرِ سَقَطِمٌ . ثُمَّ تَلَطَّفْتُ وَخَرَجْتُ ، تَطْلِيرِي رِجَالِي وَقَدْ حَقَّنَ اللَّهُ دَمِي  
 بَعَطْفِهِ ، وَاسْتَنْقَذَنِي مِنْ يَدِي مَنِيَّتِي بِلُطْفِهِ . وَوَصَّتُ لِمَنْ اسْتَوْثَقْتُهُ ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ  
 اسْتَكْتَمْتُهُ ، جُنَاسٌ وَخَاسٌ ، وَكَأَنِّي أَوْدَعْتُ سِرِّي رِيحًا ؛ فَاضْطَغَنَ ذَلِكَ عَلَيَّ ،  
 وَأَكَّدَ ذَلِكَ أَيْضًا مُعَامَلَةً عَامَلَنِي بِهَا أَيَّامَ حَرْبِ الْمَدِينَةِ ، وَكَانَتْ جِبَالَهَا إِذْ ذَاكَ  
 مَنِينَةً ، أَعَقَبْتَهُ وَقَعَ السَّوْطِ عَلَى رَأْسِهِ ، وَعَضَّ الْحِجْلُ عَلَى سَاقِهِ ؛ وَكَانَ الْأَمِيرَ  
 بِهَا أَبُو أَيُّوبَ ابْنَ الْمُرْتَضَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، فَأَعَدَّتْ شِعْرًا نَوَيْتُ أَنْ أُشِيدَهُ إِيَّاهُ  
 أَوَّلَ بَيْعَتِهِ ، وَكَانَ مَا كَانَ ، وَبَلَغَهُ الشَّعْرُ ، فَزَادَتْ نَفْسُهُ لِي خُبْنًا ، وَمِنْهُ :
- ٢٠ فَلَمَّا بَدَأَ فِيهِمْ سُلَيْمَانُ عِنْدَهَا وَصَاحَ ابْنُ ذَكْوَانَ فَنَارَ رِجَالَ

(١) راجع سورة ٤٤ : ١٠

(٢) لب ، لب : « فاستحقوه »

(٣) لب ، لب : « بالبرق »

(٤) ر : « نفس »

هَدَى مِنْ ضَلَالِ الْحَاظِرِينَ مُحَمَّدٌ  
وَأَذَنَ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ بِلَالٌ  
وَقَامَ أَبُو عِمْرَانَ يَرَاهُ صَدْعَهَا  
بِسَعْيٍ (١) تَجَلَّى عَنْ هُدَاهُ ضَلَالٌ  
وَزِيرٌ مَتَى يَسْتَوِزِرُ الْمَلِكُ رَأْيَهُ  
أُمِرَتْ أُهُ فِي النَّائِبَاتِ حِبَالٌ  
وَلَيْسَ كَمَنْحُوسٍ مِنَ الْقَوْمِ مُنْحَسٌ  
تَعَاظَمَ حَتَّى قِيلَ لَيْسَ يُنَالُ  
أَعَانَتْهُ أَمْوَالٌ تَخَوَّنَ عَيْنَهَا  
وَأَعْلَنَتْهُ غُزْرُ سُوْقَةٍ وَسِفَالٌ  
لَهُ كَعْبٌ نَحْسٍ لَمْ يُصَاحِبْ بِهِ امْرَأَةً (٢)  
عَلَى الدَّهْرِ إِلَّا رَدَّ وَهُوَ (٣) حَيْالٌ  
فَفِي كُلِّ عَصْرِ مِنْ عَصُورِ حَيَاتِهِ  
تُثَلُّ عُرُوشٌ أَوْ تُدَكُّ جِبَالٌ  
هُوَ الدَّاءُ فَاسْتَأْصَلَهُ تَلْبَسُ جَمَالُهَا  
وَدَاهُ كَعُوبِ الْمُنْحَسِينَ عُضَالٌ

ولما قُضِيَ ما قُضِيَ ، ووقعت تلك الهنات ، ودرج أبو أيوب وعظم تأسفي ،  
رَمِيَتْهُ بِأَيَاتٍ بَلَّغَتْهُ ، فاضطكت أجرام عداوته ، وأخذ في وجوه مطالبته ، منها :

نَالَتْ سُلَيْمَانَ مِنْهُ رِجْلٌ  
مِنْ قَبْلُ مَا أَرْجَلَتْ أَبَاهُ  
فَاسْتَدْرِجَا كَاشِفِي دُجَاهُ  
يَا وَبَيْلَةَ الرِّمَاءِ ! مَا دَهَاهُ !  
يَا سُخْطَ رَبِّ الْعَالَا عَلَيْهِ  
إِذْ أَدَّتِ (٤) الْمُرْتَضَى يَدَاهُ  
لَمْ يُبْقِ مِنْ زُمْرَةِ الْمَعَالِي  
إِلَّا هِشَامَ الْعَالَا أَخَاهُ  
يَا رَبِّ فَاحْرُسْهُ لِي بَعِينٍ  
تَمْنَعُهُ الدَّهْرَ مِنْ أَذَاهُ

وفي فصل :

وقال فيه أيضاً مسلمة بن عبد الملك :

لَا تَعْرِضَنَّ لِإِمَامٍ  
فَبَحْرُ نَحْسِكَ طَامِي

(١) ر : « بسعد » (٢) و : « بها » (٣) و ، ب « وهي »

(٤) و : « دعت »



أَصَمَّتْهُمْ دُونَ رَمِيٍّ وَاللَّهُ إِنَّكَ رَامِيٌّ  
 ثم اشتدَّت وطأة هذا الخبيث أيام المُستظهِر ، فلم يُبقِ غايةً من اهتضامِي  
 إِلَّا امتدَّ لها ، وأجرى نحوها ، وقصرت به الأقدارُ دونها ، وظاهر صاحبه  
 أبا الحسنِ عليٍّ ، وقاد مضرته إلى ، وصنع شعراً حملنيهِ عنده ، وهو :

- ٥ يَا كَسْرَةَ دَهَمْتَنَا لَيْسَ تَنْجِبُهُ وَسُبَّةً لَحِقْتَنَا مَا لَهَا عُذْرُ  
 بَاتَتْ قُعُودًا رِجَالُ طَابَ مَحْتَدُهَا وَقَامَ نَذْلَانِ فِي سَنَخَيْهِمَا (١) بَخْرُ  
 أَمْسَى قُدَارُ يَسُوسُ الْأَمْرَ أَجْمَعَهُ لَقَدْ تَأَنَّقَ فِيمَا سَاءَنَا الْقَدْرُ  
 وَذَا أَبُو الْيُسْرِ قَدْ أَمْسَى لَهَا وَزَرَا إِنَّا إِلَى اللَّهِ ، يُسْرُ جَرَهُ عُسْرُ !  
 نَذْلَانِ مَا حَرَّكَ إِلَّا فَشَا (٢) ذَفْرُ نَفْحِ (٣) الْكِلَابِ إِذَا مَا مَسَّهَا الْمَطْرُ  
 ١٠ لَوْ أَنَّ أَشْيَاخَنَا كَانَتْ لَهُمْ هِمَمٌ تُبْقِي رِيَّاسَتَنَا لَمْ تَرَأْسِ الْبَقْرُ  
 لَكِنِّهِمْ — وَقَضَاهُ اللَّهُ مُحْتَمَلٌ — لَيْسُوا مِنَ النَّاسِ إِلَّا أَنَّهُمْ صُورُ  
 إِذَا هُمْ اجْتَمَعُوا يَوْمًا لِمُعْضَلَةٍ رَأَيْتَ نَارَ التَّقَالِي كَيْفَ تَسْتَعْرِ  
 يَوْمُ يَرَى (٤) الشُّومُ بَادٍ فِي صَحِيفَتِهِ (٥) وَقِرْدُ سُوءٍ عَلَى صَفْحَاتِهِ وَبَرُّ

- فَأَغْرِيَا بِي ، وَأَرْصِدَا لِي ، فَكُنِيَ اللَّهُ شَرِّهَا ؛ فَشَبَّا حَرْبَ الْبُسُوسِ ،  
 ١٥ وَتَنَاقَرَا عَلَى الرَّيُوسِ ، وَكَانَتْ هَامَةٌ أَحَدُهُمَا صِينِيَّةً ، أَوْ مَرَأَةً هِنْدِيَّةً ، فَكَبَا  
 الْجَدُّ بَيْنَ كَبَا ، وَنَبَا الْمَجْدُ عَنْ هَامَةٍ مَنْ نَبَا ، لِيَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ، وَيَقْضِيَ  
 اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا .

فكيف يُصغِي الموفق — أيده الله — إلى رجلٍ هذه صِفته ،  
 وَيَبْنِي وَيَبْنِيهِ مَا قَدْ شَرَحْتَهُ وَأَوْضَحْتَهُ ؟ فليُجِرْنِي مَنْ قَبُولِ حَدِيثِ هَذَا

(١) هـ : « ونام من كان في سبخيها حجر » (٢) ر ، هـ : « بدا »

(٣) هـ : نبج « (٤) ر : « يوماترى » — ب ، لب ، هـ : « يوم »

(٥) لب : « صبيحته »

الخبِيثِ فِي ، وإصغائه إلى كذبه على<sup>(١)</sup> ، وليُجِرْ نَفْسَهُ من عَادِيَتِهِ ، وَيَنْظُرْ  
 من وَجْهِ فَائِدَتِهِ ، يَجِدُهُ أَشَقَى الْأَشْقِيَاءِ ، وَأَضْعَفَ الضُّعْفَاءِ . إِنَّمَا هُوَ لَطْبُخٌ  
 إِكْسِيرٌ ، أَوْ لِسْدٌ قَصْدِيرٌ ، أَوْ لِنَقَشٌ فِي ذَكِيرٍ ، أَوْ لَادَعَاءُ أَعْمَالٍ ، أَوْ لِنَغْشِيَّةٌ<sup>(٢)</sup>  
 مِثْقَالٌ ، أَوْ إِقَامَةٌ طِلْسَمَاتٍ ، وَهُوَ خَلِيٌّ<sup>(٣)</sup> من ذَلِكَ كُلِّهِ ، وَالْحَقِيقَةُ نَائِبَةٌ عَنْهُ ،  
 وَالشَّعْوَذَةُ غَيْرُ مُسْتَمْلَحَةٍ مِنْهُ ، لِيُرَدَّ طِبَاعُهُ ، وَقَصِرَ بَاعُهُ ؛ وَإِنَّمَا هِيَ لِأَدِيبٍ  
 ظَرِيفٍ ، ذِي فَهْمٍ لَطِيفٍ . فَأَمَّا هُوَ فَأَبْرَدُ من ثَلْجَةٍ ، وَأَشَدُّ عُفُوصَةً من عَفْصَةٍ  
 فَجَّةً ، إِذَا تَقَبَّضَ أَنْفُهُ ، وَشَمَخَ طَرْفُهُ . وَلَوْلَا أَنَّ الْمُلُوكَ لَا تَهَادَى بِالْوَضِيعِ ،  
 وَلَا تَعْتَمِدُ<sup>(٤)</sup> فِي تَحْفِيفِهَا غَيْرَ الرَّفِيعِ ، لَرَأَيْتَ أَنَّ تَهْدِيَهُ إِلَى الْبَلِيْنَةِ مِلْكَةَ الْبَحْرِ ،  
 وَالْقِيَمَةَ بِالْأَمْرِ ، لِيُنْصَرِفَ<sup>(٥)</sup> الْبَارِدُ إِلَى عُنْصُرِهِ ، وَعَسَى أَنْ يُخْرِجَهُ الْبَحْرُ بَعْدَ  
 حِينٍ فِي عُنْبِهِ ، فَيَكُونُ أَحَرَّ قَلِيلًا ، وَأَهْدَى إِلَى ذَلِكَ<sup>(٦)</sup> سَبِيلًا ! وَلَوْلَا أَنَّ  
 وَصَفَ هَذَا الْخَبِيثِ دَاخِلٌ فِي مُعَاتَبَةِ الْمُوَفَّقِ ، لَمَّا ارْتَضَيْتُ سَوْقَهُ ، وَلَا غَشِيَتُهُ<sup>(٧)</sup>  
 من كَلَامِي رَوْقَةً ، فَإِنَّمَا يَتَعَاتَبُ الْأَكْفَاءُ ، وَيَتَمَارَحُ الْأَخِلَاءُ<sup>(٨)</sup> .

### فُصُولٌ قِصَارٌ اقْتَضَبْتُهَا مِنْ طَوِيلِ كَلَامِهِ

فصل :

جَلَا الشُّكُوكَ بِيَقِينِهِ ، وَاسْتَنْبَطَ مَعْرِفَةَ الْأَعْمَالِ مِنْ شُؤْنِهِ ؛ وَقَسَمَ لَيْلَهُ  
 نِصْفَيْنِ : نِصْفًا لِلتَّلَاوَةِ ، وَنِصْفًا لِلسِّيَاسَةِ ؛ وَيَوْمَهُ شَطْرَيْنِ : شَطْرًا لِلْمَيْدَانِ ،  
 وَشَطْرًا لِلدِّيْوَانِ ؛ فَاسْتَجَمَّ دَرَّ الْخِرَاجِ ، وَنَزَفَ دِمَاءَ الْأَعْلَاجِ ، مِنْ الْأَوْدَاجِ .

(١) ب « كذبه وإصغائه على » (٢) و : « لِنغشية »

(٣) ب : « خلو » (٤) ر : « ترى »

(٥) ر : « لتصرف » (٦) ب ، و : « إذ ذاك »

(٧) و : « ولا تحشمت » (٨) ب ، و : « الأشباه »

## فصل :

- لا نعمة للخالق على المخلوق <sup>(١)</sup> أجل عاقبة ، وأحمد معبته ، وأزوق بهاء ،  
 وأسبغ رداءً ، وأبعد مأثرة ، وأيسر مكرمة <sup>(٢)</sup> ، من تُقى يشعرها قلبه ، وأدب  
 يزين به عقله ، ولسان مبین يفيضه عليه فيعرب به عن نفسه ، ويكشف عن  
 حقيقة ذاته ، قال الله تعالى : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » <sup>(٣)</sup> ، وقال :  
 « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟ » <sup>(٤)</sup> ، وقال : « سلقوكم بألسنة  
 حداد » <sup>(٥)</sup> ، وقال : « أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين » <sup>(٦)</sup> ،  
 وقال على رضى الله عنه : قيمة كل امرئ ما يحسن ، وقال : المرء محبوبه  
 تحت لسانه . ولذلك كانت الملوك تعدل بينها عن التعم إلى شطف العيش ،  
 وتذنى محالهم <sup>(٧)</sup> من البادية ، وتبوءهم منازل الفصاحة ، لتحتد أفئدتهم ، وتمتد  
 ألسنتهم ، وينسابوا في لصاب الدهاء ، ومزاحف النكراء ، فيجيدوا الحز ،  
 ويطببقوا المفصل ، ويسوسوا التوب ، ويكتبوا <sup>(٨)</sup> الخصوم ، ويخرجوا من  
 الغم ، ويمضوا قديماً في <sup>(٩)</sup> الشنعاء ، كما قال عمر ول معاوية :
- فإن تعطني مضراً فأزبح بصفقة  
 أخذت بها شيخاً يصر ويضع
- وإن امرءاً يقابل ابن هند بهذا ، وهو هو ، لفضفاض قيص الأدب ، طويل  
 نجاد المعرفة ، موقوف على ذروة الفضل <sup>(٩)</sup> .

(١-١) م في ر ، م (٢) سورة ٤٩ : ١٣

(٣) سورة ٣٩ : ٩ (٤) سورة ٣٣ : ١٩

(٥) سورة ٤٣ : ١٨ (٦) م : « مجالهم »

(٧) م : « ويكفوا » (٨) م : « من »

(٩) ب ، م : « موف على ذروة العقل »

فصل :

وَأَصَلَ الْجِهَادَ ، وَاسْتَأْصَلَ الْكُفْرَ وَالْعِنَادَ ، وَاتَّخَذَ ظَهَرَ الْجَوَادِ بَيْتَنَا ،  
وَوَظَلَ اللَّوَاءَ كِنْفًا<sup>(١)</sup> ، وَاسْتَبَدَّلَ مِنْ نَقْرِ الْكِرَانِ قَرَعَ الطُّبُولَ ، وَمِنْ نَعَمِ الْقِيَانِ  
شَجَا الصَّهِيلَ ، وَمِنْ وَجِبَةِ الْمَعَارِفِ<sup>(٢)</sup> لَجَبَ الْجَبُوشِ ؛ يَمْشِي فِي الْهَجِيرِ ،  
وَيَسْرِي فِي الزَّمْهَرِيرِ ، وَيَحْنُ إِلَى الْأَذَانِ وَالتَّكْبِيرِ ؛ فِي خِطَّةِ إِبْلِيسَ ،  
وَمَصْدَحِ النَّاقُوسِ .

فصل :

كُنْتُ أَسْمَعُ مِنْ هَذِهِ الْمَائِرِ وَالْمَكَارِمِ مِثْلَ نَفْحِ الصَّصَا ، وَيَقْرَعُ أُذُنِي  
مِنْهَا جَرَسُ الْأَذَى مِنْ نِعْمَةِ الصَّصَا ، فَلَا أُكْذِبُ ، لِصِدْقِ الشَّاهِدِ ، وَأَمَانَةِ النَّاظِلِ ،  
وَكَثْرَةِ الْقَائِلِ . وَالْحَكِيمُ أَبُو فُلَانٍ خَادِمُ الشَّيْبِ ، وَمُصْلِحُ الْعَيْبِ ، وَهُوَ  
جَوَارِشَاتُ مَوْلَانَا ، حَارَّةٌ مَفْلُفَةٌ ، تَكَادُ تَرُدُّ الْخَصِيَّ فَحَلَا ، وَالْمَوْرُ الْمُسِينُ عَجَلَا .

فصل<sup>(٣)</sup> :

أَجَلُّ مَا بَيْنَنَا ارْتِضَاعُ الْكَاسِ ، وَشَمُّ الْأَسِّ ، وَالْجُرْيُ فِي حَافَاتِ الصَّصَا ، وَالصَّيْدُ  
بِالسُّكْرِ فِي الرُّثْبِي ؛ وَإِنْ كَانَتْ هَنَاتٌ مُخْلَقَةٌ ، وَأَوْقَاتٌ مُوَبِقَةٌ ، ذَهَبَتْ وَبِقَى  
وَزُرُّهَا ، وَظَعَنْتُ وَأَقَامَ شَرُّهَا ، فَإِنَّ الْمَرْجُوعَ لِلْعَلِيمِ الْحَكِيمِ ، رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ .

وَلَهُ مِنْ رُقْعَةٍ خَاطَبَ بِهَا مُجَاهِدًا أَمِيرَ دَانِيَةَ وَقْتَهُ :

<sup>(٤)</sup> قَدْ يُخْلِفُ النَّعَامَ ، وَتَعْدِرُ اللَّثَامَ ، وَتُقَطِّعُ الْأَرْحَامَ<sup>(٤)</sup> . مِنْ عَزَّ بَزَّ ،

(١) ب ، لب : « كِنْفًا » (٢) ر ، ب : « المعارف »

(٣) هذا الفصل لم يقع في ر ، و (٤-٤) به في ر ، و

وَمَنْ رَيْشَ طَارٍ ، وَمَنْ سَارَتْ بِهِ الْأَيَّامُ سَارَ ، وَعَلَى الْجَدِّ الْمَدَارِ . جَدُّ كَبَا ،  
وَحُسَامٌ نَبَا ، وَأَمَالٌ تَفَرَّقَتْ أَيْدِي سَبَا . كَلِمَاتُ أَنْثُرُهَا عَلَيْكَ ، وَأَمَالٌ أُصْرِفُهَا  
إِلَيْكَ ، كُنَّا قَبْلَ أَنْ تَرْمِيَ بِنَا النَّوَى مَرَامِيهَا ، وَتُلْقِي الْخَطُوبَ عَلَيْنَا مَرَّاسِيهَا ،  
وَتَمَخَّضْنَا الْأَيَّامُ مَخْضًا ، وَتَرَكُضَ بِنَا اللَّيَالِي رَكُضًا ، تَرَبَّنِي صُحْبَةً ، وَحَلِيفِي صَبُوءَةً ؛  
قَدْ تَخَلَّيْنَا <sup>(١)</sup> عَنِ الْأَنْسَابِ ، وَانْتَسَبْنَا إِلَى الْأَدَابِ ، وَالذَّارُ إِذْ ذَاكَ صَقَبَ ، وَالْمَلْتَقَى  
كَتَبَ ؛ <sup>(٢)</sup> فَإِذَا شَمَخَ بِأَحَدِنَا مَارِنَ ، وَثَارَ بِهِ كَمُدِّ سَاكِنَ ، بَعَثَبَ عَلَى زَمَنِ ،  
وَتَقْصِيرَ بِإِرَادَةٍ عَنِ سَكَنِ ، تَعَاطَيْنَا كَأَسَنِ الشُّكُومَى ، وَتَجَادَبْنَا حَبْلَ الْبَلُومَى <sup>(٣)</sup> ،  
وَالزَّمَانُ غَيْرٌ ، وَحَوَاصِلُنَا صُفْرٌ ، نَتَرْتَمُ تَرْتَمُ الْحَمَامِ ، عَلَى زُرُقِ الْحَمَامِ ؛ ثُمَّ أَلَقْتُ  
الْأَيَّامُ عَلَيْنَا بِكُلِّ كَلٍّ ، وَأَنَاخْتُ مِنْ فَوْقِنَا بِجِرَانِ ، فَانْتَرَبْنَا <sup>(٤)</sup> بِكُلِّ فَيْحٍ  
عَمِيقٍ ، وَأُفْقِي سَحِيقٍ ، <sup>(٥)</sup> نَثْرُ الدَّرَرَ ، شَذَرَ مَذَرَ <sup>(٤)</sup> ؛ وَنَفَحَتْ عَلَيْكَ رِيَّاحُ السَّعْدِ ،  
وَجَاءَتْكَ الْمُنَى مِنْ تِهَامَةٍ وَنَجْدٍ ، وَامْتَطَيْتَ ظَهَرَ الْجَوْزَاءِ ، وَافْتَرَشْتَ لِبَدَةَ الْعَوَاءِ ؛  
وَكَأَنَّ دُعِيْتَ إِلَى النَّزَالِ وَالْعِرَاكِ ، تَتَرَسَّتْ بِالثَّرِيَّاءِ وَطَعَنْتَ بِالسَّمَاءِ ، فَزَحَمْتَ  
مَنْكِبَ الدَّهْرِ ، وَقَضَيْتَ أَرْبَكَ مِنْهُ عَلَى قَهْرٍ . فَكَانَ أَوَّلَ حَيْصَتِكَ عَنِ الْوَفَاءِ ،  
وَخَيْدَتِكَ عَنِ رِعَايَةِ قَدِيمِ الْإِخَاءِ ، أَنْ تَرَكْتَ الْمُخَاطَبَةَ ، وَأَضْرَبْتَ عَنِ  
المَكَاتِبَةِ ، خَشِيَةَ أَنْ يَكُونَ كَلْنًا عَلَيْكَ ، وَرَغِبْتُنَا فِيمَا لَدَيْكَ ، وَهَيْهَاتَ يَا بَنِي  
ذَلِكَ كَرَمٌ مَخْضُ ، وَهَيْهَاتَ عَلَيَاهُ مَا لَهَا خَفْضُ . ثُمَّ قُلْتُ : حَمَلُ أَحْسَنِ <sup>(٥)</sup> الظَّنِّ  
أَجْمَلُ ، وَالْقَضَاءُ بِأَكْرَمِ الْعَهْدِ أَقْبَلُ ، قَدْ تَشْتَغَلُ الرُّؤْسَاءُ ، وَتَتَجَادَبُ الْعُظَمَاءُ ،  
وَعَيْنُهُ مَعَ ذَلِكَ رَاعِيَّةٌ ، وَأَذُنُهُ وَاعِيَةٌ ، وَإِنَّمَا الْوَصْلُ بِالْفُؤَادِ لَا بِالْمِدَادِ ، وَالْإِلْتِقَاءُ

(١) ب : « جلينا » (٢-٢) نه في ر ، و

(٣) ر : « فنشدتنا » — و : « فنشمرنا » (٤-٤) نه في ر ، و

(٥) و : « أحمل على حسن »

بالحُلومِ لا بالجُسومِ ، فانطويتُ على وُدِّ ، وثبتتُ على صحَّةِ عَقْدٍ<sup>(١)</sup> . ثم دارت  
 الدُّهور ، وطلعَ البشير ، أن قيل طالعكم عسكرُ جرَّار ، فيه لأسدُ العرينِ نار ، قضيتُ  
 لكم به الأمر ، وخفقتُ عليكم ألويةُ النَّصر ، فقلت : مَنْ زعيمُ هذا الجيش ؟  
 قيل لي : أخوك أبو الحُبَيْش ، قلت : زهوفُ عطوف ، شقاقُ للصفوف ، وواحدُ  
 يُعدُّلُ بألوف . وقلت : رُدَّ شهيدُ في<sup>(٢)</sup> أُمَّتِكَ مِنْ أُمَّم ، وجاءتكَ تَسْمَى عَلَى  
 قَدَم ، وَضَح الصَّبْحُ لَدَى عَيْنَيْنِ ، وَأَمَكَنَّ البَطْشُ ذَا يَدَيْنِ ؛ هَذَا حَبِيبُكَ قَائِدُ  
 أَعْنَتِهَا ، وَذَا خَلِيلُكَ مَالِكُ أَزِمَّتِهَا ، هَذَا أَبُو الحَبِيشِ مُضْعَبٌ عَلَى مُقْرَب ،  
 وَمُغْضَبٌ يَضْرِبُ بِمِقْضَبِ ، أَنْ لَدَهَبِ العِلْمِ أَنْ يَزِفَ ، وَحَانَ لُجُوهُ الفَهْمِ أَنْ  
 يَشِفَ ؛ وَيَلُ للجهلِ وَبَنِيهِ ، وَعَشِيرَتِهِ وَأَقْرَبِيهِ !

وفي فصل :

<sup>(٣)</sup> ولقيتُ إخواناً لَقُوكُ ، فوالذي جعلَ الغدرَ من شِعَارِهِمْ ، والحذرَ من دِنَارِهِمْ ،  
 مَا أَجْرُوا فِي ذِكْرِكَ ، فَضَلَا عَلَى أَنْ يُجْرُوا ذِكْرِي لَكَ . وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ مَرَمَائِي غَيْرُ  
 مَرَمَائِهِمْ ، وَمَغْزَايَ سِوَى مَغْزَائِهِمْ ، وَيُوقِنُونَ أَنَّ<sup>(٤)</sup> أَبْعَدَ أَمَالِي فِي صَدِيقِي إِذَا  
 سَمَا ، وَأَرْفَعَ رَغْبَاتِي لَدَيْهِ<sup>(٥)</sup> إِذَا طَمَى ، انْفِرَاجُ بَابِهِ ، وَانْهَتَاكَ حِجَابِهِ ، يُمْتَعِنِي  
 بِإِشْرَاقِ وَجْهِهِ ، وَيُورِدُنِي غَدِيرَ بَشْرِهِ ، وَيَزُنُّنِي بِغَيْرِي مِنْ إِخْوَانِهِ ، وَيَضْرِبُنِي  
 بِسِوَايَ مِنْ أَهْلِ زَمَانِهِ ،<sup>(٥)</sup> وَلَا يُثَقِّلُ حِطِّي مِنْ إِكْرَامِهِ ، وَلَا يَهْجُرُ قِسْطِي  
 مِنْ لَطِيفِ اهْتِمَامِهِ<sup>(٥)</sup> ، بَعْدَ أَنْ يُعَدِّلَ القِسْطَاسَ ، وَيُمَيِّزُ الذَّهَبَ مِنَ النُّحَاسِ .

(١) عهده : « عهد »  
 (٢) ر : « شهيدى »  
 (٣-٤) مه فى ر ، عه  
 (٤) عه : « إليه »  
 (٥-٥) مه فى ر ، عه

وفي فصل :

(١) وهذا أخفُّ حِمْلٍ وأيسرُ (١) . فأدركني (٢) ما يُدرك من طابَ غرسه ،  
 وكرمت عليه نفسه ، وأزمت على المقاطعة ، فقلتُ : الصبرُ أولى ، والإنصافُ  
 أحجى (٣) ، لا بدَّ أن تُوفِّي الرجالُ مقاديرَها في أزمانها ، ويُستحالَ لها عند  
 استحالة أعيانها ؛ وتخشعُ من أوهد لمن أصد سداد ، وتلينُ من أتهم لمن  
 أنجد رشاد ، فتقلقت واضطربت ، وتجمعت لي واقبضت ، ثم جاشت  
 كما يجيش البحر ، له هممة وزخر ، قالت : ثكلتك المكارم يا ابن الأكارم !  
 ألسنت من أشجع في العلاء ، ومن شهيد في الدرر ، وللخالق في صدرك حكمة ،  
 وللرازي في حجبك نعمة ؟ تقول بهذه فتسمع ، وتغنى بتلك فلا تخضع ،  
 وسأويت امرأ لم تحتج إليه ، ووازنته ما لم تطمع فيما لديه ؟ لا أسر إنما  
 أعلن ، قيمه كل امرئ ما يحسن . قلت لها : فأين اليأس ؟ قالت : هو في  
 القلب والرأس ، لئن أصابه غيرك فارساً ، إنك لغير بعيد منه راجلاً ، قلت :  
 لقد أدركتك عجزية ، واستولت عليك أعرابية ، لا بد من قصدي إلى الحبش ،  
 قالت : ليهنك العيش ، في أبرد من ظل الخيش ! وقصدتك من جهتي ، فلم أشك  
 ولم أقر ، ولم أعرف ولم أنكر ، وانصرفت بين الخالتين ، لا قرب ولا شحط ،  
 ١٥ ولا رضى ولا سُخط .

[ وعرضت ] فصول من كلامه على الكاتب أبي بكر المعروف

باشكياط ، فقال : فقر حسان إلا أنه عثر عليها . فوصل كلامه إلى أبي عامر

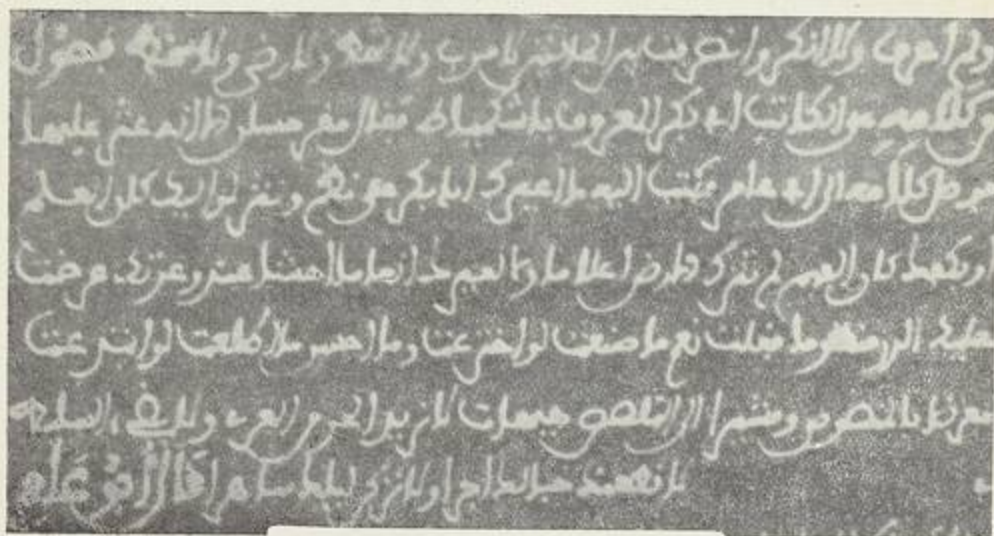
فكتب إليه :

(١-١) زنى ب (٢) ب : « وقدما حرر لي »

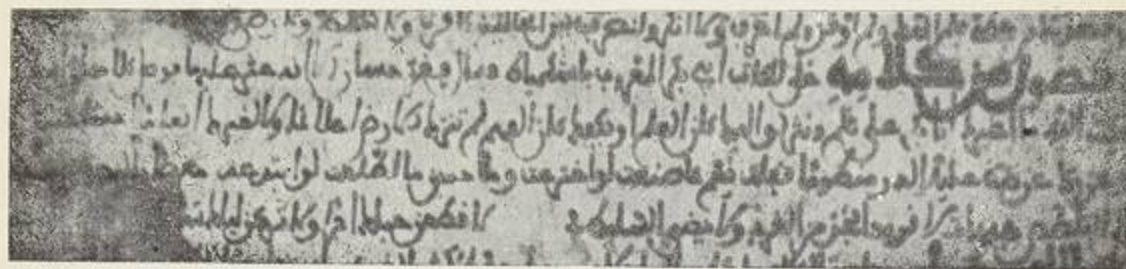
(٣) م : « الصبر أحجى ، والإنصاف أولى »

ما أغيرك أبا بكر، على نظم ونثر، لو إليك كان العلم، أو بكفك كان الفهم،  
لم تترك الأرض اعلاما، ولا لغيرك انعاما؛ أخشى عند عدتك عرضت عليك  
الذم منظوما. قلت: نعم ما صنعت لو اخترعت. وما أحسن ما أطلعت لو ابتدعت.  
معرضاً بالتقصص، ومشيراً إلى التلصص. هيهات لأزيد الحر من العرب. ولا  
يضيء السليط في [ . . . ] لأقطعن حبالك هاجرا، ولأتركن ليلك ساهرا (١).

(١) لم يرد هذا الفصل إلا في مخطوطي ب، لب؛ وقد آثرنا نشر صورته الشمسية  
فيها لعدم وضوحه واضطراب معناه ورغبة في وضعه كما هو تحت نظر القارى.



صورة الفصل في مخطوطة ب



صورة الفصل في مخطوطة لب



وله في فصل :

وإصابة<sup>(١)</sup> البيان لا يقومُ بها حفظُ كثيرِ الغريب ، واستيفاءُ مسائلِ النحو ، بل بالطبع<sup>(٢)</sup> مع وزنه من هذين<sup>(٣)</sup> ؛ ومقدارُ طبعِ الإنسان إنما يكونُ على مقدارِ تركيبِ نفسه مع جسمه ، فمن كانتْ نفسه في أصلِ تركيبه مستويةً على جسمه ، كان مطبوعاً روحانياً ، يُطبعُ صورَ الكلامِ والمعاني في أجهلِ هيئاتها ، وأزوقِ لبساتها ؛ ومن كان جسمه مستوياً على نفسه — من أصلِ تركيبه — والغالبُ على جسده ، كان ما يُطبعُ من تلكِ الصورِ ناقصاً عن الدرجةِ الأولى في الكمالِ والتَّمام ، وحسنِ الرُّونقِ والنَّظام . فمن كانتْ نفسه المستويةً على جسمه فقد تأتى منه في حُسنِ النظام ، صورٌ رائقةٌ من الكلامِ ، تملأُ القلوبَ ، وتشفِّعُ النفوسَ . فإذا فتشتَ لِحُسْنِها أصلاً لم تجده ، ولجمالِ تركيبها أساً<sup>(٤)</sup> لم تعرفه ؛ وهذا هو الغريبُ ، أن يتركبَ الحُسنُ من غيرِ حُسن<sup>(٥)</sup> ، كقولِ امرئ القيس :

\* الأعمُ صبأحاً أيها الطللُ البالي \*

وقوله :

١٥ تنورزتها من أذرعَاتِ وأهلها بيثربِ أذنى دارها نظرٌ عالي  
فإن هذه الديباجة إذا تطلبت لها أصلاً من غريبٍ معنى لم تجده ،<sup>(٦)</sup> وكقولِ  
أبي نواس<sup>(٧)</sup> :

طرَّحتمُ من الترحالِ ذِكراً فعمناً فلو قد شخَّصتمُ صبَّحَ الموتُ بعضنا<sup>(٨)</sup>

(١) ب : « صناعة الكلام وإصابة ... » (٢) ب : « وإنما يقوم بها الطبع »

(٣) ز في ب : « النحو والغريب » (٤) هـ : « وجهاً » (٥) هـ : « الحسن »

(٦-٦) هـ في ر ، هـ (٧) راجع ديوانه ص ٤٥

(١) ثم قال فيها :

سَأَشْكُو إِلَى الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ هَوَاكِ ، لَعَلَّ الْفَضْلَ يَجْمَعُ بَيْنَنَا  
فهذا من الكلام الغث ، واللفظ الرث ، الذي لو رآته حمار الكساح  
لأذركه (١) ، ولكن له من التعلق بالنفس ، والاستيلاء على القلب ما ترى .

وفي فصل له :

وقول الجاحظ : إنا إذا أكثرنا من يعلم صبياننا النحو والغريب قنع منا  
بعشرين درهماً (٢) في الشهر (٣) ، ولو أكثرنا من يعلمهم البيان لما قنع  
منا بألف درهم . ولم يقل هذا إلا وقد ألف « كتاب البيان » . ولو كشف فيه  
عن وجه التعليم ، وصور كيفية التدريج ، لأرى كيف وضع الكلام ،  
وتزين (٤) البيان ، وكيف التوصل إلى حسن الابتداء ، وتوصيل اللفظ بعد  
الانتهاء ، وأبدى لهم عن تدير المقاطع والمطالع ، فإنها معادن (٥) الصنعة ،  
ومواضع مفاتيح الطريقة ؛ ولكنه استمسك بفائده ، وضم بما عنده ، غيره  
على العلم ، وشجاً بشمرة الفهم ، وعرف أن النفع كثير ، والشاكر قليل ، فلم يفتد  
بما أوضح من أمر البيان فائدة غير أهله ، ومن كرع في حوضه ، واستأنف من  
نده (٦) . وأما أن يخرج مبتدئاً ، أو يعلم جاهلاً فلا أئبته .

(١-١) هـ في ر ، هـ (٢) ب : « ديناراً »

(٣) ب ، لب : « رأس كل شهر » (٤) هـ : « وتزويل »

(٥) هـ : « مغاني »

(٦) ب : « واشتار من تفره » — هـ : « واستأنف من تفره »

## وفي فصل له :

- قال أبو عامر: <sup>(١)</sup> وقد كُنَّا أَطْعَمْنَا مِنْ هَذَا الطَّعَامِ بَعْضَ التَّلَامِيذِ ، فَاسْتَطَابَهُ وَعَلِمَ مِقْدَارَهُ ، وَلَكِنَّ البَطَالََةَ عَلَى الفِتْيَانِ غَالِبَةٌ ، وَالسَّامَةُ عَلَيْهِمْ مُسْتَوْلِيَةٌ <sup>(٢)</sup> ؛ فَمَنْ بَنَى عَلَى تَعْلِيمِ هَذَا الشَّانِ فَلَا يَعْلَمُ إِلَّا أَهْلَ النِّجَابَةِ <sup>(٣)</sup> وَالمَثَابِرَةَ عَلَى التَّعْلِيمِ <sup>(٤)</sup> ، لِأَنَّهُ مَنْ لَمْ يَنْجُبْ لَهُ تَلْمِيزَ مَحَلٍّ عَلَيْهِ ذَلِكَ النَّقْصُ ، وَظَنَّ بِهِ العَجْزَ .
- جلسَ إلى يَوْمَا يوسُفُ بنِ إِسْحَاقَ الإِسْرَائِيلِي <sup>(٥)</sup> ، وَكَانَ أَفْهَمَ تَلْمِيزِ مَرَّ بِي ، وَأَنَا أُوصِي رَجُلًا غَرِيبًا عَلَى مَنْ أَهْلُ قَرْطُبَةَ ، وَأَقُولُ لَهُ : إِنْ لِلْحُرُوفِ أَنْسَابًا وَقَرَابَاتٍ تَبْدُو فِي الكَلِمَاتِ ، فَإِذَا جَاوَزَ النِّسَبُ النِّسَبَ ، وَمَا رَجَّحَ القَرِيبُ القَرِيبَ ، طَابَتِ الأَلْفَةُ ، وَحَسُنَتِ الصُّحْبَةُ ؛ وَإِذَا رُكِبَتْ صُورُ الكَلَامِ مِنْ تِلْكَ ، حَسُنَتْ المَنَاظِرُ ، وَطَابَتِ الحَاوِيزُ ، أَفْهَمْتَ ؟ قَالَ لِي : إِي وَاللَّهِ ! قُلْتَ لَهُ : وَالمُعْدُوبَةُ إِذَا طُلِبَتْ ، وَالفَصَاحَةُ إِذَا التَّمِسَتْ ، قَوَانِينُ مِنَ الكَلَامِ ، مِنْ طَلَبَ بِهَا أَذْرَكَ ، وَمَنْ نَكَبَ عَنْهَا قَصَرَ ، أَفْهَمْتَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قُلْتَ : وَكَمَا تَخْتَارُ مَلِيحَ اللفظِ ، وَرَشِيقَ الكَلَامِ ، فَكَذَلِكَ يَجِبُ أَنْ تَخْتَارَ مَلِيحَ النَّحْوِ ، وَفَصِيحَ الغَرِيبِ ، وَتَهْرُبَ عَنِ قَبِيحِهِ ، قَالَ : أَجَلٌ ، قُلْتَ : أَتَفْهَمُ شَيْئًا مِنْ عُيُونِ كَلَامِ القَائِلِ :
- ١٥ لَعْمُوكَ إِنِّي يَوْمَ بَانُوا ، فَلَمْ أُمْتُ خُفَاتًا عَلَى آثَارِهِمْ ، لَصَبُورُ  
غَدَاةَ التَّمِينَا إِذْ رَمَيْتِ بِنَظْرَةٍ وَنَحْنُ عَلَى مَتْنِ الطَّرِيقِ نَسِيرُ  
فَقَاضَتْ دَمُوعُ العَيْنِ حَتَّى كَانَهَا لِنَاظِرِهَا غُضْنُ يَرَّاحِ مَطِيرُ  
فَقَالَ : إِي وَاللَّهِ ، وَقَعْتَ « خُفَاتًا » مَوْعَاً لَنِيذَا ، وَوَضِعْتَ « رَمَيْتِ »

(١-١) ده في ر ، ه (٢-٢) ده في ر ، ه

(٣) ر ، ه : « يوسف الإسرائيلي »

و « مَن الطَّرِيق » وضعاً مَلِيحاً . وَسَرَى « غُضْنُ يِرَاحُ مَطِيرٌ » مَسْرَى لطيِّفاً ، قَلْتُ لَهُ : أَرْجُو أَنَّكَ تَنْسَمَتَ شَيْئاً مِنْ نَسِيمِ الْفَهْمِ ، فَأَعْدُ عَلَيَّ بِشَيْءٍ تَصْنَعُهُ . قَالَ أَبُو عَامِرٍ : وَكَانَ ذَلِكَ الْيَهُودِيُّ سَاكِتاً يَعْنِي مَا أَقُولُ ؛ فَفَدَا ذَلِكَ الْقَرْطُبِيُّ فَأَنْشَدَنِي :

حَلَفْتُ بِرَبِّ مَكَّةَ وَالْحِمَالِ لَقَدْ وُزِنَتْ كُرُوبِي بِالْحِجَالِ

فِي آيَاتٍ تُشْبِهُهُ . وَجَاءَ الْيَهُودِيُّ فَأَنْشَدَنِي :

أَيِّمَ رُكْبَانُهُمْ مَنَعِجًا وَقَدْ ضَمَّنُوا قَلْبَكَ الْهُودَجَا؟

وَاسْتَمَرَّ إِلَى آخِرِ قَصِيدَتِهِ ، فَأَتَى بِكُلِّ حَسَنٍ (١) ، فَقَالَ لِي ذَلِكَ الْقَرْطُبِيُّ : شِعْرُ الْيَهُودِيِّ أَحْسَنُ مِنْ شِعْرِي ، قَلْتُ : وَلَا بَأْسَ بِفَهْمِكَ إِذْ عَرَفْتَ هَذَا . وَلَمْ يَزَلْ يَتَدَرَّبُ بِاخْتِلَافِهِ إِلَيَّ حَتَّى نَدَيْتُ رَبُّهُ ، وَطَلَعَ عُشْبُهُ ، ثُمَّ تَفَتَّحَ زَهْرُهُ ، وَضَاعَ عَبَقَهُ . وَرَأَيْتُ أَسْتَعْمَلُ وَحْشِيَّ الْكَلَامِ فِي مَوَاضِعِهِ ، وَلَمْ يَشْعُرْ بِحُسْنِ الْوَضْعِ ، فَاسْتَعْمَلَ شَيْئاً مِنْهُ وَعَرَضَهُ عَلَيَّ ، قَلْتُ : اسْتَرْهُ ، فَقَالَ : تَبْخَلُ عَلَيَّ بِهِ . وَعَرَضَهُ عَلَيَّ ابْنُ الْإِفْلِيلِيِّ ، فَقَالَ لَهُ : تَنْكَبُ هَذَا الْكَلَامَ ، فَقَالَ لَهُ : إِنْ أَبَا عَامِرٍ يَسْتَعْمِلُهُ ، فَقَالَ : يَضَعُهُ فِي مَوَاضِعِهِ ، وَهُوَ أَدْرَبُ مِنْكَ فِي اسْتِعْمَالِهِ (٢) .

وَفِي فَصْلِ لَهُ :

وَرُبَّمَا لَازَبْنَا الْمُسْتَطْعِمُ بِاسْمِ الشَّعْرِ مِنْ يَخْبِطُ الْعَامَّةَ وَالْخَاصَّةَ بِسْؤَالِهِ ، فَيَصَادِفُ مَنَّا حَالَةً غَيْرَ ذَاتِ فَضْلَةٍ ، لَا تَتَّسِعُ لَهُ فِي كَبِيرِ مَبْرَةٍ ، فَنُشَارِكُهُ وَنَعْتَدِرُ لَهُ ؛ وَرُبَّمَا أَفْدَنَاهُ بِآيَاتٍ يَعْتَمِدُ (٣) بِهَا الْبَقَالِينَ وَمَشِيخَةَ (٤) الْقَصَائِينَ ، فَإِذَا

(١) ب : « بكل شيء حسن » (٢) هـ في ر ، و — ز في ب ، لب :

« فانصرف إلى ، وعرفني بما جرى ، وسألني أن أكشف له السر فقلت »

(٣) و « يعتمد » (٤) و : « ومشايخ »

قَرَعَتْ<sup>(١)</sup> أَسْمَاعَهُمْ ، وَمَا زَجَتْ أَفْهَامَهُمْ ، دَرَّ حَلَبُهُمْ ، وَأَنْحَلَّتْ عُقْدُهُمْ<sup>(٢)</sup> ، وَجَلَّ  
 شَخْصُ ذَلِكَ الْبَائِسِ فِي عُيُونِهِمْ ، فَمَا شِئْتَ إِذْ ذَاكَ مِنْ خُبْرَةٍ وَتِيرَةٍ يُحْشَى  
 بِهَا كَمُهُ<sup>(٣)</sup> ، وَرَقَبَةٌ سَمِينَةٌ تُدْفَنُ فِي مِخْلَانِهِ ، وَمِنْ كَوْزِ قُقَاعٍ يُصَبُّ فِي فَمِهِ ،  
 وَتِينَةٌ رَطْبَةٌ يُسَدُّ بِهَا حُلُقُومُهُ ، وَسَنْبُوسَةٌ وَدِكَّةٌ تُدَسُّ تَحْتَ لِسَانِهِ ، وَفَالُودَجَةٌ  
 رَطْبَةٌ يُحْتَكُّ بِهَا حَنَكُهُ ، فَلَا يَكَادُ الْبَائِسُ يَسْتَمُّ ذَلِكَ حَتَّى يَأْتِينَا فَيُكَبِّ  
 عَلَى أَيْدِينَا يُقَبِّلُهَا ، وَأَطْرَافِنَا يَلْطَعُهَا ، رَاغِبًا فِي أَنْ نَكْشِفَ لَهُ السِّرَّ الَّذِي حَرَّكَ  
 الْعَامَّةَ فَبَدَّلَتْ مَا عِنْدَهَا لَهُ ، وَبَادَرَتْ بِدَرِّهَا<sup>(٤)</sup> إِلَيْهِ . وَتَعْلِيمُهُ ذَلِكَ النَّحْوَ مِنْ  
 أَنْحَاءِ السَّحْرِ لَا نَسْتَطِيعُهُ ، لِأَنَّ هَذَا الَّذِي يُرِيدُهُ مِنَّا هُوَ تَعْلِيمُهُ الْبَيَانَ ، وَبَيْنَ  
 فِكْرِهِ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ ؛ وَلِكُلِّ ضَرْبٍ مِنَ النَّاسِ ضَرْبٌ مِنَ الْكَلَامِ ، وَوَجْهُ  
 مِنَ الْبَيَانِ ؛ وَالرَّمْيُ لَا يَفْجَرُ صَفَاةَ غَيْرِهِ إِلَّا أَنْ يُوفَى عَلَى مَعْرِفَةِ ذَلِكَ بِفَهْمِهِ  
 ١٠ التَّبْيِينِ وَالتَّبْيُنِ ، وَيَكُونُ مِنَ الْمُسْتَنْبِطِينَ بِوَجْهِهِ<sup>(٥)</sup> الْحَيْلِ عَلَى قَوَانِينِ قَائِمَةٍ ،  
 وَأَصُولٍ ثَابِتَةٍ ، فَتَكُونُ النَّتِيجَةُ مَا سَمِعْتَ .

### وفي فصل :

وأصعبُ من هذا تحريكُ البُخْلَاءِ مِنَ الْكِبْرَاءِ إِلَى الْبَذْلِ ، لِأَنَّهِمْ بَعَادَتُهُمْ  
 لَا تُمْكِنُ نُقْلَتُهُمْ لِعَزِّزَتِهِمْ ، وَلَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ ثِيَابُ مَجْدِهِمْ ، فَلَا يَنْجِعُ تَقْرِيطُهُمْ<sup>(٦)</sup> ؛  
 ١٥ فَهَاهُنَا يُحْتَاجُ إِلَى أَنْتَبِ مَا يَكُونُ مِنَ الذَّهْنِ ، وَأَوْسَعِ مَا يُمْكِنُ مِنَ الْحَيْلَةِ ،  
 إِلَّا أَنَّ هَذِهِ الْعِصَابَةَ لَا يُمْكِنُ لَذِي التَّفَاهَةِ تَحْرِيكُهَا ، وَلَا بَدْلَهَا مِنْ طَبَقَةِ

(١) ب ، لب : « قارعت » (٢) ر : « عهدم »

(٣) ب ، لب : « كنه » (٤) ر : « بزبدها »

(٥) ب ، لب : « بمجبع » — ر : « لوجوه »

(٦) ب ، لب : « تقريضهم »

يكون لها في العين بعض التصويب والتّصعيد ، ولهذا صار سبُّ الأشرافِ عسيراً عويصاً ؛ فإنك تجدهم يتدحرج عنهم قبيحُ المقال ، ولا يُضعفهم خبيثُ (١) الكلام ، لقوّة بُنيانهم ، وثباتِ أركانهم ؛ فهدمُ بُنيانِ هؤلاء صعبٌ (٢) ، ولذلك فخرت العربُ بمن لا يمكن له ذلك فيهم من أهلِ الكلام (٣) ، ولذلك [ . . . ] (٥) سبُّ الأشرافِ ، واستحسنوا من ذلك قول ابن صفوان في شبيب : ليس لهُ صديقٌ في السرِّ ، ولا عدوٌّ في العلانية (٣) .

وفي فصل له :

قال أبو عامر : (٦) وكما أن لكلِّ مقامٍ مقالاً ، فكذلك لكلِّ عَصْرٍ بيان ، ولكلِّ دَهرٍ كلام (٦) ، ولكلِّ طائفةٍ من الأممِ المتعاقبةِ نوعٌ من الخطابة ، وضربٌ من البلاغة ، لا يوافقها غيره ولا تهشَّ لسواه . (٧) وكما أن للدنيا دَوَلاً ، فكذلك للكلامِ نُقْلٌ وتغايرٌ في العادة (٧) . ألا ترى أن الزمانَ لمّا دارَ كيف أحال بعضَ الرّسمِ الأوّلِ في هذا الفنِّ إلى طريقةِ عبدِ الحميدِ وابنِ المُقفِّعِ وسَهْلِ بنِ هارونَ وغيرهم (٨) من أهلِ البيانِ ؟ فالصنعةُ معهم أفسحُ باعاً ، وأشدُّ ذِراعاً ، وأنورُ شعاعاً ، لرُجحانِ تلكِ العقولِ ، واتّساعِ تلكِ القرائحِ في العلومِ . ثم دارَ الزمانُ دَوْرانا ، فكانتِ إحالةُ أخرى إلى طريقةِ إبراهيمِ بنِ العباسِ ١٥

(١) لب : « خبت »

(٢) ب ، ب : « أضعف »

(٣-٣) نه في ر ، وه

(٤) كذا بالأصل

(٥) بيان قدر كلّتين

(٦-٦) نه في ر ، وه

(٧-٧) مقدم في ر على قوله : ولكل طائفة الخ

(٨) ر : وأصحابهم

ومحمد بن الزيات وابني وهب ونظرانهم<sup>(١)</sup>، فرقت الطباع،<sup>(٢)</sup> وخف ثقل النفوس<sup>(٣)</sup>. ثم دار الزمان فاعتري أهله باللطائف صلف، وبرقة الكلام كلف، فكانت إحالة أخرى إلى طريقة البديع وشمس المعالي وأصحابهما.

وكذلك الشعراء انتقلوا عن العادة في الصنعة بانتقال الزمان، وطلب كل

- ذو عصر ما يجوز فيه، وتهش له قلوب أهله<sup>(٣)</sup>، فكان من صريع الغواني<sup>(٤)</sup> وبشار وأبي نواس وأصحابهم في البديع ما كان، من استعمال أفانينه، والزيادة في تفریع فنونه. ثم جاء أبو تمام فأسرف في التجنيس، وخرج عن العادة. وطاب ذلك منه، وامثله الناس،<sup>(٥)</sup> فكل شعر لا يكون اليوم تجنيساً أو ما يشبهه تمجئه الآذان<sup>(٥)</sup>، والتوسط في الأمر أعدل؛ ولذلك فضل أهل البصرة صريع الغواني على أبي تمام، لأنه لبس ديباجة المحدثين على لأمة العرب، فتركب له من الحسن بينهما ما تركب.

وفي فصل له :

قال أبو عامر : وأهل صناعة الكلام متباينون في المنزلة،<sup>(٦)</sup> متفاضلون

في شرف المرتبة، على مقدار إحسانهم وتصرفهم<sup>(٦)</sup>.

- ١٥ فمنهم الذي ينظم الأوصاف، ويخترع المعاني، ويحجز<sup>(٧)</sup> جيد اللفظ، إلا أنه يصعب عليه الكلام، ويكثُر قريحته التأليف، حتى إنه ربما قصر في

(١) هـ في ب، لب (٢-٢) هـ في ر، هـ

(٣) ب، لب : « ويطيب على قلوب أهليه »

(٤) ب، لب : « مسلم بن الوليد » (٥-٥) هـ في ر، هـ

(٦-٦) هـ في ر، هـ (٧) ر، هـ : « ويحجز »

الوصف ، وأسَاء الوَضْع . فهذا في الأبيات القليلة<sup>(١)</sup> نافر ، وفي القريبة  
المأخوذ سائر ، وفي طريقة الجمهور الأعظم<sup>(٢)</sup> ذاهب ، حتى إذا ازدحمت عليه ،  
والمحشدة إليه ، وطالبت بهاء البهجة ، وشرف المنزلة ، وقف وانقل ،  
وتلاشى واضمحلت .

٥  
ومنهم الكارع في بحر الغزارة ، القادح بشعاع البراعة ، الذي يمر مرّة  
السيل في اندفاعه ، والشؤبوب في انصبابه ، لا يشكو الفشل ، ولا يكل على  
طول العمل ، إذا ازدحمت في الكلام عليه المطالب ، وعلفت بجواشي فكره  
المآرب ، وحشرت عليه الصعائب والفرائب ، استقل بها كاهله ، واضطلع  
بثقلها غاربه ، وأعارها من نظره لمحة ، ومن فكره قدحة ، ثم رمى بها عن  
جانبيه ، قد رويت بما فيها ، وليست شعاع بها فيها ، وبقى كالقوة في المرقب ، سام  
نظره ، قد ضم جناحيه ، ووقف على مخليه ، لا تتاح له جارحة إلا اقتصها<sup>(٣)</sup> ،  
ولا تنازله طائره إلا اختطفها ، جزأته كشفرتة ، وبديته كفكرته ، فذلك  
الألسن يوم حرب الكلام ، لا تخطي ضربته ، ولا تصاب غيرته .

١٥  
ومنهم من يتجافى الكلام ، ويروغ عن المقال ، فإذا مئى به ، أخذ بأطراف  
المحاسن ، وشارك في أنحاء من الصنعة ، وجل ما عنده تليق وحيلة ،  
وبذلك يصاحب الأيتام ، ويجارى أبناء الزمان ؛ ما كان له عقل يغطي على  
نقصانه ، وسياسة يسوس بها فحول زمانه . ومن خرج عن هذه الطبقات  
الثلاث لم يستحق اسم البيان ، ولا يدخل في أهل صناعة الكلام .

(١) ب ، لب : « الفلائل الأعداد »

(٢) ب ، لب ، لب : « احتضنها »

(٣) ب ، لب ، لب



وفي فصل له :

قال أبو عامر : وقوم من المعلمين بقرطبتنا<sup>(١)</sup> ممن أتى على أجزاء من النحو،  
وحفظ كلمات من اللغة، يحنون على<sup>(٢)</sup> أ كباد غليظة، وقلوب كقلوب البعران،  
ويرجعون<sup>(٣)</sup> إلى فطن<sup>(٤)</sup> حممة، وأذهان صدنة، لا منفذ لها في شعاع الرقة،  
ولا مدب لها في أنوار البيان . سقطت إليهم كتب في البديع والتقد فهموا  
منها ما يفهمه القرد التامى من الرقص على الإيقاع، والزمر على الألمان، فهم  
يصرقون غرائبها<sup>(٥)</sup> فيما يجري عندهم<sup>(٥)</sup> تصريف من لم يرزق آلة الفهم،  
ومن لم تكن له آلة الصناعة، مما هي مخصوصة بها، لا تقوم تلك الصناعة إلا بتلك  
الآلة<sup>(٦)</sup>؛ فهو كالجارح لا يمكنه أن يتعلم صناعة ضرب العود والطنبور، لتوأتد<sup>(٧)</sup>  
رُسغته، واستدارة حافره، ولا له بنان يجس<sup>(٨)</sup> به على دسنبان . ولو جاز أن  
يكون حمار يُعنى :

ما بال أنجم هذا الليل حائرة أضلت القصد أم ليست على فلك ؟

وشبهه، من أجل أن له حنكا ولسانا وقصبة رنة، لما جاز أن يقع بالمضرب  
على الأوتار، ويتمم بجس الأنايل، ويرخي الوتر في مجرى السبابة والبصر،  
فيبيل بنشيدته، ويولول في ضربه على بسيطه .

١٥

فهذه حال العصابة من المعلمين<sup>(٩)</sup> : يُدركون بالطبيعة، ويقصرون بالآلة<sup>(١٠)</sup> .

(١) ب، لب : « عندنا » (٢) ب، لب : « ينحتون من »

(٣) هـ في ر، وه (٤) ب، لب : « أفكار »

(٥-٥) هـ في ر، وه (٦) وه : « الآلات »

(٧) وه : « لتدوير » (٨) ب، لب : « لمس »

(٩) ب، لب : « المتعلمين » (١٠) ب، لب : « بالألفة »

وتصيرهم بالآلة هو من طريق العِللِ الدَّاخِلَةِ من فساد الآلة القابلة للبرُّوحانيَّة ،  
والخادِمة لآلاتِ الفَهم ، الباعِثة لرقيقِ الدَّم في الشَّرِيَّاتِ إلى القَلْب ، وزيادة  
غِلظِ أعصابِ الدِّماغِ ونقصانِها عن المِقْدَارِ الطَّبيعي . ومما يُعِينُ عَلَى ذلكَ بالحدسِ  
وطريقِ الفِرَاسَةِ فسادُ الآلةِ الظَّاهِرةِ ، كفَرَطِ حَةِ الرُّؤسِ وتَسْفِيْطِهِ (١) ، وتُتَوِّءُ  
القَمَحْدُوَّةُ ، والتَّوَاءُ الشَّدْقِيُّ ، وخَزَرَ العَيْنِ ، وغِلظِ الأنفِ ، وانزواءِ الأُزْنَبَةِ .  
فَنَسْتَعِيْذُ بِاللَّهِ أَلَّا يُشَوِّهَ خَلْقَةَ قُلُوْبِنَا ، وَلَا يُجْحِسِي أَجْرَامَ أَكْبَادِنَا ، وَيَضْمُ أُوْتَارِنَا  
وَأَعْصَابِنَا ، (٢) وَلَا يَعْظُمُ أُنُوفُنَا (٣) . وَلَا يَجْعَلُنَا مُثَلَّةً لِلْعَالَمِيْنَ .

وفي فصل له :

وليس العجبُ في هذه العِصَابَةِ إِلَّا مِنْ أَبِي الْقَاسِمِ ، فَإِنَّهُ زَادَ عَلَيْهِمْ فِي  
الصَّنَاعَةِ ، وَبَزَّهَمَ بِوُفُورِ البِضَاعَةِ . دَخَلَ فِي الشُّعْرَاءِ فَأَخَذَ لِبَاقَتِهِمْ ، وَصَارَ فِي  
مُجَلَّةِ الكِتَابِ فَاسْتَعَارَ صَلْفَهُمْ وَرَشَاقَتَهُمْ ، وَبَاشَرَ أَهْلَ الحِسَابِ فَاسْتَفَادَ طَرِيقَةَ  
الْبِرَاهِيْنَ ، وَنَاطَرَ أَهْلَ الجَدَلِ فَتَعَلَّمَ القَوَانِيْنَ ، وَعَرَفَ عَنَاصِرَ الكَلَامِ ؛ (٤) فَكَلَّمَ  
عِلْمَ يَزْعُمُهُ قَبْضَ يَدِهِ (٥) ، وَكَلَّمَ جِدِّيَّ وَهَزَلِيَّ فإِليهِ مَنْسُوبٌ ، وَعِنْدَهُ مَاخُودٌ ! وَهُوَ  
مَعَ مَا اجْتَمَعَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ ، وَحِيِّيَ بِهِ ، أَشَدُّهُمْ صَبَابَةً (٦) بِالْأَلَّا يَكُونُ  
بِالْأُنْدُلُسِ مُحْسِنٌ سِوَاهُ ، وَلَا مُجِيدٌ حَاشَاهُ . وَكَانَ الرُّأْيُ عِنْدِي لَهُ أَنْ يَسْكُنَ أَرْضَ  
جَلِيْقِيهِ ، (٧) أَوْ قَطْرًا بَعْدَ عَنِ الإِسْلَامِ (٨) حَتَّى لَا يَسْمَعَ فِيهِ لِحَطِيْبٍ ذِكْرًا ،  
وَلَا يُحْسِنَ لِشَاعِرٍ رِكْزًا (٩) ، (١٠) فَيَكُونُ هُنَاكَ فَرْدًا (١١) .

(١) ب ، لب : « تسبطه » — ر : « تبسيطه » (٢-٢) نه في ر ، هـ

(٢-٣) في ب ، لب : « فكل فضل على زعمه من عنده ، وكل علم قبض يده »

(٤) ب ، لب : « ضنائة » (٥-٥) نه في ر ، هـ

(٦) نه : « شعرا » (٧-٧) نه في ر ، هـ

- (١) ومن العجيب أيضاً في أمره أن كل كاتب كتب للسلطين عندنا ، وكل شاعر مدحهم ، رويت أشعاره ورسائله غير أبي القاسم وحده . على أنه إنما جلس للتعليم على هذا المعنى . وربما عرض بأن يؤخذ منه شيء من أشعاره ورسائله ولا يجيبه تلميذ . والمحروم محروم . ولو أنه اشترى الزبيب لصبيان المساجد ، وقشور أصل الجوز لصنع شفاه حراجيات الخانات ، وروى الطبقتين ما عنده ، ٥  
لعرضنا رسومه وجعائله ، ورويتنا أشعاره ورسائله ، وغننا بها على قوارع الطرق ومناقع المياه ومطارح الزبول ، كما تغنيان أشعارهما ، وتسعان حماقتهما ، فيكون ذلك سبباً إلى أن تدب وتدرج ، وتعتاد الطيران فتطير ، ويراها الناس فتعرف ! وهو مع هذا كله (١) يسمينا الهمج الهامج ، ويسمى البديع والصابي وشمس المعالي العضاريط (٢) . وهو أبخل أهل الأرض لا محالة . ولم يقصر بنا عنده إلا توقيفنا لتعامته . وهو يرى أن بعض صبياننا قد أفلقوه حين قالوا : ليست مشيته مشية أديب ، ولا وجهه وجه أريب ، ولا جلسته جلسة عالم ، ولا أنفه أنف كاتب ، ولا نعمته نعمة شاعر . وحكوا أنه ، إذا مشى الخيزلي ، وتقدم قليلاً ثم رجع القهقري ، والقصبه في يده ، والخرج على عاتقه ، أهدق الناس في إخراج لُعبة اليهودي ، فألقوه بما يسمع (٢) ، فكيف لو عضته أنياب غير مفولة ، ١٥  
وخدمته أظافر غير مقلمة ؟

وفي فصل له :

- ذُكر يوماً عند أبي القاسم سهل بن هارون والجاحظ ، ففرَّب فيهما مثل العامة : بينهما ما بين الملائكة وصبيان الحرس . هذا من الإنحاء العظيم على سهل . والأولى أن يسميا محسنين ، إلا أن سهلاً كاتب سلاطين ، والجاحظ ٢٠

مؤلف دواوين . وقد يؤدى النظرُ إلى أنَّهما في طريقتين مختلفتين ، وكلاهما  
 مُحسنٌ في بابه ؛ إلاَّ أنَّه لم يُرَ أغبنٌ من الجاحظِ لنفسه . إنَّ كان واحدَ البلاغةِ  
 في عصره ، فما باله لم يلتبس<sup>(١)</sup> بهما شرفَ المنزلةِ بشرفِ الصنعةِ ، وقد رأى ابنُ  
 الزياتِ وإبراهيمُ بنُ العباسِ بَلغًا بها ما بَلغًا ، وهو يلتبسُ فوائدهما والجاهةِ بهما ؟  
 فلا يخلو في هذا إِمَّا أن يكون<sup>(٢)</sup> مُقتصرًا عن الكتابةِ وجمعِ أدواتها ، أو يكونُ  
 ساقطَ الهمةِ ، أو يكونُ إفراطُ جُحوظِ عَيْنَيْهِ قَمَدَ به عنها ، كما قصَّرَ بي أنا فيها  
 ثِقَلُ سَمْعِي ، وبأبي القاسمِ وَرَمُ أَنْفِهِ . إذ لا بدَّ للعَلِكِ من كاتبٍ مقبولِ الصورةِ تَقَعُ  
 عليها عينه ، وأذن ذَكِيَّةٌ تَسْمَعُ منه حِسَّهُ ، وأنفٍ نَقِيٍّ لا تُدْمُ أنفاسُهُ عندَ  
 مُقَارَبَتِهِ له . ولذلك استحسنوا من الكاتبِ أن يكونَ طَيِّبَ الرَّائِحَةِ ، سليمَ آلاَتِ  
 الحَوَاسِنِ ، نَقِيَّ النَّوْبِ ، ولا يكونَ وَسِخَ الضَّرْسِ ، مُنْقَابَ الشَّفَةِ ، مُكْحَلَّ  
 الاظْفُورِ ، وَضِرَّ الطَّوْقِ . وربما أنكرَ مُنكرٌ قولنا في شَرَطِ جمعِ أدواتِ  
 الكتابةِ فقال : وأى أداةِ نَقَصَتِ الجاحظُ ؟ فنقول : أوَّلُ أدواتِ الكاتبِ العقلُ ،  
 ولا يكونُ كاتبٌ غيرَ عاقلٍ . وقد نجدُ عالمًا غيرَ عاقلٍ ، وجدَّليًا غيرَ حَصيفٍ ،  
 وفقهيا غيرَ حَلِيمٍ . وقد وجدنا من يَنسِبُ العقلَ إلى سَهْلٍ أكثرَ من نِسْبَتِهِ<sup>(٣)</sup>  
 إلى الجاحظِ . لو شهدَ الجاحظُ سَهْلًا يُحَادِثُ للرَّشِيدِ مُلْكا ، ويدبِّرُ<sup>(٤)</sup> له حَرْبا ،  
 ويعاني له إطفاءَ جمرِ فتنه ، مستضلعًا في ذلك كله بعقله ، وجودة<sup>(٥)</sup> علمه ،  
 لرأى أنَّ تلكَ السِّيَاسةَ غيرُ تَسْطِيرِ المَقالِ ، في صِفَةِ غَرَامِيلِ البِغالِ ، وغيرُ  
 الكلامِ في الجُرْدَانِ ، وبناتِ وَرْدَانَ ، ولَعَلِمَ أن بينَ العالمِ والكاتبِ فَرْقا .

(١) ر : « يلبس » (٢) ب ، لب ، ت : « من أن يكون »

(٣) م : « ممن ينسبه » — لب : « مما ينسبه »

(٤) ب ، لب : « يدبر » (٥) ب ، لب ، م : « وتجربة »

وفي فصل له :

ومن دليلٍ تقصيرِ عصابة المعلمين أنهم لا يقدمون أن يجعلوا<sup>(١)</sup> ما يحملون من المعرفة تصنيفاً ، ولا تغزُر مادتهم أن يُنشئوها تأليفاً ؛ وإنما تنسُو به أنفاسهم فسواً بين تلاميذهم ، ولا يقدرُ أن يزيدَ في النفخ<sup>(٢)</sup> فيضطرَّ به ضراطاً يُسمع . فهم في ذلك أمثالُ الجنادب ، وقُرناه الخنافس ، لا توازنُ الظربانَ في قوةِ فسائه ، وإن زادتْ عليه في نتنه ، ولا يبلغونَ درجةَ الحمارِ الوحشيِّ في شدةِ ضراطه ، وإن شاركوهُ في اسمه ، ولا تُروى لهم نادرة ، ولا تؤثرُ عنهم في البلادِ شاردة .

قال : ومما عُلِمَ من خلقِ هذه العصابة إذا لمحتنا أبصارهم قابلونا بالملق ، وهم مُنطَوونَ على حسدٍ وحنق . فإذا جمعتنا المحافل ، وضمتنا المجالس ، ١٠ تراهم إلينا مُبصبين ، وعن الأخذِ في شيء من تلك المعاني زائعين . وإنما يتبينُ تقصيرُ المُقصر ، وفضلُ السابقِ المبرِّز ، إذا اصطكتِ الرُّكْب ، وازدحمتِ الحلق ، واستعجلَ المقال ، ولم تُوجدْ فسحةٌ لفكرة ، ولا أمكنتَ نظرةٌ لروية ؛ أو في مجالس الملوكِ عند أنسها وراحتها ، فإنه يقعُ فيها ، ويجري لَدَيْهَا ، ما لا ينفع<sup>(٣)</sup> له الاستعداد ، ولا ينفذُ فيه غيرُ الطبعِ والغريزة المتدفقة . فتترى الجوادَ السابقَ إذ ذاك ١٥ متشوقاً بأذنه ، باحثاً<sup>(٤)</sup> لكديبِ الإحسانِ بيده ، طامحَ النَّظَر ، صهصلقَ الصَّهِيل ، وأهلِ الصَّنعةِ خرس ، لا يُسمع لهم جرس ، ولا شيء عندهم غيرُ حَسْوِ الكاس ، وشمِّ الآس ، وتنفسِ الصَّعداء ، قد اصفرَّت ألوانهم ، وقلصتْ شفاههم ، كأنهم من رجالِ عُذرة . وما أذكرُ أني فزتُ من هذا المجلسِ بخطيرٍ غيرَ مرَّة ، بين

(١) لب : « يجعلوا » (٢) وه : « يرد النفخ »

(٣) ب ، لب ، وه : « يقع » (٤) ب ، لب : « باعنا »

يَدَى هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، وَالْمَجْلِسُ قَدْ غَصَّ بِالْعَائِمِ وَالطَّاهِمِ <sup>(١)</sup> مِنْ أَهْلِ الْمِصْرِ <sup>(٢)</sup> لِحُجُوبِ بَعْضِ الرُّسَاءِ عَنْ فُصُولِ خَبِيثَةٍ حَادَّةٍ لَا جَوَابَ فِيهَا وَلَا عُذْرَ عِنهَا . فَجَرَى مَا أَكْرَهُ ذَكَرَهُ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ مُتَّصِلٌ بِتَعْجِيزِ أَهْلِ الْبَيْضَةِ ، وَالغَضِّ مِنَ الْأَصْحَابِ ، عَلَى أَنَّهُمْ جُدْرَاهُ بِذَلِكَ ، لِقَلَّةِ إِنْصَافِهِمْ لَنَا ، وَتَسَلُّطِهِمْ عَلَيْنَا ، وَإِسْرَافِهِمْ فِي ثَلْبِنَا .

فُصُولٌ مِنْ رِسَالَةٍ سَمَّاهَا بِالتَّوَابِعِ وَالزَّوَابِعِ ، وَإِنْ صَدَرَتْ عَنْهُ مَصْدَرٌ هَزَلٌ ، فَتَشْتَمِلُ عَلَى بَدَائِعِ رَوَائِعِ .

قال في صدرها مخاطباً لأبي بكرٍ ابنِ حزمٍ :

<sup>(٣)</sup> اللَّهُ أبا بكرٍ ظَنُّ رَمَيْتِهِ فَأَصْمَيْتِ ، وَحَدَسُ أَمَلْتِهِ فَمَا أَشَوَيْتِ ! أَبَدَيْتِ  
بِهِمَا وَجْهَ الْجَلِيلِيَّةِ ، وَكَشَفْتِ عَنْ غُرَّةِ الْحَقِيقَةِ <sup>(٤)</sup> ، حِينَ لَحْتَ صَاحِبِكَ الَّذِي  
تَكْسَبْتَهُ وَرَأَيْتَهُ قَدْ أَخَذَ بِأَطْرَافِ السَّمَاءِ ، فَأَلْفَ بَيْنَ قَمَرَيْهَا ، وَنَظَّمَ فَرَقْدَيْهَا ،  
فَكَلَّمَا رَأَى تَغَرًّا سَدَّهُ بِسُهَاهَا ، أَوْ لَمَحَ خَرْقًا رَمَّهُ بِزُبَانِهَا ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ .  
فَقُلْتَ : كَيْفَ أُوتِيَ الْحُكْمَ صَبِيًّا ، وَهَزَّ بِجَذَعِ نَخْلَةِ الْكَلَامِ فَاسَاقَطَ <sup>(٥)</sup> عَلَيْهِ  
رُطْبًا جَنِيًّا ؟ أَمَا إِنْ بِهِ شَيْطَانًا <sup>(٥)</sup> يَهْدِيهِ ، وَشَيْصَبَانًا يَأْتِيهِ ! وَأَقْسِمُ أَنْ لَهُ تَابِعَةً  
تُنَجِّدُهُ ، وَزَابِعَةً تُؤَيِّدُهُ ، لَيْسَ هَذَا فِي قُدْرَةِ الْإِنْسِ ، وَلَا هَذَا النَّفْسُ لَهُذِهِ  
النَّفْسِ . فَأَمَّا وَقَدْ قَلَّتْهَا أبا بكرٍ فَأَصِخْ أَسْمَعُكَ الْعَجَبَ الْعَجَابَ :

كُنْتُ أَيَّامَ كُتَابِ الْهَجَاءِ ، أَحْنُ إِلَى الْأَدْبَاءِ ، وَأَضْبُو إِلَى تَأْلِيفِ الْكَلَامِ ؛

(١) ب ، لب : « بالجمجم » (٢) ر : « البصرة »

(٣-٣) نه في ر ، وه (٤) ب ، لب : « فَنَسَاقَطَتْ »

(٥) ب ، لب : « أُولَى أَنْ لَهُ سُلْطَانًا »

فَاتَّبَعْتُ الدَّوَابِّ ، وَجَلَسْتُ إِلَى الْأَسَاتِيدِ ، فَنبَضَ لِي عِرْقُ الفَهْمِ ، وَدَرَ لِي  
شِرْيَانُ العِلْمِ ، بِمَوَادِّ رُوحَانِيَّةٍ ؛ وَقَلِيلُ الْإِتِمَاحِ مِنَ النِّظَرِ يَزِيدُنِي <sup>(١)</sup> ، وَيَسِيرُ  
المِطَالَعَةَ مِنَ الكِتَابِ يُفِيدُنِي ، إِذْ صَادَفَ شَنْ العِلْمِ طَبَقَةً . وَلَمْ أَكُنْ كَالثَّلَجِ  
تَقْتَبِسُ مِنْهُ نَارًا ، وَلَا كَالْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا . <sup>(٢)</sup> فَطَعَنْتُ تُغْرَةَ البَيَانِ دِرَاكًا ،  
وَأَعْلَقْتُ رِجْلَ طَيْرِهِ أَشْرَاكَ ، فَانثَلَتْ لِي الْعَجَائِبُ ، وَانْهَلَتْ عَلَيَّ الرِّغَائِبُ <sup>(٣)</sup> .

وَكَانَ لِي أَوَائِلَ صَبُوتِي هَوًى اشْتَدَّ بِهِ كَلْفِي ، ثُمَّ لَحِيتُنِي بَعْدَ مَلَلٍ فِي أَثْنَاءِ  
ذَلِكَ التَّمِيلِ . فَاتَّفَقَ أَنْ مَاتَ مَنْ كُنْتُ أَهْوَاهُ مَدَّةً <sup>(٤)</sup> ذَلِكَ المَلَلِ ، فَجَزَعْتُ  
وَأَخَذْتُ فِي رِثَائِهِ يَوْمًا فِي الحَاوِرِ ، وَقَدْ أَهْمَمْتُ عَلَيَّ أَبُوَابُهُ ، وَانْفَرَدْتُ فَقُلْتُ :

تَوَلَّى الحِمَامُ بَطْنِي الخُدُورِ      وَفَازَ الرَّدَى بِالغَزَالِ الغَرِيرِ

١٠      إِلَى أَنْ اتَّهَيْتُ إِلَى الاعْتِذَارِ مِنَ المَلَلِ الَّذِي كَانَ ، فَقُلْتُ :

وَكَنتُ مَلِيتُكَ لَا عَن قَلِي      وَلَا عَن فَسَادِ جَرَى فِي ضَمِيرِي

فَأَرْتَجِعُ عَلَيَّ القَوْلُ وَأُفْحِمْتُ ، فَإِذَا أَنَا بِفَارِسٍ بِيَابِ <sup>(٤)</sup> المَجْلِسِ عَلَى فَرَسٍ  
أَدْهَمَ كَمَا بَقَلَ وَجْهَهُ ، قَدْ اتَّكَأَ عَلَى رُجْحِهِ ، وَصَاحَ بِي : أَعْجَزًا يَا فَتَى الْإِنْسِ ؟  
قُلْتُ : لَا وَأَبِيكَ ، لِلكَلَامِ أَحْيَانٍ ، وَهَذَا شَأْنُ الْإِنْسَانِ ! قَالَ لِي : قُلْ بَعْدَهُ :

١٥      كَمِثْلِ مَلَالِ الفَتَى لِلنَّعِيمِ      إِذَا دَامَ فِيهِ وَحَالِ الشَّرُورِ

فَأُثْبِتُ إِجَازَتَهُ ، وَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبِي أَنْتَ ! مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا زُهَيْرُ بْنُ نُمَيْرٍ مِنَ  
أَشْجَعِ الجِنَّ . فَقُلْتُ : وَمَا الَّذِي حَدَاكَ إِلَى التَّصَوُّرِ لِي ؟ فَقَالَ : هَوًى فِيكَ ،

(١) ب ، لب : « يوقدني »      (٢-٢) نه في ب ، لب

(٣) ب ، لب : « لئير »      (٤) ب ، لب : « على باب »

وَرَغْبَةٌ فِي اصْطِفَائِكَ . قَلْتُ : أَهْلًا بِكَ أَيُّهَا الْوَجْهُ الْوَضَّاحُ ، صَادَفَتْ قَلْبًا إِلَيْكَ  
مَقْلُوبًا ، وَهَوَى نَحْوَكَ مَجْنُوبًا <sup>(١)</sup> . وَتَحَادَّثْنَا <sup>(٢)</sup> حِينًا ثُمَّ قَالَ : مَتَى سِئْتُ  
اسْتِحْضَارِي فَأَنْشِدْ هَذِهِ الْآيَاتِ :

وَإِلَى زُهَيْرِ الْحُبِّ يَا عَزَّ إِنَّهُ إِذَا ذَكَرْتَهُ الذَّاكِرَاتُ أَنَاهَا  
إِذَا جَرَّتِ الْأَفْوَاهُ يَوْمًا بِذِكْرِهَا يُخَيَّلُ لِي أَنِّي أُقْبَلُ فَأَهَا  
فَأَغْشَى دِيَارَ الذَّاكِرِينَ وَإِنْ نَأَتْ أَجَارِعُ مِنْ دَارِي هَوَى هَوَاهَا

وَأَوْتَبَ الْأَدَمَ جِدَارَ الْحَائِطِ ثُمَّ غَابَ عَنِّي . وَكُنْتُ أبا بَكْرٍ مَتَى أُرْتَجَّ عَلَيَّ ،  
أَوْ انْقَطَعَ بِي مَسَلِكٌ ، أَوْ خَانَنِي أُسْلُوبٌ أَنْشِدُ الْآيَاتِ فَيُمَثِّلُ لِي صَاحِبِي ، فَأَسِيرُ  
إِلَى مَا أَرْغَبُ ، وَأُذْرِكُ بِقَرِيحَتِي مَا أُطَلِّبُ . وَتَأَكَّدْتُ صُحْبَتُنَا ، وَجَرَّتْ قِصَصُ  
لَوْلَا أَنْ يَطُولَ الْكِتَابُ لَذَكَرْتُ أَكْثَرَهَا ، لَكِنِّي ذَاكِرٌ بَعْضَهَا . ١٠

### فصل:

تَذَاكَرْتُ يَوْمًا مَعَ زُهَيْرِ بْنِ نُمَيْرٍ أَخْبَارَ الْخُطَبَاءِ وَالشُّعْرَاءِ ، وَمَا كَانَ  
يَأْتِيهِمْ مِنَ التَّوَابِعِ وَالزَّوَابِعِ ، وَقُلْتُ : هَلْ حِيلَةٌ فِي لِقَاءِ مَنْ اتَّفَقَ مِنْهُمْ <sup>(٣)</sup> ؟  
قَالَ : حَتَّى أَسْتَأْذِنَ شَيْخَنَا . وَطَارَ عَنِّي ثُمَّ انصَرَفَ <sup>(٤)</sup> كَلْمَحٌ بِالْبَصْرِ <sup>(٥)</sup> ، وَقَدْ  
إِذِنَ لَهُ ، فَقَالَ : حُلَّ عَلَى مَتْنِ الْجَوَادِ <sup>(٦)</sup> . فَصَرْنَا <sup>(٧)</sup> عَلَيْهِ ؛ وَسَارَ بِنَا كَالطَّائِرِ  
يَجْتَابُ الْجَوَّ فَالْجَوَّ ، وَيَقْطَعُ النَّوَّ فَالنَّوَّ ، حَتَّى التَّمَحَّتْ أَرْضًا لَا كَأَرْضِنَا ،  
وَشَارَفَتْ جَوًّا لَا كَجَوِّنَا ، مَتَفَرَّعَ الشَّجَرِ ، عَطَرَ الزَّهْرِ ؛ فَقَالَ لِي : حَلَّتْ

(١) ب ، لب : « محبوبا » (٢) من هنا إلى نهاية هذا الفصل ناقص في ر ، و

(٣) ب ، لب : « هذه الطوائف » (٤-٤) ر في ر ، و

(٥) ب ، لب ، و ، و : « الأدم » (٦) ر ، و ، و ، لب : « فسرنا »



- أرض الجن أبا عامر ، فبمن تريد أن تبدأ ؟ قلت : الخطباء أولي بالتقديم ،  
لكنني إلى الشعراء أشوق . قال : فمن تريد منهم ؟ قلت : صاحب امرئ  
القيس . فأمال العنان إلى وادي من الأودية ذي دوح تنكسر أشجاره ، وتترنم  
أطياره ، فصاح : يا عتيبة بن نوفل ، بسقط اللوى فحومل ، ويوم دارة  
جبل ، إلا ما عرضت علينا وجهك ، وأنشدتنا من شعرك ، وسمعت من  
الإنسي ، وعرفتنا كيف إجازتك له ! فظهر لنا فارس على فرس شقراء كأنها  
تلهب ، فقال : حيّاك الله يا زهير ، وحيّا صاحبك ! أهذا فتاهم <sup>(١)</sup> ؟ قلت : هو  
هذا ، وأى حجرة <sup>(٢)</sup> يا عتيبة ! فقال لي : أنشد ، فقلت : السيد أولى بالإنشاد .  
فتطامح طرفه ، واهتز عطفه ، وقبض عنان الشقراء ، وضربها بالسوط ، فسمت  
تخضر طولاً عناً ، وكره فاستقبلنا بالصعدة هازلاً لها ، ثم ركرها وجعل ينشد :
- ١٠ \* سمالك شوق بعد ما كان أقصرًا <sup>(٣)</sup> \*
- حتى أكملها ثم قال لي : أنشد . فهممت بالحيصة ، ثم اشتدت قومي نفسي  
وأنشدت :

\* شجته مغان من سليمان وأدور \*

١٥

حتى انتهت فيها إلى قولي :

ومن قبة لا يدرك الطرف رأسها      تزلُّ بهاريج الصبا فتحدّر  
تكلفتها <sup>(٤)</sup> والليل قد جاش بحره      وقد جعلت أمواجه تنكسر  
ومن تحت حضي أبيض ذوسفاسي      وفي الكف من عسالة الخط أسمر  
هما صاحباي من لدن كنت يافعاً      مقيلان من جد الفتي حين يعثر

(١) هـ : « أهذا هو فلان » (٢) ب ، لب : « حجرة هو »

(٣) العقد الثمين ص ١٢٨ (٤) ب ، لب : « تكلفتها »

فَذَا جَدُولٌ فِي الْعَمْدِ تُسْقَى بِهِ الْمُنَى      وَذَا غُصْنٌ فِي الْكَفِّ يُجْنَى فَيْثُمُ  
 فَلَمَّا اتَّهَيْتُ تَأَمَّلْنِي عُتَيْبَةُ ثُمَّ قَالَ : اذْهَبْ فَقَدْ أَجَزْتُكَ . وَغَابَ عَنَّا ، فَقَالَ  
 لِي زُهَيْرٌ : مَنْ تُرِيدُ بَعْدُ ؟ قُلْتُ : صَاحِبَ طَرْفَةٍ . فَجَزَعْنَا وَادَى عُتَيْبَةَ ، وَرَكَّضْنَا  
 حَتَّى اتَّهَيْنَا إِلَى غَيْضَةٍ شَجَرُهَا شَجَرَانُ : سَامٌ يَقُوعُ بِهَارَا ، وَشَحْرٌ يَعْبِقُ <sup>(١)</sup>  
 هِنْدِيًّا وَغَارًا . فَرَأَيْنَا عَيْنًا مَعِينَةً تَسِيلُ ، وَيَدُورُ مَاؤُهَا فَلَكِيًّا وَلَا يَحُولُ . فَصَاحَ  
 بِهِ زُهَيْرٌ : يَا عَنَتْرُ بْنُ الْعَجْلَانَ ، حَلَّ بِكَ زُهَيْرٌ وَصَاحِبُهُ ، فَيَحْوَلُهُ ، وَمَا قَطَعْتَ  
 مَعَهَا مِنْ لَيْلَةٍ ، إِلَّا مَا عَرَضْتَ وَجْهَكَ لَنَا ! فَبَدَأَ إِلَيْنَا رَاكِبٌ جَمِيلُ الْوَجْهِ ، قَدْ  
 تَوَشَّحَ السَّيْفَ ، وَاشْتَمَلَ عَلَيْهِ كِسَاءُ خَزٍّ ، وَبِيَدِهِ خَطِيٌّ ، فَقَالَ : مَرَحَبًا بِكُمَا !  
 وَاسْتَنْشَدَنِي فَقُلْتُ : الزَّعِيمُ أَوْلَى بِالْإِنْشَادِ ، فَأَنْشَدَ :

\* لِسُعْدَى بِحِزَانِ الشَّدِيفِ طُلُولُ <sup>(٢)</sup> \*

حَتَّى أَكْمَلَهَا ، فَأَنْشَدْتُهُ مِنْ قَصِيدَةٍ :

\* أَمِنْ رَسْمِ دَارٍ بِالْعَقِيقِ مُحِيلِ \*

حَتَّى اتَّهَيْتُ إِلَى قَوْلِي :

وَلَمَّا هَبَطْنَا الْعَيْثَ تُذْعَرُ وَخَشُهُ      عَلَى كُلِّ خَوَارِ الْعِنَانِ أُسَيْلِ  
 وَثَارَتْ بَنَاتُ الْأَعْوَجِيَّاتِ بِالضُّحَى      أَبَابِيلَ مِنْ أَعْطَافٍ غَيْرِ وَبَيْلِ  
 مُسَوِّمَةٌ نَعَتَتْ دُهَا مِنْ خِيَارِهَا      لَطَرْدٍ قَنِيصٍ أَوْ لَطَرْدِ رَعِيلِ  
 إِذَا مَا تَعَنَّيَ الصَّحْبُ فَوْقَ مُتُونِهَا      ضَحِيًّا أَجَابَتْ تَحَنُّنَهُمْ بِصَهِيلِ <sup>(٣)</sup>  
 نَدُوسُ بِهَا أَبْنَكَارَ نَوْرٍ كَأَنَّهُ      رَدَاهُ عَرُوسٍ أُودِنَتْ بِجَلِيلِ  
 رَمَيْنَابَهَا عَرَضَ الصُّوَارِ <sup>(٤)</sup> فَاقْعَصَتْ      أَغْنَى قَتْلَانَهُ بِفَيْرٍ قَتِيلِ

(٢) رواية العقد الثمين ص ٦٨ « لهند ... »

(١) هـ : « بقضم »

(٤) هـ . « السواد »

(٣) هـ في ب ، لب

وبادَرَ أُنْحَابِي النُّزُولَ فَأَقْبَلْتُ      كَرَّادِيسُ مِنْ غَضِّ الشَّوَاءِ نَشِيلِ  
نُمَسِّحُ بِالْجُودَانِ مِنْهُ أَكْفَمْنَا      إِذَا مَا اقْتَنَصْنَا مِنْهُ غَيْرَ قَلِيلِ <sup>(١)</sup>  
فَقَلْنَا لِسَاقِيهَا <sup>(٢)</sup> أَدْرِهَا سُلَاقَةً      شَمُولًا وَمِنْ عَيْنَيْكَ صِرْفَ شَمُولِ  
فَقَامَ بِكَأَسْنِيهِ مُطِيعًا لِأَمْرِنَا      يَمِيلُ بِهِ الْإِذْلَالُ كُلَّ مَمِيلِ  
وَشَعَّعَ رَاحِيَهُ <sup>(٣)</sup> فَمَا زَالَ مَا نَلَا      بِرَاسِ كَرِيمٍ مِنْهُمْ وَتَلِيلِ  
إِلَى أَنْ ثَنَاهُمْ رَاكِدِينَ لِمَا احْتَسَوْا      خَلِيعِينَ مِنْ بَطْشٍ وَفَضْلِ عُقُولِ  
نَشَاوَى عَلَى الزُّهْرَاءِ ، صَرَغَى كَأَنَّهُمْ <sup>(٤)</sup>      أَسَاطِينُ قَصْرِ <sup>(٥)</sup> أَوْ جُدُوعُ نَخِيلِ

فصاح عنترُ : لله أنت ! اذهب فإنك مجاز <sup>(٦)</sup> . وغاب عنا . <sup>(٧)</sup> ثم ملنا  
عنه <sup>(٧)</sup> ، فقال لي زهير : إلى من تتوق نفسك بعد من الجاهليين ؟ قلت :  
كفاني من رأيت ؛ اصرف وجه قصيدنا إلى صاحب أبي تمام ؛ فركضنا  
ذات اليمين حيناً ، ويشتد في إثرنا فارس كأنه الأسد ، على فرس كأنها العقاب ،  
وهو في عدوه ذلك يئس :

طَعَنْتُ ابْنَ عَبْدِ الْقَيْسِ طَعْنَةً نَائِرٍ      لَهَا نَفَذُ لَوْلَا الشَّمَاعُ أَضَاءَهَا <sup>(٨)</sup>  
فَاسْتَرَبْتُ مِنْهُ ، قَالَ لِي زُهَيْرُ : لَا عَلَيْكَ ، هَذَا أَبُو الْخَطَّارِ صَاحِبُ قَيْسِ  
ابن الخطيم . فاستبى لي من إنشاده البيت ، وازددت خوفاً لجراً أرتيه ، وأنا لم  
نعرج عليه . فصرف إليه زهير وجه الأدهم ، وقال : حياك الله أبا الخطار !  
فقال : أهكذا يحاد عن أبي الخطار ، ولا يحظر عليه ؟ قال : علمناك صاحب

(١) هذا البيت ناقص في ر ، هـ

(٢) ب ، لب : « ساقيه »

(٣) ب ، لب : « تترى »

(٤) ب ، لب : « فقد أجزتك »

(٥) ر ، هـ في ر ، هـ

(٦) ر ، هـ : « حتى »

(٧) ب ، لب : « فقد أجزتك »

(٨) راجع ديوانه ص ٣

قَنَصْ، وَخِفْنَا أَنْ نَشْفَلَكَ . قَالَ لِي : أَنْشِدْنَا يَا أَشْجَعِي ، وَأَقِمْ أُنْكَ إِنْ لَمْ تُجِدْ  
لِيَكُونَنَّ يَوْمَ شَرٍّ . فَأَنْشَدْتُهُ قَوْلِي مِنْ قَصِيدَةٍ :

\* مَنَازِلُهُمْ تَبْكِي إِلَيْكَ <sup>(١)</sup> عَفَاءَهَا \*

ومنها <sup>(٢)</sup> :

٥ خَلِيلِي عُوَجًا بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ  
فَلَمْ أَرِ أَسْرَابًا كَأَسْرَابِهَا الدَّمِي <sup>(٣)</sup>  
وَلَا كَضَلَالٍ كَانَ أَهْدَى لَصَبُوتِي  
وَمَا هَاجَ هَذَا الشَّوْقُ إِلَّا حَمَائِمُ  
عَجِبْتُ لِنَفْسِي كَيْفَ مُلِكَهَا الْهَوَى  
وَلَوْ أَنَّي أَنْحَتُ عَلَى أُوْكَارُمُ ١٠  
وَلَكِنْ جِرْذَانَ الثُّغُورِ رَمَيْتَنِي  
إِلَيْكَ أبا مَرْوَانَ أَلْقَيْتُ رَابِيًا  
هَزَزْتُكَ فِي نَضْرِي ضُحَى فَكَانَنِي  
نَقَضْتُ عُرَى عَزْمِ الزَّمَانِ وَإِنْ عَتَا  
فَلَمَّا اتَّهَيْتُ تَبَسَّمُ وَقَالَ : لَنِعَمَ مَا تَخَلَّصْتَ ! إِذْ هَبَّ فَقَدْ أَجْرَتْكَ . ثُمَّ  
انصرفتُنا ، وَرَكضْنَا حَتَّى اتَّهَيْتُنَا إِلَى شَجَرَةٍ غَيْثَاءَ ، يَتَفَجَّرُ مِنْ أَصْلِهَا عَيْنٌ كَمَقْلَةٍ  
حَوْزَاءَ . فَصَاحَ زُهَيْرٌ : يَا عَتَابُ بْنُ حَبْنَاءَ ، حَلَّ بِكَ زُهَيْرٌ وَصَاحِبُهُ ، فَبِعَمْرٍو  
وَالْقَمَرِ الطَّالِعِ ، وَبِالرُّقْعَةِ الْمَكْوُكَةِ <sup>(٥)</sup> الطَّابِعِ ، إِلَّا مَا أَرَيْتُنَا وَجْهَكَ ! فَانْفَلَقَ

(١) ب ، لب : « عليك » (٢) مايلي إلى آخر القصيدة ناقص في موه

(٣) ب ، لب : « الأولى » (٤) الأبيات الثلاثة الأخيرة ناقصة في ر

(٥) موه : « المكفوفة »

ماء العين عن وجهي كفلقة القمر ، ثم اشتق الهواء صاعداً إلينا من قعرها  
حتى استوى معنا . فقال : حياك الله يا زهير ، وحيا صاحبك ! قلت : وما الذي  
أسكنك قعر هذه العين يا عتاب ؟ قال : حياي من التحسن باسم الشعر وأنا  
لا أحسنه . فصحت : ويلي منه ، كلامٌ مُحدثٍ ورب الكعبة ! واستنشدني فلم  
أنشده إجلالاً له ، ثم أنشدته :

\* أَبَكَيْتَ<sup>(١)</sup> ، إِذْ ظَنَّ الْفَرِيقُ ، فِرَاقَهَا \*

حتى انتهيتُ فيها إلى قولي<sup>(١)</sup> :

إني امرؤٌ لعبَ الزمانِ بهِمَّتِي      وَسَقَيْتُ مِنْ كَأْسِ الْخُطُوبِ دَهَاقَهَا  
وَكَبُوتِ طِرْفَانِي الْعُلَافِ اسْتَضْحَكَتْ      حُمْرُ الْأَنَامِ فَمَا تَرِيمُ نِهَاقَهَا  
وَإِذَا ارْتَمَتْ نَحْوِي الْمُنَى لِأَنَاهَا      وَقَفَ الزَّمَانُ لَهَا هُنَاكَ فَعَاقَهَا<sup>(٢)</sup>  
وَإِذَا أَبُو يَحْيَى تَأَخَّرَ نَفْسُهُ      فَمَتَى أَوْمَلُ فِي الزَّمَانِ لِحَاقَهَا ؟

فلما انتهيتُ قال : أنشدني من ربائك . فأنشدته :

أَعِينَا امْرَأً نَزَحَتْ عَيْنُهُ      وَلَا تَعَجَبَا مِنْ جُفُونِ حِمَادِ<sup>(٣)</sup>  
إِذَا الْقَلْبُ أَحْرَقَهُ بَشُهُ      فَإِنَّ الْمَدَامِعَ تَلُو<sup>(٤)</sup> الْفُؤَادِ  
يُودُ<sup>(٥)</sup> الْفَتَى مَهْلًا خَالِيًا      وَسَعْدُ الْمَنِيَةِ فِي كُلِّ وَادِ<sup>(٦)</sup>  
وَيَصْرِفُ<sup>(٧)</sup> لِلْكَوْنِ مَا فِي يَدَيْهِ م      وَمَا الْكَوْنُ إِلَّا نَذِيرُ الْفَسَادِ<sup>(٨)</sup>

(١-١) مه في ب ، لب (٢) هذا البيت والذي يليه ناقصان في ر ، وه

(٣) هذا البيت والذي يليه ناقصان في ب ، لب (٤) وه : « تلوي »

(٥) وه : « يرود » (٦) بهامش نسخة لب : « إشارة الى المثل : في كل واد

بنو سعد » (٧) ر : « ويطوف » (٨) هذا البيت ناقص في ب ، لب

لَقَدْ عَثَرَ الدَّهْرُ<sup>(١)</sup> بِالسَّابِقِينَ وَلَمْ يُعْجِزِ الْمَوْتَ رَكْضُ الْجَوَادِ  
لَعَمْرُكَ مَا زِدَّ رَيْبَ الرَّدَى<sup>(٢)</sup> أَرِيْبٌ وَلَا جَاهِدُ<sup>(٣)</sup> بِاجْتِهَادِ  
سِهَامُ الْمَنِيَا تُصِيبُ الْفَتَى وَلَوْ ضَرَبُوا دُونَهُ بِالسَّدَادِ<sup>(٤)</sup>  
أَصَبْنَ<sup>(٥)</sup> عَلَى بَطْشِهِمْ جُرْهُمَا وَأَصْمِينَ فِي دَارِهِمْ<sup>(٦)</sup> قَوْمَ عَادِ  
وَأَقْعَضْنَ كَلْبًا عَلَى عِزِّهِ فَمَا اغْتَزَى بِالصَّافِنَاتِ الْحِيَادِ

إلى أن انتهت فيها إلى قولي :

وَلَكِنِّي خَانِي مَعْشَرِي وَرُذْتُ يَفَاعًا وَبِيْلَ الْمَرَادِ  
وَهَلْ ضَرَبَ السَّيْفُ مِنْ غَيْرِ كَفٍّ؟<sup>(٧)</sup> وَهَلْ ثَبَتَ<sup>(٨)</sup> الرَّأْسُ فِي غَيْرِ هَادٍ؟

فقال : زدني من رثائك وتحريضك ، فأنشدته :

أَفِي كُلِّ عَامٍ مَضْرَعٌ لِعَظِيمٍ؟<sup>١٠</sup> أَصَابَ الْمَنِيَا حَادِي وَقَدِيمِي  
هَوَى قَمْرًا قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ أَنْفَا وَأَوْحَشَ مِنْ كَلْبٍ مَكَانُ زَعِيمِ  
فَكَيْفَ لِقَائِي الْحَادِثَاتِ إِذَا سَطَتْ وَقَدْ فُلَّ سِنِّي مِنْهُمْ وَعَزِيمِي؟  
وَكَيْفَ اهْتِدَائِي فِي الْخَطُوبِ إِذَا دَجَّتْ وَقَدْ فَقَدْتُ عَيْنَايَ ضَوْءَ نَجُومِ؟  
مَضَى السَّلْفُ الْوَضَّاحُ إِلَّا بِقِيَّةٍ كَعُرَّةٍ مُسَوِّدٍ الْقَمِيصِ بِيَمِ

١٥ ومنها :

رَمَيْتُ بِهَا الْآفَاقَ عَنِّي غَرِيبَةً نَتِيجَةَ خَفَاقِ الضُّلُوعِ كَظِيمِ

(١) ب ، لب : « الموت » (٢) ب ، لب : « المنون »

(٣) ب ، لب : « حازم » (٤) هذا البيت ناقص في ب ، لب

(٥) ب ، لب : « أصاب » (٦) ب ، لب : « وأصمى بدارهم »

(٧) ب ، لب : « يضرب » (٨) و ، لب : « ثبت »

لأُبْدِي إِلَى أَهْلِ الْحِجَابِ مِنْ بَوَاطِنِي      وَأُذِلِّي بِعُدْرِي فِي ظَوَاهِرِ (١) لُؤْمِ  
 أَنَا السَّيْفُ لَمْ تَتَّعَبْ بِهِ كَفُّ ضَارِبِ (٢)      صَرُومٌ إِذَا صَادَفَتْ كَفُّ صَرُومِ (٣)  
 سَعَيْتُ بِأَحْرَارِ الرَّجَالِ فَخَانَنِي      رِجَالٌ وَلَمْ أَنْجِدْ بِجِدِّ عَظِيمِ  
 وَضَيَّعَنِي الْأَمْلَاكُ بَدَأَ وَعَوْدَةٌ (٤)      فَضَعْتُ بَدَارِ مِنْهُمْ وَحَرِيمِ

قال : إن كنت ولا بُدَّ قائلًا ، فإذا دَعَنْتَ نَفْسُكَ إِلَى الْقَوْلِ فَلَا تَكُدُّ قَرِيحَتَكَ ،  
 فإذا أَكْمَلْتَ فَجَامِ ثَلَاثَةَ لَا أَقْلَ . وَنَفِّحْ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَتَذَكَّرْ قَوْلَهُ :

وَجَشَّعَنِي خَوْفُ ابْنِ عَفَّانَ رَدَّهَا      فَتَقَفَّتْهَا حَوْلًا كَرِيئًا وَمَرْبَعًا  
 وَقَدْ كَانَ فِي نَفْسِي عَلَيْهَا زِيَادَةٌ      فَلَمْ أَرَ إِلَّا أَنْ أُطِيعَ وَأُسْمَعَا

وما أنت إلا مُحْسِنٌ عَلَى إِسَاءَةِ زَمَانِكَ . فَقَبَّلْتُ عَلَى رَأْسِهِ ، وَغَاصَ فِي الْعَيْنِ .  
 ١٠ ثم قَالَ لِي زُهَيْرٌ : مَنْ تُرِيدُ بَعْدَهُ ؟ قُلْتُ : صَاحِبَ أَبِي نُؤَاسٍ ، قَالَ : هُوَ  
 بَدِيرٌ حَنَّةٌ (٥) مِنْذُ أَشْهُرٍ (٥) ، قَدْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ الْحَمْرُ ، وَدَيْرٌ حَنَّةٌ فِي ذَلِكَ الْجَبَلِ .  
 وَعَرَضَهُ عَلَيَّ ، فَإِذَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فَرَسِيخٌ . فَرَكَضْنَا سَاعَةً ، وَجُرْنَا فِي رَكْضِنَا بِقَصْرِ  
 عَظِيمٍ قَدَامَهُ نَاوَرْدٌ (٦) يَتَطَارَدُ فِيهِ فُرْسَانٌ ، قُلْتُ : لَمَنْ هَذَا الْقَصْرُ يَا زُهَيْرُ ؟  
 قَالَ : لَطَوِيقِ بْنِ مَالِكٍ ؛ وَأَبُو الطَّبَّعِ صَاحِبُ الْبُحْتَرِيِّ فِي ذَلِكَ النَّوَرْدِ ، فَهَلْ  
 لَكَ فِي أَنْ تَرَاهُ ؟ قُلْتُ : أَلْفُ هَلْ (٧) ، إِنَّهُ لَمَنْ أَسَاتِيذِي ، وَقَدْ كُنْتُ أَنْسِيْتُهُ .  
 ١٥ فَصَاحَ : يَا أَبَا الطَّبَّعِ ! نَخْرَجُ إِلَيْنَا فَتَيَّ عَلَى فَرَسٍ أَشْعَلٍ ، وَبِيَدِهِ قَنَاةٌ ،

(١) ب ، لب ، و : « بواطن »      (٢) ب ، لب : « له »  
 (٣) و : « صريم »      (٤) ب : « عوداً وبدأة »  
 (٥-٥) و في ر ، و      (٦) ب ، لب : « ماء ورنده »  
 (٧) و : « أجل »

(١) فقال له زهير: إنك مُؤتمنا، فقال: لا، صاحبك أشمخُ مارناً من ذلك لولا أنه  
ينقصه. قلت: أبا الطبع، على رسلك، إن الرجال لا تكالُ بالقفران. أنشدنا  
من شعرك (١). فأنشد:

\* ما على الركب من وقوف الركب (٢) \*

حتى أكملها، ثم قال: هات إن كنت قلت شيئاً (٣). فأنشدته:

\* هـ — دار زينب والرباب \*

حتى انتهت فيها إلى قولي:

|  |   |                     |
|--|---|---------------------|
| <p>وأتى الصبحُ قاطع الأسباب (٤)<br/>دخلوا الكُمون في جوف غاب<br/>قبضت كفه برجل غراب<br/>ل وأزخى مُعدودن الأطناب<br/>أشرفت للعيون من آداب<br/>جُنح ليل جوزأوه من ركب<br/>من حديني في عرض أمر عجاب<br/>من ذيول العلاء وجد (٧) كابي<br/>لم تكن طعمة لقرم (٨) الكلاب</p> | <p>وازتكضنا حتى مضى الليل يسعى<br/>فكان النجوم في الليل جيش<br/>وكان الصباح قانص طير<br/>وفتور سروا وقد عكف اللئ<br/>وكان النجوم لما هددتهم<br/>يتفرون جوز (٥) كل فلاة<br/>عن ذكرى لمدحهم فتأهوا<br/>همة (٦) في السماء تسحب ذيلاً<br/>ولو أن الدنيا كريمة نجر</p> | <p>١٠</p> <p>١٥</p> |
|--|---|---------------------|

(١-١) هـ في ب، لب (٢) راجع ديوان البحترى (ج ٢ ص ١٠٩)

(٣) ر: «ان قلت شيئاً» — ب، لب، هـ: «إن كنت شيئاً»

(٤) هذا البيت ناقص في ر، هـ (٥) هـ: «جو» — ب: «جون»

(٦) ب، لب: «سمة» (٧) هـ: «وجدى»

(٨) ب، لب، هـ: «لبرس»



جَيْفَةٌ أَنْتَنَتْ فَطَارَ إِلَيْهَا مِنْ بَنِي دَهْرٍهَا فِرَاحُ الذُّبَابِ  
وَمِنْهَا يَفْخَرُ:

مِنْ شُهَيْدٍ فِي سِرِّهَا ثُمٌّ مِنْ أَشْجَعٍ فِي السَّرِّ مِنْ لُبَابِ اللُّبَابِ  
خُطْبَاءِ الأَنَامِ إِنْ عَنَّ خَطْبُ وَأَعَارِبُ فِي مُثُونِ عِرَابِ

- (١) حتى أكلتها (١). فكأنما غشي وجهه (٢) أبي الطبع قطعة من الليل . وكرر  
راجعا إلى نأورده دون أن يسلم . فصاح به زهير : أأجزته ؟ قال : أجزته (٣) ،  
لا بورك فيك من زائر ، (٤) ولا في صاحبك أبي عامر (٤) ! فضرب (٥) زهير  
الأدهم بالسوط ، فسار بنا في قنته (٥) ، وسرنا حتى انتهينا إلى أصل جبل دير  
حنّة ، فسق (٦) سمعى قرع النواقيس ، فصحت : من منازل أبي نواس ورب  
الكعبة العلياء ! وسرنا نجتأ أديارا وكنائس وحانات ، حتى انتهينا إلى دير  
عظيم تعبق روائحه ، وتصوك نوافحه (٧) . فوقف زهير ببابه وصاح : سلام على  
أهل دير حنة ! فقلت زهير : أو هل صرنا (٨) بذات الأكيراح ؟ قال : نعم .  
وأقبلت (٩) نحونا الرهايين ، مشددة (١٠) بالزنانير ، قد قبضت على العكاكيز ،  
بيض الحواجب واللحى ، إذا نظروا إلى المرء استحيا ، مكثرين للتسبيح ، عليهم  
هدى المسيح . فقالوا : أهلاً بك يا زهير من زائر ، وبصاحبك أبي عامر !

(١-١) هـ في ر ، و (٢) ب ، لب : « على »

(٣) ر ، و : « أجزت » (٤-٤) هـ في ر ، و

(٥-٥) هـ في ب ، لب (٦) و : « ففتق »

(٧) ر ، ب : « نوافحه » (٨) ب ، لب : « أو قد صرنا »

(٩) ب ، لب ، و : « وأرقلت »

(١٠) و : « مشدودة » - ب ، لب : « مشددة »

ما بُعِثْتُكَ؟ قال: حُسَيْنُ الدَّنَانِ . قالوا: إِنَّهُ لَنِي شُرْبٌ <sup>(١)</sup> الحَمْرَةَ ، منذُ أَيَّامِ  
عَشْرَةَ ، وما نَرَا كَمَا مَنْتَفِعِينَ بِهِ . فقال: وعلى ذلك . ونزلنا وجاءوا بنا إلى بَيْتِ  
قد اصطَفَتْ دِنَانَهُ ، وعكفتُ غَزْلَانَهُ ، وفي فُرْجَتِهِ شَيْخٌ طَوِيلُ الوَجْهِ والسَّبَلَةِ ،  
قد افترشَ أَضْغَاثَ زَهْرٍ ، واتكأَ عَلَى زِقِّ سَحَرٍ ، وبِيَدِهِ <sup>(٢)</sup> طَرْجَهَاءَةٌ ، وحوالِيهِ  
صِنِيَّةٌ كَأَنْظَبٍ تَعْطُو إلى عَرَاةٍ . فصاحَ بِهِ زُهَيْرٌ : حَيَّاكَ اللهُ أبا الإِحْسَانِ !  
بِجَوَابِ بَجْوَابٍ لَا يُعْقَلُ لُغَلْبَةَ السَّحَرِ عَلَيْهِ . فقال لى زُهَيْرٍ : اقْرَعِ أُذُنَ نَشْوَتِهِ <sup>(٣)</sup>  
بِإِحْدَى سَحَرِيَّاتِكَ ، فَإِنَّهُ رُبَّمَا تَنَبَّهَ لِبَعْضِ ذَلِكَ . فصِحَّتْ <sup>(٤)</sup> أُشْدُ مِنْ كَلِمَةٍ  
لى طَوِيلَةٍ :

وَلرُبَّ خَانَ قَدْ أَدْرَتْ بَدِيرَهُ      سَحَرَ الصَّبَا مُرَجَّتْ بِصَفْوِ سُمُورِهِ  
فِي فِتْيَةٍ جَعَلُوا الزَّفَاقَ تِكَاءَهُمْ      مُتَصَاغِرِينَ تَحْشَشُوا مَا لِكَبِيرِهِ  
وَالى عَلَى بَطْرِفِهِ وَبِكَفِّهِ      فَأَمَّالٌ مِنْ رَأْسِي لِعَبِّ كَبِيرِهِ  
وَتَرَنَّمَ النَّاقُوسُ عِنْدَ صَلَاتِهِمْ      فَفَتَحْتُ مِنْ عَيْنِي لِرَجْعِ هَدِيرِهِ  
يُهْدِي إِلَيْنَا الرِّيحَ كُلُّ مَعْصُفِرٍ <sup>(٥)</sup>      كَالْحِشْفِ خَفَرَهُ التِّمَاحُ خَفِيرِهِ <sup>(٦)</sup>

فصاحَ مِنْ حَبَائِلِ نَشْوَتِهِ : أَأَشْجَعِي؟ قلتُ : أَنَا ذَاكَ ! فاستدعى ماءً قَرَّاحًا ،  
فَشَرِبَ مِنْهُ وَغَسَلَ وَجْهَهُ ، فَأَفَاقَ واعتذر إلىَّ مِنْ حالِهِ . فأدركتني مَهَابَتُهُ ،  
وَأَخَذْتُ فِي إِجْلَالِهِ ، لِمَكَانِهِ مِنَ العِلْمِ والشَّعْرِ . فقال لى : أَنشِدْ ، أَوْ حَتَّى أَنشِدَكَ؟  
فقلتُ : إِنَّ ذَلِكَ لِأَشْدُّ لِتَأْنِيسِي <sup>(٧)</sup> . على أَنَّهُ ما بعدك لِمُحْسِنِ إِحْسَانٍ ، فَأَنشِدْ :

(١) ب ، لب ، و : « شرك » (٢) ب ، لب : « وبينه »

(٣) ر : « أذنيه » (٤) ب ، لب : « فصرخت »

(٥) ب : « مصفر » — لب : « مصفن » (٦) هذا البيت ناقص في ر ، و

(٧) ر : « لأشد من تأنيسى » — ب ، لب ، ت : « لأهدأ تأنيسا »

يَا دَيْرَ حِنَّةٍ مِنْ ذَاتِ الْكَبْرَاحِ مِنْ يَصْحُ عَنْكَ فَإِنِّي لَسْتُ بِالصَّاحِي (١)  
 يَعْتَادُهُ كُلُّ مُحْفُوفٍ مَفَارِقُهُ مِنْ الدَّهَانِ ، عَلَيْهِ سَحَقُ أَمْسَاحِ  
 لَا يَدْلِفُونَ إِلَى مَاءِ بَابِيهِ إِلَّا اغْتِرَافًا مِنَ الْغُدْرَانِ بِالرَّاحِ  
 فَكَدْتُ وَاللَّهِ أَخْرُجُ مِنْ جِلْدِي طَرَبًا . ثُمَّ أَنْشَدَ :

\* طَرَحْتُمْ مِنَ التَّرْحَالِ أَمْرًا فَعَمْنَا (٢) \*

وَأَنْشَدَ أَيْضًا :

لَيْنَ دِمْنٍ تَزْدَادُ طِيبَ نَسِيمِ (٣) عَلَى طِيبِ مَا أَقْوَتُ وَحُسْنَ رُسُومِ  
 تَجَافَى الْبَلَى عَنْهُمْ حَتَّى كَانَمَا لَيْسَنَ مِنَ الْإِقْوَاءِ تَوْبَ نَعِيمِ (٤)  
 وَاسْتَمَرَّ فِيهَا حَتَّى أَكْمَلَهَا . ثُمَّ قَالَ لِي : أَنْشُدْ . فَقُلْتُ : وَهَلْ أَبَقَيْتَ (٥) لِلْإِنْشَادِ  
 مَوْضِعًا ؟ قَالَ : لَا بَدُّ لَكَ ، وَأَوْعَيْتَ بِي وَلَا تَنْجِدِ . فَأَنْشَدْتُهُ :

١٠

أَصْفِيحُ شِيمِ أُمِّ بَرَقٍ بَدَا أُمِّ سَنَا الْمَحْبُوبِ أَوْرَى أَرْزُدَا  
 هَبَّ مِنْ مَرَقِدِهِ مُنْكَسِرًا مُسْبِلًا لَكُمْ مَرْخَ لِرِّدَا  
 يَمْسُحُ النَّعْسَةَ مِنْ عَيْنِي رَشَا صَائِدٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَسَدَا  
 قُلْتُ : هَبْ لِي يَا حَبِيبِي قُبْلَةً تَشْفِي مِنْ غَمِّكَ تَبْرِيحَ الصَّدَى  
 فَاثْنَى يَهْتَزُّ مِنْ مَنَكِبِهِ قَائِلًا : لَا ! ثُمَّ أَعْطَانِي الْيَدَا  
 كُلَّمَا كَلَّمَنِي قَبَلْتُهُ فَهَوَّ إِنَّمَا (٦) قَالَ قَوْلًا رَدَّدَا  
 كَادَ أَنْ يَرْجِعَ ، مِنْ لَثْمِي لَهُ وَارْتِشَافِي الثَّغْرَ مِنْهُ ، أَدْرَدَا  
 قَالَ لِي يَلْعَبُ : خُذْ لِي طَائِرًا فَتَرَانِي الدَّهْرَ أَجْرِي بِالْكَدَا

١٥

(١) راجع ديوانه ص ١٢٨

(٢) راجع ديوانه ص ٧٥

(٣) ٣-٣) نه في ر ، ه

(٤) ر ، ه : « تركت »

(٥) ب ، لب : « عن »

(٦) ب ، لب : « مهيا »

وإذا استنجرت يوماً وعدّه (١)  
 شربت أعطافه خمر الصبا  
 وإذا بتت به في روضة  
 قام في الليل بجيد أتلع  
 رشا بل عادة ممكورة  
 أححت من عصتي في نهدها  
 فأنا المجروح من عصتها  
 قال لي يمتل: ذكّرني غدا  
 وسقاءه الحسن حتى عربدا  
 أغيدا يعرو نباتا أغيدا (٢)  
 ينفض اللثة من دمع الندى  
 عممت صبحا بليل أسودا  
 ثم عصت حرا وجهي عمدا  
 لا شفاني الله منها أبدا

فلما انتهيت قال: لله أنت! وإن كان طبعك مخترعا منك (٣). ثم قال لي:  
 أنشدني من رثائك شيئا (٤). فأنشدته من قولي في بنية صغيرة:

١٠ (٥) أيها المعتد في أهل النهي  
 لاتذب إثر فقيدي ولها  
 حتى انتهيت إلى قولي (٥):

وإذا الأسد حمت أغيالها  
 لم يضر الخيس صرعات المها  
 وغريب يا ابن أمار الملا  
 أن يراع البدر من فقد الشها  
 فلما انتهيت قال لي: أنشدني من رثائك أشد من هذا وأفصح. فأنشدته  
 ١٥ من رثائي في ابن ذكوان. ثم قال: أنشدني جحدريتك من السجن،  
 فأنشدته:

\* قريب بمحتل الهوان بعيد \*

(١) هذا البيت ناقص في ب، لب

(٢) هذا البيت إلى آخر القصيدة ناقص في ر، و (٣) ب، لب: «مخترعا»

(٤) و: «دشا» (٥-٥) هـ في ب، لب، و

حتى انتهيتُ فيها إلى قولي :

فَإِنْ طَالَ ذِكْرِي بِالْمَجُونِ فَإِنِّي      شَقِيٌّ بِمَنْظُومِ الْكَلَامِ سَعِيدُ  
 وَهَلْ كُنْتُ فِي الْعُشَّاقِ أَوَّلَ عَاشِقِي      هَوَتْ بِمَجَاهِ أَعْيُنٍ وَخُدُودُ؟  
 فَمَنْ مُبْلِغُ الْفَتِيَانِ أَنِّي بَعْدَهُمْ (١)      مُقِيمٌ بِدَارِ الظَّالِمِينَ (٢) طَرِيدُ  
 وَلَسْتُ بِذِي قَيْدٍ يَرِقُّ وَإِنَّمَا      عَلَى اللَّحْظِ مِنْ سُخْطِ الْإِمَامِ قِيُودُ ٥

فبكي لها طويلاً (٣). ثم قال : أنشدني قطعة من مجونك (٤) ، فقد بعد عهدي بمثلك .  
 فأنشدته :

وَنَاطِرَةٌ تَحْتَ طَيِّ الْقِنَاعِ      دَعَاهَا إِلَى اللَّهِ وَالْخَيْرِ دَاعِي  
 سَعَتْ بِأَبْنِهَا تَبْتَعِي مَنْزِلًا      لِيُوصِلَ التَّبْتُلَ وَالْإِنْقِطَاعِ  
 فَجَاءَتْ تَهَادَى كَمَثَلِ الرَّيِّومِ      تُرَاعِي غَزَاآءَ بَأَعْلَى (٥) يَفَاعِ ١٠  
 أَتْنَا تَبَخَّرْتُ فِي مَشِيهَا      فَحَلَّتْ بِوَادٍ كَثِيرِ السَّبَاعِ  
 وَرِيَعَتْ حَذَارًا عَلَى طِفْلِهَا      فَنَادَيْتُ : يَا هَذِهِ لَا تُرَاعِي !  
 فَوَلَّتْ وَالْمِسْكَ مِنْ ذَيْلِهَا      عَلَى الْأَرْضِ خَطَّ كَطَهْرِ (٦) الشُّجَاعِ

فلما سمع هذا البيت قام يرقص به ويردده ، ثم أفاق ، ثم قال : هذا والله شيء لم  
 نلهمه نحن . ثم استدناي فدوت منه فقبل بين عيني ، وقال : اذهب فإنك مجاز  
 على بظري أم الكاره . فانصرفنا عنه والمجدرنا من الجبل ، فقال لي زهير : ومن تريد  
 بعد ؟ قلت له : خاتمة القوم صاحب أبي الطيب ، فقال : أشد له حيازيمك ،

(١) ب ، لب : « بعيدم »

(٢) ب ، لب : « الطاعين »

(٣) ب ، لب : « طربا »

(٤) ب ، لب : « عيونك »

(٥) ب ، لب : « بروض »

(٦) ب ، لب : « كخط »

وعطره (١) له نسيماك (١) ، وانثر عليه نجومك . وأمال عنان الأذم إلى طريق ،  
 فجعل يركض بنا ، وزهير يتأمل آثار فرس لمحناها هناك . قلت له : ما تتبعك  
 لهذه الآثار ؟ قال : هي آثار فرس حارثة بن المغلس صاحب أبي الطيب ، وهو  
 صاحب قنص (٢) . فلم يزل يتفراها حتى دفعنا إلى (٣) فارس على فرس بيضاء كأنه  
 قضيب على كثيب ، وبيده قناة قد أسندها إلى عنقه ، وعلى رأسه عمامة حمراء ،  
 قد أرخى لها عذبة صفراء . فحياه زهير ، فأحسن الرد ناظراً من مقلية شوساء ، قد  
 ملئت (٤) تيبها وعجبها . فعرفه زهير قصدي (٥) ، وألقى إليه رغبتي (٥) . فقال :  
 بلغني أنه يتناول (٦) ، قلت : للضرورة الدافعة ، وإلا فالقريحة غير صادعة ،  
 والشفرة غير قاطعة ، قال : فأنشدني ، وأكبرته أن أسنشه ، فأنشدته  
 (٧) قصيدتي التي أولها (٧) :

\* أبرق بدا أم لمع أبيض قاصل ؟ \*

حتى انتهيت فيها إلى قولي :

تردد فيها البرق حتى حسبتُه  
 ربي نسجت أيدي الغمام لليسها  
 سهرت بها أزعى النجوم وأنجمتا  
 وقد فغرت فاهها ، بها كل زهرة  
 ومرت جيوش المزن رهوا (٨) كأنها  
 يشير إلى نجم الربي بالأنايل  
 غلائل صفراً فوق بيض غلائل  
 طوالع للرعين غير أوافل  
 إلى كل صرع العمامة حافل  
 عساكر زنج مذهبات المنايل

(١-١) نه في ر (٢) ب ، لب : « ذو قنص »

(٣) ب ، لب : « لاح لنا » (٤) ب ، لب : « حشيت »

(٥-٥) نه في ر ، و (٦) ب ، لب : « أنك تتناول »

(٧-٧) نه في ر ، و (٨) ر : « زهوا » — ب ، لب : « زهرا »

- وَحَلَقَتِ الْخَضْرَاءُ فِي غُرِّ شُهْبِهَا (١)  
 تَخَالُ بِهَا زَهْرَ الْكَوَاكِبِ نَرْجِسًا  
 وَتَلْمَحُ مِنْ جَوَازِمِهَا فِي غُرُوبِهَا  
 وَتَحْسَبُ صَفْرًا وَقَعًا دَبْرَانِهَا  
 وَبَدْرَ الدُّجَى فِيهَا غَدِيرًا وَحَوْلَهُ  
 كَأَنَّ الدُّجَى هَمَّى ، وَدَمَعِي نُجُومُهُ  
 هَوَتْ أَنْجُمُ الْعُلْيَاءِ إِلَّا أَقْلَهَا  
 وَأَصْبَحَتْ فِي خَلْفِ إِذَا مَا لَحْنُهُمْ (٢)  
 وَمَا طَابَ فِي هَذِي الْبَرِيَّةِ آخِرٌ  
 أَرَى حُمْرًا فَوْقَ الصَّوَاهِلِ حَمَّةٌ  
 وَرَبَّتْ كِتَابٍ إِذَا قِيلَ : زَوْرُوا .  
 وَنَاقِلٍ فِقْهٍ لَمْ يَرَ اللَّهُ قَلْبُهُ  
 وَحَامِلٍ رُمَحٍ رَاحَ فَوْقَ مَضَائِهِ  
 حُبُوبًا بِالْمَنَى دُونِي وَغَوْدِرَتْ دُونَهُمْ  
 وَمَا هِيَ إِلَّا هِمَّةٌ أَشْجَعِيَّةٌ  
 وَفَهْمٌ لَوْ الْبَرْجِيسَ جِئْتُ بِجَدِّهِ  
 وَلَمَّا طَمَّ بَحْرُ الْبَيَانِ بِفِكْرِي  
 رَحَلْتُ إِلَى خَيْرِ الْوَرَى كُلِّ حُرَّةٍ
- كَلِجَّةٌ بِبَحْرِ كَلَّتْ بِالْيَعَالِلِ  
 عَلَى شَطِّ وَاِدٍ لِلْمَجْرَةِ سَائِلِ  
 تَسَاقُطَ عَرَشٍ وَاهِنِ الدَّمْعِ مَائِلِ  
 بَعْشُ الثَّرِيَّا فَوْقَ حُمْرِ الْحَوَاصِلِ  
 نُجُومٌ كَطَلْعَاتِ الْحَمَامِ (٣) النَّوَاهِلِ  
 تَحَدَّرَ إِشْفَاقًا لِذَهْرِ الْأَرَاذِلِ  
 وَعَيْنٌ بِمَا يَحْطَى بِهِ كُلُّ عَاقِلِ  
 تَبَيَّنَتْ أَنَّ الْجُهْلَ إِحْدَى الْفَضَائِلِ  
 إِذَا هُوَ لَمْ يَنْجِدْ بِطَيْبِ (٤) الْأَوَائِلِ  
 فَأَبْكِي بِعَيْنِي ذَلَّ تِلْكَ الصَّوَاهِلِ  
 بَكَتْ مِنْ تَأْنِيهِمْ (٥) صُدُورُ الرِّسَائِلِ  
 يَظُنُّ بَأَنَّ الدِّينَ حِفْظُ الْمَسَائِلِ  
 بِهِ كَاعْبَا فِي الْحَيِّ ذَاتَ مَعَاذِلِ  
 أَرُودُ الْأَمَانِي فِي رِيَاضِ الْأَبَاطِلِ  
 وَنَفْسٌ أَبَتْ لِي مِنْ طَلَابِ الرِّذَائِلِ  
 إِذَا لَتَلَقَّانِي بِنَحْسِ الْمَقَاتِلِ  
 وَأَغْرَقَ قَرْنُ الشَّمْسِ بَعْضَ جَدَاوِلِي  
 مِنَ الْمَدْحِ لَمْ تَحْمَلْ بِرَعْمِي الْحَمَائِلِ (٦)

(١) ب ، لب ، وه : « نجمها » (٢) ر : « الجمال »

(٣) لب ، وه : « التمتعهم » (٤) ب ، لب : « ينجده طيب »

(٥) ر : « تأنيهم » (٦) ترتيب هذا البيت والذي يليه معكوس في ب ، لب

وَكَدْتُ لِفَضْلِ الْقَوْلِ أَبْلُغُ سَاكِنًا      وَإِنْ سَاءَ حُسَايَ مَدَى كُلِّ قَائِلٍ  
فَلَمَّا انْتَهَيْتُ قَالَ : أَنْشُدْنِي أَشَدَّ مِنْ هَذَا . فَأَنْشُدْتُهُ قَصِيدَتِي :

\* هَاتِيكَ دَارَهُمْ قَفِّفْ بِمَعَانِيهَا \*

فَلَمَّا انْتَهَيْتُ<sup>(١)</sup> قَالَ لُزْهَيْرٍ : إِنْ امْتَدَّ بِهِ طَلَقُ الْعُمُرِ ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَنْفَتَحَ  
بِدُرِّرٍ ، وَمَا أَرَاهُ إِلَّا سَيُحْتَضَرُ ، بَيْنَ قَرِيحَةٍ كَالجَمْرِ ، وَهَمَّةٍ تَضَعُ أَحْمَصَهَ عَلَى  
مَفْرَقِ الْبَدْرِ . قُلْتُ : هَلَّا وَضَعْتَهُ عَلَى صَلَعَةِ النَّسْرِ ! فَاسْتَضَحَكَ إِلَيَّ وَقَالَ :  
أَذْهَبُ فَقَدْ أَجْرَتْكَ بِهِذِهِ التُّسْكَنَةِ . فَقَبَّلْتُ عَلَى رَأْسِهِ وَأَنْصَرَفْنَا . فَقَالَ لِي زُهَيْرٌ :  
مَنْ تَرِيدُ بَعْدَهُ ؟ قُلْتُ : مِلُّ بِي إِلَى الْخُطْبَاءِ ، فَقَدْ قَضَيْتُ وَطَرًا مِنَ الشُّعْرَاءِ .  
فَرَكْنَا حِينًا طَاعِنِينَ فِي مَطْلَعِ الشَّمْسِ<sup>(٢)</sup> وَلَقِينَا فَارِسًا أَسْرًا إِلَى زُهَيْرٍ ، وَأَنْجَزَعَ  
عَنَّا<sup>(٣)</sup> . فَقَالَ لِي زُهَيْرٌ : جُمِعَتْ لَكَ خُطْبَاهُ الْجِنِّ بِمَرَجِ دَهْمَانَ<sup>(٤)</sup> ، وَبَيْنَنَا  
وَبَيْنَهُمْ فَرَسَخَانُ<sup>(٥)</sup> ، فَقَدْ كُفِّتَ الْعَنَاءُ إِلَيْهِمْ عَلَى انْفِرَادِهِمْ .<sup>(٦)</sup> قُلْتُ : لِمَ  
ذَاكَ ؟ قَالَ : لِلْفَرْقِ بَيْنَ كَلَامَيْنِ اخْتَلَفَ فِيهِ فِتْيَانُ الْجِنِّ<sup>(٧)</sup> . وَاتَّهَيْنَا إِلَى الْمَرْجِ  
فَإِذَا بِنَادٍ عَظِيمٍ ، قَدْ جَمَعَ كُلَّ زَعِيمٍ ، فَصَاحَ زُهَيْرٌ : السَّلَامُ عَلَى فُرْسَانَ الْكَلَامِ .  
فَرَدُّوا وَأَشَارُوا بِالنُّزُولِ . فَأَفْرَجُوا حَتَّى صِرْنَا مَرَكِزَ هَالَةِ مَجْلِسِهِمْ ، وَالْكَلِّ مِنْهُمْ  
نَاطِرٌ إِلَى شَيْخٍ أَصْلَعٍ ، جَاخِظِ الْعَيْنِ الْيُمْنَى ، عَلَى رَأْسِهِ قَلَنْسُوَةٌ بِيضَاءَ طَوِيلَةٍ .  
قُلْتُ سِرًّا لُزْهَيْرٍ : مَنْ ذَلِكَ ؟ قَالَ : عُتْبَةُ بْنُ أَرْقَمَ صَاحِبُ الْجَاخِظِ ، وَكُنِّيَّتُهُ  
أَبُو عُيَيْنَةَ . قُلْتُ : بَأَبِي هُوَ ! لَيْسَ رَغْبَتِي سِوَاهُ ، وَغَيْرَ صَاحِبِ عَبْدِ الْحَمِيدِ .  
فَقَالَ لِي : إِنَّهُ ذَلِكَ الشَّيْخُ الَّذِي إِلَى جَنْبِهِ . وَعَرَفَهُ صَغُورِي إِلَيْهِ وَقَوْلِي فِيهِ .  
فَاسْتَدْنَانِي وَأَخَذَ فِي الْكَلَامِ مَعِي ، فَصَمَّتْ أَهْلُ الْمَجْلِسِ ، فَقَالَ : إِنَّكَ

(١) ب ، لب : « حتى إذا سمعها »

(٢-٢) ز في ب ، لب

(٣-٣) زه في ر ، وه

(٤-٤) زه في ر ، وه



- نخطيب ، وحائِكُ للكلام مُجيد ، لولا أَنَّكَ مُغرَمِي بالسَّجْع ، فكلامُك نظمٌ لا تُثر . فقلتُ في نفسي : قرَعَكَ — باللهِ — بقارِعَتِهِ ، وجاءَكَ بممَّا ثَلَّتِهِ . ثم قلتُ له : ليسَ هذا — أعزَّكَ اللهُ — مِنِّي جَهلاً بأمرِ السَّجْع ، وَمَا فِي المِثَالَةِ والمقَابِلَةِ من فَضْل ، ولكِنِّي عَدِمْتُ بيلدى فُرْسَانَ الكلام <sup>(١)</sup> ، ودُهَيْتُ بعباوةِ أهلِ الزمان ، وبالْحَرِّ أَن أحرَّكَهم <sup>(٢)</sup> بالازدواج . ولو فرشتُ للكلام <sup>(١)</sup> فيهم طَوْلَقًا ، وتحركت لهم حركة مشولم ، لكان أرفع لي عندهم ، وأولج في نفوسهم ، فقال : <sup>(٣)</sup> أهذا على تلك المناظر ، وكبير تلك المحابر ، وكال تلك الطيالس ؟ قلتُ : نعم ، إنها لحاه الشجر <sup>(٤)</sup> ، وليس ثم تمرُّ ولا عقب <sup>(٥)</sup> . قال لي : <sup>(٥)</sup> صدقت ، إنِّي أراك قد ماثلتَ معي . قلت : كما سمعت <sup>(٥)</sup> . قال : فكيف كلامهم بينهم ؟ قلت : ليس لسبويه فيه عمل ، ولا للفراهيدي إليه طريق ، ولا للبيان عليه سمة . إنما هي لكنة أعجمية يُؤدِّون بها المعاني تأدية الجوس والنَّبَط . فصاح : إنَّا لله ، ذهبت العربُ وكلامها ! ارمهم يا هذا بسجع الكهان ، فعسى أن ينفعكَ عندهم ، <sup>(٦)</sup> ويُطيرَ لك ذِكرًا فيهم . وما أراك مع ذلك إلا ثقيل الوطأة عليهم ، كريةً المجبىء إليهم <sup>(٦)</sup> . فقال الشيخ الذي إلى جانبه ، وقد علمت أنه صاحبُ عبد الحميد ، ونفسي مرتقبةٌ إلى ما يكون منه <sup>(٧)</sup> : لا يعزُّنك منه أبا عيينة ١٥ ما تكلف لك من الممائلة . إنَّ السَّجْعَ لطبعه ، وإنَّ ما أسمعك كلفه . ولو امتدَّ به طلقُ الكلام ، وجرت أفراسه في ميدان البيان ، لصلى كودنه ، وكلَّ

(١-١) نه في ب ، لب (٢) و : « أحدهم »

(٣-٣) نه في ب (٤) و : « إنما يعني الشجر »

(٥-٥) نه في ر (٦-٦) نه في ب ، لب

(٧) ب ، لب : « لا يأتي منه »

بُرُنُّهُ . وما أراه إلا من الأكن الذين ذَكَرَ ، وإلا فَمَا للفصاحة لا تهدير ،  
 ولَا للأعرابية لا تومض ؟ فقلت في نفسي : طبع عبد الحميد ومساقفه ورب الكعبة !  
 فقلت له : لقد عجلتَ أبا هُبَيْرَةَ — وقد كان زهيرٌ عَرَفَنِي بِكُنْيَتِهِ — إِنَّ  
 قَوْسَكَ لَنَبْعَ ، وَإِنَّ مَاءَ سَهْمِكَ لَسَمٌّ ، أَحْمَارًا رَمِيَتْ أُمُّ إِنْسَانًا ، وَقَعْقَعَةٌ طَلَبَتْ  
 أُمُّ بَيَانَا ؟ وَأَبِيكَ إِنَّ الْبَيَانَ لَصَعْبٌ ، وَإِنَّكَ مِنْهُ لَفِي عِبَاءَةٍ تَتَكَشَّفُ عَنْهَا أَسْتَاهُ  
 مَعَانِيكَ ، تَتَكَشَّفُ اسْتِ الْعَنْزِ<sup>(١)</sup> عَنْ ذَنْبِهَا . الزمانُ دَفَنَهُ لاقَرَّ ، والكلامُ  
 عِرَاقِيٌّ لَا شَامِيٌّ . إِنِّي لَأَرَى مِنْ دَمِ<sup>(٢)</sup> الْيَرْبُوعِ بِكَفَيْكَ<sup>(٣)</sup> ، وَأَلْمَحُ مِنْ كُشَى  
 الضَّبِّ عَلَى مَاضِعْيِكَ . فَتَبَسَّمْ إِلَيَّ وَقَالَ : أَهَكَذَا أَنْتِ يَا أُطَيْلِسُ ، تَرَكْبُ لِكُلِّ  
 نَهْجَةٍ ، وَتَعِجُ إِلَيْهِ عَجَّةً ؟ فقلت : الدُّنْبُ أُطْلَسَ ، وَإِنَّ التَّيْسَ مَا عِلِمْتُ !  
 فصاح به أبو عِيْنَةَ : لَا تَعْرِضْ لَهُ ، وَبِالْحِرَاءِ أَنْ تَخْلُصَ مِنْهُ . فقلت : الْحَمْدُ لِلَّهِ  
 خَالِقِ الْأَنْعَامِ فِي بَطُونِ الْأَنْعَامِ ! فقال : إِنَّهَا كَافِيَةٌ لَوْ كَانَ لَهُ حِجْرٌ . فَبَسَطَانِي  
 وَسَأَلَانِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْهِمَا مِنْ رِسَائِلِي ، فَقَرَأْتُ رِسَالَتِي فِي صِفَةِ الْبَرْدِ وَالنَّارِ وَالْحَطَبِ  
 فَاسْتَحْسَنَاهَا ، وَمِنْ رِسَالَتِي فِي الْحُلُوءِ حَيْثُ أَقُولُ :

خَرَجْتُ فِي لَمَعَةٍ مِنَ الْأَصْحَابِ ، وَثُبَّةٍ مِنَ الْأَثْرَابِ ، فِيهِمْ قَفِيهُ ذُو لَقَمٍ ،  
 وَلَمْ أَعْرِفْ بِهِ ، وَغَرِيمُ بَطْنٍ ، وَلَمْ أَشْعُرْ لَهُ ، رَأَى الْحُلُوءَى فَاسْتَحْفَهَ الشَّرَّهَ ،  
 وَاضْطَرَبَ بِهِ الْوَلَّهَ ، فَدَارَ<sup>(٤)</sup> فِي ثِيَابِهِ ، وَأَسَالَ مِنْ لَعَابِهِ ، حَتَّى وَقَفَ بِالْأَكْدَاسِ ،  
 وَخَالَطَ نُمَارَ النَّاسِ ، وَنَظَرَ إِلَى الْفَالُودِجِ فَقَالَ : يَا أَبِي هَذَا اللَّمَّصُ ، انظُرُوهُ كَأَنَّهُ  
 الْفَصُّ ، مُجَابِجَةُ الزَّنَائِيرِ ، أُجْرِيَتْ عَلَى شَوَائِرِ ، وَخَالَطَهَا لُبَابُ الْحَبَّةِ ، فَجَاءَتْ  
 أَعْدَبَ مِنَ السِّنَّةِ الْأَحِبَّةِ .

(١) ب ، لب : « العير »

(٢) و : « جحر »

(٣) ب ، لب : « بكفك »

(٤) ب ، لب : « فبال »

ورأى الخبيصَ فقال : بأبي هذا الغالي الرخيص ، هذا جليدُ سماءِ الرَّحمة ،  
تمَخَّضَتْ به فأبرزت منه زُبْدَ النَّعْمة ، يُجْرَحُ باللَّحْظ ، ويذوبُ من اللفظ .  
ثم ابيض ، قالوا بماء البيض البض . قال : عَضُّ مِنْ غَضٍّ ، ما أطيبَ خَلْوَةَ  
الحبيب ، لولا حضرةُ الرقيب !

- ولمحَ القَبِيْطَاءُ<sup>(١)</sup> ، فصاح : بأبي نُقْرَةُ الفضة البيضاء ، لا تَرُدُّ عنِ  
العَضَّةِ<sup>(٢)</sup> . أبنارٍ طُبِخَتْ أم بنور؟ فإني أراها كقطعِ البَلُّور؛ وبلوزٍ مُجْنِتٍ أم  
بجوز؟ فإني أراها عين<sup>(٣)</sup> عَجِينِ الموز . ومشى إليها وقد عدل صاحبها أرتال  
نحاسيه ، وعلق قسطاسه من أمِّ راسه ؛ فقال : رطلٌ بدرهمين ، واتهشها  
بالتابين ، فصاح : القارعة ما القارعة . هيه ! ويلٌ للمرء من فيه !

- ١٠ ورأى الزَّلايِيَّةَ ، فقال : ويلٌ لأمِّها الزانية ، أباَحْشائي نُسِجَتْ ، أم من  
صِفَاقِ قَلْبِي أُلْتَتْ؟ فإني أجدُ مكانها من نَفْسِي مكينا ، وحبلٌ هواها على<sup>(٤)</sup>  
كَيْدِي متينا ، فمن أين وصلت كَفُّ طابِخِها إلى باطنِي ، فاقتطعتها من دَوَاجِنِي؟  
والعزير الغفار ، لأطْلُبَنَّها بالنار ! ومشى إليها ، فتلمَّظ له لسانُ الميزان ، فأجفل  
يصيحُ : الثُّعْبَانُ الثُّعْبَانُ !

- ١٥ ورفَع له ثمرُ النِّسَاءِ ، غيرَ مَهْضُومِ الحشأ ، فقال<sup>(٥)</sup> : مَهْمِيمٌ ! مِنْ أَيْنَ لَكُمْ جَنَى  
نَخْلَةٍ مَرِيمٍ؟ ما أتم إلا السُّحَّار ، وما جزأؤكم إلا السِّيفُ والنَّار . وهم أن يأخذ  
منها . فأثبت في صدره العَصَا ، فجلس القَرُفُصَا ، يذري الدُّمُوع ، ويُبْدِي الخُشُوع .  
وما منا<sup>(٦)</sup> أحدٌ إلا عن الضَّحِكِ قد تجلَّد . فرقت له ضلوعي ، وعلمت أن الله فيه

(١) ر ، وه : « القبيطى » (٢) ب ، لب : « لا يؤذى على العضة » — مه في ر

(٣) ب ، لب ، وه : « غير » (٤) وه : « من »

(٥) ب ، لب : « فصاح » (٦) ب ، لب : « وهل هنا »

غير مُضِيِّعِي . وقد تَجُمَلُ (١) الصَّدَقَةُ عَلَى ذَوِي وَفَرٍ ، وَفِي كُلِّ ذِي كَبِدٍ رَطْبَةٌ (٢) أَجْرٌ . فَأَمْرَتُ الْحَلَوَانِيَّ بِابْتِياعِ أَرْطَالٍ مِنْهَا تَجْمَعُ أَنْواعَهَا الَّتِي أَنْطَقْتَهُ ، وَتَحْتَوِي عَلَى ضُرُوبِهَا (٣) الَّتِي أَضْرَعْتَهُ . وَجاءَ بِهَا وَسِرْنَا إِلَى مَكَانٍ خَالٍ طَيِّبٍ ، كَوْصَفِ الْمُهَلَّبِيِّ :

٥ حَانَ تَطْيِبُ لِبَاغِي النَّسِكِ خَلْوَتُهُ      وَفِيهِ سَتْرٌ عَلَى الْفَتَاكِ إِنْ فَتَكُوا (٤)  
فَصَبَّهَا (٥) رَطْبَةَ الْوُقُوعِ ، كِرَادِيْسَ كَقِطْعِ الْجُدُوعِ ؛ (٦) فَجَعَلَ يَقْطَعُ  
وَيَبْلَعُ (٦) ، وَيَدْحُو فَاهُ وَيَدْفَعُ ، وَعَيْنَاهُ تَبْصُرَانِ (٧) ، كَأَمَّا جَمْرَتَانِ ، وَقَدْ بَرَزَتَا  
عَلَى وَجْهِهِ كَأَمَّا خُصِيَّتَانِ ، وَأَنَا أَقُولُ لَهُ : عَلَى رِسْلِكَ أبا فلان ! الْبِطْنَةُ تُذْهَبُ  
الْفِطْنَةُ ! فَلَمَّا التَقَمَ جُمَّلَةَ جَماهيرِها ، وَأَتَى عَلَى مآخِيرِها (٨) ، وَوَصَلَ خَوَزَنَتِها  
بَسْدِيرِها ، تَجَشَّأَ فَهَبَّتْ مِنْهُ رِيحٌ عَقِيمٌ ، أَيَقْنَأَ لَهَا بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ . فَتَنَّرْتَنَا ١٠  
شَدْرَ مَدْرٍ ، وَفَرَقْتَنَا شَغْرَ بَغْرٍ ، فَالْتَمَحْنَا مِنْهُ الظَّرْبَانَ ، وَصَدَّقَ الْخَبْرَ فِيهِ الْعِيَانَ .  
نَفَخَ ذَلِكَ فَشَرَّدَ الْأَنْعَامَ (٩) ، وَنَفَخَ هَذَا فَبَدَّدَ الْأَنْامَ ، فَلَمْ يَجْتَمِعْ بَعْدَهَا وَالسَّلَامَ .  
فاسْتَحْسَنَّاها ، وَنَحِيحًا عَلَيْها ، وَقَالَ : إِنْ لَسَجِعِكَ مَوْضِعًا (١٠) مِنْ  
الْقَلْبِ ، وَمَكَانًا مِنَ النَّفْسِ ، وَقَدْ أَعْرَتَهُ مِنْ طَبْعِكَ ، وَحَلَاوَةِ لَفْظِكَ ، وَمَلَا حَقِ  
سَوْقِكَ ، مَا أزالُ أَفْنَهُ ، وَرَفَعَ عَيْنَهُ . وَقَدْ بَلَّغْنَا أَنَّكَ لا تُجَازِي (١١) فِي أَبْناءِ ١٥  
جِنْسِكَ ، وَلا يُمَلُّ مِنَ الطَّعْنِ عَلَيْكَ ، وَالاعتِراضُ لَكَ . فَمَنْ أَشَدُّهُمْ عَلَيْكَ ؟

(١) لب : « محمل » — وه : « تحمل » (٢) وه : « حرى »

(٣) ب ، لب : « صنوفها » (٤) ب ، لب : « الفتاك إن فتكا »

(٥) وه : « فصفها » (٦-٦) وه في ر (٧) ب : « تبصران »

(٨) ب ، لب : « آخرها » (٩) ب ، لب ، وه : « النعام »

(١٠) ب ، لب : « مرجعاً » (١١) ب ، لب : « لا تجارى » — وه :

« لا تجارى »

قلت : جازان دارهما صَقَب ، وثالثُ نَابَتُهُ نُوبٌ ، فامتطى ظَهْرَ النَّوَى ، وألقت  
به في سَرَفُسْطَةَ الْعَصَا . (١) فقالا : إلى أبي محمدٍ تُشير ، وأبي القاسمِ وأبي بكرٍ ؟  
قلت : أجل . قالوا : فأين بلغتَ فيهم ؟ قلت : أمّا أبو محمدٍ (١) فانتضى عليّ  
لسانه عند المستعين ، وساعدته زُرَافَةٌ استهواها (٢) من الحاسدين ، وبلغني ذلك  
فأنشدته شعراً ، منه :

وَبُلِّغْتَ أَقْوَامًا تَجِيشُ صُدُورَهُمْ      عَلَيَّ ، وَإِنِّي مِنْهُمْ فَارِغُ الصَّدْرِ  
أَصَاخُوا إِلَى قَوْلِي فَأَسْمَعْتُ مُعْجِزًا      وَغَاصُوا عَلَيَّ سِرِّي فَأَعْيَاهُمْ أَمْرِي  
فَقَالَ فَرِيْقٌ : لَيْسَ ذَا الشَّعْرِ شِعْرُهُ      وَقَالَ فَرِيْقٌ : أَيُّمُنُ اللَّهُ ، مَا نَدْرِي  
أَمَّا عَلِمُوا أَنِّي إِلَى الْعِلْمِ (٣) طَامِحٌ      وَأَيُّ الَّذِي سَبَقَا عَلَيَّ عِرْقِهِ يَجْرِي  
وَمَا كُلُّ مَنْ قَادَ الْجِيَادَ يَسُوسُهَا      وَلَا كُلُّ مَنْ أَجْرَى يُقَالُ لَهُ : مُجْرِي ١٠  
فَمَنْ شَاءَ فَلْيَخْبُرْ فَإِنِّي حَاضِرٌ      وَلَا شَيْءَ أَجَلِي لِلشُّكُوكِ مِنَ الْخُبْرِ

وأما أبو بكرٍ فأقصر واقتصر على قوله : لَهُ تَابِعَةٌ تُؤَيِّدُهُ . وأمّا أبو القاسمِ  
الإفليلبي فمَكَانُهُ (٤) من نفسي مَكِين ، وَحُبُّهُ بُقُودِي دَخِيل ، على أنه  
حاملٌ (٥) عليّ ، ومنتسبٌ (٦) إلى . فصاحا : يَا أَنْفَ النَّاقَةِ ابْنَ مَعْمَرٍ ، مِنْ  
سُكَّانِ خَيْبَرَ ! فقام إليهما جئني أَشْمَطُ رَبْعَةٌ (٧) وَاِرْمُ الْأَنْفُ (٨) ، يتظالم (٨) في ١٥  
مَشِيَّتِهِ ، كاسِرًا الطَّرْفِ ، وزاويًا لأنفه ، وهو يُنْشِدُ :

قَوْمُهُمُ الْأَنْفُ وَالْأَذْنَابُ غَيْرُهُمْ      وَمَنْ يُسَوِّي بَأَنْفِ النَّاقَةِ الذَّنْبَا

(١-١) نه في ب ، لب ، وه (٢) نه في ر ، وه

(٣) وه : « النظم » (٤) وه : « فانه »

(٥) وه : « متعامل » (٦) ر : « ومنتسب »

(٧-٧) نه في ب ، لب (٨) ر ، وه : « يتصانع » — ب ، لب : « يتضالم »

فقال لي : هذا صاحبُ أبي القاسم ، ما قولك فيه يا أنفَ النَّاقَةِ ؟ قال :  
 فَمَتَى لَمْ أَعْرِفْ عَلَى مَنْ قَرَأ . فقلتُ لِنَفْسِي : العَصَا مِنَ العُصَيَّةِ ! إن لم تُعَرِّبِي عن  
 ذَاتِكَ ، وتُظْهِرِي بعضَ أدْوَاتِكَ ، وأنتِ بينَ فُرْسَانِ الكلامِ ، لم يَطِرْ لِكَ  
 بعدها طائر ، وكنتِ غَرَضًا لكلِّ حَجَرٍ عَابِر . وأخذتُ للكلامِ أُهْبَتَهُ (١) ،  
 ولبستُ للبيانِ بَرَزَتَهُ (٢) . فقلتُ : وأنا أيضًا لا أعْرِفُ على مَنْ قرأت . قال :  
 المِثْلِي يُقالُ هذا ؟ فقلتُ : فكانَ ماذا ؟ قال : فطارحني كتابَ الخَلِيلِ .  
 قلتُ : هو عِنْدِي في زَنْبِيلِ . قال : فناظِرني على كتابِ سَيَّبَوِيهِ . قلتُ :  
 خَرَيْتِ الهِرَّةَ عِنْدِي عَلَيْهِ ، وعلى شرحِ ابنِ دَرَسْتَوِيهِ . فقال لي : دَعِ  
 عنكَ . أنا أَبُو البَيَّانِ . قلتُ : لآها اللهُ ! إنما أنتِ كَمُغْنٍ وَسَطٍ ، لا يُحْسِنُ  
 فَيَطْرِبُ ، ولا يُسِيءُ فَيُلْهِمِي . قال : لقدَ عَلِمْنِيهِ المُوَدَّبُونُ . قلتُ : ليسَ هو مِن  
 شَأْنِهِمْ ، إنما هو من تَعْلِيمِ اللهِ تَعَالَى حيثُ قالَ : « الرِّحْمَنُ عَلَّمَ القُرْآنَ حَلْقَ  
 الإنسانِ عَلمَهُ البَيَّانِ » ، ليسَ من شِعْرِ يُفَسِّرُ ، ولا أَرْضٍ تُكَسِّرُ . هيهاتَ حَتَّى  
 يَكُونَ المِثْلُكَ مِنَ أنْفاسِكَ ، والعَنْبَرُ مِنَ أنْفاسِكَ ، (٣) وحتى يَكُونَ مَسَاقُكَ  
 عَدْبًا ، وكلامُكَ رَطْبًا ، ونَفْسُكَ مِنَ نَفْسِكَ (٤) ، وقلبيُّكَ من قَلْبِكَ ؛ وحتى  
 تتناولَ الوضِيعَ فَتَرْفَعَهُ ، والرَفِيعَ فَتَضَعَهُ ، والقَبِيحَ فَتَحْسِنَهُ ! قالَ : أَسْمِعْنِي مِثْلاً .  
 قلتُ : حَتَّى تَصِفَ بُرْعُوْنَا فَتَقُولَ : أسودُ زَنْجِيٌّ ، وأهلِي وَحْشِيٌّ ؛ ليسَ بَوَانٍ  
 ولا زَمِيلٍ ، وكأنَّهُ جَزَلٌ لا يَتَجَزَأُ مِنْ لَيْلٍ ؛ وشُونِيزَةٌ ، أو ثَقْمَةٌ (٤) غَرِيزَةٌ ،  
 أو نَقْطَةٌ مِدَادٌ ، أو سُوَيْدَاءُ قَلْبٍ قُرَادٌ ؛ شُرْبُهُ عَبٌّ ، ومَشِيهِ وَثْبٌ ؛ يَكْمُنُ

(١) ب ، لب ، وه : « سكتته »

(٢) وه : « فروته »

(٣) ب ، لب ، وه : « أوثبتها »

(٤) وه في -

نَهَارَهُ ، وَيَسْرِي لَيْلَهُ ؛ يَدْرِكُ بَطْعَنٍ مُؤَلِّمٍ ، وَيَسْتَجِلُّ دَمَ كُلِّ مُسْلِمٍ ؛ مُسَاوِرٌ  
لِلْأَسَاوِرَةِ ، يَجْرُؤُ ذَيْلَهُ عَلَى الْجَبَابِرَةِ ؛ يَتَكَفَّرُ بِأَرْفَعِ الشَّيْبِ ، وَيِهْتِكُ سِتْرَ كُلِّ  
حِجَابٍ ، وَلَا يَحْفَلُ بِبَوَابٍ ؛ يَرُدُّ مَنَاهِلَ الْعَيْشِ الْعَذْبَةِ ، وَيَصِلُ إِلَى الْأَحْرَاجِ  
الرَّطْبَةِ ، لَا يَمْنَعُ مِنْهُ أَمِيرٌ ، وَلَا يَنْفَعُ فِيهِ غَيْرَةُ غَيْرٍ ، وَهُوَ أَصْغَرُ (١) كُلِّ حَقِيرٍ ؛  
شَرُّهُ مَبْثُوثٌ ، وَعَهْدُهُ مَنَكُوثٌ ، وَكَذَلِكَ كُلُّ بُرْغُوثٍ ؛ كَفَى بِهَذَا نَقْصًا  
لِلْإِنْسَانِ ، وَدَالًا عَلَى قُدْرَةِ الرَّحْمَنِ .

وحتى تصف ثعلبًا فتقول: أدهى من عمرو ، وأفتك من قاتل خديفة  
ابن بدر ؛ كثير الوقائع في المسلمين ، مغررى بإراقة دماء المودنين ؛ إذا رأى  
الفرصة اتهمها ، وإذا طلبته الكفاة أعجزها ؛ وهو مع ذلك بقراط في إدامه ،  
وجالينوس في اعتدال طعامه ؛ غداؤه حمام أو دجاج ، وعشاؤه تدرج أو دراج .

## قال أبو عامر :

وكان فيما يقابلني من ناديتهم فتى قد رما في بطرفه ، واتكأ لي على كفه ،  
فقال : تحيّل على الكلام لطيف وأبيك ! فقلت : وكيف ذلك ؟ قال : أو ما  
علمت أن الواصف إذا وصف شيئاً (٢) لم يتقدم إلى صفته ، ولا سلط (٣) الكلام  
على نعمته ، اكتفى بقليل الإحسان ، واجتزى بيسير البيان ؛ لأنه لم يتقدم وصف  
يقرن بوصفه ، ولا جرى مساق يضاف إلى مساقه . وهذه نكتة بغذاذية ،  
أنى لك بها يا فتى المغرب ؟ فقلت لزهير : من هذا ؟ قال : زبدة الحقب ،  
صاحب بديع الزمان . فقلت : يا زبدة الحقب ، اقترح لي . قال : صف

(١) ب ، لب ، وه : « أحقر » (٢) ب ، لب : « موصوفاً » — وه :

(٣) ب ، لب : « سرد »

« وصفاً »

جارية . فوصفتها . قال : أحسنت<sup>(١)</sup> ما شئت أن تحسني<sup>(١)</sup> ! قلت : أسمعني وصفك للماء ، قال : ذلك من العقم<sup>(٢)</sup> . قلت : بحياتي هاته ، قال<sup>(٢)</sup> : أزرق كعين السنور ، صاف كقضب البلور ؛ انتخب من الفرات ، واستعمل بعد البيات ، فجاء كلسان الشمعة ، في صفاء الدمعة .

قلت : انظره يا سيدي كأنه عصير صباح ، أو ذوب<sup>(٣)</sup> قمر ليّاح ؛ ينصب<sup>(٤)</sup> من إنائه ، انصباب الكوكب من سمانه ؛ العين حانوته ، والفم عفريته ، كأنه خيط من غزل فلق ، أو مخصر يضرب به من ورق ؛ يرفع عنك فتزدي ، ويصدع به قلبك فتحيا .

فلما اتهمت في الصفة ، ضرب زبدة الحقب الأرض برجله ، فانفرت له عن مثل برهوت ، وتدهدى إليها ، واجتمعت عليه ، وغابت عينه ،<sup>(٥)</sup> وانقطع أثره<sup>(٥)</sup> . فاستضحك الأستاذان من فعله ، واشتد غيظ أنف الناقة على ، فقال : وقعت لك أوصاف في شعرك تظن أني لا أستطيعها ؟ قلت له : وحتى تصف عارضا فتقول :

وَمُرْتَجِزِ أَلْقَى بِيذِي الْأَثَلِ كَلْكَلًا  
وَحَطَّ بِجَزَاءِ الْأَبَارِقِ مَا حَطًّا  
سَعَى فِي قِيَادِ الرَّيْحِ يُسْمِحُ لِلصَّبَا  
فَأَلْقَتْ عَلَى غَيْرِ التَّلَاعِ بِهِ مِرْطًا  
وَمَا زَالَ يُرْوِي الثَّرْبَ حَتَّى كَسَا الرُّبَى  
دَرَانِكَ ، وَالغَيْطَانَ مِنْ نَسْجِهِ بُسْطًا  
وَعَنْتَ لَهُ رِيحٌ تُسَاقِطُ قَطْرُهُ  
كَمَا نَثَرَتْ حَسَنَاءُ مِنْ<sup>(٦)</sup> جِيدِهَا سَمَطًا  
وَلَمْ أَرْ دُرًّا بَدَدْتَهُ يَدُ الصَّبَا  
سِوَاهُ ، فَبَاتَ النُّورُ يَلْقُطُهُ لَقَطًا

(١-١) هـ في ر ، هـ (٢-٢) هـ في ب ، ب

(٣) ر : ذى ، هـ : « دب » (٤) ب ، ب ، ر : « هـ »

(٥-٥) هـ في ر ، هـ (٦) ب ، ب : « عن »



وَبِتْنَا زُرَاعِي اللَّيْلِ لَمْ نَطْوِ بُرْدَهُ      وَلَمْ يَجْرِ شَيْبُ الصُّبْحِ فِي فَرْعِهِ وَخَطَا  
تَرَاهُ كَمَلِكِ الزَّنْجِ فِي فَرْطِ كِبْرِهِ      إِذَا رَامَ مَشِيًّا فِي تَبَخُّرِهِ أَبْطَا  
مُطْلَأًا عَلَى الْآفَاقِ وَالْبَدْرِ تَاجُهُ      وَقَدْ عَلَّقَ الْجَوْزَاءَ مِنْ أُذُنِهِ قُرْطَا

وحتى تصيف ذئبًا فتقول :

إِذَا اجْتَاَزَ عُلُوِّي الرِّيحِ بِأَفْقِهِ      أَجَدَّ لِعِرْفَانِ الصَّـبَا يَتَنَفَّسُ  
تَدَكَّرَ رَوْضًا مِنْ <sup>(١)</sup> شَوِيٍّ وَبَاقِرٍ      تَوَلَّتْهُ أَحْرَاسٌ مِنَ الدُّعْرِ <sup>(٢)</sup> تُحْرَسُ  
إِذَا انْتَابَهَا مِنْ أَدْوَابِ الْفَقْرِ <sup>(٣)</sup> طَارِقُ      حَمِيثٌ إِذَا مَا اسْتَشْعَرَ اللَّحْظَ يَهْمِسُ <sup>(٤)</sup>  
أَزَلُّ كَسَا جُمَانَهُ مُتَسَتِّرًا      طَيَالِسَ سُدُودًا لِلدُّجَى وَهُوَ أُطْلَسُ  
فَدَلَّ عَلَيْهِ لَحْظُ حَبِّ مُخَادِعٍ      تَرَى نَارَهُ مِنْ مَاءِ عَيْنَيْهِ يُقْبَسُ

- ١٠ فصاح فتیانُ الجِنِّ عندَ هذا البيتِ الأخيرِ : زَاهِ ! وَعَلَتْ أَنْفَ النَّاقَةِ كَابَةٌ ، وَظَهَرَتْ عَلَيْهِ مَهَابَةٌ ، وَاخْتَلَطَ كَلَامُهُ ، وَبَدَأَ مِنْهُ سَاعَتُهُذِي بَوَادِي فِي خَطَابِهِ ، رَحِمَهُ لَهَا مِنْ حَضَرٍ ، وَأَشْفَقَ عَلَيْهِ مِنْ أَجْلِهَا مِنْ نَظَرٍ . وَشَمَّرَ لِي فَتَى كَانَ إِلَى جَانِبِهِ عَنْ سَاعِدِي ، وَقَالَ لِي : وَهَلْ يَضُرُّ <sup>(٥)</sup> قَرِيحَتَكَ ، أَوْ يَنْقُصُ مِنْ بَدِيهِتِكَ لَوْ تَجَافَيْتَ لِأَنْفِ النَّاقَةِ ، وَصَبَرْتَ لَهُ ؟ فَإِنَّهُ عَلَى عِلَاتِهِ زِيرُ عِلْمٍ ، وَزِينِيلُ فَهْمٍ ، وَكَنْفُ رِوَايَةٍ . قُلْتُ لُزُهَيْرٍ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : هُوَ أَبُو الْآدَابِ صَاحِبُ <sup>(٦)</sup>
- ١٥ أَبِي إِسْحَاقَ بْنِ سَمَامٍ جَارِكَ . قُلْتُ : يَا أَبَا الْآدَابِ ، وَزَهْرَةَ رِيحَانَةِ الْكِتَابِ ، رِفْقًا عَلَى أُخِيكَ بَغْرَبِ لِسَانِكَ ! وَهَلْ كَانَ يَضُرُّ أَنْفَ النَّاقَةِ ، أَوْ يَنْقُصُ مِنْ

(١) ب ، لب : « ذا » (٢) ب ، لب ، مه : « الصعب »

(٣) ب ، لب : « الليل » (٤) ترتيب هذا البيت والذي قبله معكوس في ب ، لب

(٥) مه : « يسوء » (٦) ب ، لب : « تابعة »

علمه ، أو يفلأ شفرة فهمه ، أن يصبر لي على زلة تمرُّ به في شعرٍ أو خطبة ، فلا يهتفُ بها بين تلاميذه ، ويجعلها طرمةً من طراميده ؟ فقال : إن الشيوخ قد تهفوا أحلامهم في الثدرة . فقلت : إنها المرّة بعد المرّة . ثم قال لي الأستاذان عتبة بن أرقم وأبو هبيرة صاحب عبد الحميد : إننا لنخبطُ منك ببذاء خيرة ، وتفتقُ أسمعنا منك بعيرة ، وما ندرى أنقول : شاعرٌ أم خطيبٌ ؟ فقلت : الإِنصافُ أولى ، والصّدقُ بالحقِّ أحجى ، ولا بُدَّ من قضاء . فقالا : اذهب فإنك شاعرٌ خطيب . وانفضَّ الجُمع والأبصارُ إلى ناظرة ، والأعناقُ نحوى مائلة . قال ابن بسّام : وامتدَّ بأبي عامرٍ الكلامُ في هذا الباب ، ومدَّ فيه أطنابُ الإطنابِ والإسهاب ؛ فلذلك وقفتُ دون الغاية ، وقطعتُ قبلَ النهاية .

قوله ، لمّا<sup>(١)</sup> عرضَ به لصاحب أبي تمام : « بعمرٍ و القمر الطالع ، والرقيقة المنكوكة الطابع » أشار إلى قول أبي تمام<sup>(٢)</sup> في غلامه :

يا عمرو قلْ للقمرِ الطالعِ اتسع الخرقُ على الراقعِ  
يا طولَ فكري فيك من حاملٍ لرقيقة منكوكة الطابعِ  
ما أنت إلا رشا خاذلٌ حلَّ بمغنى أسدٍ جابعِ

وحكى الصولي في أخباره قال :

كان أبو تمام يتعشقُ غلامًا خزريًا للحسن بن وهب ، وكان الحسنُ يتعشقُ غلامًا روميًا لحبيب . فراه يعبتُ بغلامه ، فقال له : والله لئن سرتَ إلى الروميِّ لأسيرنَّ إلى الخزريِّ . فقال الحسن : لو شئتَ حكمتنا واحتكمت ! فقال أبو تمام : أنا أشبهك بداد عليه السلام ، وأشبهني أنا بخصمه . فقال الحسن : لو كان هذا منظومًا ! فقال أبو تمام من جملة أبيات :

(١) ب ، لب : « فيا » (٢) راجع ديوانه (س ٤٤٩)

أَذْكَرْتَنِي أَمْرَ دَاوُدَ وَكُنْتُ فَتَى      مُصَرَّفَ الْقَلْبِ فِي الْأَهْوَاءِ وَالْفِكْرِ  
 أَعِنْدَكَ الشَّمْسُ لَمْ يَحْطَ الْمَغِيبُ بِهَا      وَأَنْتَ مُسْتَفِلُّ الْأَلْحَاطِ بِالْقَمَرِ ؟  
 إِنْ أَنْتَ لَمْ تَتْرِكِ السَّيْرَ الْحَيْثُ إِلَى      جَاذِرِ الرُّومِ أَعْنَقْنَا إِلَى الْخَزْرِ  
 وَرُبَّ أَمْنَعٍ مِنْهُ جَانِبًا وَحِمَى      أَمْسَى وَتَكْتَهُ مِنِّْي عَلَى خَطَرِ  
 جَزَدَتْ فِيهِ جُنُودُ الْعَزْمِ فَانْكَشَفَتْ      عَنْهُ غِيَاهِبُهَا عَنْ نَيْكَةِ هَدَرِ  
 أَنْتَ الْمُقِيمُ فَمَا تَعُدُّو رَوَاحِلَهُ      وَأَيُّرُهُ أَبَدًا مِنْهُ عَلَى سَفَرِ  
 وَقِيلَ لِأَبِي تَمَّامٍ : غُلَامُكَ أَطْوَعُ لِلْحَسَنِ مِنْ غُلَامِهِ لَكَ . قَالَ : أَجَلُ ! لِأَنَّ  
 غُلَامِي يَجِدُ عِنْدَهُ مَا لَا ، وَأَنَا أُعْطِي غُلَامَهُ قَيْلًا وَقَالَ .

وكان ابن الزيات قد وقف على ما كان بينهما في غلاميهما ، فاتفق أن عزم  
 يوماً غلاماً أبي تمام على الاحتجاج ، فكتب إلى الحسن يعلمه بذلك ، ويستدعيه  
 مطبوخاً . فوجه إليه بمائة زق<sup>(١)</sup> ومائة دينار ، وكتب إليه بشعر يقول فيه :

لَيْتَ شِعْرِي يَا أَمْلَحَ النَّاسِ عِنْدِي      هَلْ تَدَاوَيْتَ بِالْحِجَامَةِ بَعْدِي ؟  
 دَفَعَ اللَّهُ عَنْكَ لِي كُلَّ سُوءٍ      بَاكِرٍ رَائِحٍ وَإِنْ خُنْتَ عَهْدِي  
 قَدْ كَتَمْتُ الْهَوَى بِمَبْلَغِ جَهْدِي      فَبَدَا مِنْهُ غَيْرُ مَا كُنْتُ أُبْدِي  
 وَخَلَعْتُ الْعِذَارَ إِذْ عَلِمَ النَّا      سُبَّأَنِي إِتَاكَ أَضْفِي بُوْدِي  
 فَلْيَقُولُوا بِمَا أَحْبَبُوا إِذَا كُنْ      تَ وَصُولًا وَلَمْ تَرْعِنِي بِصَدِّ

واتفق أن وضع الرقعة تحت مُصَلَّاه . وبلغ محمد بن الزيات خبرها ، فوجه  
 إلى الحسن من شغله بالحديث ، وأمر من جاءه بتلك الرقعة ، ففكها وقرأها  
 وكتب فيها على لسان أبي تمام :

لَيْتَ شِعْرِي عَنْ لَيْتَ شِعْرِكَ هَذَا      أَهْزَلِ تَقُولُهُ أَمْ بِيَجِدِّ ؟

فَلَمَّا كُنْتَ فِي الْمَقَالِ مُجَدِّدًا يَا ابْنَ وَهْبٍ لَقَدْ تَطَرَّفْتَ بَعْدِي  
 وَتَشَبَّهْتَ بِي وَكُنْتُ أَرَى أَنَّ مَ أَنَا الْعَاشِقُ الْمَتِّيمُ وَخُدَيْ  
 لَا أَحِبُّ الذِي يُلُومُ وَإِنْ كَانَا نَ حَرِيصًا عَلَى صَلَاحِي وَرُشْدِي  
 بَلْ أَحِبُّ الْأَخَ الْمُشَارِكَ فِي الْحُبِّ مَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ مِثْلُ وَجْدِي  
 كَنْدِيمِي أَبِي عَلِيٍّ وَحَاشَا لِنَدِيمِي مِنْ مِثْلِ شِقْوَةِ جَدِّي  
 إِنْ مَوْلَايَ عِنْدَ غَيْرِي وَلَوْلَا شُوْمُ جَدِّي لَكَانَ مَوْلَايَ عِنْدِي

ثم قال : ضَعُوا الرُّقْعَةَ مَكَانَهَا . فَلَمَّا قَرَأَهَا الْحَسَنُ قَالَ : إِنَّا لِلَّهِ ! افْتَضَحْنَا  
 وَاللَّهِ عِنْدَ الْوَزِيرِ ! وَأَعْلَمَ أَبَا تَمَّامٍ بِمَا جَرَى ، وَوَجَّهَ إِلَيْهِ بِالرُّقْعَةِ . فَلَقِيَ مُحَمَّدَ بْنَ  
 عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّمَا جَعَلْنَا هَذَيْنِ الْعُلَامَيْنِ سَبَبًا لَتَكَاتِبِنَا بِالْأَشْعَارِ ، فَلَا يَظُنُّ  
 الْوَزِيرُ — أَعَزَّهُ اللَّهُ — إِلَّا خَيْرًا . فَقَالَ : وَمَنْ يَظُنُّ غَيْرَ هَذَا بِكُمَا ؟ فَكَانَ  
 قَوْلُهُ أَشَدَّ عَلَيْهِمَا .

رجع :

قال ابن بسام : قال ابن حبان : وكان أبو القاسم المعروف بابن الإفليلي  
 الذي به عرض ، وجعله الغرض ، قد بدأ أهل زمانه بقرطبة ، في علم اللسان  
 العربي ، والضبط لغريب اللغة ، في ألفاظ الأشعار الجاهلية والإسلامية ،  
 والمشاركة في بعض معانيها . وكان غيورًا على ما يحمل من ذلك الفن ، كثير  
 الحسد فيه ، راكبًا رأسه في الخطأ البين إذا تقلده أو نشب فيه ، يجادل عليه ،  
 ولا يصرفه صارف عنه . وعدم علم العروض ومعرفة مع احتياجه إليه ،  
 وإكمال<sup>(١)</sup> صناعته به ، فلم يكن له شروع<sup>(٢)</sup> فيه . وكان لحق الفتنه البربرية

(١) « وكال » (٢) « رسوخ »

بُقْرُطْبَةَ ، وَمَضَى النَّاسُ مِنْ حَائِنٍ <sup>(١)</sup> وَظَاعِنٍ ، فَازْدَلَفَ إِلَى الْأَمْرَاءِ الْمَتَدَاوِلِينَ  
بُقْرُطْبَةَ مِنْ آلِ حَمُودٍ وَمَنْ تَلَّاهُمْ إِلَى أَنْ نَالَ الْجَاهَ .

وَاسْتَكْتَبَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُسْتَكْتَبِيِّ بَعْدَ ابْنِ بُرْدٍ ، فَوَقَعَ كَلَامُهُ جَانِبًا  
مِنَ الْبَلَاغَةِ ، لِأَنَّهُ كَانَ عَلَى طَرِيقَةِ الْمَعْلَمِينَ الْمُتَكَلِّمِينَ <sup>(٢)</sup> ، فَلَمْ يَجْرِ فِي أُسَالِيْبِ  
الْكِتَابِ الْمَطْبُوعِينَ <sup>(٣)</sup> فَرْهَدَ فِيهِ . وَمَا بَلَغَنِي أَنَّهُ أَلْفَ فِي شَيْءٍ مِنْ فَنُونِ الْمَعْرِفَةِ  
إِلَّا كِتَابَهُ فِي شِعْرِ الْمُتَنَبِّيِّ <sup>(٤)</sup> لَا غَيْرَ . وَحَقَّقْتُهُ شُهْمَةً فِي دِينِهِ فِي أَيَّامِ هِشَامِ  
الْمَرْوَانِيِّ فِي جُمْلَةٍ مَنِ تَتَّبَعُ مِنَ الْأَطِبَّاءِ فِي وَقْتِهِ كَابْنِ عَاصِمٍ وَالْبَسْبَاسِيِّ <sup>(٥)</sup> وَالْحَمَّارِ  
وغيرهم . وَطَلِبَ ابْنُ الْإِفْلِيلِيِّ وَسُجِنَ بِالْمَطْبَقِ ، ثُمَّ أُطْلِقَ <sup>(٥)</sup> . وَفِيهِ يَقُولُ مُوسَى  
ابْنُ الطَّائِفِ مِنْ قَصِيدَةٍ :

- يَا مُبْصِرًا عَمِيَتْ نَوَاطِرُ <sup>(٦)</sup> فَهَمِّهِ  
لَوْ كُنْتَ تَعْقِلُ <sup>(٧)</sup> مَا جِهَلْتَ مَقَاوِمِي  
وَلَيْتَنِي ثَلَبْتُ الشُّعْرَ وَهُوَ أَبَاطِلُ  
وَوَخَلْتُ رَبِيقَ الدِّينِ عَنْكَ مُنَابِدًا  
وَأَقَمْتَ لِلْجَهَّالِ مِثْلَكَ فِي الْغَبَا <sup>(٨)</sup>  
وَمِنَ الْمَغَائِظِ أَنْ تَكُونَ مَقْلَدًا  
تَعْتَلُّ فِي الْأَمْرِ الصَّحِيحِ مُعَانِدًا  
عَنْ كُنْهِ عَرَضِي فِي الْبَدِيعِ وَطُولِي  
مَنْ صَاقَ فَرَسَهُ بِخُطْوَةٍ مِيلِ  
فَلَقَدْ ثَلَبْتَ حَقَائِقَ التَّنْزِيلِ  
وَلَبِستَ نَوْبَ الزَّيْغِ وَالتَّعْطِيلِ  
عَلِمًا مَشَيْتَ أَمَامَهُ بَرَعِيْلُ  
عَلِمًا ، وَلَوْ مَقْدَارَ وَزْنِ فَتِيلِ  
أَبَدًا ، وَفَهَمُكَ <sup>(٩)</sup> عِلَّةُ الْمَعْلُولِ

(١) وه : « حائر » (٢) وه : « المتكلمين »

(٣-٣) وه في ب (٤) ر : « والنيابي » - ب ، لب : « السباسي »

والتصحيح عن ابن أبي أصيبعة (ج ٢ ص ٤٧) (٥) وه : « أطلق »

(٦) ر : « بواطن » (٧) ب ، لب ، وه : « تعلم »

(٨) ب ، لب : « العنا » - وه : « العيا » (٩) وه : « وفهمت منه »

وَتَظُنُّ أَنَّكَ مِنْ فَنُونِي مُوسِرٌ      وَكَثِيرٌ شَأْنُكَ لَا يَفِي بِقَلِيلِي  
 سَيْسَلُ رُوحِكَ مِنْ خَبِيثِ قَرَارِهِ      تَأْتِيرُ هَذَا الصَّارِمِ الْمَصْفُولِ  
 وَأُخْصُ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْمَلِكِ الرَّضَا      لِئُعِيدَ عَقْدَ رَبِاطِكَ الْمَحْلُولِ  
 وَأَرِيكَ رَأَى الْعَيْنِ أَنَّكَ ذَرَّةٌ      عَبَّتْ بِهَا مِنِّي قَوَائِمُ فَيْلِ

### رجع الحديث إلى أخبار ابن شهيد

قال أبو عامر: وحضرت أنا أيضاً وزهيرٌ مجلساً من مجالس الجن،  
 فتذاكرنا ما تاورثه الشعراء من المعاني، ومن زاد فأحسن الأخذ، ومن قصر.  
 فأشدد قول الأفره بعض من حضر:

وَتَرَى الطَّيْرَ عَلَى آثَارِنَا      رَأَى عَيْنٍ ، ثِقَّةً أَنْ سَمَّازُ  
 وَأَنْشَدَ آخِرُ قَوْلَ النَّابِغَةِ (١):

إِذَا مَا غَزَوْا بِالْجَيْشِ حَلَقَ فَوْقَهُمْ      عَصَابُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَابِ  
 تَرَاهُنَّ خَلْفَ الْقَوْمِ خُزْرًا عُمُونَهَا      جُلُوسَ الشُّيُوخِ فِي ثِيَابِ الْمَرَانِبِ  
 جَوَانِحَ قَدْ أَيْقَنَ أَنَّ قَبِيلَهُ      إِذَا مَا التَّقَى الْجَيْشَانَ أَوَّلُ غَالِبِ  
 وَأَنْشَدَ آخِرُ قَوْلَ أَبِي نُوَّاسٍ (٢):

تَتَأَيَّ الطَّيْرُ غَدْوَتَهُ      ثِقَّةً بِالشَّبَعِ مِنْ جَزَرِهِ  
 وَأَنْشَدَ آخِرُ قَوْلَ صَرِيحِ الْغَوَانِي (٣):

قَدْ عَوَّدَ الطَّيْرَ عَادَاتٍ وَتَقَنَّ بِهَا      فَهِنَّ يَتَّبَعْنَهُ فِي كُلِّ مَرْتَحَلِ  
 وَأَنْشَدَ آخِرُ قَوْلَ أَبِي تَمَّامٍ (٤):

وَقَدْ ظَلَمْتَ عِقْبَانَ أَعْلَامِهِ ضَحَى      بِعِقْبَانِ طَيْرٍ فِي الدَّمَاءِ نَوَاهِلِ

(٢) راجع ديوانه (ص ٦٩)

(٤) راجع ديوانه (ص ٢٢٠)

(١) راجع ديوانه (ص ٤٢)

(٣) راجع ديوانه (ص ٩)

أقامت مع الرايات<sup>(١)</sup> حتى كأنها من الجيش ، إلا أنها لم تقابل  
فقال شمرذل السعابي : كلهم قصر عن النابغة ؛ لأنه زاد في المعنى ودل  
على أن الطير إنما أكلت أعداء المدوح ، وكلامهم كلهم مشترك يحتمل أن  
يكون ضد ما نواه الشاعر ، وإن كان أبو تمام قد زاد في المعنى . وإنما المحسن  
المتخلص المتنبي<sup>(٢)</sup> حيث يقول :

له عسكراً خيلٍ وطيرٍ إذا رمى بها عسكراً لم تبق إلا جماعه  
وكان بالحضرة فتى حسن البزة ، فاحتد لقول شمرذل . فقال : الأمر  
على ما<sup>(٣)</sup> ذكرت يا شمرذل ، ولكن ما تسأل الطير إذا شبعت أي القبيلين  
الغالب . وأما الطير الآخر فلا أدري لأي معنى عافت الطير الجماع دون عظام  
السوق والأذرع والفقارات والعصاعص ؟ ولكن الذي خلص هذا المعنى كله ،  
وزاد فيه ، وأحسن التركيب ، ودل بلفظه واحدة على ما دل عليه شعر النابغة  
وبيت المتنبي ، من أن القتلى التي أكلتها الطير أعداء المدوح ، فأتك بن  
الصقعب في قوله :

وتدري سباع الطير أن كمامته إذا لقيت صيد الكمامة سباع  
لهن لعاب في الهواء وهزة إذا جد بين الدارين قراع  
تطير جوعاً فوقه وتردها ظباه إلى الأوكار وهي سباع  
تملك بالإحسان ربة رقها فهن رقيق يشترى ويباع  
والحم من أفرأخها فهي طوعه لدى كل حرب والملوك تطاع  
نماصع جرحاها فيجهز نقرها عليهن ، وللطير العتاق مصاع

(١) ب ، لب ، وه : « الفرسان » (٢) راجع ديوانه (ج ٢ ص ٢٤٠)

(٣) ر : « كما »

فاهتزَّ المجلسُ لقوله ، وعلِموا صدقَه . فقلتُ زهير : مَنْ فَاثِكُ بْنُ الصَّعْبِ ؟  
قال : يعنى نفسه . قلتُ له : فِهَلَا عَرَفْتَنِي شَأْنَهُ مِنْذُ حِينِ ؟ <sup>(١)</sup> إِنِّي لَأَرَى نَزَاعِي  
كَرِيمَةً <sup>(١)</sup> . وَوَقْتُتُ فِجَلَسْتُ إِلَيْهِ جِلْسَةَ الْعَظْمِ لَهُ . فَاسْتَدَارَ نَحْوِي <sup>(٢)</sup> ، مَكْرِمًا لِمَكَانِي ،  
فَقُلْتُ : جُدْ أَرْضْنَا — أَعْرَكَ اللهُ — بِسِحَابِكَ ، وَأَمِطِرْنَا بِبُعْيُونِ آدَابِكَ . قَالَ :  
سَلْ عَمَّا شِئْتُ . قُلْتُ : أَيُّ مَعْنَى سَبَقْتُكَ إِلَى الْإِحْسَانِ فِيهِ غَيْرُكَ ، فَوَجَدْتَهُ حِينِ  
رُؤْمَتَهُ صَعْبًا عَلَيْكَ إِلَّا أَنْكَ نَفَذْتَ فِيهِ ؟ قَالَ : مَعْنَى قَوْلِ الْكِنْدِيِّ <sup>(٣)</sup> :

سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَمَا نَامَ أَهْلُهَا سُمُوَ حَبَابِ الْمَاءِ حَالًا عَلَى حَالِ

قُلْتُ : أَعْرَكَ اللهُ <sup>(٤)</sup> ، هُوَ مِنَ الْعُتْمِ . أَلَا تَرَى عُمَرَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ ، وَهُوَ مِنْ  
أَطْبَعِ النَّاسِ ، حِينَ رَامَ الدُّنْيَا مِنْهُ وَالْإِمَامَ بِهِ ، كَيْفَ افْتَضَحَ فِي قَوْلِهِ <sup>(٥)</sup> :

وَنَفَضْتُ عَنِّي النَّوْمَ أَقْبَلْتُ مِشِيَةَ ۥ ۥ حَبَابِ وَرُكْنِي خَيْفَةَ الْقَوْمِ أَزُورُ ۱٠

قال : صدقت ، إِنَّهُ أَسَاءَ قِسْمَةَ الْبَيْتِ ، وَأَرَادَ أَنْ يُلَطِّفَ التَّوَصُّلَ ، فِجَاءً مُقْبِلًا  
بِرُكْنِ كَرُكْنِهِ أَزُورُ <sup>(٦)</sup> . فَأَعْجَبَنِي ذَلِكَ مِنْهُ . وَمَا زِلْتُ مُقَدِّمًا لِهَذَا الْمَعْنَى رِجَالًا ،  
وَمُؤَخَّرًا عَنْهُ أُخْرَى ، حَتَّى مَرَرْتُ بِشَيْخٍ يُعَلِّمُ بُنْيَانًا لَهُ صِنَاعَةَ الشَّعْرِ وَهُوَ يَقُولُ  
لَهُ : إِذَا اعْتَمَدْتَ مَعْنَى قَدْ سَبَقْتُكَ إِلَيْهِ غَيْرُكَ فَأَحْسِنَ تَرَكِيْبَهُ ، وَأَرْقِ حَاشِيَتَهُ  
فَاضْرِبْ عَنْهُ جُمْلَةً . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بَدًّا فِي غَيْرِ الْعَرُوضِ الَّتِي تَقْدِّمُ إِلَيْهَا ذَلِكَ الْمُحْسِنُ ۱٥  
لَتَنْبَسَطَ <sup>(٧)</sup> طَبِيعَتُكَ ، وَتَقْوَى مُنْتُكَ . فَتَذَكَّرْتُ قَوْلَ الشَّاعِرِ وَقَدْ كُنْتُ أَنْسِيْتُهُ :

لَمَّا تَسَامَى النَّجْمُ فِي أَفْقِهِ وَوَلَّاحَتْ الْجَوَازِءُ وَالْمِرْزَمُ

(١-١) هـ ب ، لب ، ع

(٢) ر : « حولي »

(٣) راجع ديوانه (ص ١٠٨)

(٤) لب ، ر : « عذرك الله »

(٥) رواية البيت (ديوانه ص ٢) :

وخفض عن الصوت أقبلت مشية ۥ ۥ حباب وشخصى خشية الحى أزور

(٦) ب ، لب : « بركن أزور كركن أزورك ذلك » (٧) ب ، لب : « لتنبسط »



أَقْبَلْتُ وَالْوَطءُ خَفِيفٌ كَمَا يَنْسَابُ مِنْ مَكْمَنِهِ الْأَزْقَمُ  
 فعلتُ أنه<sup>(١)</sup> صدق . وابن أبي ربيعة لو ركب غير عروضه لخلص<sup>(٢)</sup> . فقلتُ  
 أنا<sup>(٣)</sup> في ذلك<sup>(٣)</sup> :

وَلَمَّا تَمَلَّأَ مِنْ سُكْرِهِ فَنَامَ وَنَامَتْ<sup>(٤)</sup> عُيُونُ الْعَسَسِ  
 دَنَوْتُ إِلَيْهِ عَلَى بُعْدِهِ دُنُوَّ رَفِيقٍ دَرَى<sup>(٥)</sup> مَا التَّمَسِ  
 أَدْبُ إِلَيْهِ دَيْبَ الْكَرَى وَأَسْمُو إِلَيْهِ سُمُو النَّفْسِ  
 وَبْتُ بِهِ لَيْسَتِي نَاعِمًا إِلَى أَنْ تَبَسَّمَ ثَغْرُ الْفَلَسِ  
 أَقْبَلُ مِنْهُ بِيَاضِ الطَّلَا<sup>(٦)</sup> وَأَرْشَفُ مِنْهُ سَوَادَ اللَّعَسِ<sup>(٧)</sup>

فقلتُ وقبّلتُ على رأسه ، وقلتُ : لله دَرُّ أبيض !

قال ابن بسّام : وذَكَرَ بعضُ الرُّوَاةِ أن هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ ،<sup>(٨)</sup> نَعْنَى الْبَيْتَيْنِ  
 الْمُتَقَدِّمَيْنِ عَلَى شَعْرِ أَبِي عَامِرٍ<sup>(٨)</sup> ، غَنَّى بِهِمَا فِي مَجْلِسِ الْوَائِقِ مُخَارِقُ ، فَطَرِبَ  
 وَاسْتَمَلَحَ مَعْنَاهُمَا ، وَقَالَ الْوَائِقِ :

قَالَتْ إِذَا اللَّيْلُ دَجَا فَأَتِنَا فَجِئْتُمَا حِينَ دَجَا اللَّيْلُ  
 حَنِيٌّ وَطءُ الرَّجُلِ مِنْ حَارِسٍ وَلَوْ دَرَى حَلَّ بِهِ<sup>(٩)</sup> الْوَيْلُ  
 وَأَنْشَدَ بَعْضُهُمْ لِأَبِي دَهْبَلِ الْجُمَحِيِّ :  
 قَالَتْ : إِذَا مَا جِئْتَنَا فَأَتِنَا<sup>(١٠)</sup> لَيْلًا إِذَا هَجَجَ<sup>(١١)</sup> السَّامِرُ

- (١) ب ، لب : « فقلت : إنه »  
 (٢) ب ، لب : « لتخلص » — وه :  
 (٣) « للبح » (٣-٣) ز في ب ، لب  
 (٤) ب ، لب : « دنا »  
 (٥) ب ، لب : « دنا »  
 (٦) ر : « الصلي »  
 (٧) هـ في ب ، لب  
 (٨) (٨-٨) هـ في ب ، لب  
 (٩) ر ، وه : « بي » (١٠) وه : « قالت : لقد أعبيتنا حجة \* فأت الح »  
 (١١) ب ، لب : « رقد »

وَاسْقُطْ عَلَيْنَا كَسُوطِ النَّدَى لَيْلَةَ لَنَاهِ وَلَا زَاجِرُ  
قال أبو عامر : فقال لي فاتك بن الصَّقَب : فهل جاذبت<sup>(١)</sup> أنت أحداً من  
الفحول ؟ قلت : نعم ، قول أبي الطَّيِّب<sup>(٢)</sup> :

أَخْلَعُ الْمَجْدَ عَنْ كِنْفِي وَأَطْلُبُهُ وَأَتْرُكُ الْغَيْثَ فِي غِمْدِي وَأَنْتَجِعُ ؟  
قال لي : بماذا ؟ قلتُ بقولي<sup>(٣)</sup> :

وَمِنْ قُبَّةٍ لَا يُدْرِكُ الطَّرْفُ رَأْسَهَا تَرَكْتُ بِهَا رِيحَ الصَّبَا فَتَحَدَّرُ  
إِذَا زَاخَمَتْ مِنْهَا الْمُخَارِمَ صَوَّبَتْ هُوِيًّا عَلَى بَعْدِ الْمَدَى وَهِيَ تَجَارُ  
تَكَلَّفْتُهَا وَاللَّيْلُ قَدْ جَاشَ بِحَرِّهِ وَقَدْ جَعَلَتْ أَمْوَاجُهُ تَتَكَسَّرُ

وَمِنْ تَحْتِ حِضْنِي أَبْيَضُ ذُو سَفَاسِقِي وَفِي الْكَفِّ مِنْ عَسَالَةِ الْخَطِّ أَسْمُرُ  
هُمَا صَاحِبَايَ مِنْ لَدُنْ كُنْتُ يَافِعًا مُقِيلَانَ مِنْ جَدِّ الْغَتَى حِينَ يَغْتَرُ  
فَذَا جَدُولٌ فِي الْغَمْدِ تُسْقَى بِهِ الْمَنَى وَذَا غُصْنٌ فِي الْكَفِّ يُجْنَى فَيُشْمَرُ

قال : والله لئن كان الغيثُ أبلغ ، فلقد زدت زيادةً مليحةً طريفةً ، واخترعت  
معانيً لطيفةً . هل غيرُ هذا ؟ قلتُ : وقوله<sup>(٤)</sup> أيضاً :

وَأَطْمَأَ فَلَا أَبْدَى إِلَى الْمَاءِ حَاجَةً وَلِلشَّمْسِ فَوْقَ الْيَعْمَلَاتِ لُعَابُ  
قال : بماذا ؟ قلتُ : بقولي :

وَلَمْ أَنْسَ بِالنَّوْوسِ أَيَّامَنَا الْأَلَى بِهَا أَيْنُنَا<sup>(٥)</sup> مَحْبُوبُهَا وَحُبُّهَا  
وَفَتِيَّةَ صَرْبٍ مِنْ زَنَاتَةِ مُمَطِّرٍ يَوْبِلُ الْمَنَايَا طَعْنُهَا وَضِرَابُهَا  
وَقَفْنَا عَلَى سَجَرٍ مِنَ الْمَوْتِ وَقَفَّةً صِلَى لَفْطَاهُ دَابُّ قَوْمِي وَدَابُّهَا<sup>(٦)</sup>

(١) ب ، لب : « جاريت » (٢) راجع ديوانه (ج ١ ص ٤٠٢)

(٣) وردت هذه الأبيات في ص ٢١٢ (٤) راجع ديوانه (ج ١ ص ١٣٤)

(٥) ر : « اتينا » ، و : « ايتمنا عفوها » ، لب : « اتينا »

(٦) هذا البيت ناقص في ب

إِذَا الشَّمْسُ رَامَتْ فِيهِ كُلَّ لُحُومِنَا<sup>(١)</sup> جَرَى جَشَعًا فَوْقَ الْجِيَادِ لَعَابَهَا  
فصاح صيحةً منكرةً من صياح الجنِّ كاد يُنخَبُ<sup>(٢)</sup> لها فوادى فرعاً والله  
منه . وكان بنجوةً منا جنيُّ كأنه هضبة لركابته وتقبضه ، يحدق في دونهم ،  
يرميني<sup>(٣)</sup> بسهمين نافذين ، وأنا ألوذُ بطرفي عنه ، وأستعيذُ بالله منه ، لأنه  
ملا<sup>(٤)</sup> عيني ونفسي . فقال لي لما اتهمتُ ، وقد استخفَّه الحسدُ : على من<sup>(٥)</sup>  
أخذتَ الزمير؟ قلتُ : وإنما أنا نفاخُ عندك منذُ اليوم؟ قال : أجل ! أعطينا  
كلاماً يرعى تلأع الفصاحة ، ويستحيمُ بماء العذوبة والبراعة ، شديد الأسر  
جيد النظام ، وضعه على أي معنى شئت . قلت : كأي كلام؟ قال : ككلام  
أبي الطيب<sup>(٦)</sup> :

نَزَلْنَا عَلَى الْأَكْوَارِ نَمَشِي كَرَامَةً  
لَعْنِ بَانَ عَنَّهُ أَنْ نَلِمَ بِهِ رَكْبًا  
نَذْمُ السَّحَابِ الْعَرِّ فِي فِعْلِهَا بِهِ  
وَنُعْرِضُ عَنْهَا كُلَّمَا طَلَعَتْ عَتَبًا  
وكقوله<sup>(٧)</sup> :

أَرَأَيْتَ أَكْبَرَ هَمِّهِ مِنْ نَاقَتِي  
حَمَلَتْ يَدًا سُرْحًا وَخُفًا مُجْمَرًا  
تَرَكْتُ دُخَانَ الرَّمْثِ فِي أَوْطَانِهَا  
طَلَبًا لِقَوْمٍ يُوقِدُونَ الْعَنْبَرَا  
وَتَرَفَّتْ رُكْبَاتُهَا عَنْ مَبْرَكِ  
تَقَعَانِ فِيهِ ، وَلَيْسَ مِسْكَاً أَذْفَرَا  
فَأَتَتْكَ دَامِيَةَ الْأُظْلَى كَأَنَّمَا  
حُدَيْتُ قَوَائِمُهَا الْعَقِيقَ الْأَحْمَرَا  
وكقوله<sup>(٨)</sup> :

عَلَى كُلِّ طَاوٍ<sup>(٩)</sup> تَحْتَ طَاوٍ كَأَنَّمَا  
مِنَ الدَّمِ يُسْقَى أَوْ مِنْ اللَّحْمِ يُطْعَمُ

(١) ب ، لب : « لحومها »

(٢) وه : « ويرميني »

(٣) ب ، لب ، وه : « عمن »

(٤) (٦) راجع ديوانه (ج ١ ص ٤٠)

(٥) (٧) راجع ديوانه (ج ١ ص ٣٦٨)

(٨) راجع ديوانه (ج ٢ ص ٢٥٦)

(٩) ر : « ظام »

لَهَا تَحْتَهُمْ زِيُّ الْفَوَارِسِ فَوْقَهَا فَكُلُّ حِصَانٍ دَارِعٌ مُتَلَمِّمٌ  
 وَمَا ذَاكَ بُحْلًا بِالْفُفُوسِ عَلَى الْقَنَا وَلَكِنَّ صَدَمَ الشَّرِّ بِالشَّرِّ أَحْزَمُ  
 فَادْنَى (١) وَاللَّهِ بِمَا (٢) قَرَعَ بِهِ سَمِعِي ، وَقَلْتُ لَهُ : أَيُّ مَاءٍ لَوْ كَانَ مِنْ جِوَامِكِ ،  
 وَاسْتَهَلَّتْ بِهِ عَيْونُ نَعْمَامِكِ ! ثُمَّ اسْتَقَدَمْتُ (٣) فَأَنْشَدْتَهُ (٤) :

وَلرُبَّ لَيْلٍ لِلهَمُومِ تَهَدَّلَتْ أَسْتَارُهُ فَمَحَا الصَّوَى بِسُتُورِهِ  
 كَالْبَحْرِ يَضْرِبُ وَجْهَهُ (٥) فِي وَجْهِهِ صَعْبٌ عَلَى الْعُبَّارِ وَجْهُهُ عُبُورِهِ  
 طَاوَلْتُهُ مِنْ عَزْمَتِي بِمُضَبَّرٍ أَثْبَتُ هَمِّي فِي قَرَارَةِ كُورِهِ  
 وَعَلَى لِصَبْرِ الْجَمِيلِ مُفَاصَّةٌ تَلْقَى الرَّدَى فَتَكِلُ دُونَ صُبُورِهِ  
 وَبِرَاحَتِي مِنْ فِكْرَتِي (٦) ذُو ذِكْرَةٍ عَهَدَتْ تُدَاكِرُنِي لِطَبْعِ (٧) ذِكْرِهِ  
 فَرْدًا إِذَا بَعَثَتْ دِيَابِجِي جِنِحِهِ هَوْلًا عَلَى خَبِطَتِي فِي دَيْجُورِهِ  
 حَتَّى بَدَأَ عَبْدُ الْعَزِيزِ لِنَاظِرِي أَمَلِي فَمَزَّقْتُ الدَّجِي عَنْ نُورِهِ  
 وَأَنْشَدْتَهُ (٨) :

اللَّهُ فِي أَرْضٍ غَذِيَتْ هَوَاءَهَا وَعِصَابَةٌ لَمْ تَسْتَهْمِ إِشْفَاقَهَا  
 نَكَزَتْهُمْ أَفْعَى الْخُطُوبِ وَعُوجِلُوا بِمُثَمَّلٍ مِنْهَا فَكُنْ دِرْيَاقَهَا  
 وَافْتَحْ مَعَالِقَهَا بِعِزْمَةٍ فَيَصِلْ لَوْ حَاوَلَتْ سَوَاقَ الثَّرِيَّا سَاقَهَا  
 وَلَوْ أَنَّهَا مِنْهُ إِذَا مَا اسْتَلَّهَا تَتَعَرَّضُ الْجُوزَاءُ حَلَّ نِطَاقَهَا  
 وَأَنْشَدْتَهُ :

لَا تَبْكِينَ مِنَ اللَّيَالِي أَنَّهَا حَرَمَتِكَ نَغْبَةَ شَارِبٍ مِنْ مَشْرَبٍ

(١) « فادنى » — ب ، لب : « فادنى » (٢) ب ، لب : « مما » —  
 ب ، لب : « بمن » (٣) ر : « استعزمت » ، ب ، ت : « استغربه » ،  
 لب : « استعزمت » (٤) وردت هذه الآيات في ص ١٧٧  
 (٥) « موجه » (٦) ب ، لب : « همتي »  
 (٧) « تذكرني بطبع » (٨) لم تقع هذه المقطوعة في ب ، لب

فَأَقْلَمَ مَالِكَ عِنْدَهَا سَيْفُ الرَّدَى      يُسْتَلُّ مِنْ شَعْرِ الْقَدَالِ الْأَشْيَبِ  
وَرَحِيلُ عَيْشِكَ كُلِّ رَحْلَةٍ سَاعَةٍ      وَفَنَاءَ طَيْبِكَ فِي الزَّمَانِ الْأَطْيَبِ  
فَإِذَا بَكَيْتَ فَبَكَ عُمَرُكَ ، إِنَّهُ      زَجَلُ الْجَنَاحِ يَمْرُومَةَ الْكَوْكَبِ  
وَأَنْشَدْتُهُ .

- وَلَمْ أَرْ مِثْلِي مَالَهُ مِنْ مُعَاصِرِ      وَلَا كَمَضَائِي (١) مَالَهُ مِنْ مُضَافِرِ (٢)  
وَلَوْ كَانَ لِي فِي الْجَوِّ كَسْرٌ (٣) أَوْ مَهْ      رَكِبْتُ إِلَيْهِ ظَهَرَ فَتَخَاءَ كَاسِرِ  
وَهَمَّتْ بِإِجْمَاشِ عَلَيَّ وَقَدْ رَأَتْ      مُصَابِي فِي آثَارِ إِحْدَى الْكَبَائِرِ  
فَقُلْتُ لَهَا : إِنْ تَجَزَعِي مِنْ مُحَاطِرِ      فَإِنَّكَ لَنْ (٤) تَحْظِي بِغَيْرِ الْخَطَائِرِ (٥)  
تَشَهَّتْ بِمَارِ الْوَفْرِ مِنِّي وَأَنَّهَا      لَدَى كُلِّ مُنِيضِ الْعَنَانِيْرِ (٦) وَافِرِ (٧)  
لَهُ فِي بَيَاضِ الْيَوْمِ يَقْظَةٌ فَاجِرِ      وَتَحْتَ سَوَادِ اللَّيْلِ هَجْعَةٌ كَافِرِ  
رُؤْيُكَ حَتَّى تَنْظُرِي عَمَّ تَنْجَلِي      غَيْابَهُ هَذَا الْعَارِضِ الْمُتَنَائِرِ  
وَدُونَ اغْتِرَامِي (٨) هَضْبَةٌ كَسْرُويَةٍ      مِنَ الْحَزْمِ سَلْمَانِيَّةٌ فِي الْمَكَاسِرِ  
إِذَا نَحْنُ أَسْنَدْنَا إِلَيْهَا تَبَلَّجَتْ (٩)      مَوَارِدُنَا عَنْ نِيَرَاتِ الْمَصَادِرِ  
وَأَنْتِ ابْنُ حَزْمٍ مُنْعِشٌ مِنْ عَثَارِهَا      إِذَا مَا شَرَقْنَا (١٠) بِالْجُدُودِ الْعَوَائِرِ  
وَمَاجِرٌ أَذْيَالُ الْغِنَى نَحْوَ بَيْتِهِ      كَأَرْوَعٍ مُعْرُورٍ ظُهُورَ الْجَرَائِرِ (١١)

- (١) ب ، ت ، لب : « كصابي »  
ت : « مظافر » (٣) و ، ب ، لب ، ت : « أن لي ... كسرا »  
(٤) لب ، ت ، ب : « لم » (٥) ر : « الخطائر »  
(٦) كذا في الأصل ، ولعله : « العثانين »  
(٧) هذا البيت والذي يليه لم يقعا إلا في ر (٨) ت ، و : « اغترابي »  
(٩) لب ، ت ، ب : « إليك بيلجة » (١٠) ب : « شرفنا »  
(١١) هذا البيت ناقص في ب ، لب ، ت

إِذَا مَا تَبَعَى نَضْرَةَ الْعَيْشِ كَرَّهَا (١)  
 فَسَلَّ مِنَ التَّأْوِيلِ فِيهَا مُهْنَدًا (٢)  
 لِمُعْتَزِلِي الرَّأْيِ نَاءَ عَنِ الْهُدَى  
 يُطَالِبُ بِالْمُهْنِدِيِّ فِي كُلِّ فَتْكَةٍ (٥)  
 وَأَنْشَدَتْهُ :

وَقَالَتْ النَّفْسُ لَمَّا أَنْ خَلَوْتُ بِهَا  
 حَتَّامًا أَنْتَ عَلَى الضَّرَاءِ مُضْطَجِعٌ  
 وَفِي الشَّرَى لَكَ، لَوْ أَرَمَعْتُ مَرْتَحَلًا ،  
 ثُمَّ اسْتَمَرَّتْ بِفَضْلِ الْقَوْلِ تَهْضِي (٨)  
 الْمُلْحِقِينَ رِدَاءَ الشَّمْسِ مَجْدُهُمْ (٧)  
 أَلَمَّتْ (١٠) بِالْحُبِّ حَتَّى لَوْ دَنَا أَجَلِي  
 وَذَادَنِي كَرِيمِي عَمَّنْ وَهَلْتُ بِهِ  
 تَخَوَّنْتَنِي رَجُلٌ طَالَمَا شَكَرْتُ  
 لَنْ وَرَدْتُ سُهَيْلًا غِبَّ ثَالِثَةً  
 هُنَاكَ لَا تَبْتَغِي غَيْرَ السَّنَاءِ يَدِي  
 حَتَّى تَرَانِي فِي أَدْنَى مَوَاكِبِهِمْ

أَشْكُو إِلَيْهَا الْهُوَى خِلْوًا مِنْ النَّعْمِ :  
 مُعْرَسٌ فِي دِيَارِ الظُّلْمِ وَالظُّلْمِ ؟  
 بُرْءٌ مِنَ الشَّوْقِ أَوْ بُرْءٌ مِنَ الْقَدَمِ (٦)  
 فَقُلْتُ : إِنْ لَأَسْتَحْيِي بَنِي الْحَكَمِ  
 وَالْمُنْعِلِينَ الثَّرِيًّا أَخْصَصَ الْقَدَمِ (٩)  
 لَمَّا وَجَدْتُ لِطْعَمِ الْمَوْتِ مِنَ أَلَمِ  
 وَبَلِي مِنَ الْحُبِّ أَوْ بَلِي مِنَ الْكَرَمِ  
 عَهْدِي وَأَنْتِ بَمَارَاعِيْتِ مِنْ ذِمِّمْ  
 لَتَقْرَعَنَّ عَلَيَّ السَّنَّ مِنْ نَدَمِ  
 وَلَا تَخِفْ إِلَى غَيْرِ الْعَلَا قَدَمِي  
 عَلَى النَّعَامَةِ سَلَالًا مِنْ النَّعْمِ

(١) ور : « جرها »

(٢) ر : « مقيدا »

(٣) ب ، ت ، لب ، ور : « أبا »

(٤) هذا البيت ناقص في ب ، لب ، ت (٥) ر ، لب ، ت : « فكة »

(٦) هذا البيت ناقص في ب ، لب ، ت (٧) ر : « بفصل »

(٨) ور : « تفبضني » (٩) ب ، ت ، لب : « الهمم »

(١٠) كذا في جميع النسخ ولعلها : « ألت »

رَيَّانَ مِنْ زَفَرَاتِ الْخَيْلِ أُورِدَهَا      أَمْوَاةَ نَيْطَةٍ <sup>(١)</sup> تَهْوِي فِيهِ بِاللَّجْمِ  
 قَدَامَ أَرْوَعٍ مِنْ قَوْمٍ وَجَدْتُهُمْ      أَرْعَى لِحَقِّ الْعُلَمَاءِ مِنْ سَالَفِ <sup>(٢)</sup> الْأُمَمِ  
 ففَتَحَ عَلَى عَيْنَيْنِ كَلِمَا وَيَتَسَيْنِ <sup>(٣)</sup>      ثم قال لي : من القائل ؟  
 طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا      فَحَسِبْنَاهُ لَبِيبًا  
 وَالتَّقِينَا فَرَأَيْنَا      هُ بَعِيدًا وَقَرِيبًا

قلت : أبي ، قال : فمن القائل ؟

فِيَا مَنْ إِذَا رَامَ مَعْنَى كَلَامِي      رَأَى نَفْسَهُ نُصِبَ تِلْكَ الْمَعَانِي <sup>(٤)</sup>  
 شَكَوْتُ إِلَيْكَ صُرُوفَ الزَّمَانِ      فَلَمْ تَعُدْ أَنْ كُنْتَ عَوْنَ الزَّمَانِ  
 وَتَقْصُرُ عَنْ هِمَّتِي قُدْرَتِي      فَيَا لَيْتَنِي لِسُوِي مَنْ نَمَانِي  
 وَلَا غُرُوَ لِلْحُرِّ عِنْدَ الْمَضِي      قِ أَنْ يَتَمَنَّى وَضِيْعَ الْأَمَانِي

قلت : أرحي ، قال : فمن القائل ؟

صُدُودٌ وَإِنْ كَانَ الْحَبِيبُ مُسَاعِفًا      وَبُعْدٌ وَإِنْ كَانَ الْمَرَارُ قَرِيبًا  
 وَمَا فَتَنَّتْ تِلْكَ الدِّيَارُ حَبَائِبًا      لَنَا قَبْلَ أَنْ نَلْقَى بِهِنَّ حَبِيبًا  
 وَلَوْ أَسْعَفْتَنَا بِالْمُودَةِ فِي الْهُوِي <sup>(٥)</sup>      لِأَدْنَيْنِ إِلَّا أَوْ شَغْلَنَ رَقِيبًا  
 وَمَا كَانَ يَجْفُو مُرْضِي ، غَيْرَ أَنَّهُ      عَدَّتْهُ الْعَوَادِي أَنْ يَكُونَ طَبِيبًا

قلت : عمي ، قال : فمن القائل ؟

أَتَيْنَاكَ لِأَعْنِ حَاجَةٍ عَرَضَتْ لَنَا      إِلَيْكَ وَلَا قَلْبَ إِلَيْكَ مَشُوقِ  
 وَلَكِنَّا زُرْنَا بِفَضْلِ خُلُومِنَا      جَهَارًا تَلَقَّى بَرْنَا بِعُفُوقِ

(١) ب ، ت ، لب : « بيضة » — و : « مرآة بيضة »

(٢) ب ، ت ، لب : « سائر » — و : « كالمرآة »

(٣) لم يقع هذا البيت إلا في ر — (٥) : « في المودة بالهوى » — و :

« بالمودة والهوى » — ب : « في المودة في الهوى »

قلت : جدّي ، قال : فمن القائل ؟

وَبَلِيَّ عَلَى<sup>(١)</sup> أَحْوَرَ تِيَاهِ أَحْسَنَ مَا يَلُوهُ بِهِ اللّاهِي  
أَقْبَلَ فِي غَيْدِ حَكَيْنِ الظَّبَا بِيضِ تَرَاقِي حُمْرِ أَفْوَاهِ  
يَأْمُرُ فِيهِنَّ وَيَنْهَى وَلَا يَعْصِيْنُهُ مِنْ أَمْرِ نَاهِي  
حَتَّى إِذَا أَمَكَّنِي أَمْرُهُ تَرَكَتُهُ مِنْ خَيْفَةِ اللّهِ<sup>(٢)</sup>

قلت : جدّ أبي ، قال : فمن القائل ؟

وَيْحٌ<sup>(٣)</sup> الْكِتَابَةِ مِنْ شَيْخِ هَبَنْقَةٍ يَلْقَى<sup>(٤)</sup> الْعُيُونَ بِرَأْسِ مُحْسُهُ زَارُ  
وَمُنْتِنِ الرِّيحِ إِنْ نَاحَيْتَهُ<sup>(٥)</sup> أَبَدًا كَأَنَّمَا مَاتَ فِي خَيْشُومِهِ فَارُ  
قلتُ : أنا ، قال : واللّذي نفسُ فرعونَ بيده ، لا عَرَضْتُ لَكَ أَبَدًا ، إِنِّي  
أرَاكَ عَرِيْقًا فِي الْكَلَامِ ، ثُمَّ قَلَّ وَاضْمَحَلَّ ، حَتَّى إِنْ الْخُنْفُسَاءُ لَتَدُوْسُهُ ، فَلَا  
يَشْغَلُ رَجُلِيهَا<sup>(٦)</sup> . فَعَجِبْتُ مِنْهُ ، وَقُلْتُ لَزُهَيْرٍ : مَنْ هَذَا الْجِنِّيُّ ؟ فَقَالَ لِي : اسْتَعِذْ  
بِاللّهِ مِنْهُ ، إِنَّهُ ضَرَطَ فِي عَيْنِ رَجُلٍ فَبَدَرَتْ مِنْ قَفَاهُ ، هَذَا فِرْعَوْنُ بْنُ الْجَوْنِ .  
فَقُلْتُ : أَعُوذُ بِاللّهِ الْعَظِيمِ ، مِنَ النَّارِ وَمِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ! فَتَبَسَّمَ زُهَيْرٌ وَقَالَ  
لِي : هُوَ تَابِعَةُ رَجُلٍ كَبِيرٍ مِنْكُمْ فَفَهَمْتُهَا<sup>(٧)</sup> عَنْهُ .

وله فصلٌ في مثل ذلك :

قال أبو عامر : ومَشَيْتُ يَوْمًا أَنَا وَزُهَيْرٌ بَارِضِ الْجَنِّ أَيْضًا نَتَقَرَّصِي الْفَوَائِدَ ،  
وَنَعْتَمِدُ أُنْدِيَةَ أَهْلِ الْآدَابِ<sup>(٨)</sup> مِنْهُمْ ، إِذْ أَشْرَفْنَا عَلَى قَرَارَةِ غَنَاءٍ ، تَفَسَّرَتْ عَنْ

(١) ب ، ت ، لب ، و ، ه : « من » (٢) لم يقع هذا البيت في ر

(٣) ر ، ت : « تَأْبَى » — ب ، لب : « تَأْتِي » (٤) و ، ه : « تَلْقَى »

(٥) و ، ب ، ت ، لب : « نَاجِيَتُهُ » (٦) ر ، و ، ه : « رَجُلِيهَا »

(٧) ب ، و ، ه : « فَفَهَمْتُهَا » (٨) ب ، لب ، و ، ه : « الْآدَابِ »



بركة ماء ، وفيها عانة من حمر الجين<sup>(١)</sup> وبغالهم ، قد أصابها أولق فهي تصطك بالحوافر ، وتنفخ من المناخر ، وقد اشتد ضراطها ، وعلا شجيجها ونهاؤها ، فلما بصرت بنا أجفلت إلينا وهي تقول : جاءكم على رجلية ، فارتعت لذلك فتبسّم زهيرٌ وقد عرف القصد ، وقال لي : تهيباً للحكم . فلما لحقت بنا بدأتني بالتفديّة ، وحيّني بالتكنية ، فقلت : ما الخطب ، حمي حماك أيّتها العانة ، وأخصب مرعاك ؟ قالت : شعران لحمارٍ و بعلٍ من عشاقنا اختلفنا فيهما ، وقد رضيديناك حكماً . قلت : حتى أسمع . فتقدمت إلى بغلة شهباء ، عليها جؤها وبرقعها ، لم تدخل فيما دخلت فيه العانة من سوء العجلة وسخف الحركة ، فقالت : أحد الشعريّن لبغلٍ من بغالنا وهو :

١٠ عَلَى كُلِّ صَبٍّ مِنْ هَوَاهُ دَلِيلُ      سَقَامٌ عَلَى حَرِّ الْجَوَى<sup>(٢)</sup> وَنُحُولُ  
وَمَا زَالَ هَذَا الْحُبُّ دَاءً مُبْرَحًا      إِذَا مَا اعْتَرَى بَغْلًا فَلَيْسَ يَزُولُ  
بِنَفْسِي الَّتِي أَمَّا مَلَا حِظُّ طَرْفِهَا      فَسَحَرْتُ ، وَأَمَّا خَدَّهَا فَأَسِيلُ  
تَعَبْتُ بِمَا حُمَلْتُ مِنْ ثِقَلِ حُبِّهَا      وَإِنِّي لَبَغْلٌ لِلثَّقَالِ حَمُولُ  
وَمَا نِلْتُ مِنْهَا نَائِلًا غَيْرَ أَنِّي

والشعر الآخر لذكين الحمار :

١٥ دَهَيْتُ بِهَذَا الْحُبِّ مُنْذُ هَوَيْتُ      وَرَأَيْتُ إِزَادَاتِي فَلَسْتُ أُرِيثُ  
كَلِفْتُ بِالْفِي مُنْذُ عَشْرِينَ حِجَّةً      يَجُولُ هَوَاهَا فِي الْحَشَا وَيَعِيثُ  
وَمَالِي مِنْ بَرَحِ الصَّبَابَةِ مَخْلُصُ      وَلَا لِي مِنْ فَيْضِ السَّقَامِ مُغِيثُ<sup>(٣)</sup>  
وَعَيْرٌ مِنْهَا قَلْبَهَا لِي نَمِيمَةٌ<sup>(٤)</sup>      نَمَاهَا أَحْمُ الْخُصِيَّتَيْنِ خَيْثُ

(٢) وه : « الهوى »

(١) ب ، ت ، لب : « الوحش »

(٤) ب ، ت ، لب : « تيممة »

(٣) لم يقع هذا البيت إلا في ر

وَمَا نِلْتُ مِنْهَا نَائِلًا غَيْرَ أَنِّي إِذَا هِيَ رَائَتْ رُئْتُ حَيْثُ تَرَوْتُ

فَضْحِكَ<sup>(١)</sup> زُهَيْرٌ وَمَتَّاسَكَتُ وَقَلْتُ الْمُنْشِدَةَ : مَا هَوَيْتُ ؟ قَالَتْ : هُوَ هَوَيْتُ ، بَلْعَةَ الْحَمِيرِ ، فَقُلْتُ : وَاللَّهِ إِنْ لِلرَّوْثِ رَائِحَةٌ كَرِيهَةٌ ، وَقَدْ كَانَ أَنْفُ النَّاقَةِ أَجْدَرَ أَنْ يَحْكُمَ فِي الشَّعْرِ ! فَقَالَتْ : فَهَيْمْتُ عَنْكَ . وَأَشَارَتْ إِلَى الْعَانَةِ أَنْ دَكِينًا مَغْلُوبٌ ، ثُمَّ انصَرَفَتْ قَانِعَةً رَاضِيَةً ، وَقَالَتْ لِي الْبَغْلَةُ : أَمَا تَعْرِفُنِي أَبَا عَامِرٍ ؟ قُلْتُ : لَوْ كَانَتْ تَمَّ عِلَامَةٌ ! فَأَمَاطَتْ لِثَامَهَا ، فَإِذَا هِيَ بَغْلَةٌ أَبِي عَيْسَى ، وَالْخَالُ عَلَى خَدِّهَا ، فَتَبَا كَيْنًا طَوِيلًا ، وَأَخَذْنَا فِي ذِكْرِ أَيَامِنَا ، فَقَالَتْ : مَا أَبَقْتَ الْآيَامَ مِنْكَ ؟ قُلْتُ : مَا تَرَيْنَ ، قَالَتْ : شَبَّ عَمْرُو عَنْ الطَّوْقِ ! فَمَا فَعَلَ الْأَحْبَةَ بَعْدِي أَمْ عَلَى الْعَهْدِ ؟ قُلْتُ : شَبَّ الْعِلْمَانُ ، وَشَاخَ الْفَتَيَانُ ، وَتَنَكَّرَتِ الْخِلَّانُ ، وَمِنْ إِخْوَانِكَ مَنْ بَلَغَ الْإِمَارَةَ ، وَانْتَهَى إِلَى الْوِزَارَةِ . فَتَنَفَّسَتِ الصُّعْدَاءُ<sup>(٢)</sup> وَقَالَتْ : سَقَاهُمُ اللَّهُ سَبَلَ الْعَهْدِ ، وَإِنْ حَالُوا عَنِ الْعَهْدِ ، وَنَسُوا أَيَّامَ الْوُدِّ . بِجُرْمَةِ الْأَدَبِ<sup>(٣)</sup> ، إِلَّا مَا أَقْرَأْتَهُمْ مِنْ السَّلَامِ ؛ قُلْتُ : كَمَا تَأْمُرِينَ وَأَكْثَرَ .

وَكَانَتْ فِي الْبُرْكَاةِ بَقْرَيْنَا إِوْرَةَ بِيضَاءَ شَهْلَاءَ ، فِي مِثْلِ جُثْمَانَ النَّعَامَةِ ، كَأَنَّهَا ذُرٌّ عَلَيْهَا الْكَافُورُ ، أَوْ لَيْسَتْ غِلَالَةً مِنْ دِمَشْقِ الْحَرِيرِ ، لَمْ أَرَ أَخْفَّ مِنْ رَأْسِهَا حَرَكَةً ، وَلَا أَحْسَنَ<sup>(٤)</sup> لِمَاءِ فِي ظَهْرِهَا صَبًّا<sup>(٥)</sup> ، تَتَنَّى سَالِقَتَهَا ، وَتَنْكَسِرُ حَدَقَتَهَا ، وَتَلْوِبُ قَمَحْدُوتَهَا ، فَتَرَى الْحُسْنَ مُسْتَعَارًا مِنْهَا ، وَالشُّكْلَ مَأْخُودًا عَنْهَا ، فَصَاحَتْ بِالْبَغْلَةِ : لَقَدْ حَكَمْتُمْ بِالْمَوْسَى ، وَرَضَيْتُمْ مِنْ حَاكِمِكُمْ بِغَيْرِ الرِّضَا . فَقُلْتُ لَزُهَيْرٍ : مَا شَأْنُهَا ؟ قَالَ : هِيَ تَابِعَةٌ لِشَيْخٍ مِنْ مَشِيخَتِكُمْ ، تُسَمَّى الْعَاقِلَةَ ، وَتُسَمَّى أُمَّ خَفِيفٍ<sup>(٥)</sup> ، وَهِيَ ذَاتُ حَظٍّ مِنَ الْأَدَبِ ، فَاسْتَعَدَّ لَهَا ، فَقُلْتُ :

(١) وه ، ب ، ت ، لب : « فاستضحك » (٢-٢) وه في ب .

(٣) وه : « أخصر » (٤) وه : « صفاء » (٥) وه : « أم عفيف »

- أَيْتُهَا الْإِوَزَةُ الْجَمِيلَةُ، الْعَرِيضَةُ الطَّوِيلَةُ، أَيْحَسُنُ بِجَمَالِ حَدَقَتَيْكَ، وَاعْتِدَالِ مَنْكَبَيْكَ، وَاسْتِقَامَةِ جَنَاحَيْكَ، وَطُولِ جِيدِكَ، وَصِغَرِ رَأْسِكَ، مَقَابِلَةَ الضَّيْفِ بِمَثَلِ هَذَا الْكَلَامِ، وَتَلَقَّى الطَّارِي<sup>(١)</sup> الْغَرِيبَ بِشِبْهِ هَذَا التَّمَالُ؟ وَأَنَا الَّذِي هَمْتُ بِالْإِوَزِ صَبَابَةً، وَاحْتَمَلْتُ فِي الْكَلْفِ بِهَا عَضَّ كُلِّ مَقَالَةٍ، وَأَنَا الَّذِي اسْتَرْجَعْتُهَا إِلَى الْوَطَنِ الْمَالُوفِ، وَحَبَّبْتُهَا إِلَى كُلِّ غَطْرِيفٍ، فَاتَّخَذَتْهَا السَّادَةُ بِأَرْضِنَا ٥ وَاسْتَهَلَّتْ عَلَيْهَا الظَّرْفَاءُ مِنَّا، وَرُضِيَتْ بَدَلًا مِنَ الْعَصَافِيرِ، وَمُتَكَلَّمَاتِ الزَّرَازِيرِ، وَنَسِيَتْ لَذَّةَ<sup>(٢)</sup> الْحَمَامِ، وَنِقَارَ الذُّيُوكِ، وَنِطَاحَ الْكِبَاشِ. فَدَخَلَهَا الْعُجْبُ مِنْ كَلَامِي، ثُمَّ تَرَفَعَتْ وَقَدِ اعْتَرَتْهَا خَفَةٌ شَدِيدَةٌ فِي مَائِهَا، فَمَرَّةٌ سَابِجَةٌ، وَمَرَّةٌ طَائِرَةٌ، تَنْغَمِسُ<sup>(٣)</sup> هُنَا وَتَخْرُجُ هُنَاكَ،<sup>(٤)</sup> قَدْ تَقَبَّبَ جَنَاحَاهَا، وَانْتَصَبَتْ ذُنَابَاهَا، وَهِيَ تُطَرَّبُ تُطَرَّبُ تَطْرِبُ الشُّرُورِ<sup>(٥)</sup>. وَهَذَا الْفِعْلُ مَعْرُوفٌ مِنَ الْإِوَزِ عِنْدَ الْفَرَجِ وَالْمَرْحِ، ١٠ ثُمَّ سَكَنْتُ وَأَقَامْتُ عَنْقَهَا، وَعَرَضْتُ صَدْرَهَا، وَعَمِلْتُ بِمِجْدَافِهَا<sup>(٦)</sup>، وَاسْتَقْبَلْتُنَا جَائِيَةً كَصَدْرِ الْمَرْكَبِ، فَقَالَتْ: أَيُّهَا الْغَائِرُ الْمَغْرُورُ، كَيْفَ تَحْكُمُ فِي الْفُرُوعِ وَأَنْتِ لَا تَحْكُمِ<sup>(٧)</sup> الْأَصُولَ؟ مَا الَّذِي تُحْسِنُ؟ قُلْتُ: ارْتِجَالَ شِعْرٍ، وَاقْتَضَابَ خُطْبَةٍ، عَلَى حُكْمِ الْمُقْتَرَحِ وَالنُّصْبَةِ، قَالَتْ: لَيْسَ عَن هَذَا أَسْأَلُكَ، قُلْتُ: وَلَا بَغَيْرِ هَذَا أَجَابُوكَ، قَالَتْ: حُكْمُ<sup>(٨)</sup> الْجَوَابِ أَنْ يَقَعَ عَلَى أَصْلِ السُّؤَالِ، وَأَنَا إِنَّمَا ١٥ أَرَدْتُ بِذَلِكَ<sup>(٩)</sup> إِحْسَانَ النَّحْوِ وَالْغَرِيبِ اللَّذِينَ هُمَا أَصْلُ الْكَلَامِ، وَمَادَّةُ الْبَيَانِ. قُلْتُ: لَا جَوَابَ عِنْدِي غَيْرَ مَا سَمِعْتُ، قَالَتْ: أُقْسِمُ أَنْ هَذَا مِنْكَ غَيْرُ دَاخِلٍ

(١) ر، و: « الطائر » (٢) كذا في ر، و: ب، ت: « برة » —  
 لب: « نزة » (٣) و: « تنفس » (٤-٤) و في ب، لب، و  
 (٥) ب، ت، لب: « بمشداقتها » (٦) ب، ت، لب: « ولا تحكم في  
 الأصول » (٧) ر: « ما حكم » (٨) ر، و: « بك »

في باب الجدال قلت : وبالجدال تطليبتنا<sup>(١)</sup> وقد عقدنا سلمه ، وكفينا حربه<sup>(١)</sup> وإن ما رميتك به منه لأنفذ سهامه ، وأحد حرا به<sup>(٢)</sup> وهو من تعاليم الله عز وجل عندنا في الجدال في محكم تنزيله ، قالت : أقسم أن الله ما علمك الجدال في كتابه ، قلت : محمول عنك أم خفيف ، لا يلزم الإوز حفظ أدب القرآن ، قال الله عز وجل في محكم كتابه حاكياً عن نبيه إبراهيم عليه السلام : « رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ، قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ<sup>(٣)</sup> » فكان لهذا الكلام من الكافر جواب ، وعلى وجوبه مقال ، ولكن النبي<sup>(٤)</sup> صلى الله عليه وسلم لما لاحت له الواضحة القاطعة ، رماه بها وأضرب عن الكلام الأول ، قال : « فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ؛ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ » وأنا لا أحسن غير ارتجال شعر ، واقتضاب خطبة ، على حكم المقترح والنسبة ، فاهتزت من جانبيها ، وحال الماء من عينها ، وهمت بالطيران ، ثم اعترها ما يعترى الإوز من الألفة وحسن الرجعة ، فقدمت عنقها ورأسها إلينا تمشى نحونا رويداً ، وتنطق نطقاً متداركاً خفياً ، وهو فعل الإوز إذا أنست واستراحت وتدللت ، على أني أحب الإوز وأستظرف حركاتها وما يعرض من سخافاتهما<sup>(٢)</sup> .

ثم تسكمتُ بها مُبْسَبِيسًا ، ولما مؤنسًا ، حتى خالطتنا وقد عقدنا سلمها وكفينا حريها ، فقلت : يا أم خفيف ، بالذي جعل غذاءك ماء ، وحشى رأسك هواء ، ألا أيما أفضل : الأدب أم العقل ؟ قالت : بل العقل ، قلت : فهل تعرفين في الخلائق أحق من إوزة ، ودعيني من مثلهم في الحبارى ؟ قالت : لا ، قلت : فتطلي عقل التجربة ، إذ لا سبيل لك إلى عقل الطبيعة ، فإذا أحرزت منه

(١-١) نه في ب ، ت ، لب ، و

(٢-٢) نه في ب ، ت ، لب ، و

(٤) المراد بالنبي هنا إبراهيم عليه السلام

(٣) سورة ٢ : ٢٥٨

نصيها ، وبُوت منه بَحْظًا ، فحينئذِ ناظِرِي في الأدب . فانصرفت وانصرفنا .

قال أبو عامر<sup>(١)</sup> :

وكنْتُ يوماً بِحَمَامٍ لِي مع أصحابنا فَأَتَى رسولُ الحَاجِبِ أبي عامرٍ يرغِبُ  
إِخْلَاءَهُ لِبُنَيَانِ عَرَضَ في حَمَامِهِ منعه من دخوله ، وكنْتُ لمُأَصِحْبِهِ ، فخرَجنا له عنه ،  
وزعموا أَن أكَتَبَ إليه في ذلك فقلتُ :

شَكَرْتُ<sup>(٢)</sup> لِلدَّهْرِ حُسْنَ مَا صَنَعَا طَائِرُ مَجْدٍ بِجَنَّتِي وَقَعَا  
نَفَرْتُ لَمَّا أَيَقَنْتَ جَيْتَتَهُ<sup>(٣)</sup> وَطَارَتِ النَّفْسُ عِنْدَهَا قِطْعَا  
يَا حُسْنَ حَمَامِنَا وَقَدْ غَرَبَتْ شَمْسُ الضُّحَى فِيهِ بَعْدَ مَا مَتَعَا  
أَيَقِنَنَّ أَنَّ الهَلَالَ رَاكِبُهُ فَضَاءٌ لِلْحَاضِرِينَ وَاتَّسَعَا  
فَانْعَمَ أبا عامرٍ بِنِعْمَتِهِ وَأَعْجَبَ لِأَمْرَيْنِ فِيهِ قَدْ جُمِعَا  
نِيرَانُهُ مِنْ زِنَادِكُمْ قُدِحَتْ وَمَاؤُهُ مِنْ بِنَانِكُمْ نَبَعَا

قال أبو الحسن : ونشيد هنا بعض مقطعات تتعلق بذكر الحمام ،

قال المنفعل :

انظُرْ إلى حَمَامِنَا قَدْ حَكَى حَالِينَ مِنْ حَالِ الأَحْبَاءِ :  
حَرَارَةَ الأَنْفَاسِ يَوْمَ النُّوَى وَحَرَّةَ الأَنْفَاسِ<sup>(٤)</sup> فِي المَاءِ  
فَمَاؤُهُ مِنْ أَدْمَعِي سَائِلٌ وَنَارُهُ مِنْ حَرِّ أَحْشَائِي !

وقال في صفة حمام كانت مضاوية من زجاج أحمر ، وفي سمانه

حُمْرَةٌ وَبَيَاضُ :

(١) هنا يبدأ خرم في ر ، و

(٢) في الأصول كلها « شكوت »

(٤) كذا في الأصول

(٣) في النسخ : « خيانة »

تَحَيَّرْتُ مِنْ طَيْبِ حَمَامِنَا      يُخَيِّلُ لِي أَنَّ فِيهِ الْفَلَقُ  
فَمِنْ حُمْرَةٍ فَوْقَنَا وَابْيَاضِ      كَخَدِّ الْحَبِيبِ إِذَا مَا عَرِقُ  
رَأَى الدَّهْرُ مَا شَدَّ<sup>(١)</sup> مِنْ حُسْنِهِ      فَسَدَّ كَوْسَى سَقْفِهِ بِالشَّقَقِ !

ومما يتعلق أيضاً بصفته قول الآخر ، ولكنه خلطه بالنسيب ، وأشار فيه إلى

معنى غريب ، فقال :

وَلَمْ أَذْخُلِ الْحَمَّامَ يَوْمَ رَحِيلِهِمْ      طَلَّابَ نَعِيمٍ قَدْ رَضِيَتْ بِبُوسَى  
وَلَكِنْ لِيَجْرِيَ دَمْعِي مُطْمَئِنَّةً      فَأَبْكِي وَلَا يَدْرِي بِذَلِكَ جَلِيسِي

ودخل الحمام يوماً من أهل عصرنا الأديبان : أبو جعفر ابن هريرة

التطيلي ، وأبو بكر ابن بقي ، فقال أبو جعفر :

يَا حُسْنَ حَمَامِنَا وَبَهَجَتَهُ      مَرَأَى مِنَ السَّحْرِ كُلِّهِ حُسْنُ  
مَاءٍ وَنَارٍ حَوَاهُمَا كَنَفُ      كَالْقَلْبِ فِيهِ الشَّرُّورُ وَالْحَزَنُ

ثم أعجبه هذا المعنى أيضاً فقال فيه :

لَيْسَ عَلَى لَهَوِنَا مَزِيدُ      وَلَا لِحَمَامِنَا ضَرِيبُ  
مَاءٍ وَفِيهِ لَهَيْبُ نَارٍ      كَالشَّمْسِ فِي دُمَّةٍ تَصُوبُ  
وَابْيَضَّ مِنْ تَحْتِهِ رُحَامُ      كَالثَّلْجِ حِينَ ابْتَدَأَ يَذُوبُ

وقال أبو بكر :

حَمَامِنَا فِيهِ فَصْلُ الْقَيْظِ مُحْتَدِمُ      وَفِيهِ لِلبَرْدِ سِرٌّ غَيْرُ ذِي ضَرَرِ

(١) في جميع الأصول « شد »

ضِدَّانِ يَنْعَمُ جِسْمُ الْمَرْءِ بَيْنَهُمَا كَالْفُضْنِ يَنْعَمُ بَيْنَ الشَّمْسِ وَالْمَطَرِ (١)

وقال أبو جعفر التُّطَيْلِيُّ ، وقد نَظَرَ فِيهِ إِلَى غُلَامٍ وَسِيمٍ :

هَلِ اسْتَمَالَكَ جِسْمُ ابْنِ الْأَمِيرِ وَقَدْ سَأَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمَامِ أُنْدَاهُ ؟

كَالْفُضْنِ بِأَشْرَحِ النَّارِ مِنْ كَثَبِ فَظْلٍ يَفْطُرُ مِنْ أَعْطَافِهِ الْمَاءُ

وفي أبي عامر ابنِ المظفر الذي ذُكِرَ يَقُولُ أَبُو عامرِ ابْنَ شُهَيْدٍ مِنْ جَمَلَةٍ

قصيدة يقول فيها :

مُجِئَتْ بِطَاعَةِ حُبِّكَ الْأَضْدَادُ وَتَأَلَّفَ الْأَفْصَاحُ وَالْأَعْيَادُ

كَتَبَ الْقَضَاءُ بِأَنَّ جَدَّكَ صَاعِدٌ وَالصَّبِيحَ رَقٌّ ، وَالظَّلَامَ مِدَادُ

ونقلتُ مِنْ خَطِّ أَبِي مَرْوَانَ ابْنَ حَيَّانَ قَالَ : سَلَفَ لِأَبِي عامرِ ابْنَ المظفرِ

١٠ هَذَا بَقْرُ طَبَّةٍ عَيْشَةٌ رَاضِيَةٌ فِي سُرُورٍ وَحُبُورٍ وَقَتًا ، إِلَى أَنْ سَاءَتْ الْأَيَّامُ بِطَامَّةٍ

(١) لم تقع القصيدة الآتية إلا في نسخة لب على الهامش لذلك آثرنا عدم إثباتها في

متن الكتاب :

ولأبي عمرو ابن درَّاج في وصف الحمام :

انم بحمامٍ مُحَمِّي لَكَ مَأْوَهُ وَعَلَى عِدْوِكَ تَرَجَّةٌ وَحَمَامٌ

متألف الأضداد إلا أنه فِيهِ طِبَاعُ زَمَانِهِ أَقْسَامُ

فكأن سيفك في يمينك شامه حَتَّى التَّقَى فِيهِ نَدَى وَضْرَامُ

وكانما يسرى لمبت مائه دِيمٌ يَخَالِطُ بَرْقَهْنَ غَمَامُ

متفرج الأبواب عن صحن ثوى فِيهِ الصَّبَاحُ وَشُرْدُ الْإِظْلَامِ

وكان [فيه] من الريح سجيةً فِيهَا تَسَاوَى اللَّيْلُ وَالْأَيَّامُ

مفض إلى حر الهجير ونارهُ بَرْدٌ عَلَيْكَ وَإِنْ غَلَى وَسَلَامُ

وكانه صدر النسيم هاجه مِنْ ذَكَرٍ مِنْ يَهُوَى جَوَى وَغَمَامُ

وتألفت من مائه ورخامه سُكْلَانٌ تُشَكِّلُ فِيهِمَا الْأَوْهَامُ

هل تحت هذا الماء ماء جامد أَمْ ذَابَ مِنْ فَوْقِ الرِّخَامِ رِخَامُ ؟

فكانما ريق الحبيب جرى على تَفَرُّ كَمَا نَظَمَ الْفَرِيدُ نَظَامُ

وهو الزمان شتاؤه ومصيفه وَخَرِيفُهُ وَرَبِيعُهُ الْبَسَامُ

ففارقها بغصة ، وكان من محاسنه أنسه بالأدب ، وغلبه أهله على خاصته ، ولم يكن منهم في معدى ولا سراح ، فتجملت آثاره بهم ، وسارت أقوالهم فيه ، وكان من ألحجهم بذكره أبو عامر ابن شهيد ؛ له معه أخبار مأثورة مشهورة . شاهدتهم ليلة في مجلسه [ و ] طفيلة صغيرة عجيبه الخلق كانت تسميهم [ تسمى ] أسماء <sup>(١)</sup> عجبوا من مكابذتها السهر معهم ، على صغر سننها ، وحسن قيامها بخدومتهم . فسأله ابن المظفر وصفها فقال :

أفدى أسيماء من نديم  
ملازم للكؤوس راتب  
قد عجبوا في الشهاد منها  
وهي لعمرى من العجائب  
قالوا : تجافى الرقاد عنها  
فقلت : لا ترقد الكواكب

قال أبو عامر وابن حيان :

واستوحش أبو عامر ابن المظفر هذا من هشام المعتمد ووزيره حكيم بن سعيد القرزاز ، وكانوا قد رموه بذب سليمان ابن هشام الناصري ، فلما خاف دبر الفرار ، وخرج في لمة من ثقات أصحابه وأعوانه ، وحمل معه عيون ذخائره وخاصة حرمة ، وقطع أرضاً بعيدة ، ولم يعلم المعتمد بخبره ، إلى أن جاء خبر اجتيازه بدير قرطبة راجعاً على عقبه من شاطبة ، لم يتفق له فيها ما أراد فكفر <sup>١٥</sup> إلى ابن عبد الله بقرمونة مستجيراً به في ظنه ، فأخلف ابن عبد الله ظنه ، وخاطب قائده بحصر المرور وبازعاجه عن قطره ، ولا يجتاز على شيء من عمله ، فضاقت به الأرض يومئذ ، فألقى نفسه على أبي حمزة حرزة اليبدراني ، فأجاره وبوآه منزلاً في حصنه على نهر قرطبة ، أقام به في كد وغصة ، والحمام يغازله <sup>٢٠</sup> إلى أن مات عنده .

(١) ب ، ت « أسماء »



- وحدثني أبو عبد الله ابن هريرة الكاتب قال : قصد أبو عامر ابن المظفر في خروجه من شاطبة إلى مواليه العامريين بعد مرأسلة متقدمة ، فلما وصل زدوه خجلاً خائباً ، فرغب أن تخرج إليه أخته بنت المظفر الأيمم المقيمة — كانت — عندهم وقتهم ، فأسغفوه بذلك وخرجت إليه ، فغلبها وأودعها جوهرًا نفيسًا كان احتمله ، وولّى ناكصًا ، والعبدي تطرّده عن ناحيتها وأسلموه .
- غرضًا للحتوف ، فمات عند عودة الیصدرانی كما وصفناه . وعلم ابن عمّه عبد العزيز بمكان ذلك الجوهر ، فلما هلك اختدعها ووعدّها أن ينكحها ، وكانت ضعيفة الرأي ، فأسلمته إليه وغدر بها ولم ينكحها ، فصارت بقية دهرها تحفوه وتشتّمه . ولما استقرّ أبو عامر عند حرزة ، وأيسر المعتد من انصرافه ، قبض ما خلفه بداره ونقله إلى القصر ، فطلب أسبابه ، وتبع ودائعه وعقاره ، فانفتح على أهل قرطبة في هذا الباب بذلك الوقت بلاء عظيم ، أجلى<sup>(١)</sup> بعضهم عن الأوطان ، بسبب تلك الودائع العامرية . انتهى كلام ابن حيان .

جملة من شعره في أوصاف شتى<sup>(٢)</sup>

- حدث عن نفسه قال : لما قدم زهير الصقلبي<sup>(٣)</sup> فتى بني عامر حضرة قرطبة من المرية ، وجّه أبو جعفر ابن عباس وزيره عن<sup>(٤)</sup> لمة من أصحابنا منهم ابن برود ، وأبو بكر المرواني ، وابن الحنّاط<sup>(٥)</sup> ، والطيني<sup>(٦)</sup> ، فسألهم عنى ،

(١) في جميع النسخ : « أخذت » (٢) رجع الكلام في ر ، و

(٣) ر : « الصقلي » (٤) نفع الطيب ( ج ٢ ص ٤١٣ ) : « الى »

(٥) ر : « ابن الحياط » (٦) نه في ر

وقال: وجَّهوا عنه. فوافاني رسوله مع دابة له بسرج جلي<sup>(١)</sup> ثقيل، فسيرت إليه ودخلت المجلس، وأبو جعفر غائب، فتحرك المجلس لدخولي وقاموا جميعاً إلي، حتى طلع أبو جعفر علينا ساحباً للذيل لم ير أحد سحبه قبله، وهو يترنم، فسلمت عليه سلام من يعرف حق الرجال، فردّ ردّاً لطيفاً، فعلمت أن في أنه نغرة<sup>(٢)</sup> لا تخرج إلا بسعوط الكلام، ولا تراض إلا بمستحصد<sup>(٣)</sup> النظام، فرأيت أصحابي يضحون إلى ترنمه، فسألتهم عن ذلك، فقال لي الحنطلي، وكان كثير الإنحاء على، جالبا في المحافل ما يسوء الأولياء إلى: إن الوزير حضره قسيم من شعره، وهو يسألنا إجازته. فعلمت أني المراد. فاستنشدته فأنشده، وهو:

\* مَرَضُ الْجُفُونِ وَلَثَغَةٌ فِي الْمَنْطِقِ \*

١٠

فقلت<sup>(٤)</sup> لمن حضر: لا تجهدوا أنفسكم فلستم المراد<sup>(٤)</sup>: فأخذت القلم<sup>(٥)</sup> وكتبت بديهة:

مَرَضُ الْجُفُونِ وَلَثَغَةٌ فِي الْمَنْطِقِ      سَيِّانٍ ، جَرَّاءِ عِشْقٍ مَنْ لَمْ يَعْشَقِ  
مَنْ لِي بِاللَّثَغِ لَا يَزَالُ حَدِيثُهُ      يُذَكِّي عَلَى الْأَكْبَادِ جَمْرَةَ مُحْرِقِ  
يُنْبِي فَيَنْبُو فِي الْكَلَامِ لِسَانُهُ      فَكَأَنَّهُ مِنْ حَمْرِ عَيْنَيْهِ سُقِ  
لَا يَنْعِشُ الْأَلْفَاظَ مِنْ عَثْرَاتِهَا      وَلَوْ أَنَّهَا كُتِبَتْ لَهُ فِي مَهْرَقِ

١٥

ثم قت عنهم فلم البث أن وردوا على، وأخبروا أن أبا جعفر لم يرض ما جئنا

(١) نفع الطيب « محلي »      (٢) ب ، لب : « نغرة »

(٣) هـ : « مستحكم »

(٤-٤) هـ في ز ، هـ      (٥) ب ، لب : « الدواة »

به من البديهة، وسألوني أن أحمل مكاوي<sup>(١)</sup> الكلام على حناره. وذكروا أن إدريس هجاه<sup>(٢)</sup> فأفحش، فلم أستحسن الإفحاش، فقلت فيه معرضاً إذ التعريض من محاسن القول:

أَبُو جَعْفَرٍ رَجُلٌ كَاتِبٌ      مَلِيحٌ شَبَّاهُ الْخَطَّ حُلُوُ الْخَطَّابَةِ  
تَمَلَّأَ شَحْمًا وَلَحْمًا وَمَا      يَلِيْقُ تَمَلُّؤُهُ بِالْكِتَابَةِ  
وَذُو عَرَقٍ لَيْسَ مَاءَ الْحَيَاءِ      وَلَكِنَّهُ رَشْحُ فَضْلِ الْجَنَابَةِ  
جَرَى الْمَاءُ فِي سَفْلِهِ جَرَى لَيْنٍ      فَأَحْدَثَ فِي الْعُلُوِّ مِنْهُ صَلَابَةَ

قال ابن بسام<sup>(٣)</sup>: وليت شعري ما التصريح عند أبي عامر إذا سمى هذا تعريضاً؟ ولو لا أن الحديث شجون، والتتابع فيه جنون، والكلام إذا لان قياده، سهل اطراؤه، وإذا قرب بعضه من بعض، لم يفرق فيه بين سماء وأرض، لما استجزت أن أشين كتابي بهذا الكلام البارد معرضه، البعيد من السداد غرضه، وقد يطنى القلم، وتجمح الكلم. وقوله:

\* جَرَى الْمَاءُ فِي سَفْلِهِ جَرَى لَيْنٍ \*

يُشْبِهُ قَوْلَ الْآخِرِ وَضَمَّنَ بَيْتَ<sup>(٤)</sup> النَّابِغَةِ:

يَا سَائِلِي عَنْ خَالِدٍ، عَهْدِي بِهِ      رَطَبَ الْعِجَانِ وَكَفَّهُ كَالْجَلْمَدِ  
كَالْأُقْحُونِ غَدَاةَ غَيْبِ سَمَائِهِ      جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ نَدَى

وقوله:

وَذُو عَرَقٍ لَيْسَ مَاءَ الْحَيَاءِ \*

(٢) ر: «سماه»

(١) ر: «مكاري»

(٤) خرم في لب

(٣) خرم في ب، ت، لب

الم به ابن زيدون فقال من جملة أبيات :

مَحَضَتْ فِي أُسْتِهِ الْأَيُّورُ حَلِيْبًا      فَعَلَى عَيْنِهِ <sup>(١)</sup> مِنَ الرَّبْدِ نُقْطَةٌ

وتأفق في هذا المعنى أبو الحسين ابن أمجد فقال :

وَأَزْرَقَ وَالْأُمُورُ لَهَا اشْتِبَاهُ      وَتَوَاتَى الْعَيْنُ مِنْ قَبْلِ الْعِجَانِ

وَمِمَّا شَكََّ أَسْفَلَهُ الْعَوَالِي      بَدَأَ فِي عَيْنِهِ زَرَقُ السَّنَانِ

قال ابن بسام <sup>(٢)</sup> : قول أبي عامر في صفة الأئمة مما أحسن فيه لا سيما

على البديهة . ومن أحسن ما سمعت في صفته قول الرمادي :

لَا الرَّاءُ تَطْمَعُ فِي الْوِصَالِ وَلَا أَنَا      الْمَجْرُ يُجْمَعُنَا فَنَحْنُ سَوَاءُ

فَإِذَا خَلَوْتُ كَتَبْتُهَا فِي رَاحَتِي      فَبَكَيْتُ مُنْتَحِبًا أَنَا وَالرَّاءُ

١٠ وأخذ لفظ الرمادي هذا أبو القاسم ابن العريف فقال :

أَيْهَا الْأَنْعُ الَّذِي شَفَّ قَلْبِي      جُدْ بِنُطْقِ <sup>(٣)</sup> وَلَوْ نَطَقْتَ بِسَبِّ

هَجْرِكَ الرَّاءِ مِثْلُ هَجْرِي سَوَاءُ      فَكِلَانَا مُعَذَّبٌ دُونَ ذَنْبِ

فَإِذَا شِئْتُ أَنْ أَرَى لِي مَثِيلًا <sup>(٤)</sup>      فِي هَوَانِي <sup>(٥)</sup> خَطَطْتُ رَاءَ بَجْنِي

على أن أبا الطيب قد قال فأحسن <sup>(٦)</sup> :

١٥ قُشَيْرٌ وَبَلْعَجَلَانٍ فِيهَا خَفِيَّةٌ      كَرَاءَيْنِ فِي الْفَاطِثِ الْأَنْعِ نَاطِقٍ <sup>(٧)</sup>

(١) وه : فعلت عينه

(٢) ب ، لب « بحرف »

(٣) ب ، لب ، وه : « مثالا »

(٤) ب ، لب : « هوأى »

(٥) ب ، ت ، لب « قد ملح في قوله »

(٦) الديوان ( ج ١ ص ٤٧٢ )

ويُشبه قولَ أبي الطَّيِّبِ قولُ بعضِ أهلِ عصرنا وهو أبو الوليد ابنُ حَزْمِ  
الإشبيلي، يَصِفُ سكراناً:

ويرومُ قولَ أبي الوليدِ وربما كتمتُ مكانةَ لامِهِ الوَاوَانِ  
وقال أبو عامر يتغزَّلُ:

- ٥ مَرَّبِي فِي فَلَكٍ مِنْ رَبِّ رَبِّ  
زَيْنُوا أَعْلَاهُ بِالذَّرِّ كَأَنَّ  
فَارْدَهْتَنِي أَرْحِيَّاتُ الصَّبَا  
فَتَعَرَّضْتُ لِتَسْلِيمٍ لَهُ (٢)  
قَالَ: هَذَا الْعَبْدُ مَنْ دَلَّلَهُ  
يَاظْبَأُ لِحْطِي (٣) خَذِي لِي رَأْسَهُ  
فَأَنْبَرْتُ (٤) أَلْحَاطُهُ تَطْلُبُنِي  
لَوْ تَرَانِي وَأَنَا أَلِطْفُهُ (٥)  
خَلْتَهُ جَبَّارَ قَوْمٍ مَرَدُوا
- قَمَرٌ مُبْتَسِمٌ (١) عَنْ شَنْبِ  
تَقَلُّوا أَسْفَلَهُ بِالْكَتْبِ  
وَاسْتَخَفَّتَنِي دَوَاعِي طَرَبِي  
فَإِذَا التِّيَاهُ لَا يَعْبَأُ بِي  
مَا الَّذِي أَمْنَهُ مِنْ غَضَبِي؟  
فَهُوَ لَا شَكَّ مِنْ أَهْلِ الرَّيِّبِ  
وَإِنَّا قَدَّامَهَا فِي الْهَرَبِ  
وَأَدَارِيهِ مُدَارَاةَ الصَّيِّ  
وَإِنَّا فِي لُطْفِ الْوَعْظِ نَبِي

قال أبو عامر: ومن الواجب على الناقد أن يَبْحَثَ عن الكلام، ويفتَشَّ

- ١٥ عن شَرَفِ (٦) المعاني، وينظرُ مواقعَ البيان، ويحتسِرُ من حلاوة (٧) خَدَعِ  
اللفظ، ويدعُ تزويقَ التركيب، ويرَاطِلَ بين أنحاء البديع، ويمثِّلُ أشخاصَ

(١) ب، ت، هـ «مبتسم لي»

(٢-٢) هـ في هـ، ب (٣) هـ، ب، ت: «الهند»

(٤) ب: «أخذت» (٥-٥) هـ في ب

(٦) ر: «شقر» (٧) ر، ب: «حلاته»

الصَّنَاعَة ، فقد تَرَى الشَّعْرَ فِضِّيَّ (١) البَشْرَةَ ، وهو رَصَاصِي المَكْسِرِ ، ذَا ثَوْبٍ مُعْضَدٍ أَوْ مَهْلَلٍ ، وهو مشتمل على بَهَقٍ أَوْ بَرَّصٍ ، مَبْنِيًّا بَلَيْنِ التَّمَاثِيلِ ، وَصَفْوَانِ التَّهَاوِيلِ ، وهو لَا يُجِنُّ صَاحِبَهُ عَنِ النَّسِيمِ فَضْلًا عَنِ الحَرِّ جَفِّ ، وَلَا يَفِيهِ رَقِيقَ رَقِيقِ النَّدَى فَضْلًا عَنِ سُوبُوبِ الكَنْهَوْرِ ، وقد مَلَّحْتَهُ مَلَا حَهُ الأَسْمَاءِ ، وَاتَّقَدَّ فِيهِ المَوْسَى ، وَاضْطَرَمَّتْ فِي جَانِبِهِ نِيرَانُ الجُوى ، وَلَمَعَ فِيهِ البرِّقُ ، وَاسْتَنَّ فِيهِ الودُّقُ ، وَسَفَحَتْ عَلَيْهِ الدُّمُوعُ ، وَبَانَ فِيهِ الخُشُوعُ ، وَهُوَ « كَسْرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً ، حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا » لَا يَسْتَحِقُّ صَاحِبُهُ غَيْرَ أَنْ يَكُونَ تَلْعَابَةً ، أَوْ صَاحِبَ بَرَاعَةٍ . وَإِنَّمَا يَسْتَحِقُّ اسْمَ الصَّنَاعَةِ بِتَمَثُّمِ بُحُورِ البَيَانِ ، وَتَعَمُّدِ كِرَامِ المَعَانِي وَالكَلَامِ ، وَأَنْ يَنْطِقَ بِالفِضْلِ (٢) ، وَيُرَكَّبُ أَتْبَاحَ الجِدِّ ، وَيَطْلُبُ النَادِرَةَ وَالسَّائِرَةَ ، وَيَنْظِمُ مِنَ الحِكْمَةِ مَا يَبْقَى بَعْدَ مَوْتِهِ ، وَيُذَكِّرُ بَعْدَ فَوْتِهِ ، وَيَتَصَرَّفُ تَصَرُّفَ (٣) المَلِّحِ ، وَيَتَلَوَّنُ تَلَوَّنَ أَبِي بَرَّاقِشٍ . وَنَحْنُ نَرْجُو أَنَّ ذَهَبَنَا بِقَوْلِنَا هَذَا مَذْهَبًا كَرِيمًا مِنَ الكَلَامِ :

وَلَمَّا رَأَيْتُ اللَّيْلَ عَسْكَرَ قُرُوهُ      وَهَبَّتْ لَهُ رِيحَانٍ تَلْتَطِمَانِ  
وَعَمَّمَ صُلْعَ الهَضْبِ مِنْ قَطْرِ ثَلْجِهِ      يَدَانِ مِنْ الصَّنْبَرِ تَبْتَدِرَانِ  
رَفَعْتُ لِسَارِي اللَّيْلِ نَارَيْنِ فَارْتَأَى      شُعَاعَيْنِ تَحْتَ النَّجْمِ يَلْتَقِيَانِ  
فَأَقْبَلَ مَقْرُورَ الحَشَا لَمْ تَكُنْ لَهُ      بِدَفْعِ صُرُوفِ النَّائِبَاتِ يَدَانِ  
فَقُلْتُ: إِلَى ذَاتِ الدُّخَانِ ، فَقَالَ لِي:      وَهَلْ عُرِفَتْ نَارٌ بِغَيْرِ دُخَانِ ؟  
فَمِلْتُ بِهِ أَجْتَرَهُ نَحْوَ جَمْرَةٍ      لَهَا بَارِقٌ لِلضَّيْفِ غَيْرُ يَمَانِ

(١) ر : « مضيء »

(٢) ب ، ت ، و ، « يمتطي الفصل » (٣) هـ في ر

إِذَا مَا حَسَا أَلْقَمْتُهُ كُلَّ فَلْدَةٍ      لِفِرْحَةٍ طَيْرٍ أَوْ لِسَخْلَةٍ (١) ضَانٍ  
فَمَا زَالَ فِي أكلٍ وَشُرْبٍ مُدَارِكٍ      إِلَى أَنْ تَشْهَى التَّرْكَ شَهْوَةً وَإِنِّي  
فَأَلْفَفْتُهُ ، فَأَمْتَدَّ فَوْقَ مِهَادِهِ      وَخَدَّاهُ بِالصَّهْبَاءِ تَتَقَدَّانِ  
وَمَا أَنْفَكَ مَعْشُوقَ النَّوَاءِ نَمْدُهُ      بِيَشْرٍ وَتَرْحِيبٍ وَبَسْطِ لِسَانِ  
تُغْنِيهِ أَطْيَارُ الْقِيَانِ إِذَا انْتَشَى      بِصَنْجٍ وَكَيْثَارٍ وَعُودِ كِرَانِ  
وَيَسْمُو دُخَانَ الْمَنْدَلِ الرَّطْبِ فَوْقَهُ      كَمَا احْتَمَلَتْ رِيحُ مُنُونِ عَثَانِ  
إِلَى أَنْ تَشْهَى الْبَيْنَ مِنْ ذَاتِ نَفْسِهِ      وَحَنًّا إِلَى الْأَهْلِينَ حَنَّةَ حَانِي  
فَاتَّبَعْتُهُ مَا سَدَّ خَلَّةَ حَالِهِ      وَأَتَّبَعْتَنِي ذِكْرًا بِكُلِّ مَكَانِ

قوله : « وَعَمَّ صُلْعَ الْهَضْبِ » ، البيت ، كقول بعض أهل عصرنا

يَصِفُ التَّلَجَّ أَيْضًا :

وَأَتْرَعَ الْوَهْدَ مِنْ أَزْبَادِ لُجَّتِهِ      بِالْبَرْسِ يَنْبُتُ بَيْنَ الْقَوْسِ وَالْوَتْرِ  
فَالْأَرْضُ مَلْسَاءُ لِأَمْتٍ وَلَا عَوْجُ      كَنُقْطَةٍ مِنْ سَرَابِ الْقَاعِ لَمْ تَمُرْ

وقوله : « فَاتَّبَعْتُهُ مَا سَدَّ خَلَّةَ حَالِهِ » ، البيت ، كقول حبيب :

فَرَّاحَ فِي ثِنَائِي      وَرُحْتُ فِي ثِيَابِهِ

وَأَخَذَهُ بَعْضُ أَهْلِ عَصْرِنَا فَقَالَ :

وَخَذْتُ حَمْدِي بِجُودِكَ ، ذَاهِبًا ،      كَلَانَا الْيَوْمَ أَرْجُ صَيْرِفِي  
لَأُصْبِحَ مِنْ نَوَالِكَ فِي رِيَّاشٍ      وَتُصْبِحَ مِنْ مَقَالِي فِي حُصْلِي

قال أبو عامر: ولما أنشد المعتلي بالله يحيى بن علي بن حمود قول ابن قاضي  
 ميلة يصفُ مركباً للروم أوقع به المسلمون وغرّ قوه وذكر قتل العليج :  
 إذا طفا أبصر الصمصام<sup>(١)</sup> يرقبه أو غاص في الماء من خوف الردي شرقاً  
 وأى عيش لموقوف على تلف يراقب الميتين : السيف والغرقاً  
 وكانت<sup>(٢)</sup> إثر ذلك<sup>(٢)</sup> وقعة المعتلي بالله على السودان بإشبيلية ، فأمر  
 أبا عبد الله ابن الحنّاط بصفة ذلك<sup>(٣)</sup> إذ الوقعتان متشابهتان ، ففعل ؛ وبلغني أنا  
 ذلك ، فكتبتُ إلى المعتلي بشعرٍ طويل في المعنى أوله :

غناك سعدك في ظلّ الظبأ وسقى «فاشرب هنيئاً عليك التاجُ مرّةً تقياً»

ومنها في صفة الوقعة :

سقياً لاسدٍ تساقى الموت أنفسها ١٠  
 قامت بنصرِكَ لما قامَ مرتجلاً  
 سريتَ تقدّم جيشَ النصر<sup>(٥)</sup> متخذاً  
 في ظلّ ليلٍ من الماذي مُعتكِرٍ  
 وصفحَ قرنَ غداة الرّوعِ يكتبه  
 أجريتَ للزنجِ فوق النهرِ نهرَ دمٍ ١٥  
 وساعدَ الفلكُ الأعلى بقتلهم  
 من كلِّ أسودٍ لم يدلفِ على ثلجٍ  
 كأنَّ هامته ، والرمحُ يحملها ،  
 وتلبسُ الصبرَ في يومِ الوغى حلّقاً  
 خطيبُ جودك<sup>(٤)</sup> فيها ينثرُ الورقاً  
 سُبَلِ الحجرِ في إثرِ العلاءِ طرّقاً  
 يجلّو إلى الخيلِ منه وجهك الفلقاً  
 من الظبأ قلمٌ لا يعرفُ المشقاً  
 حتى استحالَ سماءُ جُلاتِ شفقا  
 حتى غدا الفلكُ بالناجي به غرقاً  
 بأن جَدك يجلو صفحهُ يققاً<sup>(٦)</sup>  
 غرابُ بينِ علي بن النقا نغقا

(١) ب ، ت : « الضرغام » (٢-٢) ز في ب ، ت

(٣) ب : « فأمر ابن الحنّاط أن يصنع في ذلك شعراً »

(٤) ب ، ت « مجدك » (٥) ب : « الصبر » (٦) كذا بجميع الأصول



ومنها :

إذا وفي ثغر الخطيُّ ثُغْرَتَهُ      أو عاذَ بالنهرِ مسلوبَ القُوَى غَرِقَا  
وأىُّ نهرٍ يُرَجِّى العِبْرَ عابِرُهُ      وسُفْنُهُ طافياتٌ غودِرَتْ فِلَقَا  
(١) قوله : « حتى استحالَ سماءُ » ، البيت ، إلى قولِ المِغْرَبِيِّ أراه أشار :

وعلَى الأفقِ من دماءِ الشَّهيدِيبِ      نِ : عَلِيٍّ وَنَجْلِهِ شَاهِدَانِ ٥  
فَهُمَا فِي أواخرِ الليلِ فَجْرًا      نِ وَفِي أُولَيَاتِهِ شَفَقَانِ (١)

وقوله : « كَأَنَّ هَامَتَهُ والرُّمَحِ » ، البيت ، (٢) أخذَ معناه ابنُ الحدادِ فقال من  
قصيدَةٍ في مدائحِ ابنِ صُمادحِ ، يصفُ غلبتَهُ على وادى آسَ سنةً خمسَ وخمسينَ (٢) :

بلادٌ غدتْ يَأْجُوجُ فيها فَأَسَدَتْ      فَكُنْتُ كَذِي الْقَرْنَيْنِ ، وَالْجَحْفَلُ السَّدُّ  
وما زَالَ شَرِقَى المَرِيَةِ عَاطِلًا      إِلَى أَنْ عَلَاهَا (٣) مِنْ رُووسِهِمْ عِقْدُ ١٠  
وقد عَوَّضُوا مِنْ ثَابِتَاتِ (٤) جَسُومِهِمْ      بِمُصَمَّتَةٍ (٥) لَا عَظْمَ فِيهَا وَلَا جِلْدُ  
كَأَنَّهُمْ فِيهَا غَرَابِيبُ وَقَعُّ      عَلَيَّ بِاسْقَاتٍ لَا تَرُوحُ وَلَا تَغْدُو

ومن مشهورِ هذا المعنى قولُ الآخر :

وعادَ لَكِنَّهُ رَأْسُ بِلَا جَسَدِ      يَسْرِي وَلَكِنْ عَلَى سَاقِ بِلَا قَدَمِ  
إِذَا تَرَأَى عَلَى الخَطِيِّ أَسْفَرَ فِي      حَالِ العُبُوسِ لَنَا عَنْ ثَغْرِ مَبْتَسِمِ ١٥

(١-١) ره في ر ، ره

(٢-٢) ب ، ت : « كقول أبي عبد الله بن الحداد من أهل المرية من قصيدة يمدح

بها ابن صمادح يقول فيها »

(٣) وه : « علاه »

(٤) ب : « باسلات »

(٥) ر ، وه : « مصمته »

ولم أسمع في صفة الرأس المصلوب على الرمح أحسن من قول أبي فراسٍ  
يخبِرُ عن سيفِ الدولة وقد أنقذَ أبا وائلٍ التَّغَلبيَّ من الأسرِ ، وقتلَ أسيرَه :

وأنقذَ من ثقلِ الحديدِ ومسهِ أبا وائلٍ والدهرُ أجدعُ صاعرُ  
وآبَ ورأسُ القرمطيِّ أمامه له جسدٌ من أكعبِ الرمحِ ضامرُ

وكان هذا المقتول الذي أوقع به سيفُ الدولة قد ظهرَ على أطرافِ الشامِ  
والتفتَ عليه القبائلُ ، وكان يُعرفُ بالبرقع ، غاربَ أبا وائلٍ تغلبَ بنَ داودَ  
وهو خليفةُ سيفِ الدولة على حمصَ ، فهزَمه وأسرَه وأزَمه شراءً (١) نفسه بعددٍ  
من الخيلِ والمالِ ، فخرجَ سيفُ الدولة من حلب وأسرَى حتى لَحِقَ في اليومِ  
الثالثِ بنواحي دِمَشقَ ، فأوقعَ بالبرقعَ ، وفي ذلك يقولُ المتنبي (٢) :

ولو كنتُ في أسرٍ غيرِ (٣) الهوى ضمنتُ ضمانَ أبي وائلٍ  
فدَى نفسَه بضمانِ النصارِ وأعطى صدورَ القنأِ الذابِلِ  
ومَنّاهُم الخيلَ مجنوبةً جُننَ بكلِّ فتى باسِلِ  
كانَ خلاصَ أبي وائلٍ معاودةُ القمَرِ الآفلِ (٤)  
دعا فسمعتَ ، وكَم صامتٍ على البُعْدِ عندك كالفائِلِ !

قال ابنُ بسامٍ : وإذ قد أجزى أبو عامرٍ ذَكَرَ يحيى بنَ حمودَ ، فلنُشرِ  
إليه ، وتتلو قصيدةَ أبي عامرٍ بفصلٍ نجعله منبهاً عليه ، إذ قد مرَّ ذكرُه فيها ،  
ونسقتَ له قوافيها . وأنا أشرحُ في هذا الموضعِ مقتلهُ خاصةً ، إذ كان خاتمةَ  
آثاره ، ومميزاً من سائرِ أخبارِه . وسيمُرُّ في أخبارِ عمِّه القاسمِ كيفَ نجمَ ملكه ،  
وعلى يدي من نُظِمَ سلكُه .

(٢) راجع ديوانه (ج ٢ ص ٣٢)

(١) « فداء »

(٤) هذا البيت والذي يليه ناقصان في ر ، و

(٣) « غير أسير »

## ذكر الخبر عن مقتل يحيى بن حمود الذي ذكر

قال ابن حبان : حكى لي أبو الفتح البرزالي قال : لما كان عيد الأضحى سنة ست وعشرين وأربعمائة ، وانغمس يحيى بن حمود في (١) شربه وهو ، سرت مع لمة من بني عمي (٢) إلى الحاق باشبيلية ، للاجتماع بابن عمنا محمد ابن عبد الله ، والتاضي ابن عباد ، فوصلنا وأنبأناها من خبر ابن حمود يحيى وهو ٥ ما رأيا أن يوجها إليه بجيش لقتاله . فخرج إسماعيل بن عباد مع ابن عمنا محمد بن عبد الله في المحرم من سنة سبع وعشرين بعدها ، وهما في بيعة هشام بن الحكم تلك الأيام (٣) ، فجئنا إلى باب قرمونة بالجيش كي نغيظ يحيى فيخرج أو يخرج أحد من قبيله ، وقد قدمنا سرية وكن الجيش ناحية أخرى ، وقد كنا وجهنا فوارس لیسلا للسامرة بسور قرمونة ، فطار الخبر إلى يحيى وهو تلك الليلة على ١٠ شراب وقد أخذ منه ، فنعر نغرة ووثب قائماً يقول : وابتاض بختي الليلة ، وابن عباد زأرى ! وأمر بالإسراج وتقدم إلى أصحابه وغلمايه ، وبادر الخروج ليلاً على باب قرمونة ، وأصحابه يتلاحقون ، فالتأمت عدته في نحو من ثلثمائة فارس أكثرهم دغل السرية ، فمضى على وجهه مغترا يضرب إبطي أهجن خيله ، مغنقاً إلى حينه .

قال أبو الفتح : وأقول إنه على ذلك عند اتهانه ، لو ضرب مصافاً يقيم (٤) فيه ويقدم رجاله للحرب طائفة يمدهم بطائفة ، وتقف خيلهم رداء لهم ما فارق الصواب . لكن الحين غطى على بصره فالتقى نفسه علينا في أوائل خيله ، ولما

(١) ب ، ت « على »

(٢) ب ، ت « عمه »

(٣) ز في ب ، ت : « وخامر ناموسه الأمة » (٤) و : « يقوم »

تَسْتَبِينَ الْأَشْبَاحَ ظَلَمَةً . فَاثْتَشَبَ الْحَرْبَ مَعَنَا غَلَسَ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَوَالَى عَلَيْنَا الشَّدَاتِ الصَّعَابَ بِنَفْسِهِ ، فَعَلِمْنَا أَنَّهُ لَا يُنْجِينَا إِلَّا الصِّدْقُ ، فَاسْتَقْبَلْنَاهُ بِوَجْهِنَا ثُمَّ رَدَدْنَا عَلَيْهِ الْكَرَّةَ ، وَطَاوَلْنَاهُ بِالْقُوَّةِ ، فَحَمَلَ عَلَيْنَا حَمَلَةً ثَالِثَةً مَعَ أُصْحَابِهِ لَهُ ، وَكُنَّا فِي سَنَدِ ضَرُوسٍ كَوُودٍ ، مَنِيعِ الصُّعُودِ إِلَيْنَا ، نَوُودُ مِنْهُ وَنَنَالُ مِنْ أَصْحَابِهِ . فَإِذَا رَدَدْنَا عَلَيْهِمْ اسْتَعْنَا بِفَضْلِ الْأَنْحَادِ مِنْ عَلِيٍّ ، فَنَحْطِفُهُمْ خَطَفَ الْأَجَادِلِ ، فَصَدَقْنَا هَذِهِ الْحَمَلَةَ ، فَسَاقْنَا <sup>(١)</sup> حَتَّى رَمَانَا عَلَى إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبَّادٍ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْأَنْدَلُسِيِّينَ ، فَتَارُوا فِي وَجْهِهِ ، فَتَوَقَّفَ الْفَرِيقَانِ سَاعَةً <sup>(٢)</sup> ، وَظَهَرَ كَيْفُ ابْنِ عَبَّادٍ وَجَادَ صَبْرُهُ ، وَحَرَّضَ غُلَمَانَهُ الْعَجَمَ ، فَشَدَّتِ الْجَمَاعَةُ عَلَى يَحْيَى شَدَّةً مَنَكْرَةً ، وَحَدَرُوا <sup>(٣)</sup> مِنْ ذَلِكَ التَّلِّ الَّذِي تَسَنَّمُوهُ فَانْكَسَرُوا ، وَصُرِعَ فِي ذَلِكَ قَوْمٌ وَتَمَادَى الطَّلَبُ وَرَاءَهُمْ بَعْدَ مَوَاقِفَةٍ عَظِيمَةٍ ، فَصُرِعَ يَحْيَى وَخُزَّ رَأْسُهُ ، وَطِيرَ بِهِ إِلَى ابْنِ عَبَّادٍ بِأَشْبِيلِيَّةٍ ، نَفَرَ سَاجِدًا وَسَجَدَ مِنْ حَضْرَةِ سُجُودِهِ ، وَانطَبَقَ الْبَلَدُ فَرِحًا ، وَاسْتَمَرَّتِ الْمُهْزِيمَةُ عَلَى أَصْحَابِ يَحْيَى ، حَتَّى سَاءَ ذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَبَدَتْ عَصَبِيَّتُهُ لِقَوْمِهِ ، وَكَلَّمَ ابْنَ عَبَّادٍ فِي رَفْعِ السِّيفِ عَنْهُمْ ، فَأَطَاعَهُ فِي ذَلِكَ وَتَمَّ لِابْنِ عَبْدِ اللَّهِ مَا أَرَادَ مِنْ حَقْنِ دَمَائِهِ قَوْمِهِ ، إِذْ لَمْ يَأْتِ الَّذِي أَنَاهُ إِلَّا عَنِ ضَرُورَةٍ ، وَلَمْ يَتَأَمَّرْ أَنْ أُسْرِعَ الرَّكْضَ إِلَى قَرْمُونَةَ دُونَ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبَّادٍ ، فَجَاءَهَا لَوْقَتُهُ وَقَدْ مَلَكَ سُودَانَ يَحْيَى <sup>(٤)</sup> أَبْوَابَهَا عَلَى أَهْلِهَا ، فَدَنَا إِلَى مَكَانِ عَوْرَتِهَا <sup>(٥)</sup> مِنْ سُورِهَا الْجَوْفِيِّ وَقَدْ عَرَفَهُ ، فَفُتِحَ لَهُ وَدَخَلَ مِنْ سَاعَتِهِ دَارَ يَحْيَى وَحَازَ جَمِيعَ

(١) ر : « فساقها » (٢) نه في ر

(٣) هـ : « فتحدروا » (٤) نه في ر — بياض في هـ

(٥) ب ، ت : « عورة » — هـ : « غور »

ما ألفاه من مالٍ ومتاع ، واشتمل على نسائه وأباح حُرْمَهُ لَبْنِيهِ <sup>(١)</sup> ، واستحلَّ حرامهن ، واستوى في مجلسه ، ونَصَرَ نَصْرًا لا كِفَاءَ له ، وردَّ الله عليه ملكه ، ثم لم يَجِدْهُ على ذلك شاكِرًا للنعمة ، ولا مُقَصِّرًا عن ارتكاب المعصية . وسقط الخبرُ بمقتلِ يحيى على أهل قرطبةَ فما صدَّقوه من الفرح .

- قال أبو عامر : وما يلزم المدعى لصناعة الكلام إذا اعتمد وصف حالة ٥  
 أن يستوفى <sup>(٢)</sup> جميعها ، ويكون ما يطلبه من الإبداع والاختراع فيها غير خارج عنها وما هو بسبيلها ، فذلك أبهى لكلامه ، وأنعم للمتكلم به <sup>(٣)</sup> ، وأدل على أن الكلام له ومن تأليفه ، لا <sup>(٤)</sup> كما شهدته يوما عند ابن حمود وقد صدر عن ابن الشرب ، ومدحه عدة شعراء ، صدور أشعارهم لزيب والزباب ولميس وفرتني ، وأعجازها للجود والكرم وبذل اللهى ، ولم يُلِمَّ أحدٌ منهم بذلك الغرض ١٠  
 والمغزى إلا في بيتين أو ثلاثة ، فأنشدته أنا يومئذ من جملة قصيدة أولها :

|  |  |
|--|--|
| فريقُ العدا من حدِّ <sup>(٥)</sup> عزمك يفرق | وبالدَّهرِ مما خاف بطشك أولق             |
| عجبت لمن يعتدُّ دونك جنةً                    | وسهمك سعد والقضاء مفوق                   |
| ومن يبتنى <sup>(٦)</sup> بيتا ليقطع دونه     | ممرَّ رياح النَّصر وهو الخورتق           |
| وما شرب ابن الشرب قبلك خمره                  | من الذلِّ بالعجز الصريح تُصقق ١٥         |
| توهم فيه الرعن حصنا <sup>(٧)</sup> فزرته     | بأرعن <sup>(٨)</sup> فيه مرعد الموت مبرق |
| وحولك أسياف من السعد تنتضى                   | وفوقك أعلام من النصر تخفق                |

(١) ب : « بنيه »

(٢) ب ، ت : « يستوفى ذكره »

(٣) ب ، ت ، م : « فيه »

(٤) م في ر

(٥) ر : « جد »

(٦) م ، ب ، ت : « يبتنى »

(٨) ب : « فأرعد »

(٧) م : « أن الرعن حصن »

بأبيض مُسَوِّدَ الدَّلَاصِ كَأَنَّهُ شهابٌ عليه من دُجَى الليلِ يَلْمُقُ  
 وأَسودَ مَبِيضًا القَبَاءَ<sup>(١)</sup> كَأَنَّمَا يَطِيرُ بِهِ نَحْوَ الكَرِيهَةِ عَشَقُ  
 وخيلٍ تَمَشَّى لَوغَى ببطونِها إذا جعلتْ بالمرتقى الصَّعبِ تَزَاقُ  
 وهذا البيت مما لم يُحسن أبو عامرٍ سرقته ، ولا بلغ به طبقته ، وهو من قول  
 أبي الطيب<sup>(٢)</sup> :

إذا زلقتْ مشيتها ببطونِها كما تمشى في الصعيدِ الأراقمُ

وله من أخرى في سليمان المستعين :

بكي أسفًا للبين يومَ التفريقِ وقد هونَ التوديعُ بعضَ الذي لَبِقِ  
 وما للذي ولى به البينُ حَسْرَةً بكيتُ ، ولكن حَسْرَةَ الذي بَقِ  
 وقد شاقني الوُزُقُ السواجمُ بالضجى ومَن يستمعُ داعي الصبابةِ يشْتَقِ<sup>(٣)</sup>  
 على فَنٍّ من أَيْكَةٍ قد تعلقَتْ بحلِ النوى<sup>(٤)</sup> من قلبِي المتعلقِ  
 فصَدَّقْتُها في البينِ من غيرِ عِبْرَةٍ وكمْ من كثيرِ الدمعِ غيرِ مُصَدِّقِ !  
 لعلَّ نسيمَ الرِّيحِ تأتي به الصَّبَا بنشرِ الخُزَامَى والكِبَاءِ المَعْبَقِ  
 كأنَّ عليها نَفْحَةٌ عَبْشَمِيَّةٌ أنتُ من جنابِ المستعينِ الموفِّقِ

١٥ ومنها :

فَنِلتَ الذي قد نلتَ إذ ليسَ للعلَّاءِ<sup>(٥)</sup> سواكَ كأنَّ الذَّهْرَ للناسِ مُنتَقِي  
 قوله : « وما للذي ولى به البينُ حَسْرَةً » ، البيت ، يلمحُ قولَ محمدِ  
 ابنِ هاني :

(١) ر ، م : « الفناء » (٢) راجع ديوانه (ج ٢ ص ٢٧٦)

(٣) م : « يعشق » (٤) ب ، ت : « الهوى »

(٥) ر : « للهوى »

لا تسلني عن الليالي المواضي وأجرني من الليالي البواقي  
وأوضح منه قول الآخر :

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء  
وقوله : « كأن الدهر للناس منتقي » ، لفظ بيت أبي الطيب (١) :

ولما رأيت الناس دون محلّه تيقنت أن الدهر للناس ناقد  
(٢) ولأبي عامر من قصيدة يقول فيها ، وقد أزمع على الخروج من قرطبة  
إلى مالقة لاحقاً بيحيى بن علي :

أرى أعيناً ترنو إلى كأنما (٣)  
أدور فلا أعتام غير محارب  
ويجلب لي فهمي ضروراً من الأذى  
وأوجع مظلوم لقلب وذى حجبي  
غنيتم على ما تزعمون عن الوري  
وهل يقدم البازي على الطير في الضحى  
سلام عليكم لا تحية شاكر  
وما قرعت سني عليكم ندامة  
عليكم بداري فاهدئوها دعائماً  
١٠ تساور منها جانبي أراقم  
وأسعى فلا ألقى اسراً لي يسالم (٤)  
وأشقى اسرى في قرية الجهل عالم  
فتى عربي تزدريه أعاجم  
لقد سفهت تلك الخلوم الزواعم  
إذا زال عن ريش الجناح القوادم ؟  
ولكن شجبي تنسد منه الخلاقم  
١٥ وأوشك غداً أن يفرع السن نادم  
ففي الأرض بناهون لي ودعائم

(١) راجع ديوانه ( ج ١ ص ١٨٠ )

(٢) هنا يبدأ خرم في ر ، ويستمر خرم لب

(٣) وه : « كأنها »

(٤) هذا البيت ناقص في وه

لئن أخرجتني عنكم شرُّ عصبيةٍ      ففي الأرضِ إخوانٌ عليَّ أكارمُ  
وإن هُشمتُ حتى أميةٌ عندها      فهاتأ على ظهرِ الحجَّةِ هاشمُ  
ولاغرو من تلك القلائسِ جالياً<sup>(١)</sup>      إذا عرفتُ حتى هناك العاممُ<sup>(٢)</sup>

قال أبو الحسن : وقد تقدم القولُ من تحييلِ حُذَّاقِ الصناعةِ في أخذِ المعاني أن تُتركَ القافيةُ والوزنُ ، وكذلك يجبُ أن يُقصدَ إلى التطويلِ إذا قصرَ المتقدِّمُ . ألا ترى قولَ أبي عامر حين سمعَ الرمادى يقولُ<sup>(٣)</sup> :

ولم أرَ أحلى من تبسُّمِ أعينِ      غداةَ النَّوى عن لؤلؤِ كان كامناً  
فقال أبو عامر في هذه القصيدة :

ولما فشا بالدمعِ من سرِّ وجدنا      إلى كاشحينَا ما القلوبُ كواتمُ  
أمرنا بإمسالكِ الدموعِ جفوننا      ليشجى بما تطوى عذولُ ولائمُ  
فظلَّتْ دموعُ العينِ حيرى كأنها      خلالَ ما قينا لآلِ توائمُ<sup>(٤)</sup>  
أبى دمعنا يجرى مخافةً شامتِ      فنظَّمه بين الحاجرِ ناظمُ  
وراق الهوى منأ عيونُ كريمةُ      تبسَّمنَ حتى ما تروقُ المباسمُ

فقال بهذا<sup>(٥)</sup> التركيبِ ما نُسبتَ له حيلةُ التطويلِ .

وبيتُ الرمادى من قولِ ابنِ عبدِ ربَّه :

وكأنا غاصَّ الأسمى بجفوننا<sup>(٦)</sup>      حتى أتاك بلؤلؤٍ منشورِ

(١) ت : « جانباً » . كذا في بقية الأصول ، ولعله : « ولا عزَّ من تلك القلائسِ جانب »

(٢) هذا البيت ناقص في م

(٣) م : « قول الرمادى » (٤) هذا البيت ناقص في ب ، ت

(٥) م : « هذا » (٦) ب ، ت : « بجفوننا »



فاحتال الرمادى حتى أتى باللؤلؤ وعرّض من الغائص التبسم ، ووقعت له  
استمارة التبسم للعين موقعا لطيفا ، وإنما هو للثغور بسبب توسط اللؤلؤ الذى هو  
للعيون والثغور ، فنسخ المعنى نسحا ، وقلبه قلبا ، وتشبيه الدموع باللؤلؤ  
أكثر من أن يحصى . ومن أحسنه قول القائل :

- وما وقفنا للوداع ودمعها ودمعى يثيران الصباة والوجدأ  
بكت لؤلؤا رطباً ، وفاضت مداى عقيقاً ، فصار الكل في نحرها عقدا  
ومن <sup>(١)</sup> أحسن ما جاء من توقع أهل النمام ، والاحتيال لسكتان الدموع  
السواجم ، <sup>(٢)</sup> لا سيما وقد أرف الفراق ، وعصت بما فيها من الدمع الآماق ، قول  
بعض العرب <sup>(٣)</sup> :

- ومما شجاني أنها يوم ودعت تولت ودمع العين فى الجفن حائر  
وما أعادت من بعيد بنظرة إلى التفاتاً أسلمتها المحاجر  
وقال آخر :

- وما أبت عينى أن تحبسا البكا وأن يمنعا درّ الدموع السواكب  
تثاءبت كى أبى لدمعى علة<sup>(٣)</sup> وك مع لوعانى بغاء الثاؤب ا  
أعرضتاني للهوى ونممتا على ، لبس الصاحبان لصاحب  
وأشده ثعلب :

ومستنجز بالحسن دمعاً كأنه على الخد مما ليس يرقأ حائر  
ملا مقلتيه الدمع حتى كأنه لى انهل من عينيه فى الماء ناظر  
فعيناي طوراً تعرفان من البكا فأعشى وطوراً تحسيران فأبصر

(١) هنا يبدأ خرم فى م أيضاً

(٢) كذا فى الأصول

(٣) م فى ب

وقال آخر :

وقفنا والعيونُ مَثَقَلَاتُ      يغالبُ طرفُهَا نظرُ كَلِيلُ  
نَهْتَهُ رِقَبَةُ الوَاشِينَ حَتَّى      تَعَلَّقَ لَا يَغِيضُ وَلَا يَسِيلُ

وأنشد :

ومن طاعتي إياهُ أمطرَ ناظري      إذا هو أبدى من ثناياهُ لى برقاً  
كأنَّ دُموعِي تبصرُ الوصلَ هارباً      فمن أجلِ ذَا تجرى لتدركه سبقاً  
والبيتُ الأولُ من هذين كقولِ المتنبي <sup>(١)</sup> :

تَبَلُّ خَدَيَّ كَمَا ابْتَسَمْتُ      من مطرٍ برقهُ ثناياها

وقال أبو الشَّيْص :

وقائلةٌ وقد نظرتَ لدمعٍ      على الخدينِ منحدِرِ سكوبٍ :  
أتكذبُ في البكاءِ وأنتَ خلقُ      قديماً [قد] جَسُرْتَ على الذنوبِ ؟  
قيصكُ والدموعُ تجولُ فيه      وقلبكُ ليس بالقلبِ الكئيبِ  
نظيرُ قيصِ يوسفَ حينَ جاءوا      على لَبَّاتِهِ بدمٍ كذوبِ  
فقلتُ لها : فِدَاكَ أبى وأمى      رحمتِ بحسنِ ظنكِ فى العيوبِ  
أما واللهِ لو فَنَشْتُ قَلْبِي      لَسَرَّكَ بالعويلِ وبالنجيبِ  
دموعُ العاشقينِ إذا تلاقَتْ      بظهِرِ الغيبِ ألسنةُ القلوبِ

وكان بشار يقول : ما زال فتى من بنى حنيفَةَ يُدخِلُ نفسه فينا ، ويُخْرِجُهَا

منَّا حتى قال :

نَزَفَ البكاءُ دموعَ عَيْنِكَ فَاسْتَعِرَ      عَيْنًا لغيرِكَ دمعُهَا مِدْرَارُ  
منْ ذَا يَعيِرُكَ عَيْنُهُ تَبْكِي بِهَا      أَرَأَيْتَ عَيْنًا لِلبكاءِ تُعَارُ ؟

(١) راجع ديوانه (ج ٢ ص ٤٩٩)

وقال آخر ، مما أنشد أبو علي البغدادي :

قالوا : فما نفسُ يعلو كذا صُعداً      وما لعينك لا ترقا ما قيها ؟  
قلت : التلوُّمُ من تدَّ أبِ سيرِكُمُ      ودمعُ عيني يجرى من قذَى فيها

وأنشد أبو علي لغيره :

يقلن : لقد بكيتَ ، [ فقلت : ] كلاً      وهل يبكي من الطَّربِ الجليدُ ؟  
ولكنني أصابَ سوادَ عيني      عويدُ قذَى له طَرَفُ حديدُ  
فقالوا : ما لدمعِهما سواءَ      أكلتني مقلتيك أصابَ عودُ !

وقال ابن أبي ربيعة<sup>(١)</sup> في قريب منه :

كفكفتُ دمعى بالرداءِ وإنما      أخفيتُ فيضَ الدمعِ عن أصحابي  
فراى سوابقَ عسيرةٍ مسفوحةٍ      عمرو ، فقال : بكى أبو الخطَّابِ !

وقال العباسُ بنُ الأحنفِ ورجع إلى الطريق :

لكن ذهبُ لأرتدي      فطرفتُ عيني بالرداءِ

وقال ابن فتوح من أهل عصرنا :

وقد تعلق بالأشفارِ منحدرًا      تعلقَ القطرُ بالأغصانِ والورقِ

وقال أبو جعفر ابن هريرة التطيلي :

١٥

يكفكفُ من تلكِ الدموعِ وربَّما      جلاها الرداءِ وامترتها الأصابعُ

وحدَّث<sup>(٢)</sup> أبو بكر محمد بن أحمد بن جعفر بن عثمان المصحفي قال : دخلتُ يوماً على أبي عامر ، وقد ابتدأتُ علتُهُ التي ماتَ منها فتأنَّسَ بي ، وجرى الحديثُ إلى أن شكوتُ إليه تجنِّي بعضِ إخواني عليّ ، ونفاره عني ، فقال لي : سأسعى

(١) راجع ديوانه ص ١٧١ (٢) هنا ينتهي خرم وه

في إصلاح ذاتِ البين . نخرجتُ عنه ، واتفق لِقائِي بذلك المتعجني مع بعضِ  
إخواني ، وأعزهم عليّ ، فلما رأني مُولِّياً عن<sup>(١)</sup> ذلك الصديق أنكرَ عليّ ،  
وسأله عن السببِ الموجبِ ، فأخبره وزادَ في مشيئتهما حتى لحقنا بي وعزَّما عليّ  
في مكالمَةِ صاحبي ، وتعاتبنا عتاباً أرقَّ من الهوى ، وأشهى من الماءِ على الظمِّ ،  
حتى جئنا دارَ أبي عامر ، فلما رأني ضحكاً وقال : مَنْ كانَ الَّذِي تولى إصلاحَ  
ما كُنَّا سُررنا<sup>(٢)</sup> بفساده ؟ قلنا : قد كان ما كان ، فأطرقَ قليلاً ثم أنشد :

مَنْ لا أُسَمِّي ولا أبوحُ به      أصلحَ بيني وبينَ مَنْ أهوى  
أرسلتُ مَنْ كابدَ الهوى فدرى      كيفَ يُداوي مواضعَ البلوى  
ولى حُموقٌ في الحُبِّ ظاهرةٌ      لكنَّ إلني يَعُدُّها دَعْوَى  
يا رَبِّ إنَّ الرسولَ أحسنَ بي      يا رَبِّ فأحفظني من الأسوا<sup>(٣)</sup>

قال ابن المصحفي : ودخلتُ عليه يوماً في تلك العليةِ ومعِي غلامٌ وسيمٌ من  
إخواننا ، وكان أبو عامر قبلَ ذلك يحبُّ مباحثته فينافره ، حتى خاطب  
أبو عامر بعضَ إخوانه بشعرٍ مسَّه فيه بطرفِ لسانه ، فقال له ذلك الغلامُ :  
هجوته يا أبا عامر دونَ أن تستثبتَ في أمرِي ، وأن تعلمَ من سرِّي ما يوجبُ  
ذلك . فقال : عليّ تكفيره بما يمحوهُ من القراطيسِ والصُدور ، وكان ذلك  
إثرَ صلاةِ العشاءِ الأولى فطفنا بالجامعِ ثم انصرفنا إليه وأنشدنا :

ألا بأبي زائري في العتمِّ      بوجهٍ يُجلى سوادَ الظلمِ  
تكمَّم بالليلِ في ظلهِ      وهل يمكنُ الصُّبحَ أن يكتتمَ؟

(٢) ب : « عودنا »

(١) ب ، ت : « ماجيا »

(٣) هذا البيت ناقص في هـ

- أَتَى يَسْتَجِيرُ أَيْفًا لَهُ      كَمَا جَاوَبَ (١) الْبَانُ رَطْبَ الْعَمِّ  
 وَقَدَرَقَ (٢) مَاوَزْدُ تَلَكَ (٢) الْخُدُودِ      بِمَا سَأَلَ مِنْ مِسْكَ تَلَكَ اللَّعْمِ  
 وَكَانَ يُحْمَجُّ تَحْتَ الْعِذَارِ      كَحَمْحَمَةِ الْخَيْلِ تَحْتَ اللَّجْمِ  
 فَقُلْتُ : مِنَ الزَّائِرِي وَالذُّجِي (٣)      يَسُدُّ الْعَيُونَ بِثُوبٍ أَحْمَ (٤)  
 فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : لِأُمِّ      بِمَا جِئْتَ مِنْ كَذِبٍ يُنْتَظَمُ (٥)  
 فَأَيَقَنْتُ أَنْ أَبَا خَالِدٍ      سَرَى (٦) وَخَيْيَالَ حَبِيبِي أَلَمِ  
 فَأَبْصَرْتُ وَجْهًا حَكَاهُ الْهَالِلُ      وَتَعْرَأَ حَكِي الدَّرَّ لَمَّا ابْتَسَمَ  
 وَإِلَّا فَعَفَوْهُ يُقِيلُ الْعِثَارَ      فَذُو الْعَرْشِ يَرْحَمُ مِنْ قَدْ رَحِمَ (٧)  
 فَقَالَ : بَلِ الْعَفْوُ يَا سَيِّدِي      وَقَبَّلَنِي مِنْ بَعِيدٍ وَضَمَّ  
 فَبِتُّ عَلَى بَرْدِ طَيْبِ الرِّضَا      أُسْرٌ بَلِيلِي وَإِنْ لَمْ أَمِّ  
 وَقُلْتُ : ابْنُ زَيْدُونَ ، لَا كُنْتُ لِي      بِخَالِ (٨) ، وَلَا كُنْتُ لِي بَابِنِ عَمِّ  
 خَبِيثٌ سَعَى بَيْنَنَا بِالنَّمِيمِ      وَقَطَعَ خَلَّتَنَا بِالْجَلَمِ

## فصل في ذكر آخر أيام (٩) أبي عامر ووفاته رحمه الله

- قال : ولما طال بأبي عامر ألمه ، وتزايد سقمه ، وغلب عليه الفالج الذي  
 عرض له في مستهل ذي القعدة من سنة خمس وعشرين وأربعمائة ، لم يُعلمه  
 ١٥

(١) م : « جاور »

(٢-٢) ب ، ت : « ماء تلك »

(٣) ب ، ت : « في الدجى »

(٤) ب ، ت : « بثوب آدم »

(٥) ب ، ت : « تنتظم »

(٦) في الأصول الثلاثة : « سرى وأن خيال »

(٧) قبل هذا البيت بيت مضطرب نصه في ب ، ت ما يأتي :

فقلت أمر بهم فأشعر بضرب فاحذر حان ندم

(٨) ب ، ت : « لا كنته بخال »

(٩) ب : « أمر »

حركة ولا تقلبًا ، وكان يمشى إلى حاجته<sup>(١)</sup> على عصا مرّة ، واعتمادًا على إنسانٍ مرّة ، إلى قبل وفاته بعشرين يومًا ، فإنه صار حَجْرًا لا يبرحُ ولا يتقلّب ، ولا يَحْتَمِلُ أَنْ يُحَرِّكَ لعظيم الأوجاع ، مع شدة<sup>(٢)</sup> ضغطِ الأنفاسِ وعدمِ الصبر ، حتّى همّ بقتلِ نفسه ، وفي ذلك يقولُ من قصيدة :

٥ أنوحُ على نفسي وأندبُ نبلها إذا أنا في الضراء أزمعتُ قتلها  
رضيتُ قضاء الله في كلِّ حالةٍ على وأحكامًا تيقنتُ عدلها  
أظلُّ قعيد الدارِ تجنُّبني العصا على ضعفِ ساقٍ أو هن الستمُ رجلها  
وأنعى خسيساتِ ابنِ آدمَ عاملاً براحةٍ طفلٍ أحكم الضمُّ نصلها  
الأربُ خصمٍ قد كفيتُ ، وكربةٍ كشتُ ، ودارٍ كنتُ في المحلِّ وبلها  
١٠ وربُّ قريضٍ كالجريرِضِ بعثتهُ إلى خطبةٍ لا ينكرُ الجمعُ فضلها  
فمن مبلغُ الفتيانِ أن أخاهمُ أخو فتكةٍ شنعاءٍ ما كان شكلاها ؟  
عليكم سلامٌ من فتى عضه الردى ولم ينس عينا أثبتت فيه نبلها  
يبينُ وكفُّ الموتِ يخلعُ نفسه وداخلها حُبُّ يهونُ نُكلها

ونقلتُ من خطِّ الفقيهِ أبي محمدِ عليِّ بنِ حزمِ الشافعيِّ قال : كتب إلى

١٥ أبو عامرِ ابنِ شهيدٍ في علتهِ التي اعتلها بهذه الأبيات :

ولما رأيتُ العيشَ ولّى برأسه وأيقنتُ أن الموتَ لاشكِّ لاحقٍ  
تمنيتُ أني ساكنٌ في غيابةٍ بأعلى مهبِّ الريحِ في رأسِ شاهقٍ  
أدرُّ سقيطَ الحَبِّ في فضلِ عيشةٍ وحيدًا ، وحسنى الماءِ تُنى المفالقِ<sup>(٣)</sup>  
خليلى من ذاقِ المنيةَ مرّةً فقد ذُقها خمسينَ ، قوله صادق

(١) ب : « صاحبه » (٢) هـ في و

(٣) لم يقع هذا البيت في ب

(١) كأنِّي وقد حان ارتحالي لم أفر<sup>(١)</sup> قديماً من الدنيا بل محق بارق  
 فمن مبلغ عني ابن حزم وكان لي يداً في ملهاتي وعند مضايقي :  
 (٢) عليك سلام الله إني مفارق<sup>(٢)</sup> وحسبك زاداً من حبيب<sup>(٢)</sup> مفارق  
 فلا تنس تأييني إذا ما فقدتني وتذكر أياي وفضل خلايقي  
 (٣) فلي في أدكارى بعد موتى راحة<sup>(٣)</sup> فلا تمنعونيها<sup>(٣)</sup> علالة زاهق  
 وإني لأرجو الله فيما تقدمت ذنوبي به مما درى من حقائق

ومن جواب ابن حزم له :

أبا عامر ناديت خلاً مصافياً يُفديك من دهم الخطوب الطوارق  
 (٤) وألفت قلباً مخلصاً لك، ممحصاً بودك، موصول<sup>(٤)</sup> العرى والعلائق  
 شداًئد يجلوها الإله بلطفه فلا تأس<sup>(٥)</sup> إن الدهر جم المضايق  
 (٦) ورب أسير في يد الدهر مطلق ومنطلق<sup>(٦)</sup> والدهر أسوق سائق  
 سفينة نوح لم تضق بحلوها وضاق بهم رحب الفلا<sup>(٧)</sup> المتضايق  
 فإن تنج قلت : الحمد لله مخلصاً فمن أعظم النعمى بقاء المصادق  
 (٨) وسمع في تلك<sup>(٨)</sup> العلة نعى الوزير الكاتب أبي جعفر ابن اللماي ، فقال

قصيدته هذه :

١٥

أمن جنباً بهم التفتح الجنوي أسرى فصاك به في الغور غاري ؟  
 أهدى إلى ظلاماً ردع نافية أدماء شق بها الدماء هندی

(١-١) هـ في ب ، ت (٢-٢) هـ في ب ، ت

(٣-٣) هـ في ب ، ت (٤-٤) هـ في ب

(٥) ب : « فلا بأس » (٦-٦) هـ في ب

(٧) ب ، ت : « الملا » (٨-٨) هـ في ب ، ت

- والليلُ قد قامَ في أنوابِ نادبةٍ<sup>(١)</sup> كأنه فوقَ ظهرِ الأرضِ نُوبِيُّ  
والنجمُ تحسُّبه قُدَّامَ تابعيه حماةً رامَهَا في الجوِّ بازِيُّ  
وَجَدُولُ الأفقِ يجرى في منأفسيه مالا سقى زهرة الخضراءِ فُضِيُّ  
فقلتُ والشُّقْمُ منشورٌ<sup>(٢)</sup> على جسدي يحدو الردى وردداه العيشِ مطويُّ :  
<sup>(٣)</sup> أهدي اللّمانِيُّ من أزهارِ فكرته نشرًا<sup>(٣)</sup> ، فقال الدُّجِيُّ : مرَّ اللّمانِيُّ  
فقليلَ ماتَ ، فقال الليلُ : قاربَ ذا فأنهلَّ من مُقلتي نوبِ سِمَاكِ  
<sup>(٤)</sup> وبتُ فردًا أناجي مُقلتي شغفًا كأنني<sup>(٤)</sup> في نُقوبِ الدارِ جَنِيُّ  
لا عشتُ إن ميتَ لي يا واحدِي أبدًا وموتنا واحدٌ لا شكَّ مرِيُّ  
<sup>(٥)</sup> إن الكريمِ إذا ما مات صاحبه أودى به الوجْدُ والشُّكْلُ الطَّبِيعِيُّ  
إن ميتَ قبلك لا تعجبُ ، فذو أملٍ قد حُمَّ من دونه يومًا جهامِيُّ<sup>(٦)</sup>  
أومتَ قبلي فسا<sup>(٧)</sup> منعاك لي عجبُ إن الكريمِ إلى الأصحابِ منعيُّ  
زاد البلاءُ على نفسي فأعدمها صبري ، فصبري عليك اليومَ وحشيُّ<sup>(٨)</sup>  
حتى أهُمَّ بقتلي كلُّ داجيةٍ يا قومِ هل رامَ هذا قبلُ إنسيُّ ؟  
<sup>(٩)</sup> إني إلى الله من عُقبِي بليتُ بها جرى بها الحكمُ<sup>(٩)</sup> والأمرُ الإلهيُّ  
وقال أيضًا في علته تلك<sup>(١٠)</sup> :  
<sup>(١١)</sup> أقرَّ السلامَ على الأصحابِ أجمعهم وخصَّ عمرًا بأزكى<sup>(١١)</sup> نورِ تسليمِ

(١) وه ، ب : « ناية » (٢) وه : « مستور »

(٣-٣) وه في ب (٤-٤) وه في ب ، ت

(٥-٥) وه في ب ، ت (٦) هذا البيت ناقص في ب ، ت

(٧) وه : « فني » (٨) هذا البيت ناقص في ب ، ت

(٩-٩) وه في ب ، ت (١٠) هنا ينتهي خرم لب

(١١-١١) وه في ب ، لب ، ت



وقل له : يا أعزَّ الناسِ كلِّهمُ  
 (١) اللهُ جاركُ من ذِي مَنعَةٍ ظفرتُ  
 ما كان حُبُّكَ إِلَّا صَوْبَ غاديةِ  
 (٢) إن شاء صرفُ الرَّدَى تقدِيمَ أطوَعِنَا  
 وإن أحبَّ الثَّرَى جسمًا ليا كَلَهُ  
 (٣) عشنا [أليفين] في بَرِّ الهوى زمانًا  
 (٤) فشتتتْ نُوبُ الأيامِ ألفتنا  
 شخصًا على وأولاهمُ بتكريمِ  
 منه الليالي بعلق (١) غيرِ مذمومِ  
 طيبًا وحاشا لحُبِّي فيك من لومِ (٢)  
 فقد رضيتُ - حماك اللهُ - تقديمي  
 أسمحُ بجسمي له يفديك تعظيمي  
 حتى رقي بنوانًا (٣) طائرُ الشومِ  
 قسرًا ولم يُغنيها ظنِّي وتنجيمي

وكتب أيضًا إلى جماعةٍ من إخوانه في علته يومئذ :

هذا كتابي وكفَّ الموتِ ترعجني  
 إن أفضكم حَقِّكم من قلةِ عُمرِي  
 لهبني على نيراتٍ ما صدعتُ بها  
 فافرَّ السلامُ على المنصورِ أفضلِ مَنْ  
 واعطفَ بها عطفَةً تهتزُّ من كرمِ  
 عن الحياةِ وفي قلبي لكم ذِكرُ  
 إنِّي إلى الله لا حقٌّ ولا عُمرُ  
 إلَّا وأظلمُ من أضوائها القمرُ  
 سعى لثأرِ بني الإسلامِ فانتصروا  
 على المظفرِ فهو الفلحُ والظفرُ

وقال أيضًا في علته تلك :

تأملتُ ما أفنيتُ من طولِ مُدَّتِي  
 وحصلتُ ما أدركتُ من طولِ لذَّتِي  
 وما أنا إلا رهنُ (٥) ما قدمتُ يدي  
 (٦) سقى اللهُ فتيانًا (٦) كأنَّ وجوههمُ  
 فلم أره إلا كليمَةً ناظرِ  
 فلم أُلْفِه إلا كصفقةِ خاسرِ  
 إذا غادروني بين أهلِ المقابرِ  
 وجوهُ مصابيحِ النجومِ الزواهرِ

(٢) م : « بجي فيك للوم »

(٤-٤) م في ب ، لب ، ت

(٦-٦) م في ب ، لب ، ت

(١-١) م في ب ، ت ، لب

(٣-٣) م في ب ، لب ، ت

(٥) م : « أهل »

إذا ذكروني والثرى فوق أعظمي  
يقولون : قد أودى أبو عامر العلاء  
هو الموت لم يصر ف بأجراسِ خاطب  
ولم يجتنب للبطش مهجة قادر  
يحل عرس الجبار في دار ملكه  
وليس عجيباً أن تدانت منيتي  
ولكن عجيباً أن بين جوانحي  
يحر كني والموت يحفز<sup>(٣)</sup> مهجتي

وبلغني أن آخر شعر قاله يودع إخوانه هذه الأبيات :

أستودع الله إخواني<sup>(٤)</sup> وعشرتهم  
وفتية كنجوم القذف نيرهم  
وكون كبا لي منهم كان مغربه  
الله يعلم أتي ما أفارقه  
كنا أليفين خان الدهر ألفتنا  
فإن أعش فعلل الدهر يجمعنا  
لا ضيع الله إلا من يضيعه  
قد كان بردى إذا ما مسنى كلف

بكوا بعيون كالسحاب المواطر  
أقلوا فقدمًا مات أباه عامر !  
بليغ ، ولم يعطف بأنفاس شاعر  
قوي ، ولا للضعف مهجة صافر<sup>(١)</sup>  
ويهفو بنفس الشارب المتساكر  
يصدق فيها أولى أمر<sup>(٢)</sup> آخري  
هوى كشرار الجرة المتطائر  
ويهتأجني والنفس عند حناجرى

(١) وه : « صابر »

(٢) ب ، ت ، لب : « أول الأمر »

(٣) ب ، لب : « يحفز »

(٤) ب ، ت : « أصحابي »

(٥) هذا البيت ناقص في وه . لم يقع هذا البيت والذي ياله إلا في وه

(٦) كذا بالأصل ، وفي البيت بعض غموض

(٧)

حتى رمتنا صروف الدهر عن كسبٍ ففرقتنا ، وهل من صرّفه وافي؟<sup>(١)</sup>  
إني لأزمتُهُ والموتُ يَضْعُطُنِي فَأَقْتَضِي فُرْجَةً مُرْتَدَّ أَرْمَاقِي  
ثم أوصى أن يُدفنَ بجانبِ صديقه أبي الوليد الزجّالي ، ويُكتبَ على قبره  
في لوحِ رُخامٍ هذا النثرُ والنظمُ :

بسم الله الرحمن الرحيم « قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ أَتَمَّ عَنْهُ مُعْرِضُونَ<sup>(٢)</sup> » هذا قبرُ  
أحمد بن عبد الملك بن شهيد المذنب ، مات وهو يشهدُ أن لا إله إلا الله ، وحدهُ  
لا شريك له ، وأن محمداً عبدهُ ورسوله ، وأن الجنةَ حقٌّ ، وأن النارَ حقٌّ ، وأن  
البعثَ حقٌّ ، وأن الساعةَ آتيةٌ لا ريبَ فيها<sup>(٣)</sup> ، وأن الله يبعثُ من في القبور<sup>(٣)</sup> .  
مات في شهرٍ كذا من عامٍ كذا . ويكتبُ تحتَ هذا النثرِ هذا النظمُ :

يا صاحبي قم فتمد أطلنا أنحن طول المدى هجود؟  
فقال لي : لن نقوم منها ما دام من فوقنا الصعيدُ  
تذكر كم ليلة لهونا في ظلها والزمان عيْدُ؟  
وكم سرور همي علينا سحابة ثرة تجود؟  
كل كان لم يكن تقضى وشوئمه حاضر عتيْدُ  
حصّله كاتب حفيظ وضمه صادق شهيدُ  
يا ويلنا إن تنكبتنا رحمة من بطشه شديدُ  
يارب عفوا فانت مولى قصّر في أمرك العبيدُ

يَنْظُرُ قَوْلُهُ : « لَنْ نَقُومَ مِنْهَا » ، الْبَيْتُ ، إِلَى قَوْلِ ابْنِ الْمَعْتِزِ<sup>(٤)</sup> يَصِفُ أَهْلَ الْقُبُورِ :  
وَسَكَانِ دَارٍ لَا تَزَاوِرُ بَيْنَهُمْ عَلَى قُرْبٍ بَعْضٍ فِي الْمَحَلَّةِ مِنْ بَعْضٍ

(١) هذا البيت ناقص في م

(٢-٣) م في ب (٤) راجع ديوانه ص ٣٣٨

(٢) راجع سورة ٣٨ : ٦٧

كأنَّ خواتيماً من الطَّيْنِ فوقَهُمْ فليسَ لها حتى القيامة من فضِّ  
 (١) وما أرى أبا عامرٍ إلا نقله من قولِ المعرِّي (٢) في رثاءِ أمِّه حيثُ يقولُ :  
 سَأَلْتُ : متى اللقاءُ ؟ فقيلَ : حتى يقومَ الهامِدُونَ مِنَ الرَّجَامِ ! (١)  
 قالوا : وكان أبو عامر كثيراً ما كان يخشى صعوبة الموتِ ، وشدة السَّوْقِ ،  
 فَيَسَّرَ اللهُ عليه ، وما زال يتكلمُ ويرغبُ إلى الله أن يرفقَ به ، ويكثرُ من  
 ذكرِهِ ، وقد أيقن بفراقِ الدُّنيا إلى أن ذهبتُ نفسه رَحِمَهُ اللهُ يومَ الجمعةِ آخرَ  
 يومٍ من جُمادى الأولى سنةٍ ستِّ وعشرينَ وأربعائة . ولم يُشهِدْ على قبرِ أحدٍ  
 ما شهِدَ على قبرِهِ من البكاءِ والعيولِ ، وأنشدَ على قبرِهِ من المراثي جملةً موفورةً  
 لطوائفَ كثيرةٍ ، منها قولُ أبي الأصبغِ القرشيِّ من قصيدةٍ يقولُ فيها :

شَهِدْنَا غَرِيبَاتِ الْمَكَارِمِ وَالْعُلَا ١٠  
 وَمَا زَالَ أَهْلُ الدِّينِ وَالْفَضْلِ وَالتَّقَى  
 أُرِيدُ بِسُقْمِيَا الْغَيْثِ إِحْيَاءَ (٣) حُمْرَةِ  
 وَلَمْ أَرِ مِثْلِي بَاتَ مُسْتَسْقَى الْحَيَا  
 فَأَيُّ جَمَالٍ صَارَ فِي قَبْضَةِ الثَّرَى  
 وَأَيُّ قَنَاءَةٍ فِي طَلِي الْأَرْضِ غُيِّبَتْ ١٥  
 بِنَفْسِي الَّذِي أَوْدَى وَأَنْشَأَ لِلنَّدَا  
 أَبَا عَامِرٍ ، بَعْدَ لَسْتِهِمْ مَصِيبَةٍ  
 لَقَدْ فُتَّ فِي نَشْرِ الْفَضَائِلِ يَاقَعَا  
 وَأَظْهَرَ عَلَيْكَ الْمَكَرَمَاتُ جِيوبَهَا  
 تُبَكِّي عَلَى قَبْرِ الشَّهِيدِ أَحْمَدَا  
 عُكُوفًا بِهِ حَتَّى حَسِبْنَاهُ مَسْجِدَا  
 كَدَرْنَا بِهَا (٤) نَجْمَ الْعُلَا الْمُتَوَقِّدَا  
 لِمَاءِ حَيَاءٍ كَانَ يَشْفِي مِنَ الصَّدَا  
 وَأَيُّ بَهَاءٍ قَدْ طَوَّهَتْهُ يَدُ الرَّدَى !  
 وَأَيُّ حُسَامٍ فِي حَشَا الْقَبْرِ أُعْمِدَا !  
 حَمَامًا عَلَى دَوْحِ الْعِلَاءِ مُغْرَدَا  
 رَمَاكَ بِهِ (٥) رَيْبُ الْمُنُونِ فَأَقْصَدَا  
 وَبَرَّزَتْ فِي جَمْعِ الْمَكَارِمِ أَمْرَدَا  
 وَأَظْهَرَ فِيكَ الْمَجْدُ خَدًّا مُحَدَّدَا

(١-١) نه في و (٢) راجع سقط الزند (ج ٢ ص ٨٩)

(٣) ب، ت : « أحشاء » (٤) ب : « به » (٥) و : « بها »

ومنه قولُ أبي حفص ابن بُرْد الأصغرِ من قصيدةٍ أولها :

- بفِيكَ التُّرْبُ مِنْ نَاعٍ نَعَانِي      نَعَى غَيْرِي إِلَيَّ وَمَا عَدَانِي  
وكَيْفَ وَلَمْ يَسِلْ طَرْفِي بدمعِ      عَلَيْهِ ، وَلَمْ يُجَنَّ لَهُ جَنَانِي  
لأَيَّةِ حَصَلَةٍ تَبْكِيكَ عَيْنِي      وَمَالِي بِالْحِسَابِ لَهَا يَدَانِ  
أَللَّهُمَّ الْمَنُوطَةَ بِالثَرِيًّا      أَمْ الشِّمِّ الْمَهْدَبَةَ الْحَسَانِ؟  
أَمْ السَّكْرَمِ الَّذِي مازَالَ يَجْرِي      مَعَ الْأَنْوَاءِ فِي طَلْقِ الرَّهَانِ؟  
أَمْ الْقَلَمِ الَّذِي قَدْ كَانَ <sup>(١)</sup> يَجْنِي      مِنَ الْقِرطَاسِ نُورَ الْبَيَانِ؟  
أَمْ الرَّأْيِ الَّذِي مازَالَ يُغْنِي      عَنِ السِّيفِ الْمَهْنَدِ وَالسَّنَانِ؟  
شَهِدْتُ لَقَدْ أُصِيبَ بِنُوشِ شُهَيْدِ      بِقَاطِعَةِ السَّوَاعِدِ وَالْبَنَانِ  
بِهِ دَرَجُوا مِنَ الدُّنْيَا فَبَاوُوا      وَكُلُّ مَا خَلَا الرَّحْمَنَ فَانِي

فصل <sup>(٢)</sup> في ذكر ذى الوزارتين الكاتب أبي الوليد

ابن زيدون ، واجتلاب عيون من أخباره ،

ونصوص <sup>(٣)</sup> من رسائله وأشعاره .

- قال أبو الحسن : كان أبو الوليد صاحب <sup>(٤)</sup> منشورٍ ومنظوم ، وخاتمة شعراء مخزوم ، أحد من جرَّ الأيام جرًّا ، وفات الأنام طرًّا ، وصرَّف السلطان نفعًا وضرًّا ، ووسَّع البيانَ نظمًا ونثرًا ؛ إلى أدب ليس للبحر تدفُّقه ، ولا للبدر تألُّقه . وشعرٍ ليس للسحر بيانُه ، ولا للنجوم الزُّهرِ اقتراهُ . وحظٌّ من النثرِ غريبِ المباني ، شعريِّ الألفاظِ والمعاني .

(١) وه : « كاد »

(٢) هنا ينتهى خرم .

(٣) ب ، ت : « وفصوص »

(٤) ب ، لب ، وه : « غاية »

حدثني<sup>(١)</sup> غير واحد من وزراء إشبيلية قال : لما خلص ابن عبد البر من يد عبّاد ، خلوص الفرزدق من يد زياد ، بقيت حضرته من أهل هذا الشان ، أعرى من ظهر الأفعوان ، وأخلى من صدر الجبان . فهم يوماً باستخلاف أبي محمد الباجي المشهور أمره ، الآتي في القسم الثاني من هذا الكتاب<sup>(٢)</sup> ذكره ، فكان أبو الوليد غصّ بذلك ، وواطأ أبا محمد ابن الجدّ على الإشارة بالاستغناء عما هنالك ، فكانت الكتب تُنفذ<sup>(٣)</sup> من إنشاء أبي الوليد إلى شرق الأندلس ، فيقال تأتي من إشبيلية كتب هي بالمنظوم<sup>(٤)</sup> أشبه منها بالمشور .

قرأت في كتاب أبي مروان ابن حيان ، وقد أجرى ذكر من اصطنع ابن جهور من رجال دولته فقال :

ونوه أيضاً بفتى الآداب وعمدة الظرف ، والشاعر البديع الوصف والرصف ، أبي الوليد أحمد بن زيدون ذي الأبوّة النبيلة<sup>(٥)</sup> بقرطبة ، والوسامة والدراية وحلاوة المنظوم والسلطة وقوة العارضة والافتنان في المعرفة . وقدمه إلى النظر على أهل الذمّة لبعض الأمور المعترضة ، وقصره بعد على مكانه من الخاصة والسفارة بينه وبين الرؤساء ، فأحسن التصرف في ذلك ، وغلب على قلوب الملوك .

قال أبو مروان : وكان أبو الوليد من أبناء وجوه الفقهاء بقرطبة في أيام

(١) ب ، لب ، وه : « أخبرني » (٢) ب ، لب ، وه : « الديوان »

(٣) ر : « تأتي تنفذ » (٤) ب ، ت ، لب ، وه : « بالنظم الخطير »

(٥) وه : « السنية »

- الجماعة والفطنة ، وفرع أدبه ، وجاد شعره ، وعلا شأنه ، وانطلق لسانه ، فذهب به العجب كل مذهب ، وهون عنده كل مطلب . وكان علقه من عبد الله بن أحمد بن المكوي<sup>(١)</sup> أحد حكام قرطبة ظفروا أحجن أذاه إلى السجن فألقى نفسه يومئذ على أبي الوليد ابن جهور في حياة والده أبي الحزم ، فشفع<sup>(٢)</sup> له وانتشله من نكبتة ، وصيره في صنائعه . ولما ولي الأمر بعد والده نوه به وأسنى خطته ، وقدمه في الذين اصطنعهم<sup>(٣)</sup> لدولته ، وأوسع راتبه ، وجلله كرامة لم تقنعها ، زعموا . واتفق أن عن له مطلب بحضرة إدريس بن علي الحسيني بمالقة فأطال الثواء هنالك . واقترب من إدريس ، وخف على نفسه ، وأحضره مجالس أنسه . فعتب عليه ابن جهور<sup>(٤)</sup> ، وصرفه عن ذلك التصرف قبل قوله ، ثم عاد إلى جميل رأيه فيه<sup>(٤)</sup> ، وصرفه في السفارة بينه وبين رؤساء<sup>(٥)</sup> الأندلس فيما يجرى بينهم من التراسل والمداخلة ؛ فاستقل بذلك لفضل ما أوتيته من اللسن والعارضة ، فاكتسب الجاه والرفعة<sup>(٦)</sup> ، ولم يبعد في ذلك من التهاوت في الترقى لبعد الهمة ، فهو ي عمّا قليل إلى عبّاد صاحب إشبيلية . اجتذبه إلى ذلك فهاجر عن وطنه إليه ، ونزل في كنفه ، وصار من خواصه وصحابه ، يجالس في خلواته ، ويسفر<sup>(٧)</sup> له في مهمّ رسائله على حال من التوسعة . وكان ذهابه إلى عبّاد سنة إحدى وأربعين وأربعمائة ،<sup>(٨)</sup> فخلا بالحضرة مكانه ، وكثر الأسف عليه . انتهى كلام ابن حيان<sup>(٨)</sup> .

(١) و ، ب ، ت : « المكوي » (٢) و ، ب ، ت : « فشفع »

(٣) ب ، لب ، و : « اصطنع » (٤-٤) و في ب ، ت ، لب ، و

(٥) ب ، ت ، لب ، و : « أمراء » (٦) ب ، ت ، لب ، و : « والمنفعة »

(٧) و : « ويرسل » (٨-٨) و في ب ، ت ، لب ، و

قلت : فأما سَعَةُ ذَرَعِهِ ، وتدْفُقُ طَبِيعِهِ ، وغَزَارَةُ بَيَانِهِ ، ورقةٌ حَاشِيَةٌ لِسَانِهِ ،  
فَالضُّبْحُ الَّذِي لَا يُنْكَرُ وَلَا يُرَدُّ ، والرَّمْلُ الَّذِي لَا يُحْصَرُ <sup>(١)</sup> وَلَا يُعَدُّ .

أخبرني من لا أدفعُ خبره من وزراءِ إشبيلية قال : لعهدى باني الوليدِ  
قائماً على جنازةِ بعضِ حُرَمِهِ ، والناسُ يُعزُّونه على اختلافِ طبقاتِهِمْ ، فما سَمِعَ  
يُجيبُ رجلاً منهم بما أجاب به آخرُ الحُضُورِ جَنَانِهِ ، وَسَعَةِ مِيدَانِهِ .

وقد أخرجتُ من أشعارِهِ التي هي حُجُولٌ وغُرَرٌ ، ونوادِرِ أخبارِهِ التي هي  
مَآثِرٌ وأَثَرٌ ، ورسائلُهُ التي أخرستُ ألسنةَ الحَقْلِ ، <sup>(٢)</sup> واستوتفت أمدَ المنطقِ  
الجزلِ ، ما يسرُّ الآدابَ ويصورُها ، ويستخفُّ الألبابَ ويستطيرُها <sup>(٣)</sup> .

جملةٌ من نثرِهِ ، مع ما ينخرطُ في سلكِ ذلك من شعرِهِ

له <sup>(٤)</sup> من رقعةٍ خاطبَ بها ابنَ جهورٍ من موضعٍ اعتقالِهِ يقولُ فيها :  
يا مولاي وسيدي الذي ودادي له ، واعتدادي به ، واعتدادي عليه ، أبقاك الله  
ماضيَ حدِّ العزمِ ، وإري زندي الأملِ ، ثابتَ عهدِ النعمة . إن سلبتني —  
أعزك الله — لباسَ إنعامِك ، وعطلتني من حليِّ إيناسِك ، وغَضَضت عني طرفَ  
حاميتك ، بعد أن نظرتُ الأعمى إلى تأميلي لك ، وسمع [ الأصم ] ثنائي عليك ،  
وأحسنَ الجمادِ ياسنادي إليك ، فلا غرو فقد يغصُّ بالماءِ شارُبُهُ ، ويقتلُ الدواءَ  
المستشفى به ، ويؤوي الحذرُ من مأمِنِهِ ، وإني لأتجلدُ فأقول : هل أنا إلا يدُ  
أدماها سوارها ، وجبينُ عضه إكليله ، ومشرقي الصقهِ بالأرضِ صاقله ،

(١) و ، ب : « لا يحصى »

(٢-٢) نه في ب ، ت ، لب ، و ، وبلى كلمة « الحقل » في هذه النسخ الأربعة

العبارة الآتية : « وكيف يصح ذلك وهو منقول عن عمر رضي الله عنه »

(٣) هذا الفصل من الرسالة لم يقع إلا في ر



وسَمَّهِي عِرْضَهُ عَلَى النَّارِ مَتَّفَعُهُ؟ وَالْعَتَبُ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ ، وَالنَّبُوءَةُ غَمْرَةٌ تَنْجَلِي ،  
وَالنَّكْبَةُ « سَحَابَةٌ صَيْفٍ عَنِ قَرِيبٍ تَقْشَعُ » . وَسَيْدِي إِنْ أَبْطَأَ مَعْدُورٌ  
وَإِنْ يَكُنِ الْفَعْلُ الَّذِي سَاءَ رَاحِدًا فَأَفْعَالُهُ اللَّائِي سَرَزْنَ أَلُوفُ

وليت شعري ما الذنب الذي أذنبت ولم يسعه العفو؟ ولا أخلو من أن  
أكون بريئا ، فأين العدل؟ أو مسيئا ، فأين الفضل؟ وما أراني إلا لو أمرت  
بالسجود لآدم فأبئت ، وعكفت على العجل ، واعتديت في السبت ، وتعاطيت  
فعمرت ، وشربت من النهر الذي ابتلي به جنود طالوت ، وقلدت لأبرهة الفيل ،  
وعاهدت قريشا على ما في الصحيفة ، وتأولت في بيعة العقبة ، ونفرت إلى  
العير بيدر ، وانحزلت بثلث الناس يوم أحد ، وتخلفت عن صلاتي في بني قريظة ،  
وأنت من إماره أسامة ، وزعمت أن خلافة الصديق فلتة ، « ورويت رومي  
من كتبه خالد » ، وضحيت بالأشمط الذي عنوان السجود به ، لكان فيما جرى  
علي ما يحتمل أن يسمى نكالا ، ويدعى ولو على الجاز عقابا ،

وحسبك من حادث بامري ترى حاسديه له راحينا  
فكيف ولا ذنب إلا نيمة أهداها كاشح ، ونبا جاء به فاسق؟ والله  
ما غششتك بعد النصيحة ، ولا انحرفت عنك بعد الصاغية ، ولا نصبت لك  
بعد التشيع فيك ، فقيم عبت الجفاء بأذمتي ، وعاث في مودتي ، وأني غلبي  
المغلب ، وفخر على الضعيف ، ولطمتني غير ذات سوار؟ ومالك لا تمنع مني  
قبل أن أفتس ، وتدركني ولما أمرق ، وقد زانني اسم خدمتك ، وأنلت  
الجميع من ساطك ، وقت المقام المحمود على بساطك؟

ألسنت الموالى فيك نظم قصائد هي الأنجم اقتادت مع الليل أنجما؟  
وهل لبس الصباح إلا برداً طرزته بمحامدك ، وتقلدت الجوزاء إلا عقداً

فصَلَّتْهُ بِمِشَاعِرِكَ ، وَفَتَّ الْمَسْكَ إِلَّا حَدِيثًا أذَعْتُهُ بِمِفَاخِرِكَ ، وَمَا يَوْمٌ حَلِيمَةٌ بِسِرِّ ،  
وَحَاشَ لِلَّهِ أَنْ أُعَدَّ مِنَ الْعَامِلَةِ النَّاصِبَةِ ، وَأَكُونَ كَالذُّبَالَةِ الْمَنْصُوبَةِ تَضِيءُ لِلنَّاسِ  
وَهِيَ تَحْتَرِقُ .

وفي فصلٍ منها :

١٥ ولعمري ما جهلتُ أنَّ الرأىَ في أنَّ أتحوَّلَ إذا بلغتني الشمسُ ، ونبايَ  
المنزلِ ، وأضربَ عن المطامعِ التي تقطعُ أعناقَ الرجالِ ، ولا أستوطئُ العجزَ  
فيضربُ بي المثلُ : خامري أم عامر . وإني مع المعرفةِ بأنَّ الجلاءَ سبَاءٌ <sup>(١)</sup> ، والثقلَةُ  
مُثَلَّةٌ ، لعارِفُ أنَّ الأدبَ الوطنُ الذي لا يُخشى فراقه ، والخليطُ الذي لا يُتوقعُ  
زيالُهُ <sup>(٢)</sup> ، والنسبُ الذي لا يُجفَى <sup>(٣)</sup> ؛ أينا توجهَ وردَ أعذبَ منهلٍ <sup>(٤)</sup> ، وخطَّ  
١٠ في جنابِ قبولٍ <sup>(٥)</sup> ، وضوحك قبلَ إنزالِ رحلِهِ ، وأعطيتُ حُكْمَ الصَّيِّ عَلَى أَهْلِهِ ،  
وقيلَ له أهلاً وسهلاً ومرحباً فهذا مبيتٌ صالحٌ وصديقٌ <sup>(٦)</sup>

غيرَ أنَّ الوطنَ محبوبٌ ، والمنشأُ مألوفٌ ، واللبيبُ يحنُّ إلى وطنه ، حنينَ  
النَّجِيبِ <sup>(٧)</sup> إلى عَطْنِهِ ، والكرِيمُ لا يجفُو أرضاً بها قوابلهُ ، ولا ينسى بلداً فيه  
مراضعُهُ ، قال الأولُ :

١٥ أَحَبُّ بِلَادِ اللَّهِ مَا بَيْنَ مَنَعِجٍ إِلَى وَسَلَهَى أَنْ يَصُوبَ سَحَابُهَا  
بِلَادٌ بِهَا عَقَّ الشَّبَابُ تَمَائِمِي وَأَوَّلُ أَرْضِ مَسِّ جَلْدِي تُرَابُهَا  
مع مَعَالَتِي بَعْلُو <sup>(٨)</sup> جِوَارِكِ ، وَمِنَافَسَتِي فِي الْحِظِّ مِنْ قَرَبِكَ ، وَاعْتِقَادِي أَنْ

- (١) ب ، ت ، لب : « سبأ » (٢) - ، ت ، لب ، وه : « زواله »  
(٣) ب ، لب ، وه : « لا يخشى » (٤) ب ، ت ، لب ، وه : « ورد منهل بر »  
(٥) ب ، ت ، لب : « فنزل » (٦) ب ، ت ، لب ، وه : « ومقيل »  
(٧) وه : « الناب » (٨) ب ، ت ، لب ، وه : « تعلق »

الطمع في غيرك طبع ، والغنى من سواك عناء ، والبذل منك عوز ، والعوض لفاء ،  
 وإذا نظرتُ إلى أميرِي زادني ضنًّا<sup>(١)</sup> به نظري إلى الأمراء  
 وكلُّ الصيدِ في جوفِ الفرا ، وفي كلِّ شجرٍ نار ، واستمجد العرخُ والعقار .  
 فما هذه البراءة<sup>(٢)</sup> ممن يتولّاك ، والميلُ عمن يميلُ إليك ؛ وهلاً كان هواك فيمن  
 هواه فيك ، ورضاك لمن رضاه لك !

يا من يعزُّ علينا أن نفارقهم وجداننا كلَّ شيءٍ بعدكم عدم<sup>(٣)</sup>  
 أعيذك ونفسي أن أشيمَ خلْبًا ، وأستمطرَ جهاما ،<sup>(٤)</sup> وأكدمَ غيرَ  
 مكدم<sup>(٥)</sup> ، وأشكوا « شكوى الجريحِ إلى العقبانِ والرخمِ »<sup>(٤)</sup> . وإنما أبسنتُ  
 بك لتدبر ، وحرَّكتُ لك الحوَارَ لتجن ، ونهيتُك لأنام ، وسريتُ إليك  
 لأحمد الشرى لديك ، بعد اليقين أنك إن سنيتَ عقدَ امرِي تيسر ، ومتى  
 أعدرتَ في فكِّ أسري لم يتعدر ، وعلمكُ محيطُ بأنَّ المعروفَ ثمرةُ النعمة ،  
 والشفاعةُ زكاةُ المروءة ، وفضلُ الجاهِ ، تعودُ به ، صدقة .

وإذا امرؤٌ أهدى إليك صنيعَةً من جاهِهِ فكانها من مالِهِ<sup>(٦)</sup>  
 لعلِّي ألقى العصا بذراك ، وتستقرُّ بي النوى في ظلك ، فتستلذَّ جنِّي شكرِي  
 من غرسِ عارفتك ، وتستطيبَ عَرَفَ ثنائي من رَوْضِ صنيعتك ،<sup>(٧)</sup> فأستأنفَ  
 التأذِبَ بك ، والاحتيالَ على مذهبيك ، فلا أوجدُ للحاسدِ مجالَ لحظة ، ولا أدعُ  
 للقادحِ مساعَ لحظة ، والله شهيدُك من إطلائي بهذه الطلبة ، وإشكائي من هذه<sup>(٧)</sup>

(١) ب ، لب ، وه ، « ظنا » (٢) ر : « البذاءة »

(٣) راجع ديوان المتنبي (ج ٣ ص ٢٦٣)

(٤-٥) ه في ر (٥) وه ، ب ت ، لب : « وأكرم غير مكرم »

(٦) راجع ديوان أبي تمام ص ٢١٣ (٧-٧) ه في ر

(١) الشكوى ، لصنعة تُصِيبُ بها طريق المصنع ، وقد تستودعها أحفظ مُستودع (١) ،

(٢) حسباً أنتَ خَلِيقٌ له ، وأنا منك حَرِيٌّ به ، فذلك بيدك ، وهَيِّنْ عَلَيْكَ (٢) .

(٣) ولما تَوَالَتْ غُرُرُ هذا النثر ، واتسعت دُرُرُهُ (٣) ، فهزَّ عَطْفَ غُلُوَانِهِ ، وجرَّ

ذيلَ خِيَالِهِ ، عارضه النظمُ مُباهياً ، بل كأيده مُدَاهِياً ، حينَ (٤) أَشْفَقَ مِنْ

أَنْ يَعْطِفَكَ (٥) استعطفه ، وتميلَ بنفسِكَ الطافه ، فاستحسن العائدة منه ،

واعتمدَ بالفائدة له ، وما زالَ يَسْتَكْرِهُ (٦) الذَّهْنَ العَلِيلَ ، والخاطرَ الكَلِيلَ ، حتى

زَفَّ إِلَيْكَ مِنْهُ عَرَساً مَجْلُوءَةً فِي أَثْوَابِهَا ، منصوصةً بِحُلِيِّهَا وَمَلَابِهَا ، وهامِي (٧) :

الهُوَى فِي طُلُوعِ تِلْكَ النُّجُومِ وَالنُّمَى فِي هُبُوبِ ذَاكَ النَّسِيمِ

سَرْنَا عَيْشُنَا الرَّقِيقُ الحِوَاشِي لَوْ يَدُومُ السَّرُورُ لِمَسْتَدِيمِ

١٠ ومنها :

وَطَّرَ مَا انْتَقَضَى إِلَى أَنْ تَقَضَى زَمَنٌ مَا زِمَامُهُ بِالنَّمِيمِ

زَارَ مُسْتَخْفِيًا وَهَيْهَاتَ أَنْ يَخُ فِي سُرَى البَدْرِ فِي الظَّلَامِ البَهِيمِ

فَوَسَّى الحَلِيَّ إِذْ مَشَى وَهَفَا الطَّيِّ بٌ إِلَى حِسِّ كاشِحٍ بِالنَّمِيمِ

أَيُّهَا المُوْذِنِي بِظِلْمِ اللِيَالِي لَيْسَ يَوْمِي بِوَاحِدٍ مِنْ ظُلُومِ (٨)

مَا تَرَى البَدْرَ إِنْ تَأَمَّلْتَ وَالشَّمَّ سُهُمَا (٩) يُكْسِفَانِ دُونَ النُّجُومِ؟

وَهُوَ الدَّهْرُ لَيْسَ يَنْفَكُ يَنْحُو بِالمَصَابِ العَظِيمِ نَحْوَ العَظِيمِ

١٥

(١-١) نه في ر (٢-٢) نه في ب ، ت ، لب ، ر

(٣-٣) نه في ب ، لب (٤) ب ، ت ، لب ، وه : « حتى »

(٥) وه : « يستعطفك » (٦) لب ، وه : « يستنكر »

(٧) ب ، لب ، وه : « وهي هذه الأيات » (٨) ب : « بواحد مظلوم »

(٩) ب ، ت ، لب ، ر : « كما »

بِوَأَ اللَّهِ جَهْورًا شَرَفَ السُّؤُ  
وَاحِدٌ سَلَّمَ الْجَمِيعُ لَهُ الْفَضُّ  
دُدٍ فِي السَّرِّ وَاللِّبَابِ الصَّمِيمِ-  
لَفَكَانَ الْخُصُوصُ فَوْقَ<sup>(١)</sup> الْعُمُومِ-  
وَكَتَفَى جَاهِلٌ بِعِلْمِ عَلِيمِ-  
ومنها<sup>(٢)</sup> في ذكر اعتقاله<sup>(٢)</sup> :

سَقَمٌ لَا أَعَادُ مِنْهُ وَفِي الْعَا  
نَارُ بَغْيِ سَرْتِ إِلَى جَنَّةِ الْأَزْ  
بِأَبِي أَنْتَ إِنْ تَشَأْ تَكُ بَرْدًا  
لِلشَّفِيعِ الْعَنَاءِ ، وَالْحَمْدُ فِي صَوِّ  
بِدِ أَنْسُ يَنْفِي بَبْرُءِ السَّقِيمِ-  
ضِ بَيَانًا فَأَصْبَحْتُ كَالصَّرِيمِ-  
وَسَلَامًا كِنَارِ إِبْرَاهِيمِ<sup>(٣)</sup>-  
بِ الْحَيَا لِلرِّيَّاحِ لَا لِلغُيُومِ-  
وبعد تمام هذه القصيدة : ها كها - أغزك الله - يسطها الأمل ،  
ويقبضها الخجل ، لها ذنبُ التقصير ، وحرمة الإخلاص ، فهب ذنباً لحرمة<sup>(٤)</sup> ،  
واشفع نعمة بنعمة ، لتأتي الإحسان من جهاته ، وتسلك إلى الفضل طرقاته  
إن شاء الله .

وهذا البيت الأخير ، إلى معني بيت البحترى<sup>(٥)</sup> يشير :  
حَارَّ حَمْدِي ، وَلِلرِّيَّاحِ اللُّوَاتِي  
تَجَلِبُ الغَيْثَ مِثْلُ حَمْدِ الغُيُومِ-  
وأخذه البحترى من قول أبي تمام<sup>(٦)</sup> :  
وَإِذَا امْرُؤٌ أَهْدَى إِلَيْكَ صَنِيعَةً  
مِنْ جَاهِهِ فَكَانَهَا مِنْ مَالِهِ  
وَقَوْلُهُ : « سَقَمٌ لَا أَعَادُ مِنْهُ » ، البيت ، من قول علي بن الجهم :  
بَيْتٌ يُجَدِّدُ لِلْكَرِيمِ كِرَامَةً  
وَيُرَارُ فِيهِ وَلَا يَزُورُ وَيُحْفَدُ

(١) ب ، ت ، لب ، وه : « وفق »  
(٢) لم يقع هذا البيت إلا في  
(٣) وه : « للحرمة »  
(٤) راجع ديوان البحترى (ج ٢ ص ١٣)  
(٥) راجع ديوانه ص ٢١٣  
(٦) (٣٨)

وله أيضاً في ابن جهور ، وكتب بها من السجن :

ما جالَ بعدك لحظي في سنا القمرِ  
ولا استطلتُ ذمَاءَ الليلِ من أسفِ  
في نشوةٍ من سناتِ الوصلِ موهمةٍ  
يا ليتَ ذلكَ السوادَ الجونَ مُتَّصِلُ  
أما الضنى فجننته لحظة عين  
فهمتُ معنى الهوى من وحي طرفك لي  
إلا ذكرتك ذكرك العين بالأثر  
أن لا على ليلة سرت<sup>(١)</sup> مع القصرِ  
أن لا مسافة بين الوهن والسحرِ  
قد استعار سواد القلب والبصرِ  
كأنها والردي جاء على قدر  
إن الجوار لمفهوم<sup>(٢)</sup> من الحورِ

ومنها :

من يسأل الناس عن حالي فشاهدوها  
لم<sup>(٣)</sup> تطوب برد شباني كبرة ، وأرى  
قبل الثلاثين إذ عهد الصبا كتب  
يا للرزايا لقد شافهت منهلها  
لا يهني الشامت المرتاح خاطره  
هل الرياح بنجم الأرض عاصفة  
إن طال في السجن إيداعي فلا تحب  
وإن يُثبَّط أبا الحزم الرضا قدر  
من لم أزل من تائبه على ثقة  
وزير سلم كفاه يمن طائرته  
محض العيان الذي يغني عن الخبر  
برق المشيب اعتلى في عارض الشعر  
وللسببية غصن غير مهتصر<sup>(٤)</sup>  
عمرًا فما أشرب المكروة بالغمر !  
أني معني الأماني ضائع الخطر  
أم الكسوف لغير الشمس والقمر ؟  
قديم دوع الجفن حد الصارم الذكرك  
عن كشف ضربي فلا عتب على القدر  
ولم أبت من تجنيه على حذر  
شوم الحروب ورأي محصد المرر

(١) وه : « سارت »

(٢) لب : « عصر غير مهتصر »

(٣) في جيم النسخ « إن »

- أَغْنَتْ قَرِيحَتُهُ مَعْنَى تَجَارِبِهِ وَنَابَتِ اللَّمْحَةُ الْعَجَلَى عَنْ (١) الْفِكْرِ (٢)
- كَمْ اشْتَرَى بِكَرْمِي عَيْنِيهِ مِنْ سَهَرٍ! هُدُوهُ عَيْنِ الْهُدَى (٣) فِي ذَلِكَ السَّهَرِ
- فِي حَضْرَةِ غَابِ صَرْفِ الدَّهْرِ خَشِيَّتَهُ عَنْهَا ، وَنَامَ (٤) الْقَطَأُ فِيهَا وَلَمْ يُبْثِرْ
- حُرِمَتْ مِنْهُ وَحُظَّ النَّاسُ كُلُّهُمْ لَهَذِهِ الْعِبْرَةُ الْكُبْرَى مِنَ الْعِبَرِ (٥)
- وَكَنتُ أَحْسَبُنِي وَالنَّجْمَ فِي قَرْنٍ فَفِيمَ أَصْبَحْتُ مَنْحَطًا إِلَى الْعَفْرِ ٥
- أَحِينَ رَفَّ عَلَى الْآفَاقِ مِنْ أَدْبِي غَرَسَ لَهُ مِنْ جَنَاهُ يَانِعُ الثَّمَرِ
- وَسِيْلَةٌ سَبَبٌ إِلَّا تَكُنْ نَسَبًا فَهُوَ الْوِدَادُ صَفًا مِنْ غَيْرِ مَا كَدَرَ (٦)
- يَا زَهْرَةَ الزَّهْرِ حَيًّا وَهُوَ إِنْ فَنِيَتْ حَيَاتُهُ زِينَةُ الْآثَارِ وَالسَّيْرِ
- لِي فِي اعْتِمَادِكَ فِي التَّامِيلِ سَابِقَةٌ وَهَجْرَةٌ فِي الْهَوَى أَوْلَى مِنَ الْمُهْجَرِ
- هَلْ مِنْ سَبِيلٍ ، فَمَا الْعَتَبُ لِي أَسْنُ ، إِلَى الْعَذُوبَةِ مِنْ عُنْتَابِكَ وَالْخَصْرِ ١٠
- لَا تَلُهُ عَنِّي فَلَمْ أَسْأَلْكَ مَعْتَسِفًا رَدَّ الصَّبَا غِيبًا إِيْفَاءً عَلَى الْكِبَرِ
- فَاشْفَعْ أَوْ كُنْ مِثْلَ مَمْطُورٍ بِبِلَدَتِهِ جَذْلَانًا بِالْوَطَنِ الْمَأْلُوفِ وَالْمَطَرِ (٧)
- (٨) قَوْلُهُ : « قَدْ اسْتَعَارَ سَوَادَ الْقَلْبِ وَالْبَصْرَ » لَفْظُ الْمَعْرَى (٩) حَيْثُ يَقُولُ :
- يَوَدُّ أَنْ ظَلَامَ اللَّيْلِ دَامَ لَهُ وَزَيْدٌ فِيهِ سَوَادُ الْقَلْبِ وَالْبَصْرِ (٨)

(١) فِي جَمِيعِ النُّسخِ : « عَلَى » (٢) لَمْ يَقَعْ هَذَا الْبَيْتُ فِي ر

(٣) ب ، ت ، لب ، وه : « السرى » (٤) ب ، ت ، لب : « وبات »

(٥) هَذَا الْبَيْتُ وَالْأَبْيَاتُ السَّتَّةُ الَّتِي تَلِيهِ نَاقِصَةٌ فِي ر

(٦) لَمْ يَقَعْ هَذَا الْبَيْتُ إِلَّا فِي وَه ، لب ، ب

(٧) ب ، ت ، لب ، وه : « والوطر » (٨-٨) وه فِي ب ، لب ، ت

(٩) رَاجِعْ سَقَطَ الزُّنْدِ (ج ١ ص ٣١)

وقوله : « هل الرياحُ بنجمِ الأرضِ عاصفةٌ » ، البيت ، معنى قد طوى  
ونُشر ، ومنه قولُ أبي تمامٍ<sup>(١)</sup> :

إنَّ الرياحَ إذْ ما أعصفتُ قصفتُ عيْدانَ نجدٍ ولمْ يعْبَأَنَّ بالرَّثَمِ<sup>(٢)</sup>  
بِناثِ نَعشٍ ونَعشٍ لا كسوفِ لها والشمسُ والبدرُ منها الدهرُ في الرِّقَمِ

وأخذه منه البحترى<sup>(٣)</sup> فقال :

ولستَ ترى شوْكَ القِتاَدَةِ خائفاً سَمومَ الرِّياحِ الآخِذاتِ مِنَ الرِّندِ  
ولا الكلبَ مَحموماً وإنْ طالَ عُمرُهُ أَلَا إِنما الحُمى عَلَى الأَسَدِ الوَرْدِ

وبيتُ البحترى الأَخيرُ من قولِ حبيبٍ<sup>(٤)</sup> أيضاً :

فإنْ تَكَ قَد نالتُكَ أَطرافُ وَعَكَّةٍ فلا عَجَبٌ قَد<sup>(٥)</sup> يُوعَكَ الأَسَدُ الوَرْدُ

وأخذه الأميرُ شمسُ المعالي ، ونشِدُ القطعةَ بِجملتها :

قُلْ لِلذِّى بَصُرُوفِ الدَّهْرِ عَيْراناً : هلْ عانَدَ الدهرُ إِلا مَنْ لَهْ خَطَرُ؟<sup>(٦)</sup>  
أما ترى البحرَ تَطْفُو فوقه جِيفٌ وتَسْتَقِرُّ بأقصى قَعْرِه الدَّرَرُ؟  
فإنْ تَكُنْ عَينَتُ أَيْدِي الزَّمانِ بناً ونالاً من تَمادِي بؤسِه ضَرَرُ  
ففى السَّماءِ نِجومٌ ما لَها عَدَدٌ ولىسَ يُكسِفُ إِلاَّ الشَّمسُ والقَمَرُ

ومعنى بيتِ شمسِ المعالي الثَّانِي من متداوِلاتِ المعاني ، منها قولُ  
ابنِ الرومى :

(١) فى ب ، ت ، لب ، وه : « ومنه قولُ أبى تمامٍ وقد تقدم إنشاده » ، ولكن

يسبق ذكر هذه الأبيات

(٢) راجع ديوان أبى تمام ص ٢٨٠ (٣) راجع ديوانه (ج ١ ص ١٣٩)

(٤) راجع ديوان أبى تمام ص ١١١ (٥) ب ، ت ، لب ، وه : « أن »

(٦) هذا البيت والذى يليه ناقصان فى ب ، لب ، ت



دَهْرُهُ عَلَا قَدْرُ الْوَضِيعِ بِهِ وَعَدَا الشَّرِيفُ يَحِطُّهُ شَرْفُهُ  
كَالْبَحْرِ يَرْسُبُ فِيهِ لَوْلُوهُ سَفَلًا وَتَطْفُو فَوْقَهُ جِيفُهُ  
وقد كرره ابن الرومي في مواضع ، منها قوله :

قالت: عَلَا النَّاسُ إِلَّا أَنْتَ، قلتُ لها: كَذَاكَ يَسْفُلُ فِي الْمِيزَانِ مَا رَجَحَا

وقال المتنبي<sup>(١)</sup> :

ولو لم يعلُ إِلَّا ذُو سَحَلٍ تَعَالَى الْجَيْشُ وَأَحْطَى الْقَتَامُ

وقولُ ابنِ زيدون : « في حضرة غابَ صرفُ الدهرِ<sup>(٢)</sup> خشيتُهُ » ، البيت ،  
مع الذي بعده ، لم يُخلِه من برد ، ولا أقامه على ساقِ نقد ، وخيرُ منهما ما وُصف  
من خبرِ التاجر<sup>(٢)</sup> مع أبي دُلفٍ وقد مرَّ به في مكان ، فوطئ له طرفَ طيلسان ،  
فقال له : يا أبا دُلفٍ ، ليسَ هَذَا كَرَجَاكَ ، هذهِ حضرةُ أميرِ المؤمنين ، الشاةُ  
والذئبُ يشربان فيها من إناء<sup>(٣)</sup> واحد . ومن اللفظِ المليح ، الطيارِ الخفيفِ  
الرُوح ، في هذا المعنى قولُ ابنِ عمَّار :

وَأَلَفَّ بَيْنَ الظَّبْيِ وَالذَّئْبِ عَدْلُهُ<sup>(٤)</sup> فَلَا تَجْزَعِي إِنْ زَارَ رَبْعَكَ ذَيْبٌ

وقال من أخرى وهو أيضاً بتلك الحال من الاعتقال<sup>(٥)</sup> :

ألم يأن أن يبكي الغامُ على مثلي<sup>(٦)</sup> ويطلب ثاري البرقُ مُنْصَلِتَ النَّصْلِ ؟  
وهلَّا أقامت أنجمُ الليلِ مأمِّمًا لتندبَ في الآفاقِ ما ضاعَ من نُبُلِي !  
فلو أنصفتني وهي أشكالُ همتي لألقتُ بأيدي النُّلِّ لَمَّا رَأَتْ ذُلِّي

(١) راجع ديوانه (ج ٢ ص ٣٤٠) (٢-٢) هـ في ب ، ت ، لب

(٣) ب ، ت ، لب ، هـ : « ماء » (٤) ب ، ت ، لب ، هـ : « عفوهُ »

(٥) ب ، ت ، لب ، هـ : « وله أيضاً قصيدة فريدة خاطب بها ابن جهور وهو في

تلك الحال من الاعتقال أولها » (٦) ر : « الحمام على قتلي »

ولا فترقت سميع الثريا وغازها (١)  
 لعمر الليالي إن يكن طال نزعها (٢)  
 تحلت بادابي وإن ماري  
 أخص لفهمي بالقلى ، وكأنما  
 وأجنى على نظمي لكل قلادة  
 ولو أننى أسطيع - كى أرضى العدا -  
 أمقتولة الأجنان مالك والهأ  
 أقلى بكاء لست أول حورة  
 وفي أم موسى عبرة إذ رمت به  
 والله فينا علم غيب وحسبنا  
 وإن رجائي في الهمام ابن جهور  
 كريم عريق في الكرام وقلما  
 يرف على التأميل لألاه بشره  
 ويغنى عن المدح اكتفاء بسروره  
 أبا الحزم إنى فى عتابك مائل  
 حاتم شكري صبحتك (٣) هوادلاً  
 جواد إذا استن الجياد إلى مدى

بمجعةها (٢) ما فرق الدهر من شملي  
 لقد قرطست بالنبل فى مقتل النبل  
 لسانحة (٤) فى عرض أمنيّة عطل  
 يبيت لذي الفهم الزمان على ذحل  
 مفصلة السطين بالمنطق الفصل  
 شريت ببعض العلم حظاً من الجهل  
 ألم ترك الأيام نجماً هوى قبلى؟  
 طوت بالأسى كشحاً على مضى الشكل  
 إلى اليم فى التابوت فاعتبرى واسلى  
 به عند جور الدهر من حكم عدل  
 لمستحكيم الأسباب مستحصداً الحبل (٥)  
 يرمى الفرع الأستمداداً من الأضل  
 كما راف لألاء الحسام على الصقل  
 غنى المقلّة الكحلّاء عن زينة الكحل  
 على (٦) جانب تاوى إليه العلا سهل  
 تناديك من أفنان آدابى الهدل  
 تمطر فاستولى على أمد الخصل

(١) ب ، ت ، لب ، وه : « وغازها » (٢) ب ، لب ، وه : « بمطعها »

(٣) وه : « عمرها » (٤) وه : « لسانحة »

(٥) ب ، ت ، لب ، وه : « الفتل » (٦) وه : « إلى »

(٧) ب ، ت ، لب ، وه : « سبحتك »

- ثَوَى صَافِنًا فِي مَرَبِطِ الْهُونِ يَشْتَكِي  
 أَنَّنِ زَعَمَ الْوَأشُونَ مَا لَيْسَ مَرَعَمًا  
 وَلَمْ أُسْتَثِرْ حَرْبَ الْفِجَارِ وَلَمْ أُطِغْ  
 وَإِنِّي لَتَنْهَانِي نُهَى عَنِ الَّتِي  
 أُنْقَضُ فِيكَ الْمَدْحَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةِ  
 هِيَ النَّعْلُ زَلَّتْ بِي فَهَلْ أَنْتَ مُكْذِبٌ  
 أَلَا إِنْ ظَنَنْتَ بَيْنَ فِعْلَيْكَ وَاقِفٌ  
 وَإِلْجَانِدْتُ الْأَنْسَ مِنْ وَحْشَةِ النَّوَى  
 سَيُعْنِي بِمَا ضَيَّعْتَ مِنِّي حَافِظٌ  
 وَأَيْنَ جَوَابُ مِنْكَ تَرْضَى بِهِ الْعَلَا
- بَتَّصْنَاهِ مَا نَالَهُ مِنْ أَدَى الشَّكْلِ  
 تُعْذِرُ فِي نَصْرِي وَتُعْذِرُ فِي خَدْلِي؟  
 مُسَيِّمَةً إِذْ قَالَ: إِنِّي مِنَ الرَّسْلِ  
 أَشَارَ بِهَا الْوَأشِي وَيَعْقِلُنِي عَقْلِي  
 ○ فَلَاقْتَدِي إِلَّا بِنَاقِصَةِ الْغَزْلِ؟  
 لَقِيلِ الْأَعَادِي: إِنَّمَا زَلَّةُ الْحِجْلِ (١)  
 وَوُقُوفَ الْهُوَى بَيْنَ الْقَطِيعَةِ وَالْوَصْلِ (٢)  
 وَهَوَلَ السَّرَى بَيْنَ الْمَطِيَّةِ وَالرَّحْلِ  
 وَيُلْتَقِي (٣) لَمَّا ارْخَصْتَ مِنْ خَطَرِي مُغْلِي  
 ١٠ إِذَا سَأَلْتَنِي عَنْكَ أَلْسِنَةَ الْحَفْلِ؟

ومعنى هذا البيت الأخير كقول الآخر (٤):

فَاخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ مَا أَقُولُ، فَإِنِّي لَا بُدَّ أَخْبِرُهُمْ وَإِنْ لَمْ أَسْأَلِ

(٥) وقوله: «ثَوَى صَافِنًا فِي مَرَبِطِ الْهُونِ» كقول المتنبي (٦):

وَإِنْ تَكُنْ مُحْكَمَاتُ الشُّكْلِ تَمْنَعُنِي ظَهْوَرَ جَرِي فَلِي فِيهِنَّ تَصْهَالٌ (٥)

(١) لم يقع هذا البيت في م

(٢) بلى هذا البيت في الديوان (ص ١١٧) بيت نثبته هنا لتمام المعنى وهو:

فإن أمن لي منك الأمانى فشيمة لذلك الفعال القصد والحاق الرسل

(٣) ت، لب، وه: «ويلقي»

(٤) ب، ت، وه، لب: «وهذا مأخوذ من قول الآخر»

(٥-٥) ه في ر (٦) راجع ديوانه (ج ٢ ص ١٩٦)

(١) قال القسطلي:

وَذُو غُرَّةٍ مَعْرُوفَةٌ السَّبِقِ فِي الْمَدَى وَقَدْرِحٍ (٢) التَّحْجِيلُ مِنْ أَلْمِ الشَّكْلِ (١)

وقوله: «وينغى عن المدح اكتفاءً بسروره»، البيت، معنى متداول

ومنه (٣) قول القائل:

وَأَعَشَقُ كَحَلَاءِ الْمَدَامِعِ خَلْقَةً لَيْلًا تَرَى فِي عَيْنِهَا مِنْهُ الْكُحْلَ

وفي بني جهور يقول:

بَنِي جَهْوَرَ أَحْرَقْتُمْ بِجَفَائِكُمْ جَنَانِي فَمَا بَالُ الْمَدَامِعِ تَعَبَقُ؟  
تَعَدُّونِي كَالْمَنْدَلِ الرَّطْبِ (٤) إِنَّمَا تَطِيبُ لَكُمْ أَنْفَاسُهُ حِينَ يُحْرِقُ

وأراه توارد في هذين البيتين مع أبي علي ابن رشيح القيرواني حيث يقول:

أَرَاكَ أَتَهَمْتَ أَخَاكَ الثَّقَةَ وَعِنْدَكَ مَمْتُ وَعِنْدِي مِقَّةُ  
وَأَثْنِي عَلَيْكَ وَقَدْ سَوَّيْتَنِي كَمَا طَيَّبَ الْعُودُ مَنْ أَحْرَقَهُ

وأخذه معاً من قول أبي تمام (٥):

لَوْلَا اشْتِعَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَزْتَ مَا كَانَ يُعْرَفُ طِيبُ عُرْفِ الْعُودِ

وأنشدني بعض أهل وقتنا وهو أبو مروان ابن شمان لنفسه:

نَوَائِبُ غَالَتْنِي فَأَبَدْتُ فِضَائِلِي فَكَانَتْ وَكَانَتْ النَّارَ وَالْعَنْبَرَ الْوَرْدَا

ولغيره:

إِنْ مَسَّتِ النَّارُ جِسْمِي أَبَدَيْتُ طِيبَ نَسِيمِ

(١-١) نه في (٢) ب، ت، لب: «مدح» — مه: «برج»

(٣) ب، ت، لب، مه: «وينظر إليه»

(٤) ب، ت، لب، مه: «كالعنبر الورد» (٥) راجع ديوانه ص ٧٨

كَالدَّهْرِ إِنْ عَضَّ يَوْمًا أَبَانَ فَضَلَ الْكَرِيمِ  
 وَأَبُو الْوَلِيدِ ابْنُ زَيْدُونَ عَلَى كَثِيرِ إِحْسَانِهِ كَثِيرُ الْاهْتِدَامِ ، فِي الثَّنَائِرِ  
 وَالنَّظَامِ .

وكتب إلى الأديب أبي بكر ابن مسلم وهو مختفٍ بقرطبة بعد فراره من  
 السجن رقعةً يقول فيها (١) :

أبدأ أولاً بشرح الصرورة الحافزة إلى ما صنعت ، إذ بلغني أنك أحد  
 اللأمين لي عليه ، ومن أمثالهم : ويلٌ للشجي من الخلي ، وهان على الأملس  
 ما لاقى الدبر . وأعاتبك على انفصالك عني ، وبراءتك أمد الحنة مني ، (٢) عسى  
 أن تتلافى عوداً ما أضعت بدءاً ، وإن كنت في ذلك كدابغة وقد حلّم الأديم ،  
 ومنفعة الثوت قبل العطب ، وفي علمك أني سجننت مغالبةً بالهوى ، وهو أخو العمى ،  
 وقد نهى عنه تعالى فقال : « ولا تتبّع الهوى فيضلك عن سبيل الله » (٣)  
 الآية . وشهد على فلان الناشر أذنيه طمعا ، لياكل بيديه جشعا ، قال ، وكان  
 القول ما قالت حدّام . وليت مع قبول من لا تجهل شهادته على بعد رقيته إلى ،  
 ولم يُقرن الحشف بسوء الكيلة . وكنت أول حبسي بموضع جرت العادة فيه  
 بوضع مستورى الناس وذوى الهيئات منهم ، وفي الشرّ خيار ، وبعضه أهون من  
 بعض . ثم نقلت بعد إلى حيث الجناة المفسدون ، واللصوص المقيدون ،  
 ومنع مني عوادى ، فشكوت إلى الحاكم الحابس لي ، فصمّ عني ، ولو ذات  
 سوارٍ لطمنتني !

وإنك لم يفخرْ عليك كفاخِرٍ ضعيفٍ ، ولم يغلبك مثل مغلبٍ (٢)

(١) و ، ب ، ت ، لب : « فصلا من رقعة »

(٢-٢) رد في ب ، ت ، لب ، و (٣) راجع سورة ٣٨ : ٢٦

فلم أستطع صَبْرًا ، وعلمتُ أن العاجزَ من لا يستبِدُّ ، والمرءُ يعجزُ لا المحالة ، ولم أستجزِ أن أكونَ ثالثَ الأذَّلينَ : العيرِ والوَدِّ . وذكرتُ أن الفرارَ من الظلمِ ، والهربَ ممن لا يطاقُ ، من سننِ المسامِينِ ، وقد قالَ تعالى على لسانِ موسى : « ففررتُ منكمُ لما خفتُكمُ »<sup>(١)</sup> فنظرتُ في مفارقةِ الوطنِ إذ قد يماضِعُ الفاضِلُ في وطنِهِ ، وكسدَ العلقُ الغبيطُ في معدنِهِ ، كما قال :

أضِيعُ في معشَري وكم بَلَدٍ يُعودُ عودُ الكِباءِ من حَظَبِهِ  
واستخَرْتُ اللهَ في إنفاذِ العزمِ ، وأنا الآنَ بحيثُ أمِنْتُ بعضَ الأمنِ ، إلَّا  
أنَّ السعَى لم يرتفعِ ، ومادةُ البغى لم تنقطعِ . وختمَ رسالتهُ بهذا النظمِ :  
شحطنا وما للدارِ نأى ولا شحطُ وشطَّ بمنْ نهوى المزارُ وما شطوا  
أأحبَّابنا ! ولتْ بحدَثِ عهدنا حوادثُ لا عهدُ عليها ولا شرطُ<sup>(٢)</sup>  
لعمركمُ إنَّ الزمانَ الذي قضى بشتَّ جميعِ الشملِ منَّا لمُشتطُ  
وما شوقُ مقتولِ الجَواحِجِ بالصدى إلى نطفةِ زرقاءِ أضمرها وقطُ  
بأبرحِ من شوقِ إليكمِ ودونِ ما أريدُ المني منهُ القتادةُ والخرطُ  
وفي الرَّبِّبِ الإنسيِّ أخوى كِناسِهِ نواحي ضميرِي لا الكِثيبُ ولا السَّطُ  
ألا هلْ أتى الفتيانَ أن فتاهُمُ فريسةً من يعدو ونهزةً من يسطو؟<sup>(٣)</sup>  
وأنَّ الجَوادَ الفاتتِ الشاؤِ صافِنُ تخوَنهُ شَكْلُ وأزرى به رَبطُ ؟  
عليكُ أبا بكرٍ بكَرتُ بهمةٍ لها الخطرُ العالِي وإن نالها حَطُ  
أبي بعدَ ما هيلَ الترابُ على أبي ورهطِي فذًا حينَ لم يبقَ لي رهطُ  
لكَ النعمةُ الحَضْرَاءُ تَندى ظلالُها على ولا جَحدُ لدى ولا غمطُ<sup>(٤)</sup>

(٢) هذا البيت والذي يليه ناقصان في ر

(١) راجع سورة ٢٦ : ٢١

(٣) هذا البيت والذي يليه ناقصان في ر

(٤) هذا البيت ناقص في ر

- ولولاك لم تُقدَحْ<sup>(١)</sup> زنادُ قريحتي  
 هَرَمْتُ وما للشَّيبِ وَخَطُّ مَمْفَرِي  
 وِطَاوَلْ سُوهُ الحَالِ نَفْسِي فَأَذْكَرْتُ  
 ولما انْتَحَوْنِي بَاتِي لَسْتُ أَهْلَهَا  
 فَرَزْتُ ، فَإِنْ قَالُوا : الفِرَارُ إِزَابَةٌ ،  
 وِبَائِي لِزَاجِرٍ أَنْ تَعُودَ كَبْدُهَا  
 فَمَا لَكَ لَا تَخْتَصُّنِي بِشَفَاعَةٍ  
 كَأَنَّ أَوَّلَ هَذِهِ القَصِيدَةِ نَاطِرٌ إِلَى قولِ رَاشِدِ أَبِي حَكِيمَةَ حَيْثُ يَقُولُ<sup>(٢)</sup> :
- ومستوحش لم يمَسِ<sup>(٣)</sup> في أرضِ غُرْبَةٍ  
 ولكنَّه مِمَّنْ يُحِبُّ غَرِيبُ  
 وقال الآخرُ<sup>(٤)</sup> :
- فلا تحسبي أن الغريبَ الَّذِي نَأَى  
 ولكنَّ من تنأى عن غريبٍ<sup>(٥)</sup>  
 ويناسبه أيضاً قولُ المتنبي<sup>(٥)</sup> :
- إذا ترحلت عن قومٍ وقد قدرُوا  
 ألا تفارقهم فالرحلون هم  
 وقوله : « هَرَمْتُ وما للشَّيبِ » ، البيت ، ناقصٌ عن قولِ المتنبي<sup>(٦)</sup> :
- إلَّا يَشِبُّ فَلَقَدْ شَابَتْ لَهُ كَبِدُ شَيْبًا إِذَا خَضَبَتْهُ سَلْوَةٌ نَصَالًا  
 وقوله : « وَإِنَّ الجَوَادَ » ، كقولِ أَبِي الطَّيِّبِ<sup>(٧)</sup> أيضاً :

(١) ر : « تنفح » — ب ، ت ، لب : « تنفح »

(٢) كذا في الأصول ، وهو في نفع الطيب (ج ١ ص ٦٢٩) : « ابن أبي حكيمة راشد بن إسحق الكاتب »

(٣) ب ، ت ، ه ، لب : « يمض » (٤ - ٤) هـ في ب ، ت ، لب ، هـ

(٥) راجع ديوانه (ج ٢ ص ٢٦٥) (٦) راجع ديوانه (ج ٢ ص ١٢١)

(٧) من هنا إلى قوله : « شكلا » في الصفحة التالية س ه ناقص في ر

(٨) راجع ديوانه (ج ٢ ص ٤٠٢)

وما في طِبِّهِ أَنِّي جَوَادُ أَضْرَّ بِجِسْمِهِ طُولُ الْجِمَامِ  
 وقد كرّر هذا المعنى أبو الطيب في مواضع من شعره ، وكلف به وشُغِفَ ،  
 وصرّف الكلام فيه فتصرّف ، وقد تقدّم إنشاده . ومنه أيضاً قول عبد الجليل  
 المرُسي للمُعتمِدِ بن عَبَّاد :

أنتك على خلائقها جِيَادُ      وإن كان الضياع لها شِكَالاً

وكتب من سجنه إلى أبي حفص ابن بُرد (١) :

مَا عَلَى ظَنِّي بَأْسُ      يَجْرَحُ الدَّهْرُ وَيَأْسُو  
 رَبِّمَا أَشْرَفَ بِالْمُرُءِ      عَلَى الْأَمَالِ يَأْسُو  
 وَلَقَدْ يُنْجِيكَ إِغْفَاً      لَ وَيُرْدِيكَ احْتِرَاسُ  
 وَالْمَجَازِيرُ سِهَامُ      وَالْمَقَادِيرُ قِيَاسُ  
 يَا أَبَا حَفْصٍ وَمَا سَا      وَكَ فِي فَهْمٍ إِيَّاسُ  
 مِنْ سَنَا رَأْيِكَ لِي فِي      ظَلَمَ (٢) الْخَطْبِ اقْتِبَاسُ  
 وَوَدَادِي لَكَ نَصُّ      لَمْ يَخَالِفُهُ الْقِيَاسُ  
 أَذُوبُ هَامَتْ بِلِجْمِي      فَالْتِهَامُ وَاتِّهَاسُ  
 كُلُّهُمْ يَسْأَلُ عَنْ حَا      لِي وَلِلذُّبِ اعْتِسَاسُ  
 يَلْبُدُ الْوَرْدُ السَّبْنَتِي      وَلَهُ بَعْدُ افْتِرَاسُ  
 إِنْ أَسْكُنُ أَصْبَحْتُ مُحْبُو      سَا فَلِغَيْثِ احْتِبَاسُ  
 فَتَأْمَلُ كَيْفَ يَغْشَى      مُقَلَّةَ الْمَجْدِ النُّعَاسُ  
 وَيُفْتُ الْمِسْكَ فِي التُّرُ      بٍ فَيُوطَا وَيُدَاسُ

(١) راجع ديوان ابن زيدون ص ١

(٢) ب ، ت ، و ، لب : « غنى »



لا يَكُنْ عَهْدُكَ وَرْدًا      إِنَّ عَهْدِي لَكَ آسُ  
وَأَدِرُّ ذِكْرِي كَأَسًا      مَا امْتَطَّتْ كَفِّكَ كَأَسُ  
فَعَسَى أَنْ يُسْمِحَ اللَّهُ      رُ فَقَدْ طَالَ الشَّمْسُ

قوله : « يَلْبُدُ الْوَرْدُ السَّبْتِي » ، البيت ، كقول النابغة <sup>(١)</sup> :

٥      وقلتُ : يَا قَوْمَ إِنَّ اللَّيْثَ مَنْقَبِيضُ      عَلَى بَرَائِنِهِ لَوَثْبَةُ الضَّارِي  
وأخذه ابن الرومي فقال :

سكنتَ سُكُونًا كَانَ رَهْنًا بَوَثْبَةٍ      عَمَّاسٍ ، كَذَلِكَ اللَّيْثُ لَوَثْبٍ يَلْبُدُ

وقوله : « لا يَكُنْ عَهْدُكَ وَرْدًا » من قول العباس بن الأحنف <sup>(٢)</sup> :

لا تَجْعَلِي وَصَلْنَا كَالْوَرْدِ حِينَ مَضَى      ذَا طَلْعَةٍ وَأَدِيمِي الْوَدَّ كَالْآسِ  
وكررَه العباس <sup>(٣)</sup> في موضع آخر فقال :

١٠      ولكنني شَبَّهْتُ بِالْوَرْدِ عَهْدَهَا      وَليْسَ يَدُومُ الْوَرْدُ وَالْآسُ دَائِمٌ

ما أخرجته من شعر ابن زيدون في النسب وما يناسبه .

قال من قصيدة طويلة :

١٥      بِنْتُمْ وَبِنَّا فَمَا ابْتَلَّتْ جَوَانِحُنَا      شَوْقًا إِلَيْكُمْ وَلَا جَفَّتْ مَآقِينَا  
لم نعتقد بعدكم إلا الوفاء لكم      رَأْيًا ، ولم نتقلد غيره دينًا  
نكادُ حينَ تناجيكم ضمائرنا      يقضي علينا الأسي لولا تأسينا  
حالت لفقديكم أيامنا فقدت      سُودًا وكانت بكم بيضًا ليالينا

(١) راجع المقدمتين ص ١٤

(٢) لم يقع هذا البيت في ديوانه

(٣) راجع ديوانه ص ١٣٩

إذْ جانبُ العيشِ طَلَقُ من تَأْلُفِنَا      وموَرَدُ اللّهِ صَافٍ من تَصَافِينَا<sup>(١)</sup>  
 وإذْ هصرْنَا غصونَ الوصلِ دَانِيَةً      قَطُوفُهَا<sup>(٢)</sup> فُجِنِينَا مِنْهُ مَاشِينَا  
 لِيُسْقَ عَهْدُكُمْ عَهْدُ الشَّرورِ فما      كُنْتُمْ لِأَيَّامِنَا إِلَّا رِيَّاحِينَا  
 لَا تَحْسَبُوا نَأْيَكُمْ عَنَّا يَغَيِّرُنَا      إِنَّ<sup>(٣)</sup> طَالَمَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَا  
 وَاللّهِ مَا طَلَبْتُ<sup>(٤)</sup> أَهْوَاؤُنَا بَدَلًا      وَلَا انصَرَفْتُ عَنْكُمْ أَمَانِينَا  
 يَاسَارِيَّ البَرَقِ غَادِ القَصْرِ فَاسْقِ بِهِ      مِنْ كَانِ صِرْفَ الهَوَى وَالوَدَّ يَسْقِينَا  
 وَيَا نَسِيمَ الصَّبَا بَلِّغْ تَحِيَّتِنَا      مَنْ لَوْ عَلَى البَعْدِ حَيًّا كَانَ يُحْيِينَا  
 رِيْبُ مُلْكٍ كَأَنَّ اللّهُ أَنْشَأَهُ      مَسكًا وَقَدَّرَ إِنْشَاءَ الوَرَى طِينَا  
 إِذَا تَأَوَّدَ آدَتُهُ رَفَاهِيَةَ      تَوْمُ العُقُودِ وَأَدْمَتُهُ البُرَى لِينَا  
 كَانَتْ لَهُ الشَّمْسُ ظَهْرًا فِي أَكَلْتِهِ      بَلْ مَا تَجَلَّى لَهَا إِلَّا أَحَايِينَا  
 يَارَوْضَةَ طَالَمَا أَجْنَتُ لَوَاحِظِنَا      وَرَدَّ أَجْلَاهُ<sup>(٥)</sup> الصَّبَا غَضًا وَنَسْرِينَا  
 وَيَا حَيَاةَ تَمَلِّينَا بِزَهْرَتَيْهَا      مُنَى ضَرْوَبًا وَلذَاتِ أَفَانِينَا  
 لَسْنَا نَسْمِيكَ إِجْلَالًا وَتَكْرِمَةً      وَقَدْرُكَ العَتَلِيَّ عَن ذَاكَ يُغْنِينَا  
 يَا جَنَّةَ الخُلْدِ أَبْدِلْنَا بِسَلْسَلَتِهَا      وَالكَوْثَرَ العَذْبِ زَقُومًا وَغِشَلِينَا  
 كَأَنَّنا لَمْ نَبْتِ وَالوَصْلُ ثَالِثُنَا      وَالسَّعْدُ قَدْ غَضَّ مِنْ أَجْفَانِ وَأَشِينَا  
 سِرَّانَ فِي خَاطِرِ الظَّالِمَاءِ يَكْتُمُنَا      حَتَّى يَكَادَ لِسانُ الصَّبَحِ يُفْشِينَا

(١) هذا البيت والأبيات الأربعة التي تليه ناقصة في ر

(٢) ب ، ت ، لب : « قطفه » (٣) هـ : « إذ »

(٤) ب ، ت ، لب : « طرقت »

(٥) ر : « جناه »

- إِنَّا قَرَأْنَا الْأَسَىٰ عِنْدَ النَّوَىٰ سُوْرًا  
 أَمَّا هَوَاكِ فَلَمْ نَعْدِلْ بِمَنْهَلِهِ  
 لَمْ نَجْفُ أَفْقَ جَمَالِ أَنْتِ كَوَكْبِهِ  
 وَلَا اخْتِيَارًا تَجَنَّبْنَاهُ<sup>(٢)</sup> عَنْ كَثَبِ  
 نَأْسَىٰ عَلَيْكَ وَقَدْ حُثَّتْ مُشْعَشَعَةً  
 لِأَكْوَسِ الرِّيحِ تُبْدِي مِنْ شِمَائِلِنَا  
 دُوْمَىٰ عَلَى الْوَصْلِ - مَا دُمْنَا - مَحَافِظَةً  
 فَمَا اسْتَعَدْنَا<sup>(٤)</sup> خَلِيلًا عَنْكَ يَصْرَفُنَا  
 وَلَوْ صَبَا نَحْوَنَا مِنْ عَلْوِ مَطْلَعِهِ  
 أُبْنِي<sup>(٦)</sup> وِفَاءً وَإِنْ لَمْ تَبْذُلِي صَلَاةً  
 وَفِي الْجَوَابِ مَتَاعٌ إِنْ شَفَعْتَ بِهِ  
 عَلَيْكَ مِنِّي سَلَامٌ اللَّهُ مَا بَقِيَتْ
- مَكْتُوبَةٌ وَأَخَذْنَا الصَّبْرَ تَلْقِينَا<sup>(١)</sup>  
 شَرِبًا ، وَإِنْ كَانَ يُرْوِينَا فَيُطْمِئِنَا  
 سَائِلِينَ عَنْهُ ، وَلَمْ نَهْجُرْهُ قَالِينَا  
 لَكِنْ عَدْتْنَا عَلَى كُرْهِ عَوَادِينَا  
 فِينَا الشَّمُولُ وَغَنَانَا مُغْنِينَا  
 سِيَمَا ارْتِيَا حِرَ وَلَا الْأَوْتَارُ تُلْهِمِنَا  
 فَالْحُرُّ مِنْ دَانَ إِنْصَافًا كَمَا دِينَا<sup>(٣)</sup>  
 وَلَا اسْتَفْدْنَا حَبِيبًا عَنْكَ يُسَلِّمِنَا  
 بَدْرُ الدُّجَىٰ لَمْ يَكُنْ - حَاشَاكَ - يَسْبِينَا<sup>(٥)</sup>  
 فَالذِّكْرُ يُقْنِعُنَا وَالطَّيْفُ يَكْفِينَا  
 بِيضَ الْأَيْدِي الَّتِي مَازَلْتَ تُوَلِّمِنَا  
 صَبَابَةٌ بِكَ نُخْفِيهَا فَتُخْفِينَا<sup>(٧)</sup>

وهذه القصيدة بجملتها فريدة ، وقد عارضه فيها جماعة قصرَوا عنه ، منهم أبو بكر ابن الملح<sup>(٨)</sup> ، فإنه نازعه فيها الراية ، فقصر عن الغاية ، حيث يقول من قصيدة أولها :

هَلْ يَسْمَعُ الرَّبُّ شَكْوَانَا فَيُشْكِينَا أَوْ يَرْجِعُ الْقَوْلَ مَغْنَاهُ فَيُغْنِينَا

- (١) لم يقع هذا البيت في ر (٢) ب ، ت ، و ، ه ، لب : « تجنبتك »  
 (٣) لم يقع هذا البيت والذي يليه في ر (٤) في الديوان ص ٨ : « استعضنا »  
 (٥) لم يقع هذا البيت إلا في و (٦) و : « أبدى » - وفي الديوان : « أبكى »  
 (٧) لم يقع هذا البيت إلا في و  
 (٨) كذا في جميع النسخ ، وفي نفع الطيب ( ج ٢ ص ٣٥٠ ) : « الملاح »

ثم استمرّ في غزلهما واستحسّن فرّ فقال :

يا باخلينَ علينا أن نودّعكم  
 قفوا نزرُكم وإن كانت فوائدكم  
 سترتهم الوصلَ ضئلاً فقدتكم  
 سرى من المسك عن مسراكم خبر  
 أيام بدركم يحيى<sup>(٢)</sup> ليالينا  
 قرباً<sup>(٣)</sup> وظبيكم<sup>(٤)</sup> يرعى بوادينا  
 مهلاً فلم نعتقد دين الهوى تبعاً  
 وقد بعدتم عن اللئيمنا فخيوناً  
 نزرًا ومتمكم بالوصل ممنوناً<sup>(١)</sup>  
 فكان بالوهم موجوداً ومظنوناً  
 بعيد عهد هواكم نشره فينا  
 ولا قرأنا صحيف<sup>(٥)</sup> الحسن تلقينا

ومنها :

قد نصرف القول يُغويننا ويرشدنا  
 وتبع الحى والأشواق محرقة  
 كواكب في سماء<sup>(٧)</sup> النقع قد جعلت  
 لنا رجومًا وما كنا شياطيناً  
 قول ابن زيدون : « وإن كان يروينا فيظلمينا » معنى متداول<sup>(٨)</sup> ،  
 ومن أشهر قول ابن الرومي :

ريق إذا ما ازددت من شربه  
 كالخمر أروى ما يكون الفتى  
 رياً ثناى الرئى ظلاماً  
 من شربها أعطش ما كانا  
 وقال ابن الرومي أيضاً فيما يناسبه<sup>(٩)</sup> من بعض الوجوه<sup>(٩)</sup> :

(١) هذا البيت والذي يليه ناقصان في ر (٢) و : « يجلو »

(٣) و : « نورا » (٤) ر ، ب : « طبيكم » (٥) و : « بصحيف »

(٦) ب ، لب : « العذل » (٧) ب ، ت ، لب ، و : « بسما »

(٨) ر : « كثير » (٩-٩) ر في ر

يأربَّ ريقِ باتِ بَدْرُ الدُّجَى يَعُلهُ<sup>(١)</sup> بينَ ثنايا كَا  
يرَوِي ولا يَنهاكَ عن شربِه والماءُ يُرويكَ وِئها كَا  
وأشبهُ به ما أنشده الثعالبي :

كُرُضابِ الحبيبِ يشفي عَليلاً ثم يُنشى إلى المزيدي عَليلاً

وقوله : « سِرَّانِ في خاطرِ الظلِّماء » ، البيت ،<sup>(٢)</sup> مما زاد فيه للمليح  
الاستعارة على قول أبي الطيب<sup>(٣)</sup> :

أزورهم وسواد الليل يشفع لي وأنثي وبياض الصبح يُغري بي<sup>(٤)</sup>  
على أن أبا الطيب أجاد فيه<sup>(٤)</sup> وكرره في مواضع من شعره كقوله<sup>(٥)</sup> :

وكم لظلام الليل عندك من يدٍ تخبرُ أنَّ المانوية تكذبُ

وإنما<sup>(٤)</sup> أخذُه من مصراع لابن المعتز<sup>(٦)</sup> حيث يقول :

\* فالشمسُ نَمَامَةٌ والليلُ قَوَادٌ \*

وكلُّ مَنْ إلى هذا المعنى أشار ، نحو الخوَالِي المثلِ دار ،<sup>(٧)</sup> وهو قولهم<sup>(٧)</sup> : الليل أخفى  
للوليل .

وله من أخرى : في أثرِ نزهةٍ كانت له بمدينة<sup>(٨)</sup> الزَّهراء :

١٥ إني ذكركِ بالزَّهراءِ مُشتاقاً والأفقُ طَلقُ وصرُ أي الارضِ قد راقاً<sup>(٩)</sup>

(١) ب ، ت ، لب ، و : « يجهه » (٢-٢) نه في ب ، لب ، و

(٣) راجع ديوانه (ج ١ ص ١١٥) (٤-٤) نه في ر

(٥) راجع ديوان المتنبي (ج ١ ص ١٢٤) (٦) راجع ديوانه ص ٩٦

(٧-٧) نه في ر (٨) ب ، ت ، لب ، و : « بمنية »

(٩) و : « ووجه »

وللنسيم اعتلال في أصائله      كأنه (١) رقق لي فاعتل إشفاقاً  
والروض عن مائه الفصى مبسم  
لا سكن الله قلباً عق ذكركم  
لوشاء حملي نسيم الریح حين سرى  
يا علقى الأخطر الأسنى الحبيب إلى  
الآن أحمد ما كنا لعهدكم  
قوله : « وللنسيم اعتلال في أصائله » ، البيت ، أراه ألم فيه بقول ابن  
المعتر (٢) :

١٠ والريح تجذب أطراف الثياب كما      أفضى الشفيق إلى تنبيه و سنان  
وقلبه الرضى فقال :

وأمنت الريح كالغبرى تجاذبنا      على الكتيب فضول الریط واللمم  
وأحسب الفرزدق أبا غدريته ، وواسم غرته ، بقوله (٣) :  
وركب كأن الريح تطلب عندهم      لها ترة من جذبها بالعصائب  
ومدأ طناب المعنى بالبيت الآخر حيث يقول (٣) :

١٥ سرّوا يخبطون الريح وهي تلفهم      إلى شعب الأكار ذات الحقايب  
وقوله : « سلوتم وبقينا نحن عشافا » يناسب قول الآخر :

أشكو الذين أذاقوني مودتهم      حتى إذا أيقظوني للهوى رقدوا  
قال ابن بسام : والشئ يذكر بالشئ وإن لم يكن من المنهاج ، ولا بُدَّ  
مع ذكر المعترضات من المعاج .

٢٠ قرأت في كتاب أخبار بغداد لابن طاهر : قال محمد بن عبدوس الفارسي :

(١) وه : « كأنما » (٢) راجع ديوانه ص ٦٨

(٣) راجع ديوان الفرزدق ص ١٣٣

سرتُ يوماً إلى ابن الجهم فأنشدني لنفسه في العناقِ :

ألا ربَّ ليلٍ ضمناً بعد هجعةٍ      وأدنى فؤاداً من فؤادٍ مُعذَّبِ  
وبتنا جميعاً لو تُراقُ زجاجةٌ      من الراحِ فيما بيننا لم تَسرَّبِ  
فاقتدَحَ زندي لإبراء<sup>(١)</sup> مثله ، فأطرقتُ وقلتُ :

٥      لا والمنازلِ من نَجْدٍ وليلتنا      بفَيْدٍ إذ جسداناً بيننا جسدُ  
كرامٍ فينا الكرى في لطف مسلكه<sup>(٢)</sup>      يوماً فما انفكَّ لا خدٌّ ولا عضدُ  
ما أنصفوني ، دعوني فاستجبت لهم      حتى إذا قربوني منهم بعدوا  
أردتُ هذا البيت

وقوله : « ولو شاء حَملي نسيمُ الريح » ، البيت ، كقول المجنون وهو أحسنُ

١٠      ما قيل في النحافة ، على زعم<sup>(٣)</sup> المبرد :  
إلا إنما غادرتِ يا أمَّ مالكِ      صدى أينما تذهب به الريحُ يذهب  
وقال المتنبي<sup>(٤)</sup> :

كفى بجسمي نحولاً أني رجلٌ      لولا مخاطبتي إياك لم ترني  
وقال الخبز أزرى :

١٥      أنحلني الحبُّ فلو زُجَّ بي      في مقلةِ النَّائمِ لم يَنْتَبِهْ  
وله من أخرى ، وكتب بها من بطلَيْوس<sup>(٥)</sup> أيام تكررهِ عليها<sup>(٥)</sup> ، وهي  
من غررِ نظامه ، وحرر كلامه :

(١) ب ، ت ، لب : « بإيراد » (٢) وه : « قد »

(٣) ب ، ت ، لب : « قول » (٤) راجع ديوانه (ج ٢ ص ٤٣٤)

(٥-٥) وه في ر

يادمع صبب إن شئت<sup>(١)</sup> أن تصوباً  
 إن الرزايا أصبحت ضروباً  
 قد ملأ الشوق الحشا ندوباً  
 عليل دهر ضامني<sup>(٢)</sup> تعذيباً  
 ليت القبول أحدث هبوباً  
 بالأفق المهدي إلينا طيباً  
 يبرد حر الكبد المشبوباً  
 مشرقاً قد سسم التعريباً  
 أرسل حليماً ، واستشر ليدياً  
 والجانب المستوضح العجيباً  
 فحى منه ما رأى<sup>(٣)</sup> الجنوباً  
 حيث ألفت الرشا الربيباً<sup>(٤)</sup>  
 كم بات بدرى ليله الغريباً  
 يشدو حمام عقده تطريباً  
 أرشف منه الميسم الشنيباً  
 شباب أفق هم أن يشيباً  
 أهاجري أم موسعي تأنيباً  
 ويا فؤادي آن أف تذوباً  
 لم أر لي في أهلها ضريباً  
 في الغرب أن رحت به غريباً  
 أدنى الضنى إذ أبعد الطيباً  
 ريح يروح عهداً قريباً<sup>(٥)</sup>  
 تعطرت منه الصبا جيوباً  
 يامتبعا إسآده التأويباً  
 أما سمعت المثل المصروباً:  
 إذا أتيت الوطن الحبيباً  
 والحاضر المنفسح الرحيباً  
 مصانع تجاذب القلوباً  
 محالسا في وصله الرقيباً  
 لما انثنى في سكره قضيباً  
 هصرته حلو الجنى رطيباً  
 حتى إذا ما اعتن لي مريباً  
 بادرت سعيها هل رأيت الذيباً؟  
 من لم<sup>(٦)</sup> أسغ من بعده مشروباً

(١) ب ، ت ، لب ، وه : « ماشئت »

(٢) ب ، ت ، لب ، وه : « رامني » — وفي ديوان ابن زيدون ص ١٩ :

(٣) لم يقع هذا البيت في وه « سامني »

(٤) ب ، ت ، لب ، وه : « ما أرى » (٥) ب ، لب ، وه : « اللببيا »

(٦) من هنا إلى آخر الأرجوزة ناقص في ر (٧) في الأصول : « مالم »



ماضرة لو قال : لا تثريباً فلا ملام لحق المغلوباً<sup>(١)</sup>  
 قد طال ما تجرّم الذنوباً ولم يدع في العذر لي نصيباً  
 إن قرّت العين بأب أووباً لم آل أن أسترضي الغضوباً  
 قد ينفع المذنب أن يتوباً

قوله : « هل رأيت الذيباً؟ » أخذه من قول الراجز يصف لبناً ممذوقاً :

\* جاءوا بضيح<sup>(٢)</sup> هل رأيت الذئب قط؟ \*

وهذا التشبيه عند أهل النقد نوع من أنواع الإشارة ، لأنه أشار إلى تشبيه لونه  
 بالماء الذي غلب على اللبن فصار كلون الذئب .

وقال من أخرى :

١٠ وَضَحَ الْحَقُّ الْمَبِينُ وَنَفَى الشُّكَّ الْبَقِينُ  
 وَرَأَى الْوَأَشُونَ مَا غَرَّ مِثْمُ مِنْهُ الظُّنُونُ  
 أَمَلُوا<sup>(٣)</sup> مَا لَيْسَ يُمْنَى وَرَجَوْا مَا لَا يَكُونُ  
 وَتَمَنَّوْا أَنْ يَخُونَ الْإِمْهَدَ مَوْلَى لَا يَخُونُ  
 فَإِذَا الْغَيْبُ سَلِيمٌ وَإِذَا الْوَدُّ مَصُونُ  
 قَلْ لَمَنْ دَانَ بِهَجْرِي وَهَوَاهُ لِي دِينُ :  
 يَا جَوَادًا بِي إِي بَكَ وَاللَّهِ ضَانِينُ  
 أَرْخَصَ الْحَبُّ فَوَادِي لَكَ وَالْعَلَقُ ثَمِينُ  
 يَا هَلَالًا تَرَاءَا هُ نَفُوسٌ لَا عُيُونُ  
 عَجَبًا لِلْقَلْبِ يَتَسَوُّ مِنْكَ ، وَالْقَدُّ يَلِينُ

(١) ب ، وه : « لحق الغلوبا » (٢) وه : « بمذق »

(٣) كذا في الديوان من ٣٩ ، وفي جميع النسخ : « أمنوا »

ما الذى ضرك لو سُرَّ م بمرآك الحزين؟  
وتلطفت بصبٍ (١)  
فوجوه اللفظ شتى والمعازير فنون

وقال أيضاً :

صَحَّتْ فَصَحَّ بِهَا السَّقِيمُ ٥٥ رِيحٌ مَعَطَّرَةٌ النَّسِيمُ  
مقبولة هبت قبو لَأَفْهَى تَعَبَقُ بِالسَّمِيمِ  
إِيهًا أَبَا عِبْدِ الْإِلِّ بِهِ نِدَاءٌ مَغْلُوبِ الْعَزِيمِ  
إِنْ عَيْلَ صَبْرِي مِنْ فِرَا قِكَ فَالْعَذَابُ بِهِ أَلِيمُ  
اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ حُبِّي بَكَ مِنْ فَوَادِي فِي الصَّمِيمِ  
وَلَيْنٌ تَحْمَلُ عَنْكَ بِي جِسْمٌ فَعَنْ قَلْبِي مَقِيمٌ ١٠  
قُلْ لِي : بَأَى خِلَالِ سَرِّي وَكَ قَبْلُ أُفْتِنُ أَوْ أَهْمِي ٥٠  
أُبْجِدِكَ الْعَمَمَ الَّذِي نَسَقَ الْحَدِيثَ مَعَ الْقَدِيمِ ؟  
أَمْ بِالْبِدَائِعِ كَاللَّآ لِي مِنْ نَشِيرٍ أَوْ نَظِيمِ ؟  
إِنْ أَشْمَسَتْ مِنْكَ (٢) الطَّلَا قَةُ فَالْتَدَى عَنْهَا (٣) مُغْنِمِ  
وَبِلَاغَةِ إِنْ عُدَّ (٤) أَهْدُ لُوهَا فَانْتَ لَهُمْ زَعِيمِ (٥)  
إِنَّ الَّذِي قَسَمَ الْحُظُوظَ ظَ حَبَاكَ بِالْحُظِّ الْعَظِيمِ

قوله : « ولئن تحمّل عنك بي جسم » ، البيت ، معنى مشهور أنشدت

فيه لبعضهم :

(١) ب ، لب ، و : « لصب » (٢) ب ، ت ، لب ، و : « تلك »

(٣) ب ، ت ، لب ، و : « منها »

(٤) في الأصل : « حان » والتصحيح عن الديوان ص ٣٧

(٥) لم يقع هذا البيت والذي يليه إلا في ر

أقول له حين ودعته وكلُّه بعبئته مُلبسُ :  
 لئن رجعت عنك أجسامنا لقد سافرت معك الأنفسُ  
 وفي قريب منه ، وإنما أنشدته لحسنه ، ولكون هذا المعنى فرعا من غصنه ،  
 قول الآخر :

حملتك في قلبي ، فهل أنت عالمٌ بأنك محمولٌ وأنت مقيمٌ ؟  
 ألا إن شخصا ، في فوادي محله وأشتاقه ، شخصٌ على كريمٍ  
 وقال أيضا :

يا ليلُ طُلْ لا أشتعي لو بات عندي قمرى  
 إلا كعهد<sup>(١)</sup> قصرك ما بت أرعى قمرك

وقال أيضا :

ودع الصبر<sup>(٢)</sup> محبٌ ودعك ذائعٌ من سيره ما استودعك  
 يقرع السن على أن لم يكن زاد في تلك الخطى إذ شيعك  
 يا أبا البدر سناءً وسنا إن يطل بعدك ليلى فلكم  
 حفظ<sup>(٣)</sup> الله زمانا أطلعك بت أشكو قصر الليل معك !

وقال :

بيني وبينك ما لو شئت لم يضع بيني وبينك ما لو شئت لم يضع  
 يا بائعا حظه منى ولو بُذلت لي الحياة بحظي منه لم أبع  
 يكفيك أنك إن حملت قلبي ما لا تستطيع قلوب الناس يستطع

(١) وه : « إلا كعمري » — وفي الديوان ص ٢٧٢ : « إلا بوصل »

(٢) ب : « رحم »

(٣) ب ، ت ، ر ، لب : « الحسن »

(٤) ب ، ت ، لب : « ضاعت »

تِهْ أَحْتَمِلْ، وَاسْتَطِلْ أَصْبِرْ، وَعِزَّ أَهْنُ وِوَلَّ أَقْبِلْ، وَقُلْ أَسْمَعْ، وَمُرُّ أُطِيعْ  
أَرَاهُ احْتَدَى فِي هَذَا الْبَيْتِ مَذْهَبَ أَبِي الْعَمِيثِلِ الْأَعْرَابِيِّ :

فَاصْدُقْ وَعِيفْ وَفَهْ وَأَنْصِفْ وَاحْتَمِلْ وَاصْفَحْ<sup>(١)</sup> وَدَارِ وَكَافِ وَاحْلُمْ وَاشْجِعْ  
وَالطُّفْ وَلِنْ وَتَانَ وَاحْلُمْ وَانْتَدُ وَاحْزِمْ وَجِدَّ وَحَامِ وَاحْمِلْ وَادْفَعْ  
وَكَقَوْلِ دِيكِ الْجِنِّ :

احْلُ وَامْرُزْ، وَضُرَّ وَانْفَعْ، وَلِنْ وَاخْ شُنْ، وَرِشْ وَابْرِ، وَانْتَدِبْ لِلْمَعَالِي  
وَهَذَا الْبَابُ صَنْعَةُ الْمَوْلَدُونَ وَعَدُوهُ تَقْسِيمًا وَتَقْطِيعًا<sup>(٢)</sup> وَتَبِعَهُمُ الْمُتَنَبِّئِيُّ<sup>(٣)</sup> قَالُ :  
أَقْلُ أَنْزِلِ اقْطَعْ احْمِلْ عَلَّ سَلَّ أَعْدُ زِدْ هَسَّ بَسَّ تَفْضَلْ أَدْنِ سُرَّ صِلِ  
ثُمَّ زَادَ أَبُو الطَّيِّبِ فِي هَذَا وَتَبَاغَضَ حَتَّى قَالَ :

\* عِشْ اِبْقَ اسْمُ سُدُّ قَدْ جُدُّ مَرَّ أَنَّهُ رِ فِ اشْرِ نَلْ \*

بَيْتَهُ الْمَعْرُوفَ ، وَأَحْسَنَ لِعَمْرِي ابْنَ زَيْدُونَ فِي هَذَا التَّقْسِيمِ وَدَفَعَ<sup>(٤)</sup>  
بِالْحَدِيثِ فِي صَدْرِ الْقَدِيمِ ، وَلَوْ قَرِعَ سَمْعُ أَبِي مَنْصُورٍ ، بِمَا فِي<sup>(٥)</sup> تَضَاعِيفِ هَذَا  
التَّصْنِيفِ مِنَ الشُّذُورِ ، لَمَا كَانَ عِنْدَهُ ابْنُ وَشْمَكِيْرٍ بِمَذْكَورِ ، وَلَا أَغْرَبَ  
بِفَرَاثِ الصَّاحِبِ ، وَلَا بَبَدِيعِ الْبَدِيعِ .

وَمِنْ شَعْرِ ابْنِ زَيْدُونَ فِي النَّسِيبِ ، السَّائِرِ الْغَرِيبِ<sup>(٦)</sup> ، الطَّيَّارِ الْمَلِيحِ ،  
الْخَفِيفِ الرُّوْحِ ، قَوْلُهُ<sup>(٧)</sup> :

(١) ر ، لب ، وه : « واصلح » (٢) ب ، لب : « ورش وابن »

(٣) ر ، ب ، لب : « وتعظيما » (٤) راجع ديوانه (ج ٢ ص ٧٣ )

(٥) ب ، ت ، لب ، وه : « ودافع »

(٦) ر : « علي ماني » — ب ، ت ، لب : « بمثل هذه الشذور »

(٧) (٧-٧) نه في ر

أما رضاك فشيء ما له ثمنٌ لو كان سألني في ملكه الزمنُ  
تبكي فراقك عين أنت ناظرها قد ليج في<sup>(١)</sup> هجرها عن هجرك الوسنُ  
إن الزمان الذي عهدى به حسنٌ قد حال مذ غاب عني وجهك الحسنُ  
والله ما ساءني أني خفيت ضني بل ساءني أن سرري في الهوى العن<sup>(٢)</sup>  
لو كان أمرى في كتم الهوى بيدي ما كان يعلم ما في قلبي البدنُ  
وهذا البيت الأخير ، إلى معنى صريح الغواني يشير<sup>(٣)</sup> :

فقلت : قلبي مكاتم جسدي ولو درى لم يقم به السمنُ  
وهذا البيت الرابع منها ناظرٌ إلى قول الآخر :

والله ما جزعني نفسي وإن هلكت وإنما جزعني ما سرَّ حسادي  
وقال من أخرى :

أنت معنى الضنى وسرُّ الضلوع وسبيلُ الهوى وقصدُ الدموع  
أنت والشمسُ ضرَّتَان ، ولكن لك عند الغروبِ فضلُ الطلوع  
ليس بالمؤيبي تكلفك العتد ب دلالاً من الرضا المطبوع  
إنما أنت ، والحسودُ معنى ، كوكبٌ يستقيم بعد الرجوع  
وقال أيضاً :

غريبٌ بأرض الشرق يشكرُ للصبأ تحمّلها مني<sup>(٤)</sup> السلام إلى الغرب  
وما ضرَّ أنفاس الصبأ في احتمالها سلام فتى يهديه جسمٌ إلى قلب  
وهذا منقولٌ من قول العباس بن الأحنف حيث يقول :

تالله ما شطت نوى ظاعن سار من العين إلى القلب<sup>(٥)</sup>

(١) ر : « من » (٢) ب ، ت ، لب ، وه : « عمن »

(٣) راجع ديوانه ص ١٤٢ (٤) ر : « منا »

(٥) لم يقع هذا البيت في ديوان العباس

وقال أيضاً :

سأحبُّ أعدائي لأنك منهمُ      يا مَنْ يُصِحُّ بمقلتيه ويُسقيهمُ  
أصبحتُ تُسخِطُنِي وأمنحك الرضا      جوراً وتظلمُنِي وَلَا أنتظمُ  
يا مَنْ تآلفَ ليلهُ ونهارهُ      فالحسنُ بينهما مضيٌّ مظلمُ  
قد كان في شكوى الصبابةِ راحةٌ      لو أني أشكو إلى مَنْ يرحمُ

أولُ مصراعٍ من هذه المقطوعة مقتطعٌ من قولِ أبي الشَّيْص :

أشبهتُ أعدائي فصرتُ أحبُّهم      إذْ كانَ حظي منكِ حظي منهمُ  
وكذلك قوله فيها : « يا مَنْ تآلفَ ليلهُ ونهارهُ » ، البيت ، مقتضبٌ من قول  
أبي الطيب <sup>(١)</sup> :

الحزنُ يُقْلِقُ والتجالدُ يردعُ      والدمعُ بينهما عصى طبعُ

١٠

ما أخرجته من شعرِ ابن زيدون في المديح مع ما يتشبَّث به

من سائر الأوصاف .

قال من قصيدة <sup>(٢)</sup> :

أما في نسيمِ الرِّيحِ عَرَفُ مُعَرَّفُ      لنا، هل لذاتِ الوقفِ بالجزعِ موقفُ <sup>(٣)</sup>  
فنفقضى أوطارَ المني من زيارةٍ      لنا كلفُ منها بما نتكلفُ  
ضمانٌ علينا أن تزارَ ودونها      رفاقُ الطبَّا والسَّمهرِيُّ المثقَّفُ  
وقومٌ عدى يبدون عن صفحاتهم      وأزهرها من ظلمةِ الحقدِ أكفُ

١٥

(١) راجع الديوان (ج ١ ص ٤٣٠) (٢) راجع ديوانه ص ٢٣

(٣) الأبيات الخمسة الأولى ناقصة في ر

- يودون لو يثني الوعيد<sup>(١)</sup> زماعنا<sup>(٢)</sup> وهيات ريح الشوق من ذاك أعصفُ  
 وفي السيراء الرقيم وسط قبابهم بعيدُ مناطِ القرطِ أحورُ أوطفُ  
 وليلة وافيننا الكتيب لموعيدٍ سرى الأيتم لم يعلم مسراه مزحفُ  
 تهادى أناة الخطو مرتاعة الحشا كما ربيع يعفور الفلا المتشوفُ  
 فما الشمس رق الغيم دون آياتها سوى ما أرى ذاك الجبين المنصف<sup>(٣)</sup> ○  
 قعيدك أنى زرت، نورك فاضح وعطرك نمام، وحليتك مرجفُ  
 هيبك اغترزت الحى واشيك هاجع وفرعك غريب، وليك أغصفُ  
 فأنى اعتسقت الهول خطوك مدمج وردفك رجاج وخصرك مخطفُ  
 لجاح تمادى الحب فى العشر العدا وأم الهوى الأفق الذى فيه نشنف<sup>(٤)</sup>  
 كفانا من الوصل التحية خلصة فيومى طرف أو بنان مطرف<sup>(٥)</sup> ١٠  
 وإنى ليستهوينى البرق صبوة إلى برق نغر إن بدا كاد يخطفُ  
 وما ولعى بالراح إلا توهم نظم به كالراح لو يتشرفُ  
 ويذكرنى العقد المرن جمانه مرنات ووزق فى ذرى الأيك هتفُ  
 فما قبل من أهوى طوى البدر هودج ولا ضم ريم القفر خدر مسجفُ  
 ولا قبل عباد حوى البحر مجاس ولا حمل الطود المعظم رفرف<sup>(٦)</sup> ١٥  
 وهذا بيت التسطلى بجملة حيث يقول<sup>(٦)</sup> فى ابن أبى عامر<sup>(٦)</sup> :

(١) ب، ت، لب، وه: «البعيد»، والتصحيح عن الديوان

(٢) وه: «زمامها» (٣) لم يقع هذا البيت فى ر

(٤) ب، ت، لب: «وكيف» (٥) لم يقع هذا البيت فى ر

(٦-٦) وه فى ر

وكيف استوى بالبر والبحر مجلس  
وفيها يقول ابن زيدون :

هو الملك الجعد الذي في ظلاله  
رويته في الحادث الإدّ لحظة  
طلاقة وجه في مضاء كمثل ما  
على السيف من تلك الصرامة ميسم  
أظنّ الأعدى أن حزمك ناسم ؟  
وتنمنا :

ولما قضينا ما عنانا أداؤه  
رأيناك في أعلى المصلى كأنما  
ولما حضرنا الإذن والدهر خادم  
وصلنا فقبلنا الندى منك في يد  
ولولاك لم ينهل من الدهر جانب  
لك الخير أنى لي بشكرك نهضة  
أزرت بهيم الخال منى غرة  
١٠  
١٥

قوله : « وما ولعى بالراح » ، البيت ، أراه قاب قول أبي الطيب (٥) :  
وما شرقي بالماء إلا تذكر  
لماء به أهل الحبيب نزول (٦)

(١) لم يقع هذا البيت في ر (٢) ب ، ت : لب ، وه : « الطلاقة »

(٣) لم يقع هذا البيت في ر (٤) لم تقع هذه الأبيات الثلاثة في ر

(٥) راجع ديوانه (ج ٢ ص ٧٩)

(٦) ب ، ت ، لب ، وه : « حلول »



وقوله : « ويذكرني العقد المرين » ، البيت ، نسخة من قول أبي تمام (١)

وتقص عنه :

وبالحلي إن قامت ترثم فوقها سحاما إذا لاقى سحاما ترثما

وقوله : « طلاقه وجه » ، البيت ، معنى مشهور ، وهو في شعرهم كثير ،

ومنه قول البحتري (٢) :

ويحسُن دَلْها والموتُ فِيهِ كما يُستحسِنُ السَّيفُ الصَّقِيلُ

وزاد فيه بعض أهل عصرى زيادةً مليحةً فقال :

مضاه كحدِّ السَّيفِ لدنًا مَهْرُهُ يكفكفه حِلْمٌ كحاشيةِ البُرْدِ

وقوله : « ولما حضرنا الإذن » ، البيت ، مع الذى بعده ، أرى أبا الوليد

احتذى فيه حدو الوليد في أبيات أنشدها لحسنيها ، وهي من أحسن ما قيل

في الهيبة :

ولما حضرنا سُدَّةَ الإِذْنِ أُخِّرَتْ رجالٌ عن البابِ الذى أنا داخلُه (٣)

فأفضيتُ من قربِ إلى ذى مَهَابَةٍ أَقَابِلُ بَدْرَ التَّمِّ حينَ أَقَابِلُهُ

كما انتصبَ الرُّمْحُ الرُّدْيِيُّ نُقُفَتْ أَنَابِيهُهُ واهْتَرَّ للطننِ عامِلُهُ

وكالبدرِ وافتنه رِثْمٌ سَعُودُهُ وتمَّ سَنَاهُ واستهلَّتْ مَنازِلُهُ ١٥

فسلَّمتُ فاعتاقتُ جَنَانِي هَيْبَةً تَنازَعُنِي القَوْلَ الذى أَنَا قَائِلُهُ

فلما تَأَمَّلْتُ الطَّلَاقَةَ وانثنى إلى يَبْشِرِ آنَسْتِنِي مَخَايِلُهُ (٤)

دنوتُ فقبَّلتُ الندى من يَدِ امرئِ كَرِيمٍ نُحْيَاهُ سِبَاطِ أَنَامِلُهُ

صَفْتُ ، مثل ما تصفو المُدَامُ ، خِلالَهُ ورقتُ ، كما رَقَّ النسيمُ ، شمائلُهُ

(١) راجع ديوانه ص ٢٦١ (٢) راجع ديوانه ص ١٩٤

(٣) راجع ديوان البحتري (ج ١ ص ٣٣) (٤) لم يقع هذا البيت في ر

وقول ابن زيدون : « وصلنا فقبلنا الندى » ، البيت ، معنى مليح ،  
ولفظ صحيح ؛ إلا أنه كما تراه ، لفظ بيت البحترى ومعناه . ويقول بعض أدبائنا  
إن ابن زيدون بحترى زماننا وصدقوا ، لأنه حذًا حذو الوليد إلا أن أبا الوليد  
في بعض قصائده كابن محمد سعيد . وقال بعض أهل عصرنا وهو أبو محمد ابن  
سارة الشنتريني (١) من جملة أبيات (١) :

وإن في يصفح راحتيه فيعرف فيهما عرف السيادة

وقال بعض أهل العصر :

ولثمت يميناه فأعيا حسدي أنا لثمت العارض المتعجرا؟ (٢)

وقال ابن زيدون (٣) من جملة قصيدة (٣) :

يا أيها الملك الذي تدبيره أضحى لمملكة الزمان ملاحا (٤)  
أعرض عن الخطرات إنك إن تشا تكن النجوم أسنة لقنا كا  
هصر النعيم يعطف دهرك فأنثني وجرى الفرند بصفحتي دنيا كا  
دنيا لزهرتها شعاع مذهب لو كان وصفاً كان بعض حلاكا  
فتجل (٥) في فرش الكرامة ناعما واعقد بمرتبة السرور حباكا  
وأطل إلى شدو القيمان إصاخة وتلق مترعة الكؤوس درাকা  
لك أزيحية ماجد إن تعترض في لهو راحك تستهل (٦) لهاكا  
من كان يعلق في خلال ندامه دم ببعض خلال فخلاكا

(٢) ر : « المتعجرا »

(١-١) نه في ر

(٤) راجع ديوان ابن زيدون ص ١٣٦

(٣-٣) نه في ر

(٦) ر : « تستهل »

(٥) ب ، ر : « فتجل »

أُسْبُوْعُ أُنْسٍ مَحْدِثٌ لِي وَحُشَّةٌ      عَلِمًا بَأَنِّي لَسْتُ فِيهِ أَرَاكَ (١)  
 وَأَنَا الْمَعْدَبُ غَيْرَ أَنِّي مُشَعَّرُهُ      ثِقَةً بِأَنَّكَ نَاعِمٌ فِهَنَاكَ  
 أَنِّي أَقَوْمٌ بِشُكْرِ طَوْلِكَ بَعْدَ مَا      مَلَأْتَ مِنَ الدُّنْيَا يَدَيَّ يَدَاكَ!  
 بَرَدَتْ ظِلَالُ ذُرَاكَ ، وَاحْلَوْلَى جَنِّي      نَعْمَاكَ لِي ، وَصَفَتْ جِمَامُ نَدَاكَ

وله من أخرى في ابن جهور أولها (٢) :

هَذَا الصَّبَاحُ عَلَى سُرَاكِ رَقِيْبًا      فَصَلِي بِفِرْعَكِ لَيْلِكَ الْغَرِيْبِيَا  
 وَلَدَيْكَ أَمْثَالُ النُّجُومِ قَلَانِدُ      أَلْفَتْ سَمَاءَكَ لَبَّةً وَتَرِيْبِيَا (٣)  
 يقول فيها :

لِيَنْبُ عَنِ الْجُوزَاءِ قُرْطُكَ كَلَمَّا      جَنَحَتْ تَحْتُ جَنَاحَهَا تَغْرِيْبًا  
 وَإِذَا الْوَشَاحُ تَعَرَّضَتْ أَثْنَآؤُهُ      طَلَعَتْ تُرِيَا لَمْ تَكُنْ لَتَغِيْبًا ١٠  
 وَلَطَلَمَا أَبْدَيْتِ (٤) إِذْ حَيِّيْتِنَا      كَفَّاهِيَ الْكَفُّ الْخَضِيْبُ خَضِيْبًا  
 أَظْنِيْنَةَ (٥) ، دَعْوَى الْبِرَاءَةِ شَأْنُهَا      أَنْتِ الْعَدُوُّ ، فِيمَ دُعِيْتِ حَيْبِيَا؟ (٦)  
 مَا الْهَجْرُ إِلَّا الْبَيْنُ إِلَّا أَنَّهُ      لَمْ يَشْحُ فَاهُ بِهِ الْغُرَابُ نَعِيْبًا (٧)

ومنها في المدح :

مُتَمَرِّسٌ بِالْدهْرِ يَقْعُدُ صَرْفُهُ      إِنْ قَامَ فِي نَادِي الْخَطُوبِ خَطِيْبًا (٨) ١٥  
 لَا يَوْسَمُ الرَّأْيُ الْفَطِيْرُ بِهِ وَلَا      يَعْتَادُ إِرسَالَ الْكَلَامِ قَضِيْبًا  
 بِسَامُ ثَغْرِ السَّنِّ إِنْ عَقَدَ الْحُبَا      فَرَأَيْتَ وَضَاحًا هُنَاكَ مَهِيْبًا

(١) هذا البيت والأبيات التي تليه لم تقع في ر (٢) راجع ديوانه ص ٦٩

(٣) لم يقع هذا البيت في ر (٤) ب ، ت ، لب ، وه : «أحييت»

(٥) ت ، لب : «أضنيبة» (٦) لم يقع هذا البيت في وه

(٧) لم يقع هذا البيت في ر ، وه (٨) لم يقع هذا البيت في وه

ملاً النواظر صامتاً ولربما  
 إنَّ الجهاورة الملوك تبوءوا  
 عقْدُ تآلفَ في نظامِ رياسةٍ  
 نَسَقَ اللآلئُ مُنجباً ونجيباً  
 فإذا دعوتَ وليدَهم لعظيمةٍ  
 لَبَّاكَ رَقْرَاقَ السَّماحِ أديباً  
 همُّ تعاقبها النجومُ وقد تلاَّ  
 في سوْدُدٍ منها العَقِيبُ عَقِيباً  
 ومحاسنُ تَنَدَى رَقَائِقُ ذِكْرِها  
 فتكادُ توهِّكُ المديحُ نسيباً  
 كان الوشاةُ، وقد مُنيتُ بِإِفْكِهِمْ،  
 أسباطُ يعقوبٍ وكنْتُ الذَّيْباً

قوله : « فصلي بفرعك ليلك الغريبيا » ، من قول أبي الطيب (١) :

كشفت ثلاث ذوائب من شعرها  
 في ليلة فارت ليالي أربعا  
 (٢) وينظر إليه قول المعري (٣) :

يودُّ أن ظلامَ الليلِ دامَ لهُ  
 وزيدَ فيه سوادُ القلبِ والبصرِ (٤)  
 وقال التَّهَامِيُّ (٥) :

وتودُّ لو جَعَلتُ سوادَ قلوبِها  
 وسوادَ عَينِها سوادَ عِذارِى  
 وقال محمد بن هاني (٥) :

قد أظلموا بالذُّهمِ منها فَجَرَّهم  
 فتكدَّرتُ (٦) شمسُ النهارِ تَغْضِباً  
 واستأنفوا بشيائِها فَجَرًّا فلو  
 عقدوا نواصِيا أَعادوا لِغَيْهَبِيا  
 وقوله : « فتكادُ توهِّكُ المديحُ نسيباً » ، البيت ، من قول حبيب (٧) :

ظابَ فيه المديحُ والتدَّ حتى  
 فاقَ وصفَ الديارِ والتَّشْبِيبِيا

(١) راجع ديوانه (ج ١ ص ٤٢٥) (٢ - ٢) نه في ر

(٣) راجع سقط الزند (ج ١ ص ٣١) (٤) راجع ديوانه ص ٣١

(٥) راجع تبيين المعاني ص ٧٣ (٦) ب ، لب ، وه ، ت : « فتكورت »

(٧) راجع ديوانه ص ٣٠

وقوله : « ملأ النَّوَظِرَ صامتاً » ، البيت ، من قوله أيضاً :  
 فاسألنَّها<sup>(١)</sup> واجعلْ بُكَاءَكَ جواباً تَجِدُ الشَّوْقَ سائلاً ومُجِيباً  
 وينظر إلى هذا المعنى من بعض الوجوه لفظُ أبي الطيب<sup>(٢)</sup> حيث يقولُ  
 في ابن العميد :

٥ فدعاك حُسْدُكَ الرَّيسَ وأمسكُوا ودعاك خالِقُكَ الرَّيسَ الأكبرَا  
 خلقتُ صِفَاتِكَ في العيونِ كلامه كالخَطِّ يَمَلَأُ مِسْمَعِي مَنْ أَبْصَرَ  
 ويلحُ أيضاً هذا المعنى قولُ أبي نُوَاس ، على ما فسَّرَه بعضُ الناس :

\* أَلَا فَاسْتَفِنِي خِيراً وَقُلْ لِي : هِيَ الْخُمْرُ \*

وهذا التفسير فيه ، أضعفُ الوجوه . وبيتُ ابن شَرَفٍ أشبهُ من هذا كله  
 بيتُ ابن زِيدُون ، وهو قوله يمدحُ صاحبَ القَيْرَوَان :

١٠ سَلَّ عَنْهُ ، وَأَنْطِقْ بِهِ ، وَأَنْظُرْ إِلَيْهِ ، تَجِدُ مِلءَ الْمَسَامِعِ وَالْأَفْوَاهِ وَالْمُقَلِّ  
 وقال ابنُ زِيدُون<sup>(٣)</sup> من أخرى :

١٥ أَمَا وَالْحَاطِظِ مِرَاضٍ صِحَاحُ تُصْبِي<sup>(٤)</sup> ، وَأَعْطَافٍ نَشَاوِي صَوَاحُ  
 لِفَاتِنِ<sup>(٥)</sup> بِالْحَسَنِ فِي خَدِّهِ وَرَدُّ ، وَأَثْنَاءُ ثَنَائِيهِ رَاحُ  
 لَمْ أَنْسَ إِذْ بَاتَتْ يَدِي لَيْسَلَةً وَشَاحَهُ اللَّاصِقَ دُونَ الْوِشَاحُ  
 لِأَضْفِينَ الْمَرْتَضَى جَهْورًا عَهْدًا لِرَوْضِ الْحَسَنِ عَنْهُ افْتِضَاحُ  
 بَشَّرْتُ آمَالِي بِتَأْمِيلِهِ فَمَا عَدَانِي مِنْهُ فَوْزُ الْقِدَاحُ  
 لَمْ أَشِمْ الْبِرْقَ جَهَامًا وَلَمْ أَقْتَدِحِ النَّارَ بَزَنْدِ شِحَاحُ

(١) في جميع النسخ « اسألنَّها » ، والنصحیح عن الديوان .

(٢) راجع ديوانه ( ج ١ ص ٣٦٧ ) (٣) راجع ديوانه ص ٨٩

(٤) ر : « تسي » (٥) ب ، ت ، ل ب : « لبائن »

يا مرشدي جهلاً إلى غيره  
ذو باطن أقبس نور التقي  
إيه أبا الحزم اهتبل غرة  
لا طار لي حظ إلى غاية  
عتباك بعد العتب أمية  
لم يثنني عن أمل ماجرى  
واشفع فلشافع نعى بما  
إن سحاب الأفق منها الحيا  
أغنى عن المصباح ضوء الصباح  
وظاهر أشرب ماء السباح  
ألسنة الدهر عليها فصاح<sup>(١)</sup>  
إن لم أكن منك مريش<sup>(٢)</sup> الجناح  
مالي على الدهر سواها اقتراح  
قد يرفع الخرق وتوسى الجراح  
سنه من عقد وثيق النواح  
والحمد في تأليفها للرياح  
قوله : « وشاحه اللاصق » ، البيت ، معنى متداول<sup>(٣)</sup> ، ومن أقربه

عصراً قول النحلي من أهل وقتنا :

إن العزيز على خضرك إنه  
فخذي له جسمي مكان وشاحه  
وقال ابن زيدون<sup>(٥)</sup> من أخرى في بني جهور عند نكبة بني ذكوان :  
لولا بنو جهور ما أشرقت همم  
قوم متى تحتفل في وصف سوددهم  
أبو الوليد قد استوفى مناقبه  
بالرذف حمل منه<sup>(٤)</sup> ما لا يحمل  
إن العليل بشكله يتعلل  
لا يأخذ الوصف إلا بعض ما يدع  
فالتفاريق منها فيه مجتمع

(١) هذا البيت إلى آخر القصيدة ناقص في ر

(٢) م : « مرش » (٣) م في ر

(٤) ب ، ت ، لب ، م : « منك » (٥) راجع ديوانه ص ١٣١

(٦) كذا في النسخ ، ورواية الديوان :

لولا بنو جهور ما أشرقت همي  
هم الملوك ملوك الأرض دونهم  
كمثل بيض الليالي دونها الدرع  
غيد السوالف في أجيادها تلع

مهذب أخلصته أو ليتنه كالسيف بالغ في إخلاصه الصنع  
 إن السيوف متى ما طاب جوهرها في أول الطبع لم يعلق بها الطبع  
 قل للوزير الذي تأميلة وزري إن ضاق مضطرب أو هال مضطلع<sup>(١)</sup>  
 أصح لهمس عتاب تحته مقة تكلف النفس فيه<sup>(٢)</sup> فوق ما تسع  
 ما للمعات الذي أحصفت عقده لا تستجز وضع قدرى بعد رفعة  
 إن الألى كنت من قبل افتضاحهم مثل الشجى في هاهم ليس ينتزع<sup>(٣)</sup>  
 تلك العرائن لم يصلح لها شمم فكان أهون ما نيلت به الجدع  
 أودعت نعاك منهم شر مغترس لن يكرم الغرس حتى تكرم البقع<sup>(٤)</sup>

قوله : « إن السيوف إذا ما طاب جوهرها » ، البيت ، ينظر من ١٠

لحظ<sup>(٦)</sup> مريب ، إلى قول حبيب<sup>(٧)</sup> :

والسيف ما لم يلف فيه صيقل من سنخه لم ينتفع بصقال  
 وله من أخرى يهني المعتضد عبداً<sup>(٨)</sup> بهزيمة ابنه إسماعيل لابن الأفتس ،  
 وقتل ولد إسحاق بن عبد الله في تلك الحرب<sup>(٩)</sup> :

(١) هذا البيت ناقص في ر ، وقد جاء فيها بعد البيت السابق لهذا : « ومنها في عتابه أيضاً » وبلى ذلك : « أصح لهمس عتاب » إلى آخر الأبيات

(٢) ب ، ت ، لب ، وه : « منه » (٣) بعد هذا البيت في الديوان :

لم أحظ إذ هم عدى باد نفاقهم إلا كما كنت أحظى إذ هم شيع

(٤) ب ، ت ، لب : « لم يكرم » (٥) لم يقع هذا البيت في ر

(٦) ب ، ت ، لب ، وه : « بلحظ » (٧) راجع ديوانه س ٢٣٥

(٨) ب ، ت ، لب ، وه : « بلحظ » (٩) راجع ديوانه س ٢١٦

لِيَهِنِ الْهَدَىٰ إِجْحَاحُ سَعِيكَ فِي الْعِدَى  
 وبشراك دنيا غضة العهدِ طلقة  
 دعوت فقال النصرُ : لبيك ماثلاً  
 وأحمدت عقيب الصبر في درك المني  
 ولما اعتمدت<sup>(٣)</sup> الله كنت مؤهلاً  
 وجدناك إن ألقحت سعياً نتجتُهُ  
 سل الخائن الغتر كيف احتقابه  
 رأى أنه أضحى هزبراً مصمماً  
 وأن راح صنع الله نحوك أوعداً<sup>(١)</sup>  
 كما ابتسم الثوار عن أدمع الندى  
 ولم تك كالداعي يجاوبه الصدى  
 كما بلغ الساري الصباح فأحمداً<sup>(٢)</sup>  
 لديه بأن تحمي وتكفي وتعضداً  
 وغيرك شاو حين أنصح رمداً  
 مع الدهر عاراً بالفرار مخلداً  
 فلم يعد أن أمسى ظليماً مشرداً

وهذا منقول من قول أبي الطيب<sup>(٤)</sup> :

فَأْتَيْتَ مَعْتَرِماً وَلَا أَسَدُ  
 وَمَضَيْتَ مِنْهَزِماً وَلَا وَعِلُ

رَجَع :

يُوذُ إِذَا مَا جَنَّهُ اللَّيْلُ أَنَّهُ  
 لَبِئْسَ الْوَفَاءُ اسْتَنَّ فِي ابْنِ عَقِيدِهِ  
 وَأَصْبَحَ يَبْكِيهِ الْمَصَابُ بِشُكْلِهِ  
 أَقَامَ عَلَيْهِ آخِرَ الدَّهْرِ<sup>(٥)</sup> سَرْمَدًا<sup>(٦)</sup>  
 عَشِيَةً لَمْ يُبْدِرْهُ مِنْ حَيْثُ أُوْرَدَا  
 بُكَاءَ لَبِيدٍ حِينَ فَارِقَ أَرْبَدَا

وكتب إلى المظفر سيف الدولة أبي بكر ابن الأفطس من رقعة وضمها

قصيدة أولها<sup>(٧)</sup> :

(١) ب ، لب ، وه : « واغتندي » (٢) هذا البيت ناقص في ر

(٣) ب ، ت ، لب ، وه : « دعوت » (٤) راجع ديوانه (ج ٢ ص ٢١٩)

(٥) في جميع الأصول : « آخر الليل » والتصحيح عن الديوان ص ٢١٩

(٦) لم يقع هذا البيت في ر

(٧) هنا يبدأ خرم في ر ، وسننبه على رجوع الكلام فيها بعد .



لبيضِ الطُّلىِّ ولسودِ اللَّعمِ بعقلى - مُذنبِ عَنى - لَمَمٌ :

- لَمَّا لَبِسَ الْحَاجِبُ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - رِداءَ الْمُجَدِّ مُعَلِّمًا ، وَحَمَلَ لَوَاءَ الْحَمْدِ مُعَلِّمًا ، فَاسْتَطَارَ بَارِقُ فَجْرِهِ ، وَاسْتَضَاعَ فَاخُحُ ذِكْرِهِ ، وَشَهْرَتْ مُحَاسِنُهُ عَلَى كُلِّ لِسَانٍ ، وَسَارَتْ مَآثِرُهُ مَسِيرَ<sup>(١)</sup> الشَّمْسِ بِكُلِّ مَكَانٍ ، لَمَّا سَوَّغَ مِنْ كَرَمِهِ ، وَأَسْبَغَ مِنْ نَعِيمِهِ ، وَوَطَّأَ لِلْأَمَلِينَ مِنْ أَكْنَافِهِ ، وَهَزَّ إِلَى الرَّاعِبِينَ مِنْ أَعْطَافِهِ ، وَرَفَرَفَتْ أَجْنَحَةُ الْأَهْوَاءِ عَلَيْهِ<sup>(٢)</sup> ، وَاهْتَزَّتْ جِوَانِحُ الْأَمَالِ<sup>(٣)</sup> إِلَيْهِ ، وَكَثُرَ التَّغْيِيرُ عَلَى تَغْيِيرِ ظِلِّهِ ، وَالتَّنَافَسُ فِي الْأَعْتِلَاقِ بِجِبِلِّهِ ، وَكُلُّ اسْتَفْرَغَ جَهْدَهُ ، وَتَوَسَّلَ عَلَى حَسَبِ مَا عِنْدَهُ ، وَلا غَرَوْ أَنْ<sup>(٤)</sup> يُسْتَمَطَّرَ الْغَمامُ ،<sup>(٥)</sup> وَيُؤَمَّلَ الْكِرَامُ<sup>(٥)</sup> ، وَيَكْثُرُ فِي الْمَشْرَبِ الْعَذْبِ الرَّحَامُ .

- ١٠ وما زلتُ - أبقى الله الحاجبَ - أتلقى من مساعيه المشكورة ، ويقرَّعُ سمعى بماثره الماثورة ، ما هو أندى من بلوغِ الأمل ، وأشهى من اختلاسِ القُبل ، وأغضُّ من جنى<sup>(٦)</sup> الزَّهر ، وألطف<sup>(٧)</sup> من نسيمِ السَّحر ، حتى انقادتْ نَفْسِي فِي زَمَامِ التَّأْمِيلِ وَالْمُودَّةِ ، وَنَازَعَتْ إِلَى الْأَخْذِ بِحِطِّهِ مِنَ الْأَعْتِلَاقِ وَالْمَازِجَةِ . وَنَظَرْتُ إِلَى مَا دُونَ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ الْبُعْدِ الْمَانِعَةِ ، وَامْتِدَادِ الْبِلَادِ الْمُعْتَرِضَةِ ، فَغَضَّضْتُ طَرْفَ الْخَيْبَةِ ، وَطَوَيْتُ كَشْحًا عَلَى الْيَأْسِ مِنْ دَرَكِ<sup>١٥</sup> الْأُمْنِيَّةِ ، إِلَى أَنْ نَدَبَنِي الْأَدِيبُ أَبُو فُلَانٍ إِلَى مَخَاطَبَتِهِ ، وَحَرَّضَنِي عَلَى مَكَاتِبَتِهِ ، وَنَهَّنِي عَلَى مَا فِي التَّنَاقُلِ عَنْ مُدَاخَلَتِهِ ، مِنْ التَّضْيِيعِ الصَّرِيحِ ، وَالتَّقْصِيرِ الْبَيِّنِ

(١) ب ، ت : « مسيرة » (٢) في الأصول : « إليه »

(٣) ب ، ت ، لب : « الأمل » (٤) ب ، ت ، لب : « في أن »

(٥-٥) هـ في هـ (٦) ب : « جناء »

(٧) ب ، ت ، لب ، وه : « ما هو ألطف »

الصحيح؛ إذ هي أسنى علق غولي به<sup>(١)</sup>، وأنفس دُخْر نوفس فيه. فطربت إلى ذلك «كما طرب النشوان مالت به الحمر»، واهتززت له «كما اهتزت تحت البارح العفن الرطب». ورأيت من سُكْرِ يدِ العلياء فيما حثني إليه، وحضني عليه، مما فيه حلية الفخر، ومكرمة الدهر، أن أستفتح باب المكاتب بالشفاعة، وأنهب طريق المحاطبة في العناية به، وبيدنا، بعد، من ذمام الطلب، وحرمة الود والأدب، ما استقصرت نفسي معه أن تقدم<sup>(٢)</sup> في خدمة رغبته قلبي<sup>(٣)</sup>، وقد تأخرت قديمي، وبعده لاقتصار بُغيته<sup>(٤)</sup> كتابي، دون أن أزم إليه<sup>(٥)</sup> ركابي، وهو فتى نام جدّه، واستيقظ حده؛ فتنكر الزمان له، واعتزت<sup>(٦)</sup> الأيام به بين ذئاب سعاية عوت عليه، وعقارب وشاية دبّت إليه، وأصلي بنار جرب لم يجنّها، وأعدته مبارك جرب<sup>(٧)</sup> التبس بها<sup>(٧)</sup>، وآل به الأمر إلى فراق أحبته، والبعد<sup>(٨)</sup> عن مسقط رأسه، ومعق تمانيه، على ضيق حاله، وضعف إحسانه. وأشهد أن ذلك لم يزد الحاجب إلا ولاءً، وعليه إلا نناءً. وأنه لا يزال يُعيدُ شكره ويُبديه، وينثرُ حمدَه ويَطويه، والحاجب — أدام الله إعزازَه — وليُّ إعدائه على زمنه الغشوم، وأملاً بإنصافه من دهره الظلوم، بإلباسه من جميل رأيه ما عرّى منه، وإيراده من شريعة رضاه ما حُلّي عنه، والتخليّة بينه وبين الأفق الذي لم يرَ كوكب سعدٍ إلا فيه، ولا تلتقى نسيم

(٢) في جميع الأصول: «أقدم»

(٤) ب، ت: «بغيته»

(٦) ب، ت: «واعترت»

(٨) ب، ت: «وأبعد»

(١) في النسخ «فيه»

(٣) هنا يبدأ خرم في لب

(٥) ب، ت: «لذلك»

(٧-٧) هـ في ح

حَيَاةٍ <sup>(١)</sup> إِلَّا مِنْهُ ، فَإِنَّهُ مِمَّا يُؤَلِيهِ <sup>(٢)</sup> مِنْ إِحْسَانِهِ ، وَيَأْتِيهِ مِنَ الْفَضْلِ فِي شَانِهِ ،  
مُسْتَجِرٌ لُشُكْرٍ مَنْ أَنْهَضَهُ لِسَانٌ ، وَاسْتَقَلَّ بِهِ بَيَانٌ ، وَهُوَ أَهْلُ الْفَضْلِ ،  
وَالْمَعْرُودُ مِنْهُ كَرَمُ الْفِعْلِ ، وَاللَّهُ يُبْقِيهِ وَيُعَلِّيهِ ، وَهُوَ حَسْبُهُ وَحَسْبِي فِيهِ .

ولما اطرد هذا النثر لحسن اتساقه ، ولذ مساقه ، هزرت النظم أريحية  
جذب لها بعنانها ، وعارضه بها في ميدانها ؛ وأبت أن ينفرد النثر بلقاء الحاجب  
ومشافهته ، ويستبد بأن تلمح غرته ، وتخدم بالحضور حضرته ، فأثبت منه  
ما إن أنعم عند تصفحه بالصفح عن الزلل يعرض فيه ، والخلل يبدو منه ،  
وصل النعمة بمثلها ، وقرن العارفة بشكها :

|    |  |  |
|----|--|--|
|    | لَبِيضِ الطَّلِيّ وَلِسُودِ اللَّمَمِ                  | بِعَقْلِي - مُذْبِنٍ عَنِّي - لَمَمٍ <sup>(٣)</sup>      |
| ١٠ | فَفِي نَاطِرِي عَن رَشَادِ عَمِّي                      | وَفِي أُذُنِي عَن مَلَامٍ <sup>(٤)</sup> صَمَمٍ          |
|    | قَضَتْ بِشِمَامِي عَلَيَّ <sup>(٥)</sup> الْعَاذِلِينَ | شُمُوسٌ مُكَلَّلَةٌ بِالظُّلَمِ                          |
|    | وَمَا سَقِمْتُ لِحِطَّاتِ الْعِيُو                     | نِ إِلَّا لِتُغْرِيَنِي بِالسَّاقِمِ                     |
|    | يَلُومُ الْخَلِيَّ عَلَيَّ أَنْ أَحِنَّ                | وَقَدْ مَرَجَ الشُّوقُ دَمْعِي بَدَمِ                    |
|    | وَمَا ذُو التَّذَكُّرِ مِمَّنْ يُبْلَامُ               | وَلَا كَرَمُ الْعَهْدِ مِمَّا يُدَمُّ                    |
| ١٥ | وَإِنِّي أُرَاحُ إِذَا مَا الْجُنُوبُ                  | بُرَاحَتْ بَرِيًّا جَنُوبٍ <sup>(٦)</sup> الْعَلَمِ      |
|    | وَأَصْبُو لِعِرْفَانِ عَرَفِ الصَّبَا                  | وَأُهْدِي السَّلَامَ إِلَى ذِي سَلَمِ                    |
|    | وَمَنْ طَرَبَ عَادَ نَحْوَ الْبِرَا                    | قِي أَجْهَشْتُ لِلْبَرْقِ حِينَ <sup>(٧)</sup> ابْتَسَمِ |

(١) في جميع النسخ : « حياء »

(٢) وه : « يؤلفه »

(٣) راجع ديوان ابن زيدون ص ١٢٢

(٤) ب ، ت : « ملاي »

(٥) وه : « عن »

(٦) ب ، ت : « الجنوب »

(٧) وه : « لما »

أما وزمان مضى عهده  
 قضى بالصَّابِغَةَ لما انقضى  
 ليالي نامت عيون الوشا  
 ومالت علينا غصون الهوى  
 وأيامنا مذهبات البرود  
 كأن أبا بكرٍ المسلمي  
 ووشح زهرة ذلك الزمان  
 هو الحاجب المعتلي للبالا  
 ملكك إذا سابقته الملوك  
 فأطولهم بالأيدي يدا  
 وأزوع ، لا مُبتغى رِفده  
 ذلولُ الدَّمَائِ صَعْبُ الإباءِ  
 سما للمَجْرَةِ في أفقها  
 وناصت مساعيه زهرَ النجوم  
 نهيك إذا جن ليلُ العجاج  
 فسام السيوف بهام الكُماة  
 جواد ذراه مَطَافُ العُفَاةِ  
 يهيجُ النزالُ به والشوا  
 شهدنا لأوتى فصل الخطاب  
 وهل فات شيء من المكرمات

٥

١٠

١٥

٢٠

- وَمُسْتَحْمِدٌ بِكَرِيمِ الْفَعَا  
 شِمَائِلُ تَهَجَّرُ عَنْهَا الشَّمُولُ  
 عَلَى الرَّوْضِ مِنْهَا رُؤَا يَرُوقُ  
 أَبُوهُ الَّذِي فَلَّ غَرْبَ الضَّلَالِ  
 وَلَاذَ بِهِ الدِّينُ مُسْتَعِصِمًا  
 وَجَاهَدَ فِي اللَّهِ حَقَّ الْجِهَا  
 فَلَا سَامِيَ الطَّرْفِ إِلَّا أَدَلَّ  
 تَقِيلَ فِي الْعِزِّ مِنْ حَمِيرٍ  
 هُمْ نَعَشُوا الْمَلِكَ حَتَّى اسْتَقَلَّ  
 نَجْمٌ هُدَى وَالْمَعَالِي بُرُوجُ  
 أَبَا بَكْرٍ اسْلَمَ عَلَى الْخَادِثَاتِ  
 أَنْادِيكَ عَنْ مَقَّةٍ عَهْدُهَا  
 وَإِنِّي يَعُدُّنِي عَنْكَ شَحْطُ النَّوَى  
 وَإِنِّي لِأُصْفِيكَ مَحْضَ الْهَوَى  
 وَمَسْتَشْفِعُ بِي بِشَرَّتُهُ  
 وَغَيْرُكَ أَخْفَرَ عَهْدَ الدَّمَامِ  
 وَقَدَمَا أَقَلَّتْ مُسِيءَ الْعِثَارِ  
 وَعِنْدِي لِشُكْرِكَ نَظْمُ الْعُقُودِ  
 تُجِدُّ لِفَخْرِكَ بَرْدَ الشَّبَابِ
- لِ عَفْوًا إِذَا مَا اللَّيْمُ اسْتَدَمَّ  
 وَتُجَنِّي لَهَا مُشْجِيَاتُ النَّغَمِ  
 وَفِي الْمَسْكِ طِيبٌ أَرِيحُ يُشَمُّ  
 وَلَاءَمَ شَعْبَ الْهُدَى فَالْتَأَمَّ  
 بِذِمَّةِ أَبْلَجٍ وَافِي الذَّمِّ ٥  
 دِ مَنْ دَانَ مِنْ دُونِهِ بِالظُّلْمِ (١)  
 وَلَا شَامِخَ الْأَنْفِ إِلَّا رَغَمُ  
 مَقَاوِلَ عَزُّوا جَمِيعَ الْأَمِّ  
 وَهُمْ ظَلَمُوا الْخَطْبَ حَتَّى اظْلَمَ  
 وَأَسَدُ وَغَى وَالْعَوَالِي أَجَمُ ١٠  
 وَلَا زَلَّتْ مِنْ رَبِّبِهَا فِي حَرَمِ  
 كَمَا وَشَّتِ الرَّوْضَ أَيْدِي الرَّهْمِ  
 فَحَظَّتِي أَحْسَنَ وَنَفْسِي ظَلَمَ  
 وَأُخْفِي لُبْعِدِكَ بَرَحَ الْأَلَمِ  
 عَلَى ثِقَةٍ بِالنَّجَاحِ الْأَتَمِّ ١٥  
 إِذَا حُسْنُ ظَنِّي عَلَيْهِ أَدَمَ  
 وَأَحْسَنْتَ بِالصَّفْحِ عَمَّا اجْتَرَمَ  
 تَنَاسَقُ فِيهَا اللَّالِي التَّوَمُ  
 إِذَا لَبَسَ الدَّهْرُ (٢) بُرْدَ الْهَرَمِ

(١) كذا في جميع النسخ ، وفي الديوان ص ١٢٧ : « بالصم »

(٢) م : « المرء »

فَعَشْ مُعْصِمًا بِيَفَاعِ الشُّعُودِ وَدُمُ نَاعِمًا فِي ظِلَالِ النَّعَمِ  
 وَلَا يَزَلُ<sup>(١)</sup> الدَّهْرُ أَيَّامَهُ لَكُمْ حَسَمٌ وَاللَّيَالِي خَدَمٌ  
 هَذَا — أَعَزَّ اللَّهُ الْحَاجِبَ — مَا اقْتَضَتْهُ الْقَرِيحُ مَعَ اقْتِضَائِهَا ، وَأَجَابَتْنَا  
 بِهِ الْبَدِيهَةُ عِنْدَ اسْتِدْعَائِهَا ، وَالذَّهْنُ عَلِيلٌ ، وَالطَّبَعُ كَلِيلٌ ، وَالرَّوْيَةُ فَاسِدَةٌ ،  
 وَسُوقُ الْأَدَبِ إِلَّا عِنْدَهُ كَاسِدَةٌ . وَلَوْ أُنِّي أُوتِيتُ فِي النَّثْرِ غَرَارَةَ عَمْرٍو ،  
 وَبِرَاعَةِ ابْنِ سَهْلٍ ، وَأَمْدَدْتُ فِي النَّظْمِ بَطْنِعَ الْبَحْتَرِيِّ ، وَصِنَاعَةَ الطَّائِي ،  
 لَمَا رَدَدْتُ إِلَى الْحَاجِبِ إِلَّا مَا أَخَذْتُ مِنْهُ ، وَلَا أَوْرَدْتُ عَلَيْهِ غَيْرَ مَا صَدَرَ عَنْهُ ،  
 وَلَمَّا أَنْفَذْتُ مَا أَنْفَذْتُ إِلَّا بَيْنَ أَمَلٍ يَبْسُطُ ، وَخَجَلٍ يَقْبِضُ ، فَرَأَيْهُ مَوْفَقًا فِي أَنْ  
 يَمْنَحَ مَا بَعَثَ الْأَمَلَ إِسْعَافًا ، وَمَا أَوْجَبَ الْخَجَلَ إِغْضَاءً ، لِيَتَأْتِيَ الْإِحْسَانَ مِنْ  
 جِهَاتِهِ ، وَيَسْلُكَ إِلَى الْفَضْلِ طُرُقَاتِهِ . وَمُرَاجَعْتُهُ لِي عَنْ كِتَابِي بَعْدِ كَرِيمٍ ،  
 يَكُونُ كَحَلَّالٍ لِمَعِينِ الرِّضَا بُوَجْنَةِ الْقَبُولِ<sup>(٢)</sup> ، أَقْفُ بِهِ مِنْ تَوَالِي النَّعْمِ عَلَيْهِ ،  
 وَانْتِظَامِ الْأَحْوَالِ بِالصَّلَاحِ لَدَيْهِ ، عَلَى مَا تَبْتَهِجُ لَهُ نَفْسِي ، وَبِانْتِظَامِ مَعَهُ عِقْدُ  
 أَنْبَسِي يَدُ عِنْدِي جِنَاهَا شَهْدٌ ، وَشَذَاهَا عَنَبٌ وَوَرْدٌ ، أَرْفُلُهَا<sup>(٣)</sup> الشُّكْرَ الْجَزِيلَ ،  
 وَأَتْبَعُهَا التَّنَاءَ الْجَمِيلَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وَلِيُبَلِّغَ مِنِّي سَلَامًا يَهْدِي إِلَيْهِ نَفْسَهُ ، وَتَحِيَّةً  
 آخِرُهَا عِنْدِي وَأَوَّلُهَا عِنْدَهُ . ١٥

وَكُتِبَ مِنْ قُرْطُبَةَ إِلَى ابْنِ مَسْأَمَةَ بِإِسْبِئِلِيَّةٍ قَبْلَ تَحْوِيلِهِ إِلَيْهَا :  
 يَا سَيِّدِي ، وَأَرْفَعُ عُدْدِي ، وَأَوَّلَ الذَّخَائِرِ فِي عَدْدِي ، وَأَخْطَرَ عِلْقِي  
 مَلَأْتُ مِنْ اقْتِنَائِهِ يَدِي ، وَمَنْ أَبْقَاهُ اللَّهُ فِي عَيْشَةٍ بَارِدَةٍ الظَّلَالِ ، وَنِعْمَةٍ سَابِغَةٍ

(٢) وه : « القول »

(١) ب ، ت : « ولا تزل »

(٣) وه : « ورداؤها »

الأذيال ، قد تقاصر الثناء عليك ، وتوآلى الحديث الحسنُ عنك ، حتى حَلَّتْ محلَّ الأمانة ، وكنْتَ موضعَ تقليدِ الوطَر ، وإثباتِ الطَّوَيَّة . واللهُ يُمتَّعُ<sup>(١)</sup> بما حازَه لك من الخير ، ووفَّرَه عليك من طيبِ الذِّكر .

في علمك — أعزَّكَ اللهُ — ما تَقْتَضِيهِ العُظْمَةُ من إظلامِ الخاطِر ، وصدَأِ

- النَّفْس ، وَيَجْنِيهِ طُولُ المَقَامِ من إِخْلَاقِ الدِّيَابِجَةِ ، وإِرْخَاصِ القَدْرِ . وقد آن أن أُجْتَنِيَ ثَمَرَةٌ من آدابِ أَطْلُتِ الاعْتِنَاءِ بِهَا ، وأخْلَاقِ أَدَّتْ رِيَاضَةَ الأَنْفُسِ عَلَيْهَا . ولَمَّا مَحَضَتْ المُلُوكُ ، وَجَدَتْ عَمِيدَهُمُ الَّذِي أُنْسَى السَّالِفَ قَبْلَهُ ، وَتَقَدَّمَ الرَّاهِنَ مَعَهُ ، وَأَتَعَبَ الغَابِرَ بَعْدَهُ ، الحَاجِبَ نَخْرَ الدَّوْلَةِ مَوْلَايَ ، وَمَنْ أَطَالَ اللهُ بَقَاءَهُ ، وَكَبَّتْ أَعْدَاءُهُ ، لِمَا خَصَّهُ اللهُ بِهِ من سَنَاءِ الهِمَمِ ، وَسَمَاحَةِ الشِّيمِ ، وَانْتِظَامِ أَسْبَابِ الرِّيَاسَةِ ، وَكَمَالِ آلَاتِ السِّيَاسَةِ ، وَاجْتِمَاعِ المُنَاقِبِ الَّتِي أَفْرَدَتْهُ مِنَ النُّظَرَاءِ ، وَأَعْلَمْتَهُ عن مَرَاتِبِ الأَكْفَاءِ ، فَرَأَيْتُ قَبْلَ أَنْ أَحْمَلَ<sup>(٢)</sup> لغيره نعمة ، أو أوسمَ مِمَّنْ سِوَاهُ بِصَنِيْعَةٍ ، أَنْ أَعْرِضَ نَفْسِي مَمْلُوكَةً عَلَيْهِ ، عَرَضَ مَنْ لَا يُوَهِّئُهَا لِإِجَارَتِهِ إِلَّا بِالاسْتِجَارَةِ<sup>(٣)</sup> ، وَلَا يَطْمَعُ لَهَا فِي قَبُولِهِ إِلَّا مَعَ المَسَاحَةِ<sup>(٤)</sup> ، فَلَوْ كُنْتُ الوَلِيدَ بنَ عُبَيْدِ بَرَاءَةَ نَظْمٌ ، وَجَعْفَرَ بنَ يَحْيَى بِلَاغَةَ نَثْرٍ ، وَإِبْرَاهِيمَ بنَ المَهْدِيِّ طَيْبَ مَجَالِسَةِ ، وَإِمْتِنَاعَ مُشَاهَدَةِ ، ثُمَّ حَضَرْتُ مَجْلِسَهُ<sup>(٥)</sup> العَالِي ، لَمَّا كُنْتُ بِسَعَةِ<sup>(٦)</sup> إِحَاطَتِهِ إِلَّا فِي جَانِبِ التَّقْصِيرِ ، وَتَحْتَ عُهُدَةِ النُّقْصَانِ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَعدِمِ فِي<sup>(٧)</sup> نِجَابَةِ غَرَسِ اليَدِ ، وَإِصَابَةِ طَرِيقِ

(١) ب : « يعتمدك » (٢) و : « أحتمل »

(٣) و : « بإجارته إلا بالاستجارة » (٤) و : « بالمساحة »

(٥) ب ، ت : « بساطه » (٦) ب ، ت : « مع سعة »

(٧) ب ، ت : « منى »

المصنع<sup>(١)</sup> ، من ولاية إخْلِصُها ، ونَصِيحَةٍ مُحَضَّها ، وشُكْرِ أُجْنِيهِ الْعَضِّ من زَهْرَاتِهِ ، وثنَاءِ أُهْدَى إِلَيْهِ الْعَطْرِ من نَفَحَاتِهِ ، <sup>(٢)</sup> ففَوَّضْتُ إِلَيْكَ <sup>(٣)</sup> هذه السَّفارة ، واعتمدتُكَ بتكليفِ النِّيابة ، لوجوهٍ : منها حُطُّوتُكَ لَدِيهِ ، ومكانتُكَ مِنْهُ <sup>(٤)</sup> ، سوَعَكَ اللهُ الموهبةَ في ذلك ، وأنْهَضَكَ بِأَعْبَاءِ الشُّكْرِ لَهَا . ومنها سَرُّوْ مَذْهَبِكَ ، وكرمُ سَجِيَّتِكَ ، وِصْحَةُ مُشَارِكَتِكَ ، لمن لم يَسْتَوْجِبْهَا اسْتِجَابِي ، ولا اسْتَدْعَاها بِمِثْلِ أَسْبَابِي ، من تَدَانِي الجِدَارِ ، وتَصَافِي السَّلْفِ ، والانتِئَاءِ إِلَى أُسْرَةِ الأَدبِ . فَإِنْ وَاقَعَتِ السَّابِحَةُ <sup>(٥)</sup> الإِرَادَةَ ، فَحَظَّ أَقْبَلَ ، وَعَبْدٌ بَلَغَ من قَبُولِ سَيِّدِهِ مَا أَمَّلَ ، ولم أَقُلْ : « عَمَرَكَ اللهُ » كَمَا قِيلَ فِي النَّجْمِينَ ، بل قلتُ : « وقد يَجْمَعُ اللهُ الشَّيْئَيْنِ » ، وَإِنْ عَاقَ حَرِمَانٌ عَادُتَهُ أَنْ يَعُوقَ عَنِ الظَّفَرِ ، وَيَعْتَرِضَ دُونَ الأَمَلِ ، فَأَعْلِمُهُ — أَيَّدَهُ اللهُ — أَنِّي فِي حَالِي العُطْلَةِ مع غَيْرِهِ والتَّصَرُّفِ ، وَيَوْعِي الإِيطَانَ والتَّطَوُّفِ ، كالمَهْتَدِي بِالنَّجْمِ حِينَ عَدِمَ ذُكَا ، ومُتَمَيِّمِ الصَّعِيدِ إِذَا <sup>(٥)</sup> لم يَجِدِ المَاءَ .

فَإِنْ أَغْشَى قَوْمًا غَيْرَهُ أَوْ أَزْرَهُمْ فَكَالوَحْشِ يَدْنِيهِ مِنَ الأَنْسِ المُحَلُّ  
واللهُ يَتَوَلَّاهُ بِالنُّسُخَةِ فِي عُمُرِهِ ، والإِغْلَاءِ لِأَمْرِهِ ، وَيُصَرِّفُ الأَقْدَارَ مع إِثْرِهِ ،  
وَيُصَرِّفُ وجوهَ التَّوْفِيقِ إِلَى اخْتِيَارِهِ .

ولكَ يَا سَيِّدِي فِي انتِدَابِكَ لِمَا نَدَبْتُكَ لَهُ ، مَا لِلسَّاعِي المُنْجِحِ مِنَ الشُّكْرِ ،  
والمُجْتَهِدِ البَالِغِ مِنَ العُذْرِ ، وَمِلاكُ الأَمْرِ تَقْدِيمُ المَرَاجِعَةِ بِالإِيجَابِ فَأَسْكُنُ  
إِلَيْهَا ، والجَوَابِ فَأَعْتَمِدُ عَلَيْهِ ، وَأُهْدِي إِلَيْكَ نَدِيَّ الْعَضِّ النَّاظِرِ مِنَ سَلامِي ،  
وَالأَرِجَ العَاطِرَ مِنَ تَحِيَّتِي .

(٢) — (٢) نه في وه

(١) وه : « الصنع »

(٣) في الأصول : « إليه » (٤) ب ، ت « السابحة » (٥) وه : « حين »



وكتب إثر ذلك إلى المعتضد رُفعةً يقولُ فيها :

أطالَ اللهُ بقاءَ الحاجبِ نحرَ الدولةِ مولايَ وسيدى ، ومولى المناقبِ الجليلةِ ،  
والضرائبِ النفيسةِ ، في أكملِ ما تكفل<sup>(١)</sup> له به من علوِّ القدرِ ، ونفاذِ الأمرِ ،  
وخصَّه من النعمِ بأسبغها سرِّبالا ، وأبردها ظلَّالاً ، وأحمدها مآلاً .

- كنتُ — أعزَّ اللهُ الحاجبَ مولاي — قد كتبتُ إلى الوزيرِ أبي عامرٍ ٥  
عبدِه بما أيقنتُ أنه انتهى إليه ، واشتملَ عليه . فكتبَ الوزيرُ إلى بعضِ  
أسبابه بما يقومُ مقامَ المراجعةِ لي بما يرتفعُ عن<sup>(٢)</sup> قدرِي ، ولا تتسعُ له  
ساحَةُ شكْرِي ، لعلمي أنه عن الحاجبِ — أيده اللهُ — صدرَ ، وبإذنه  
نفَّذَ ، والذي عدَّاني عن أن يكونَ الكتابُ في ذلك إلى الحاجبِ — أبقاه  
الله — التأذُّبُ بأدابِ حُصفاةِ العبيدِ في الإجلالِ والإعظامِ ، وتركِ التبسُّطِ  
والإقدامِ . وقلَّما استغنَّتْ أوائلُ مطالبِ الأتباعِ لحضرةِ<sup>(٣)</sup> الملوكِ عن<sup>(٤)</sup> وسائلِ  
تمهِّدُ لها ، وتعتمدُ أوقاتَ الإمكانِ بها ، لأنِّي اتخذتُ إلى الحاجبِ — أدامَ  
اللهُ علوَّهُ —<sup>(٥)</sup> غيرَ سيادتهِ ذريعةً ، أو التمسْتُ إليه إلا من نفاسةٍ نفسه  
شفاعةً . وإنِّي معدِّلٌ لثبلي عن تغيُّوِ ظلاله ، والاعتمادِ بحبِّه ، وصناعةِ الأدبِ  
كاسدةٍ إلا عليه ، وطريقِ الأملِ موحِشةٍ إلا إليه ! ولم<sup>(٦)</sup> يدعني<sup>(٥)</sup> إلى استطلاعِ ١٥  
ما قبَلَهُ شكٌّ في كرمه ، ولا سوءَ ظنٍّ بسماحةِ شيمه ، بل لزومُ الطريقةِ في  
التَّوطئةِ للمطلبِ ، والتدرُّجِ إلى إحرازِ الأربِ . وحسبي أن أُملي قد ارتادَ  
الجنابَ الرَّحْبَ ، والمشرَبَ العذبَ ، ولعلَّ الخطُوظَ ستُكشَفُ ، والنَّوائبُ

(١) ب ، ت : « ماتكمل » (٢) ب : « مما يرتفع من »

(٣) ب ، ت : « بحضرة » (٤) في الأصول : « من »

(٥-٥) رد في ب ، ت (٦) في الأصول : « ولا »

سُتُصَرَفُ ، إِلَى أَنْ أُبْلَغَ<sup>(١)</sup> إِلَى أْبَعْدِ غَايَاتِ الْأَمَلِ مِنْ مَشَاهِدَةِ حَضْرَتِهِ الْعَلِيَاءِ ،  
وَالنَّظَرِ إِلَى غُرَّتِهِ الزَّهْرَاءِ ، فَوَاللَّهِ مَا يَنْصَرَفُ فُفَكَرِي ، وَلَا يَنْصَرُمُ حِينَ مِنْ  
عُمَرِي إِلَّا فِي الذِّكْرِ لَهُ ، وَالشَّوْقِ إِلَيْهِ ، وَتَصَوُّرِ<sup>(٢)</sup> الْمُثُولِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَأَنَا  
أَقْدَمُ الْإِعْتِدَارَ مِنْ مَهَابَةِ تَسْتَمْلِكُ جَنَانِي ، وَحَصْرِي بِكَادُ يَقْطَعُ فِي أَوَّلِ الْمَشَافَهَةِ  
لساني ، فَإِنْ حَدَثَ ذَلِكَ فَعُذْرِي عُذْرُ الْفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ ، وَقَدْ انْقَطَعَ بَيْنَ  
يَدَيِ الرَّشِيدِ فَقَالَ<sup>(٣)</sup> : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مِنْ فَرَاهَةِ الْعَبْدِ أَنْ تَمْلِكَ قَلْبَهُ  
مَهَابَةُ سَيِّدِهِ .

وَسَيُفْضِي ذَلِكَ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ إِلَى مَا يَسْتَجِيزُهُ الْحَاجِبُ مَوْلَايَ مِنْ إِمْتِنَاعٍ ،  
وَيَقْبَلُهُ مِنْ شَاهِدٍ ، وَيَسْتَطْرُقُهُ مِنْ أَدَبٍ ، وَيَسْتَطْلِقُهُ<sup>(٤)</sup> مِنْ إِجْمَالِ طَلَبٍ ،  
وَجَمَالِ مَذْهَبٍ . كَمَا أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي سَأَصِلُ إِلَى مَا لَمْ أَعْهَدْ مِثْلَهُ مِنْ بَهَاءِ مَنْظَرٍ ،  
وَسِنَاءِ نَجْمٍ ، وَرَفْعَةِ شَانٍ ، وَعِظَمِ سُلْطَانٍ . وَلَعَلَّ السَّعَادَةَ أَنْ<sup>(٥)</sup> تَهَيَّئَ لِي مِنْ  
الْحِظِّ مَا أُثْبِتُ بِهِ مَا ادَّعَيْتُهُ لِنَفْسِي مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ ، وَأُنْجِزُ مَعَهُ مَا قَدَّمْتُ  
عَنْهَا مِنْ هَذِهِ الْعِدَاتِ ، فَحَوْلُ اللَّهِ فِي ذَلِكَ كَفَيْلٍ ، وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ  
الْوَكِيلُ . زَادَ اللَّهُ الْحَاجِبَ مَوْلَايَ مِنْ سَيِّئِ قِسْمِهِ ، وَهَيَّئِ نِعْمِهِ ، وَبَلِّغْهُ  
النِّهَايَةَ مِنْ آمَالِهِ ، وَصَرِّفْ بِمَرْزَتِهِ<sup>(٦)</sup> غَيْرَ الزَّمَانِ عَنْ كَالِهِ<sup>(٦)</sup> .

(١) هـ : «أبعد»

(٢) هـ في هـ

(٣) ب ، ت : « فقال له »

(٤) هـ : « يستطلقه »

(٥) هـ في ب ، ت

(٦-٦) هـ في هـ

وكتب إليه بعد أن صدر عن حضرته إلى قرطبة رُقعةً  
يقولُ فيها :

أطالَ اللهُ بقاءَ مولايَ للنعمِ بطوقها ، <sup>(١)</sup> والآمالَ يصدقها <sup>(١)</sup> ، والمِنِّ  
يُملِّدُها ، والأحرارَ يستعبدُها ، يعلمُ الذي أسأله إعزازَ مولاي ، وإعلاءَ أمره ،  
وصلةَ تأييده ، وتمكينَ نصره ، أني لم أزل منذُ فارقتُ حضرته الجليلة ،  
حُضرةَ المجدِ والسيادة ، ومحلَّ الإقبالِ والسعادة ، لهيَجِ اللسانِ بما أجناني  
من ثمارِ الحكمةِ والنعمَةِ ، وأفاديني من عمَدِ الأدبِ والنَّشْبِ ، فمِن كِبِدِ  
حاسدٍ تصدَّعت ، وأنفاسٍ مُنافِسٍ تقطَّعت ، وناعمِ البالِ كسفتُ بالله ، ومُتمنِّ  
لِحالي طالما تمنيتُ حاله ، وقلَّ لِمَن <sup>(٢)</sup> نال أدنى مكانةٍ منه ، وورقي أولُ  
درجةٍ من الخصوصِ به ، أن تحسُدُهُ الكواكبُ في إشراقها ، وتُنحسِدَ إليه  
الأمانِيُّ من أطرافها ، <sup>(٣)</sup> واللهُ يُبقيهِ <sup>(٣)</sup> لعبيدهِ الذين أنا آخِرُهُم في الخِدْمَةِ ،  
وأولُهُم في شُكْرِ النعمَةِ ، ويرفعُ من همهِم ما انخفض ، ويسبُطُ من آمالِهِم  
ما انقبَض ، ولا يُعِدُّمُهُم التَّقَلُّبُ في نعيمِهِ <sup>(٤)</sup> ، والاعتلاقُ بأسبابِ ذِمِّهِ <sup>(٥)</sup> ،  
بمجدِهِ وكرَمِهِ .

وكانت من مولاي — أعزّه اللهُ — إشارةٌ بل عبارةٌ أعددتُها طليعةً  
لسُعودِ تتوafى <sup>(٦)</sup> طلقاً ، ومقدِّمةً لمسرّاتٍ تتوالى نسقاً <sup>(٧)</sup> . فلما لحقَ الجِسْمُ

(١-١) هـ في ب « (٢) هـ : « قلما »

(٣-٣) هـ في و « (٤) هـ : « نعمته »

(٥) هـ : « ذمته » (٦) ب ، ت : « ستتوafى »

(٧) ب ، ت « ستتوafى سبِقاً »

بعد تركه النفسَ لديه ، والبراءة منها <sup>(١)</sup> إليه ، بالوطن الذي أسلاني عنه ،  
 وأسئني لى العوضَ منه ، تأتيتُ من طاعته المُقترنة بطاعة الله في نفسي مملوكته ،  
<sup>(٢)</sup> لِمَا أَنَا مَهْنَأُ بِهِ ، منافسٌ فيه ، فساعتتِ المآرب ، وأسَمَحَتِ المَطَالِب ، ولم  
 يَرِنِي تَعَدُّرُ وَجْهِ <sup>(٣)</sup> حاولته ، ولا عداني تيسرُ أمرٍ تناولته ، ولم تَبْقَ علةُ  
 تسوُّغٍ باعتراضها الاعتذارَ إِلَّا مَا يَتَرَاخَى <sup>(٤)</sup> ريشًا يعاودُ أمره ، ويتجددُ في  
 الحركةِ إذنه . ولم أستأذن لأن الإذنَ بعدُ عهدُه <sup>(٥)</sup> ، وأن الميعاد لم يحكمْ عقده ،  
 بل تجنبتُ أن أدلَّ بترك المشاورة ، أو أخيلَ برسم المؤامرة <sup>(٦)</sup> . فلهولاي الطولُ  
 في أمرِ الواسطةِ عبده بمراجعةٍ أعتدُّ عليها ، وأجتهدُ في الاتهاءِ إليها . واللهُ  
 يبلغُنِي الأملَ من وقفهٍ بحضرتِه ، ونظرةٍ إلى غرته ، وتقبيلٍ لراحته ، وتصرفٍ  
 في ساحتِه ، فهو المالكُ لذلك ، والقادرُ عليه <sup>(٧)</sup> .

وله <sup>(٨)</sup> من رسالةٍ حذفَ أبو الحسن رحمه الله هنا أكثرها ، ولم يذكُرْ  
 منها إِلَّا قَطْرَةً من وابلٍ ، أو نَفْثَةً من سِحْرِ بَابِل ، وها أَنَا مُثْبِتُهَا على تواليها ،  
 إشادةً بحسنِ معانيها ، واستفادةً من سني آذابه فيها ، وهي :  
 يا سيدي الذي كنتُ أراه أَعَدَّ عُدْدِي لأبدي ، وأخصَّ جُنِّي من  
 زَمَنِي ، وَمَنْ أَبْقَاهُ اللهُ في أصلحِ الأحوال ، وأفسحِ الآمال ، أبدأ من <sup>(٩)</sup>  
 كتابي إليك ، بشرحِ الضرورةِ الحافِزةِ إلى ما صنعتُ ، مما بلغني أنك  
 صدرُ اللّائمين لي عليه ، وأولُ المسفّهين لرأيي فيه ، ومن أمثالهم ويلُ للشجى

(١) ب ، ت : « منه » (٢-٢) رد في ب

(٣) ت : « مايراج » (٤-٤) رد في ب (٥) م : « القادر »

(٦) تقدم ذكر هذه الرسالة موجزة في ص ٣٠٥ ، ويظهر من قوله : « وله من رسالة حذف أبو الحسن رحمه الله هنا أكثرها » أن غير المؤلف أضافها إلى الكتاب ، وقد

أبتناها في المتن لورودها كاملة في معظم النسخ . (٧) م : « جرى »

مَنْ الْخَلِيِّ ، وَهَانَ عَلَى الْأَمَلْسِ مَا لَاقَى <sup>(١)</sup> الدَّيْرَ ، وَأَوْسَطُهُ بِمُعَاتِبَتِكَ عَلَى  
مَا كَانَ مِنْ انفِصَالِكَ عَنِّي ، وَبِرَاءَتِكَ أَمَدَ الْمِحْنَةِ مِنِّي ، وَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ فِي  
وَرْدٍ <sup>(٢)</sup> وَلَا صَدْرٍ مِنْ مُشَارِكَتِي فِيهَا ، وَلَا كَانَتْ لَكَ نَاقَةٌ وَلَا جَمَلٌ فِي  
مُظَاهَرَتِكَ لِي عَلَيْهَا ، مَعَ الْقُدْرَةِ بِكَ عَلَى تَهْوِينِ خَطْبِهَا ، وَتَذْلِيلِ صَعْبِهَا ،  
وَتَلْيِينِ شَدِيدِهَا ، وَتَقْرِيْبِ بَعِيدِهَا

فَأَرَى صِدْقَكَ الْحَدِيثَ وَمَا ذَاكَ لُبْخَلِي عَلَيْكَ بِالْإِغْضَاءِ <sup>(٣)</sup>  
أَنْتَ عَيْنِي وَلَيْسَ مِنْ حَقِّ عَيْنِي غَضُّ أَجْفَانِهَا عَلَى الْأَقْدَاءِ  
وَإِنَّمَا يُعَاتَبُ الْأَدِيمُ ذُو الْبَشَرَةِ . وَالمَثَلُ السَّائِرُ : « وَيَبْقَى الْوُدُّ مَا بَقِيَ الْعِتَابُ »  
وَقَالَ الْأَوَّلُ :

١٠ أَبْلِغْ أَبَا مِسْمَعٍ عَنِّي مُغْلَغَلَةً وَفِي الْعِتَابِ حَيَاةً بَيْنَ أَقْوَامِ  
وَأَخْتِمَهُ بِتَكْلِيفِكَ مَا كَانَ سَبَبَ الْكِتَابِ ، وَالدَّاعِيَ إِلَى الْخِطَابِ ، عَسَاكَ  
أَنْ تَتَلَفَى عَوْدًا مَا ضَيَّعْتَ بَدْءًا ، وَتَهْتَمِلَ آخِرًا مَا أَغْفَلْتَ أَوَّلًا ، فَيَعُودَ غَيْثُهُ  
عَلَى مَا أَفْسَدَ ، وَإِنْ كُنْتَ فِي ذَلِكَ كِدَابِغَةً وَقَدْ حَلِمَ الْأَدِيمُ ، فَهِنْفَعَةُ الْقُوْتِ  
قَبْلَ الْعَطَبِ

١٥ وَخَيْرُ الْأَمْرِ مَا اسْتَقْبَلَتْ مِنْهُ وَلَيْسَ بَأْسٌ تَتَّبَعُهُ اتِّبَاعًا  
فِي عِلْمِكَ أَنَّ سُجُنْتَ مُغَالِبَةً بِالْهَوَى ، وَهُوَ أَخُو الْعَمَى ، وَقَدْنَهَى اللَّهُ تَعَالَى  
عَنْ اتِّبَاعِهِ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ مُضِلٌّ عَنْ <sup>(٤)</sup> سَبِيلِهِ إِذْ يَقُولُ : « وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ  
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ » <sup>(٥)</sup> . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

(١) ب ، ت : « بلقي »

(٢) ب : « مورد »

(٣) راجع ديوان ابن الرومي ص ٣٨

(٤) م : « يضل »

(٥) راجع سورة ٣٨ : ٢٦

إذا أنت لم تعصِ الهوى فادك الهوى إلى بعض ما فيه عليك مقال  
دون تأن تدرك بعض الحاجة به ، أو استتبات تومن موقعة الزلل معه ، بل  
أوردتها سعد وسعد مشتعل<sup>(١)</sup> ما هكذا تورد ياسعد الإبل<sup>(١)</sup>  
وشهد ابن القطار العشار العارى عن<sup>(٢)</sup> الثقة والأمانة ، البعيد من الرعية  
والصيانة ، الناشر لأذنيه طمعا ، الآكل بيديه جسعا ، فكان القول ما قالت  
حذام . ولم يقتصر على أن الحق بالشهود وهو واو عمرو فيهم ، وثون الجمع  
المضاف معهم ، دون أن يلحق بحزيمة ذى الشهادتين ، وينوب منفردا عن اثنين :  
وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد  
وليتنى مع من لا يحل قوله<sup>(٣)</sup> على ، أعذر في شهادته إلى ، ولم يقترب الحشف  
مع سوء السكيلة ، وتشتطف لى الغدة<sup>(٤)</sup> إلى الموت في بيت سلو لية  
خطلتا حشف لم أر النجاء منهما إلا أن ركبതു الحولى الأشهب ،  
ورأيت خراسان مكان الشوق أو هي أقرب<sup>(٥)</sup> ، وكان المتولى سيجنى بعد شهر  
من إنفاذه ، له مجلس حضره فقهاء الحضرة ، ومن أعلم بسيامهم ، وجرى في  
غشيان الحكام مجراهم ، فذكر له أنه اتهمنى بالمغيب على عهد المتوفى مولاي  
كان ، تقع الله صداه ، وبل ثراه ، وثبت عنده مع ذلك أنى ممن تعلقه التهم ،  
ولا ترتفع عنه الظنن ، فكاهم أفتى بالإعذار إلى ، فيما شهد به من ذلك على ،  
ثم سيجنى إن لم آت بمدفع ، أو أصدع من الحجة بمقنع ؛ فاحتاط واجتهد ، وتحررى  
واقصد ، وصالحني من هذه الفتيا على النصف ، بتأخير الإعذار ، وتقديم

(١-١) نه في وه (٢) ب ، ت : « من »

(٣) ب ، ت : « قبوله » (٤) ب ، ت : « العدة »

(٥) ب ، ت : « أو أقرب »

السجن ، والصلحُ جائزٌ بينَ المسلمين . ثم أظهرتُ إليه عقداً كانَ المتوفى — قدسَ الله روحه ونورَ ضريحه — قد أشهدَ فيه أن لا مالَ له ، وأنَّ جميعَ ما تحيطُ به الدارُ التي توفى بُعيدَ هذا الإِشهادِ فيها إنما هو للغانية<sup>(١)</sup> التي في عصمتِهِ حاشا دقائقَ بيئتها ، ومحقراتِ عيبتها . ومعلومٌ أن من أشهدَ بهذا على نفسه ، وتقيَّدَ إلى مثله من لفظه ، فمُحالٌ أن يُخالفَ عهداً ، أو يهلكَ عن وصية . وسألته الشورى فيما أثبتته من هذا العقد ، فلم يجبني إلى ذلك . ولو لم تكن الشورى من أدبِ الله إذ يقول : « وشاورهم في الأمرِ فإذا عزمتَ فتوكلْ على الله »<sup>(٢)</sup> لوجبَ أن يعلمَ أنها لقاحُ العقل ، ورائدُ الصواب ، وأنَّ المشاورَ إحدَى الحسنيين : صواباً يفوزُ بمحمدته ، أو خطأً يشاركُ في مذمته . قال الشاعر :

١٠ ولا تجعلِ الشورى عليكَ غضاضةً فإنَّ الخوافي عُدَّةٌ للقوادمِ  
قد قرعتْ له العصا ، ونبتةٌ على الذي دعوتهُ إليه ، لا يسوغُ لي دفعه عنه ،  
ولا يجوزُ منعي<sup>(٣)</sup> منه ، فحينئذٍ علاني بمواعيدِ \* كانت مواعيدُ عروقِ لها مثلاً \* ،  
\* إذا قطعنَ علماً بدا علمٌ \* . وكان آخرها الذي نسخَ به ما قبله أن تُدرجَ  
الشورى إلى إبقاءِ الشورى للورثة . فتويتُ أرقبُ هذا الحينَ وأرجو أن يحينَ ،  
\* كما يرجو أخو السنّةِ الربيعا \* ، و \* كما في بطونِ الحاملاتِ رجاء \*  
١٥ فكنتُ وإياهُ سحابةً مُمحلٍ رجاها فلما جاوزتهُ استهاتتِ

وفي فصل منها :

ولم أقصَّ عليكِ يا سيدي ممّا اجتلبتهُ إلّا ما شهيرُ شهرةِ الاسمِ ، وعُرف

(١) ب : « للغامة »

(٢) راجع سورة ٣ : ١٥٩

(٣) في النسخ : « معنى » ، والتصحيح عن الديوان ص ٣٦٣

معرفة النسب ، و « ما يوم حليمة بسير » . و كنت أول حبسي قد وضعت من  
 السجن في موضع جرت العادة بوضع مستورى الناس وذوى الهيئات منهم  
 فيه ، وفي الشر خيار ، و بعضه أهون من بعض . فمئيت من مطالبة بعض من  
 ياتمر الناظرُونَ في السجن له ، ويسمعون منه ، بما اقتضى نقلى إلى حيث  
 الجناة المفسدون ، واللصوص المقيدون . وشكوت ذلك إلى الحاكم الحابس لي  
 في اليوم الذي مضى ذكره بمشهد من تقدم وصفه ، فانتفى من الرضا به ،  
 وأظهر الامتعاض منه ، وتقدم إلى الموكل بالسجن في اختيار مجلس أبين فيه  
 من لا تليق بي ملابسته ، وأنتبد عن لا ترضى لي مجالسته . ثم لم ألبث أن  
 أحضره مجلس نظره ، وأمر بتأديبه على امثاله في ما أمره به ، و انتهائه إلى  
 ما حد له . واستأنف العهد في التضييق على ، ومنع من اعتاد صلاتي من الوصول  
 إلى ، فأصعدت إلى غرفة في السجن اقنعني بها مع خساستها ، وأسلانى عن  
 المصيبة بالكون فيها على مضاضتها ، انفرادى من لفيف الأخلاط ، ومن ضمّه  
 السجن من السقاة والسقاط . فحين استوائى إليها عهد بحطى إليهم وخطى بهم ،  
 ووضعى بينهم . فنقلت في نفسى ثلاث نقل على أقيح النصب ، وأسوا  
 الرتب . ودخل إلى في هذه الحال من أبلغنى عن ابن أخى الحكم رسالة  
 جامعة من السب الفاحش لفنون ، مشتملة من الوعيد المرهب على ضروب ،  
 فلو ذات سوارٍ لطمتني !

وإنك لم يفضر عليك كفاخر ضعيفٍ ولم يغلبك مثل مغلبٍ  
 فلم أستطع صبراً ، وعلمت أنى قد أبلت عذراً ، ولم يبق إلا أن يعذرنى لبئد  
 وكاد ، ورأيت أن العاجز من لا يستبد ، فالمرء يعجز لا المحالة <sup>(١)</sup> ، ولم أستجز

(١) م : « لا محالة »



أَنْ أكونَ ثالثَ الأذليينَ : العيرِ والوتدِ . وذكرتُ أنَّ الفِرارَ من الظلمِ ،  
والهربَ مما لا يطاقُ من سُننِ المرسلينَ ، قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ على لسانِ موسى  
عليه السلامَ : « ففررتُ منكمُ لما خفتُكمُ »<sup>(١)</sup> ، وقالَ الشاعرُ :

لا عارَ لا عارَ في الفِرارِ فقد فرَّ نبيُّ الهدى إلى الغارِ

- ونظرتُ في مفارقةِ الوطنِ ، والبيِّنِ عن الأحبةِ ، فتبينَ لي أنَّ إباحشَ نفسي ،  
بإيناسِ أهلي ، وقطعها في صِلَةِ وطني ، غَبْنٌ في الرأيِ ، وخَوْرٌ في العزمِ ، ووجدتُ  
الحرَّ ينامُ على الثُّكلِ ، ولا ينامُ على الذُّلِّ ، وأذنتُ إلى قولهم : ليسَ بينك وبين  
البلادِ نَسَبٌ نفيُّها ما حملَكَ .

\* وإذا نَبأ بك منزلٌ فتحوَّلِ \*

وقالَ بعضُ المحدثينَ :

١٠

أرى الناسَ أهدوثةً فكوني حديثاً حسنُ  
كأنَّ لم يزلْ ما أتى وما قد قضى لم يكنْ  
إذا وِطَنُ رابني فكلُّ مكانٍ وِطَنُ

ولم أستغربُ أن أسامَ مثلَ هذا الخسفِ في مسقطِ رأسي ، ومعقِّ تاممي ، وأولِ  
أرضٍ مسَّ تراها جليدي . فقديماً ضاع المرءُ الفاضلُ في وطنه ، وكسدَ العلقُ  
الغبيطُ في معدنه . قالَ بعضهم :

أضيبُ في معشرِي ومِ بلدِي يُعدُّ عودُ الكِباءِ من حَطيهِ

فاستخرتُ اللهُ عزَّ وجلَّ ، واضحَ وجهِ العُذرِ ، ثابتَ قَدَمِ الحجَّةِ ، عندَ مَنْ  
غَضَّ عينَ الهوى ، وخزَنَ لسانَ التعسُّفِ . واللهُ يُصِيبُ غَرَضَ الصَّوابِ برأْيِي<sup>(٢)</sup> ،

(١) راجع سورة ٢٦ : ٢١ (٢) وه : « برأى »

وَيُقَرَّبُ غَايَةَ الذَّجَاحِ عَلَى سَعْيِي ، حَسْبًا<sup>(١)</sup> فِي عِلْمِهِ أَنِّي مَظْلُومٌ ، مَبْعِيٌّ عَلَيْهِ ،  
مَنْسُوبٌ مَالَمٌ آتِهِ إِلَيَّ ، فَهُوَ الْمُؤَمَّلُ بِذَلِكَ وَالْمَرْجُؤُ لَهُ .

وَلَعَمْرُكَ يَا سَيِّدِي إِنَّ سَاحَةَ الْعُذْرِ لَتَضِيقُ عَنْكَ ، وَمَا تَكَادُ تَسْعُ لَكَ فِي  
إِسْلَامِكَ تَلْمِيذِكَ<sup>(٢)</sup> وَابْنَ جَارِكَ وَشَيْخِكَ الَّذِي لَمْ تَزَلْ مُتَوَفِّرًا عَلَيْهِ ، آخِذًا عَنْهُ ،  
مُقْتَبِسًا مِنْهُ ، مَعَ إِكْثَارِكَ مِنْ ذِكْرِ هَذَا ، وَالِاعْتِدَادِ بِهِ ، وَادِّعَاءِ الْخَفِظِ لَهُ .  
وَقَدْ رَوَيْتَ أَنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ ، وَسَمِعْتَ الْمَثَلَ : « انصُرْ أَخَاكَ  
ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا » ، فَالمرءُ كَثِيرٌ بِأَخِيهِ ، وَلَا أَقْلٌ مِنْ<sup>(٣)</sup> اسْتِعْمَالِ الْجِدِّ ،  
وَاسْتِغْرَاقِ الْجَهْدِ .

\* فَمُبْلَغُ نَفْسٍ عُذْرَهَا مِثْلُ مُنْجِحٍ \*

\* وَلَا لَوْمْ فِي أَمْرِي إِذَا بَلَغَ الْعُذْرُ \*

وَلَكِنْ مَنْ لَكَ بِأَخِيكَ كَلَّةٌ ؟ وَأَيْنَ الشَّرِيكَ فِي الْمُرِّ أَيْنًا ؟ وَبَعْدَ مَا مَرَّ بِي فَالْقَضَاءُ  
غَالِبٌ ، وَمَا حَمَّ وَاقِعٌ ، وَلَا حَذَرَ مِنْ قَدَرٍ ، وَقَدْ سَبَقَ السَّيْفُ الْعَدْلَ ، وَتَقَدَّمَ  
مِنْ فِعْلِي مَا جَفَّ بِهِ الْقَلَمُ ، وَأَنَا الْآنَ بِحَيْثُ أُمِنْتُ بَعْضَ الْأَمْنِ ، إِلَّا أَنْ رَزَا مِنْ  
وَعِيدٍ سَقَطَ إِلَيَّ بِأَنَّ السَّعْيَ لَمْ يَرْتَفِعْ ، وَأَنَّ مَادَةَ الْبَغْيِ لَمْ تَنْقَطِعْ ، وَأَنَّ الْبَصِيرَةَ  
مَسْتَحْكِمَةٌ فِي اسْتِرْجَاعِي مِنَ الْأُفُقِ الَّذِي أُحِلُّ بِهِ ، وَالْجَنَابِ الَّذِي أُحْطُ فِيهِ .

وَأُكِّدُ ذَلِكَ فِي ظَنِّي مَا كَانَ أَشَارَ إِلَيْهِ بَعْضُ مَنْ كُنْتُ آوِي إِلَى الثِّقَةِ بَعْدِهِ ،  
وَأَبْنِي عَلَى الْوَسْاطَةِ مِنْ عَقْدِهِ ، مِنَ الْفُقَهَاءِ الْمَوْسُومِينَ بِالْأَثَرَةِ عِنْدَ الْحُكْمِ الْمَذْكُورِ ،  
وَالْمَكَانَةِ مِنْهُ . وَقَدْ عَاتَبْتُهُ عَلَى تَأَخُّرِهِ عَنْ مُظَافَرَتِي ، وَتَقْصِيرِهِ فِي مُوَازَنَتِي ،  
فَاعْتَدَرَ بِأَنَّ ذَلِكَ لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ ، وَلَا مَنْفَعَةَ لِلْحِيلَةِ فِيهِ ، إِذِ الْمَحْرَضُ عَلَى  
لَا تَتَأْتِي مَعَارَضَتُهُ ، وَلَا يَتَهَيَّأُ الْاسْتِبْدَادُ عَلَيْهِ ؛ وَأَنَّهُ وَصَفَنِي بِالْبِدَاءِ ، وَعَابَنِي

(١) و : « حسباً ذلك » (٢) ب ، ت : « لتلميذك » (٣) و : « مع »

بالتسلط على الأعراس ، ووالله ما استجزرتُ هذا بعد أن هُتِكَ من سِتْرِي  
ما هُتِكَ ، واتهيكَ من حُرُمَاتِي ما اتتهيكَ ، إذ كنتُ أقولُ معذورا ، وأنفثُ  
مصدورا ، فكيفَ قبلَ ذلكَ إذ لم يحدثُ سببٌ ، ولا عرضٌ مُوجبٌ ؟  
\* ومالي وهذا المجتني <sup>(١)</sup> ثم مالياً ؟ \* ، و « سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ <sup>(٢)</sup> » .

وليست هذه ببيكرٍ من التأمم التي دُخِلَ بها بين العصا وإحسانها

وإني رأيتُ غواةَ الرِّجَالِ لا يتركونَ أديماً صحيحاً

ومَنْ يَأْذَنُ إِلَى الْوَاشِينَ تَسْلُقُ مَسَامِعُهُ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ <sup>(٣)</sup>

ويا سيدي :

لو بغير الماءِ حَلَقِي شَرِقُ كُنْتُ كَالْفَصَّانِ بِالماءِ اعْتَصَارِي

ووالله ما توهمتُ أني أوتى مَنْ زعمَ أني أتيتُ منه ، مع اتصالي به ، واطتاعِي  
إليه ، واتباعِي بالتأميلِ له ، والتمويلِ عليه ، \* إنَّ المعارفَ في أهلِ النهيِ ذِمٌّ \* ،  
ولكن

إِذَا كَانَ غَيْرُ اللَّهِ لِلرَّءِ عُدَّةً أَنْتَهُ الرَّزَايَا مِنْ وَجُوهِ الْفَوَائِدِ

لقد كانَ من محاسنِ الشِّيمِ ، وشروطِ المروءةِ والكرَمِ ، أن يَهَبَ لِي ما أَنْكَرَ  
لِمَا عَرَفَ ، وَيَغْفِرَ ما سَخِطَ لِمَا رَضِيَ <sup>(٤)</sup> ، ويدفعُ بالتي هي أحسنُ ، وَيُؤْتِرَ <sup>(٥)</sup>  
الَّذِي هُوَ أَجْمَلُ وَأَرْفَقُ ، ويتوقفُ عندما نُصِّ عليه <sup>(٥)</sup> من سَعَايَةِ ، وَزَفَّ إِلَيْهِ  
من وشايَةِ ؛ فَإِنْ كَانَ باطلاً أَلْغَاهُ ، وَفَضَحَ الخَبْرَ الْمُتَقَرَّبَ بِهِ وَأَقْصَاهُ ، وَإِنْ كَانَ  
حَقًّا صَبَرَ صَبْرَ الحَلِيمِ ، وَأَغْضَى إِغْضَاءَ الكَرِيمِ ، وَقَبِلَ إِنْابَةَ الْمُعْتَبِ ، وَأَقْتَصَدَ

(١) ب ، ت : « وإهداء الجني » - ه : « وهذا الجني »

(٢) سورة ٤٣ : ١٩ (٣) راجع ديوان أبي تمام ص ٧٥

(٤) ب ، ت : « أسخط لما أرضى » (٥) ه : « له »

في مؤاخذه المذنب ، فقدم التوقيف قبل التنقيف ، والتأنيب قبل التأديب ،  
\* فإن الرفق بالجاني عتاب \* ، و \* الحرُّ يُلحَى والعصا للعبيد \*

ولست بمستبق أخا لا تلمه على شعب أي الرجال المهذب؟ (١)  
وهو يرى ويسمع أن بالحضرة قوما لا يحصرهم العد ، تحتمل سقطاتهم ، وتغتفر  
هفواتهم ، وتقال عثراتهم

وما شرُّ الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذي لا تصبحينا  
وما أعلم أنهم يدلون بوسيلة لا أشار لهم فيها ، ولا يمتنون بذريعة ينفردون  
دوني بها

هو الجد حتى تفضل العين أختها وحتى يكون اليوم لليوم سيِّداً (٢)  
فإن كانت مساحتهم لسابقة سلفت فقد أحرزت منها الحظ الأعلى ، أو لكمال  
أدب فقد ضربت فيه بالقدح المعلى ، أو للطف تودد فاقصرت في الاجتهاد ،  
غير أني حرمت التوفيق

والأمر لله رب مجتهد ما خاب إلا لأنه جاهد !

فإن كان ذنبي أن أحسن مطلبي أساء ففي سوء القضاء لي العذر (٣)  
والله لقد أظهرت مدحه ، وأضمرت نصحته ، وتممت على الصاغية له ، وجريت  
ملاء العنان إلى الاعتلاقي به ، أسقيه السائغ من مياه ودي ، وأكسوه (٤)  
السابع من برود حمدي ، وأجنيه الغص من ثمرات شكرى ، وأهدى إليه  
العطر من نفحات ذكري ، لا يفيدني التحبب إليه إلا ضياعاً لديه ،  
ولا يزيدني التقرب منه إلا بعداً عنه

(١) راجع ديوان النابغة في العقد الثمين ص

(٢) راجع ديوان المتنبي (ج ١ ص ١٩٠)

(٣) راجع ديوان أبي تمام ص ٤٢٤ (٤) وه : « وأكسبه »

كَأَنِّي أَسْتَدِينِي بِهِ ابْنَ حَنْبِيَّةٍ إِذَا النَّزْعُ أُذِنَاهُ مِنَ الصَّدْرِ أَبْعَدَا  
والذي أَحْبَبَهُ مِنْكَ ، وَأَثِقُ فِي الْمَسَارِعَةِ إِلَيْهِ بِكَ ، لِقَاؤُهُ مُجَارِيًا ذِكْرِي ، مَفَاوِضًا  
فِي أَمْرِي ، مُعْلِمًا لَهُ بِمَا لَا يَذْهَبُ عَنْهُ مِنْ أَنَّ الَّذِي اخْتَرْتُهُ لِنَفْسِي غَايَةٌ مَا يُسِيءُ  
الرُّوبَةَ ، وَيُسَاءُ الْمَوْلَى مِنْهُ ، فَالْجَلَاءُ أَخُ الْقَتْلِ ، وَالغُرْبَةُ أَحَدُ السَّبَاءَيْنِ ،  
قال اللهُ تَعَالَى : « لَوْ أَنَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرُجُوا مِنْ  
دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ » (١) ، وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَمَنْ يَغْتَرِبُ عَنْ دَارِهِ لَا [يَزَلُ] إِيْرَى (٢) مَصَارِعَ مَظْلُومٍ بِمَجْرًا وَمَسْحَبًا (٣)  
وَتُدْفَنُ مِنْهُ الصَّالِحَاتُ وَإِنْ يُسِيءُ يَكُنْ مَا أَسَاءَ النَّارَ فِي رَأْسِ كِتَابَا

وَقَدْ هَجَرَتْ الْأَرْضَ الَّتِي هِيَ ظَهْرِي ، وَالِدَارَ الَّتِي كَانَتْ مَهْدِي (٤) ، وَغَبْتُ  
عَنْ أُمِّ أَنَا وَاحِدُهَا ، تَمْتَدُّ أَنْفَاسُهَا شَوْقًا إِلَى (٥) ، وَتُعَضُّ أَجْفَانُهَا حُزْنًا عَلَى (٥) ،  
وَاللَّهُ يَرَى بُكَاءَهَا ، وَيَسْمَعُ لِي عَلَى مَنْ ظَلَمَنِي نِدَاءَهَا ، فَالاسْتِجَابَةُ مَضْمُونَةٌ  
لِلْمُخْلِصِ وَالْمَظْلُومِ . وَقَدْ حَمَلْتُ السَّمْتَيْنِ ، وَاسْتَوْجَبْتُ الصَّمْتَيْنِ ، وَلَتَكُنْ بُغَيْتِكَ  
الَّتِي تَدْخُرُهَا عَلَيْهَا كَلِمَةٌ تَأْمِينُ ، وَإِشَارَةٌ إِلَى تَأْنِيسٍ وَتَسْكِينِ ، تُرَاجِعُنِي بِهَا  
فَأَظْهَرُ بِحَيْثُ أَنَا آمِنًا ، وَأَلْقِي الْعَصَا مُطْمَئِنًّا ، فَإِنْ وَجَدْتَ مَحَزَّ الشَّفْرِ فَاَلْعَوَانُ  
لَا تُعْلَمُ الْخِمْرَةَ ، فَإِنْ أَشْبَهْتَ اللَّيْلَةَ الْبَارِحَةَ أَعْلَمْتَنِي بِذَلِكَ ، فَطَلَبْتُ الْأَمْنَ فِي  
مِظَانِهِ ، وَتَقَرَّرْتُ السَّلَامَةَ فِي مِوَاتِنِهَا ، وَصَبَّرْتُ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ  
الْحَاكِمِينَ ، « كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ » (٦) ، وَمَعَ الْيَوْمِ غَدٌ

(١) سُورَةُ ٤ : ٦٦

(٢) هـ : « لَإِيْرَى لَهُ » — رَاجِعْ رِسَائِلَ ابْنِ زَيْدُونَ فِي دِيْوَانِهِ مِ ٣٦٩

(٣) ب ، ت : « وَمَحْسَبَا » (٤) هـ : « مِهَادِي »

(٥—٥) هـ فِي ب ، ت (٦) رَاجِعْ سُورَةَ ٤ : ٧٠

ولكلِّ حالٍ مُعَقَّبٌ ولرُبِّما أَجَلِي لَكَ الْمَكْرُوهُ عَمَّا تَحْمَدُ  
 ولكَ يا سَيِّدِي في انتِدَابِكَ لِمَا نَدَبْتُكَ إِلَيْهِ الْفَضْلُ ؛ وَالْأَيَادِي فَرُوضٌ<sup>(١)</sup> ،  
 وَالصَّنَائِعُ وَدَائِعُ ، « لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ » ، وَالتَّجِيَّةُ الطَّيِّبَةُ وَالسَّلَامُ  
 الْمُرَدَّدُ عَلَى سَيِّدِي .

• ومما يتعلَّقُ بِذِكْرِ وِفاةِ ذِي الْوِزارَتَيْنِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ

فصلٌ من تَارِيخِ الشَّيْخِ أَبِي مَرْوانَ ابْنِ حَيَّانَ ، رَأَيْتُ إِثْبَاتَهُ لِنُبْلِ  
 مَسَاقِهِ ، وَحُسْنِ اتِّسَاقِهِ ، يَقُولُ فِيهِ :

وفي يومِ الاثْنَيْنِ لثَلَاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةٌ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ  
 وَأَرْبَعِيَّةً ، سَارَ الْحَاجِبُ سِرَاجُ الدَّوْلَةِ عَبَّادُ بْنُ مُحَمَّدٍ إِلَى إِسْبِيلِيَّةِ الْحَضْرَةِ الْأَثِيرَةِ  
 ١٠ لِمَطَالَعَتِهَا وَتَأْنِيسِ أَهْلِهَا مِنْ وَحْشَةٍ خَامَرَتْ عَامَّتَهُمْ ، مِنْ أَجْلِ عُدْوَانِ رَجُلٍ  
 مِنْهُمْ عَلَى يَهُودِيٍّ ، جَاءَ لِمَرْجَةِ السُّوقِ عِنْدَهُمْ ، مَارَاهُ<sup>(٢)</sup> فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ، فزَعَمَ  
 أَنَّهُ سَبَّ الشَّرِيعَةَ ، فَبَطَشَ بِهِ الْمُسْلِمُ وَسَطَّ السُّوقَ وَجَرَّحَهُ وَحَرَّكَ عَلَيْهِ الْعَامَّةَ ،  
 فَقبَضَ عَلَيْهِ صَاحِبُ الْمَدِينَةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ وَاعْتَقَلَهُ ، فَكَانَ لِعَامَّةِ النَّاسِ فِي  
 ١٥ إِنْكَارِ حَبْسِهِ كَلَامٌ وَإِكْتَارٌ حَسِيٍّ وَبِالهِ<sup>(٣)</sup> ، نَخَاطِبَ السُّلْطَانَ بِقَرْطَبَةَ يُعَرِّفُهُ<sup>(٤)</sup>  
 مَا كَانَ مِنْهُ وَيَسْتَأْمِرُهُ فِي شَأْنِهِ ، فَعَجَّلَ إِنفَاذَ وَلَدِهِ الْحَاجِبِ سِرَاجِ الدَّوْلَةِ  
 إِلَى إِسْبِيلِيَّةَ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ مِنْ نُخْبَةِ عُلَمَائِهِ وَوَجْهِ رِجَالِهِ ، لِمُشَارَفَةِ الْقِصَّةِ ،  
 وَالاحتِياطِ عَلَى الْعَامَّةِ ، فَعَدَّوْا مَعَهُ وَسَطَّ هَذَا الْيَوْمِ ، وَأَنْفَذَ مَعَهُ ذَا الْوِزارَتَيْنِ

(١) رَجَعَ الْكَلَامُ فِي لِبِّ (٢) ب ، ت ، لِب « مَا أَرَاهُ »

(٣) فِي الْأَصُولِ : « وَنَالَ » (٤) نَهْ فِي ب ، ت ، لِب

أبا الوليد ابن زيدون أحد الثلاثة كبري<sup>(١)</sup> وزرائه المثناة وزارتهم ، عمده دولته ، أزمه<sup>(٢)</sup> النفوذ مع الحاجب على بقيه وعك كان متألماً منه ، ولم يعذره في التوقف من أجله . فمضى لطيبته ، مسوقاً إلى منبته ، وخلف ولده أبا بكر الفذال الوزارة ، المرتسم بالكتابة وراءه ، ساداً مكانه بالحضرة ، فأقر فيها أياماً ، ثم أمر بالمسير وراء والده لأمر كلفه ، أعجل بالانطلاق له ؛ فمضى بعينه غداً يوم السبت لثمان خلون من المحرم سنة ثلاث وستين بعدها . فخلت منهم منازلهم بقرطبة وصيرت إلى سواهم ، فتحدثت الناس بنبؤ<sup>(٣)</sup> مكان الأديب ابن زيدون لدى السلطان ، وأن استمسكه بعلي مرتبته ، بعد مختصة المعتض بالله ، كان من المعتد على الله رعاية لخصوصية ابنه به ، بغض باستمرارها ثقتاه المختصان به ، الحظيَّان لديه ، المستهمنان لخاصته : ابن مرتين وابن عمار ، إلى أن عملا في إبعاده وإبعاد ابنه الرقيب بعده ، فأمضى خلفه ، فعندها استصاعا<sup>(٤)</sup> غصته ، واستهما مكانه ، واحتويا على خاصة السلطان وتدير دولته ؛ ولكل دولة رجال ، ولكل مكتف أبدال . ولم يطل الأمد بابن زيدون — رحمه الله — بعد لحاق ابنه به ، ووجدانه إياه متزايداً في مرضه ، نازحاً عن ألفه ، على جهده في استدعائها<sup>(٥)</sup> على انتهاء المدّة ، واتهاك القوّة . فاستقر به وجعه إلى أن قضى نحبه ، وهلك بدار هجرته إشبيلية صدر رجب سنة ثلاث وستين ، فدفن بها مشهوداً مُفتقداً ، واحتوى ترابها عليه ، فيابعد ما بين قبره وقبر ابنه لدينا رحمه الله عليهما ! فقد تولى من أبي الوليد كهل لن يخاف الدهر مثله جمالاً وبيانا ، وبراعةً ولسانا ، وظرفاً وحلواً من مراتب البلاغة نظماً ونثراً ، بمرقبة

(١) مر : « أكبر »

(٢) مر في ب ، ت ، ب

(٣) مر : « سبق »

(٤) مر : « استصاعا »

(٥) لعل الضمير يعود على : « ألفه »

لم يُخَلِّفْ لها بعده عاطياً ، بقرانه بين الكلامين ، وبراعته في الفنين ، إلا أن يكون عند أولي التحقيق والتحصيل في النظم أمدًا طلقاً ، وأحثَّ عنقاً ، فلا يلصقه فيه تقصيرٌ ولا يخشى رهقاً ، شهوده<sup>(١)</sup> في الفنين عدولٌ مقارنٌ حضورٌ عند أهل المعرفة .

٥ لقد اتَّصَلَ خبرُ هُلُوكِهِ بعشيرته أهلِ قرطبة فتناَعَوْهُ ، وسَيئُوا لفقده ، وحزُّوا عليه ، إذ كان منهم ، متعصباً لهم ، هاوياً إليهم ، حدباً عليهم ، وليجة خيرٍ بينهم وبين سلطانهم الحديثِ الولايةِ ، فصار مُصَابُهُ لديهم كفاءً ما اجْتُثَّ فيه من تأميلهم . والبقاء لمن تفرَّدَ به وحده ،<sup>(٢)</sup> لا ربَّ غيره . ولا جرمَ إذ عزَّى اللهُ إخوانه عنه بامتدادِ بقاءِ فتاهُ النَّدْبِ أبي بكرٍ ولده بعده<sup>(٣)</sup> ساداً ثلثه ، سامياً مسماً ، غائظاً عداه ، عاطياً منتهاه ، بأنواطِ صِدْقٍ ، يجذبُن إلى العلاء بضبعه ، من شماخة<sup>(٤)</sup> ودمانية وحصافةٍ ونزاهةٍ ومعرفةٍ ، ووفورِ حظٍّ من أدبٍ بلاغةٍ وكتابةٍ ، وشركةٍ في التعاليمِ العلية<sup>(٥)</sup> ، واشتدادٍ في رعاية متقادمِ الذمة ، لم يفقدُ إخوانُ أبيه معها إلا عينه . خلالَ حرِّ كُنْ حاله عما قليل بعد أبيه عند سلطانهِ قِسْطاسِ السياسةِ ؛ فاستبصرَ في إحضاره<sup>(٦)</sup> ، وأدناه من اجتبائه<sup>(٦)</sup> ، ورقاه في مراتبِ والده ، منقللاً له في درجاتها ، راضياً بلاءه فيما ناطَ به منها ، حتى فرغَ ذرْوَتِها عمَّا قليل ، فأحظاهُ بالوزارة وصيرهُ وزيراً لحضرته<sup>(٧)</sup> الأثيرةِ إشبيلية ، وجمعَ له أعظمَ خِطَطِها العليةِ ، معاطنِ التنافسِ من قُوَّامِ المملكة

(١) ب ، ت ، لب : « أشهاده » (٢-٢) ره في ب ، ت

(٣) و : « سماحة » (٤) و : « العلية »

(٥) و : « استحضاره » (٦) ب : « أحبائه »

(٧) ب ، ت ، لب : « وزره بحضرته »



خِطَّةَ ولايةِ المدينة <sup>(١)</sup> مجموعةً إلى خِطَّةِ ولايةِ السَّكَّةِ ؛ بكلِّ استقلٍّ ، وعلى كلِّ استظَهَر ، فكفَى وعدلَ ، فاغتبطَ به <sup>(٢)</sup> السلطان ، وواتاهُ الزمان ، « واللهُ يؤتِي فضلَه من يشاء » له الفضلُ والامتنان .

وفي فصل : وكان أبو الوليد مِمَّنْ أنشأتهُ دولةُ الجهاورةِ ، واصطفتهُ

- اصطفاهُ الفرسُ الأساورةُ ؛ اختصَّ بأبي الوليدِ اختصاصَ القُرحِ بالنَّورِ ،  
وارتبطَ بهم ارتباطَ الإفاضةِ بالنَّورِ . وأبو الحزمِ ابنُ جهورٍ إذ ذاك رأسُ الجماعةِ ،  
وأصلُ تلكِ الإمرةِ المطاعةُ ، من رجلٍ أدهى من فقيدِ عُثمان ، وأجراً من  
ليثِ خفَّان ، وأدهى من عمرو بنِ الجَعان .

وكان ابنُ زيدونٍ متصلاً بابنه أبي الوليدِ أطولَ حِقبةِ ، اتصالَ أبي زبيدٍ

- بالوليدِ بنِ عُقبةِ ، وبينهما تألَّفٌ أحرماً بكعبتهِ وطافا ، وسُقياً <sup>(٢)</sup> من تصافيهما  
نطافاً . وابنُ زيدونٍ يَعْتَدُّ ذلكَ حُساماً مسألوا ، ويرى أنه يرُدُّ به صعبَ  
الخطوبِ ذلولاً ، إلى أن طُلبَ عندَ أبيه أبي الحزمِ وتوسَّلَ ، فاستدفعَ به تلكَ  
الأسِنَّةَ المُشرَّعةَ والأسلَ ، فاستثنى إليهِ عِنانَ عَطْفِهِ ، ولا كَفَّ عنه سنانَ  
صرفِهِ ، مع استعطافِهِ له بكلِّ مقالٍ يحلُّ سخائمَ الأحقادِ ، واستلطافِهِ إياه بما  
يُرَدُّ الصَّعبَ سِلْسِ القِيادِ ؛ فمن بديعِ ذلكَ وأحسنِهِ قوله <sup>(٣)</sup> :

إيه أبا الحزمِ اهتبلُ غِرَّةً      ألسِنَّةُ الشكرِ عليها فصاحُ  
لا طار لي حظُّ إلى غايةِ      إن لم أكن منك مريشَ الجناحِ  
عتباك بعد العتبِ أمنيَّةُ      مالي على الدهرِ سواها اقتراحُ  
لم يثنني عن أملٍ ما جرى      قد يرقعُ الخرقُ وتوسى الجراحُ

(١-١) نه في ب — وفي وه « فاكنتي واعتدل »

(٢) ب ، ت ، لب ، وسقياه (٣) راجع ديوان ابن زيدون ص ٩٠

فأشحذُ بِمُحْسِنِ الرَّأْيِ عِزْمِي يُرْعِغُ مِنْهُ الْعِدَا بِكُلِّ شَاكِيٍّ <sup>(١)</sup> السَّلَاحِ  
وَأَشْفَعُ فَلِلشَّافِعِ نَعْمَى بِمَا تُمِرُّ مِنْ عَقْدٍ وَثِيْقِ النَّوَاحِ  
إِنَّ سَحَابَ الْأَفْقِ مِنْهَا الْحَيَا وَالْحَمْدُ فِي تَأْلِيْفِهَا لِلرِّيَّاحِ

وكان القاضي أبو بكر ابن ذكوان ، أجلَّ من اشتمل عليه أوان ، مجدًا وشرفاً ،  
وتفتنًا في العلم وتصرفًا ، مع دُعَابَةٍ حِينَ خَلَوَاتِهِ تَحُلُّ جُبِي الْحَتَبِي ، وَرَقَاعَةٍ عِنْدَ  
نَشْوَاتِهِ كَالْتَنُوخِيِّ وَالْمُهَلَّبِي ؛ فَإِذَا أَصْبَحُوا بِكَرِّ أَبُو بَكْرٍ إِلَى مُصَادِرَةٍ مَا يَتَّجِهُهُ  
عَلَيْهِ الْحُكْمُ وَمَوَاجِهَتِهِ ، وَأَنْكَرَ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ فَكَاهَتِهِ ، فَكَأَنَّمَا فِي بُرْدِيهِ  
الإمام <sup>(٢)</sup> ، وَكَأَنَّهُ وَقَارٌ يَدْخُلُ أَوْ شَمَامٌ ، مَعَ عَدْلِهِ فِي قَضَائِهِ ، وَإِنْفَازِ الْحُكْمِ  
بِمَقْتَضَى الْحَقِّ وَإِمْضَائِهِ . حَتَّى إِذَا رَاحَ الرِّوَّاحُ عَادُوا إِلَى الْقَصْفِ ، وَتَجَاوَزُوا  
فِي مَيْدَانِهِمْ كُلِّ وَصَفٍ ؛ إِلَى أَنْ اخْتَلَسَ أَبُو بَكْرٍ مِنْهُمَا ، وَتَقَلَّصَ ذَيْلُ مُؤَانَسَتِهِ  
عِنْمَا ، فَاعْتَاَصَا عَنْهُ بِسِوَاهِ ، وَأَفَاضَا فِيمَا كَانَا فِيهِ وَمَا تَعَدَّيَاهُ .

وَاتَّفَقَ أَنْ مَرَّ يَوْمًا بِقَبْرِهِ فِي لَمَّةٍ مِنْ إِخْوَانِهِ ، وَجَمَاعَةٍ مِنْ عُمَّارِ مَيْدَانِهِ ،  
فَعَطَفُوا عَلَيْهِ مَسْلَمِينَ وَوَقَفُوا عَلَيْهِ مَتَأَلِّمِينَ ، فَقَالَ أَبُو الْوَلِيدِ <sup>(٣)</sup> :

مَا أَقْبَحَ الدُّنْيَا خِلَافَ مُوَدِّعٍ غَنِيَّتْ بِهِ فِي حُسْنِهَا تَحْتَالُ  
يَا قَبْرُهُ الْعَطِرَ التَّرِي لَا يَبْعَدُنُ حُلُوٌّ مِنَ الْفَتِيَانِ فِيكَ حِلَالُ  
مَا أَنْتَ إِلَّا الْجَفْنُ أَصْبَحَ طَيِّبُهُ نَضَلُّ عَلَيْهِ مِنَ الشَّبَابِ صِقَالُ  
يَا مَنْ شَأَى الْأَمْثَالِ مِنْهُ وَاحِدٌ ضُرِبَتْ بِهِ فِي السُّودِدِ الْأَمْثَالُ  
نَقَصَتْ حَيَاتُكَ حِينَ فَضْلِكَ كَامِلُ هَلَّا اسْتَضَافَ <sup>(٤)</sup> إِلَى السَّكَالِ كَمَالُ !

(١) كذا في الأصول ، وفي الديوان : « أليس شاكي »

(٢) ب ، ت ، لب : « الأنام » (٣) راجع ديوانه ص ١٥٤

(٤) كذا في جميع الأصول ، وفي الديوان : « استضيف »

زرناك لم تأذن كأنك غافل  
 أين الخفاوة روضها غصن الجنى؟  
 هيئات لا عهد كعهدك عابد<sup>(١)</sup>  
 فاذهب ذهاب البرء أعقبه الضنى  
 حيا الحيا مشواك وامتدت على  
 وإذا النسيم اعتل فاعتامت به  
 ولئن أذاك بعد طول صيانة  
 ما كان منك لواجب إغفال  
 أين الطلاقة ماؤها ستسأل؟  
 إذ أنت في وجه الزمان جمال  
 والأمن وافق بعده الأوجال  
 ضاحي ثراك من النعيم ظلال  
 ساحاتك الغدوات والآصال  
 قدر فكل مصونة ستدال

وله<sup>(٢)</sup>:

على دارة الشرفي<sup>(٣)</sup> مني تحية  
 ولا زال روض بالرفصافة ضاحك  
 معاهد كهو لم تزل في ظلالها  
 زمان رياض العيش خضر نواعم  
 فإن باب مني عهدا فبلوعة  
 تذكرت أيامي بها فتبادرت  
 ومن أجلها ادعو لقرطبة المنى  
 فما لحقت تلك الليالي ملامه  
 زكت وعلى وادي العقيق سلام  
 بأرجائها يبكي عليه غمام  
 تدار علينا للسرور مدام  
 ترف وأمواه النعيم جمام  
 يشب لها بين الضلوع ضرام  
 دموعي كما خان الفريد نظام  
 بسقميا ضعيف الطل وهو رهام  
 ولا ذم من ذلك الحبيب ذمام<sup>(٤)</sup>

(١) ب، ت، لب: « غابر » (٢) راجع ديوانه ص ٢٧٦

(٣) كذا في الأصول، وفي الديوان: « على الثقب الشهدي »

(٤) كذا في الديوان، وفي جميع الأصول: « حمام »

وله (١) :

خَلِيلِي لَا فِطْرٌ يَسُرُّ وَلَا أَضْحَى  
لَيْنِ شَاقِنِي شَرِقُ الْعُقَابِ فَلِمَ أزلُ  
وما انفكَّ جوفِي الرُّصَافَةَ مُشْعِرِي  
ويَهْتَاجُ قِصْرُ الْفَارِسِيِّ صَبَابَةَ  
وليسَ ذَمِيمًا عَهْدُ مَجْلِسِ نَاصِحِ  
كَأَنِّي لَمْ أَشْهَدْ لَدَى عَيْنِ شَهْدَةَ  
وقَائِعُ جَانِبِهَا التَّجَنِّي فَإِنْ مَشَى  
وأَيَّامٌ وَضَلَّ بِالْعَقِيقِ اقْتَضَيْتُهَا  
معاهدُ لَدَاتٍ وَأوطَانُ صَبُوءِ  
أَلَا هَلْ إِلَى الزَّهْرَاءِ أَوْبَةٌ نَازِحِ  
مقاصِرُ مُلْكٍ أَشْرَقَتْ جَنَابَتُهَا  
مَحَلُّ ارْتِيَاكِ يُذَكِّرُ الْخُلْدَ طَيْبِيهِ  
هناكَ الْجَمَامُ الرُّزْقُ تَنْدَى حِفَافِهَا  
تَعَوَّضْتُ مِنْ شِدْوِ الْقِيَانِ خِلَالِهَا  
وَمِنْ حَمَلِي الْكَأْسِ الْمَغْدَى مُدِيرُهَا

وله يرثي (٢) :

أَعْبَادُ يَا أَوْفَى الْمُلُوكِ لَقَدْ عَدَا  
عليك زمانٌ مِنْ سَجِيَّتِهِ الْغَدْرُ

(١) راجع ديوانه ص ٥٤

(٢) لم يقع هذا البيت في موه

(٣) ب ، ت ، لب : « الفلحا » (٤) راجع ديوانه ص ١٤١

فَهَلَّا عَدَاهُ أَنْ عَلِيَاكَ حَلِيهُ      وَذَكَرَاكَ فِي أُرْدَانِ أَيَّامِهِ عِطْرُهُ؟  
 أَأَنْفَسَ نَفْسِي فِي الْوَرَى أَقْصَدَ الرَّدَى؟      وَأَخْطَرَ عَلَقِي لِلْهُدَى أَقْصَدَ الدَّهْرُ؟  
 فَهَلْ عَمِ الشَّلْوُ الْمَقْدَسُ أَنْبِي      مُسَوِّغٌ حَالِ ضَلِّ فِي كُنْهَيْهَا<sup>(١)</sup> الْفِكْرُ؟  
 وَأَنْ مَتَانِي لَمْ يُضِعْهُ مُحَمَّدٌ      خَلِيفَتِكَ الْعَدْلُ الرَّضَا وَابْنُكَ الْبِرُّ؟  
 وَأَرْغَمَ فِي بَرِّي أَنْوْفَ عَصَابِي      لِتَسَاؤُهُمْ جَهْمٌ وَمَنْظَرُهُمْ شَرْزُ  
 إِذَا مَا اسْتَوَى فِي الدَّسْتِ عَاقِدَ حَبْوَةٍ      وَقَامَ سِمَاطًا حَفْلِهِ فَلَئِي الصَّدْرُ

وَنُلْمِعُ<sup>(٢)</sup> مِنْ أَخْبَارِ هَذِهِ الْوَقْعَةِ بِلَمْعَةٍ :

قال أبو مروان<sup>(٣)</sup> : وفي سنة اثنتي عشرة وأربعين وأربعمائة<sup>(٤)</sup> أوقع ابن  
 عبادة بن الأظرس إلى جنب يابرة . وكان سبب هذه الحرب أن فتح بن  
 يحيى<sup>(٥)</sup> صاحب لبلبة يومئذ حليف<sup>(٦)</sup> ابن الأظرس وإلى عبادة<sup>(٧)</sup> لضرورة ،  
 فكاشفه ابن الأظرس وخانه فيما كان ائتمنه عليه من ماله الصامت ، عند ما سمعه  
 إليه وديعة وقت تورطه في حرب عبادة قبل ؛ وانبتت بينهما العزيمة ، وأرسل  
 ابن الأظرس في ذلك الوقت خيله للضرب على ابن يحيى فاستغاث عبداً فأرسل  
 إليه خيلاً منتقاةً ، فلحقت الخيل الأظسية وهي قد شنت الغارة على لبلبة ،  
 فكثرت عليهم إذ كانوا ضعفاءهم ، واسترسلوا في أتباع العبّاديين ولا يشعرون ،  
 فإذا بعباد بجملته في كمين قد خرج إثرهم ، فدهشوا وولّوا الأدبار فركبهم

(١) هـ : « ومهما » (٢) رجع الكلام في ر

(٣) ذكر الخبر بجملا في ر ، ومفصلاً في بقية النسخ . وقد آثرنا إثبات الرواية المفصلة

(٤) ز في ب ، ت ، هـ ، لب ، (٥) ر : « ابن عبادة »

(٦) ب ، ت ، هـ ، لب ، هـ : « خليفة »

(٧) هـ : « آل عبادة »

السيفُ ، وبذلَ عبَّادُ المالَ في رؤوسِهِم ، وكانت نقاوة خيلِ ابنِ الأَفسسِ وأبطالِ رجالِهِ ، فجزَّ لَعَبَّادٍ من رؤوسِهِم مائةٌ وخمسونَ رأساً ومن خيلِهِم مثلُها . فقَصَّ جَنَاحَ قِرْنِهِ ، وأَفْنَى حُمَاةَ رجالِهِ . ثم إنَّ عَبَّاداً إثرَ ذلكَ جمعَ خيلَ حُلَفَائِهِ وخيلَهُ وقوَدَ عليها ابنَهُ إِسماعيلَ معَ وزيرِهِ ابنِ سَلَّام ، وخرجَ نحوَ بَلَدِ ابنِ الأَفسسِ يابُرةَ . وقد استدعى أيضاً ابنُ الأَفسسِ حَليفَهُ إِسحاقَ بنَ عبدِ اللهِ ٥ فلحقتُ به خيلُهُ معَ ابنِهِ العِزَّ بعدَ أن جمعَ ابنُ الأَفسسِ بقاياَ جيشِهِ من هزيمَتِهِم التَّمَدِّمَةِ الذِّكْرَ ، وأخرجَ كلَّ مَن قَدَرَ على رُكوبِ دَابَّةٍ من البياضِ بيلدِهِ ، وحشَرَ من رجالِ البوادي بَعَمَلِهِ خلقاً كثيراً ، وأقبلَ بِجمَعِهِ هذا المُنخوبِ ليدفعَ خيلَ ابنِ عَبَّادٍ عن بليدِهِ يابُرةَ ، وقد كان بَرابرةَ حَليفِهِ إِسحاقَ في عسكرِهِ قالوا له : لا تَلقَهُم <sup>(١)</sup> فلستَ تعرفُ قَدَرَ مَن زحفَ نحوَكَ ، ونحنُ رأيناَهُمَ وسمعناَ بِجمَعِهِم بِإشبيليةَ ، فلم يسمعَ منهمَ ومضى . فالتقى الفريقانِ من غيرِ نزولٍ ولا تَعَبَةٍ ، فاختلفوا واجتلدوا مِلِيّاً ، فحقَّقَ العَبَّادِيُّونَ الضَّرابَ ، وتابَعُوا الشَّدَّاتَ ، فحادَ البرابِرُ عنهُ أصحابُ إِسحاقَ ، وانهمزَ ابنُ الأَفسسِ ، ومَحَلَّ السيفُ على جميعِ من معَهُ ، فاستأصلَهُمَ القتلُ ، وقَتَلَ ولدُ إِسحاقَ العِزَّ ، وحزَّ رأسَهُ وبُعِثَ به إلى إِشبيليةَ معَ رأسِ ابنِ عمِّ ابنِ الأَفسسِ صاحبِ يابُرةَ يُدعى ١٥ عبيدَ اللهِ الخِرَّازَ ، ونجاَ ابنُ الأَفسسِ في قطعةٍ من خيلِهِ إلى يابُرةَ .

قال أبو مران : وأقلُّ ما سمعتُ في إحصاءِ قتلى هذهِ الواقعةِ من ثلاثةِ آلافِ رجلٍ فأزيدَ . وأخبرني مَن أثقُ به أن بَطْلِيوسَ بقيتْ مدةً خاليةً الدِّكَّ كالكينِ والأسواقِ من استئصالِ القتلِ لأهلِها في وقعةِ ابنِ عَبَّادٍ هذهِ بفتيانِ

(١) ب ، ت ، لب : « لا تنبهم »

أعمارٍ إلا الشيوخَ والكهولَ الذين أُصيبوا يومئذٍ . فاستدَلَّتْ بِذَلِكَ عَلَى فُشُوِّ  
المصيبةِ . وَجَزِعَ إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مِنْ مُصَابِ ابْنِهِ ، وَلَمْ يَخْضَعْ لَصِدِّهِ عِبَادٍ فِي  
طَلَبِ رَأْسِ ابْنِهِ ، فَإِنَّ عِبَادًا ضَافَهُ إِلَى رَأْسِ جَدِّهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الَّذِي هُوَ مَخْتَزَنُ  
عِنْدَهُ بِإِشْبِيلِيَّةَ . انْتَهَى كَلَامُ ابْنِ حِيَانَ .

٥ قَالَ ابْنُ بَسَّامٍ : وَلَمْ يَزَلِ الرَّأْسَانِ عِنْدَ آلِ عِبَادٍ مَعَ عِدَّةِ رُؤُوسٍ أَهْدَتْهَا  
إِلَيْهِمُ الْقَتْنَةُ الْمُبِيدَةُ ، حَتَّى فَتَحَتْ إِشْبِيلِيَّةً عَلَى الْأَمِيرِ الْأَجَلِّ سِيرِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ  
فَجِيءَ بِجُجُوِّ الْقِيَمَقَلِ مَطْبُوعٍ عَلَيْهِ <sup>(١)</sup> ، فَأَمَرَ بِفَتْحِهِ ، لَا يَشُكُّ أَنَّهُ مَالٌ  
أَوْ ذَخِيرَةٌ ، فَإِذَا هُوَ مَمْلُوءٌ مِنْ رُؤُوسٍ . فَأَعْظَمَ ذَلِكَ وَهَالَهُ ، وَأَمَرَ بِدَفْعِ كُلِّ  
رَأْسٍ مِنْهَا إِلَى مَنْ بَقِيَ مِنْ عَقِبِهِ بِالْحَضْرَةِ .

١٠ حَدَّثَنِي مَنْ رَأَى رَأْسَ يَحْيَى بْنِ عَلِيٍّ الْحُمُودِيِّ نَابِتِ الرَّسْمِ ، غَيْرَ مُتَغَيَّرِ  
الشَّكْلِ ، فَدُفِعَ إِلَى بَعْضِ وَلَدِهِ فَدَفَنَهُ .

قال ابن زيدون في ابن جهور من قصيدة أولها <sup>(٢)</sup> :

أَجَلٌ ! إِنْ لَبِيَّ حَيْثُ أَحْيَاوْهَا الْأَزْدُ      مَهَاةٌ حَمْتَهَا فِي مَرَاتِعِهَا <sup>(٣)</sup> الْأَسْدُ  
يَمَانِيَّةٌ تَدْنُو وَيُنَائِي مَزَارِهَا      فَسَيَّانٍ مِنْهَا فِي الْمَوْسَى الْقَرْبُ وَالْبُعْدُ <sup>(٤)</sup>  
إِذَا نَحْنُ زُرْنَاهَا تَمَرَّدَ مَارِدٌ      وَعِزٌّ ، فَلَمْ نَنْظُرْ بِهِ <sup>(٥)</sup> ، الْأَبْلَقُ الْفَرْدُ  
هُوَ الْمَلِكُ الْمَشْفُوعُ بِالنُّسْكِ مَلِكُهُ <sup>(٦)</sup>      فَلَيْلَهُ مَا يَخْفَى وَبِاللَّهِ <sup>(٧)</sup> مَا يَبْدُو

(١) وه : « مخنوم عليه » (٢) راجع ديوانه ص ١٧٧

(٣) ب ، ت ، لب ، وه : « مراتعها »

(٤) لم يقع هذا البيت والذي يليه في ر

(٥) كذا في الديوان ، وفي جميع الأصول : « فلم يظفر بها »

(٦) ب ، ت ، لب ، وه : « قلبه »

(٧) ب ، ت ، لب : « فيما ملك ما يخفى وبإسرها »

لقد أوسع الإسلام بالأمس حسبةً      نَحَتْ غرضَ الأجرِ الجزيلِ فلم تعدْ  
أباحَ حمى الخمرِ الخبيثةَ حائطًا      حمى الدينِ من أن يُستباحَ له حدُّ  
فطوقَ باستئصالها المصْرَ منةً      يكادُ يؤدِّي شكرَها الحجرُ العَلْدُ  
غنيٌّ، فحسُنُ الظنِّ باللهِ ما لهُ      عزيزٌ، فصنعُ اللهِ من حولهِ جُنْدُ (١)  
لنعمَ حديثُ البرِّ أَوْضَعَتْ (٢) الصِّبَا      تَبَّتْ نثاءُ حيثُ لا يُوضَعُ البُرْدُ (٣)  
وكان ابنُ جهورٍ كسرَ يومئذٍ دنانَ الخمرِ، وكان مدحه أيضًا يومئذٍ بمثل  
ذلكَ عبدُ الرحمنِ بنُ سعيدِ المصغرِ (٤) بشعرٍ أولهُ :  
كسرتَ لجبْرِ الدينِ أوعيةَ الخمرِ      فأحرزتَ خصلَ السبقِ في الكسرِ والجبرِ  
عمدتَ إلى الشرِّ الذي جمَعوا لهُ      ففرقتَ منهُ ، فاسترحنا من الشرِّ (٥)  
١٠ في أبياتٍ غيرِ هذه استبردتُ جملتها . وإنما ذهبَ إلى عكسِ قولٍ من تقدّمَ  
من عُباتِ (٦) الشعراءِ من ذمِّ صبِّ الشرابِ . ومن أشهره قولُ بكرِ بنِ حارثةَ  
الكوفيِّ ، وقد رأى من سلطانٍ وقتهِ مثلَ ذلكَ فقال :  
يا لَقَوِيٍّ ممَّا جَنَى (٧) السَّاطِئُ لا يَكُنْ لِلذِّي أَهَانَ الهِوَانُ !  
سَكَبُوا فِي التُّرَابِ مِنْ حَلَبِ الكَرِّ مِ عُقَارًا كَأَنَّهَا الزَّعْفَرَانُ  
صَبَّهَا فِي مَكَانٍ سَوَاءٍ ، لَقَدْ صَا      دَفَّ سَعْدَ الشُّعُودِ ذَاكَ الْمَكَانُ  
١٥

(١) كذا في الديوان ، وفي الأصول :

عزيزٌ بحسن الظن بالله ، ماله عرين ، فصنع الله من حوله جند

(٢) ب ، ت ، لب ، وه : « أوضعت »

(٣) لم يقع هذا البيت والذي قبله في ر

(٤) ر : « عبد الرحمن بن الأسعد » — وه : « عبد الرحمن بن سعد »

(٥) لم يقع هذا البيت في ر (٦) وه : « أعيان »

(٧) ب ، ت ، لب ، وه : « لقد جنى »



مِنْ كُمَيْتٍ يُبَدِي الْمِرَاجُ لَهَا لَوْ لَوْ نَظَمَ وَالْفَضْلُ<sup>(١)</sup> فِيهَا جُمَانُ  
فَإِذَا مَا اصْطَبَحَتْهَا صَغَّرَتْ فِي الْقَدْرِ عِنْدِي مَنْ أُمَّهُ الْخَيْرُ زَانُ  
كَيْفَ صَبْرِي عَنْ بَعْضِ نَفْسِي وَهَلْ يَصُ بَرُّ عَنْ بَعْضِ نَفْسِهِ الْإِنْسَانُ ؟  
وَبَلَّغَنِي أَنْ الْجَاحِظَ أَتَشِدَّ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ ، فَقَالَ لِلْمُنْشِدِ : « مِنْ حَقِّ الْفَتْوَةِ  
أَنْ أُكْتَبَهَا قَائِمًا ، وَمَا أَقْدِرُ إِلَّا أَنْ تَعْمِدَنِي » لِنَقْرِسِ كَانُ بِهِ . قَالَ الْحَدَّثُ :  
فَعَمِدَتْهُ وَقَامَ فَكْتَبَهَا .

وكان بكر بن حارثة هذا مولى بني أسد ، طيب الشعر ، خليعاً ما جنأ ،  
وكان يالف هذهداً في موضع يأتيه كل يوم يقنينة شراب ، فلا يزال يشرب  
على صوته إلى أن يسكر<sup>(٢)</sup> ، وكان أيضاً يهوى غلاماً نصرانياً وهو القائل :  
<sup>(٣)</sup> زُنَّارُهُ فِي خَصْرِهِ مَقْعُودُ كَأَنَّهُ مِنْ كَبْدِي مَقْدُودُ  
وَبَكَرُ الْقَائِلِ<sup>(٤)</sup> :

قَلْبِي إِلَى مَا ضَرَّنِي دَاعِي يَكْتِرُ أَسْقَامِي وَأَوْجَاعِي<sup>(٥)</sup>  
كَيْفَ احْتِرَاسِي مِنْ عَدُوِّي إِذَا كَانَ عَدُوِّي بَيْنَ أَضْلَاعِي ؟  
وَلصَّاحِ بْنِ عَبِيدٍ فِي مِثْلِ مَا تَقَدَّمَ :  
لَيْسَ هَمِّي وَلَا طَوِيلُ انْتِحَائِي لِمَشِيبِ أَدَالِ<sup>(٥)</sup> عَنِّي شَبَابِي  
لَا ، وَلَا لِأَغْتِرَابِ أَحْبَابِ قَلْبِي أَوْ لَصَدِّ الْإِخْوَانِ وَالْأَنْحَابِ  
إِنَّمَا حَسْرَتِي وَعَبْرَةٌ عَيْنِي لِشَرَابٍ يُصَبُّ فَوْقَ التُّرَابِ  
سُرَّتِ الْأَرْضُ حِينَ صُبَّ عَلَيْهَا فَبَكَتْ صَبَّةً عَيْنُ السَّحَابِ

(١) ر : « والفضل » (٢) ر ، لب : « يسكن » (٣-٢) م في ب

(٤) هذان البيتان ينسبان إلى العباس بن الأحنف . (راجع ديوانه ص ١٠١)

(٥) ب ، ت ، م ، لب : « أزال »

رجع :

وقال ابن زيدون<sup>(١)</sup> يرثي [القاضي أبا بكر ابن ذكوان<sup>(٢)</sup>] :

انظر لحال السرو كيف تحال  
من سرّ لَمَّا عاشَ قلّ متاعه  
ولّى أبو بكرٍ فراغَ له الورى  
يا من شأى الأمثال منه واحد  
نقصت حياتك حين فضلك كامل  
من للقضاء يعزّ في أثنائه  
من لليتيم تتابعت أرزاقه؟  
هيات لا عهدك كعهدك عائد  
حيّا الحيا مثواك وامتدت على  
وإذا النسيم اعتلّ فاعتامت به  
ولئن أذاك<sup>(٤)</sup> بعد طول صيانة

ولدولة العلياء كيف تدال<sup>(٣)</sup>  
فالعيش نومٌ والشورُ خيال  
هولٌ تقاصرُ دونه الأهوال  
ضربت به في السؤدد الأمثال  
هلاّ استضيف إلى الكمال كمال؟  
إيضاحٌ مُشكّلة لها إشكال  
هلك الأب الحاني وضاع المال  
إذ أنت في وجه الزمان جمال  
ضاحي ثراك من النعيم ظلال  
ساحاتك الغدوات والآصال  
قدرٌ فكلّ مصونة ستدال

وقال ابن زيدون<sup>(٥)</sup> يرثي أبا الحزم ابن جهور من قصيدة أولها<sup>(٦)</sup> :

ألم تر أنّ الشمس قد ضمّتها القبرُ  
وأنّ كفاناً فقدّها القمرُ البدرُ؟  
وأنّ الحيا إن كان أقلع صوبه  
فقد فاضّ للأمال في إثره البحرُ  
إسائةٌ دهرٍ أحسنَ الفعل بعدها  
وذنبُ زمانٍ جاء يتبعه العذرُ

(١) ذكرت أبيات من هذا الرثاء في ص ٣٥٨ (٢) راجع ص ٣٥٨

(٣) لم تقع هذه القصيدة في ر (٤) في الأصول : « أذاك »

(٥) راجع ديوانه ص ١٥٠ (٦) ب ، ت ، لب ، م ، ه : « وله من أخرى

مما وجدته بخط ابن حيان يرثي بها أبا الحزم ابن جهور »

- فَلَا يَتَهَنَّ الكَاشِحُونَ مَا دَجَا      لَنَا اللَّيْلُ إِلَّا رَيْثَمَا طَلَعَ الفَجْرُ  
وَأِنْ يَكُ وَلَى جَهْوَزُ فمَحَمَّدُ      خَلِيفَتُهُ العَدْلُ الرِّضَا وَأَبْنُهُ البُرُّ<sup>(١)</sup>  
لَعَمْرِي لِنَعْمَ العَلِقُ أَتَلَفَهُ الرَّدَى      فَبَانَ وَنَمَّ العَلِقُ أَخْلَفَهُ الدهرُ  
هُمَامٌ جَرَى يَتَلَوُ أَبَاهُ كَمَا جَرَى      مُعَاوِيَةُ يُتَلَوُ الَّذِي سَنَّهُ صَخْرُ<sup>(٢)</sup>  
فَقُلْ لِلحَيَارَى قَدْ بَدَا عِلْمُ الهُدَى      وللطامعِ المَعْرُورِ قَدْ قُضِيَ الأَمْرُ  
أَبَا الحَزْمِ قَدْ ذَابَتْ عَلَيْكَ مِنَ الأَسَى      قلوبُ، وَمِنْهَا الصَّبْرُ لَوْ سَاعَدَ الصَّبْرُ  
دَعِ الدَّهْرَ يَفْجَعُ بِالدَّخَائِرِ أَهْلَهُ      مَا لِنَفِيسٍ إِذْ طَوَاكَ الرَّدَى قَدْرُ  
مَسَاعِيكَ حَلَى لِلزَّمَانِ مَرُصَعٌ      وَذِ كُرُكٍ فِي أَرْدَانِ أَبَامَهَا<sup>(٣)</sup> عِطْرُ<sup>(٤)</sup>  
أَمَامِكَ مِنْ حِفْظِ الإِلَهِ صَنِيعَةٌ      وَحَوْلِكَ مِنْ آلائِهِ عَسْكَرُ مَجْرُ  
وَمَا بِكَ مِنْ فَقْرٍ إِلَى نَصْرِ نَاصِرٍ      كَفَتِكَ مِنَ اللَّهِ الكَلَامَةُ وَالنَّصْرُ  
تَحَامَى العِدَا لَمَّا اعْتَلَقَتْكَ جَانِبِي      وَقَالَ المَنَاوِي: شَبَّ عَنْ طَوْقِهِ عَمْرُو

ووجدت له قصيدة أخرى، على رويها ووزنها، رثى بها أم أبي الوليد ابن جهور، وكرراً أكثر أبياتها، أولها<sup>(٥)</sup>:

- هُوَ الدَّهْرُ فَاصْبِرْ لِلَّذِي أَحْدَثَ الدهرُ      فَمِنْ شِيمِ الأَحْرَارِ فِي مِثْلِهَا الصَّبْرُ  
يقول فيها:

هَنِيئًا لِبَطْنِ الأَرْضِ أَنْسٌ مُجَدِّدٌ      بِنَاوِيَةٍ حَلَّتْهُ فَاسْتَوْحَشَ الظَّهْرُ  
بِطَاهِرَةِ الأَنْوَابِ قَانِتَةَ الضُّحَى      مُسَبَّحَةَ الأَنْاءِ مَحْرَابُهَا الحِذْرُ<sup>(٦)</sup>

(١) هذا البيت والأبيات الأربعة التي تليه ناقصة في ر

(٢) لم يقع هذا البيت في ديوانه (٣) في النسخ: « أيام أردانها »

(٤) هذا البيت وما يليه إلى آخر القصيدة ناقص في ر

(٥) راجع ديوانه ص ١٧٤ (٦) لم يقع هذا البيت في ر

فَإِنْ أَنْتَ فَالْنَفْسُ أَنْتَى نَفِيسَةٌ      إِذِ الْجَسْمُ لَا يَسْمُو بِتَدْ كَبِيرِهِ ذِكْرُ  
 حَسَّانٌ إِذَا التَّقْوَى اسْتَبَدَّتْ بِذِكْرِهَا <sup>(١)</sup>      فَمِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ يُسْتَوْضَحُ الْجَهْرُ  
 بِنِي جَهْوَرٍ أَنْتُمْ سَمَاءُ رِيَّاسَةٍ      مَنَاقِبُكُمْ فِي أَفْقِهَا أَنْجَمُ زُهْرُ  
 تَرَى الدَّهْرَ إِنْ يَبْطِشُ فَمِنْكُمْ يَمِينُهُ      وَإِنْ تَضْحَكِ الدُّنْيَا فَأَنْتُمْ لَهَا تُعْرُ  
 لَكُمْ كُلُّ رَقْرَاقِ السَّمَاحِ كَأَنَّهُ      حُسَامٌ عَلَيْهِ مِنْ طَلَاقِهِ أَثْرُ

إلى أبياتٍ غيرِ هذه من سائرِ أبياتِ القصيدةِ استمرَّ فيها بالتقديمِ والتأخيرِ ،  
 والتأنيثِ والتذكيرِ <sup>(١)</sup> ، ثم رثى بها آخرًا عمادًا المعتضدَ ، وجعلَ أوَّلَ  
 قصيدتهِ قوله :

\* هو الدهرُ فاصبرِ للذي أحدثَ الدهرُ \*

١٠ البيت المتقدم ، ثم أتبعه بقوله <sup>(٢)</sup> :

حَيَاةُ الْوَرَى نَهَجٌ إِلَى الْمَوْتِ مَهِيْعٌ      لَهُ فِيهِ إِضَاعٌ كَمَا يُوَضَعُ السَّفَرُ <sup>(٤)</sup>  
 فَيَا وَاضِحَ الْمَنَاجِ جُرْتِ ، فَأَيْمًا      هُوَ الْفَجْرُ يَهْدِيكَ الصَّرَاطُ أَوْ الْبَحْرُ  
 إِذَا الْمَوْتُ أَضْحَى قَصَرَ كُلُّ مُعَمَّرٍ      فَإِنَّ سَوَاءَ طَالَ أَوْ قَصُرَ الْعُمُرُ  
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ الدِّينَ ضَمَّ ذِمَارُهُ      فَلَمْ تَعْنِ أَنْصَارُ عَدِيدِهِمْ كَثْرُ؟  
 بِحَيْثُ اسْتَقَلَّ الْمَلِكُ ثَابِي عِطْفِهِ      وَجَرَّرَ مِنْ أَذْيَالِهِ الْعَسْكَرُ التَّجْرُ  
 أَأَنْفَسَ نَفْسٍ فِي الْوَرَى أَقْصَدَ الرَّدَى      وَأَخْطَرَ عِلْقٍ لِلْهَدَى أَفْقَدَ الدَّهْرُ <sup>(٥)</sup>  
 أَعْبَادُ يَا أَوْفَى الْمُلُوكِ لَقَدْ عَدَا      عَلَيْكَ زَمَانٌ مِنْ سَجِيَّتِهِ الْغَدْرُ  
 فَهَلَّا عَدَاهُ أَنْ عَلَيْكَ حَلِيَهُ      وَذَكَرَكَ فِي أَرْدَانِ أَيَامِهِ عِطْرُ؟

(١-١) نه في ر (٢) كذا في النسخ ، وفي الديوان : « بسرها »

(٣) ذكرت أبيات من هذا الرثاء في ص ٣٦٠ ، ٣٦١

(٤) لم يقع هذا البيت في ر (٥) هذا البيت ناقص في ر

غَشِيَتْ فَلَمْ تَعَشَ الطَّرَادَ سَوَابِحُ  
لَئِنْ كَانَ بَطْنُ الْأَرْضِ هُنَى أَنْسُهُ  
وَلَا تَنْتِ الْمَحْدُورَ عَنْكَ جَلَالَةٌ  
فَهَلْ عَلِمَ الشَّلْوُ الْمُقَدَّسُ أَنْبِي  
وَأَنْ مَتَانِي لَمْ يُضِغْهُ مُحَمَّدٌ  
وَأَزْغَمَ فِي بَرِّي أُنُوفَ عِصَابَةٍ  
إِذَا مَا اسْتَوَى فِي الدَّسْتِ عَاقِدَ حَبْوَةٍ  
وَلَا جُرِّدَتْ بَيْضٌ وَلَا أُشْرِعَتْ سُمُرٌ<sup>(١)</sup>  
بِأَنَّكَ تَأْوِيهِ لَقَدْ أَوْحَشَ الظَّهْرُ  
وَلَا عَدَدُ دَثْرُهُ وَلَا نَائِلُ غَمْرٌ<sup>(٢)</sup>  
مُسَوِّغٌ حَالِ ضَلِّ فِي كُنْهِيَ الْفِكْرُ؟  
خَلِيفَتُكَ الْعَدْلُ الرَّضَا وَابْنُكَ الْبِرُّ؟  
لِقَاؤُهُمْ جَهْمٌ وَلِحَظْمُهُمْ شَرْزُ  
وَقَامَ سِمَاطًا حَفْلِهِ فِي الصَّدْرِ

فتلاعب أبو الوليد كما ترى في هذه القصيدة تلاعب الخطيئة بنسبه<sup>(٣)</sup> ،  
وتصرف تصرف أبي حنيفة في مذهبه ، فأنت وذَكَرَ ، وقدم وأخر . قال  
أبو العلاء<sup>(٤)</sup> :

١٠

رُبِّ لَحْدٍ قَدْ صَارَ لَحْدًا مَرَارًا ضَاحِكٍ مِنْ تَزَاحِمِ الْأَضْدَادِ  
وَبَلَغَنِي أَنَّهُ وَجِدَ لَابِنِ زَيْدُونَ إِثْرَ مَوْتِ عَبَادٍ شَعْرُهُ يَقُولُ فِيهِ :

لَقَدْ سَرَرْنَا أَنَّ النَّعِيَّ مَوْكَلٌ بِطَاغِيَةٍ قَدْ حُمَّ مِنْهُ جِمَامٌ<sup>(٥)</sup>  
تَجَانِبُ صَوْبَ الْمَزْنِ عَنْ ذَلِكَ الصَّدَى وَمَرَّ عَلَيْهِ الْغَيْثُ وَهُوَ جِهَامٌ

وقال يخاطب الوزير أبا عامر ابن عبدوس من قصيدة أولها<sup>(٦)</sup> :

١٥

أَثْرَتْ هِزْبَ الشَّرَى إِذْ رَبَضَ وَنَبَهْتُهُ إِذْ هَادَا فَاغْتَمَضَ  
وَمَا زِلْتَ تَبْسُطُ مُسْتَرَسِلًا إِلَيْهِ يَدَ الْبَغِيِّ لَمَّا انْقَبَضَ<sup>(٧)</sup>

(١) هذا البيت ناقص في ر هذا البيت وما يليه إلى آخر القصيدة ناقص في ر

(٣) ر : « في نسبه » (٤) راجع سقط الزند ص ٢٠٩

(٥) هذان البيتان في ديوانه (٦) راجع ديوان ابن زيدون ص ٢٣٧

(٧) هذا البيت ناقص في ر

أَرَى كُلَّ مُجْرِمٍ أَبَا عَامِرٍ يُسْرُّ إِذَا فِي خِلَاءِ رَكُضٍ (١)  
 أُعِيدُكَ مِنْ أَنْ تَرَى مَنْزَعِي إِذَا وَتَرَى بِالْمُنَايَا أَنْتَقِضُ  
 أَبَا عَامِرٍ أَيْنَ ذَاكَ الْوَفَاءُ إِذِ الدَّهْرُ وَسِنَانُ وَالْعَيْشُ غُضُّ؟  
 وَأَيْنَ الَّذِي كُنْتَ تَعْتَدُّ مِنْ مُصَافَاتِي الْوَاجِبِ الْمُفْتَرِضُ؟ (٢)  
 عَمَدَتَ لِشِعْرِي وَلَمْ تَتَّيَدُ تُعَارِضُ جَوْهَرَهُ بِالْعَرَضُ  
 لَعَمْرِي لَفَوْقَتَ سَهْمِ النَّضَالِ وَأَرْسَلْتَهُ لَوْ أَصَبْتَ الْعَرَضُ (٣)  
 وَشَمَّرْتَ لِلخَوْضِ فِي لُجَّةٍ هِيَ الْمَوْتُ سَاحِلُهَا لَمْ يُحْضُ  
 وَغَرَّكَ مِنْ عَهْدِ وَلَاذِي سَرَابٌ تَرَاءَى وَبَرَقَ وَمَضُ  
 هِيَ الْمَاءُ يَا بِي عَلَى قَابِضٍ وَيَمْنَعُ زُبْدَتَهُ مَنْ مَحْضُ  
 (٤) وَبَعْدُ مَا أَمْسَكَتَ عَنْهُ .

قوله : « هو الماء يأبى على قابض » ، البيت ، أبلغ منه في المعنى قول الوزير  
 أبي محمد ابن عبد الغفور :

هِيَ الشَّمْسُ تَأْبَى عَلَى قَابِضٍ إِذَا الْمَاءُ نَالَتْ نِدَاهُ الْيَدُ (٤)  
 وَنَبَّيْتُهَا بَعْدِي اسْتَحْدَتُ بِسِيرِ إِلَيْكَ لَمَعْنِي نَمَضُ (٥)  
 أَبَا عَامِرٍ عَثْرَةٌ ، فَاسْتَقَلُّ لَتَبْرَمَ مِنْ وُدِّهَا مَا أَنْتَقِضُ  
 وَلَا تَعْتَقِمُ ضَلَّةً بِالْحِجَاكِ وَسَلَّمَ فَرَبَّ احْتِجَاكِ دَحَضُ (٦)  
 وَحَسْبِي أَنِّي أَطْبْتُ الْجَنَى لِأَفْنَانِهِ وَأَبْحْتُ النَّفَضُ

(١) لم يقع هذا البيت والذي يليه إلا في ر

(٢) هذا البيت ناقص في ر (٣) لم يقع هذا البيت في ر

(٤-٥) مر في ب ، ت ، ل ب ، و

(٥) لم يقع هذا البيت ولا الأبيات التي تليه في ر

(٦) كذا في الديوان ، وفي الأصول : « نغض »

وَيَهْنِيكَ أَنْكَ يَا سَيِّدِي غَدَوْتَ مُقَارِنَ<sup>(١)</sup> ذَاكَ الرَّبَّضِ  
ومما<sup>(٢)</sup> أغفل ابنُ بسّام ، من نسيبِ أبي الوليدِ الصَّحيحِ الأقسام ،  
النازحِ عن الأَطَاعِ والأَوْهَامِ ، المُصدِّقِ قولِ الجَعْفَرِيَّةِ فيما يُنصُّ من الإلهام ،  
قولُه<sup>(٣)</sup> :

- لئن قهرَ اليأسُ فيكَ الأملُ      وحالَ تجنُّيكِ دونَ الحيلِ  
وناجاكِ بالإفكِ في الحسودِ      فأعطيتهِ جَهْرَةً ما سألُ  
ورافكِ سحرُ العداِ المفتريِ      وغرَّكِ زورُهُمُ المفتعلِ  
وأقبلتَهُمْ في وَجْهِ القَبولِ      وقابلَهُمْ بِشْرُكِ المقتَبَلِ<sup>(٤)</sup>  
فإنَّ ذِمَامَ الهوى لَنْ أزالُ      أبقيهِ حِفْظًا<sup>(٥)</sup> كما لَمْ أزالُ  
فديتُكَ ، إنَّ تَعَجُّلي بالوفاءِ<sup>(٦)</sup>      فقد يهَبُ الرِّيثُ بعضُ العَجَلِ  
عَلَامَ اطْبَتِكَ<sup>(٧)</sup> دواعي القليِ      وفيمَ نهتُكَ نواهي العَدَلِ ؟  
ألمْ أوثرِ الصَّبْرَ كَيْمَا أَخِفَّ      ألمْ أَكثِرِ الهَجْرَ كَيْلًا أُمَلَّ ؟  
ألمْ أَرْضَ مَنْكَ بِغَيْرِ الرِّضَا      وأبدي الشُّرورَ بما لَمْ أنلُ ؟  
ألمْ اغتَفِرْ مُوبقاتِ الذُّنُو      بِ عَمْدًا أَتَيْتِ بِهَا أَمْ زَلَلُ ؟  
وما ساءَ ظنِّي في أنْ يُسِيءَ      بيَ الفِعلَ حَسُنُكَ حَتَّى فَعَلُ  
على حينِ أصبَحْتَ حَسْبَ الضَّميرِ      ولمْ تَبغِ مِنْكَ الأمانِي بَدَلُ  
وَصانَكَ مِنِّي وفي أبي<sup>١٥</sup>      لعلِّ العِلاقَةَ أَنْ يُبْتَدَلُ

(١) كذا في الديوان ، وفي النسخ « في هول » (٢) هنا يبدأ خرم في ر  
وينتهي بابتداء خبر ولادة ص ٣٧٦ . وأغلب الظن أن غير المؤلف أضاف هذه الزيادة في  
النسخ الأخرى . (٣) راجع ديوانه ص ١٩٥ (٤) هذا البيت لم يقع في ب  
(٥) كذلك في الديوان ، وفي الاصول : « أبلية حفظك »  
(٦) في الديوان « بالجفا » (٧) وه : « علام أطعت »

سَعَيْتِ لتكديرِ عَهْدِ صَفَا  
فَمَا عُوْفِيَتْ مِقَّتِي مِنْ أَدَى  
ومَهْمَا هَزَزْتُ إِلَيْكَ العِتا  
كَأَنَّكَ نَاطِرَتْ أَهْلَ الكَلَامِ  
ولو شِئْتِ رَاجِعْتِ حُرَّ الفَعَالِ  
فَلَمْ يَكُ حَظِّي مِنْكَ الأَخْسَ  
عَلَيْكَ السَّلَامُ سَلَامَ الوَدَاعِ  
وما بَاخْتِيَارِي تَسَلَيْتُ عَنْكَ  
ولم يَنْدِرْ قَلْبِي كَيْفَ النُّزُوعِ  
وَلَيْتَ الَّذِي قَادَ عَفْوًا إِلَيْكَ  
يُحْمِلُ عُذُوبَةَ ذَاكَ اللَّمَى  
وقوله أيضاً:

فَدَيْتُكَ لَيْسَ لِي قَلْبٌ فَاسْأَلُو  
فَإِنْ يَكُنِ الهَوَى دَاءً مَمِيئًا  
أُسِرْتُ عَلَيْكَ عَتَبًا لَيْسَ يَبْقَى  
وَمَا رَدِّي عَلَى الوَاشِينَ إِلَّا  
ولا نَفْسٌ فَانْفَ إِنْ جُفِيَتْ (٣)  
لَمَنْ يَهْوَى فَإِنِّي مُسْتَمِيَتْ  
وَأُضْمِرُ فَيْكَ غَيْظًا لَا يَبِيْتُ (٤)  
رَضِيَتْ بِحَبِّ قَاتِلَتِي رَضِيَتْ  
وقوله:

أَنِّي أُضِيعُ عَهْدَكَ (٥)  
وقَدْ رَأَيْتُكَ الأَمَانِي  
يَا لَيْتَ مَالِكَ عِنْدِي  
أَمْ كَيْفَ أُخْلِفُ وَعْدَكَ؟  
رِضًا فَلَمْ تَتَّعِدْكَ  
مِنَ الهَوَى لِي عِنْدَكَ

(١) كذا في الديوان، وفي الأصول: «صروف» (٢) في الأصول «عهد»  
(٣) لم يرد هذا البيت ولا الذي يليه في الديوان (٤) راجع الديوان ص ٢٦٧  
(٥) راجع الديوان ص ٢٦٦



وطالَ ليلِكَ بَعْدِي كطولِ ليليَ بَعْدَكَ  
سَلِي حَيَاتِي أَهْبَهَا فَلستُ أملكُ رَدَّكَ  
الدَّهْرُ عِبيدِي لَمَّا أَصبَحْتُ في الحُبِّ عِبدَكَ

ولأبي بكر بن عمار يخاطبُ أبا الوليد ابن زيدون رحمهما الله :

- كيفَ اعترزتِ على الدَّليلِ وقطعتِ أسبابَ الوُصولِ؟  
وقتلْتيني وزعتِ أَنَّ مِ الذَّنْبَ مِنَّا اللِّقْمِ  
وعليكِ جاهدتِ العِدا وإليكِ ملتُ عن العُدُولِ  
يا قاتلي ودمي بصفه حقه خده أهدى دليل  
ما أليقَ الفعلِ الجَمِيعِ لَبَدلكَ الوجهِ الجميلِ!  
أُبرزتِ في خَلقِ الكَرِيهِ مِ وراءه خلقَ البَحْخِيلِ  
ودعوتني حتى أجبهُ تُكَمِّمُ حَدتَ عن السَّبِيلِ  
جُدْ بالتَّليلِ فَإِنَّ نَفَّ سِيَّ مِنْكَ تَقنَعُ بالتَّليلِ  
واذكُرْهُ على زمنِ قطعهُ ناهُ بصافيةِ شمولِ  
إذْ نَسَحَبُ الأذْيالَ ما بينَ الخَلِيجِ إلى النَّخِيلِ  
ونَحَلُّ من سِيفِ الغَدِيهِ رِ بُقْبَةَ الظِّلِّ الظَّلِيلِ  
والرَّوضُ مَطوورٌ تَمِّمُ مِ عليه أنفاسُ القَبُولِ  
والشَّمْسُ ترمُمُنَا خلا لَ الغيمِ عن طَرَفِ كِليلِ  
إِبَّانَ يَحْدُو الرِّعْدُ مِنْ وُزْقِ السَّحَابِ كالحَمُولِ<sup>(١)</sup>  
ويَهْزُ كَفُّ البرقِ في الأ آفاقِ مرهفةِ النُّصُولِ  
زمنٌ سَتبكيه الحَمَا مُ معي وتَذهَلُ عن هَدِيلِ

يا برقُ أَدِّ رَسَالَتِي      تَفْدِيكَ نَفْسِي مِنْ رَسُولِ  
عَرَجٍ بِسَلْبٍ مُحْيِيًّا      مَا شِئْتَ مِنْ تَلَكِ الطُّلُولِ  
وَالْمَعِ عَلَى شُرُفَاتِ حَمِّ      صَ قَرَارَةِ الشَّرْفِ الْأَثِيلِ  
فَإِذَا اجْتَلَكَ أَبُو الْوَلِي      بِدِ بِنَاطِرِ الْيَقِظِ النَّبِيلِ  
فَاقْرَأْهُ مِنْ قَلْبِي سَلَا      مَا يَقْتَضِي حَسْنَ الْقَبُولِ  
يَا عُرَّةَ الزَّمَنِ الْبَهِي      مِ وَعِزَّةَ الْأَدْبِ الذَّلِيلِ  
وَمُحَكِّمَ الْقَلَمِ الْقَصِي      رِ عَلَى شَبَا الرُّمَحِ الطَّوِيلِ  
أَعْلَمْتَ أَنِّي خَادِمٌ      ذِ كَرَّاكَ بِالشُّكْرِ الْجَزِيلِ؟  
لَمْ أَسْتَجِلْ عَمَّا عَهْدُ      تَ مَعَ الزَّمَانِ الْمُسْتَحِيلِ  
أَشْفَعُ عِنَايَتَكَ الْجَلِي      لِمَةَ لِي لَدَى الْمَلِكِ الْجَلِيلِ  
وَلَيْتَنِي أَجَبْتُ لِرَاغِبٍ      وَأَقْلَتَ عَثْرَةَ مُسْتَقِيلِ  
فَلَكُمْ أَنْبَتَ بِمَثَلِهَا      وَهِيَ الصَّنِيعَةُ فِي مَثِيلِ  
يَا أَنْسَ بَدْرٍ<sup>(١)</sup> فِي الظَّلَا      مِ وَبَرْدَ ظِلِّ فِي التَّمِيلِ

وله يتغزلُ في ولادة<sup>(٢)</sup> :

يا نازحًا وضهيرُ القلبِ مشواه      أَنْسَتَكَ دُنْيَاكَ عَبْدًا أَنْتَ مَوْلاهُ  
أَلْهَتَكَ عَنْهُ فَكَاهَاتُ تَلَدُ بِهَا      فَلَيْسَ يَجْرِي بِبَالٍ مِنْكَ ذِكْرَاهُ  
عَلَّ اللَّيَالِي تُبْقِيَنِي إِلَى أَمَلٍ<sup>(٣)</sup>      الدَّهْرُ يَعْلَمُ وَالْأَيَّامُ مَعْنَاهُ  
وله يتشوقُ إليها<sup>(٤)</sup> :

غريبٌ بأقصى الشرقِ يشكرُ للصِّبَا      تَحْمِلُهَا مِنْهُ السَّلَامُ إِلَى الْغَرْبِ

(١) ب، ت، لب : « بدرى » (٢) راجع ديوانه من ٢٥٨

(٣) كذا في الديوان ، وفي النسخ : « أجل » (٤) راجع الديوان من ٣٤

وما ضراً أنفاس الصبا في احتماها  
سلاماً فتى يهديه جسم إلى قلب  
وله (١) :

أبوحشني الزمان وأنت أنسي  
ويظلم لي النهار وأنت شمسي ؟  
وأغرس في محبتك الأمانى  
فأجني الموت من ثمرات غرسي ؟  
لقد جازيت هجرًا عن وفاء  
وبعت موذتي ظلمًا ببخس  
ولو أن الزمان أطاع حكمي  
فديتك من مكارهه بنفسي  
وله (٢) :

ولقد شكوتك للهوى [...] ودعوت من حنق عليك فأمنا  
منيت نفسي من هواك بضلة  
ولقد تغر المرء بارقة العنى

وله يُتغزل ويُعبأب من يستعطف ويستنزل :  
١٠

يا مُستخفًا بعاشقيه ومُستغفًا لناصحيه  
ومن أطاع الوشاة فينا حتى أطعنا السلوة فيه  
الحمد لله إذ أراني تكذيب ما كنت تدعيه

وكتب عن المعتضد إلى صهره الموفق أبي الجيوش ابن مجاهد :

عرفت عرف الصبا إذ هب عطره  
من أفق من أنا في قلبى أشطره  
أراد تجديد ذكره على شحط  
وما تيقن أنى الدهر ذاكره  
نأى المزار به والدار دانية  
يا حبذا الفأل لو صحت زاجره  
خلى أبا الجيوش ، هل يقضى اللقاء لنا  
فيسق منك قلب أنت هاجره ؟  
١٥

بعضُ خبرِ ولادة<sup>(١)</sup>

قال ابن بسام<sup>(٢)</sup> : وأما ولادةُ التي ذكرها أبو الوليد ابن زيدون في شعره فإنها بنتُ محمد بن عبد الرحمن النَّاصِرِي . وكانت في نساء أهل زمانها ، واحدة أقرانها<sup>(٣)</sup> ، حضورَ شاهد ، وحرارة أوايد ، وحُسنَ منظرٍ ومُخبر ، وحلاوة مورِدٍ ومصدر . وكان مجلسُها بقرطبةً منتدَى لأحرارِ المِصر ، وفناؤها ملعباً لجيادِ النّظْمِ والنّثر ؛ يعيشُ أهلُ الأدبِ إلى ضوءِ غُرَّتِها ، ويتهاكُّ أفرادُ الشعراءِ والكتّابِ على حلاوةِ عِشْرَتِها ، إلى سهولةِ حِجَابِها ، وكثرةِ مُنتابِها . تخلطُ ذلكَ بعلوِّ نِصاب ، وكرمِ أنساب<sup>(٤)</sup> ، وطهارةِ أثواب . على أنها — سمحَ اللهُ لها ، وتعمد زللها — اطّرحَتِ التحصيل ، وأوجدتْ إلى القولِ فيها السَّبيل ، بقلةِ مُبالِغَتِها ، ومجاهرتِها بلذاتِها . كتبتُ — زعموا — على أحدِ عاتقَي نوبِها :

أنا واللهِ أصْلَحُ للعاليِ وأمشِي مِشِيَّتِي وأتبعُه تَبِيهَا  
وكتبتُ على الآخرِ :

وأمكنُ عاشِقِي من صحنِ خَدِي وَأعْطِي قُبْلَتِي مَنْ يَشْتَهِيهَا  
هكذا وجدتُ هذا الخبرَ ، وأبرأُ إلى اللهِ من عُهدَةِ ناقلِيه ، وإلى الأدبِ من غَلَطِ النّقلِ إن كان وقعَ فيه .

ولها مع أبي الوليد ابن زيدون أخبارٌ طوالٌ وقِصار ، يفوت إحصاؤها ،

(١) ورد هذا العنوان في نسخة ر على الهامش ، وهو في هامش و : « التعريف

بولادة » (٢) رجع الكلام في ر (٣) ب ، ت ، لب : « أو أنها »

(٤) ر : « انتساب »

ويشوق استقصاؤها .

قال أبو الوليد<sup>(١)</sup> : كنتُ في أيامِ الشباب ، وعمرةِ التَّصَاب ، هائمًا بعادة ،  
تُدعى ولادة ، فلما قَدَّرَ اللقاء ، وساعدَ القضاء ، كتبتُ إلى :

ترقبُ إذا جنَّ الظلامُ زيارتي      فإني رأيتُ الليلَ أكرمَ للسرِّ  
وَبِي مَنْكَ مالو كانَ بالبدرِ ما بَدَا      وبالليلِ ما أدجى ، والنجمِ لم يَسرْ  
فلما طوى النهارُ كَافُورَه ، ونشرَ الليلُ عُنبرَه<sup>(٢)</sup> ، أقبلتُ بَقَدِّ كالتضيب ، وردفِ  
كالكتيب ، وقد أظبقتُ نرجسَ المقل ، على وَرْدِ الخجل ، فإلنا إلى روضِ  
مُدبَّج ، وظلِّ سَجَسَج ، قد قامتُ راياتُ أشجاره ، وفاضتُ سلاسلُ أنهاره ،  
ودُرُّ الطلِّ منشور ، وجيبُ الرِّاحِ مزرور ، فلما شَبَبْنَا نارها ، وأدرَكتُ فينا نارها ،  
باح كلُّ مَنَّا بحبِّه ، وشكا أليمَ ما بقلبه ، وبتنا بليلى نَجْجِي أفضوان الثغور ،  
ونقطفُ رَمَانَ الصُّدُور . فلما انفصلتُ عنها صباحا ، أنشدتها ارتياحا :

ودَّعَ الصَّبَرَ حَبًِّ ودَعَاكَ      ذائعٌ من سرِّه ما استودعَكَ  
يقرعُ السَّنَّ عَلَى أن لم يكنْ      زادَ في تلكَ الخُطَى إذ شَيَعَكَ  
يا أخوا البدرِ سَناءَ وَسَناءِ      حَفِظَ اللهُ زمانًا أطلَعَكَ  
إن يطلُنْ بعدكَ لَيْلِي فلَكمْ      بِتِ أَشْكَو قِصَرَ اللَّيْلِ مَعَكَ !

قال أبو الوليد : وكانت عُتْبَةُ قد غَنَّتْنَا :

أحَبَّتْنَا إني بلغتُ مؤملي      وساعدني دهرِي وواصلني حِيي  
وجاء يُهنِّيني البشيرُ بقرِّبه      فأعطيته نفسِي وزدتُ له قَلْبِي

(١) رجع الكلام في ر (٢) ر : « غيره »

فسألتها الإعادة ، بغير أمرٍ ولادةً ، فخبباً منها برقُ التبسمُ ، وبدا عارضُ  
التجهمُ ، وعابتُ عتبةً ، ققلتُ :

وما ضربتُ عُتْبِي لذنْبِ أُنْتِ بِهِ      ولكنَّما وِلادَةٌ تشْتَهِي ضَرْبِي  
فقامتُ تَجْرُ الذَّيْلَ عاتِرَةً بِهِ      وتمسَّحُ طَلَّ الدَّمْعِ بِالْعَنَمِ الرِّطْبِ  
فبتنا على العتاب ، في غيرِ اصْطِحاب ، ودمُ المدامِ مَسْفُوكٌ ، وماخِذُ اللّهُوِ  
مُتْرُوكٌ . فلما قامتُ خطباءُ الطَّيَّارِ ، على منابرِ الأشجارِ ، وأنفت من  
الاعترافِ ، وباكرتُ إلى الانصرافِ ، وشئتُ بِمِسْكِ الأَنْقَاسِ ، على كافورِ  
الأطراسِ :

لو كنتُ نَصِيفُ في الهَوَى ما بَيْنَنا      لم تَهْوَ جاريتي ولم تَتَخَيَّرِ  
وتركتُ غُصْناً مُثْمِراً بِجِمالِهِ      وجَنَحْتَ للغُصْنِ الذي لم يُشِيرِ  
ولقد علمتُ بأنِّي بَدْرُ السِما      لكنْ دُهَيْتَ لِشِقْوَتِي بِالمُشْتَرِي (١)  
وأما ذكاهِ خاطرِها ، وحرارةِ نوادرِها ، فأيةٌ من آياتِ فاطِرها .

مررتُ بالوزيرِ أبي عامرِ ابنِ عبْدوسِ المتقدِّمِ الذِّكْرِ ، وكانَ بقرطبةَ أحدَ  
أعيانِ المِصرِ ، وبعضَ مَنْ هَدَى بِاسْمِها ، وتصرَّفَ على حُكْمِها ، وأمامَ دارِهِ بركةٌ  
دائمةٌ تتولَّدُ عن كثرةِ الأمطارِ ، وربَّما استمدَّتْ بشيءٍ مما هنالكِ مِنَ الأقدارِ ،  
وقد نشرَ أبو عامرٍ كُتَيْبَهُ ، ونظرَ في عِطْفِيهِ ، وحشرَ أعوانَهُ إليه ، فقالت له :  
أبا عامر !

أنتَ الخَصِيبُ وهذِهِ مِصرُ      فتَدَفَّقَا فِكِلا كُما بِبحرِ  
فتركتُهُ لا يُحِيرُ حَرْفاً ، ولا يَرُدُّ طَرْفاً .

(١) لم يقع هذا البيت في ب ، ت

وطال عمرها وعمر أبي عامر حتى أربيا على الثمانين ، وهو لا يدع مواصلتها ، ولا يُغفل مراسلتها . وتحيف هذا الدهر المُستطيلُ حالَ ولادة ، فكان يحملُ كلَّها ، ويرقعُ ظلَّها ، على جذبِ واديه ، وجمودِ روائحه وغواديه ، أثرًا جميلًا أبقاه ، وطلقًا من الظرفِ جرى إليه حتى استوفاه .

- وكانت — زعموا — تقرضُ أبياتًا من الشعرِ ، وقد قرأتُ أشياء منه في بعضِ التعليقات ، أضربتُ عن ذكره ، وطويته بأسره ، لأنَّ أكثره هجاء ، وليس له عندي إعادة ولا إبداء ، ولا من كتابي أرض ولا سماء .  
ونشيرُ ها هنا أيضًا إلى شيء من أخبارِ أبيها المستكفي مدًا لأطنابِ الآدابِ ، ووفاء بشرطِ الكتاب .

١٠ التعريفُ بِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ النَّاصِرِيِّ  
والدُّ وَوَلَادَةٌ<sup>(١)</sup>

- قال أبو حيان<sup>(٢)</sup> : بُويجَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِيُّ ، يَوْمَ قُتِلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْمُسْتَظْهِرُ يَوْمَ السَّبْتِ لثَلَاثِ خُلُوفٍ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ أَرْبَعِ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِينَ ، فَتَسَمَّى بِالْمُسْتَكْفِيِّ بِاللَّهِ ، اسْمًا ذُكِرَ لَهُ فَاخْتَارَهُ لِنَفْسِهِ ، وَحَكَمَ بِهِ سُوهُ الْإِتِّفَاقِ عَلَيْهِ ، لِمَا كَلَّمَهُ لِعَبْدِ اللَّهِ الْمُسْتَكْفِيِّ الْعَبَّاسِيِّ أَوَّلِ مَنْ تَسَمَّى بِهِ فِي أَفْنِهِ وَوَهْنِهِ ، وَتَخَلَّفَهُ وَضَعْفَهُ ، بَلْ كَانَ هَذَا زَائِدًا عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ ، مُقَصِّرًا عَنْ خِلَالِ مُلُوكِيَّةٍ كَانَتْ فِي الْمُسْتَكْفِيِّ سَمِيَّةً ، لَمْ يُحْسِنْهَا مُحَمَّدٌ هَذَا لِقَرِطٍ تَخَلَّفَهُ عَلَى اشْتِبَاهِهِمَا فِي سَائِرِ ذَلِكَ كُلِّهِ : مِنْ تَوَثُّبِهِمَا فِي الْفِتْنَةِ<sup>(٣)</sup> ، وَاسْتِظْهَارِهِمَا بِالْفَسَقَةِ ، وَاعْتِدَاءِ

(١) وقع هذا العنوان في ه فقط على الهامش

(٢) ذكر الخبر موجزا في ر (٣) ه : « بالفتنة »

كل واحدٍ منهما على ابن عمِّ ذي رَحِمٍ مائة ، وتوسَّط كل واحدٍ منهما في شأنه  
بامرأةٍ خبيثة ، فلذلك حسناء الشيرازية ، ولهذا بنت سكرى العروزيَّة ؛  
فأصبحا في ذلك على فرطِ التنايِ عبرة .

وقال صاحبُ كتابِ نَقَطِ العرُوسِ : ومن العجب اتفقاُهما في الأخلاقِ  
وفي العُمرِ واللَّقبِ ، وأنَّ كلَّ واحدٍ منهما خُلِعَ عن الأمرِ ، وكلَّ واحدٍ منهما  
تركَهُ أبوه صغيراً .

قال أبو حيان : ولم يكن هذا المستكفي من هذا الأمر في وزدٍ ولا صدر ،  
إنما أرسله الله تعالى على أهل قرطبة محنةً وبليةً ، إذ كان منذُ عرف غفلاً  
عظلاً منقطعاً إلى البطالة ، مجبولاً على الجهالة ، عاطلاً من كلِّ خلةٍ تدلُّ على  
فضيلة . عضته الفتنه فأملق حتى استجاز طلب الصدقة . رأته أيام الحنفِ ١٠  
بأهل بيته في الدولة الحمودية ، ولم يكن ممن لحقه الاعتقال لتحقير أمره ،  
يقصد أهل الفلاحَةِ أو ان ضمهم لغلاتهم يسألهم من زكاتها تكليماً ومخاطبة .

وبالجملة في تلخيص التعريف بأمره أن أجمع أهل التحصيل أنه لم يجلس  
في الإمارة مدة تلك الفتنه أسقط منه ولا أنقص ، إذ لم يزل معروفاً بالتخلفِ  
والرِّكَاكَةِ ، مشتهراً بالشربِ والبطالة ، سقيم السرِّ والعلانية ، أسير الشهوة ، عاهر  
الخلوة ، ضدّاً لقتيله عبد الرحمن المستظهر في الأدب<sup>(١)</sup> والمعرفة . وكان افتتح  
هذه السنَّة المؤرخة القاسم بن حمود بخلافته ، واختتمها هذا المستكفي المذكور .  
وكان بينهما عبد الرحمن المستظهر القليل ، فتصرَّمت تلك السنَّة النكدة عن  
ثلاثة خلفاء . وهذا من غريب الأنباء ، والله البقاء السرمدى .

(١) ب ، ت ، لب ، ر : « الب »



وقلّد هذا المستكفي الأمر ولم يكن من أهله ، فتلقّى جميع الناس بالإيناس واستمالهم بالأهوية ، ورأى أن المال عزيز ، فظنّ البشر الرخيص يقوم مقامه ، أو ينوب منابه . فكان يقول للناس أجمعين : ارتعوا كيف شئتم ، وتسمّوا بما أحببتم من الخطط . قسمّى بالوزارة في أيامه مفردة<sup>(١)</sup> ومُنْتَاة أراذل الدائرة ، وأخابث النظار ، فضلاً عن زعانف الكتّاب والخدمة . وأمّا الشرطة العليا

وما دونها من رفيع المنازل فحملها كثير من التجار والعامّة ، وانثال الناس على ابتغاء هذه المنازل عند السلطان بالطّاعية في كربة الدولة ، فغشوا بابه ، وعمرّوا فناءه ، وتعلّلوا بالمنى . فلما استبانوا ضعفه رفضوا خطّطهم ، وتبرّأ كثير منهم منها . وأقسم أنّه لم يتقلّدّها ، ولا سيّما عند تكرّر التّقسيط عليهم للغرامة عند إلحاح الإضاقة<sup>(٢)</sup> ، فخرت لبعضهم عند الانتفاء عن تلك الخطط نوادر ظريفة

مضحكة . وانتهى هذا التنويه العام ، بهذا الملك الهمام ، إلى أن فضّله<sup>(٣)</sup> أيضاً في طبقات أهل العلم ، فأسمهم منهم الفقهاء ، فأثر العلية منهم المشاورين أصحاب الفتوى بالإرقاء إلى خطة الوزارة ، خالطاً بهم فيها من ذكرناه من زعانف الخدمة ، وكبار الدائرة النظار . وجاءوا في ذلك بطامة لم تُسمع في الأعصر الخالية ، فأخطأوا وألحقوا بالدين وصمة ، وطلبوا زيادة المعتلى على العامّة ، ففتنوا<sup>(٤)</sup> بهذه

الخطّة ، وشدّوا أيديهم عليها ، وهجرّوا من خطّهم في الخطاب عنها ، معرّضين بما يعاب من ذلك ، إلى أن مضوا بسبيلهم . وارتقى المستكفي أيضاً بكثير ممّن يحمل الحابر ، ويدرس مسائل الدفاتر ، من أصاغر الطبقة الفقهيّة ، إلى ما بلغت<sup>(٥)</sup> عليّتهم من منزلة الشورى ، فوسم كافتهم بوسم الفتوى ، فأسرف في ذلك

(١) ب : « مفردة » (٢) و : « الإضاقة » (٣) ب ، ت ، لب : « قصه »

(٤) و : « فافتنوا » (٥) ب ، ت ، لب : « بعلت »

حتى بلغ عددهم بقرطبة يومئذٍ إلى الأربعمائة ، وذلك مما لم يُعهد في الغابرين .  
 وكثر الإرجافُ بتغيير رجال<sup>(١)</sup> الدائرة ، فاضطربت قرطبة لكثرة من  
 كان فيها من المرَدَّة ، فقبضَ على جماعة من بني عمه وحاشيته ، منهم علي بن  
 أحمد بن حزم ، وعبد الوهاب بن عمه المتقدم الذِّكر ، سُجِنُوا بالمطَبِق ، ثم  
 عاجلَ المسكتفي ابن عمه عبد العزيز العراقي ، فخنقَ وأمسى ميتاً ونعاه إلى  
 الناس ، فلم يخفَ عليهم اغتياله .

وفي أيام المسكتفي هذا استُوصلَ بقمه قُصورُ جدِّه الناصر بالخراب ،  
 وطُيئتْ أعلامُ قصرِ الزَّهراء ، واقتُلِعَ نحاسُ الأبوابِ وِرصاصُ القِنِي ، وغيرُ  
 ذلك من الآلات . فطوى بخرابها بساطُ الدنيا ، وتغيَّرَ حُسنُها ، إذ كانت جنة  
 الأرض ، فعدا عليها قبل تمام المائة من كان أضعفَ قوةً من فأرةِ المسك ،  
 وأوهنَ بنيةً من بعوضةِ النمرود ، واللهُ يسلطُ جنوده على من يشاء ، له العزة  
 والجبروت .

فلما كانت سنة ستِّ عشرةَ وتحركَ يحيى بن حمودٍ إلى قرطبة ، وضعفَ أمرُ  
 المسكتفي ، اتفقَ الملأُ على خلعِهِ ، فدخلوا عليه ، وقالوا له : قد علم اللهُ اجتهادنا في  
 تثبيتِكَ ، فاعتاصَ ذلكَ علينا ، واضطُررنا إلى مقارعةِ عدونا ، وهانحنُ خارجونَ  
 إليه ، ولا ندرى ما يحدثُ عليكَ بعدنا ، فإنْ لكُ لكُ الكربةُ فلا تُسرَّ ، فمَعَ  
 اليومِ غد . فأجملَ الرَّدَّ ، وانقادَ للدَّنيَّةِ ، واستشعرَ الدَّلَّ ، واهتمَّ بِالعِرةِ ، وعزمَ  
 على الهروب . فخرجَ على وجهِهِ وقد لیسَ ثيابَ الغانياتِ مُتَنَقِّباً بين امرأتينِ لم  
 يُميزُ منهما لمرانه على التَّخْنِيثِ . وخرجَ عن قرطبة فماتَ بأقلِشَ ، فكانتْ

(١) ب ، ت ، لب : « رجاله »

دولته سبعة عشر شهراً صعباً نكدات ، سوداً مشوهات مشؤومات . انتهى  
ما لخصته في حديثه من كلام ابن حيان .

فصل في ذكر الأديب أبي عبد الله ابن الحنّاط الكفيف ،  
وسياقة جملة من نثره ونظمه .

- وأبو عبد الله ابن الحنّاط هذا زعيم من زعماء العصر كان ، ورئيس من رؤساء النظم والنثر في ذلك الأوان ، وجمرة فهم لفحت وجوه الأيام ، وغمرة علم سالت بأعلام الأنام . فكم له من وقدة لا يبرأ أميمها ، ونكزة لا يسلم سليمها . وكانت بينه وبين أبي عامر ابن شهيد بعد تمسكه بأسبابه ، وانحياشه كان إلى جنبه ، مناقضات في عدة رسائل وقصائد أشرفت أبا عامر بالماء ، وأخذت عليه بفروج الهواء . وقد أوردت من ذلك ما يكون أنطق لسان ١٠  
بنيهاة ذكره ، وأعدل شاهد على براعة قدره .

وقد ذكره ابن حيان في فصل من كتابه فقال :

- وفي سنة سبع وثلاثين وأربعمائة نعي إلينا أبو عبد الله محمد بن سليمان ابن الحنّاط الشاعر الضري القرطبي ، بقية الأدباء (١) النحارير في الشعر .  
هالك بالجزيرة الخضراء في كنف الأمير محمد بن القاسم (١) ، وهالك إثره ابنه الذي لم يكن له سواه بمالقة فاجتث أصله . ١٥

وكان من أوسع الناس علماً بعُلوم الجاهلية والإسلام ، بصيراً بالآثار

العلوية،<sup>(١)</sup> عالماً بالأفلاك والهيئة<sup>(١)</sup>، حاذقاً بالطب والفلسفة، ماهراً في العربية<sup>(٢)</sup> والآداب الإسلامية،<sup>(٣)</sup> وسائر التعاليم الأوثينية<sup>(٣)</sup>، من رجل مؤهّن في دينه،<sup>(٤)</sup> مضطرب في تدييره، سبي الظن بمعارفه، شديد الحذر على نفسه<sup>(٤)</sup>، فاسد التوهم في ذاته، عجيب الشأن في تفاوت أخواله. ولد أعتشى الحملاق، ضعيف البصر، متوقّد الخاطر، فقراً كثيراً في حال عشا، ثم طفي نور عينيه بالكلية، فازداد براعة، ونظر في الطب بعد ذلك فأنجح علاجاً. وكان ابنه يصف له مياه الناس المستفتين عنده، فيهتدي منها إلى ما لا يهتدي له البصير، ولا يخطئ الصواب في فتواه براءة الاستنباط. وتطبّب عنده الأعيان والملوك والخاصة<sup>(٥)</sup>، فاعترف له بمنافع جسيمة، وله مع ذلك أخبار كثيرة مأثورة.

## جملة من نشره

فصل له من رقعة خاطب بها ابن دري:

حنانيك أيها الغيث الهطل، ولتبيك أيها الروض الخضيل! فإنه طلع علينا من رعين رائد روع بروضك، وكرع في حوضك. هز بك عطف الشعر، فدد إليك طرفه، وثنى إليك عنان السكر، فحث نحوك طرفه.

وكان فلان ذو الخلق العميم، والخلق الكريم—«ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم»—يتحفنا من ذكرك بنا فجة مسك، ويخبرنا بخبرك عن واسطة سلك، وتعرف مواقع الغيث برواده، ويوقف على مواضع الماء بوراده. فعن مقرة نزعنا إليك فاجتهدنا، وعن ثقة نبهنا لها عمر ثم نمنا،

(١-١) ده في ر، (٢) ب، ت: «العربية واللغة» (٣-٣) ده في ر، و

(٤-٤) ده في ر، و (٥) ده في ر، و

وما حر كُنَّا من أدبِكَ ساكنًا ، ولا أترُّنَا من كرمِكَ كامنًا ، غيرَ أنَّ الجَمْرَ  
يُحْسَنُ عَلَى ذِ كَانِهِ ، والنَّضْلَ يَهْرُ عَلَى مَضَائِهِ ، فدُو نَسَكُهَا قد حَبَّرَ الحَبْرُ تَطْرِيضَهَا ،  
وإليكَهَا قد خَلَّصَ الفِكرُ إِبْرِيضَهَا ، تتلَفَعُ مِنْهَا في حُلَّةِ ثَنَاءٍ ، وتَتَوَجَّحُ مِنْهَا إكْلِيلَ  
بِهَاءٍ ، يُخَالُ مِدَادُهَا مِنْ بَهِيمِ اللَّيْلِ صُنْعٌ ، وَيُحَسَّبُ رَقْمُهَا مِنْ أَدِيمِ الصُّبْحِ قِطْعٌ .  
أرسلنَاهَا كَافورةً بِمِسْكِ مَوْسُومَةٍ ، وأهدِينَاهَا دُرَّةً بِبِاقُوتِ مَحْتُومَةٍ ، وأَقْدَمُ أَوْلَا  
الاعْتِرَافِ بِالتَّقْصِيرِ ، وأذَعِنُ في الكَفِّ<sup>(١)</sup> عَنِ التَّغْيِيرِ ، إذ أهديتُ الدُّرَّ إلى مُنْظَمِهِ ،  
وخلَقْتُ<sup>(٢)</sup> الوَشْيَ عَلَى مُنْمَنِمِهِ .

وله من أخرى :

الإسهابُ كُلفَةٌ ، والإيجازُ حِكْمَةٌ ، وخواطرُ الألبابِ سهامٌ ، يصابُ بها  
أغراضُ الكلامِ ؛ وأخونا أبو عامرٍ يُسَهَّبُ نثرًا ، وَيُطِيلُ<sup>(٣)</sup> نظرًا ، شامخًا بِأَنفِهِ ،  
ثانِيًا مِنْ عِطْفِهِ ، مُتَخَيِّلًا أَنَّهُ قد أَحْرَزَ السَّبَاقَ<sup>(٤)</sup> في الآدابِ ، وأوتِيَ فَضْلَ  
الخطابِ . فهو يَسْتَقْصِرُ أَسَاتِيدَ الأدبِ ، وَيَسْتَجْهَلُ شُيُوخَ العُلَمَاءِ .  
وابنُ اللَّبُونِ إذا ما لَزَّ في قَرَنِ لم يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ البُرُلِ القِنَاعِيسِ

وفي فصلٍ منها :

في ليلةٍ بَتَّهَا ، والسكفُ الخَضِيبُ سِوَارُهَا البَدْرُ ، والشَّعْرَى العَبُورُ وشاحُهَا  
النَّسْرُ ، وكأَنَّمَا سَمَاوُهَا رَوْضَةٌ تَفْتَحُ النُّجُومُ وَسَطُهَا زَهْرًا ، وَتَفْجَرُتِ المَجْرَةُ  
خِلالَهَا نَهْرًا . وادٍ يَسِيلُ بِعَسْجَدِ ، عَلَى رَضْرَاضِ زَبْرَجَدِ .<sup>(٥)</sup> فلما أَصَبْتُ  
العِرَّةَ ، وَأَقْصَدْتُ الثُّغْرَةَ ، تَقَلَّبْتُ عِرَارًا ، وَتَنَاوَمْتُ غِرَارًا ، حَتَّى أَتَيْتُ الفَجْرَ<sup>(٥)</sup>

(١) وه : « الكشف » (٢) ر : « وجملت »

(٣) ب ، ت ، ر ، لب : « ويطول » (٤) وه : « السبق »

(٥-٥) وه في وه ، ر

(١) بَرِّدِهِ ، وَسِرِّ بَلْنِي الصَّبَاحُ بِبُرِّدِهِ ، وَهَبَّتْ مِنَ النَّوْمَةِ ، وَصَحَوْتُ مِنْ  
النَّشْوَةِ (١) ، فَزَفَفْتُهَا إِلَيْكَ بِنْتِ لَيْلَتِهَا عَذْرَاءً ، وَجَاوَتْهَا عَلَيْكَ كَرِيمَةً حَسَنَاءَ (٢) ،  
تَتَلَفَعُ بِحَبْرَةِ حَبْرٍ (٣) ، وَتَتَبَخَّرُ فِي شِعَارِ شِعْرٍ (٤) ، مُؤْتَلِفٌ بَيْنَ رَقِّهَا وَمِدَادِهَا ،  
وَمَجْتَمِعٌ فِي بَيَاضِهَا وَسَوَادِهَا ، اللَّيْلُ إِذَا عَسَّسَ ، وَالصَّبْحُ إِذَا تَنَفَسَ ، رَقَمْتُهَا  
كَافُورٌ نَمِيمٌ بِمِسْكَ ، وَخَتَامُهَا يَاقُوتٌ نُظِمَ فِي سِلْكِ ، فَتَحَسَّبُ خَطَّهَا تَيْمٌ لَفْظَهَا  
فَشْكَا ، وَتَخَالُ الْقَلَمَ رِقًّا لِمَا بِهِ فَبْكَى ، فَأَنشِدُهَا أَخَاكَ الشُّهَيْدِيَّ ، وَكَلَّفَهُ عَلَى  
العروضِ والقافيةِ مُعَارَضَتَهَا ، وَحَمَلَهُ عَلَى اللَّيْنِ وَالشَّدَةِ مِقَارَضَتَهَا ، فَسْتَوْقِدُ بَقَلْبِهِ  
قَبْسًا ، وَتَضْرِبُ فِي أُذُنِهِ جَرَسًا ، (٥) فَيَدْبِينُ بِهِ حَظَّهُ ، وَيَعْرِفُ لغيرِهِ فَضْلَهُ (٥) .  
وَحْتَمَ الرِّقْعَةَ بِهَذِهِ الْأَيَاتِ :

١٦  
قَصَّرَ عَنْ لَوْحِي اللَّامِمْ      لَمَّا دَرَى أَنِّي هَامِمْ  
مَازَلْتُ فِي حُبِّهِ مُنْصَفًا      مَنْ لَمْ يَزَلْ وَهُوَ لِي ظَالِمٌ  
أَسْهَرُ لَيْلِي غَرَامًا بِهِ      وَهُوَ أَخُو سَأَلَوَةِ نَائِمٌ  
مُهْفَهَفٌ مَاسٍ فِي (٦) بُرِّدِهِ      غَضْنُ يُنْيِيهِ الصَّبَا نَاعِمٌ  
شَمْسٌ وَنَكْمًا فَرَعَهَا      لَيْلٌ عَلَى صُبْحِهَا فَاحِمٌ (٧)  
إِنَّ ابْنَ ذِكْوَانَ ذُو رَاحَةٍ      كَدِيمَةٍ صَوَّبَهَا دَائِمٌ  
لَمْ يَأْتَلِقْ بِرَقْمِهَا خُلْبًا      وَلَا اتَّقَى خُلْفَهُ الشَّائِمٌ  
وَمَنْ أَبُوهُ أَبُو حَاتِمٍ      قَصَّرَ عَنْ جُودِهِ حَاتِمٌ  
بَيْنِي الْعَلَا بِالنَّدَى جَاهِدًا      وَغَيْرُهُ لَلْعَلَا هَادِمٌ

١٥  
٥٨

(١-١) نه في و ، ر

(٢) ب ، لب ، ت : « فكرتها »

(٣) ر : « في شعر أو شعر »

(٤) و : « سار وفي »

(٣) كذا بالأصول ولعلها : « نثر »

(٥-٥) نه في ر ، و

(٧) لم يقع هذا البيت في ر ، و

مَحَكَكَ حَوْلَ قَلْبٍ      مَحَكَكَ حَازِمٌ عَازِمٌ  
 تَبَصَّرُهُ دَهْرُهُ قَاعِدًا      وَهُوَ بِأَعْبَانِهِ قَائِمٌ  
 إِذَا انْتَضَى سَيْفُهُ مُعَلِّمًا      لَمْ تَدْرِ أَيُّهُمَا الصَّارِمُ  
 مَنْ لَمْ يَكُنْ شَاعِرًا عَالِمًا      فَإِنِّي الشَّاعِرُ الْعَالِمُ  
 الْبَدْرُ فِي أَحْمَصِي سَمِعُهُ      وَالشَّمْسُ فِي خِنَصْرِي حَاتِمُ  
 وَالذَّرُّ لَوْ بَلَّغُوهُ الْمُنَى      نَظَّمَهُ فِي فَمِي النَّاطِمُ<sup>(١)</sup>

قوله : « لم تدر أيهما الصارم » ، كقول حسبان بن المصيصي :

قَوْمٌ يَمَانُونَ إِنْ سَلُّوا يَمَانِيَّةً      لَمْ تَعْرِفِ السَّيْفِ فِي الْهَيْجَامِ الرَّجُلُ

وقال عبد الجليل :

شَبِيهُ مَا اعْتَقَلُوهُ مِنْ ذَوَابِلِهِمْ      فَالْحَرْبُ جَاهِلَةٌ مِنْ مِنْهُمْ الْأَسْلُ<sup>١٠</sup>

ولابن عبد ربه :

إِذَا أَدَارَتْ بِنَانُهُ قَلَمًا      لَمْ تَدْرِ لِلشُّبْهِ أَيُّهَا الْقَلَمُ

وقال بعض أهل العصر :

بِهَا الْخَيْلُ وَالْأَبْطَالُ وَالْبَيْضُ وَالْقَنَا      سِوَاهُ بِحَكْمِ الْعَيْنِ وَالْأَذْنِ وَاللَّبِّ  
 فَلَا فَرْقَ إِلَّا أَنْ يَهْبَبَ بِهَا الرَّدَى      فَيُعْرِفُ أَنَّ الْفَضْلَ لِلرَّجْلِ النَّدْبِ<sup>(٢)</sup>

وقال أبو الطيب<sup>(٣)</sup> :

هُمَامٌ إِذَا مَا فَارَقَ السَّيْفُ غِنْدَهُ      وَعَايِنَتْهُ لَمْ تَدْرِ أَيُّهُمَا النَّصْلُ

(١) لم يقع هذا البيت في ر ، و ، هـ (٢) لم يقع هذا البيت في ب ، ت

(٣) راجع دايوانه (ج ٢ ص ١٣٤)

وكرّره في موضع آخر فقال<sup>(١)</sup> :

قُلُوبُهُمْ فِي مِضَاءِ مَا امْتَشَقُوا قَامَاتُهُمْ فِي قَوَامِ مَا اعْتَقَلُوا  
وهو من متداوَلَاتِ المعاني . وإنما نقلوا كلُّهم بَيْتَ الحَمَانِي :

مَا عُلِقَ السَّيْفُ مَنَّا بِابْنِ عَاشِرَةٍ إِلَّا وَعِزْمَتُهُ أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ  
وكرّره أيضا الحَمَانِي فقال :

وَالسَّيْفُ إِنْ قَسْتَهُ يَوْمًا بَنَّا شَبَهَا فِي الرَّوْعِ لَمْ تَدْرِ عَزْمًا أَيُّهَا السَّيْفُ

وله من رقعة طويلة خاطبَ بها المظفرَ بنَ الأَفْطَسِ قالَ في أوَّلِهَا :

حَجَبَ اللهُ عَنِ الْحَاجِبِ الْمُظْفَرِ<sup>(٢)</sup> أَعْيَنَ النَّائِبَاتِ ، وَقَبِضَ دُونَهُ أَيْدِي  
الْحَادِثَاتِ ، فَإِنَّهُ مُذْ كَانَ أَنْوَرَ مِنَ الشَّمْسِ ضِيَاءً ، وَأَكْمَلَ مِنَ الْبَدْرِ بَهَاءً ،  
وَأَنْدَى مِنَ الْغَيْثِ كَفًّا ، وَأَحْمَى مِنَ اللَّيْثِ أَنْفًا ، وَأَسَخَى مِنَ الْبَحْرِ بَنَانًا ، وَأَمْضَى  
١٠ مِنَ النَّصْلِ لِسَانًا ، وَأَعْجَبَهُ الْمَنْصُورُ جُرْحِي عَلَى سَنِينِهِ ، وَأَدَبَهُ فَأَخَذَ بِسُنِينِهِ ، وَكَانَتْ  
الرِّيَاسَةُ عَلَيْهِ مَوْقُوفَةً ، وَالسِّيَاسَةُ إِلَيْهِ مَضْرُوفَةً ، قَصَّرَتْ الْأَوْهَامُ عَنْ كُنْهِ فَضْلِهِ ،  
وَعَجَزَتْ الْأَقْلَامُ عَنْ وَصْفِ مِثْلِهِ . غَيْرَ أَنَّ الْفَضَائِلَ لَا بَدَّ مِنْ نَشْرِهَا ، وَالْمَكَارِمَ  
لَا عُذْرَ فِي تَرْكِ شُكْرِهَا .

١٥ فَالشُّكْرُ لِلْإِنْسَانِ أَرْبَحُ مَتَجَرٍ لَمْ يَعْدَمِ الْخُسْرَانَ مِنْ لَمْ يَشْكُرْ<sup>(٣)</sup>

وله في فصل :

وَرَدَّنِي كِتَابُ كَرِيمٍ جَعَلْتُهُ عِوَضَ يَدِهِ الْبَيْضَاءِ فَقَبَّلْتُهُ ، وَلِحْتُهُ

(١) راجع ديوانه (ج ٢ ص ١٥٤)

(٢) ب ، ت ، لب : « الحَاجِبُ مَوْلَايَ وَسَيْدِي »

(٣) لم يقع هذا البيت في ر ، و



بدلَ غُرَّتِهِ الْغَرَاءَ ، فَأَجَلَّتُهُ ، <sup>(١)</sup> كِتَابُ أُلُقَى عَلَيْهِ الْجِبْرُ حَبْرَهُ ، وَأَهْدَى إِلَيْهِ  
السَّحْرُ فِقْرَهُ ، أَنْذَرَ بِلَوْغِ الْمُنَى ، وَبَشَّرَ بِمَحْصُولِ <sup>(١)</sup> الْغِنَى ، تَخَيَّرَ لَهُ الْبَيَانَ فُطْبِقَ  
مَفْصَلَهُ ، وَرَمَاهُ الْبَنَانُ فَصَادَفَ مَقْتَلَهُ . <sup>(٢)</sup> مَعَارِكُ آدَابٍ ، وَوَقَائِعُ أَلْبَابٍ ، سَالَ  
الْمِدَادُ بِهِ نَجِيمًا ، وَجَرَى الْغَرَضُ الْمُجْرَى إِلَيْهِ صَرِيحًا <sup>(٢)</sup> ، وَوَصَلَ مَعَهُ الْمَمْلُوكُ  
وَالْمَمْلُوكَةُ اللَّذَانِ سَمَّاهُمَا هَدِيَّةً ، وَتَنَزَّهَ كَرَمًا أَنْ يَقُولَ عَطِيَّةً . هِمَّةٌ تَزْحَمُ السَّمَاكِينَ ،  
وَنِعْمَةٌ تَمَلُّ الْأُذُنَ وَالْعَيْنَ .  
<sup>(٣)</sup> وَمِنْهُ :

كُتِبَتْ عَلَى الْبُعْدِ مُسْتَجِدِيًّا      لِعَلِمِي أَنْكَ لَا تَبْخَلُ  
نَجَاءَ الرَّسُولِ كَمَا أَشْتَهِي      وَقَدْ سَاقَ فَوْقَ الَّذِي آمَلُ <sup>(٤)</sup>  
وَمَا كَانَ وَجْهَكَ ذَاكَ الْجَمِيلُ      لِيَفْعَلَ غَيْرَ الَّذِي يَجْمَلُ <sup>(٥)</sup>

وفي فصل :

وَمَا حَرَّكَ الْحَاجِبُ — أَيْدَهُ اللَّهُ — بِكُتَابِهِ سَاكِنًا بِحَمْدِهِ ، وَلَا نَبَّهَ نَائِمًا  
عَنْ قَضِيهِ ، كَيْفَ وَقَدْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ الَّتِي صَارَ بِهَا الْمَغْرِبُ <sup>(٥)</sup> شَرْقًا ، وَهَبَّتِ  
الرِّيحُ الَّتِي صَارَ بِهَا الْحَرَمَانُ رِزْقًا ؟ صَاحِبُ لَوَاءِ الْحَمْدِ ، وَفَارَسُ مَيْدَانِ الْمَجْدِ ،  
طَلَّاعُ كُلِّ ثَنِيَّةٍ ، وَفَعَّالُ كُلِّ سَنِيَّةٍ ، يَسِيرُ <sup>(٥)</sup> صَدْرَ الْجَيْشِ وَهُوَ رَبُّهُ ، وَيَتَقَابَلُ  
فِيهِ وَهُوَ قَلْبُهُ . وَلَوَاءَ النَّصْرِ عَلَيْهِ مَنْشُورٌ ، وَفُوَادُ الْكُفْرِ مِنْهُ مَذْعُورٌ .  
<sup>(٧)</sup> وَفِي رِسَالَتِهِ هَذِهِ طَوْلُ تَصَرَّفَ فِيهَا فِي أَنْوَاعِ الْبَدِيعِ ، تَصَرَّفَ  
الْمَطْبُوعُ <sup>(٧)</sup> ، وَانْدَرَجَ لَهُ فِي أَثْنَائِهَا عِدَّةُ مَقْطُوعَاتٍ مِنْ شِعْرِهِ كَقَوْلِهِ <sup>(٨)</sup> :

(١-١) هـ في ب ، ت      (٢-٢) هـ في ر ، هـ  
(٣-٣) هـ في ر ، هـ      (٤) « آمل » مع ألف التأسيس ، مع سقوطها في  
الآيات الأخرى .      (٥) ب ، ت ، لب : « الغرب »  
(٦) هـ في ب ، ت ، ر ، لب (٧-٧) هـ في ر ، هـ  
(٨) ر ، هـ : « واندرج له في فصول هذه الرسالة عدة مقطوعات من شعره منها قوله : »

ومُهْفَهِفٍ قَلْبِ الوِشَاحِ يَرُوعُهُ جَرَسُ السَّوَارِ ، وَيَشْتَكِي مِنْ ضَيْقِهِ  
 وَسَنَانَ خَطِّ الْمَسْكِ فَوْقَ عِدَارِهِ لَأَمَّا فَهَمَّتْ الْمَوْتَ فِي تَعْرِيقِهِ  
 مَزَجَ الْمُدَامَ بِرَيْقِهِ لَمَّا سَقَى فَسَكِرَتْ مِنْ فِعْمِهِ <sup>(١)</sup> وَمِنْ إِبْرَيْقِهِ  
 وَحَمَّ الرِّقْعَةَ بِقَصِيدَةٍ هَنَأُ فِيهَا بِخُرُوجِهِ مِنَ الْأَسْرِ ، مِنْهَا قَوْلُهُ :  
 لَمَّا أَقَالَ اللَّهُ عَثْرَتَكَ الَّتِي قَضَى اللَّهُ فِيهَا بِالنَّجَاةِ <sup>(٢)</sup> وَقَدَّرَا  
 تَهَلَّتِ الدُّنْيَا وَأَشْرَقَ نَوْرُهَا وَأَقْبَلَ سَعْدُكَ كَأَنَّ الْأَمْسَ أُدْبِرَا  
 وَسَيَنْخَرِطُ فِي سَلَكِ أَخْبَارِ ابْنِ عَبَّادٍ خَيْرُ إِسَارِهِ ، وَكَيْفَ خَرَجَ بَدْرُهُ مِنْ سِرَارِهِ ،  
 إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

ما أخرجته من قصائده في المدح ، وما يتشبهت به  
 من الأوصاف .

له من قصيدة في علي بن حمود أولها :

رَاحَتْ تَذَكَّرُ بِالنَّسِيمِ الرِّيحَا وَطَفَاءُ تَكْسِرُ لِلْجُنُوحِ جَنَاحَا  
 أَخْفَى مَسَالِكَهَا الظَّلَامُ فَأَوْقَدَتْ مِنْ بَرَقِهَا كَيْ تَهْتَدِي مَضَابِحَا  
 وَكَأَنَّ صَوْتَ الرَّعْدِ خَلْفَ سَحَابِهَا حَادٍ إِذَا وَنَتِ السَّحَابُ صَاحَا  
 جَادَتْ عَلَى التَّلَعَاتِ فَكَتَسَتْ الرُّبَى حُلَلًا أَقَامَ لَهَا الرَّبِيعُ وَشَاحَا  
 رَوْضُ يُحَاكِي الْفَاطِمِيَّ شِمَانِلًا طَيْبًا ، وَمَزْنٌ قَدْ حَكَاهُ سَمَاحَا  
 أَعْلَى إِنْ تَعَلَّ الْمَلُوكَ فَإِنَّهُمْ بُهُمْ جُعِبَتِ أَعْرَافُهَا الْوَضَاحَا  
 لَمَّا طَلَعَتْ لَهَا بِكَلِّ نَيْيَةِ أَنْسَيْتَهَا الْمَنْصُورَ وَالسَّمَاحَا  
 وله من أخرى :

سُقِيَ بَعْدَنَا بِالْبُعْدِ مِنْ نِعْمٍ نَعْمَانُ وَأَوْحَسَ مِنْ لُبْنَى عَلَى الْبَعْدِ لُبْنَانُ <sup>(٣)</sup>

(١) ب ، ت ، ل ب : « فيه » (٢) ب ، ت ، ل ب : « بالنجاح »

(٣) لم يقع هذا البيت في ر ، و

- سَقَى الْقَطْرُ مَا بَيْنَ الْعَمِيقِ وَضَارِحٍ  
وَحَيًّا الْحَيَّا عَهْدًا عَهْدَانَاهُ بِاللَّوَى  
لِيَالِي رَوْضِ الْوَصْلِ فِيهِنَّ مَمْرَعٌ  
تُدِيرُ عَلَيْنَا الرَّاحَ فِيهَا جَاذِرٌ  
وَلَمْ أَرْ مِثْلِي كَيْفَ صَارَ بِقَلْبِهِ  
وَلَا مِثْلَ هَذَا الْعَدْلِ كَيْفَ أَعَادَهُ  
وَلَهُ مِنْ أُخْرَى فِيهِ أَيْضًا :
- بَكَيْتُ لَهَا شَجْوًا وَهَنَّ الْجَاهُ مُمْ  
وَلَمَّا عَلَوْنَ الْحَزْنَ وَاعْتَسَفَتْ بِنَا  
لَوَيْنَا بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ إِلَى اللَّوَى  
لَنْ أَوْحَشَ الرَّبْعُ الَّذِي كَانَ آنَسًا  
فَكَمْ لَيْلَةٍ فِيهِ وَصَلْتُ نَعِيمَهَا  
سَقَى مَنِبَتِ اللَّذَاتِ مِنْهَا ابْنُ هَاشِمٍ  
إِمَامٌ أَقَامَ الدِّينَ حُدَّ حُسَامِهِ  
ويزهرُ في يَمْنَاهُ نَوْرٌ مِنَ الطُّبَا  
وهذا البيتُ ينظرُ إلى قولِ المتنبي (٤) :
- سَقَاكَ وَحَيَّانَا بِكَ اللهُ إِنَّمَا  
وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ابْنُ عَمَّارٍ :
- نَدَامَى وَمَا غَيْرُ الشُّيُوفِ أَزَاهِرٌ  
لِدِيهِمْ ، وَمَا غَيْرُ الْعُمُودِ كَأَمُّ

(١) لم يقع هذا البيت في ر ، و

(٢) ب ، ت ، و ، ه ، ل ب : « البت »

(٣) لم يقع هذا البيت في ر ، و

(٤) راجع ديوانه (ج ٢ ص ٢٣٤)

وكذلك البيت الذي قبله كقول المتنبي<sup>(١)</sup> :

على عاتق الملك الأغر نجاده      وفي يد جبار السموات قائمه  
وهو من قول حبيب<sup>(٢)</sup> :

لقد حان من يهدي سويداء قلبه      لحد سنان في يد الله عامله<sup>(٣)</sup>  
وفي هذه القصيدة يقول ابن الحنّاط :

سيوف إذا اعتلت جهات ثغورها      فمنه في أعناقهن تمام  
بكل خميس طبق<sup>(٤)</sup> الجو نفعه      وضيق مسراه الجياد الصلادم  
كان مثار النقع إمد عينه      وأشفار جفنيه الشفار الصوارم  
تعد عليه الطير والوحش قوتها      إذا سار والتفت عليه القشاعم

١٠ وهذا المعنى قد تقدم منه جملة في مكانه ، وذكرت من استن<sup>(٥)</sup> في ميدانه .

وقوله : « سيوف إذا اعتلت » البيت ، من قول المتنبي<sup>(٦)</sup> :

وكان بها مثل الجنون فأصبحت      ومن جث القتلى عليها تمام  
وله من أخرى :

لم يخل من نوب الزمان أديب      كلاً فشان النائبات تنوب  
أمسى قراراً للخطوب وأغندي      غرضاً تفوق نحوّه فتصيب<sup>(٧)</sup>  
وإذا انتهت إلى العلوم وجدتها      شيئاً يعدّ به عليك ذنوب

(١) راجع ديوانه (ج ٢ ص ٢٤٣) (٢) راجع ديوان أبي تمام ص ٢٣١

(٣) لم يقع هذا البيت في (٤) ر ، و : « طوق »

(٥) ب ، ت ، لب « افتن » — و : « استبق »

(٦) راجع ديوانه (ج ٢ ص ٢٧١) (٧) لم يقع هذا البيت في ر ، و

وَعَضْرَةُ الْأَيَّامِ تَأْتِي أَنْ يُرَى فِيهَا لِأَبْنَاءِ الذِّكَاةِ نَصِيبُ  
وَلِذَلِكَ مَنْ صَحِبَ اللَّيَالِي طَالِبًا جَدًّا وَفَهْمًا فَانَّهُ الْمَطْلُوبُ  
وهذا أيضا من قول المتنبي (١) :

وما الجمعُ بين الماء والنارِ في يدي بأضعفَ من أن أجمعَ الجدَّ والفهما  
وقال أبو علي ابن رشيقي ، وولّد معني زانداً مستظرفاً :

أَشَقُّ لَجَدِّكَ أَنْ تَكُونَ أَدِيبًا أَوْ أَنْ يَرَى فِيكَ الْوَرَى تَهْدِيئًا  
مَا دَمْتَ مُسْتَوِيًا فَفَعْلَكَ كُلُّهُ عِوَجٌ وَإِنْ أَخْطَأْتَ كُنْتَ مَصِيبًا  
كَالنَّفْسِ لَيْسَ يَتَمُّ مَعْنَى خَتْمِهِ حَتَّى يَكُونَ بِنَاؤُهُ مَقْلُوبًا  
ومنها :

أَمَّتْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَوَاحِلًا فَسَقَى صَدَاها غَيْثُهُ الشُّؤْبُوبُ  
الْمَعْتَلِي بِاللَّهِ وَالْمَلِكُ الَّذِي تَاجُ الْفَخَارِ بِرَأْسِهِ مَعْصُوبُ  
إِنْ كَانَ عَدُوًّا حُبًّا (٢) آلِ مُحَمَّدٍ ذَنْبًا فَإِنِّي لَسْتُ مِنْهُ أَتُوبُ  
وهذا كقول العباس بن الأحنف (٣) :

إِنْ كَانَ ذَنْبِي فِي الزِّيَارَةِ فَاعْلَمِي إِنِّي عَلَى كَسْبِ الذُّنُوبِ لِجَاهِدِ (٤)

وله من قصيدة يرثي أبا الحزم ابن جهور ، ويهني ابنه أبا الوليد ، وكتبَ  
بها من الجزيرة الخضراء ، إذ أقصى عن قرطبة ، أولها :

إِنَّا إِلَى اللَّهِ فِي الرُّزْءِ الَّذِي فَجَعَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ فِي الْحُكْمِ الَّذِي وَقَعَا  
وَلِي أَبُو الْحَزْمِ عَنْ مُلْكٍ تَقَلَّدَهُ أَبُو الْوَلِيدِ فَعَزَّ الْمَلِكُ وَامْتَنَعَا

(١) راجع ديوانه (ج ٢ ص ٣٦٨)

(٢) ب ، ت ، لب : «مدح»

(٣) راجع ديوانه ص ٤٨

(٤) م : « مجاهد »

أَبُ كَرِيمٍ غَدَا الْفِرْدَوْسُ مَسْكَنُهُ  
 اللَّهُ شَمْسٌ صُحِّي فِي اللَّحْدِ (٢) قَدْ غَرَبَتْ  
 يَا وَاحِدَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا أَقْلُ زَلَلًا  
 لَوْ أَنَّهُ أُعْطِيَ الدُّنْيَا بِمَا رَحِبَتْ  
 وَمَا عَسَاكَ سِوَى الْإِحْسَانِ تَصْنَعُهُ  
 وَقَدْ رَأَيْتَ ابْنَ سَعْدٍ حِينَ أَمَكْنَهُ  
 لَيْمَحُونَ مَدِيحِي فَيْكَ مِنْ كَشْبِ (٥)  
 وَقَالَ مِنْ أُخْرَى :

تَفَرَّغْتُ مِنْ شُغْلِ الْمَدَاوَةِ وَالظَّنِّ  
 أَمَقْتَوْلَةَ الْأَجْفَانِ مِنْ دَمْعِ حُزْنِهَا ١٠  
 فَلِلَّهِ سَيْرِي يَوْمَ وَدَعْتُ صُحْبَتِي  
 رَحَلْتُ فِكْمَ مِنْ جَوْذُرٍ وَغَضَنْفَرٍ  
 وَمَا عَنِ قَلِي فَارَقْتُ تَرْبَةَ أَرْضِكُمْ  
 وَبِنَظَرٍ هَذَا إِلَى قَوْلِ الْقَسْطَلِيِّ :

وَفَاحَتْ لِيَالِي الدَّهْرِ (٨) مَنَى مَيَّتًا (٩)  
 ١٥  
 وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : « رَحَلْتُ فِكْمَ مِنْ جَوْذُرٍ » ، الْبَيْتُ ، مِنْ قَوْلِ الْمَتْنِيِّ (١٠) :

(١) ب ، ت ، لب ، وه : « فاضطلما » (٢) ب ، ت ، لب : « القبر »

(٣) ب ، ت ، ر ، لب : « أبفته بدر دجى » (٤) وه : « مثل ما »

(٥) ب ، ت ، لب : « عن » (٦) لم يقع هذا البيت في ر ، وه

(٧) لم يقع هذا البيت في ر ، وه (٨) كذا ، وفي ب ، ت ، ر : « الترب »

(٩) ب ، ت ، لب : « عنبرا » (١٠) راجع ديوانه (ج ٢ ص ٣٩٠)

رحلتُ فكممُ بالكِ بأجفانِ شادينِ عليّ ، وممُ بالكِ بأجفانِ ضيّغمِ

ومنها :

مررتُ بشوسٍ والنجومُ كأنها  
وأسريرتُ<sup>(١)</sup> من بدر الظلامِ بألبيّةٍ  
لبسنا بها ليلاً من الثلجِ أبيضاً  
ورحنا على ألبيرةٍ فاستقلّ بي  
ولما تنكبنا المنكبَ لم نجدُ  
ترامتُ بنا الأهوالُ في كلِّ لُجّةٍ  
ترى السفنَ فوقَ الموجِ فيها كأنها  
فبواتُ رَحلي ظلّ أروعَ ماجدٍ  
إمامٍ ، وصيُّ المصطفى وابنُ عمِّه

وله من أخرى :

أرقتُ وقد غنى الحمامُ الهوائفُ  
أعدنَ لي الشوقَ القديمَ وطافَ بي  
وما الجانبُ الشرقيُّ من رملٍ عالٍ حجراً  
إذا ما تغنى الرعدُ فوقَ هضابِهِ  
بأحسنَ من أطلالِ علوةٍ منظرًا  
خليلاً هلْ بالخيفِ للشَّمْلِ ألفةٌ  
أفي وقفةٍ عندَ العقيقِ ملامةٌ

بمنعرجِ الأجزاءِ والليلُ عاكفُ  
على النَّأيِ من ذكرى المليحةِ طائفُ  
بحيثُ استوتَ غيظانُهُ والنفانِفُ  
سقى الروضَ من وابلِ الغمامةِ وَاكفُ  
وإنْ درست آياته والمعارفُ  
فيا مَنْ قلبُ من نوى الخيفِ خائفُ ؟  
على دنيفِ شاقتهِ تلكَ المواقِفُ ؟

(١) ت ، لب : « وأسريت »

(٢) لم يقع هذا البيت في ر ، و

سَقَى عِرْصَاتِ الدَّارِ كُلُّ مُلْتَمِّهِ  
 مِنَ الْمَزْنِ تَزُجِيهَا الْبُرُوقُ الْخَوَاطِفُ<sup>(١)</sup>  
 كَانَ نَثِيرَ الْقَطْرِ مِنْهَا جَوَاهِرُ  
 تُفَرِّقُهُمَا لِلرِّيحِ أَيْدٍ عَوَاصِفُ  
 كَانَ ابْتِسَامَ الْبَرْقِ فِيهَا إِذَا بَدَتْ  
 سُيُوفُ عَلِيٍّ بِالْدمَاءِ رَوَاعِفُ

وله من أخرى في أبي القاسم ابن حمود، ويصف خيران الصقلى، وقتل  
 المرتضى المروانى أولها :

لَكَ الْخَيْرِ، خَيْرَانُ مَضَى لِسَبِيلِهِ وَأَصْبَحَ مَلِكُ اللَّهِ فِي ابْنِ رَسُولِهِ

يقول فيها :

وَفُرِّقَ جَمْعُ الْكُفْرِ وَاجْتَمَعَ الْوَرَى  
 عَلَى ابْنِ حَبِيبِ اللَّهِ بَعْدَ خَلِيلِهِ<sup>(٢)</sup>  
 وَقَامَ لَوَاهُ الْجَمْعُ<sup>(٣)</sup> فَوْقَ مَمْنَعٍ  
 مِنَ النَّصْرِ جَبْرِيلُ أَمَامَ رَعِيلِهِ  
 وَأَشْرَقَتِ الدُّنْيَا بِنُورِ خَلِيفَةِ  
 بِهِ لَاحَ بَدْرُ الْحَقِّ بَعْدَ أَقْوَالِهِ  
 مِنَ الْهَاشِمِيِّينَ الَّذِينَ بِمَجْدِهِمْ  
 تَعَوَّدَ شَخْصُ الْمَجْدِ جَرَّ ذِيُولِهِ<sup>(٤)</sup>  
 فَلَا تَسَلِ الْأَيَّامَ عَمَّا أَنْتَ بِهِ  
 فَمَا زَالَتِ الْأَيَّامُ تَأْتِي بِسُؤْلِهِ  
 عَوَائِدُ نَصْرِ مِيزْتَهُ سَيُوفُهُ  
 لَهُ غُرُرٌ مَوْصُولَةٌ بِمَجْجُولِهِ  
 وَمَلَادَعَا الشَّيْطَانَ فِي الْخَيْلِ<sup>(٥)</sup> حَزْبُهُ  
 وَأَقْبَلَ<sup>(٦)</sup> حَزْبُ اللَّهِ فَوْقَ خَيْمُولِهِ  
 كِتَابُ مَنْ صَنَهَاجَةَ وَزَنَاتَهُ  
 تَضَائِقُ فِي عَرَضِ الْفَضَاءِ وَطُولِهِ  
 تَقَدَّمَ خَيْرَانُ إِلَيْهَا بِزَعْمِهِ  
 لِيَدْرِكَ مَا قَدْ فَاتَهُ مِنْ دُحُولِهِ  
 فَأَجَحَّمَ تَحْتَ النِّعَمِ وَالْخَيْلُ تَدْعِي  
 كَمَا اذْدَأَفَ اللَّيْثُ الْهَزْبُ بَرُّ ائِغِيلِهِ

(١) ترتب هذا البيت والذي يليه معكوس في ر (٢) لم يقع هذا البيت في ر ، و

(٣) ر ، و : « الرفع » (٤) لم يقع هذا البيت والبيتان التاليان له في ر ، و

(٥) و : « الحرب » (٦) و : « وأصبح »



فَلَمَّا التَقَى الْجَمْعَانِ عَاوَدَ رَأْيَهُ نَفَلَى لِبَعْضِ الْهَوْلِ جُلًّا فَضُولِهِ  
وَوَلَّى وَأَبْقَى مَنذَرًا مِنْ وَرَائِهِ يَقِيمُ لِأَهْلِ الْغَدْرِ عُدْرَ نَكُولِهِ

### ذكر الخبر عن مقتل الأمير المرتضى المذكور

قال ابن حيان<sup>(١)</sup> : كان عبد الرحمن بن محمد من ولد الناصر لدين الله

- قد نصب خليفة بشرقي الأندلس ، وسمى المرتضى ، فزحف بمن تألف معه من  
الموالي العامريين وغيرهم إلى غزو البرابرة المنتزعين بقرطبة وأعمالها ، وأميرها يومئذ  
القاسم بن حمود . وعقدوا مع المرتضى على غزو قرطبة ، فخرجوا بجملتهم سنة تسع  
وأربعائة ، فمرّ جوايه في طريقهم إلى غرناطة ليبدأوا بحرب ذلك الفريق من صنّهاجة  
لما ارتأوه من الغدر بسطانهم<sup>(٢)</sup> ، فأوبقوا الجماعة وأحاطوا بها الفاقرة ، على أيدي  
البرابرة ، ورسا بتلك الواقعة ملك الحموديين ، وإذا قضى الله أمراً سبب له أسباباً .  
فجاءوا معهم ، في جملتهم منذر التنجيبي وخيران الصقلي وقطعة من خيل الإفرنجية .  
ولما حلّوا غرناطة وأميرها يومئذ زاوي بن زيري بن مناد ، ارتاعت صنّهاجة  
واعصوا بميرم زاوي كبش الحروب ، فأحكم لهم التدبير ، والدولة تسعده ،  
والمقدار ينجده . وحملت عنه في تلك الحروب حكايات بدیعة . منها أن المرتضى  
لما نازله خاطبه بكتاب يدعو فيه إلى طاعته ، ومسح أعطافه ، وأجل مواعده .  
فلمّا قرى على زاوي قال لكتابه : اكتب على ظهر رقعتي : « قُلْ يَا أَيُّهَا  
الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ » السورة . لا تزده . فلما بلغت المرتضى أعاد  
إليه كتاب وعيد ، فلمّا قرى على زاوي قال : ردّوا عليه « أَلْتَهَاكُمْ

(١) في هذا الفصل زيادات لم ترد في نسخة ر

(٢) هـ : « وقد أسروا الغدر بسطانهم المرتضى »

التكاثُرُ» إلى آخرها لم يزدُه حرقاً . فازداد المرتضى غيظاً ، ويئس منه ،  
 وناشبه القتال ودناً إليه في تعبته محكمة ، وكراديس منتظمة ، فاقتلوا  
 أياماً إلى أن انهزم الأندلسيون ، وطاروا على وجوههم مساهوم وإفرنجهم ،  
 لا يلوي أحد على أحد ، والخييل تطردهم في تلك المضايق . وصُرع المرتضى  
 ٥ في ضنك ذلك للأزق ، ووقع البرابرة من نهب محلة المرتضى على ما لا كفاء  
 له اتساعاً وكثرة . ظلّ الفارس منهم يحيى من إتباعه المنهزمين ، ومعه العشرة  
 الأبعل فما دون ذلك موقرةً بفاخر النهب ، ورفع الشارة والحلية ،  
 وحيزت فساطيط أولئك الأمراء ، ومضارب الرؤساء ، الذين كانوا في  
 جمع ذلك المعسكر المخدول يتباهون بالقوة والشارة ، بجميع ما فيها . وسبق  
 ١٠ سلطانهم زاوي إلى سرادق الحائن المرتضى ، فخازه بما حواه مما كان الأمراء قد  
 جمعوا له وجملوه به . وكان أمراؤه والوجوه من أهله قد تناغوا بالبشارة ، وجاءوا  
 يحيى ، من لا يشك في الظفر ، فساقوا مع أنفسهم رفيع الحلية كي يتباهوا بذلك  
 إذا دخلوا قرطبة ، حتى إن كثيراً من جاليتها والتجار المتجهزين منهم ومن سواهم  
 اغتروا بذلك العسكر الخاوي فصحبوه مبادرين ميسرة الفتح ، وسعة الریح ،  
 ١٥ نجابوا وحق البغي بهم ، وخسروا أموالهم .

وأول من انهزم من ذلك العسكر منذر بن يحيى وخيران الصقلي . وكان  
 منذر قد أوقع في نفوس مدده من رجال الإفرنجية الذعر من غدر الموالى العامريين  
 فشغل بذلك بالهم . فلما انهزم لم يعرفوا السر ، وأجفل منذر في أصحابه الثغريين  
 فرّ بسليان بن هود صاحبه وهو مثبت للإفرنجية لا يريم موقفه . فصاح به :  
 ٢٠ النجاة يا ابن الفاعلة ، فلست أقف عليك ! فقال له سليمان : جئت والله بها صلعاء ،  
 وفضحت أهل الأندلس ! ثم انقلع وراءه ببقية عسكره ، وانقلع أيضاً خيران

- برجاله . وصبر الموالى العامريون قليلاً حول صاحبهم المرتضى على أحرّ من جمر الغضا ، وهو مع جبينه حسن الثبات حتى استحرّ القتل في أصحابه ، وصرع كثير منهم حوله ، فانكشفوا عنه ، وخاف أن يُقبضَ عليه فوَلَّى ، فوضع عليه خيران عيوناً لئلا يخفى أثره . فلحقوه بقرب وادي آش وقد أمنَ على نفسه فهجموا عليه وقتلوه ، وجاءوا برأسه إلى خيران ومُنذر ، وقد لحقا بالمرية ، فتحدّث الناس
- ٥ أنهما اصطبجا على رأسه سُروراً بهلكه ، وتناولاه من الذِّكر عبثاً بما لم يكن أهلاً له ، وجعلاً يقولان : يا أحيق <sup>(١)</sup> قُمْ فاعرضْ جندك ! كلمةٌ تحدّث بها عنهما جرأةٌ على الله ونكثاً لهوذه . فقعد المرتضى على هذه السبيل ، ونجا من تلك الملحمة أخوه أبو بكر ابن هشام ، ولحق بالموالى العامريين فزهدوا فيه فاستقرّ
- عند ابن القاسم صاحب حصن البونت <sup>(٢)</sup> ، وكان شيعة الروائية على سوء
- ١٠ ما أسلفوه في سلفه ، فأجاره وضيّقه ، ولم يزل مقيماً عنده إلى أن كان من تقديمه للخلافة ما كان .

قال ابن حيان : فحلّ بهذه الوقعة على جماعة من الأندلس مصيبةٌ سوداء أنست ما قبلها ، ولم يجتمع لهم على البربر جمعٌ بعد . وأقرّوا بالإدبار ، وباهوا بالصغار .

١٥

وورد على القاسم برطوبة كتاب زأوى بشرحها مع نصيبه من الغنيمة ، وفي جملتها سرداق المرتضى . فضربه القاسم على نهر قرطبة وغشيه من النظارة جملة من عليه الناس وقلوبهم تقطع حشرة منه . فركدت ريح الروائية من

(١) ب ، ت ، ر ، ل ب : « يا أحيق »

(٢) ر : « حصن البنت » — ب ، ت ، ل ب : « البوب »

ذلكَ الوقتِ بقتلِ<sup>(١)</sup> مَنْ نَجِمَ مِنْهُمْ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ ، وَأَيْسَ النَّاسُ مِنْ دَوْلَتِهِمْ ، وَالْوَيْ الخُمُولُ بِجُمْلَتِهِمْ ، فَتَقَطَّعُوا فِي الْبِلَادِ وَدَخَلُوا فِي غَمَارِ النَّاسِ ، وَامْتَهَنُوا وَاسْتَهِينُوا .

حَدَّثْتُ بَرْوَانِدَ فِي شَرْحِهَا حَصَرَ تَمِيمًا لِلْقِصَّةِ<sup>(٢)</sup> :

قالوا : لما جاء منذرُ التَّجِيبِي فِي جَيْشِهِ مَعَ الْإِفْرَنْجِ وَغَيْرِهِمُ لِلْاجْتِمَاعِ بِالْمَرْتَضَى بِشَاطِئَةِ لَغْزَوِ قَرْطَبَةَ ، وَفِي جَمَلَتِهِ ابْنُ مَسُوفٍ ، اجْتَازَ عَلَى بَلَنْسِيَّةٍ فَأَغْلَقَ وَابْتَدَأَ الْمُبَارَكُ<sup>(٣)</sup> بِأَبَاهَا فِي وَجْهِهِ وَمَنْعَهُ مِنْ دُخُولِهَا . فَلَمَّا اجْتَمَعَ بِالْمَرْتَضَى بِشَاطِئَةِ أَنْعْرَاهُ عَلَى مِبَارَكِ<sup>(٤)</sup> أَنْ يُخْرِجَهُ مَعَهُمْ لِلْغَزْوِ فَلَمْ يَجِبْهُ الْمَرْتَضَى لَذَلِكَ ، وَأَقَامَ عُدْرَ مِبَارَكِ وَأَقْعَدَهُ خَلْفَهُ لِمَجْمَعِ الْأَمْوَالِ وَإِنْفَازِهَا خَلْفَهُ ، فَأَحْقَدَهُ عَلَيْهِ فَتَجَمَّعَ ابْنُ مَسُوفٍ وَخَيْرَانَ وَمَنْدَرَ ، وَتَظَاهَرُوا عَلَى الْعُدْرِ بِهِ ، فَأَلَوْا بِهِ إِلَى غَرْنَاطَةَ ، وَقَالُوا : لَا يَصْلُحُ أَنْ نَسِيرَ إِلَى قَرْطَبَةَ ، وَوَرَاءَ نَا هَذَا الْعَدُو ، ثُمَّ دَشُوا إِلَى زَاوِي وَأَسْرُوا عَلَيْهِ الْعُدْرَ بِالْمَرْتَضَى . فَلَمَّا أَصْبَحُوا لِلْقِتَالِ جَعَلَ مَنذَرٌ يُحَرِّضُ الْمَوَالِي الْعَامِرِينَ سُخْرِيَةً يَبْنِي تَوْرِيضَهُمْ ، وَيَقُولُ : أَيْنَ أَنْتُمْ مَعْشَرَ أَرْبَابِ الْمَمْلُوكَةِ الْمُؤْتَرِينَ عَلَى كُلِّ طَبَقَةٍ ؟ أَيْنَ أَصْحَابُ الْوِظَائِفِ الْمَرْتَبَةِ ؟ هَذَا يَوْمُكُمْ ، تَقَدَّمُوا . فَنَحَمِي الْقَوْمَ وَخَرَجَتْ صَنْهَاجَةَ وَمَغْرَاوَةَ مِنْ زَنَانَةٍ فَاجْتَلَدُوا أَيَّامًا ، فَلَمَّا حَمَى الْوَطِيسُ أَشَارَ مَنذَرٌ وَخَيْرَانَ بِإِدْنَاءِ الْمُحَلَّةِ إِلَى قُرْبِ حَوْمَةِ الْقِتَالِ . فَلَمَّا زُحِرَتْ صَنْهَاجَةَ مِنْ مَوْضِعِهَا اضْطَرَبَ الْعَسْكَرُ<sup>(٥)</sup> ، وَشَدَّ الْبِرَابِرُ شِدَّةً مَنكَرَةً ، فَأَنحَازَ مَنذَرٌ وَخَيْرَانَ

(١) وه : « وقتل » (٢) هذا الحديث لى قوله : « وهول ما عاينه زاوى »

في الصفحة التالية س ٩ لم يقع في ر ، وه (٣) لب : « مبارك »

(٤) في الأصول : « أنعراه مبارك على » (٥) لب : « المسكر »

لأوّل وقتها وانهمزما على وجوههما ، فلم يك للناس ثبات بعدهما ، فاستمرت بهم الهزيمة حسبا تقدّم .

وأخبر عن منذر أنه الذي ورط المرتضى وحلفاءه<sup>(١)</sup> ، وأحدهم أوعاراً صعبة حتى أنزلوهم فوق رؤوس صنهاجة في الجبل المطلّ عليهم . ولما شرع في قتالهم بان لمنذر جدّ الموالي العامريين ، ولم يشك في ظهورهم فسدّهم وتحيل لهم بما قلّ حدّهم . وكان بلغه أيضاً عن زاوي أنه لا يشك في الغلبة فتداركه بكتاب يثنيه به عن حربيه ، فتراجعت نفس زاوي وطمع في النجاة فلذلك ما جدّ في القتال .

ولهول ما عينه زاوي من اقتدار<sup>(٢)</sup> أهل الأندلس في تلك الحرب وجعجاعهم به ، وإشرافهم على التغلب عليه ، ما هان<sup>(٣)</sup> سلطانه عنده بالأندلس وعزم على الخروج عنها نظراً في عاقبة أمره<sup>(٤)</sup> ، ودعا جماعة قومه مستنجحاً فعصوه في ذلك ، لظنهم بطيب معيشتهم بالأندلس ، فلم يثنيه ذلك عن عزيمه ، وركب هو البحر بماله وأهله فلحق بإفريقيّة وطنه . فكان من أغرب الأخبار في تلك الدولة الحمّودية انزعاج ذلك الشيخ الباقيّة زاوي بن زيري عن سلطانه ، ولفظه لما كان يلوّكه من فلذة كبد الأندلس أرض البيرة<sup>١٥</sup> بأثر الفتح العظيم الذي أتبع له على المرتضى ومن كان معه من عساكر أهل الأندلس . فأخذ في عبور البحر حين صفا العيش واخضر عوده ، ووّقم

(٢) وه : « اعتداد »

(١) في النسخ : « وحلفاءهم »

(٣) وه : « ماهون »

(٤) ب ، ت : « أمره ، فتجدد لذلك أثر الفتح عليه ، ودعا »

العدو وفلَّ غربه ، فصمَّ في الرحيل بعد أن استأذن صاحب إفريقيَّة يومئذ المعزَّ  
ابن باديس ابن عمه في ذلك فأذن له ، وحرص جميع بني عمه بالقيروان على  
رجوعه لهم لحال سنه ، وتعريهم يومئذ عن مثيله من مشيختهم لمهلك جميع  
إخوتهم ، وحصوله هو <sup>(١)</sup> . فعددُ بني منادٍ ، الغريبُ شأنه ، في الأيّحجب  
عنه من نسايتهم زهاء ألف امرأة في ذلك الوقت هنَّ محرم <sup>(٢)</sup> له من بنات  
إخوته وبناتهنَّ وبنى بنهنَّ . فرحل عن الأندلس سنة عشر وأربعمائة ،  
واستقلت به سفنه من مرسى المنكب ، وفي شحنتها من ذخائر الأندلس  
ما يفوت الإحصاء كثرة لعظيم ما خمسهُ أيام الفتنة . فاجتمع شمله بالقيروان ،  
وأقره المعزُّ في دولته وكفَّه . إلا أنه لم يوتره ولا أناف بمحلّه ولا قلده ولا  
واحدًا من ولده شيئًا من عمله <sup>(٣)</sup> ، بل وكلهم إلى سُخْتهم <sup>(٤)</sup> .

## قال ابن حيان :

وحدثت عن السبب المزعج كان لزاوي يومئذ في ارتحاله . وذلك أنه لما  
انهزم المرتضى قال زاوي لقومه : كيف رأيتم ما قد خلصنا منه ؟ قالوا : عظيمًا !  
قال : فلا تناسوه وتغالطوا أنفسكم بعده . إن انهزام من رأيتموه لم يكن  
عن قوَّة منا . إنما جرّه مع القضاء غدُرُ ملوكهم لسلطانهم ليهلكوه كما فعلوا ،  
فإني عرفت ذلك من يوم نزولهم ، ولذلك ما كنت أفوِّى نفوسكم وقد نجَّانا  
الله منهم برحمته ، ومضى القوم ولم يعدوا إلا رئيسهم ، واستخلافه هين  
عليهم ، ولست آمنُ عودهم جملة إليكم فيما بعد فلا يكون لنا قوامٌ بهم . فالراي

(١) ب ، ت ، لب ، ر : « وحصوله »

(٢) ب ، ت ، لب : « زعموا محرم »

(٣) ب ، ت ، لب : « أولاده شيئًا من أعماله » (٤) ر : « محنهم »

الخروج عن أرضهم ، واغتنام السَّلامَةِ مع إحرارِ الغنيمَةِ ، والرجوعُ إلى الجملةِ التي انفصلنا عنها كَانَفِينٍ لِلْعِيَالِ وَالذَّرِيَّةِ ، مَبَاعِدِينَ لُهُمْ لِمَا وِرَاءَنَا مِنْ أَهْلِ جَنَسِنَا<sup>(١)</sup> زَنَاتَهُ ، الأعداءِ في الحَقِيقَةِ ، الَّذِينَ لَا يَغْفُلُونَ عَنَّا وَإِنِ غَفَلْتَ الْخَلِيقَةُ ، لَا سِيَّامًا وَقَدْ قَرَفْنَا قَرَفَهُمْ ، وَنَبَشْنَا أَحْقَادَهُمُ الْمَدْفُونَةَ . فَإِنِ فَرَعُوا لَنَا عَلَى قِلَّةِ عَدَدِنَا ، وَظَاهَرُوا عَلَيْنَا الْأَنْدَالُسَ وَقَعْنَا مِنْهُمْ بَيْنَ لِحْيَيْ أُسَدٍ فَاصْطَلَمُونَا .  
 ٥ . وَهَإِنَّا قَدْ أَدَيْتُ لَكُمْ النَّصِيحَةَ ، وَأَنَا رَاحِلٌ عَنِ الْأَنْدَالُسِ ، فَمَنْ أَطَاعَنِي فَلْيُرْحَلْ مَعِي . فَلَمْ يَسَاعِدْهُ أَحَدٌ ، فَرَحَلَ كَمَا وَصَفَنَاهُ .

وَبَلَّغْنِي أَنَّ حَلَالِي بْنَ زَاوِي تَلَوَّمَ بِغَرْنَاطَةَ بَعْدَ حَصُولِ الْوَالِدِ بِالْمَنْكَبِ أَيَّامًا لِتَتِمِّمَ لُبَانَاتِهِ<sup>(٢)</sup> . وَقَدْ دَبَّرَ مَعَ الرَّاحِلِينَ<sup>(٣)</sup> مِنْ بَنِي عَمَّةِ الْقَبْضَ عَلَى قَاضِي الْبَلَدِ ابْنِ أَبِي زَمْنِينَ وَالْمَشِيخَةَ مِنْ أَهْلِهِ إِذَا رَجَعُوا مِنْ تَشْيِيعِ أَبِيهِ لِيَأْخُذَ أَمْوَالَهُمْ .  
 ١٠ . فَاهْتَدَى ابْنُ أَبِي زَمْنِينَ لِتَدْيِيرِهِ وَنَكَبَ عَنِ الْمَنْكَبِ إِلَى حَبُوسَ ، وَكَانَ مَتَوَقِّفًا بِحَصْنِ آسَ يَرْتَقِبُ رُكُوبَ عَمَّةِ الْبَحْرِ فَيَلْحَقُ بِغَرْنَاطَةَ ، فَكَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ . فَرَكِبَ مَعَ ابْنِ أَبِي زَمْنِينَ وَقَدْ خَوَّفَهُ بَوَائِقَ الْإِبْطَاءِ ، فَلَمْ تَشْعُرْ صَنْهَاجَةُ حَتَّى أُطِّلَ عَلَيْهِمْ قَارِعًا طَبُولَهُ ، فَخَرَجَتْ صَنْهَاجَةُ تَسْتَقْبِلُهُ وَوَقَفَ ابْنُ عَمَّةِ حَلَالِي بِيَابِ الْبَلَدِ حَائِرًا قَدْ فَسَدَ تَدْيِيرُهُ عَلَى ابْنِ أَبِي زَمْنِينَ ، وَلَمْ يُعْرِجْ حَبُوسَ عَلَيْهِ حَتَّى صَعِدَ إِلَى قَصْبَةِ غَرْنَاطَةَ فَضَبَطَهَا وَحَطَّ رَحْلَهُ فِيهَا . ثُمَّ خَرَجَ إِلَى ابْنِ عَمَّةِ حَلَالِي لِيُودِّعَهُ فَعَاتَبَهُ حَلَالِي فِي اقْتِحَامِهِ عَلَيْهِمْ وَقَالَ لَهُ : الْفُوتُ خَفَتْ أَبَا مَسْعُودٍ فِي بَدَارِكِ ! أَهَذَا دَخُولُ مُكْتَتِبٍ بِفِرَاقِ عَشِيرَتِهِ ؟ هُوَ بِدَخُولِ شَامَتِ أَشْبَهَ ! كَأَنَّكَ فَتَحْتَ بَلَدًا وَطَرَدْتَ عَدُوًّا ! فَاعْتَذَرَ لَهُ حَبُوسَ ، وَقَالَ : مَا ذَاكَ إِلَّا لِرُسْمِ الْإِمَارَةِ ، وَإِرْهَابِ الرَّعِيَّةِ . ثُمَّ اسْتَوَطَّنَ حَبُوسَ الْبَلَدَ وَأُورِثَهُ عَقِبَهُ .  
 ٢٠ .

(١) ب،ت،ر: « جنسه » (٢) ب،ت،ل: « حاجاته » (٣) ر: « الداخلين »

قال ابن حيان : وبلغني أن زاوي استوهب علي بن حمود ، يوم قُتل سليمان بن الحكم رأسه ، حنقاً على بني مروان المهدي إليهم رأس زيري والده ، وأنه أسمعهُ بذلك ، فصار عنده ، ونقله من الأندلس معه في ذلك الوقت مفتخراً به على أهل بيته . فإن يكن ذلك حقاً فزاوي أكبر من أدرك الثار المنيم ، ورحض العار العقيم . وأخبار هذا الداهية زاوي كثيرة ، ونوادير أفعاله مأثورة .

وكان حبوس هذا أحد نائبي برايرة الأندلس الذين يعتد بهم<sup>(١)</sup> ، لم يبق بمده يومئذ سوى محمد بن عبد الله نظيره من شُرب له شذاة . وكان على قسوته يُصنى إلى الأدب ، وينتمى في العرب ، للأثر الملقوف في قومه صنهاجة . وكان يؤثرُ لذلك « كتاب التيجان » في ذكر مناقبهم<sup>(٢)</sup> ، ولا يُغيبُ سماعه ومطالعتَه . وكان وقوراً حليماً ، نظماً مهيباً ، نزر الكلام ، قليل الضحك ، كثير الفكر<sup>(٣)</sup> ، شديد الغضب ، غليظ العقاب<sup>(٤)</sup> ، شجاعاً حسن الفروسيّة ، جباراً متسكراً داهيةً ، واسع الخيلة ، كامل الرجولة<sup>(٥)</sup> ، له في كل ذلك أخبار مأثورة<sup>(٦)</sup> .

أخبرني أبو الوليد ابن زيدون قال :

سأل حبوس يوماً محمد بن عبد الله في بعض التقائهما عن سِنِّه بمعراض فقال : ابن كم كنت يوم قُتل محمد بن الخير ؟ فأجابه مُسرّعاً : كنت يوم قُتل

(١) ب ، ت ، لب : « يفترقون عنها »

(٢) ب ، ت ، لب : « كتاب التيجان لابن دريد في ذكر مناقبهم »

(٣) ب ، لب ، ت ، وه : « طويل »

(٤) ب ، ت : « الحجاب »

(٥) ب ، ت ، لب ، وه : « الرجولية »

(٦) ب ، ت ، لب ، وه : « مشهورة »



زيري بن مناد يَفَعَّةً ، وشهدتُ وقعته مع قومي ابن كذا ! فتبسّم حَبُوس ،  
وعجِبَ مَنْ حضر مِنْ فطنتهما . وإنما أراد حَبُوس تَعْيِيرَ ابنِ عبد الله بِمقتلِ ابنِ  
الخيرِ سلطانِ زِنَانَةَ المُصابِ في وقعةِ صَنهاجَةَ ، فعارضه ابن عبد الله بذكر وقعتهم  
بجدِّ حَبُوسِ زيري بن مناد . فلو كانا في الرَّعيلِ الأولِ من أذكِياءِ العربِ ما زادا  
على ما أتيا به .

٥

وقد أعاد عليّ ولدُ ابنِ عبد الله أيامَ لقيته بقرطبة عن والده محمد  
ابن عبد الله بالطف من هذا التّعريض ، مكتفياً باسم الموضّعين عن ذكر اسم  
الرجلين ، فقال : قال حَبُوس لوالدي يوماً : أشهدتَ يوماً تلمسان ؟ فقال له  
والدي : لا ، أوّلُ مشاهدي يومٍ كَرَّضٍ ! ويومُ تلمسان يومُ الخيرِ وزِنانَةَ ،  
ويومُ كَرَّضٍ يومُ زيري وصَنهاجَةَ . فلم يزد أحدهما على التبسّم ، وما درى من  
معهما ما ذهبوا إليه . انتهى كلام ابن حيان .

١٠

قال ابن بسّام : ومن مديح التلويح بالمعاريض قولُ رجلٍ من نُميرٍ وقد  
سائرَهُ ابنُ هُبيرةَ الفَزاري فزادت بغلةُ النُميريِّ عليه . فقال له ابن هُبيرة : غَضٌّ  
من لجامِها ! فقال : إنها مكتوبةٌ أعزك الله ! فضحك . وإنما أراد ابنُ هُبيرة  
قولَ جرير :

١٥

\* فُضُّ الطرفَ إنك من نُميرٍ \*

وأراد النُميري قولَ ابنِ دارةَ في فزارة :

لا تأمننَّ فزاريًا خلوتَ به على قلوصلِكَ واكتنَّها بأسيارِ

وكانت فزارةُ تُرمي باتيان الإبل ، ولذلك قال الفرزدق يهجو ابن هُبيرة :

أميرَ المؤمنين وأنتَ برٌّ حلِيمٌ لستَ بالجشعِ الحريصِ<sup>(١)</sup>

٢٠

(١) لم يقع هذا البيت في ب ، ت ، لب

أوليت العراق ورافديه فزارياً أحذيد القميص؟  
ولم يك قبلها راعي نخاض ليأمنه على وركني قلوص

ومن المعاريض: أن رجلاً هلالياً بات مع رجل من محارب على بعض  
المياه، وقد كثر فيه صياح الضفادع، فقال الهلالي: ما تركتنا شيوخ محارب  
ننام الليلة! فقال له المحاربي: إنها أضلت<sup>(١)</sup> برقعاً فجعلت تطلبه! أراد الهلالي  
قول القائل:

تجيش بلا شيء شيوخ محارب وما خلتها كانت ترش ولا تبرى  
صفادع في ظمء ليل تجاوبت فدل عليها صوتها حية البحر  
وأراد المحاربي قول الآخر:

١٠ لكل هلالى من اللوم برقع ولابن يزيد برقع وجلال<sup>(٢)</sup>

وحضر باب عبد الملك ناس من العرب فيهم تميمي ونميري، فرأ عليهم رجل  
يحمل بازيًا، فقال التميمي: ما أحسن هذا البازي! فقال النميري: أجل،  
وهو يصيد القطأ! أراد التميمي قول جرير:

١٥ أنا البازي المطل على نمير أتيح لها من الجو انصباباً  
وأراد النميري قول الطرماح:

تميم بطرق اللوم أهدى من القطأ ولو سلكت سبل المكارم ضأت  
ومن المعاريض: قول معاوية للأخنف بن قيس: ما الشيء الملقف  
في الجاد؟ قال السخينة يا أمير المؤمنين! أراد معاوية قول القائل:

(١) وه: «أضاعت»

(٢) كذا، وفي العقد الفريد (ج ٢ ص ١٤): «برقع وقيمس»

إذا ما مات ميتٌ من تميمٍ فسرك<sup>(١)</sup> أن يعيشَ فجئ بزادٍ  
بخبزٍ أو بتميرٍ أو بسمنٍ أو الشيء المُلَفَّفِ في البِجَادِ  
وأراد الأحنفُ أن قُرِيشًا كانت تُعَيَّرُ بأكلِ السَّخِينَةِ<sup>(٢)</sup>، وهي حَسَاءٌ من  
دقيقٍ يُتَّخَذُ عندَ غَلَاءِ السَّعْرِ. وفي ذلك يقولُ شاعرٌ كِنَانَةٌ:

يا شَدَّةَ ما شَدَدْنَا غيرَ كاذِبَةٍ<sup>(٣)</sup> على سخينةٍ لولا اللَّيْلُ والحَرَمُ  
ومن المعاريض: قولُ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينَ هاجرَ إلى المدينةِ  
مُخْفِيًا لِشأنِهِ عن قُرَيْشٍ، ومعهُ أبو بكرٍ، فكَلَّمَا سألَهُمَا سائلٌ عن شأنِهِمَا قالَ:  
نَحْنُ باغٍ وهاجِرٌ، يريدُ باغِيًا للخَيْرِ، وهاجِرًا إِلَيْهِ.

ومنه: قوله عليه السلام، حينَ خرجَ هو وأبو بكرٍ يتجسَّسانِ عن العيرِ، وقد  
سألاً بَسْبَسًا فأخبرَهُمَا على أن يخبراهُ بأمرِهِمَا، فلمَّا أخبرَهُمَا وسألَهُمَا، قالَ له عليه  
السلام: نحنُ من ماء. فقالَ لهما بَسْبَسٌ: ما رأيتُ كالْيَوْمِ عَجَبًا، أَمِنْ ماءٍ  
كذا، أم من ماءٍ كذا؟ يعددُ مِياةَ العربِ. وقد قالَ عليه السلامُ لأصحابِهِ،  
حينَ أرسلَهُمُ إلى بني قُرَيْظَةَ أَيَّامَ الأَحْزَابِ: إن رأيتُموهم على غيرِ ما أَحِبُّ  
فالحنُوا لي. فلمَّا انصرفوا قالوا له: يا رسولَ اللهِ، عَضَلُ والقَارَةُ. وقد كان هذان  
القبيلانِ غَدْرًا، فكفَى له بهما أصحابُهُ عن غَدْرِ بني قُرَيْظَةَ.

ومما يتعلَّقُ ببابِ المعاريضِ: قولُهُ عليه السلامُ للمرأةِ: عَلِمِي حَفْصَةَ  
رُقِيَةَ النَّمْلَةَ! وكانت حَفْصَةُ عليها السلامُ عندما يريدُها صلى اللهُ عليه وسلم  
ربما تَأَبَّتْ، فأرادَ أن يُلحَنَ لها برُقِيَةِ النَّمْلَةِ، وكانتِ العربُ تُرَقِيها في

(١) ب، ت، و: «وسرك» (٢) ر، و: «بالسخينة»

(٣) ب، ت، ل: «منكرة»

الجاهليّة . يقول لها : العروسُ تكتحلّ وتحتفل ، وكلّ شيءٍ تفتعل ، غير  
تُعاصي الرجل .

وشبيهه هذا ما فعله معاوية — رحمه الله — حين بلغه أن بعض بناته تمتنع ،  
فدخل عليها ، فجعل ينكت بقضيبه وينشد :

٥ من الخفّرات البيضِ أمّا حرامها فصعبٌ ، وأما حياها فذلولٌ  
ومن المعاريضِ : الخبرُ المأثورُ عن كثيرٍ وجميلٍ قال : زار جميلٌ بثينةً  
ورامَ إيصالَ شيءٍ إليها فعزّه ذلك . فلقى كثيرًا وقد ارتحل من عند أبيها ،  
فسأله عن موضعِ مبيتته ، فقال : كنتُ عندَ أبي بثينة . فقال له : هل إلى إعلامها  
أني ها هنا سبيلٌ<sup>(١)</sup> ؟ فقال : هل كان بينكما شيءٌ تعرفه هي ؟ فقال : نعم ،  
١٠ آخرُ عهدي بها بأسفلِ وادي الدّوم ، وأصابَ عمّاتي شيءٌ ففسلته بجارتها .  
فرجعَ كثيرٌ قبلَ أن يقومَ والدُ بثينةَ من مجلسه ، فقال : ما رجعتك ؟ قال له كثيرٌ :  
أبياتُ قلّتها وأحببتُ أن تسمعها . قال : هاتِ ما عندك . فأنشده :

١٥ وقلتُ لها : يا عزُّ أرسلُ صاحبي على طولِ نأيٍ والرسولُ موكلُ  
بأن تجعلي بيني وبينك موعدًا وأن تأمريني بالذي فيه أفعل<sup>(٢)</sup>  
وآخرُ عهدي منك يومَ لقيتني بأسفلِ وادي الدّوم والثوبُ يُفسلُ  
فقلتُ بثينةَ : اخسأ ! فقال أبوها : مالكِ يا بثينة ؟ قالت : كلبٌ يأتينا إذا هومَ  
الناسُ من وراءِ هذه الراية !

قال : ودخلَ محمدُ بنُ أميةَ الشاعرُ مجلسًا فيه قينةٌ تغني فأعجبته فقال لها :  
جُعلتُ فِدالكِ ، أتُحسِنينَ أن تُغني :

(١) هـ : « هل إلى إعلامها الليلة سبيل أني ها هنا ؟ »

(٢) لم يقع هذان البيتان إلا في ر ، هـ

خبريني : من الرسول إليك ؟ واجعليه من لا ينم عليك  
فقلت له : لا ، وقدّمت قبلك ، ولكنني أغنى في طريقته :  
أحمد قال لي ، ولم يذر ما بي : أتحبّ الغداة عتبة حقا؟  
وأومات إلى مُحَنَّثٍ كان على رأسها اسمه أحمد .

وقد أرخص الفقهاء في هذه المعارض . وقال بعض السلف : في المعارض  
مندوحة عن الكذب .

وكان النخعي إذا خرج من عنده أصحابه يقول لهم : قولوا لمن سألكم عني :  
لا ندرى أين هو ، فإنكم لا تدرُونَ أين أحوّل من الدار .

ومنها قول شريح رحمه الله في شأن عبد الملك ، وقد عاده في علته التي مات  
منها : تركته يأمرُ وينهى ! فلما استنهم<sup>(١)</sup> قال : يأمرُ بالوصية ، وينهى  
عن البكاء .

وأهدى علي بن هشام إلى المأمون جارية اسمها صرف حين أحس بتغيّره  
عليه ، وأمرها أن تكتب إليه بما عسى أن تحسّ به من ذلك إليه . فوقف  
<sup>(٢)</sup> يوما بين يديه فسقطت منه رقعة ، فأخذها المأمون فإذا فيها : « يا موسى !  
يا موسى ! ليس شيء غير ذلك . فقال المأمون لجلسائه : أيكم يعلم إيماء هذه الرقعة ؟  
فكلهم قال : لا أدري . فقال : هذه كتبت من قصرى ، تخوف هذا الرجل  
بادرتي . أراد كاتبها قوله تعالى : « يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك<sup>(٣)</sup> »  
ثم حذف إخفاء ، وكرّر توكيدا . فبحث عن أمر الرقعة فإذا هي لصرف .

(١) ب ، ت ، لب : « استفسر »

(٢) هنا يبدأ خرم في لب

(٣) راجع سورة ٢٨ : ٢٠

ومن مליح فطنة المأمون أيضاً — وله بهذا الباب بعض تعلق — أنه : جلس يوماً في بعض مجالس أنسه ، وفي المجلس عريب المأمونية ، وأحمد بن محمد بن حمدون الذي كان يهواها ، فأوماً إليها بقبلة ، فاندفعت تغنى بيت النابغة الجعدي .

رمى صرع ناب فاستمر بطعنة كحاشية البرد البياني المسهم .

٥ فقال المأمون : من أوماً إلى عريب بقبلة ؟ فوجم الحاضرون ، فعزم عليهم ليخبروه <sup>(١)</sup> . فقال أبو عيسى أخوه : لا تظلم الناس . من يجترئ على هذا إلا هذا الفاسق ؟ وأوماً إلى ابن حمدون . فاستفسر المأمون من أين وقع له ذلك . فقال : هي لا تغنى حتى تؤمر واندفعت تغنى ارتجالاً .

١٠ <sup>(٢)</sup> ودخل حارثة بن زيد على زياد وفي وجهه أثر . فقال له زياد : ما هذا الأثر في وجهك ؟ قال : ركبت فرسي الأشقر فجمح بي ! فقال : أما إنك لو ركبت فرسك الأشهب ما فعل ذلك ! فكفى بالأشقر عن التبيد ، وبالأشهب عن اللب <sup>(٢)</sup> .

(١) ب ، ت : « على وعلى لئن لم تخبروني لأقتلكم »

(٢-٢) ده في ر ، ه



انتهى المجلد الأول من القسم الأول

ويليه

المجلد الثاني من القسم نفسه

وأوله ترجمة عبادة بن ماء السماء .

## فهرس

صفحة

- مقدمة المؤلف : منهجه في الكتاب ..... ١
- القسم الأول : في أهل حضرة قرطبة ، وما يصاقبها من آخر دولة  
بني عامر إلى زمن المؤلف ويشتمل على :
- المستعين بالله سليمان بن الحكم ..... ٢٤
- حربه مع ابن عمه المهدي ..... ٣٠
- مكانته في الأدب ..... ٣٢
- قطعة من شعره عارض بها شعراً لهارون الرشيد ..... ٣٣
- المستظهر بالله (عبد الرحمن الناصري) ..... ٣٤
- بيعته ..... ٣٥
- مقتله ..... ٣٨
- مكانته في الأدب ..... ٤٠
- قصيدته في مشنف زوج سليمان بن الحكم وأم معشوقته حبيبة ..... ٤٠
- قصيدة له فيها ..... ٤١
- أبيات أخرى في حبيبة ..... ٤٢، ٤١
- أبيات له وقع بها في تهنئة ..... ٤٢
- أبيات له في الغزل ..... ٤٣
- ابن دراج القسطلي ..... ٤٣

## صفحة

- ٤٥ ... .. فصل من رسالة له
- ٤٦ ... .. فصل من رسالة له إلى سليمان بن عبد الحكم
- ٤٧ ... .. فصل من رسالة له
- ٤٧ ... .. فصل من رسالة له إلى علي بن حمود
- ٤٨ ... .. فصل من رسالة له إلى منذر بن يحيى التجيبي
- ٤٩ ... .. فصل من رسالة له
- ٥١ ... .. قصيدة له في سليمان بن الحكم
- ٥٣ ... .. قصيدة له فيه
- ٥٤ ... .. قطعة من قصيدة له فيه أيضاً
- ٥٦ ... .. قطعة من قصيدة أخرى له فيه أيضاً
- ٥٨ ... .. تعليقات للمؤلف في نقد بعض الأبيات  
قصيدة له في مدح عيسى ابن سعيد القطاع ، وفي ثناياها بعض
- ٦٠ ... .. تعليقات للمؤلف
- ٦٤ ... .. قطعة من قصيدة له في مدح المرتضى آخر ملوك بني مروان
- ٦٥ ... .. قطعة من قصيدة في المنصور بن أبي عامر
- ٦٧ ... .. قطعة من قصيدة في ابن أزرق
- ٦٨ ... .. قطعة من قصيدة أخرى له ، يليها تعليقات للمؤلف  
إحدى هاشمياته وهي لاميته الشهيرة في علي بن حمود ، وفي ثناياها
- ٧٠ ... .. تعليقات للمؤلف
- ٧٤ ... .. قصيدته في خيران العامري صاحب المرية
- ٧٨ ... .. اشارة على بن صمود
- ٨٢ ... .. مقتله



| صفحة |   |
|------|---|
| ٨٤   | ابن برد الأكبر  |
| ٨٤   | فصول له من العهد المعقود للناصر عبد الرحمن ابن أبي عامر   |
| ٨٦   | فصول من رقعة كتبها عن المظفر بن أبي عامر                  |
| ٨٨   | فصول له عن المظفر بن رزين                                 |
| ٨٩   | فصول له عن سليمان بن الحكم إلى جماعة العبيد               |
| ٩٤   | فصول له عن سليمان إلى ابن [؟]                             |
| ٩٦   | فصول له عن سليمان إلى منذر بن يحيى                        |
| ٩٦   | فصل له من رسالة إلى ابن صمادح                             |
| ٩٧   | فصل من رسالة أخرى له                                      |
| ٩٧   | فصول له عن علي بن حمود إلى منذر بن يحيى                   |
| ٩٩   | فصل من رسالة له   |
| ٩٩   | فصل له من رسالة عن علي بن يحيى في معنى الرعية             |
|      | فصلان من رسالة عن المظفر بن أبي عامر حين قتل عيسى بن سعيد |
| ١٠٠  | القطاع وزيره  |
| ١٠٢  | التعريف بالوزير عيسى ابن سعيد القطاع ومقتله               |
| ١٠٨  | قصيدة ابن برد إلى صاعد اللغوى                             |
| ١٠٩  | قصيدة صاعد في الرد عليه                                   |
| ١١٠  | عبد الوهاب بن حزم   |
| ١١١  | فصل من رسالة ابن الربيب اللغوى إليه                       |
| ١١٣  | فصول من رسالة ابن حزم في الرد على ابن الربيب              |
| ١١٦  | فصل من رسالة له   |

| صفحة |   |
|------|---|
| ١١٧  | معارضة لرسالة بديع الزمان في غلام معذر                        |
| ١١٩  | استطرادات للمؤلف في التعذير                                   |
| ١٢٧  | فصل من رسالة له   |
| ١٢٧  | فصل له من رقعة شفاعة  |
| ١٢٨  | فصول له من رسائل مختلفة                                       |
| ١٣٤  | فصل من رسالة يخاطب بها الفقيه بن عبد البر                     |
| ١٣٥  | فصل من رسالة له   |
| ١٣٦  | فصل من رسالة له خاطب بها الفقيه أبا محمد بن حزم               |
| ١٣٨  | رد الفقيه ابن حزم عليه  |
| ١٤٠  | ذكر الفقيه أبي محمد بن حزم وبعضه أشعاره                       |
| ١٤٧  | بعض شعر عبد الوهاب بن حزم في أوصاف شتى                        |
| ١٥٢  | التعريف بمنذر بن يحيى النجيبى                                 |
| ١٥٦  | مقتله   |
| ١٦١  | ابن شهيد  |
| ١٦٣  | فصل من رقعة خاطب بها المؤمن عبد العزيز بن عبد الرحمن أبي عامر |
| ١٦٦  | فصل من رسالة له   |
| ١٧١  | جواب له على خطاب  |
| ١٧٣  | فصل من رقعة له إلى المؤمن                                     |
| ١٨٠  | فصول من رسالة له إلى الوزير ابن عباس                          |
|      | أبيات بعث بها الوزير أبو مروان الجزيري إلى ابن شهيد، وجواب    |
| ١٨٤  | ابن شهيد عليها  |
| ١٨٥  | أبيات له في صفة النحل   |

| صفحة |  |
|------|--|
| ١٨٥  | أبيات له في صفة البرغوث                                      |
| ١٨٦  | رسالة له   |
| ١٩٠  | قطع من قصيدة له  |
| ١٩٢  | فصول من رقعة خاطب بها مجاهدا أمير دانية                      |
| ١٩٥  | فصول من رقعة له إلى الكاتب أبي بكر المعروف باشكيمات          |
| ٢١٠  | فصول من رسالته الشهيرة المعروفة بالتوابع والزوابع            |
| ٢٤٠  | فصل في ذكر ابن ابرفلبلي                                      |
| ٢٤٢  | رجع إلى رسالة التوابع والزوابع                               |
| ٢٥٧  | مقطعات في وصف الحمام   |
| ٢٥٩  | فصول في ذكر أخبار الحاجب أبي عامر بن المظفر                  |
| ٢٦١  | جملة من شعر ابن شهيد في أوصاف شتى وفي ثناياها تعليقات للمؤلف |
| ٢٧١  | ذكر الخبر عن مقتل يحيى بن محمود                              |
| ٢٧٣  | رجع إلى شعر ابن شهيد   |
| ٢٨١  | ذكر آخر أيام ابن شهيد ووفاته                                 |
| ٢٨٩  | ابن زيدون  |
| ٢٩٢  | فصل من رقعة له وهو في اعتقاله خاطب بها ابن جهور              |
| ٢٩٨  | قصيدة له في ابن جهور كتب بها من السجن ويليها تعليقات للمؤلف  |
| ٣٠١  | قصيدة أخرى كتبها وهو في اعتقاله يليها تعليقات للمؤلف         |
|      | رسالته التي كتبها إلى أبي بكر بن مسلم بعد فراره من السجن وهو |
| ٣٠٥  | مختلف بقرطبة مع تعليقات للمؤلف                               |
| ٣٠٨  | قصيدته وهو في سجنه إلى أبي حفص ابن برد                       |
| ٣٠٩  | بعض شعره في النسب وما يناسبه مع تعليقات للمؤلف               |

| صفحة |   |
|------|---|
| ٣٢٢  | بعض أشعاره في المديح مع تعليقات المؤلف      |
| ٣٢٨  | رسالته قبل تحوله عن إشبيلية إلى أبي مسلمة   |
| ٣٤١  | رسالته إلى المعتضد                          |
| ٣٤٢  | رسالة أخرى إليه                             |
| ٣٤٤  | فصول من رسالة له                            |
| ٣٥٤  | وفاة ابن زبرور                              |
| ٣٦١  | فصل في ذكر وفاة ابن عباد بابن الأقطس        |
| ٣٦٦  | بعض أشعار ابن زيدون في الرثاء               |
| ٣٧١  | رجع إلى شعره في النسيب                      |
| ٣٧٦  | نهر ولادة                                   |
| ٣٧٩  | التعريف بالمستكفي والد ولادة                |
|      | ابن الحناط الكندي                           |
| ٣٨٤  | فصل له من رقعة خاطب بها ابن دري             |
| ٣٨٥  | فصول من رسالة له مع بعض التعليقات للمؤلف    |
| ٣٨٨  | فصول من رسالة له خاطب بها الوزير ابن الأقطس |
| ٣٩٠  | بعض أشعاره في المديح مع تعليقات المؤلف      |
| ٣٩٧  | مقتل الأمير المرئضي عبد الرحمن بن محمد      |
| ٤٠١  | ارتحال زاوي عن الأندلس إلى المغرب           |
| ٤٠٤  | ذكر الخبر عن عبوس                           |
| ٤٠٤  | التأويل بالمعاريض                           |

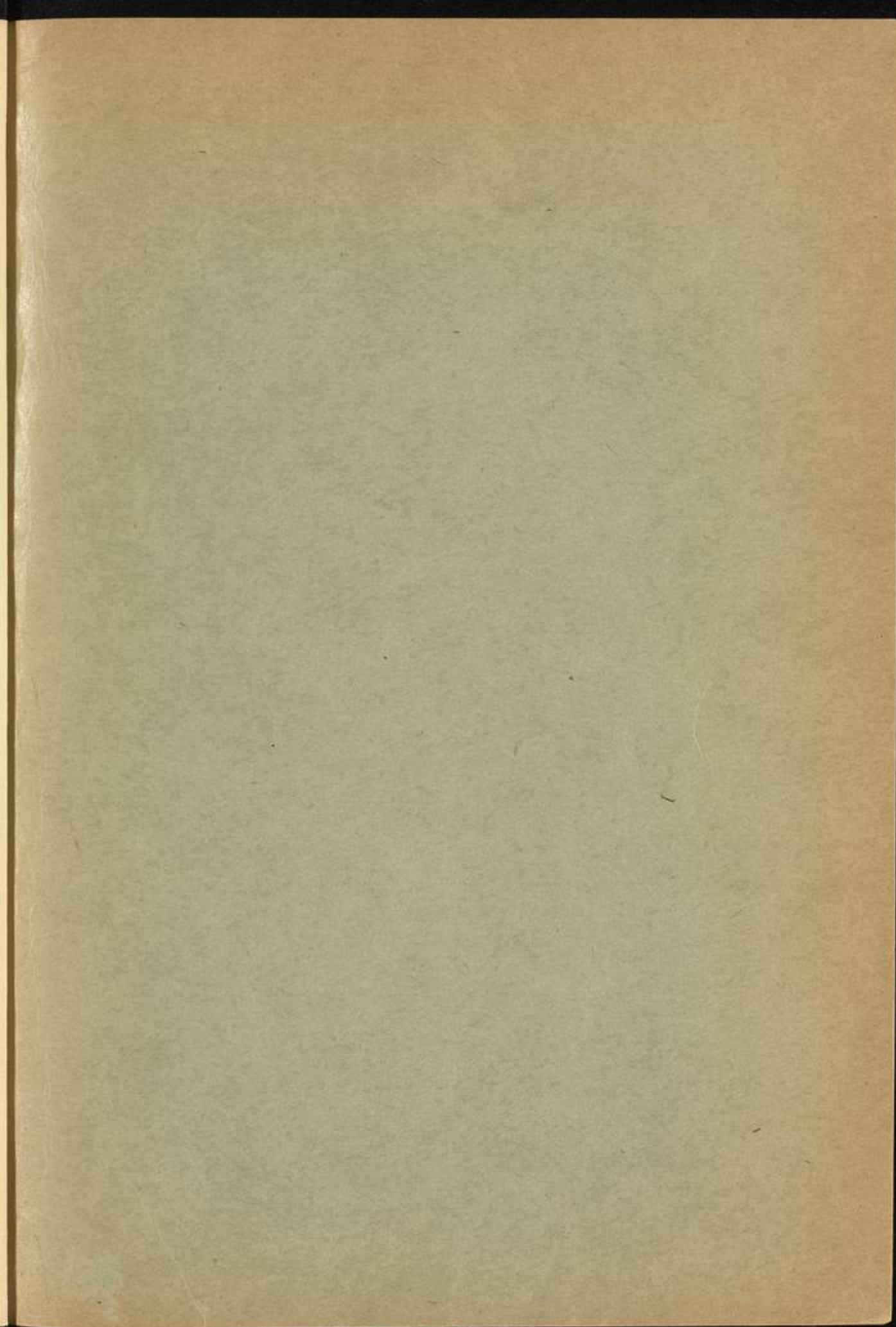
## الخطا والصواب

| صفحة | سطر | خطأ                               | صواب                              | صفحة | سطر | خطأ            | صواب           |
|------|-----|-----------------------------------|-----------------------------------|------|-----|----------------|----------------|
| ٦    | ١١  | وأشدَّ عارضةً                     | وأشدَّ عارضةً                     | ٢٥٤  | ٩   | الخِلَان       | الخِلَان       |
| ٢٥   | ٨   | وأذنى                             | وأذهى                             | ٢٦٠  | ١٢  | ابن            | ابن            |
| ٢٥   | ١٣  | وبعد                              | وبعث                              | ٢٦٥  | ٢   | سکراناً        | سکران          |
| ٣٠   | ١٥  | قَطَعَ                            | قُطِعَ                            | ٢٧٧  | ١٣  | يَمْنَعَا      | يَمْنَعَا      |
| ٣٣   | ١   | كفى                               | كَبَا                             | ٢٨٢  | ١٣  | وداخِلُهَا     | وداخِلُهَا     |
| ٣٥   | ٢   | يُدْبُ                            | يَدُبُّ                           | ٢٨٥  | ١٣  | الفَلِجُ       | الفَلِجُ       |
| »    | ١٢  | أبطأ                              | أبطأا                             | ٢٩٥  | ٣   | واستَمَجِدَ    | واستَمَجِدَ    |
| ٤١   | ١   | ترى جونها                         | ترى جونها                         | ٣٣٠  | ١٦  | مناقِبُه       | مناقِبُه       |
| ٤٤   | ١٠  | مُعْجَبًا                         | مُعْجَبًا                         | ٣٣٢  | ١٠  | منهزماً        | منهزماً        |
| ٤٦   | ٥   | تَشْهَرُ                          | تَشْهَرُ                          | ٣٣٤  | ١٠  | حَرْبٍ         | حَرْبٍ         |
| ٤٨   | ٤   | عيوا                              | عيوا                              | »    | ١٢  | يزدِ الحاجبِ   | يزدِ الحاجبِ   |
| ٥١   | ١٥  | السَّتْرُ                         | الْبُرُّ                          | ٣٣٥  | ٦   | تلمح وتخدم     | تلمح وتخدم     |
| ٥٧   | ٣   | نَفَحْنَ                          | نَفَخْنَ                          | ٣٣٦  | ١٩  | لاوتى          | لاوتى          |
| ٦١   | ١٤  | بأفواهم                           | بأفواهم                           | ٣٤٣  | ١٠  | إشراقها        | إشراقها        |
| ٦٣   | ١   | البيض                             | البيض                             | ٣٤٤  | ١٤  | وأخص           | وأخصن          |
| ٨٧   | ١٤  | يقع — ويعتذر                      | يقع — ويعتذر                      | ٣٤٥  | ١٣  | القوت          | القوت          |
| ٨٩   | ٢   | قريب الكاتب                       | قريب المكنة                       | ٣٤٧  | ١٤  | الحين          | الحين          |
| »    | ٤   | ولا يجاوز                         | ولا يجاوز                         | ٣٥٠  | ١٥  | مُسْتَحْكِمَةً | مُسْتَحْكِمَةً |
| ٩٣   | ١٦  | يُطَوَى                           | يُجْدَى                           | ٣٥٣  | ٤   | العروبة        | العروبة        |
| ٩٦   | ١٥  | فضافت سهامه                       | فضافت سهامه                       | ٣٦٠  | ١١  | تَقَصَّتْ      | تَقَصَّتْ      |
| ١١٥  | ٨   | سَمَعْنَا                         | سَمَعْنَا                         | ٣٦٩  | ٢   | تاويه          | تاويه          |
| ١٢٠  | ٥   | { وكذا البقاء }<br>{ بغير مرتفع } | { وكذا البناء }<br>{ بغير مرتفع } | ٣٨٧  | ٥   | شِئْعُهُ       | شِئْعُهُ       |
| ٢٤١  | ٨   | أطلق                              | أطلق                              | ٣٩٠  | ٢٠  | سُقِي          | سُقِي          |
| ٢٤٥  | ١٦  | إذا جمع                           | إذا ما جمع                        | ٣٩١  | ٢   | بَيْنَنَا      | بَيْنَنَا      |
| ٢٤٧  | ١٣  | هَمَّةً                           | هَمَّةً                           | »    | ٨   | بَكَيْتُ       | بَكَيْتُ       |

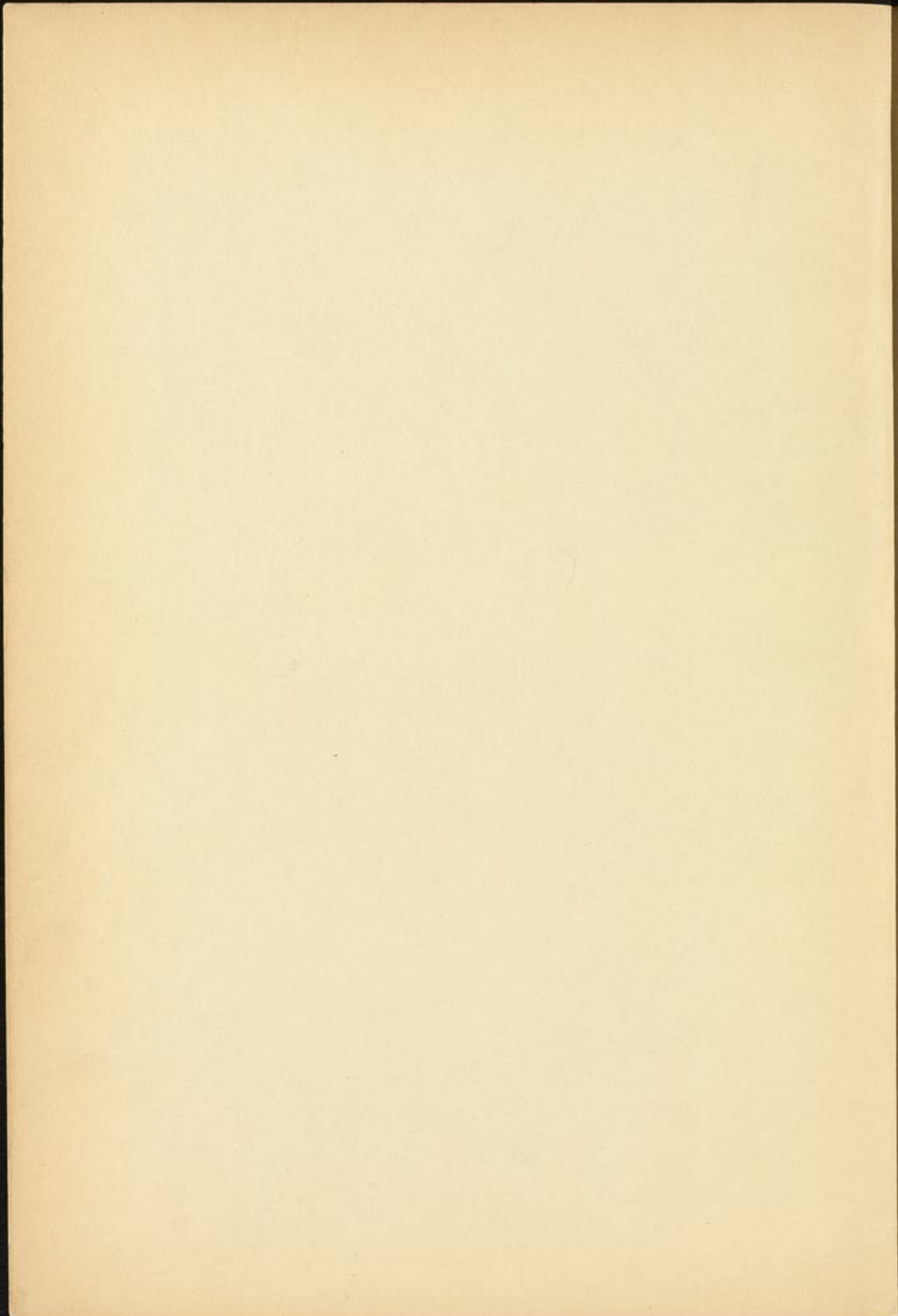
ملحوظة — قد فاتنا أن نثبت في صفحة (ي) رمزين وردا في حواشي الكتاب هما : (مه) ومعناها نقص و(مه) ومعناها زيادة .

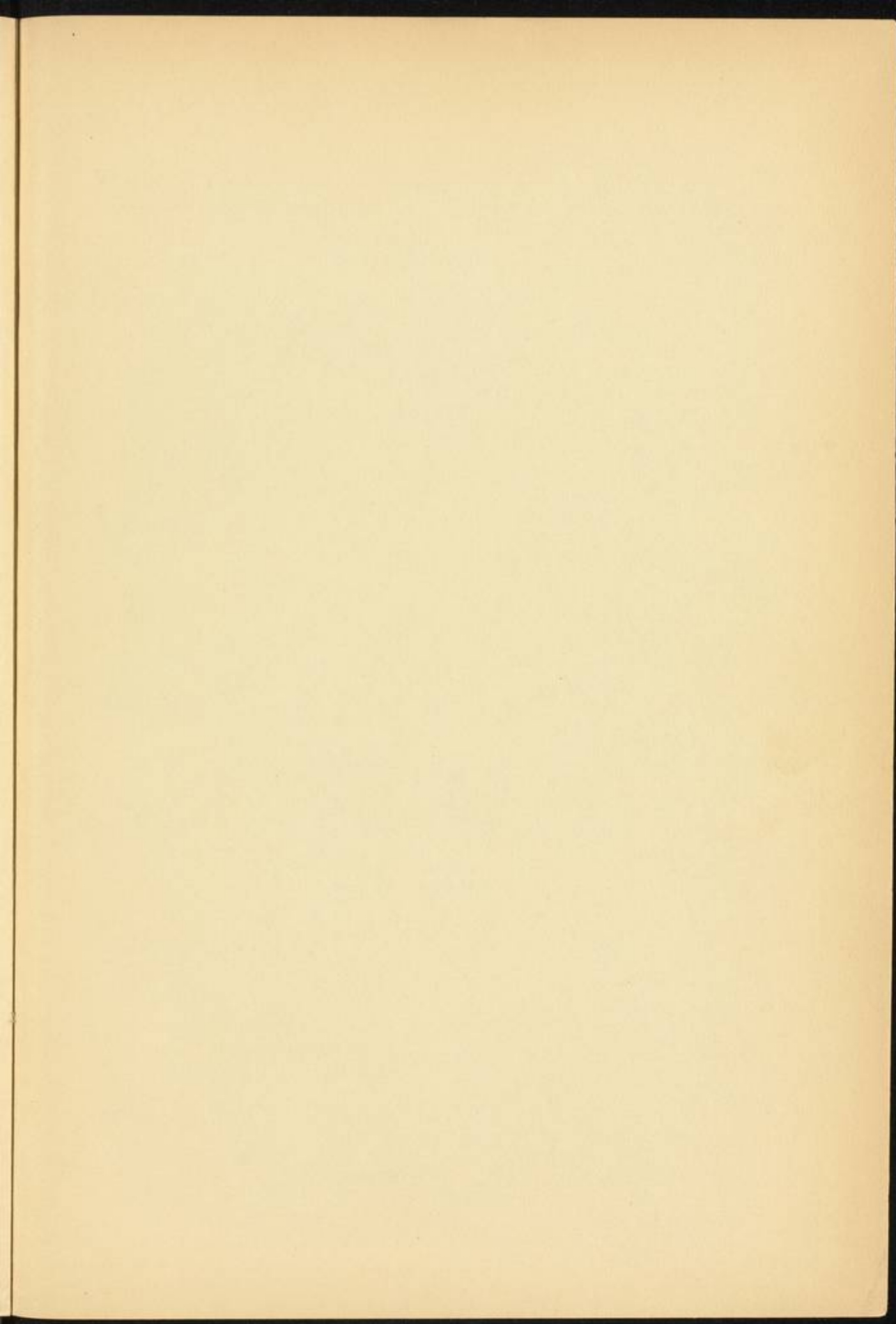
يطلب من مكتبة العرب  
لصاحبها الشيخ يوسف البستاني  
٤٧ الفجالة مصر

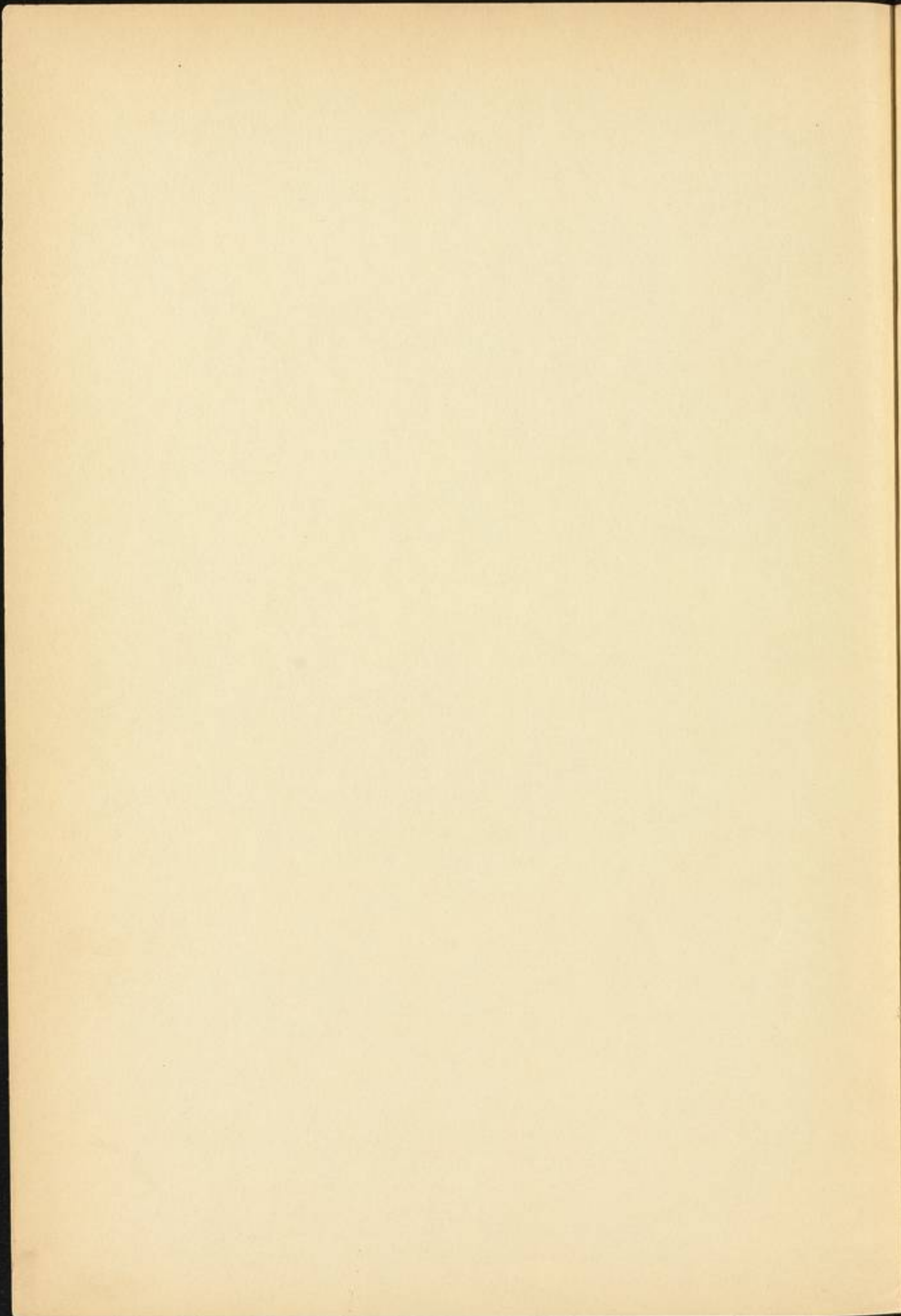


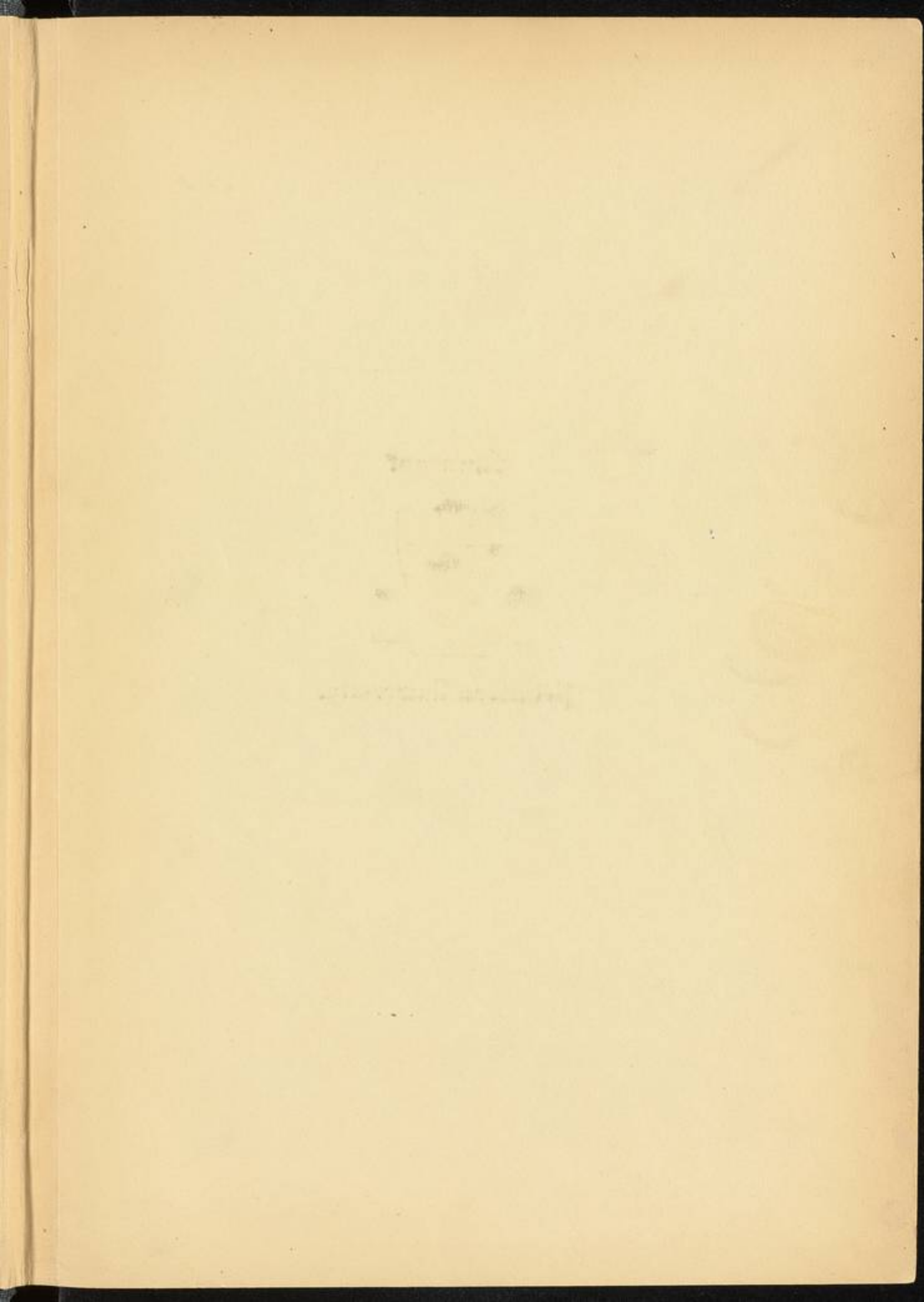












2274  
8752  
329  
v. 1, pt. 1

Library of



Princeton University.

